الدار العربية للعلوم - ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

مكتبة مدبولي
Madbouly Bookshop

مؤامرة افتراضية لضرب العالم الإسلامي
بالسلاح النووي!

عاصفة النار

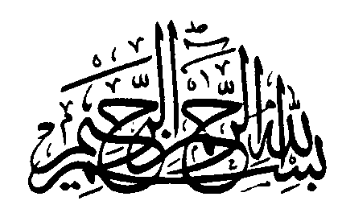


رواية

المؤلف الذي تحتل كتبه المرتبة الأولى على قائمة «نيويورك تايمز»

نيلسون ديميل
Nelson DeMille

عاصفة النار



إن هــذه الــرواية تعبّــر عن رأي مؤلفها وليس عن رأي الدار العــربية للعلــوم. لقــد أرادت الدار العربية من نشر هذه الرواية اطّــلاع القرّاء العرب عما يُحيق بهم من أخطار وإن كانت ترد في إطار روائي، وفي هذا السياق نستشهد بما ورد في مقدمة المؤلف "إذا اعــتقدتَ أن مــا تقرأه يبدو حقيقياً، فهو كذلك فعلاً. فالحقيقة أشد غرابة من الخيال بالطبع وغالباً ما تكون إثارتها للرعب أشد"

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي
Wild Fire
حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونياً من الناشر
Warner Books
بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين الدار العربية للعلوم – ناشرون، ش.م.ل.

عاصفة النار

رواية

تأليف

نلسون ديميل

ترجمة

أمين الأيوبي



الدار العربية للعلوم ـ ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. SAL

الطبعة الأولى

1428 هـ - 2007 م

ردمك 978-9953-87-083-0



الدار العربية للعلوم ـ ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. SAL
عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961)
ص.ب: 5574-13 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان
فاكس: 786230 (1-961) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

التنضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت - هاتف 785107 (9611)

الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت - هاتف 786233 (9611)

مُقـــدِّمـــة

عـــندما يجمـــع بين الحقيقة والخيال في الروايات، لن يستطيع القارئ التمييـــز بينهما دائماً. وقد سألني الذين قرأوا مخطوطة رواية **عاصفة النار** عمـــا هو حقيقي فيها وما هو من نسج خيالي، ولذلك ارتأيت أن أعالج هذه المسألة هنا.

أولاً، تـــستند الوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب المذكورة في هذه الرواية وغيـــرها مـــن قـــصص جون كوري إلى الوحدة التكتيكية المشتركة لمحاربة الإرهاب الحقيقية مع بعض التحريف الأدبي.

فـــي هذا الكتاب على وجه الخصوص، هناك الكثير من المعلومات حول ELF، وهـــي كلمة أوائلية ترمز إلى شيء ستكتشفه في القصة، علماً بأن كافة المعلومات المتعلقة بها دقيقة، على حسب علمي.

فـــي مـــا يتعلق بالخطة السرّيّة للحكومة التي تسمى **عاصفة النار**، فهي تـــستند إلى بعض المعلومات التي حصلت عليها، عبر الإنترنت غالباً، ويمكن اعتبارها شائعات، أو حقائق، أو خيالاً محضاً، أو مزيجاً من كل ما تقدم. إنني شخـــصياً أعـــتقد بوجـــود نموذج معين لعاصفة النار فعلاً (أو أي اسم رمزي آخر)، وفي حال لم يكن يوجد، فأعتقد بوجوب إيجاده.

فـــي ما يتعلق بالموضوعات التي سألني الناس عنها في هذا الكتاب، مثل نيـــست، وكنـــيكاب، والكلمـــات الأوائلية الأخرى، فهي خيالية. في الواقع، إذا اعـــتقدت أن مـــا تقـــرأه يبدو حقيقياً، فهو كذلك فعلاً، فالحقيقة أشدّ غرابة من الخيال بالطبع، وغالباً ما تكون إثارتها للرعب أشدّ.

أمـــا الـــسؤال الـــذي لا يزال يُطرح عليّ غالباً لغاية الآن فهو هل *البير بانغرز حقيقيون*؟ الجواب هو أجل إنهم كذلك.

تدور أحداث القصة في شهر أكتوبر/تشرين الأول 2002، أي بعد سنة وشـــهر علـــى الحـــادي عـــشر من أيلول 2001، والعناوين التي تصدرت صحيفة ذا نيويورك تايمز والقصص التي أوردتها حقيقية. وبالمثل، فإن أية إشـــارة إلـــى تدابير أمنية حكومية أو إلى غيابها كانت صحيحة حتى تاريخ كتابة القصة.

يعتقد القليل من القراء الذين يعملون في مجال تطبيق القانون بأن التحرّي جــون كوري يعاني من مشكلات تتعلق بحدود سلطاته ونطاق صلاحياته. وأنا أعترف بأنني منحت الدور بعض الحرّيات الدراماتيكية من أجل المحافظة على عنــصر التــشويق فــي القــصة. فجون كوري الذي يعمل وفقاً للقانون ويتبع الإرشادات حرفياً يتميز بصفات لا يرغب أي منّا في أن تكون في بطل.

لقــد قــال لــي الأشــخاص الذين قرأوا المسودة الأولى لهذه الرواية إن **عاصــفة النار** أبقتهم متيقظين حتى بعد مضي ساعات طويلة على توقفهم عن قــراءتها. بالطبع، إنه كتاب مرعب في أوقات مرعبة، ولكنني آمل بأن يكون رواية تحذيرية لعالم ما بعد 11 سبتمبر/أيلول.

القسم 1

يوم الجمعة

مدينة نيويورك

يُجـري مكـتب التحقيقات الفيدرالي تحقيقات على علاقة بالإرهاب، دونما اعتبار للعرق، أو الدين، أو الوطن الأم، أو الجنس.

– *الإرهاب في الولايات المتحدة،*

من منشورات مكتب التحقيقات الفيدرالي، 1997

الفصل 1

أنـــا جـــون كوري، تحرّي سابق في قسم التحقيق الجنائي في شرطة نيويورك، أُصبت أثناء تأديتي مهامي، وتقاعدت بعد تشخيص حالتي على أنها إعاقة بنسبة خمسة وســبعين فـــي المـــئة (وهي نسبة تتعلّق بالراتب التقاعدي وحسب، لكن حوالى ثمانٍ وتسعين في المئة من الوظائف الجسديّة لا تزال تعمل بشكل طبيعي)، إنني أعمل حالياً كعميل خاص متعاقد مع *الوحدة التكتيكية الفيدرالية لمحاربة الإرهاب*.

ســألني الرجل الذي يعمل قبالتي في الحجرة، واسمه هاري مولر، "هل سبق أن سمعت عن نادي كاستر هيل؟"

"كلا. لماذا؟"

"إنه المكان الذي أنوي الذهاب إليه في عطلة نهاية الأسبوع".

قلت له: "أتمنّى أن تقضي أوقاتاً سعيدة".

"إنهـــم مجمـــوعة مـــن الأثـــرياء اليمينيين المعتوهين الذين يملكون هذا النادي المخصص للصيد في شمال الولاية".

"هاري، لا تأتِ إليّ بقطعة من لحم الأيّل، ولا بشيء من الطيور التي تصطادها أيضاً".

نهضتُ من مقعدي وذهبت إلى المقهى. وهناك، فوق غلاّيات القهوة، ترى صور الأشـــخاص المطلوبين لوزارة العدل معلّقة على الجدار، تعود في معظمها لأشخاص عرب، بمن فيهم المطلوب رقم واحد، أسامة بن لادن.

كمـــا تتضمن الملصقات التي ناهز عددها العشرين صورة لمواطن ليبـــي يدعى أســـد خليل. لم أكن بحاجة إلى التحديق في صورة هذا الرجل، فأنا أعرف وجهه بقدر ما أعرف وجهي، رغم أنه لم يسبق لي أن التقيت به.

بدأت صحبتي للسيد خليل قبل حوالى سنتين عندما كنت أتعقّبه خلسة، ليتبيّن لي بأنـــه كان هو من يتعقبني. هرب منّي، وهربت منه بعد إصابتي بجرح طفيف. وكما سيقول العرب على الأرجح، "من المحتم أن نلتقي مجدداً لكي نسوّي حسابنا". وتطلّعت قدماً لذلك الموعد.

أكثرت من شرب القهوة في كوب من الفلّين في ما كنت أقرأ صحيفة ذا نيويورك تايمز كانت على الطاولة. تصدّر الصحيفة في ذلك اليوم، الجمعة، الذي صادف يوم 11 من أكتوبر/تشرين الأول العنوان التالي: "الكونغرس يجيز لبوش استخدام القوة ضدّ العراق، ويمنحه تفويضاً واسعاً".

وظهر عنوان فرعي يقول، أفاد مسؤولون أن خطة احتلال العراق جاهزة لدى الولايات المتحدة.

بدا أن نشوب الحرب محتوم، وكذلك النصر. ولذلك، كانت فكرة جيدة امتلاك خطة لاحتلال ذلك البلد. وتساءلت إن كان يوجد شخص في العراق على علم بذلك.

عدت بكوب القهوة إلى مكتبي، وشغّلت حاسوبي، وقرأت بعض المذكرات الداخلية. لقد استغنت منظمتنا عن استخدام الورق بشكل شبه كامل. في الواقع، لقد افتقدتُ للمذكرات الموقعة بالحروف الأولى. كانت لديّ رغبة بالتوقيع على شاشة حاسوبي بقلم الرصاص، ولكنني استعضت عن ذلك بالتوقيع الإلكتروني. لو كنت أنا من يدير هذه المنظمة لكنت وقعت كل المذكرات إلكترونياً.

نظرت إلى ساعتي. كانت تشير إلى الساعة 4:30 من بعد الظهر، وكان زملائي في الطابق السادس والعشرين في المبنى 26 فيدرال بلازا يغادرون بسرعة. يتعين عليّ القول إن زملائي، وأنا أيضاً، أعضاء في *الوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب*، وهي جهاز اسمه مؤلف من أربعة حروف في عالم الأجهزة التي تتألف أسماؤها من ثلاثة حروف.

إنه عالم ما بعد 11 سبتمبر/أيلول، ولذلك فإن أيام عطل نهاية الأسبوع، من الناحية النظرية، ليست أكثر من يومي عمل بالنسبة لنا. في الحقيقة، لم يتغيّر التقليد العريق كثيراً والمتمثل بالانصراف الباكر يوم الجمعة. وكذلك هي حال قسم التحقيق الجنائي في شرطة نيويورك الذي يشكل جزءاً من الوحدة التكتيكية، والذي اعتاد على الساعات السيئة المتمثلة بضرورة توفر الرجال للقسم في أيام عطل نهاية الأسبوع وفي العطل السنوية.

سألني هاري مولر، "ماذا ستفعل في عطلة نهاية الأسبوع؟"

كان يوم السبت بداية عطلة كولومبوس التي تمتدّ ثلاثة أيام، لكن شاءت الأقدار أن أعمل يوم الاثنين. فأجبته، "كنت أنوي المشاركة في مسيرة يوم كولومبوس، ولكنني سأعمل يوم الاثنين".

"هل تنوي المشاركة في المسيرة، حقاً؟"

"كلا، لكن هذا ما قلته للنقيب باريزي. قلت له إن أمّي إيطالية، وأنني أنوي اصطحابها على كرسيها المدولب إلى المسيرة".

ضحك هاري وسألني "وهل اقتنع بذلك؟"

"كلا، ولكنه عرض عليّ دفع الكرسي المدولب".

"كنت أعتقد أن والدَيك يعيشان في فلوريدا".

"والداي هناك فعلاً".

"حقاً؟"

"ووالدتك أيرلندية".

"إنهـا كـذلك. والآن، علـيّ أن أجد أمّاً إيطالية لباريزي لكي يدفع كرسيّها في مسيرة كولومبوس".

ضحك هاري مجدداً وعاد إلى حاسوبه.

على غرار معظم أفراد شرطة نيويورك في قسم ولايات الشرق الأوسط في الوحدة التكتيكـية، يقوم هاري مولر بعمليات مراقبة سرّية *للأشخاص المشبوهين*، وهي الوصف السياسي للجالية العربية، ولكنني أعمل غالباً في إجراء المقابلات وتجنيد المخبرين.

الغالبية العظمى من المخبرين الذين يعملون لديّ كذّابون، إما لأنهم يريدون المال أو الحصول على الجنسية، أو يرغبون في الإيقاع بشخص ينتمي إلى مجتمعهم. وبين الحين والآخر، أحصل على معلومات حقيقية، وحينها أقوم بتمريرها إلى المسؤول في مكتب التحقيقات الفيدرالي.

تـتألف الـوحدة التكتيكية في غالبيتها من عملاء من مكتب التحقيقات الفيدرالي وتحـرّيين مـن شـرطة نيويورك، إضافة إلى متقاعدين من شرطة نيويورك، مثلي. وبالإضـافة إلـى ذلـك، قمنا بتجنيد أشخاص من وكالات فيدرالية أخرى، مثل دائرة الهجـرة والجمـارك، وشرطة الولاية والضواحي، وشرطة سلطة الموانئ، ووكالات كثيرة أخرى أعجز عن تذكّر أسمائها.

كما كان يوجد في مجموعتنا أشخاص، كالأشباح، لا وجود لهم في الحقيقة، ولكن في حال ظهروا، فإنهم يُدعون وكالة الاستخبارات المركزية.

تفحـصت بريدي الإلكتروني، ووجدت ثلاث رسائل. الرسالة الأولى كانت من رئيـسي، **تـوم والـش**، وهو عميل خاص تولّى مسؤولية *الوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهـاب* بعد أن تُوفي رئيسي السابق، **جاك كُوينغ**، في مركز التجارة العالمي. جاء في الرسالة الإلكترونية: **سرّيّ – تذكير – في الفترة التي تسبق العمليات العدائية في العراق، نحن بحاجة إلى إيلاء عناية خاصة للعراقيين الذين يعيشون في كوناس.**

كـوناس تعنـي الولايات المتحدة القارّية، والعمليات العدائية تعني الحرب، وما تبقّى فيعني العثور على عراقي يمكن ربطه بخطر إرهابي يهدد الولايات المتحدة لكي

نسهّل على الرفاق في واشنطن مهمتهم قبل أن يطلقوا جحيمهم على بغداد.

ومضت الرسالة تقول، **يبقى التركيز والتشديد الأساسي على أسامة بن لادن.**

الرسالة الإلكترونية الثانية جاءتني من رئيسي الثاني، فينشي باريزي، المذكور آنفاً، وهو نقيب في قسم شرطة نيويورك أُلحِق *بالوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب* من أجل مراقبة أفراد الشرطة المشاكسين الذين لا يتعاونون مع أصدقائهم في مكتب التحقيقات الفيدرالي على الوجه المطلوب، وهذا التعريف يشملني. وقد حلّ النقيب باريزي محلّ **ديفيد ستاين**، الذي قُتل، على غرار جاك كُوينغ، قبل سنة وشهر من اليوم؛ في مركز التجارة العالمي.

كان ديفيد ستاين رجلاً رائعاً، وأنا أفتقده كل يوم. وعلى الرغم من كل عيوب جاك كُوينغ والمشاكل التي كانت بيني وبينه، كان رجلاً محترفاً، ورئيساً قاسياً ولكنه منصف، ووطني. لم يتم العثور على جثته، ولا على جثة ديفيد ستاين.

الجثة الأخرى التي لم يتمّ العثور عليها، إضافة إلى ألفي جثة أخرى، كانت تعود لتيد ناش، وهو ضابط في وكالة الاستخبارات المركزية، وكان شخصية عظيمة الشأن، ويمكنك اعتباره عدواً لك.

أتمنّى لو كان في مقدوري التفكير بأمر جميل أصف فيه هذا الوغد، لكن كل ما يمكنني التفكير فيه هو "وداع لا لقاء بعده".

كما كان في هذا الرجل عادة سيّئة وهي عودته من بين الأموات – فقد قام بذلك مرّتين على الأقل – وما لم تظهر نتيجة إيجابية لفحص الحمض النووي الخاص به، فلن أفتح زجاجة الشراب للاحتفال بموته.

على أية حال، جاء في الرسالة الإلكترونية التي أرسلها النقيب باريزي إلى كافة أفراد شرطة نيويورك/الوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب: **عليكم بزيادة كثافة عمليات المراقبة التي تستهدف الرعايا العراقيين، والتعاون مع العراقيين الذين كانوا نافعين في الماضي، واستدعاء العراقيين المدرجة أسماؤهم على لوائح المراقبة من أجل استجوابهمْ. وعليكم إيلاء عناية خاصة للعراقيين الذين لديهم ارتباطات مع الرعايا المسلمين الآخرين، أي السعوديين، والأفغان، والليبيين، ... إلخ. ستتم زيادة عمليات المراقبة التي تستهدف المساجد. وسيتم إطلاعكم على موجز التعليمات في الأسبوع المقبل. النقيب باريزي، قسم الشرطة بولاية نيويورك.**

· أعتقد بأن هناك نمطاً معيناً هنا. يصعب تصديق الأمر، فقد حاولنا منذ وقت ليس ببعيد معرفة ما يُفترض بنا أن نقوم به كل يوم، وكانت المذكرات تُكتب بعناية كي لا

يـــبدو أنـــنا نحارب الإرهابيين الإسلاميين أو أننا نـــزعجهم على أية حال. ولكنّ ذلك تغيّر بسرعة.

الرســـالة الإلكتـــرونية الثالثة كانت من زوجتي، **كايت مايفيلد**، التي يمكنني أن أراهـــا بالقـــرب من مكتبها في الطابق السادس والعشرين من مبنى مكتب التحقيقات الفيدرالـــي/شرطة ولاية نيويورك. زوجتي امرأة جميلة، وأنا أحبّها حتى ولو لم تكن كذلك. في الواقع، لو لم تكن جميلة، لما كنت أبديت اهتماماً بها، ولذلك فهي مسألة فيها وجه نظر.

جـــاء في الرسالة: **دعنا نتوقف عن العمل باكراً، ونذهب إلى البيت. وسأعدّ لك طبقاً من النقانق الساخنة بالتشيلي، وسأعدّ لك المشروبات فيما تشاهد التلفاز مرتدياً ثيابك الداخلية.**

فـــي الواقـــع، لـــم تقـــل ذلـــك في الرسالة، **بل قالت دعنا نذهب لقضاء أمسية رومانـــسية نتذوّق فيها الشراب الفرنسي الشهير في نورث فولك، وسأتولّى بنفسي أمر الحجز. أحبّك، كايت.**

لمـــاذا علـــيّ أن أتـــذوّق الشراب الفرنسي الشهير في نورث فولك؟ فكل أنواع الشراب لها نفس المذاق. كما أن السرير والمكان الذي نتناول فيه وجبة الإفطار يثيرا الاشـــمئزاز؛ أكواخ فيها حمامات تعود إلى القرن التاسع عشر، وأسرّة تصدر أصواتاً مزعجة. هناك، أكون مضطرّاً لتناول وجبة الإفطار أمام النـــزلاء الآخرين الذين عادة مـــا يكونـــون من الأوغاد العصاميين القادمين من الغرب والذين يودّون التحدث عن شـــيء قرأوا عنه في قسم الفنون والتسلية في صحيفة التايمز. وفي كلّ مرة أسمع فيها كلمة *فنّ*، أضع يدي على مسدسي.

كتـــبت لهـــا في رسالتي الجوابية: **هـــذا أمر رائع. أشكرك لأنكِ فكرتِ في ذلك. أحبكِ، جون.**

كما هو حال معظم الرجال، أفضّل أن أواجه فوهة بندقية هجومية على مواجهة زوجة ساخطة.

زوجتـــي كايـــت مايفـــيلد عميلة لدى مكتب التحقيقات الفيدرالي، وعضو في فريقي الذي يضم فرداً آخر من شرطة نيويورك وعميلاً آخر من مكتب التحقيقات الفيدرالـــي. كما أننا نضيف شخصاً أو اثنين بين الحين والآخر من وكالة أخرى، متـــى لـــزم الأمر، مثل وكالة الاستخبارات المركزية أو ICE. وآخر عميل انضمّ إليـــنا مـــن وكالـــة الاستخبارات المركزية كان **تيد ناش** الذي سبقت الإشارة إليه، والـــذي تـــساورني شـــكوك قوية في أنه أقام علاقة رومانسية مرّة مع المرأة التي

أصبحت زوجتي. لم يكن ذلك سبب كرهي له؛ بل هو سبب بغضي له. فأنا أكرهه لأسباب مهنية.

لاحظـــت أن هاري مولر ينظف مكتبه، ويضع الموادّ الحساسة في خزانة مقفلة لكـــي لا يتـــسنّى لعمّـــال التنظيفات، من المسلمين وغير المسلمين، نسخها أو إرسالها بواســـطة الفـــاكس إلـــى ساند لاند. قلت له: "لديك إحدى وعشرون دقيقة قبل أن يرنّ الجرس".

نظر إليّ وأجاب "عليّ أن آخذ بعض المواد التقنية".

"لماذا؟"

"قلت لك، أنا أقوم بعملية مراقبة في شمال الولاية، في نادي كاستر هيل".

"اعتقدت بأنك أحد المدعوّين".

"كلا، أنا أتطفل على المكان".

"ولماذا اخترت هذا المكان بالذات؟"

"لا أعـــرف. هـــل عليّ أن أسأل؟ أملك مركبة مقطورة، وحذاء، وقبّعة ووقاءين للأذن. ولذلك أعتبر نفسي مؤهلاً".

"هـــذا صـــحيح". كما قلت سابقاً، هاري مولر عضو سابق في شرطة نيويورك، مثلـــي، وهو متقاعد منذ عشرين سنة، أمضى السنوات العشر الأخيرة منها في وحدة الاستخبارات، وهو الآن يعمل لدى مكتب التحقيقات الفيدرالي في عمليات المراقبة لكي يتسنّى لمكتب التحقيقات الفيدرالي الاهتمام بالمسائل الفكرية.

ســـألته "انظر، ماذا عن الجناح اليميني؟ اعتقدت بأنك معنا؟" عنيت بعبارة "معنا" قسم الشرق الأوسط الذي يشكّل حوالى تسعين في المئة من *الوحدة التكتيكية المشتركة لمحاربة الإرهاب*.

أجابنـــي هاري، "لا أدري، هل عليّ أن أسأل؟ كل ما عليّ أن أقوم به هو التقاط الصور لا الذهاب معهم إلى الكنيسة".

"هل تقرأ الرسائل الإلكترونية التي يرسلها والش وباريزي؟"

"أجل".

"هل تعتقد أننا ماضون إلى الحرب؟"

"دعني أفكّر".

"هل لدى مجموعة الجناح اليميني أية اتصالات مع أشخاص عراقيين؟"

نظـــر هاري إلى ساعته وقال: "لا أعرف، أنا بحاجة إلى الذهاب إلى النادي قبل أن يغلق أبوابه".

قلت له: "لديك متّسع من الوقت. هل أنت ذاهب لوحدك؟"

"أجل. ولا توجد لديّ مشكلة في ذلك. إنها مجرد مراقبة خالية من المخاطر". ثم نظـــر إلـــيّ وقال: "أنت تعرف أننا لا نقتصر على ملاحقة العرب، فلدينا المجموعات المحلّـــية أيضاً، مثل النازيين الجدد، والميليشيات، والوجوديين، وغيرهم. سيبدو الأمر جـــيداً بالنسبة إلى وسائل الإعلام والكونغرس في حال كشفنا عن شيء. أليس كذلك؟ فقد قمنا بذلك عدة مرّات قبل 11 سبتمبر/أيلول. أتذكر؟"

"أجل".

"علـــيّ أن أذهـــب. أعـــتقد أنني سأراك يوم الاثنين. ولكنني بحاجة إلى أن أرى والش أولاً".

"وهل سيعمل يوم الاثنين؟"

"حسناً، إنه لم يدعني إلى منـــزله لكي نحتسي الشراب، ولذلك أعتقد بأنه سيأتي إلى هنا".

"حسناً، أراك يوم الاثنين". وبعدها غادر هاري.

مـــا تحـــدث عنه هاري بشأن جمع الملفات لا يبدو منطقياً. أضف إلى ذلك أنه يوجد لدينا قسم خاص بالإرهاب المحلّي من أجل التعامل مع هذه المجموعات. كما أن التجسس على الأغنياء المنتمين إلى الجناح اليميني في نادٍ في شمال الولاية أمر يدعو إلى الغرابة. والأمر الغريب أيضاً أن يأتي والش في يوم عطلة من أجل إطلاع هاري على مهمة روتينية.

أنـــا كثيـــر الفضول، ولهذا السبب أنا تحرٍّ ممتاز. وبدافع الفضول، توجهت نحو حاســـوب منفصل حيث يمكنني الدخول على الإنترنت، وأجريت بحثاً بواسطة غوغل عن "نادي كاستر هيل".

لـــم يثمـــر بحثي عن أية نتائج، ولذلك بحثت عن "كاستر هيل". أثمر بحثي عن 400000 نتيجة. وأشار خليط النتائج في الصفحة الأولى - ملاعب غولف، مطاعم، والعديـــد مـــن الأماكن التاريخية في ساوث داكوتا وجميعها على علاقة بالمشكلة التي عانى منها الجنرال جورج أرمسترونغ كاستر في معركة ليتل بيغ هورن - إلى أن أياً مـــن هذه النتائج لا علاقة بما أبحث عنه. وبالرغم من ذلك، أمضيت عشر دقائق في تصفّح النتائج، ولكنني لم أعثر على أماكن في ولاية نيويورك.

عـــدت إلـــى طاولة مكتبي حيث يمكنني استخدام كلمة المرور الخاصة *بالوحدة التكتيكـــية لمحاربة الإرهاب* بغرض الوصول إلى الملفات الداخلية الموجودة في نظام الحالـــة المؤتمت، وهو إصدار غوغل الذي يستخدمه مكتب التحقيقات الفيدرالي. ظهر

اســم نادي كاستر هيل، لكن بدا واضحاً أنني لست بحاجة إلى معرفة ما في داخل هذا الملــف، فقد وجدت أسفل العنوان سلسلة من الأسطر المتتالية التي يتكرر فيها الحرف إكــس. أنت تحصل على شيء في العادة، حتى عندما تدخل على ملفات تخضع لقيود معينة، كأن تحصل على تاريخ فتح الملف، أو اسم الشخص الذي ينبغي عليك الرجوع إلــيه للحــصول على الملف، أو مستوى سرّية الملف على الأقلّ. لكنّ هذا الملف كان مليئاً بحرف إكس المكرر. ولذلك، كل ما تمكنت من فعله هو تنبيه الحمقى المسؤولين عــن الأمن بأنني كنت أبحث عن ملف سرّي لا علاقة له بالعمل الذي أقوم به، وهو متابعة الرعايا العراقيين في هذه المرحلة. لكن بهدف التلاعب بعقولهم، كتبت العبارة التالية "نادي الجِمال العراقي، أسلحة الدمار الشامل".

لم تظهر نتائج.

أطفــأت حاســوبي، وقمــت بتوضــيب مكتبي، وحملت معطفي، وتوجهت إلى مكتب كايت.

التقــيت وكايــت مايفيلد للمرّة الأولى في مهمة؛ عندما عملنا معاً في قضية أسد خليل الذي سبقت الإشارة إليه، حقير صغير قدِم إلى أميركا من أجل قتل أكبر عدد من الأشخاص. وقد قام بذلك فعلاً، ثم حاول قتلي وقتل كايت، ثم لاذ بالفرار. لم تكن تلك واحــدة من أفضل القضايا التي عملت عليها، ولكنها جمعت بيني وبين كايت، ولذلك عندما أراه في المرّة القادمة، سأشكره على ذلك قبل أن أطلق الرصاص عليه، وأراقبه وهو يموت ببطء.

قلت لكايت: "هل يمكنني أن أشتري لك شراباً؟"

نظــرت إلــيّ وابتسمت، وقالت: "سيكون ذلك أمراً رائعاً". ثم عادت إلى العمل على حاسوبها.

السيدة مايفيلد امرأة من الغرب الأوسط، جرى نقلها من واشنطن إلى نيويورك، وهي لم تكن سعيدة لتكليفها بهذه المهمة في البداية، ولكنها باتت سعيدة إلى حدّ الهوس بالعــيش فــي أعظم مدينة على وجه الأرض مع أعظم رجل في الكون. سألتها "لماذا علينا مغادرة المنــزل في عطلة نهاية الأسبوع؟"

"لأن هذا المكان يدفعني إلى الجنون".

يمكن للمدن العظيمة أن تفعل ذلك. سألتها "ما الذي تعملين عليه الآن؟"

"أنا أحاول العثور على فندق في نورث فولك".

"علــى الأرجح أن كافة الغرف محجوزة في عطلة نهاية الأسبوع، ولا تنسَي أن عليّ الذهاب إلى العمل يوم الاثنين".

"كيف لي أن أنسى؟ فأنت تشتكي من ذلك طوال الأسبوع".

"أنا لا أشتكي أبداً".

اعتقدت بأن في الأمر متعة لسبب ما.

نظرت إلى وجه كايت على وهج شاشة حاسوبها. كانت بمثل جمالها يوم التقيتها قبل ثلاث سنوات تقريباً. في العادة، النساء اللواتي أتعرف عليهنّ يهرمن بسرعة. فزوجتي الأولى، **روبن**، قالت بأن السنة الأولى على زواجنا بدت وكأنها عشر سنين. قلت لكايت: "سأوافيك في إيكو".

"حاول ألاّ تنشغل بأمور أخرى".

تابعت طريقي عبر الغرفة، التي أصبحت خالية تقريباً الآن، ودخلت إلى ردهة المصعد حيث كان الزملاء يتجمعون.

أجريت محادثة قصيرة، ثم توجهت إلى هاري فور انتباهي لوجوده. كان يحمل حقيبة معدنية ضخمة، افترضت بأنها تحتوي على كاميرات وعدسات. قلت له: "دعني أدعوك لتناول الشراب".

"آسف، فأنا مضطر إلى الذهاب بأسرع ما يمكن".

"هل تنوي قيادة سيارتك هذه الليلة؟"

"أجل، فأنا بحاجة إلى الذهاب إلى ذلك المكان مع بزوغ الفجر. سيُعقد هناك لقاء ما، وأنا بحاجة إلى تصوير لوحات السيارات والشخصيات حال وصولها".

"يبدو الأمر أشبه بمراقبة الحشود التي اعتدنا عليها في الأعراس والجنازات".

أجل، الأمر التافه نفسه".

دخلنا المصعد، ونزلنا إلى ردهة المبنى. سأل هاري "أين كايت؟"

"إنها في طريقها إلى هنا". هاري رجل مُطلق، ولكنه على علاقة بامرأة. سألته "كيف حال **لوري**؟"

"إنها رائعة".

"تبدو جيدة في صورتها على الماتش دوت كوم".

ضحك وأجاب "إنك رجل حقير".

"إلى أين ستتوجّه؟ أين يقع هذا المكان؟"

"أي مكان؟ آه... إنه بالقرب من بحيرة سراناك".

سرنا في اتجاه برودواي. كان يوماً خريفياً بارداً، وكانت المشاعر الجميلة التي تسبق يومَ الشكر تملأ الشوارع وممرات المشاة.

تبادلت وهاري كلمات الوداع، وسرت جنوباً نحو برودواي.

تتميز **لوير مانهاتن** بكونها تضم مجموعة متلاصقة من ناطحات السحاب والشوارع الضيقة، وهو ما يضمن وصول أدنى قدر من أشعة الشمس والتسبب بأقصى قدر من الإجهاد.

تتضمن الجهة **الشرقية السفلية** من المنطقة، حيث وُلدت وترعرعت، إضافة إلى **تشاينا تاون، وليتل إيتالي، وترابيكا، وسوهو** المؤسسات الصناعية التي تتقابل مع مؤسسات التجارة والمال، وهو ما تمثله وول ستريت بالإضافة إلى المباني الفدرالية، والمباني التابعة للولاية والبلدية، ومبنى البلدية، والسجون، والفيدرال بلازا، والبوليس بلازا، ... إلخ. وكتابع لا غنى عنه لكل ما تقدم، هناك المؤسسات القانونية، والتي تعمل في إحداها زوجتي السابقة وكيلة للدفاع وترافع فقط عن الطبقة الممتازة من حثالة المجرمين. كان ذلك أحد الأسباب التي دفعتنا إلى الطلاق. والسبب الثاني هو اعتقادها بأن الطهو والجماع مدينتان تقعان في الصين.

توجد في مقدمة الشارع مساحة كبيرة تطل على السماء الفارغة حيث كان ينتصب مرّة برجا مركز التجارة العالمية. بالنسبة إلى معظم الأميركيين، وحتى بالنسبة إلى غالبية أبناء نيويورك، لا يشكل غياب البرجين أكثر من فجوة في الأفق البعيد. لكن إذا كنت تقيم في وسط المدينة أو تعمل فيه، وكنت معتاداً على مشاهدة هذين المبنيين العملاقين كل يوم، فسوف يشكل لك غيابهما مفاجأة عندما تمشي في الشارع ولا تجدهما هناك.

وفيما كنت أمشي، بدأت أفكّر في المحادثة التي دارت بيني وبين هاري مولر. فمن ناحية، لم يكن يوجد على الإطلاق أي شيء غير عادي أو يستحق الذكر بشأن مهمته في عطلة نهاية الأسبوع. ومن ناحية أخرى، أجد الأمر بعيداً عن المنطق، أعني بأننا على شفير الحرب مع العراق، ونخوض حرباً أصلاً في أفغانستان، وينتابنا الرعب من هجوم إرهابي إسلامي آخر، وهاري يذهب إلى شمال الولاية من أجل التجسس على بعض اليمينيين الأثرياء الذين يرجح أن يتراوح خطرهم الأمني بين المستوى المتدنّي وعدم تشكيلهم أي خطر على الإطلاق في هذه المرحلة.

ثم كان حديث توم والش التافه إلى هاري حول جمع الملفات في حال أراد أي شخص في الكونغرس أو وسائل الإعلام معرفة إن كانت *الوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب* تلاحق الإرهابيين المندسّين في البلاد. ربما كان الأمر سيبدو منطقياً قبل

بضع سنين مضت، لكن منذ 11 سبتمبر/أيلول، شعر النازيون الجدد، والميليشيات، وغيرهم بالإثارة لتعرّضنا للهجوم وأن البلاد تتطوّر بشكل مرضٍ، بقتلها الأشخاص الأشرار أو اعتقالهم وما إلى ذلك. ثم جاء الحديث عن العمل في عطلة يوم الاثنين.

على أية حال، لا يجدر بي الاهتمام كثيراً بهذا الموضوع، بالرغم من أنه غريب بعض الشيء. ففي الأساس، الأمر ليس من شأني، وما من مرّة طرحت فيها الكثير من الأسئلة حول أشياء بدت غريبة في المبنى 26 فيدرال بلازا إلاّ ووقعت في مشكلة. أو كما اعتادت أمي على القول، "جون، *المشكلات* هي المرادف لاسمك أو اسمك الثاني". وأنا بقيت أصدّقها إلى أن قرأت شهادة ميلادي التي تقول بأن اسمي الثاني هو أليوسيوس. وسوف أستبدل أليوسيوس *بمشكلات* في يوم من الأيام.

الفصل 2

عـــدت إلـــى شارع **تشامبرز** ودخلت **الإكو**، وهو مطعم إيطالي يسود فيه مناخ الصالونات؛ أفضل ما في العالمَين.

كـــان المطعم مزدحماً بالسيدات والسادة الذين يرتدون ثياباً رسمية. وقد تعرّفت على وجوه كثيرة، ورددت عبارة مرحباً عدة مرات.

وحتى لو لم أكن أعرف كل من في المطعم، فباستطاعتي - نظراً إلى أنني تحرٍّ جـــيد ومراقب للحياة في نيويورك - معرفة المحامين الذين يتقاضون أجوراً مرتفعة، ومعـــرفة الموظفين الحكوميين، ورجال تنفيذ القانون، وأصحاب الرساميل. إنني ألتقي بزوجتي السابقة هنا في بعض الأحيان، مما يعني أنه يجب على أحدنا أن يتوقف عن زيارة المكان.

طلبت كأساً من الشراب الاسكتلندي والمياه الغازية، وأجريت محادثة قصيرة مع بعـــض الأشـــخاص الـــذين كانـــوا حولي. وعندما وصلت كايت، طلبت لها كأساً من الـــشراب الفرنـــسي الأبيض الذي يذكّرني بمشكلة عطلة نهاية الأسبوع، وسألتها "هل سمعتِ عن آفة العنب؟"

"أية آفة عنب؟"

"الآفـــة التـــي في نورث فورك. فقد أصيبت كافة عرائش العنب بهذه الفطريات الغريبة التي يمكن أن تنتقل إلى الإنسان".

بدا واضحاً أنها لم تسمع كلامي وقالت: "وجدت بي أند بي في ماتيتوك". وقدمت لي وصفاً للمكان بناء على موقع وب سياحي، وأضافت "يبدو المكان ساحراً بالفعل".

تبدو رائعة كذلك قلعة **دراكولا** على موقع الوب الترانسلفاني. سألتها "هل سبق أن سمعتِ بنادي كاستر هيل؟"

"كلا... فأنا لم أجده في موقع وب نورث فولك. ما هي البلدة التي يوجد فيها؟"

"في الواقع، إنه في شمال نيويورك".

"أوه... هل هو مكان رائع؟"

"لا أعرف".

"هل ترغب في الذهاب إليه في عطلة نهاية الأسبوع القادمة؟"

"سأتحقق منه أولاً".

من الواضح أن الاسم لم يحدث ردّة فعل لدى السيدة مايفيلد التي تعرف في بعض الأحيان معلومات لا تطلعني عليها. ما عنيته هو أننا متزوجان، ولكنها من مكتب التحقيقات الفيدرالي بينما حاجتي إلى المعلومات محدودة ولدي ترخيص أمني أقل مستوى من ترخيصها. وحول هذه النقطة، تساءلت عن السبب الذي حدا بالسيدة مايفيلد إلى الاعتقاد بأن كلمات *نادي كاستر هيل* تشير إلى مكان يمكن الإقامة فيه، وليس مزاراً تاريخياً مثلاً أو نادياً ريفياً، أو شيئاً من هذا القبيل. ربما يكون سياق الحديث هو السبب، أو ربما تعرف بالضبط ما كنت أتحدث عنه.

انتقلت من هذا الموضوع إلى المذكرات المتعلقة بالعراق، فناقشنا الوضع الجيوسياسي فترة من الوقت. كان رأي العميلة الخاصة مايفيلد أن الحرب على العراق ليست أمراً محتماً وحسب، بل وضرورياً أيضاً.

يضم المبنى 26 فيدرال بلازا عمّالاً حكوميين سريعي الاستجابة لأدنى تغيير في النهج السياسي. فعندما يكون التصحيح السياسي أمر اليوم، تكون قد فكّرت في *الوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب* على أنها وكالة للخدمات الاجتماعية للمضطربين نفسياً من الذين لديهم اعتداد ضعيف بالنفس. وصار الجميع يتحدثون الآن عن قتل الأصوليين الإسلاميين والانتصار في الحرب على الرعب؛ إذا أردنا تصحيح الخطأ النحوي في العبارة، ينبغي أن يقال الحرب على الإرهاب، ولكنها العبارة التي تُستخدم في النشرات الإخبارية. والسيدة مايفيلد، التي تُعتبر موظفة حكومية جيدة، تتبنّى القليل من المواقف السياسية، ولا مشكلة لديها في كراهية الطالبان، والقاعدة، وأسامة بن لادن في يوم، ثم كراهية صدام حسين أكثر من ذلك عندما يردها تعميم يُعلمها بمن ينبغي أن تكرهه في ذلك اليوم.

لكنني قد لا أكون منصفاً، فأنا لست منطقياً تماماً في ما يختص ببن لادن والقاعدة. فقد فقدت الكثير من الأصدقاء يوم 11 سبتمبر/أيلول، ولولا عناية الله وزحمة السير، لكنتُ وكايت في البرج الشمالي عندما انهار.

كنت في طريقي لحضور اجتماع على مائدة الإفطار في ويندوز في الطابق 107 من برج التجارة العالمي. كنت متأخراً، واضطرت كايت إلى انتظاري في الردهة. أما ديفيد ستاين، وجاك كُونيغ، وشريكي السابق وربما أفضل صديق في العالم، **دوم فانيلّي**، فوصلوا في الوقت المحدد كما فعل غيرهم من الأشخاص الأخيار وبعض الأشخاص الأشرار، من أمثال تيد ناش. غير أن أحداً لم يخرج من ذلك المطعم حياً.

أنا لا أهتزّ خوفاً بسهولة - حتى أن إصابتي بطلقات نارية ثلاث مرّات ونــزفي حتـــى مـــشارفتي على الهلاك في أحد شوارع المدينة لم يكن لهما أي تأثير دائم على صحتي العقلية - ولكنّ ذلك اليوم هزّني أكثر مما تصورت في ذلك اليوم، وأعني أنني كـــنت واقفاً أسفل الطائرة عندما اصطدمت بالبرج. والآن، عندما أشاهد طائرة تحلّق على ارتفاع منخفض فوق رأسي...

"جون؟"

نظرت إلى كايت وقلت "ماذا...؟"

"سألتك إن كنتَ تريد المزيد من الشراب".

نظرتُ إلى كوبي الفارغ.

طلبتْ لي المزيد من الشراب.

كنت أدرك على نحو مبهم بأن نشرة إخبارية تُذاع على التلفاز في الجانب الآخر من المشرب، وكان هناك مراسل يغطي تصويت مجلس الكونغرس بشأن العراق.

عـــادت الخواطـــر إلـــى رأسي، إنه الحادي عشر من سبتمبر/أيلول مجدداً. لقد حاولـــت أن أجعـــل من نفسي شخصاً مفيداً عبر مساعدة رجال الإطفاء والشرطة في إخـــلاء الناس من الردهة، وفي الوقت نفسه كنت أبحث عن كايت. وبعد ذلك، وجدت نفـــسي خـــارج المبنـــى ومعـــي نقّالة، وصادف أن نظرت إلى أعلى ورأيت هؤلاء الأشـــخاص وهـــم يقفـــزون من النوافذ واعتقدت بأن كايت في مكان ما في الأعلى، واعـــتقدت بأننـــي رأيـــتها وهي تسقط... لمحتها وهي تقف قريباً مني، فنظرتْ إليّ وسألتني "ما الذي يجول في رأسك؟"

"لا شيء".

ثـــم اصـــطدمت الطائـــرة الثانية بالبرج، وكان في مقدوري بعد ذلك سماع ذلك الدويّ الغريب الناتج عن انهيار الخرسانة وقضبان الفولاذ، والذي لا يشبه أي صوت ســـمعته مـــن قبل، ولا يزال في إمكاني الإحساس بالأرض وهي تهتزّ أسفل قدميّ مع ســـقوط المبنى وتساقط الزجاج من السماء. وكما فعل الكل، سارعت إلى الهروب من المكان. لكنني لا أزال عاجزاً عن تذكّر ما إذا كنت قد ألقيت النقّالة من يدي أو ما إذا أسقطها أولاً الشخص الآخر الذي كان يحملها معي، أو ما إذا كنت أحمل نقّالة أصلاً. وأنا لا أعتقد بأنني سأتمكن من تذكّر ما قمت به حينها أبداً.

فـــي الأسابيع التي أعقبت 11 سبتمبر/أيلول، أصبحت كايت انطوائية، وعاجزة عن الـــنوم، وتكثر من البكاء، ونادراً ما كانت تبتسم. وتذكرتُ ضحايا جرائم الاغتصاب الذين تعاملت معهم والذين لم يفقدوا براءتهم وحسب، بل وفقدوا جزءاً من روحهم أيضاً.

ألحّ البيروقراطيون سريعو التأثر في واشنطن على كل شخص طالته هذه المأساة بــأن يــسعى إلــى طلــب المشورة. أنا لست من النوع الذي يتحدث عن مشاكله مع الغرباء، أو مع أحد المختصين، أو ما شابه، ولكن نــزولاً عند إصرار كايت، ذهبت لــرؤية أحــد الأطــباء النفسانيين الذين قام بتوظيفهم الفيدراليون من أجل التعامل مع الطلب المرتفع على الاستشارات. لكنّ الطبيب نفسه كان مخبولاً بعض الشيء، ولذلك لــم نتمكن من إحراز الكثير من التقدم في الجلسة الأولى. وبالنسبة إلى الجلسة الثانية والجلــسات التي تلتها، ذهبت إلى المشرب القريب، **دريزنرز**، حيث أسدى إليّ الساقي **إيدان** نصيحة مؤثرة عندما قال: "الحياة مثل العاهرة. احتسِ شراباً آخر".

من ناحية أخرى، تابعتْ كايت جلساتها الاستشارية لستة شهور تقريباً، وهي الآن أفضل حالاً بكثير.

غيــر أن خطــباً ما أصابها، ولم تُشفَ بالكامل. وبغض النظر عن التقدم الذي أحرزته نتيجة الجلسات الاستشارية، لربما كانت في حال أفضل لولاها.

منذ أن عرفتها وهي على الدوام شابّة لطيفة المعشر، تسير وفقاً للقواعد، ونادراً ما تنتقد مكتب التحقيقات أو الطرق التي يستخدمها. في الحقيقة، اعتادت على انتقادي لأنني أنتقد مكتب التحقيقات.

فــي الظاهــر، لا تزال كايت عميلة مخلصة. فكما أسلفت، إنها تسير وفقاً للنهج الــسياسي المرســوم. لكــن في الباطن، تدرك كايت بأنه حدث تحوّل كامل في الخط السياسي، وهذا الإدراك جعلها قليلة المبالاة، وكثيرة الانتقاد والأسئلة. وهذا في نظري أمر جيد، فقد بات لدينا الآن شيء مشترك.

فــي بعض الأحيان، أشعر بالحنين إلى قائدة فرقة الهتاف التي كنت مغرماً بها. ولكننــي أحبّ هذه المرأة الأكثر صلابة وخبرة، والتي رأت وجه الشرّ، مثلي، وعلى استعداد للالتقاء به مجدداً.

الآن، بعــد مرور عام وشهر على الحادثة، بتنا نعيش في ولاية يشوبها قلق دائم مرمّــز بالألــوان، فالــيوم مستوى التحذير برتقالي، وغداً، من يدري؟ لكنه لن يعود بالتأكيد إلى اللون الأخضر مجدداً في حياتي.

القسم 2

يوم السبت

شمال ولاية نيويورك

الفصل 3

أوقف التحرّي هاري مولر سيارته المقطورة على جانب الطريق، وجمع معداته التـــي كانـــت في المقعد الأمامي، وخرج من السيارة، وتفحّص البوصلة، وتوجّه نحو الجهـــة الـــشمالية الغـــربية عبر الغابة. كان مرتدياً رداءً خريفياً مموّهاً خاصاً وقبعة صوفية سوداء.

كان السير في الطريق سهلاً، وكانت أشجار الصنوبر متباعدة، والأرض مكسوّة بالطحالب ونباتات السرخس التي يعلوها الندى. وفيما كان يمشي، بدأ نور الفجر يتسلل مـــن بين أشجار الصنوبر كاشفاً عن ضباب كثيف. كانت العصافير تغرّد، والحيوانات الصغيرة تجري بين الشجيرات الصغيرة.

كان الطقس بارداً، بحيث كان في وسع هاري رؤية البخار ينبعث من فمه، غير أن الغابة الفطرية كانت رائعة، ولذلك كان شعوره أقرب إلى السعادة بعض الشيء منه إلى التعاسة.

كان يتدلّى من كتفه منظار، وكاميرا يدوية، وكاميرا نيكون باهظة الثمن بدقّة 12 مـــيغا بيكـــسل مع عدسات بطول 300 ملم. كما كان يحمل دليل سيبلي للطيور لكي يشرح سبب وجوده هناك في حال سأله أحدهم عن ذلك، ومسدساً من طراز غلوك من عيار 9 ملم في حال لم يرق جوابه للسائل.

كان هاري قد تلقّى موجزاً عن المهمة من شخص يدعى **إيد فروم تيك** الذي قال له إن العقار الذي يوجد فيه نادي كاستر هيل بطول ستة كيلومترات ونصف تقريباً من الجانبين، وأن مساحته تقارب الأربعين كيلومتراً مربعاً من الأراضي الخاصة. والمثير في الأمر أن العقار بأكمله كان محاطاً بسياج مرتفع على شكل حلقات متسلسلة، وهو الـــسبب الذي من أجله أعطاه الشخص التقني أيضاً قطّاعة أسلاك، وضعها هاري في جيبه الجانبي.

فـــي غـــضون عشر دقائق، وصل إلى السياج. كان بارتفاع ثلاثة أمتار ونصف تقـــريباً، ويعلـــوه سلك من الأشواك الحديدية. وعلى ارتفاع ثلاثة أمتار تقريباً، كانت هـــناك لافـــتة معلّقة كُتب عليها: **أملاك خاصة، من يتجاوز الحدود يتعرّض للملاحقة**

القانونية. كما كانت هناك لافتة أخرى كُتب عليها: **خطر ممنوع الدخول العقار محمي بواسطة حرّاس مسلّحين وكلاب مدرّبة**.

بناء على تجربته الطويلة، أدرك هاري بأن اللافتات التحذيرية مثل هاتين اللافتتين عادة ما تكون تحذيرات كاذبة بهدف التخويف أكثر مما هي أمر حقيقي. لكن في هذه الحالة، كان عليه أن يأخذ ما كتب على اللافتة على محمل الجدّ. ومما أقلقه أيضاً أن والش لم يكن يعرف عن أمر الكلاب والحرّاس المسلّحين شيئاً، أو أنه عرف، ولكنه لم يخبره بذلك. وفي كلتا الحالتين، كان في ذهنه بضع كلمات نوى أن يقولها لتوم والش صباح يوم الاثنين.

أمسك بهاتفه الخليوي، وحوّله من وضعية الرنين إلى وضعية الاهتزاز، ولاحظ بأن الإرسال قوي، وهو أمر فيه بعض الغرابة في المناطق الجبلية. وبطريقة عفوية، اتصل بصديقته لوري. وبعد رنين الهاتف خمس مرّات، حُوّلت مكالمته إلى البريد الصوتي. قال هاري بصوت ناعم: "مرحباً يا عزيزتي، أنتِ حبّي الأول والوحيد. أنا هنا في منطقة جبلية، ولذلك ربما لن يكون استقبالك لمكالمتي جيداً لفترة طويلة، ولكنني أردت أن أقول مرحباً. لقد وصلت إلى هنا في الليلة الماضية قرابة منتصف الليل، وقضيت ليلتي في السيارة المقطورة، وأنا الآن في مهمة بالقرب من نادي اليمينيين المخبولين، ولذلك لا تردّي على مكالمتي. وسأتصل بكِ لاحقاً من خط أرضي إذا لم أستطع التحدث إليكِ عبر الهاتف الخليوي، هل اتفقنا؟ أنا لا أزال بحاجة إلى القيام بأمر في المطار المحلّي في وقت لاحق من اليوم، ولذلك ربما أحتاج إلى قضاء ليلتي هنا. وسأخبرك عندما أتأكد من الأمر. سأكلمك في وقت لاحق. أحبك".

أقفل الهاتف، وأمسك بقطاعة الأسلاك، وأحدث فتحة في السياج وتسلل إلى العقار. وقف بلا حراك، أمعن النظر، وأنصت، ثم وضع قطاعة الأسلاك في جيبه، وتابع مسيره عبر الغابة.

بعد نحو خمس دقائق، لاحظ عموداً لأسلاك الهاتف ينتصب بين أشجار الصنوبر فاقترب منه، وهناك، رأى غرفة هاتف مقفلة. نظر إلى أعلى ورأى أن ارتفاع العمود يبلغ تسعة أمتار تقريباً. وعلى ارتفاع ستة أمتار تقريباً رأى أربعة أنوار كاشفة مثبتة بالعمود، وفوقها خمسة أسلاك مجدولة تمتدّ على جائز مستعرض. من الواضح أن أحد هذه الأسلاك يغذّي الهاتف بالطاقة، والآخر يغذّي الأنوار الكاشفة. أما الأسلاك الثلاثة الأخرى فكانت عبارة عن كابلات ثخينة يمكن أن تنقل الكثير من الطاقة.

لاحظ هاري أمراً غير طبيعي فركّز منظاره على قمّة العمود. فما بدا له أنه أغصان دائمة الخضرة تبرز من الأشجار المحيطة كان في الواقع أغصاناً بارزة من

عمود الهاتف. لكنه أدرك بأن هذه الأغصان كانت من النوع البلاستيكي الذي تستخدمه شـركات الهاتـف الخلـيوي في تمويه أو تجميل أبراج الهاتف الخليوي في المناطق السكانية. وهذا ما دفعه إلى التساؤل عن سبب وجودها في وسط الغابة.

أنــزل هاري المنظار، ورفع الكاميرا والتقط بضع صور للعمود، لأنه تذكر بأن تـوم والـش قال له: "بالإضافة إلى السيارات، والوجوه، وأرقام السيارات، عليك أن تصوّر أي شيء يبدو مثيراً للاهتمام".

اعتقد هاري بأن العمود مثير للاهتمام وأنه من الجيد وضع صورته في الملفات، ولذلك أمسك بالكاميرا اليدوية وصوّر لعشر ثوانٍ، ثم مضى في طريقه.

بـدأت الأرض ترتفع شيئاً فشيئاً، وحلّت محلّ أشجار الصنوبر أشجارُ السنديان الكبيـرة، والـدردار، والقـيقب التي شكلت خضرتها المتبقية مزيجاً رائعاً من اللون الأحمـر، والبرتقالـي، والأصـفر. كانت هناك سجادة من الأوراق المتساقطة تغطي الأرض ويُسمع حفيفها مع مرور هاري فوقها.

ألقـى هـاري نظـرة سـريعة على الخريطة، وتحقق من وجهة سيره بواسطة البوصلة، وتبين له بأن النادي يقع أمامه مباشرة على مسافة لا تتعدّى كيلومتراً واحداً.

أخـرج شـطيرة، وبدأ بتناولها من دون أن يتوقف فيما كان يستمتع بهواء جبال أديـرونْداك النقـي مع بقائه متأهباً لاحتمال حدوث مشكلة. فعلى الرغم من أنه عميل فيدرالـي، يبقى تجاوز الحدود تجاوزاً للحدود. فبدون تصريح بالدخول، لم يكن يملك الحـق بالـتواجد في أملاك خاصة تحيط بها اللافتات أكثر مما يملك صائد في أرض غيره بدون إذن.

ومـع ذلك، عندما سأل والش عن التصريح، قال له: "لا نملك قضية قوية لتنفيذ عملـية مراقبة. فلماذا نسأل قاضياً إذا كان سيجيبنا بالنفي؟" أو كما كان يطيب لشرطة نـيويورك أن تقول عندما تنتهك القانون: "من الأفضل أن تطلب العفو لاحقاً على أن تطلب الإذن الآن".

أدرك هـاري، على غرار باقي أعضاء *الوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب*، بأن القـواعد قد تغيّرت بعد مرور دقيقتين على إصابة البرج الثاني، وأن القواعد التي لم تتغيّـر يمكن خرقها. وهذا ما جعل العمل أكثر سهولة، ولكن في بعض الأحيان، كما هو الحال الآن، أصبح العمل أكثر خطورة.

خفّـت كـثافة الأشـجار، ولاحظ هاري وجود الكثير من بقايا الأشجار المقطوعة والمـنقولة بعيداً عن المكان، ربما من أجل استخدامها للتدفئة، وربما لأسباب أمنية. ومهما يكن السبب، أصبح الغطاء والقدرة على التخفّي أدنى بكثير مما كانا عليه قبل مئة متر.

كان في مقدوره رؤية حقل مكشوف أمامه، ولذلك اقترب ببطء ماراً بين أشجار موزعة بغير انتظام. توقف أسفل آخر شجرة قيقب لا تزالُ منتصبة وأجرى مسحاً على الأرض المكشوفة بواسطة المنظار. وهناك، رأى طريقاً معبّدة تخترق الحقل حتى أسفل التل وصولاً إلى بوابة المدخل حيث رأى كشك حراسة مصنوعاً من الخشب. كان على جانب الطريق صف من أجهزة الإنارة الأمنية المركبة على أعمدة معدنية، كما لاحظ وجود أعمدة هاتف خشبية إضافة إلى خمسة أسلاك مجدولة تخرج من بين الأشجار وتعبر الحقل والطريق وتختفي مجدداً بين الأشجار في الجانب البعيد من الطريق. افترض بأن المشهد يشكل تكملة لما رآه بالقرب من السياج، وبدا أن هذه الأعمدة والأسلاك تحيط بالأرض، مما يعني أن أرضاً مساحتها أربعون كيلومتراً مربعاً مضاءة بالأنوار الكاشفة. قال في نفسه: "لا يمكن أن يكون ذلك نادياً للصيد".

أعاد مسح الطريق أثناء صعوده التلّ وصولاً إلى بيت جبلي ضخم من طابقين شُيّد وفقاً للنمط السائد في جبال أديرونداك، وكان ينتصب فوق المنحدر الصاعد أمامه على مسافة مائتي متر تقريباً. وعلى المرج الممتدّ قبالة البيت، انتصبت سارية علم طويلة يرفرف عليها العلم الأميركي، وأسفل العلم، لاحظ وجود علم أصفر مثلث الشكل. كانت توجد خلف البيت بعض المنشآت الخدمية، وفي أعلى التل رأى ما يشبه برجاً لمحطة لاسلكي أو هاتف خليوي، ولذلك التقط صورة تليسكوبية للبرج بواسطة كاميرته النيكون.

كان البيت مبنياً من الأحجار النهرية، وجذوع الأشجار، والألواح الخشبية مع رواق كبير مُعمد عند واجهته. وكانت هناك ستّ مداخن حجرية بارزة من السقف الخشبي الأخضر تطلق دخاناً رمادي اللون في الهواء. كان في مقدور هاري رؤية الأنوار من النوافذ الأمامية، وسيارة جيب سوداء اللون في مرآب مرصوف بالحصى قبالة المنزل. من الواضح أنه يوجد أشخاص داخل المنزل، وأمِل بأن يكونوا الضيوف الذين ينتظرهم. فهذا هو سبب مجيئه إلى المكان في الأساس.

استخدم كامير النيكون لالتقاط بضع صور تليسكوبية لمرآب السيارات والبيت، ثم أمسك بالكاميرا اليدوية وقام بتصوير البيت وما يحيط به.

علم بأن عليه الاقتراب أكثر إذا كان ينوي تصوير السيارات القادمة، وأرقامها. وسبق أن عرض عليه إيد فروم تيك صورة جويّة للبيت، وأشار إلى أن الأرض التي تحيط به مكشوفة، لكن كان يوجد الكثير من النتوءات الصخرية التي توفر أمكنة للاختباء.

نظر هاري إلى تلك النتوءات المنتشرة على التل، وخطط لمساره بحيث ينتقل من تكوين صخري إلى آخر إلى أن يصل إلى بقعة مشارِفة تبعد مسافة ثلاثين متراً

تقــريباً عن المنــزل وعن مرآب السيارات. ومن هناك، رأى أنه سيتمكن من التقاط الــصور الفوتوغــرافية وتــصوير الــسيارات المتوقفة على شريط الفيديو، وتصوير الأشخاص الذين يدخلون البيت. كان بحاجة إلى البقاء هناك حتى وقت متأخر من بعد الظهر – استناداً إلى ما قاله والش – ثم الذهاب إلى المطار المحلّي للتحقق من لائحة الركاب الواصلين وحجوزات السيارات.

عاد هاري بالذاكرة إلى الوقت الذي كان يراقب فيه مجموعة من الشبان المنتمين إلــى الجيش الجمهوري الأيرلندي والذين أقاموا مخيماً تدريبياً في مكان لا يبعد كثيراً عن هذا المكان. إن محمية **أديــرونداك** الحرجية بمثل مساحة ولاية نيو هامشير، وهي عبارة عن خليط من الأراضي ذات الملكية الخاصة والعامة وتضم عدداً قليلاً جداً من الــسكان، وهــذا ما يجعلها مكاناً جيداً للصيد، والتريّض في الجبال، واختبار الأسلحة غيــر المرخصة. غير أن هذه المراقبة تختلف بعض الشيء عن مداهمة مخيم الجيش الجمهــوري الأيــرلندي من حيث عدم ارتكاب جرائم ظاهرة، ويرجّح أن يكون لدى الأشخاص الذين يقيمون في هذا البيت الكبير نفوذ في مكان ما.

كان هاري على وشك الانطلاق نحو النتوء الصخري الأول عندما ظهرت فجأة ثــلاث ســيارات رباعية الدفع سوداء من خلف المنــزل، وبدأت بتسلّق التلّ بسرعة عالــية. في الواقع، كانت تتجّه نحوه مباشرة. "يا للمصيبة". التفت وتراجع نحو صف الأشجار، وعندها سمع صوت نباح الكلاب في الغابة. "مصيبة كبيرة". تقدمت سيارات الدفــع الرباعي الثلاث نحو الأشجار، وترجّل رجلان من كل سيارة. كانت في حوزة الرجال بنادق صيد.

ظهر ثلاثة رجال من خلف الأشجار التي حوله، وكان معهم كلاب بوليسية تنبح، وتــشدّ علــى رباطاتهــا. ولاحظ أنه يوجد في حوزة الرجال أسلحة جنْبية مثبتة عند خواصــرهم. والآن، تنــبّه هاري إلى شخص رابع فيما كان يخرج من بين الأشجار، وبدا من مشيته أنه المسؤول عنهم.

أدرك هاري بأن الطريقة الوحيدة التي سمحت لهم بتحديد موقعه بهذه الدقّة تعتمد علــى أجهــزة مزروعة في المكان لكشف الحركات أو الأصوات. هؤلاء الأشخاص يحــبّون فعلاً التمتع بالخصوصية. أحسّ هاري بإحساس لم يعتد عليه من القلق، رغم أنه لم يكن نابعاً من خوف. سيكون الأمر صعباً ولكنه لن يكون خطراً.

شــكّل الحرّاس الأمنيون دائرة أحاطت بهاري، ولكنهم كانوا على مسافة ستة أمتار تقــريباً. كانوا يرتدون ثياباً مموهة من النوع العسكري مع رقع عليها العلم الأميركي على الكتف اليمنى. وكان كل واحد منهم يرتدي قبّعة مستدقّة وعليها صورة النسر الأميركي.

اقترب الرجل المسؤول أكثر – كان قاسي الملامح، في منتصف العمر – ورأى هاري أنه يحمل عروة للاسم من النوع العسكري مكتوباً عليها **كارل**.

قال كارل لهاري: "سيدي أنت في أملاك خاصة".

تظاهر هاري بالذهول وأجاب "هل أنت متأكد؟"

"أجل. سيدي".

"حسناً، إذن أرشدني إلى الطريق من فضلك..."

"كيف تمكنت من اجتياز السياج، سيدي".

"سياج؟ أي سياج؟"

"السياج الذي يحيط بالأرض، سيدي، وعليه لافتات تقول ممنوع الدخول".

"لم أرَ أية.. آه، ذلك السياج. أنا آسف يا كارل، كنت ألاحق نقّار الخشب إلى أن حلّق في اتجاه هذا المكان، ولذلك وجدت فتحة في السياج و.."

"لماذا أنت هنا؟"

لاحظ هاري أن النبرة التي يتحدث بها كارل باتت أقل تهذيباً، فقد نسي كلمة **سيدي**. أجاب هاري "أنا أراقب الطيور"، وقدّم له الكتاب الدليلي الخاص بالطيور. ثم نقر على المنظار وقال: "أنا أراقب الطيور".

"ولماذا تحمل هاتين الكاميراتين؟"

"أنا ألتقط صوراً للطيور". أيها الغبي. "إذن، إذا كان في مقدورك إرشادي إلى حيث يمكنني الخروج من هذه الأرض – أو ما هو أفضل نقلي بالسيارة – فسأغادر على الفور".

لم يتفوّه كارل بكلمة، وشعر هاري بأن تلك أولى الإشارات إلى مشكلة محتملة.

قال كارل: "يوجد الملايين من الفدادين من الأراضي العامة في هذه المنطقة، فلماذا أحدثت ثقباً في السياج؟"

"أنا لم أحدث أي ثقب يا صديقي. لقد وجدت ثقباً. وبالمناسبة، عليك اللعنة، كارل".

أدرك كارل وكل من كان حوله أن هاري لم تعد تبدو عليه صفة مراقب الطيور. أضف إلى ذلك أنه كان على وشك إبراز بطاقته الفيدرالية ليلفت انتباه هؤلاء الأوغاد، ويطلب منهم أن يعيدوه بسياراتهم إلى سيارته المقطورة. لكنّ فكرته الثانية كانت اجتناب تحويل المشكلة إلى قضية فيدرالية. فلماذا يقول لهم إنه عميل فيدرالي أُرسل إلى المكان للقيام بعملية تجسس؟ سوف يغضب والش من ذلك كثيراً. قال هاري: "سأغادر هذا المكان" وخطا خطوة نحو الغابة. وفجأة، رُفعت البنادق وسحبت المسدسات من قِرابها، وبدأت الكلاب الثلاثة تنبح وتشدّ رباطاتها.

"توقف وإلاّ أطلق عنان الكلاب".

أخـذ هـاري نفساً عميقاً وتوقف. قال كارل: "هناك طريقتان للقيام بهذا الأمر، طريقة سهلة وأخرى صعبة".

"دعنا نقوم بالطريقة الصعبة".

نظـر كـارل إلـى الحرّاس التسعة الآخرين، ثم نظر إلى الكلاب، ثم نظر إلى هـاري. بدأ يتحدث بطريقة تصالحية وقال: "سيدي، لدينا أوامر صارمة بإحضار أي منـتهك لحرمة المكان إلى نادي الصيد، والاتصال بالشريف، وطلب نقله بواسطة أحد رجـال القانـون إلى خارج المكان. لن نتقدم بأية شكوى، ولكنك ستتلقى نصيحة من الشريف بأنه في حال انتهكت حرمة هذا المكان ثانية، فسوف تُعتقَل. وأنت لا تستطيع، بمـوجب القانون أو بموجب سياستنا التأمينية، الخروج من المكان لوحدك ماشياً، كما أنـنا لن نقلّك إلى خارج الأرض. وحده الشريف يمكنه القيام بذلك. وكل ذلك من أجل سلامتك".

فكّـر هـاري في الأمر. فمع أن المهمة كانت فاشلة، إلاّ أنه في مقدوره إحراز بعـض الـنجاح عبـر تفحـص نـادي الصيد من داخله، وربما يحصل على بعض المعلومات هناك. فقال لكارل: "حسن يا رفيقي، لنذهب".

طلـب كـارل إلى هاري أن يستدير ويمشي نحو سيارات الدفع الرباعي. اعتقد هـاري بأنهم سيقلّونه في إحداها، ولكنهم لم يفعلوا، إذاً، ربما كانت سياستهم التأمينية صارمة فعلاً.

لكن سيارات الدفع الرباعي لازمته فيما كان يجري توجيهه على الطريق وأثناء صـعوده الـتلّ وصولاً إلى نادي الصيد، بصحبة كامل عناصر مفرزة الحراس الذي كانوا في سيارات الدفع الرباعي.

وفـيما كان يمشي، بدأ يفكر في هؤلاء الحرّاس التسعة، وكلابهم، وبيت البوّاب، والسياج ذي الحلقات المتسلسلة، والسلك الشائك، والأضواء الكاشفة، وأكشاك الهاتف، وربمـا أجهـزة استشعار الحركات والأصوات. لا يمكن أن يكون ذلك نادياً لصيادي الطيور أو السمك الذي تذهب إليه كل يوم. ولكنه شعر بالغضب فجأة من والش، الذي بالكـاد أطلعـه على التفاصيل، وشعر بالغضب أكثر من نفسه لأنه لم يستشعر وجود مشكلة.

علـم بأنـه ينبغـي علـيه عدم الإحساس بالخوف، ولكن غريزته التي صقلتها عـشرون سنة من الخبرة في العمل مع الشرطة وخمس سنوات في العمل في محاربة الإرهاب، أعلمته بوجود عنصر خطر في المكان.

لكـــي يتأكد من حقيقة حدسه، قال لكارل الذي كان يمشي خلفه: "انظر، لماذا لا تستخدم هاتفك الخليوي وتتصل بالشريف الآن وتوفر علينا بعض الوقت؟"

لم يجب كارل عن السؤال.

مدّ هاري يده إلى جيبه وقال: "يمكنك استخدام هاتفي الخليوي".

أطبق كارل فكيه وقال: "أبقِ يديك حيث يمكنني أن أراهما، وأغلق فمك اللعين".

سرت قشعريرة باردة في جسد هاري مولر.

الفصل 4

جلــس هــاري مولر إلى طاولة في مواجهة رجل طويل، ونحيف في منتصف عمــره، عــرّف عن نفسه بأنه **باين مادوكس**، رئيس نادي كاستر هيل ومالكه. شرح الــسيد مادوكس بأن ذلك العمل ليس وظيفته اليومية، بل هواية وحسب. كما كان باين مــادوكس رئيس شركة غلوبال أويل ومالكها – جوكو على سبيل الاختصار – وهي شركة سبق أن سمع هاري عنها، وشرح تفاصيل صورتين فوتوغرافيتين معلّقتين على الجدار؛ واحدة لصهريج نفط، والأخرى لحقل نفط مشتعل في هذه الصحراء أو تلك.

لاحــظ مــادوكس اهــتمام هــاري بالصورتين وقال: "الكويت. حرب الخليج". وأضـــاف، "أنا أكره أن أرى نفطاً جيداً يشتعل، وخصوصاً إذا لم يكن يوجد من يدفع ثمناً لقاء الحصول عليه".

لم يجب هاري.

كان السيد مادوكس يرتدي سترة زرقاء وقميصاً مرقطاً فاقع اللون. وكان هاري يرتدي ملابسه الداخلية الطويلة. فقد تعرّض لعملية بحث مذلّة على يد كارل وحارسَين آخــرَين، إذ إنهم جردوه من ثيابه، وكانت في أيديهم قضبان تُستخدم في نخس الماشية وعَــدوه باســتخدامها في حال أبدى أية مقاومة. وقف كارل وأحد رفيقيه خلف هاري الآن، وفـــي أيــديهما القــضبان. حتى ذلك الحين، لم تظهر أية إشارة تشير إلى قرب وصول الشريف، ولم يعتقد هاري بأن الشريف في طريقه إلى المكان.

اِســتمرّ هــاري في مراقبة باين مادوكس الذي كان يجلس بهدوء خلف طاولته الضخمة في المكتب المصنوع من خشب الصنوبر في الطابق الثاني من نادي الصيد. ومن خلال نافذة عن يمينه، كان في مقدوره رؤية منحدر متصاعد خلف النادي، وفي أعلى التلّ، كان في وسعه رؤية الهوائي الطويل الذي سبق أن رآه من الغابة.

سأل السيد مادوكس ضيفه، "هل ترغب في احتساء بعض القهوة أو الشاي؟"

"عليك اللعنة".

"هل هذا يعني كلا؟"

"عليك اللعنة".

حدّق باين مادوكس بهاري، وحدّق هاري بمادوكس. رأى هاري أن مادوكس في سنّ الستين تقريباً، يتمتع بلياقة بدنية ممتازة، وأسمر البشرة في الوقت غير المعتاد، وشعره رمادي اللون مسرّح إلى الخلف، وأنفه طويل ونحيل ومعقوف بحيث بدا أشبه بنسر ذي عينين رماديتين. كما اعتقد هاري بأن الرجل يبدو ثرياً، ولكنه ليس ثرياً غبياً. فقد كان في مادوكس شيء يشير إلى القوة، والنفوذ، والذكاء، القيادة والسيطرة. كما لم تظهر عليه علامات التوتر لخطفه عميلاً فيدرالياً واحتجازه. أدرك هاري بأن ذلك ليس بالأمر الجيد.

أخرج مادوكس سيجارة من علبة خشبية موجودة على طاولته وسأل "هل تمانع في أن أدخّن؟"

"لا يهمني إن احترقت". وأضاف "اتصل بالشريف. الآن".

أشعل مادوكس السيجارة بواسطة ولاّعة فضية وبدأ ينفخ الدخان على نحو ينمّ عن تفكير عميق، ثم قال: "ما الذي جاء بك إلى هنا أيها التحرّي مولر؟"

"مراقبة الطيور".

"أنا لا أقصد أن أكون وقحاً، لكن يبدو الأمر أشبه بهواية لطيفة بالنسبة إلى رجل يعمل في محاربة الإرهاب".

"أنت على مسافة دقيقة واحدة من وضعي إياك قيد الاعتقال".

"حسناً إذاً، دعني أستخدم تلك الدقيقة بحكمة". نظر مادوكس إلى الأشياء المتناثرة على الطاولة: الهاتف الخليوي لهاري ومجيبه الصوتي، اللذان تم إطفاؤهما الآن، وسلسلة مفاتيحه، والكاميرا اليدوية، وكاميرا نيكون الرقمية، والمنظار، ودليل سيبلي للطيور، وخريطة مساحية للمكان، وبوصلة، وقطّاعة أسلاك، وأوراقه الثبوتية، ومسدسه الغلوك 27 من عيار 9 ملم، أو ما يسمى بالغلوك المنمنم الذي يمكن إخفاؤه بسهولة. ولاحظ أن مادوكس أبعد المجلة، وكان ذلك تصرّفاً ذكياً.

سأل مادوكس، "ما الذي ينبغي أن أفعله بهذه الأشياء؟"

"أي شيء أيها الملعون ترغب في فعله. أعطني أغراضي، ودعني أرحل عن هذا المكان، وإلاّ عليك أن تتوقع دخول السجن لمدة تتراوح ما بين عشرين سنة والباقي من حياتك لاختطافك عميلاً فيدرالياً".

رسم مادوكس على وجهه إمارات الانزعاج وانعدام الصبر. "تعال معي سيد مولر. لقد تجاوزنا ذلك الآن، ونحن بحاجة إلى أن نمضي قدماً".

"عليك اللعنة".

طــرح مادوكس اقتراحاً فقال: "دعني ألعب دور التحرّي. أنا أرى منظاراً، وآلة تصوير فيديوية، وكاميرا رقمية باهظة الثمن، وعدسات تليسكوبية، ودليلاً عن الطيور. بالاستناد إلى هذه الأشياء، يمكنني الاستنتاج بأنك مراقب طيور متحمس. في الحقيقة، أنــت مــتحمس لدرجة أن في حوزتك أيضاً قطاعة أسلاك لكي تستخدمها إذا ما حال ســياج بيــنك وبين طائر، هذا بالإضافة إلى مسدس من عيار 9 ملم في حال لم يكن الطائــر يــرغب في البقاء مدة تكفيك لالتقاط صورة له". ثم سأل هاري، "كيف ترى أدائي؟"

"لا يبدو ممتازاً".

"دعني أتابع المحاولة. أرى هنا أيضاً خريطة مساحية جيولوجية رُسم عليها خط باللــون الأحمــر يحــيط بأملاكي، إضافة إلى منــزل البواب، وهذا النادي ومنشآت أخــرى. وهذا يوحي بأنه تم التقاط صورة جوّيّة لأملاكي، وهذه العلامات المضافة تم نقلها إلى خريطتك. أليس ذلك صحيحاً؟"

لم ينبِس هاري ببنت شفة.

تابع السيد مادوكس حديثه قائلاً: "كما أرى هنا على طاولتي هذه الشارة، وبطاقة تعرّف عنك بأنك تحرٍّ متقاعد من شرطة مدينة نيويورك. تهانينا".

"لكــن أكثــر مــا يثير اهتمامي هو أن الشارة وبطاقة التعريف تشيران إلى أنك عمــيل فيدرالــي فــي *الوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب*. أنت لست متقاعداً". حدّق بالصورة التي ببطاقة التعريف، ثم بهاري مولر وسأل "هل تعمل هذه الأيام؟"

قرّر هاري محاولة التعمية على القصة مرّة أخرى، لعلّ الرجل يبحث عن سبب لإطــلاق ســراحه. قــال هاري: "حسناً، دعني أقول لك مرّة أخرى ما سبق أن قلتُه لحرّاســك المهووســين. قــدمت إلــى هذا المكان لكي أنصب خيمة في عطلة نهاية الأســبوع. وأراقب الطيور، وألتقط صوراً فوتوغرافية لها. وأنا عميل فيدرالي أيضاً، وبموجب القانون، يتوجب عليّ حمل أوراقي الثبوتية وسلاحي. فلا يجدر بك أن تجمع اثنين إلى اثنين وتصل إلى مجموع مقداره خمسة. هل تفهم؟"

أومــأ مــادوكس برأسه موافقاً وقال: "أنا أفهم. لكن ضع نفسك مكاني وسأضع نفسي مكانك. أنا العميل الفيدرالي هاري مولر، وأنا أصغي إلى رجل يقول لي إن كافة هــذه القرائن التي أراها أمامي – التي تشير إلى عملية مراقبة – يمكن تعليلها بمراقبة الطيور. إذاً، هل ينبغي أن أطلق سراحك؟ أم هل أطلب تفسيراً منطقياً ومطابقاً للواقع أكثر من ذلك؟ ماذا تفعل لو كنت مكاني؟"

"أنا آسف، لا يمكنني سماعك بسبب صوت قميصك المزعج".

ابتسم السيد مادوكس، ثم فتح دليل سيبْلي، ووضع نظارته ونظر إلى إحدى صفحات الدليل، ثم سأل هاري، "أين يمكن العثور على الأرجح على آكل السمك يا سيد مولر؟"

"بالقرب من البحيرات".

"كان ذلك سؤالاً سهلاً جداً". قلّب بضع صفحات ثم سأل "ما هو لون طائر الدُخَل اللازوردي؟"

أجاب هاري "لونه بنّي".

هزّ السيد مادوكس رأسه وقال: "كلا، كلا يا سيد مولر. اللازوردي تعني الأزرق، أزرق مثل السماء. هذا سؤال آخر. والجواب عن اثنين من أصل ثلاثة يعني النجاح". قلّب صفحات الدليل ثم سأل "ما هو لون ذكر الـ.."

"هاي، خذ ذلك الدليل، وضع طبقة من الجلو عليه، واضرب به قفاك".

أغلق مادوكس الدليل ووضعه جانباً. والتفت إلى شاشة حاسوبه وقال لهاري: "إليك صورك الفوتوغرافية الرقمية. أنا لا أرى أي طيور فيها. ولكنني أرى أنك مهتم بأحد الأعمدة الخدمية التي لديّ... دعني أرى... هذه لقطة تليسكوبية للبرج الذي ينتصب خلف النادي... لقطات قريبة من النادي... آه، هناك طائر جاثم على السقف. ما هذا؟"

"صقر يبحث عن قاذورات".

التقط مادوكس الكاميرا اليدوية، وأعاد تشغيل الشريط، ونظر من خلال محدّد الرؤية وقال: "ها هو العمود مجدداً... لقد لاحظتَ الأغصان البلاستيكية، أفترضُ بأن... ها هو النادي مجدداً... قمتَ بتصوير مناظر جميلة من المكان الذي كنتَ تقف فيه... ذلك الطير يطير مبتعداً عن المكان. ما اسمه؟ يبدو أنه بلشون أزرق، لكن كان ينبغي أن يهاجر جنوباً بحلول هذا الوقت. لقد كان هذا الخريف دافئاً على نحو غير مألوف. إنه الاحتباس الحراري، إذا كنتَ تصدق هذا الهُراء". وضع مسجل الكاميرا وقال: "هل تعرف ما هو الحل لمشكلة الاحتباس الحراري العالمي؟ سأخبرك. إنه الشتاء النووي". ضحك وقال: "نكتة قديمة".

عاد مادوكس إلى كرسيه، وأشعل سيجارة أخرى. وبدأ ينفخ الدخان على شكل حلقات كاملة، ويراقبها فيما ترتفع وتتبدّد، ثم قال: "فنّ ضائع".

تفحص هاري مولر الغرفة فيما كان باين مادوكس يمارس لعبته القديمة. كان في مقدوره سماع أنفاس الرجلين اللذَين كانا يقفان خلفه عندما أشاح بناظرَيه إلى جدار مكسو بشهادات في إطارات. اعتقد هاري بأنه لو تمكن من فهم حقيقة الرجل فقد يعود عليه ذلك بفائدة ما.

لاحـــظ مـــادوكس نظرات هاري فقال: "اللوحة التي في أعلى اليسار هي شهادة حـــصولي علـــى وسام النجمة الفضية. واللوحة الثانية هي شهادة حصولي على وسام الـــنجمة البرونـــزية، ثم وسام القلب الأرجواني. ثم هذه رتبتي كملازم ثانٍ في جيش الـــولايات المتحدة. وفي الصف الثاني أوسمة الخدمة العادية، بما في ذلك وسام حرب فييتـــنام وإشادة الوحدة الرئاسية. لقد خدمت في فوج الخيالة السابع التابع لفرقة الخيالة الجويّة الأولى. كان فوج الخيالة السابع الوحدةَ القديمة للجنرال كاستر. وهذا جزء من سبب تسمية النادي بهذا الاسم. ربما أقول لك الجزء الآخر لاحقاً، ولكن في حال فعلت ذلـــك، فسوف أضطرّ إلى قتلك"، وعلا صوته بالضحك. "أنا أمزح فقط. هيا ابتسم. أنا أمزح فقط".

وجد هاري نفسه مضطراً للابتسام.

"الصف الأخير هو شارة المشاة القتالية، وشارة القناص الخبير، وشهادة مدرسة الـــتدريب على حرب الأدغال، وأخيراً، تسريحي من الجيش. تركت السلك العسكري بعـــد ثمانـــي سنوات من الحرب برتبة مقدّم. لقد جعلنا الترقّي في الرتب سريعاً هذه الأيـــام، فالأعـــداد الكبيـــرة من الضباط القتلى فتحت لائحة الترقيات. هل خدمت في الجيش؟"

"كـــلا". قـــرّر هاري مواصلة اللعبة فقال: "كنت صغيراً جداً، وبعد ذلك أوقفوا عمليات التجنيد".

"هذا صحيح. ينبغي عليهم استئنافها".

قـــال هاري: "بالتأكيد، وينبغي عليهم تجنيد النساء أيضاً. فهنّ يردن المساواة في الحقوق، وبالتالي ينبغي أن يتحمّلن مسؤوليات مساوية".

"أنت محقّ تماماً".

كـــان هـــاري يحرز نجاحاً، ولذلك تابع حديثه قائلاً: "لا يزال ابني يريد تسجيل اسمه في لوائح المجنّدين تحسباً لاحتمال استئناف التجنيد مجدداً. ولكن ابنتي لن تفعل ذلك. لكن لماذا كل ذلك؟"

"بالضبط. لديك ولد وبنت؟"

"أجل".

"هل أنت متزوج؟"

أجاب هاري "مطلق".

"آه، وأنا أيضاً".

قال هاري: "ستدفعك النساء إلى الجنون".

أجاب مادوكس "فقط في حال سمحت لهنّ بذلك".

"حسناً، إننا نسمح لهن بذلك".

ضـحك مـادوكس وقـال: "إننا نفعل ذلك. وعلى أية حال، لماذا أنت في مهمة مراقبة لصالح *الوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب*. لماذا؟"

"كم أمضيت من الوقت في فييتنام؟"

نظـر مادوكس إلى هاري مولر لبضع ثوانٍ، ثم أجاب "لفترتي خدمة دامت كل واحدة منهما سنة كاملة، ثم فترة خدمة ثالثة اختصرتَها صلية من رشاش كلاشينكوف أخطأت قلبي بمسافة مقدارها ثلاثة سنتيمترات واخترقت رئتي اليمنى، ثم كسرت أحد أضلاعي قبل أن تخرج من جسمي".

"أنت محظوظ لأنك بقيت على قيد الحياة".

"أنا أقول ذلك لنفسي كل يوم. كل يوم بمثابة هدية. هل سبق أن تعرّضت لإطلاق نار؟"

"خمس مرّات، ولكنني لم أُصَب أبداً".

"أنـت محظوظ لأنك لا زلت حياً". نظر السيد مادوكس إلى هاري وأضاف "هذه الحوادث تؤدي إلى تغييرك، بحيث لا تعود إلى كما كنت مجدداً. لكن هذا التغيير ليس إلى الأسوأ بالضرورة".

"أعرف ذلك. فلدي أصدقاء أصيبوا بعيارات نارية". فكّرَ في جون كوري، ولكنه كان واثقاً من أن كوري بقي الأحمق نفسه قبل الإصابة وبعدها. قال: "أفكر في بعض الأحـيان بأنـه كان عليّ أن أتطوّع. لقد انتهت حرب فييتنام، ولكن كان لا يزال في مقدوري الخدمة في الجيش. ربما كانت ستسنح لي فرصة المشاركة في اجتياح جزيرة غرينادا أو أي بلد آخر".

"حـسناً، لا تكـن قاسـياً على نفسك، فمعظم الرجال الأميركيين لم يخدموا في الجـيش. ولكي أقول لك الحقيقة، الحرب شيء مخيف وملعون. والآن، دخلنا في هذه الحرب التي تُشنّ على الإرهاب، ومن الواضح أنك يا سيد مولر في الخطوط الأمامية. أليس ذلك صحيحاً؟"

"أجل".

"وعندما نقول الإرهاب، فنحن نعني بوجه عام الإرهابيين الإسلاميين. أليس ذلك صحيحاً؟"

"أجل ولكن..."

"إذاً، هــل تبحث عن إرهابيين إسلاميين في هذا المكان؟ هل يمكنني أن أقدم لك المساعدة؟"

كــان هاري يبحث عن فكرة، ولكن السيد مادوكس واصل كلامه قائلاً: "إذا كان هــناك أي شـــيء يمكنني القيام به يا سيد مولر، ما عليك سوى أن تخبرني بذلك. لا يــوجد شـــخص يتمنـــى الفـــوز فـــي الحرب على الإرهاب أكثر منّي. كيف يمكنني المساعدة؟"

"حــسناً، هـــذه هـــي المشكلة. فقبل نحو خمس سنوات، كنت أعمل على مراقبة عناصر من الجيش الجمهوري الأيرلندي – إنهم إرهابيون – على مسافة لا تبعد أكثر مــن خمـــسة وعشرين كيلومتراً من هذا المكان. كانوا قد أقاموا مخيماً تدريبياً". تابع هـــاري إطـــلاع مادوكس عن آخر المعلومات حول هذه القضية وختم حديثه بالقول: "أرســلنا ثمانـــية مـــنهم إلى سجن فيدرالي لقضاء فترات تتراوح ما بين ثلاث سنين وعشرين سنة".

"آه، أجل. أنا أذكر تلك الحادثة لأنها كانت قريبة من هنا".

"أجل. ولذلك فأنا أقوم بالشيء نفسه. إننا ندقق في الكثير من المحميات الخاصة للـــتأكد ممـــا إذا كـــان هناك أي نشاط مشبوه يقوم به عناصر من الجيش الجمهوري الأيرلندي. فلدينا تقارير استخبارية تفيد بأن..."

"إذاً لا علاقة لهذا الأمر بالإرهابيين الإسلاميين؟"

"كلا، ليس اليوم. إننا نلاحق عناصر الجيش الجمهوري الأيرلندي".

يبدو أن ذلك مضيعة للوقت والموارد على ضوء أحداث 11 سبتمبر/أيلول".

"حسناً، أنا أعتقد ذلك أيضاً. ولكننا بحاجة للحصول على معلومات عن أي شيء وأي شخص".

"أنـــا أعتقد بوجوب ذلك". فكّر مادوكس لبرهة ثم سأل "إذاً، أنت تعتقد بأن نادي كاستر هيل... ماذا؟ مخيم تدريب للجيش الجمهوري الأيرلندي؟"

"حـــسناً، تلقّـــى رؤســـاؤنا معلومات تتحدث عن نشاط في هذه المنطقة، ولذلك اختاروني لكي أقوم بمراقبة المكان". وأضاف "أنت تعرف، فربما يكون هناك أشخاص يستخدمون أملاكك بدون علمك".

"لا يمكن لأحد أن يدخل أملاكي بدون علمي، كما عرفتَ للتوّ".

أجل، أنا أرى ذلك. سأرفع تقريري..."

"بالتأكيد لا يوجد أشخاص يشاركون في عمليات تدريب شبه عسكرية".

"أجل، أنا..."

"ولكن ذلك لا يشرح سبب التقاطك صوراً لنادي الصياد. كان ينبغي أن تكون في الخارج تبحث في الغابة عن عناصر الجيش الجمهوري الأيرلندي".

"أجل، لقد سلكت طريقاً أخرى".

"لقد فعلت ذلك بكل تأكيد. لكن المهم هو أنك تقوم بعملية مراقبة".

"حسناً، أجل. أنا بحاجة إلى الكشف عن عشرات الملكيات في هذه المنطقة".

"فهمت. لذلك، ينبغي عليّ عدم الاعتقاد بأنني تشرّفت بذلك لوحدي؟"

"عفواً؟"

"ينبغي عليّ عدم الاعتقاد بأنه جرى اختياري؟"

"كلا، إنه مجرد عمل روتيني".

"هــذا أمر يبعث على الارتياح. بالمناسبة، هل لديك أي إذن من الحكومة بالقيام بهذه النشاطات؟"

"لديّ إذن، ولكنه ليس معي".

"ألــيس مــن المفتــرض أن تحمل الإذن معك؟" ثم لوّح بيده فوق الطاولة وقال مبتسماً: "إننا لم نعثر على شيء، حتى عندما نظرنا في أمعائك".

"هاي، عليك اللعنة".

"عفواً؟"

"ســأغادر هذا المكان..." ثم مدّ يده إلى الأشياء المتناثرة على طاولة مادوكس، ولكن سرت موجة شديدة من الألم في الجانب الأيمن من جسمه. سمع صوت ارتطام، ثم لم يعد يحسّ بشيء.

أدرك أنــه كان ممدداً على الأرض، والعرق البارد يتصبب من جسمه. لم يكن يــرى بــشكل واضــح، ولكــن كان في مقدوره رؤية كارل وهو يقف فوقه، ويربت بالقضيب على راحة يده وكأنه يريد أن يقول: "هل ترغب في ضربة أخرى؟"

حــاول هــاري أن يقف على رجليه، ولكنهما كانتا مثل المطاط. وقف الحارس الآخر خلفه ورفعه من تحت ذراعيه، وأسقطه على الكرسي مجدداً.

حاول هاري التنفّس بشكل منتظم وتهدئة عضلاته. كانت عيناه لا تزالان فاقدتي التركيز، وبدا أن كل شيء يطنّ في أذنيه.

قدّم له أحد الحرّاس قارورة بلاستيكية من المياه، بالكاد استطاع الإمساك بها.

قــال السيد مادوكس: "أنا مندهش مما يمكن للكهرباء أن تفعله بالإنسان. لا يوجد تقريباً أي برهان مرئي آخر. أين وصلنا؟"

حاول هاري أن يقول *عليك اللعنة*، ولكنه لم يستطع التلفظ بتلك الكلمات.

"أعـتقد بأنك كنت تسعى إلى إقناعي بأنك في مهمة روتينية للبحث عن مخيمات التدريب التي يقيمها الجيش الجمهوري الأيرلندي. لم أقتنع بذلك".

أخذ هاري نفساً عميقاً وقال:"ما قلته لك هو الحقيقة".

"حـسناً إذاً، دعنـي أطمئـنك إلـى أنه لا يوجد أعضاء من الجيش الجمهوري الأيـرلندي في أملاكي. في الواقع سيد مولر، تعود أصولي إلى إنكلترا فعلاً، ولكنني لست مولعاً بالجيش الجمهوري الأيرلندي".

لم يتلفظ هاري بحرف واحد.

قـال مـادوكس: "حسناً، دعنا نتوقف عن حديثنا الفارغ عن الجيش الجمهوري الأيـرلندي وندخل في صلب الموضوع مباشرة. ما الذي يعتقد رؤساؤك بالضبط أنه يحدث هنا؟"

وهنا أيضاً التزم هاري بعدم الردّ.

"هل ترغب في تشجيع كهربائي لكي تجيب على سؤالي؟"

"كلا... أنا لا أعرف. إنهم لا يطلعونني على أي شيء".

"لكـن لا بدّ وأنهم قالوا شيئاً مثل 'هاري، نحن نشتبه بأن نادي كاستر هيل...' مـاذا؟ كيف صنّفوا هذا المكان وأعضاءه؟ هذا الأمر مهم بالنسبة إليّ، وأنا أريدك أن تخبرنـي. وسـتخبرني بـذلك الآن أو في وقت لاحق، ولكنني أعتقد بأنه سيكون من الأسهل لو تفعل ذلك الآن".

حـاول هـاري أن يصفي ذهنه من الصدمة الكهربائية ويدرس الوضع، فهو لم يـسبق أن كان في الجانب الآخر من طاولة التحقيق، كما أنه لم يسبق أن خاض مثل هذه التجربة أو خضع لتدريب كان سيوفر له التوجيهات في وضع مثل هذا.

"سيد مولر؟"

لـم يكـن فـي مقـدوره الحكم إن كان في مقدوره الإصرار على قصة الجيش الجمهـوري الأيرلندي، أو ما إذا كان ينبغي أن يقول لهذا الوغد شيئاً مما يعرفه. من الواضح أن الهدف هو الخروج من هذا المكان حياً، بالرغم من أنه بالكاد كان يصدق أن حياته في خطر.

"سـيد مولـر؟ قمنا بمراقبة الطيور، ثم الجيش الجمهوري الأيرلندي. ما هي القصة الجـيدة فعـلاً، أنـا لا أقصد القصة الحقيقية. يبدو أنك مرتبك قليلاً، ولذلك اسمح لي بأن أسـاعدك. قـيل لك بأن نادي كاستر هيل مؤلف من مجموعة من المجانين الأغنياء من قدامى اليمينيين الذين يتآمرون على القيام بأمر ربما لا يكون قانونياً. هل هذا صحيح؟"

أومأ هاري برأسه موافقاً.

"ما هو الشيء الآخر الذي قالوه عنّا؟"

"لا شيء، ليس من واجبي أن أعرف أي معلومات عن المهمة الموكل إليّ تنفيذها ما لم يخبروني بها من تلقاء أنفسهم".

"آه، أجل. الحاجة إلى أن تعرف. هل ذكروا أن العديد من أعضائنا يشغلون مراكز مرموقة جداً، ويتمتعون بنفوذ واسع في المجتمع والحكومة؟"

هزّ هاري رأسه نافياً وقال: "لا حاجة لي لمعرفة ذلك".

"حسناً، أعتقد بأنك بحاجة إلى أن تعرف. وهذا هو السبب الذي أنت هنا من أجله، سواء أكنت تعرف أم لا. الحقيقة هي أن أعضاء هذا النادي لديهم الكثير من النفوذ، النفوذ السياسي، والنفوذ المالي، والنفوذ العسكري. هل تعرف بأن أحد أعضائنا يشغل منصب نائب وزير الدفاع؟ وأن عضواً آخر أحد كبار مستشاري الرئيس في قضايا الأمن القومي. هل كنت تعرف ذلك؟"

هزّ هاري رأسه نافياً.

"إننا لا نقدّر قيام إحدى الوكالات الحكومية بعملية مراقبة غير شرعية لنشاطاتنا التي هي قانونية تماماً". وأضاف "نحن نصطاد الحيوانات، والأسماك، ونشرب الشراب، ونناقش الوضع العالمي. والدستور نفسه يحمي حقنا في الاجتماع، وحرّيتنا في التعبير، وخصوصيتنا. أليس ذلك صحيحاً؟"

أومأ هاري برأسه موافقاً.

"هناك شخص في وكالتك قد تجاوز حدوده، وسيُطلب إليه تبرير تصرفاته".

هنا أيضاً، أومأ هاري برأسه موافقاً. كان يصدق مادوكس. فلن تكون تلك المرّة الأولى التي يرتكب فيها أحد رؤسائه خطأ ويأمر بتنفيذ عملية مراقبة لمجموعة ما أو شخص ما ليس مذنباً بأي شيء. ومن ناحية أخرى، هذا هو السبب الذي جرى تنفيذ عملية المراقبة من أجله؛ التأكد مما إذا كان الاشتباه بممارسة نشاط إجرامي دقيقاً أو مبرّراً. قال هاري: "أعتقد بأنهم أخطأوا".

"أوه، أنا أعرف بأنهم أخطأوا. وأنت علقت وسط هذه المعمعة".

"هذا صحيح".

"إذاً، أنت لست عميلاً من مكتب التحقيقات الفيدرالي؟"

"كلا".

"ولا ضابطاً في وكالة الاستخبارات المركزية؟"

"اللعنة، لا".

"من تكون؟ عميل متعاقد؟"

"أجــل. ضـــابط مـــتقاعد من شرطة نيويورك، وأعمل لصالح مكتب التحقيقات الفيدرالي".

أضاف السيد مادوكس "على مستوى متدنٍّ".

"أجل، وأشكرك على الصدمة الكهربائية".

"أنـــا لا أدري عمـــا تـــتحدث". نظر السيد مادوكس إلى ساعته وقال: "أنا أتوقع وصـــول أصـــدقاء". حـــدّق في وجه هاري وسأله، "هل كنت تعرف أنني أتوقع قدوم أصدقاء؟"

"كلا".

"أهي مصادفة أن تأتي إلى هنا في هذا اليوم بالذات؟"

لم يردّ هاري على السؤال.

"تحدث إليّ يا سيد مولر، فلدي صباح حافل".

"أه... حسناً، طُلب إليّ التأكد من احتمال قدوم شخص".

"طُلـــب إلـــيك مـــراقبة الضيوف القادمين، وتصويرهم، وتسجيل أرقام لوحات سياراتهم، وملاحظة أوقات وصولهم، وما إلى ذلك".

"أجل".

"كـــيف تمكـــن هؤلاء الأشخاص الذين تعمل لديهم من معرفة أنه يوجد اجتماع اليوم؟"

"ليس لديّ أدنى فكرة".

"لماذا التقطتَ صورة فوتوغرافية للعمود الخدمي؟"

"لقد رأيته صدفة".

"متى وصلت إلى هنا؟"

"في الليلة الماضية".

"هل يوجد شخص معك؟"

"كلا".

"كيف وصلت إلى هنا؟"

أجاب هاري "قدتُ سيارتي المقطورة إلى هذا المكان".

"وهل هذه مفاتيحها؟"

"أجل".

"أين توجد السيارة؟"

"على الطريق إلى الجنوب من هذا المكان".

"قريباً من المكان الذي دخلت من خلالَه إلى أملاكي؟"

"أجل".

"هل يُفترض بأن ترفع تقريراً عبر الهاتف؟"

أجاب هاري "أجل"، مع أن ذلك لم يكن صحيحاً.

"متى؟"

"عندما أغادر المكان".

"فهمت". أمسك مادوكس بهاتف هاري الخليوي، وقام بتشغيله وقال: "أرى أنه وصلتك رسالة". وأضاف "في حال تعجبت من سبب توفر إرسال قوي في وسط المجهول، أريدك أن تعرف بأنني أملك برجي الخاص لترحيل موجات الهاتف الخليوي". وأشار ناحية النافذة وقال: "عرفتَ الآن ما هو ذلك البرج، وفي إمكانك وضع تسمية على الصورة الفوتوغرافية التي التقطتَها له. كما يمكنك الإشارة إلى أنه مزود بجهاز تشويش لكي لا يتمكن أحد من الإنصات إلى مكالماتي". ثم سأل هاري "أليس رائعاً أن يكون المرء ثرياً؟"

"كيف لي أن أعرف؟"

ثم سأل مادوكس، "ما هو كود صندوق بريدك الصوتي؟"

أعطى هاري الكود لمادوكس، واتصل هذا الأخير بالبريد الصوتي، وأدخل رقم الكود، وقام بتشغيل المجهار.

قالت لوري: "مرحباً يا عزيزي. وصلتني رسالتك. كنتُ نائمة، وسوف أذهب للتبضع اليوم برفقة شقيقتي وآن. اتصل بي لاحقاً، فسآخذ هاتفي الخليوي معي. هل هذا جيد؟ أخبرني إن كنت تنوي المبيت في ذلك المكان. أنا أحبك، وأنا مشتاقة إليك". وأضافت، "كن حذراً من هؤلاء المعتوهين اليمينيين، فهم يحبون أسلحتهم. توخَّ الحذر".

علّق مادوكس بالقول: "يبدو حديثها جميلاً جداً، باستثناء ذلك الجزء الذي تحدثت فيه عن المعتوهين اليمينيين وعن أسلحتهم". وأضاف "من الواضح أنها تعتقد بأنك قد تضطرّ إلى قضاء الليلة هنا. وربما تكون على حقّ". أطفأ الهاتف وقال لهاري: "أعتقد بأنك تعرف بأن هذه الأشياء ترسل إشارة يمكن تعقّبها".

"أجل، فهذه هي وظيفتي".

"هــذا صــحيح. تكنولوجــيا مدهشة. ففي إمكاني الاتصال بأطفالي في أي وقت أشــاء، ومــن أي مكان. بالطبع، إنهم لا يردّون على مكالماتي أبداً، ولكنهم يعاودون الاتصال بي بعد مرور خمس دقائق، أو عندما يكونون بحاجة إلى شيء ما".

وجد هاري نفسه مضطراً إلى الابتسام.

قــال الــسيد مادوكس: "إذن يبدو أنك تحمل الصفة التي ذكرتَها عن نفسك. لكن حتى أكون صادقاً معك يا سيد مولر، أعتقد بأنك ربما تكون عميلاً لقوة أجنبية".

"ماذا؟"

"أنا لست مهووساً. إن للأشخاص الذين يملكون عضوية في هذا النادي أعداءً في كل مكان في العالم، أعني النوع الصحيح من الأعداء. فنحن جميعاً وطنيون يا ســيد مولــر، وقــد تسببنا ببعض المشكلات لأعداء أميركا في أنحاء مختلفة من العالم".

"هذا أمر جيد".

"اعــتقدتُ بأنك ستوافقني الرأي. وهؤلاء نفسهم أعداؤك. ولذا، سأستخدم العبارة العربية القديمة، 'عدوّ عدوّي هو صديقي'".

"هذا صحيح".

"لكــن في بعض الأحيان يكون عدوّ عدوّي عدواً لي أيضاً. وليس مردّ ذلك أنه يــريد أن يكــون كــذلك، بــل لأننا نختلف في الرأي حول كيفية التعامل مع عدونا المشترك. ولكن هذه مناقشة أفضّل أن أرجئها إلى وقت آخر".

"أجل، سأتصل بك في الأسبوع القادم".

وقــف باين مادوكس ونظر إلى ساعته وقال: "سأقول لك أمراً. بما أنك ووكالتك مهــتمان كثيــراً بهــذا النادي وأعضائه، فسأقوم بعمل لم يسبق أن قمتُ به من قبل. سأســمح لك، وأنت غريب، بالمشاركة في اجتماع المجلس التنفيذي، والذي سيُعقد بعد ظهــر هذا اليوم بعد غداء ترحيبــي بأعضاء نادينا القادمين. هل ترغب في الانضمام إلينا؟"

"كلا. أعتقد بأنه ينبغي أن..."

"اعتقدتُ بأنك أتيت إلى هنا من أجل جمع المعلومات؟ لِمَ هذه العجلة؟"

"أنا لست مستعجلاً، ولكنني..."

"حتى أنني سأسمح لك بالتقاط بعض الصور".

"شكراً ولكنني..."

"أعتقد بأن حضورك اللقاء يمكن أن يعود على كِلينا ببعض النفع، وسأراقب ردّة فعلــك علـــى المواضيع التي نناقشها. في بعض الأحيان، ندخل هذا الحصن بطريقة ذهنــية، كما تعرف، حيث يتم استبعاد الحقيقة الخارجية، ولا نسمع غير حقيقتنا. وهذا ليس بالأمر الصحّي".

امتـــنع هاري عن الردّ، ولكنّ باين لطّف من حدّة فكرته وقال: "أريدك أن تشعر أنك حرّ في أن تعلّق، وتقول لنا إن كنا فعلاً مجموعة من المجانين المسنّين؛ معتوهين يمينيـــين". ثـــم ارتسمت على وجهه ابتسامة وقال: "نحن بحاجة إلى رأيك الصادق في مشروعنا التالي، **المشروع الأخضر**".

"ما هو المشروع الأخضر؟"

حـــدّق الـــسيد مادوكس في حرّاسه، ثم نظر إلى هاري وهمس في أذنه، وقال: "المعركة النووية الكبرى".

الفصل 5

اقتيد هاري مولر معصوب العينين وحافي القدمين إلى أسفل سلّم وصولاً إلى ما يُفترض بأنه قبو نادي الصيد. كان الجوّ بارداً ورطباً، وكان في مقدوره سماع أصوات المحرّكات الميكانيكية والكهربائية.

سمع باباً يُفتح، ثم شعر بنخزة تدفعه إلى الأمام. أُقفل الباب بعد ذلك وسمع صوت انزلاق مزلاج قفل معدني.

وقف ثم قال: "هاي، أنت، هل أنت هنا؟"

ساد الصمت في المكان. أصغى لبرهة ثم نزع العصابة عن عينيه ونظر حوله، فوجد نفسه وحيداً.

وقف هاري في غرفة صغيرة بُنيت جدرانها من الطوب الخرساني وطُليت بلون الطلاء الرمادي نفسه الذي طُليت به الأرضية الخرسانية. وكان السقف المنخفض مكسواً بألواح معدنية متموجة.

بعد أن تكيّفت عيناه مع الضوء المتوهج المنبعث من مصباح فلّوري مثبت في السقف، رأى سريراً معدنياً واحداً في الغرفة وكان مثبتاً بالأرضية. وعلى السرير كانت توجد حشيّة رقيقة، وعليها قميصه وسرواله المرقطان فسارع إلى ارتدائهما. تفقّد جيوبه ولكنهم لم يردّوا إليه شيئاً.

كان يوجد في إحدى زوايا الغرفة مرحاض ومغسلة. لم يكن المرحاض مجهزاً بكرسي ولا بخزان مياه، أي أن الغرفة بدت كما لو كانت زنزانة سجن. لم تكن هناك مرآة فوق المغسلة ولا حتى مرآة بلاستيكية أو معدنية مثل تلك التي تُستخدم في السجون.

تقدم نحو الباب المعدني الذي لم يكن مزوداً بمقبض أو نافذة، ودفعه، ولكنه لم يتحرّك. ثم بدأ يفتش الغرفة بحثاً عن أي شيء يمكنه استخدامه كسلاح، ولكن الغرفة كانت فارغة تماماً، باستثناء الفراش، ومشعاع صدئ لم يكن يبعث الكثير من الحرارة.

لاحظ بعد ذلك كاميرا دوّارة صغيرة للمراقبة مثبتة في إحدى زوايا السقف، وإلى جانبها مكبّر صوت في فجوة. ألصق إصبعه الوسطى بالكاميرا وصاح "عليكم اللعنة".

لم يردّ عليه أحد.

نظر حوله بحثاً عن شيء يمكنه استخدامه لتحطيم الكاميرا ومكبّر الصوت، لكن لم يكن يوجد أي شيء غير مثبّت في الغرفة باستثنائه. تراجع إلى الوراء ثم عدا وقفز وضـــرب الكاميـــرا بيده. لكن الكاميرا استمرت في مسح الغرفة، ثم سمع صوتاً حاداً أثار القشعريرة في بدنه، مما دفعه إلى وضع يديه على أذنيه والتراجع بعيداً عن مكبّر الصوت. واستمرّ الصوت المؤلم، فصاح هاري، "حسناً، حسناً".

توقف الصوت وسمع أحدهم يقول "اِجلس".

"عليكم اللعنة". أوغاد. انتظروا ريثما أخرج من هنا.

فقد هاري إحساسه بالزمن، ولكنه اعتقد بأن الساعة لا بدّ وأن تكون العاشرة أو الحادية عشرة صباحاً تقريباً. كانت معدته خاوية، ولكنه لم يكن يشعر بالجوع، بل كان يشعر بالعطش. كما كان بحاجة إلى التبول.

مـــشى نحو المرحاض فتبعته الكاميرا. قضى حاجته ثم انتقل إلى المغسلة، وفتح الحنفية الوحيدة. سالت المياه الباردة في الحوض، فغسل يديه ثم استخدمهما في الشرب من الحنفية.

لـــم تكـــن هـــناك منشفة، ولذلك مسح يديه بجانبي سرواله. ثم عاد إلى السرير وجلس، وبدأ يُفكّر في المحادثة التي جرت بينه وبين باين مادوكس.

المعركة النووية الكبرى.

قال في نفسه: "ما هو ذلك الشيء اللعين الذي كان يتحدث عنه هذا الأبله؟"

وماذا بشأن هذا الاجتماع الذي دُعي إلى حضوره؟ لم يكن يوجد شيء منطقي ما لم... ما لم تكن تلك مكيدة.

وقـــف وقال: "هكذا إذاً". إنه أحد مخيمات التدريب السخيفة تلك. "يا له من أمر مقزز".

فكّر في المهمة برمتها، بدءاً من الدقائق العشر التي قضاها في مكتب توم والش إلـــى الرجل التقني، وقطع السياج، والحرّاس، والزنـــزانة التي في نادٍ خاص – كان الأمـــر كلـــه بمـــثابة اختبار... درس من دروس "السِّير" – البقاء، المراوغة، الفرار، والمقاومة.

حسناً، إنه لم ينجح بالتأكيد في جزء المراوغة، وهذا هو سبب وجوده في الزنـــزانة.

أعـــاد التفكير في الاستجواب الذي أجراه شخص اسمه مادوكس – جزء المقاومة – "آه، اللعـــنة! هـــل أفسدت الأمر؟ ما الذي قلته له؟ قلت له بأن يذهب إلى الجحيم... ثم سردت قصة الجيش الجمهوري الأيرلندي، كان أمراً ذكياً مني... أليس كذلك؟"

ثم فكّر بشأن القضيب المعدني. "لماذا فعلوا ذلك؟ أجل... ربما".

وأخيـراً، هناك القسم المتعلق بالهرب، ثم المراوغة مجدداً والبقاء في الغابة... "أجل، هذا هو المكان الذي يتم فيه الاختبار".

أعـاد كـل شـيء في ذهنه ومال إلى ظنّه الجديد بأن العملية كانت ضرباً من الجـنون من تدبير وكالة الاستخبارات المركزية أو مكتب التحقيقات الفيدرالي. لا بدّ وأنها كذلك، لأن أي شيء عدا ذلك سيكون مستغرباً جداً.

كانـوا يـراقبونه مـن أجل شيء مهم، وهذا الشيء المهم هو اختبار كبير. فهم يقومـون بهذا الأمر ليعرفوا مقدار قدرتك على التحمل، أي أن نادي كاستر هيل كان أشبه بمزرعة لوكالة الاستخبارات المركزية في فرجينيا. أجل.

قال في نفسه: "حسناً، هذا أمر جيد. لقد اجتزت الاختبار الأول. والآن، سنحضر الاجتماع ونرى ماذا سيتم التباحث فيه. حافظ على رباطة جأشك يا هاري". صاح في الكاميرا "يا أوغاد، سوف أنتزع رؤوسكم اللعينة وأضرب أعناقكم".

ثم عاد، ووضع ظهره على حشية الفراش الرقيقة وابتسم بينه وبين نفسه. تثاءب وما لبث أن غرق في سبات عميق.

نتـيجة للـوهج الـصادر عن الضوء الفوقي وبسبب البرد، حلم بأنه أصبح في الخـارج مجـدداً، يمشي في الغابة. كان يلتقط صوراً للطيور، ثم دخل في جدال مع بعـض الـرجال، ثـم دخل في حديث ودّي مع السيد مادوكس الذي أعاد إليه مسدسه وقـال: "سـوف تحـتاج إليه". ثم شهر الرجال بنادقهم، وانطلقت الكلاب تعدو نحوه. ضغط على الزناد، ولكن الرصاصة لم تنطلق.

نهض هاري من نومه بسرعة، ومسح العرق البارد عن وجهه. "اللعنة". ثم عاد واسـتلقى علـى السرير، وحدّق في السقف المعدني. كان هناك شيء ما يزعجه. إنه مادوكس. هناك شيء ما في هذا الرجل بدا... حقيقياً. "كلا، لا يمكن أن يكون حقيقياً"، لأنه لو كان حقيقياً، ستكون حياته في خطر.

فُتح الباب، وسمع صوتاً يقول: "تعالَ معنا".

القسم 3

يوم السبت

نورث فولك، لونغ أيلاند

إذا كان الحب هو الجواب، هل يمكنك إعادة صياغة السؤال؟

– لِيلي توملين

الفصل 6

ذهـبت وكايـت إلى فندق **برد أن بريكفاست** في ماتيتوك قبل وقت الإقفال عند الـساعة العاشـرة صباحاً، وحجزت غرفة من المالكة، وهي سيدة تذكّرني بالسيدات اللواتي يعملن في مركز ميتروبوليتن الإصلاحي في وسط المدينة.

كان المنـزل القديم الجذاب كل ما يمكن أن أتوقعه وأكثر. في الواقع، كان مكاناً رائعاً جداً.

خلـدنا إلـى الـنوم في وقت متأخر من صباح يوم السبت، ولذلك فاتنا الفطور المنـزلي، وفاتنا أيضاً اللقاء مع الضيوف الآخرين الذين سمعنا صوت اثنين منهم من خلال الجدران الرقيقة في الليلة السابقة. كان المرأة كثيرة التأوّه، ولكنها لم تكن متعددة النشوات لحسن الحظ.

على أية حال، أمضينا يوم السبت في التجوال في كروم العنب في نورث فولك، والتـي حلت محل مزارع البطاطا التي أذكرها عندما كنت طفلاً. لقد نضجت الكرمة الآن، وهـي تنـتج شـراباً فاخراً. احتسينا القليل من الشراب المجاني في كل كرم، واسـتمتعتُ علـى وجـه الخصوص بشراب سافينون بلانك، الذي كان مشوباً بطعم البطاطا.

مـساء السبت، ذهبنا إلى مطعم على طوف عائم كان يتميز بإطلالة رائعة على خليج بيسونيك، وكان رومانسياً للغاية، في نظر كايت.

جلـسنا فـي المـشرب في انتظار إعداد طاولتنا، وعرض النادل العشرات من زجاجات الشراب الفرنسي الأصل المصنوع محلياً التي يمكن تقديمها للزبائن بالكوب. ودار حـديث بين كايت والنادل – وكان شاباً يافعاً بدا أن في استطاعته الاستفادة من قضاء بضعة أسابيع في مخيم شبابي – بشأن أنواع الشراب الفرنسي الأبيض واستقرّ رأيها على نوع ليس قويّ النكهة. كنت أعتقد بأن العنب من أنواع الفاكهة.

سـألني الشاب اليافع، "هل يبدو أي من أنواع الشراب الفرنسي جيداً بالنسبة إليك؟"

"إنها جميعاً كذلك، ولكنني سأختار 'الباد'".

كان هناك رزمة من الصحف على المشرب، ولاحظت العنوان الرئيسي لصحيفة التايمز: البنتاغون يخطط لإعطاء لقاحات مضادّة للجدري لما يصل إلى 500 ألف شخص.

بدا الغزو أشبه بصفقة منتهية ما لم يستسلم صدام حسين. فكّرت بوكيل المراهنات لمعرفة أرجحية احتمالات دخولنا الحرب. كان عليّ أن أضع رهاناً في الأسبوع الماضي، عندما كانت الاحتمالات بعيدة، ولكنني حصلت على معلومات من مصادر مطلعة، وهذا يعتبر غشاً. كما أنه سيكون من غير الأخلاقي كسب المال من وراء الحروب، ما لم تكن الحكومة شركة متعاقدة.

سألت كايت، وهي محامية، "هل أنا متعاقد حكومي أو وكيل متعاقد لدى الحكومة؟"

"لماذا تسأل؟"

"أنا أعاني من قضية أخلاقية".

"على الأرجح أنه ليس صراعاً عنيفاً".

"كوني لطيفة، فأنا أفكّر في الاتصال بوكيل المراهنات ووضع رهان على حرب العراق".

"هل لديك وكيل مراهنات؟"

"أجل، أليس لديك واحد؟"

"كلا، فهذا عمل غير قانوني".

"هل أنا قيد الاعتقال؟ هل يمكننا تأجيل موضوع تقييد اليدين إلى وقت لاحق؟"

حاولت ألاّ تبتسم ونظرت إلى الناحية الأخرى من المشرب. "أخفض صوتك".

"أنا أحاول أن أكون رومانسياً".

جاءت المضيفة ورافقتنا إلى طاولتنا.

نظرت كايت إلى قائمة الطعام، وسألتني إن كنت أودّ تقاسم دزينة من المحار معها، وذكّرتني بابتسامة "بأنها منشّط جنسي".

قلت لها: "إنها ليست كذلك في حقيقة الأمر، فقد تناولت دزينة منها في الأسبوع الفائت ولم تنجح سوى إحدى عشرة فقط". وأضفت، "نكتة قديمة".

"من الأفضل أن تكون كذلك".

كانت ثمار البحر الطبق المميّز لهذا المطعم، ولذلك طلبت بطة اللونغ أيلاند. إنها تتقن السباحة. أليس كذلك؟

بــدأت أشعر بالاسترخاء والسعادة لكوني بعيداً عن إجهاد وظيفتي والمدينة. قلت لكايت، "كانت تلك فكرة جيدة".

"كنا بحاجة إلى الابتعاد عن المدينة".

فكّــرت في هاري في شمال ولاية نيويورك، وأردت أن أسأل كايت مجدداً عن نادي كاستر هيل، ولكن كان الهدف من وجودنا في هذا المكان ترك العمل وراءنا.

تكفّلــت كايــت بقائمة الشراب الفرنسي، وبعد مناقشة قصيرة ساحرة مع النادل، أمرت بإحضار زجاجة من الشراب الفرنسي الأحمر.

أحضر النادل الزجاجة، وتذوقت كايت الشراب، وقالت إنه قوي النكهة مع شيء من طعم الإجاص الذي يتناسب جيداً مع بطتي. ولكنني لا أعتقد بأن بطتي تأبه لذلك.

وعلى أية حال، رفعت كوبها وقالت: "إلى أجهزة الإنذار التي لا تعمل في عطل نهاية الأسبوع".

لامس كل منّا كوبه بكوب الآخر وشربنا. لا بدّ وأن كوبها كان بنكهة الإجاص.

وضعتُ كوب الشراب بالقرب من الشمعة وقلت: "كَمّ جميل".

"ما هو الجميل؟"

"الأصفاد؟" وأشاحت بناظريها.

هكــذا، تناولــنا عــشاءً رائعــاً في محيط خلاّب، وكانت عينا كايت الجميلتان الــزرقاوان تلمعان على ضوء الشمعة، كما أن الشراب الفرنسي جعلني أشعر بالدفء والسعادة.

كان من السهل الإدعاء بأن كل شيء يسير على ما يرام في العالم. ولكن الحال ليس كذلك بالطبع، ولم يسبق له أن كان كذلك، ولكنك بحاجة إلى سرقة بضع ساعات بين الحين والآخر والإدعاء بأن ما تبقّى من العالم لن يذهب إلى الجحيم.

وحــول هذا الموضوع، لا يزال كل من أعرفهم يتحدثون عن التغيير الذي طرأ علــى حياتهم بعد 11 سبتمبر/أيلول، وأنه لم يكن إلى الأسوأ في جميع نواحيه. فهناك الكثير من الأشخاص، بمن فيهم أنا وكايت أيضاً، أفاقوا وقالوا: "آن الأوان لكي نتوقف عــن القلــق. آن الأوان لكي نعاود الاتصال مع الأشخاص الذين نحبّهم ونتخلص من الأشخاص الذين لا نحبّهم. إننا لسنا أمواتاً، ولذلك فنحن بحاجة إلى أن نعيش حياتنا".

حاول والدي، الذي كان من قدامى المحاربين في الحرب العالمية الثانية، مرّة أن يــصف لي المزاج الذي ساد في البلاد عقب الهجوم على بيرل هاربور. لم يكن يجيد اســتعمال الكلمات، وكان يجد صعوبة في رسم صورة لأميركا في أول ذكرى ميلاد بعــد 7 ديسمبر/كانون الأول 1941. وأخيراً، توصل إلى الكلمة المناسبة وقال: "كنّا

جميعاً خائفين، ولذلك أكثرنا من الشرب والمجون، واتصلنا بأشخاصٍ لم نرهم منذ مدّة وزرنـــاهم. وأرسل الناس الكثير من البطاقات والرسائل، واقترب الجميع من بعضهم، وساعد كلٌ منهم الآخر، وبالتالي لم يكن الأمر في غاية السوء". ثم سألني "لماذا احتجنا إلى حرب لكي نفعل ذلك؟"

بفضل والدي، تلك كانت حياتنا. أمضى والداي يومين بدءاً من 11 سبتمبر/أيلول مـــن العام الفائت في محاولة الاتصال بي من فلوريدا. وعندما تمكنا من الاتصال بي أخيـــراً، أمـــضيا خمس عشرة دقيقة في التعبير عن مدى حبهما لي، وهو الأمر الذي شكّل مفاجأة لي، ولكنني أكيد من أنهما يعنيان ما يقولانه.

هذه هي حياتنا التي نعيشها اليوم، لكن بعد مرور سنة أو سنتين، باتت تفتقر إلى هجوم آخر على البلاد. سنعود إلى وضعنا السابق المعتاد، أشخاص مترفّعون يركزون علـــى ذواتهم. ولا بأس بذلك أيضاً، لأنه بصراحة، لقد سئمت من رفقة المدينة وسؤال عائلتـــي عن حياتي وكيف أقضيها. إن لكل منّا لحظة تأمل وتقييم لحياته، وآن الأوان لكـــي نتكـــيف مـــع العمل الذي نقوم به، والعودة إلى ما كنّا عليه سابقاً. ولكنني أحب الإكـــثار مـــن الشرب والانغماس في العربدة، وينبغي علينا المواظبة على ذلك لفترة أطـــول. ولـــي صديق أعزب قال لي... حسناً، هذا موضوع آخر أرجئ الحديث عنه لوقت آخر.

في هذه الأثناء، قلت لكايت: "أنا أحبكِ".

مدّت يدها من فوق الطاولة، وأمسكت بيدي وقالت: "أنا أيضاً أحبك جون".

كـــان ذلك أمراً جيداً آخر حدث في ذلك اليوم. لم أكن الزوج الأكثر حرصاً يوم 10 سبتمبر/أيلول، ولكن في اليوم التالي، عندما اعتقدت بأنها ماتت، انهار عالمي مع البرجين. وعندما رأيتها على قيد الحياة، أدركت أنني كنت بحاجة إلى القول "أنا أحبكِ" مـــرّات كثيـــرة، لأنـــه في هذا النوع من العمل وفي هذه الحياة، لن تعرف أبداً ماذا سيحصل لك في الغد.

القسم 4

يوم السبت

شمال ولاية نيويورك

تعتقد القدرة دائماً أنها تملك روحاً عظيمة وآراءً كبيرة تتعدّى فهم الضعيف، وهي تعتقد بأنها تقوم بواجباتها أمام الله فيما هي تنتهك كافّة قوانينه.

– جون آدامز

الفصل 7

جلس هاري مولر معصوب العينين ومقيد الرجلين على كرسي مريح بدا أنه مصنوع من الجلد. شمّ رائحة خشب يحترق ودخان سجائر. وكان في مقدوره سماع أصوات تتحدث بنبرة منخفضة، واعتقد أنه سمع صوت باين مادوكس.

قام شخص بإنزال العصابة التي كانت على عينيه إلى رقبته، وما لبثت عيناه أن تكيفتا مع الضوء، فرأى أنه جالس عند طرف طاولة طويلة مصنوعة من خشب الصنوبر. كما كان يجلس إلى الطاولة خمسة رجال آخرون: اثنان في كل جانب، والشخص الخامس الذي كان عند الطرف الآخر في مواجهته كان باين مادوكس. كان الرجال يتبادلون الأحاديث كما لو أنه غير موجود.

كان يوجد أمام كل رجل أوراق صفراء اللون، وأقلام، وقوارير مياه، وفناجين قهوة. ولاحظ هاري لوحة مفاتيح أمام مادوكس.

تفحص أرجاء الغرفة، والتي كانت مكتبة أو ما شابه. كانت الموقدة إلى يساره وعلى جانبيها نافذتان تم إنزال ستارتيهما لكي لا يتسنّى له النظر إلى خارج الغرفة، ولكنه علم من المسار الذي سلكه وهو معصوب العينين من زنزانته بأنه في الطابق الأرضي. كان يقف بالقرب من الباب كارل وحارس آخر، وكانا مسلّحين بمسدسين في قرابيهما، ولكن لم يكن في حوزتهما قضبان معدنية.

لاحظ الآن حقيبة جلدية ضخمة جداً في وسط الأرضية. كانت حقيبة قديمة مثبتة بعربة مدولبة. بدا وكأن مادوكس رآه للمرة الأولى فقال: "أهلاً بك يا سيد مولر. هل ترغب في فنجان قهوة أو شاي؟"

هزّ هاري رأسه.

خاطب مادوكس الرجال الأربعة قائلاً: "أيها السادة، هذا هو الرجل الذي أخبرتكم عنه؛ التحرّي هاري مولر من شرطة ولاية نيويورك، متقاعد، ولكنه يعمل حالياً في *الوحدة التكتيكية الفيدرالية لمحاربة الإرهاب*. أرجو منكم أن تشعروه بأنه مرحّب به".

أومأ كل من الحاضرين برأسه إلى الضيف ترحيباً به.

لاحـــظ هـــاري أن اثنين من الحاضرين بدا وجهاهما مألوفين. واصل مادوكس حديثه فقال: "كما تعرفون، أيها السادة، لدينا القليل من الأصدقاء في الوحدة التكتيكية، لكن من الواضح أن أياً منهم لم يكن على علم بأن السيد مولر سيزورنا اليوم".

قال أحد الرجال: "حسناً، سنحتاج إلى التحقق من ذلك". وأومأ الباقون برؤوسهم تعبيراً عن موافقتهم.

حـــاول هـــاري أن يفكر في التفاهات التي تجري حوله، لكي يعزز آماله بأن ما يحـــصل كان اختباراً كبيراً مقسماً إلى مراحل. لكن في مكان ما في عقله، كانت تلك الآمال تتلاشى بالرغم من تمسكه بها.

أشار مادوكس إلى الحارسَين، فغادرا الغرفة.

نظر هاري إلى الرجال الجالسين إلى الطاولة. كان اثنان منهم في سنّ مادوكس تقـــريباً، وكـــان الثالث أكبر منهما. وأما الرابع الجالس إلى يمينه فكان أصغرهم سنّاً. كانـــوا جميعاً يرتدون سترات زرقاء اللون وقمصاناً منقّشة غير رسمية مثل مادوكس، في ما بدا أنه اللباس الرسمي لذلك اليوم.

ركّز هاري على الرجلين اللذَين بدا وجهاهما مألوفين؛ كان متأكداً من أنه رآهما على شاشة التلفاز أو في الصحف.

لاحـــظ مـــادوكس نظـــرات هاري فقال: "اعذرني لأنني لم أعرّفك على مجلس إدارتـــي التنفـــيذي بطـــريقة رسمية..." لكن أحد الرجال قاطعه قائلاً، "باين، ليس من الضروري أن تذكر الأسماء".

ردّ عليه مادوكس "أعتقد بأن السيد هاري تعرّف على بعضكم على أية حال".

لم يجب أحد باستثناء هاري الذي قال: "لا أعتقد بأننا بحاجة إلى ذكر أي أسماء..."

قـــال مادوكس: "أنت بحاجة إلى أن تعرف الرفقة عظمية الشأن التي أنت جالس معهـــا". وأشار مادوكس إلى الرجل الجالس إلى يمينه مباشرة، وكان أكبر الحاضرين ســـنّاً، وهـــو الشخص الذي أبدى اعتراضه. "هاري، هذا **بـــولُ دان**، مستشار الرئيس لشؤون الأمن القومي وعضو في مجلس الأمن القومي والذي تعرفه على الأرجح".

التفت مادوكس إلى الشخص الجالس بجانب دان والقريب من هاري وقال: "هذا الجنـــرال جايمس هاوكنـــز، من سلاح الجوّ الأميركي وعضو في هيئة أركان الحرب المشتركة، والذي ربما تعرفه أيضاً، بالرغم من أن جيم قليل الظهور".

ثـــم أشـــار إلى الرجل الجالس إلى يساره وقال: "هذا إدوارد وولفر، نائب وزير الـــدفاع، وهو يحب عدسات الكاميرا". إياك أن تقف بين إيد وكاميرات محطات التلفزة وإلاّ فسوف تقع أرضاً". ابتسم مادوكس، بخلاف الباقين.

أضاف مادوكس، "تخرّجت وإيد من مدرسة التلامذة الضبّاط في سلاح المشاة، فورت بينيغ، بولاية جورجيا سوية في أبريل/نيسان 1967. كما خدمنا في فييتنام في الفترة ذاتها. وحقق لنفسه شهرة ذائعة الصيت منذ ذلك الحين، في حين جنيتُ الكثير من المال".

لم يبتسم وولفر مما حمل هاري على الاعتقاد بأن الكلام ليس أكثر من نكتة قديمة.

واصل مادوكس حديثه فقال: "الشخص الجالس إلى يمينك يا هاري هو سكوت لاندسايل، من وكالة الاستخبارات المركزية، والذي يحجم عن الظهور أمام عدسات الكاميرا بالتأكيد، وهو أيضاً ضابط الارتباط في الوكالة مع البيت الأبيض".

نظر هاري إلى سكوت لاندسايل. بدا مغروراً ومتعجرفاً على غرار غالبية عملاء وكالة الاستخبارات المركزية الذين كان من تعاسة حظه أنه عمل معهم. قال مادوكس: "هذا هو مجلس الإدارة التنفيذي لنادي كاستر هيل. أما باقي أعضاء النادي - حوالى عشرة أشخاص في عطلة نهاية الأسبوع هذه - فهم إما يتريضون في الجبال أو يصطادون الطيور، وهو ما آمل ألاّ يزعجك". وشرح للرجال الآخرين ما كان يعنيه بالقول "السيد مولر يراقب الطيور".

أراد هاري أن يقول: "عليك اللعنة" ولكنه لاذ بالصمت، فقد أدرك الآن أن الأشخاص الجالسين في الغرفة لم يأتوا إلى المكان للمشاركة في اختبار لمؤهلات هاري مولر للحصول على وظيفة أكبر وأفضل.

قال مادوكس لهاري: "كان من المقرر أن يكون يوم عطلة الأسبوع هذا اجتماعاً منتظماً مقرراً سلفاً بغرض التداول في الشؤون العالمية، وتبادل المعلومات، ومجرّد الاستمتاع بصحبة بعض الرفاق. غير أن حضورك أوجب عليّ تسميته بالاجتماع الطارئ لمجلس الإدارة التنفيذي". وأضاف "أنا واثق من أنه لا يعني لك شيئاً الآن، ولكن ربما يعني الكثير في وقت لاحق".

قال هاري: "أنا لا أرغب في سماع شيء من ذلك".

حدّق بهاري وقال: "اعتقدتُ بأنك تحرٌ. لقد أمضيتُ القليل من الوقت في التحقق من ذلك مستعيناً بأصدقائي في *الوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب*، ويبدو أن حقيقتك مطابقة لما تقول".

لم يردّ عليه هاري، ولكنه تساءل عن هويات أصدقاء مادوكس في الوحدة التكتيكية.

واصل مادوكس حديثه قائلاً: "إذا كنت عميلاً من مكتب التحقيقات الفيدرالي، أو من وكالة الاستخبارات المركزية، سيكون ذلك مصدر قلق كبيراً لنا".

قال سكوت لاندسايل، من وكالة الاستخبارات المركزية: "باين، يمكنني أن أؤكد لك بأن السيد مولر ليس ضابطاً في الوكالة".

ابتسم مادوكس وقال: "أفترض بأن الأمر يتطلب شخصاً لمعرفة ذلك".

واصل لاندسايل كلامه فقال: "أنا متأكد تماماً من أن السيد مولر ليس عميلاً من مكـــتب التحقيقات الفيدرالي. إنه يبدو مطابقاً لمظهره؛ أي شرطي يعمل لصالح مكتب التحقيقات في عملية مراقبة".

"أشكرك على هذا التأكيد".

"أهلاً وسهلاً. والآن، أودّ الحصول على بعض التطمينات، باين. فأنت لم تكن في غاية الوضوح بشأن متى سيتم الإبلاغ عن أن السيد مولر فُقد أثناء تأديته مهامّه".

ردّ عليه مادوكس "اِسأل السيد مولر، فهو جالس قربك مباشرة".

الـــتفت لاندسايل إلى هاري وسأله "متى سيبدأون بالتساؤل عن المكان الذي أنت فيه؟ لا أريد سماع أكاذيب. أنا أعرف بأنهم يعملون في الطابق 26 من المبنى فيدرال بلازا. وكل ما لا أعرفه الآن، في استطاعتي أن أعرفه لاحقاً".

رأى فـــيه هـــاري شخصاً سافلاً تقليدياً من وكالة الاستخبارات المركزية، ممن يدّعـــون دائمـــاً بأنهم يعرفون أكثر مما يعرفون في الحقيقة. أجابه هاري "حسناً، إذاً، اكتشف الأمر بنفسك".

واصـــل لاندسايل حديثه بدون تعليق، مثل محقّق مدرّب، وقال: "هل سيتصل بك شخص ما؟"

"من أين لي أن أعرف؟ فأنا لا أعلم الغيب".

تـــدخل مادوكس فقال: "أنا أتحقق من هاتفه الخليوي ومجيبه الصوتي كل نصف ســـاعة تقـــريباً. والرســـالة الوحيدة التي وصلته كانت من لوري، صديقته". وأضاف "سأرسل لها رسالة نصّية من هاتف السيد مولر".

أومأ لاندسايل برأسه وقال: "أتمنى ألاّ يقطع أحد من الوحدة التكتيكية عطلته". ثم سأل هاري "متى يُفترض أن تعود إلى المبنى 26 فيدرال بلازا؟"

"عندما أصل إليه".

"من كلّفك بهذه المهمة؟ والش أم باريزي؟"

اِعتقد هاري بأن الرجل يعرف الكثير عن الوحدة التكتيكية. أجاب هاري "تلقّيت أوامري من شريط تسجيل يتلف نفسه تلقائياً".

"وأنا أيضاً. ماذا جاء في ذلك الشريط، هاري؟"

"سبقت أن أجبت عن هذا السؤال. إنها عملية مراقبة للجيش الجمهوري الأيرلندي".

"هــذه إجابة غير مقنعة". ثم خاطب لاندسايل الحاضرين قائلاً: "على الأرجح أن مهمة السيد مولر جاءت من واشنطن، ووفقاً للتقاليد المقدسة في العمل الاستخباري، لا أحد يقول لأحد شيئاً أكثر مما يعتقد بأنه بحاجة إلى معرفته. وهذا سبب حدوث هجمات 11 سـبتمبر/أيلـول بكـل أسف. لقد تغيّرت الأمور، ولكن من الصعب التخلّص من العـادات القديمـة، وهي ليست عادات سيئة في بعض الأحيان. فالسيد مولر مثلاً لا يـستطيع أن يخبـرنا عن أمر لا يعرف عنه شيئاً". وأضاف "أنا متأكد تماماً بأننا في وضـع آمن لمدة ثمانٍ وأربعين ساعة على الأقل. وعلى الأرجح ستفتقده صديقته قبل وقـت طـويل مـن افتقاد رئيسه له". ثم سألَ هاري "هل هي على صلة بأجهزة تنفيذ القانون أو بعالم الاستخبارات على أية حال؟"

"أجل، إنها ضابطة في وكالة الاستخبارات المركزية. عاهرة سابقاً".

ضحك لاندسايل وقال: "أعتقد بأنك تعرفها جيداً".

لكـن مـادوكس قاطعـه بالقول: "أشكرك يا سكوت على مساعدتك". ثم خاطب هـاري "إن زيارتـك للمكان، وحتى بوصفك شخص متدني المرتبة في مهمة مراقبة، أثارت لدينا بعض القلق".

امتِنع هاري عن الردّ، ولكنه نظر إلى الرجال الآخرين الذين بدا أنهم قلقون من أمرٍ ما.

واصل مادوكس حديثه فقال: "لكن ربما يتأتّى بعض الخير من ذلك. فنحن نخطط للمـشروع الأخضر منذ زمن طويل، وأنا أخشى من أن التخطيط تحوّل إلى تسويف، وهـو الأمـر الذي يحصل غالباً عندما يحتاج الأمر إلى اتخاذ قرارات سريعة". نظر مـادوكس إلـى مجلـسه التنفيذي، فأومأ رجلان برأسيهما، فيما بدا الانـزعاج على الرجلين الآخرَين.

قـال مادوكس: "هاري، أعتقد بأن وجودك المادي في هذه الغرفة مذكّر قوي بـأن لـدى القوات التابعة للحكومة رغبة شديدة في معرفة من نكون وماذا نعمل. أعـتقد بـأن الـوقت قـد انتهى". نظر مادوكس إلى الرجال الأربعة الذين أومأوا برؤوسهم كارهين.

قال مادوكس: "إذاً، أيها السادة، إذا لم تكن لديكم أية اعتراضات أخرى، فسيبقى السيد مولر معنا لكي تتسنّى لنا مراقبته". ثم نظر إلى هاري وقال: "أريد أن أوضح لك بجـلاء تام أنه بالرغم من احتجازك هنا، إلا أنه لن يصيبك مكروه. وكل ما في الأمر أنـنا بحاجة إلى إبقائك هنا إلى أن يبدأ **المشروع الأخضر**، ربما في غضون يومين أو ثلاثة أيام. هل تفهم؟"

فهم هاري مولر أنه ربما يموت في أقل من يومين أو ثلاثة أيام. ولكن على المستوى الآخر، بالنسبة إلى هؤلاء الرجال الذين اعتقد من واقع خبرته في عالم الشرطة بأنهم ليسوا ممن يرتكبون جرائم قتل، اعتقد بأن مادوكس يقول الحقيقة. فلم يكن في مقدوره التصديق - أو حمل نفسه على التصديق - أن أشخاصاً مثل هؤلاء سيقدمون على قتله. حدّق في لاندسايل، الذي بدا أنه الشخص الوحيد في الغرفة الذي يمكن أن يكون خطراً فعلاً.

"سيد مولر؟ هل فهمتَ ما أقول؟"

أومأ هاري برأسه وقال: "أجل".

"هذا جيد. لا تدع مخيلتك تُخرج أفضل ما عندك، لأن ما ستسمعه في الساعة التالية أبعد ما يكون عن أكثر خيالاتك وحشية لدرجة أنك ستنسى نفسك على أية حال".

نظر هاري إلى مادوكس الذي بدا أنه لا يزال رابط الجأش وطليق اللسان، ولكن كان في مقدور هاري أيضاً رؤية بعض التوتر والقلق في وجه مادوكس من أمر ما.

فكّر هاري في الرجال الأربعة الآخرين، والذين اعتقد بأنه لم يسبق له أن رأى أشخاصاً بمثل قوتهم، ورأى أنهم قلقون جداً. فقد بدا وجه الرجل المسنّ، دان مستشار الرئيس، شاحباً، كما لاحظ أن يديه ترتجفان. وبدا وولفر، الرجل من وزارة الدفاع، وهاوكنز الجنرال، عابسَين. وحده لاندسايل بدا مرتاحاً، ولكن كان في استطاعة هاري معرفة أنه يتظاهر بذلك.

بغض النظر عمّا يجري في المكان، اعتقد هاري بأنه حقيقي، وأنه شيء يثير الرعب في نفوس هؤلاء الأشخاص. وهذا ما بعث الراحة في نفس هاري عندما علم بأنه لم يكن الشخص الوحيد في الغرفة الذي ينتابه الخوف.

الفصل 8

نهـض باين مادوكس وقال: "لقد دعوت إلى عقد هذا الاجتماع الطارئ للمجلس التنفيذي لنادي كاستر بيل لكي أطلب".

واصـل حديثه واقفاً فقال: "يا سادة، كما تعرفون، بعد مرور سنة واحدة على هجمـات 11 سبتمبر/أيلول، وضعت وزارة الأمن الداخلي الأمّة تحت التحذير من درجة اللون البرتقالي. إن الغرض من هذا الاجتماع تحديد ما إذا كان ينبغي علينا المـضي قـدماً فـي **المشروع الأخضر** الذي من شأنه أن يقلل من مستوى التهديد الخـاص بذلك اللون، وبشكل دائم". ثم نظر إلى هاري وقال: "سيعجبك ذلك. أليس كذلك؟"

"بالتأكيد".

"ربما يؤدي ذلك إلى فصلك من العمل".

"لا بأس بذلك".

"هـذا جيد. والآن، إذا كان في مقدور المجلس تحمّل ذلك معي، فأنا أرغب في إشراك هاري في الأمر. في الواقع، يمكننا جميعاً الاستفادة من وجهة نظر أخرى قبل أن نـتخذ أيـة قـرارات". ثـم نظر إلى هاري وسأله "هل سمعت عن الدمار المؤكد المتبادل؟"

"أنا... أجل".

"أثـناء الحرب الباردة، لو أطلق السوفيات صواريخهم النووية نحونا، لكنّا أطلقنا ترسـانتنا مـن الأسلحة النووية نحوهم بدون تردد، وكانت آلاف الصواريخ ستتساقط علـى كِلا البلدين، مما يعني الدمار المتبادل المؤكد". نظر إلى هاري وقال: "هل تذكر ذلك؟"

أومأ هاري رأسه موفقاً.

واصل مادوكس حديثه وقال: "من المفارقات أن العالم حينها كان أكثر أمناً فعلاً. لـم يكـن هـناك تـردد مـن جانبنا، ولم تكن هناك مجادلات سياسية. تميزت تلك الاسـتراتيجية ببساطة جميلة. فالصور الرادارية لآلاف الصواريخ النووية التي تتّجه

نحـــونا كانت تعني بأننا سنكون في عداد الموتى. لكن السؤال الوحيد الأخلاقي – هذا إن وُجـــد – كان، هل نقتل عشرات الملايين منهم قبل أن نموت جميعاً؟ كلانا يعرف الإجابة عن ذلك السؤال، لكن كان يوجد أشخاص عقولهم مشوشة في واشنطن اعتقدوا بـــأن الانتقام لا يُعدّ مبرراً لنا لكي ندمّر جزءاً كبيراً من الكوكب، لأنه لن تُخدم غاية من القتل المتعمد لرجال ونساء وأطفال أبرياء ضمنت حكومتهم فناءنا التام. حسناً، لقد أزال مبدأ الدمار المؤكد المتبادل – *ماد* – تلك الأسئلة عبر جعل ردّنا تلقائياً. فلم نكن بحاجـــة إلـــى أن نعتمد على رئيس فقد أعصابه أو يعاني من أزمة أخلاقية، أو خارج مكتبه يلعب الغولف أو يمارس الجنس في مكان ما".

كـــان هـــناك القلـــيل من النكات المهذبة. واصل مادوكس حديثه فقال: "السبب الرئيـــسي لنجاح مبدأ *ماد* هو أنه كان واضحاً ومتماثلاً. فقد علم كل طرف بأن ضربة نووية أولى من أحدهما ستطلق ضربة مقابلة من الآخر مساوية لها في القوة أو أقوى مـــنها، وهو ما سيؤدي إلى دمار حضارة البلدين". وأضاف "وهذا سيفسح المجال أمام أمكـــنة مـــثل أفريقيا، والصين، وأميركا الجنوبية، لكي ترث ما تبقّى من الأرض. إنه أمر يثير الكآبة، ألا تعتقد ذلك؟"

تذكّر هاري كيف كان العالم قبل انهيار الاتحاد السوفياتي. كانت الحرب النووية مرعبة فعلاً، ولكنه لم يصدق للحظة بأنها ستندلع.

بـــدا أن مادوكس قرأ ما كان يجول في خاطره عندما سأله "ولكن ذلك لم يحصل أبداً، كما أنه لن يحصل أبداً. حتى أن أكثر الديكتاتوريين السوفيات جنوناً لم يكن ليفكر فـــي هـــذا السيناريو. فعلى الرغم من تشدّق اليساريين الداعين إلى التهدئة في الكلام والمثقفـــين الحمقى، في الواقع، أكّد الدمار المؤكد المتبادل أن العالم سيكون في مأمن من معركة نووية كبرى. أليس كذلك؟"

تساءل هاري عن الأمر اللعين الذي يلمح إليه هذا الرجل.

جلس باين مادوكس، وأشعل سيجارة، وسأل هاري، "هل سبق أن سمعت بشيء اسمه **عاصفة النار**؟"

"كلا".

نظر مادوكس إليه عن قرب ثم شرح له معنى العبارة "إنها خطة حكومية سرّيّة. هل سبق أن سمعت تلك الكلمات بشكل عابر أو في سياق من أي نوع كان؟"

"كلا".

"لـــم أكـــن لأعـــتقد ذلك. فهذه الخطة السرّية لا يعرفها سوى من هم في أعلى المناصب الحكومية". وأضاف "إضافة إلينا نحن. والآن أنت؛ إذا كنت تعي ما أقول".

تدخل بول دان، المستشار الرئاسي، وقال: "باين، هل نحن مضطرون إلى الحديث عن ذلك أمام السيد مولر؟"

نظر مادوكس إلى دان وقال: "كما قلت سابقاً، إنه تمرين جيد لكل واحد فينا. ففي غضون وقت قصير جداً، سنتخذ قراراً سيغيّر العالم الذي نعرفه، وتاريخ العالم في السنوات الألف القادمة. وأقل ما يمكننا القيام به هو أن نشرح وجهة نظرنا للسيد مولر الذي يمثّل الأمة التي نقول إننا سنحميها، ناهيك عن شرح أنفسنا لأنفسنا في هذه اللحظة الحرجة"؟

خاطب لاندسايل، الضابط في وكالة الاستخبارات المركزية، الحاضرين قائلاً: "عليكم أن تدعوا باين يدير الأمر على طريقته. من المفترض أنكم تعرفون ذلك الآن". وأضاف إدوارد وولفر، "والأهم من ذلك أن هذه لحظة تحوّلية في تاريخ العالم، وأنا لا أريد من باين، ولا من أي شخص آخر، أن يعتقد بأننا لم نعطِها وقتاً يوازي أهميتها".

التفت مادوكس إلى صديقه القديم وقال: "شكراً لك. لا أحد يمكنه أن يعرف ماذا حصل هنا اليوم، ولكننا نعرف، والله يعرف. وفي حال عرف العالم في يوم من الأيام، عندها سيتوجب علينا تبرير أنفسنا أمام الله وأمام الإنسانية".

علّق لاندسايل بنبرة جافية، "دعونا لا نخبر..."

تجاهله مادوكس، ونفخ دخان سيجارته، وقال: "أولى الهجمات الإرهابية الإسلامية بدأت في السبعينيات كما تذكرون". بدأ باين مادوكس بمجزرة أولمبياد ميونخ، وسرد قصصاً امتدت على مدى ثلاثين سنة من خطف الطائرات، وتنفيذ تفجيرات، وعمليات خطف، وإعدامات، والجرائم الجماعية التي ارتكبها المجاهدون الإسلاميون.

بقي الرجال في الغرفة صامتين، ولكن بعضهم أومأ برأسه عندما تذكر هذا الهجوم الإرهابي أو ذاك.

أعاد هاري مولر الحديث عن كل هجوم تقريباً أتى على ذكره مادوكس، وما فاجأه كان هذا العدد الكبير من الهجمات التي نُفِّذت في السنوات الثلاثين الأخيرة. وتفاجأ أيضاً من أنه نسي بعضاً منها؛ حتى الكبيرة منها، مثل الهجوم بسيارة مليئة بالمتفجرات على ثكنة المارينز في لبنان والذي أدّى إلى مقتل 241 أميركياً، أو المتفجرة التي زُرعت في طائرة البانام في رحلتها رقم 103 فوق منطقة لوكربي والتي أودت بحياة المئات من الأشخاص.

شعر هاري بمزيد من الغضب مع سرد تفاصيل كل هجوم، واعتقد بأنه في حال أُحضر إرهابي - أو أي شخص مسلم - إلى الغرفة، فسوف يقطعه إرباً كل شخص موجود فيها. كان مادوكس يعرف كيف يهيّج الحشود.

في الواقع، نظر مادوكس إلى الجالسين حول الطاولة وقال: "كل شخص موجود هنا كان لديه صديق، أو شخص قُتل في مركز التجارة العالمي أو في البنتاغون". ثم نظر إلى الجنرال هاوكنز وقال: "قُتل ابن أخيك، النقيب تيم هاوكنز، في البنتاغون". ونظر بعد ذلك إلى لاندسايل وقال: "قُتل اثنان من زملائك من وكالة الاستخبارات المركزية في مركز التجارة العالمي. أليس ذلك صحيحاً؟"

أومأ لاندسايل برأسه موفقاً.

نظر مادوكس إلى هاري وقال: "وأنت؟ هل فقدتَ أي شخص في ذلك اليوم؟"

أجابه هاري "رئيسي... النقيب ستاين وبعض الرفاق الآخرين الذين عرفت أنهم قضوا في البرج الشمالي..."

قال مادوكس: "أقدم لك تعازيّ الحارّة". وختم سرده للفظاعات، والأعمال الوحشية، والعنف ضدّ أميركا والغرب، وقال: "كان ذلك أمراً جديداً تماماً، ولم يعرف العالم ولا الولايات المتحدة كيفية الردّ عليه. اعتقد العديد من الناس بأنها ظاهرة لن تلبث أن تزول. لكن من الواضح أنها لم تزل، بل ازدادت سوءاً. في الواقع، لم يكن العالم الغربي مجهزاً للردّ على هذه الهجمات الإرهابية، ويبدو أننا فقدنا القدرة على الردّ على هؤلاء الأشخاص الذين يقتلوننا. وحتى عندما هوجمت الولايات المتحدة في عقر دارها – تفجير مركز التجارة العالمي سنة 1993 – لم نفعل شيئاً". ونظر إلى هاري وقال: "أليس ذلك صحيحاً؟"

"أجل... ولكنّ ذلك غيّر كل شيء".

"أنا لم ألاحظ ذلك".

قال هاري: "حسناً، لقد غيّر تاريخ 11 من سبتمبر/أيلول كل شي. إننا ماضون نحو..."

"أنت تعرف يا هاري أنه يمكنك أنت وأصدقاؤك في *الوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب*، ومكتب التحقيقات الفيدرالي بأكمله، ووكالة الاستخبارات المركزية، والاستخبارات الدفاعية، وجهاز الأم آي 5 والأم آي 6 البريطانيان، والإنتربول، وباقي الأجهزة الاستخبارية الأوروبية عديمة النفع، أن تمضوا بقية حياكم اللعينة في ملاحقة الإرهابيين الإسلاميين، ولكنّ ذلك لن يفضي إلى نتيجة".

"أنا لا أعرف..."

"أنا أعرف. في السنة الماضية، كان مركز التجارة العالمي والبنتاغون. وفي

السنة التالية، سيكون البيت الأبيض ومبنى الكونغرس". ثم توقف مادوكس لبرهة، ونفخ حلقات دخانية من فمه، ثم قال: "وفي إحدى السنوات، سيكون الهدف مدينة أميركية بكاملها. قنبلة نووية. هل لديك شك في ذلك؟"

اِمتنع هاري عن الردّ.

"هاري؟"

"كلا، لا شك لديّ في ذلك".

"جيد، ولا يوجد شك لدى أي شخص آخر من الجالسين إلى الطاولة. ولهذا السبب نحن هنا". ثم سأل هاري "كيف يمكنك منع حدوث ذلك؟"

"حسناً... في الحقيقة، أعمل في بعض الأحيان مع الفريق **نست**؛ فريق دعم الطوارئ النووي. لا بدّ أنك سمعت عنه".

ابتسم مادوكس وقال: "هاري، أنت جالس هنا مع نائب وزير الدفاع، وأحد كبار مستشاري رئيس الولايات المتحدة لشؤون الأمن القومي، وعضو في هيئة أركان الحرب المشتركة، وضابط الارتباط لدى وكالة الاستخبارات المركزية مع البيت الأبيض. إذا كان يوجد شيء لا نعرفه، فسوف أُفاجأ كثيراً".

"إذاً، لماذا تسألني كل هذه الأسئلة؟"

بدا الانزعاج على مادوكس وقال: "دعني أخبرك شيئاً عن **نست**. إنه قسم مكافحة الحرائق التطوعي في العصر النووي. إنه أمر في غاية الطرافة، وفي الفاعلية نفسها تقريباً. هناك ألف شخص تقريباً من المتطوعين من مختلف الميادين العلمية، والحكومية، ووكالات تنفيذ القانون، الذين يتنكرون أحياناً في زيّ سواح ورجال أعمال. إنهم يمشون أو يقودون سياراتهم في المدن الأميركية وفي غيرها من الأهداف الحساسة، مثل السدود، والمفاعلات النووية، وما شابه، حاملين أجهزة الكشف عن أشعة غاما والنيوترونات والتي خبّأوها داخل حقائبهم، وفي حقائب الغولف، وفي برّادات علب الجعة، ... إلخ. هل هذا صحيح."

"أجل".

"هل تمكنتم يوماً من العثور على قنبلة نووية؟"

"ليس بعد".

"ولن تتمكنوا من ذلك يوماً. يمكن وضع جهاز تفجير نووي أو قنبلة قذرة في شقّة أو منتزه مع جهاز توقيت، وعندها تصبح فرص عثور **نست** أو هاري مولر عليها قريبة من الصفر. أليس ذلك صحيحاً؟"

"أنا لا أعرف. فقد يحالفك الحظ أحياناً".

"هـذا لـيس بالأمـر المطمـئن جداً يا هاري. السؤال هو كيف تمنع الحكومة الأميركية سلاحَ دمارٍ شامل وخصوصاً إذا كان قنبلة نووية قام بزرعها إرهابيون؛ من تدميـر مدينة أميركيةٍ؟" نظر إلى هاري وقال: "أريدك أن تتعلم درساً من استراتيجية الحـرب الـباردة القائمـة علـى الدمار المؤكد المتبادل، وتقول لي كيف يمكننا منع الإرهابيين من زرع قنبلة نووية وتفجيرها في إحدى المدن الأميركية. هذا ليس سؤالاً بلاغياً. أجبني رجاءً".

أجاب هاري "حسناً، أعتقد أنه ينبغي أن نتعامل معهم كما تعاملنا مع الروس؛ إذا عرفوا بأننا سنضرب بالسلاح النووي، فلن يقدموا على ضربنا بالسلاح النووي".

قال مادوكس: "هذا صحيح، لكنّ طبيعة العدو قد تغيّرت. فشبكة الإرهاب العالمي لا تشبه الاتحاد السوفياتي القديم. كان السوفيات يشكلون إمبراطورية لها حكومة، وفيها مـدن، وأهـداف صـعبة، وأخرى سهلة. وجميع ذلك محدد في خطة هجومية أعدّها البنـتاغون ويعـرفها السوفيات. ومن ناحية أخرى، نجد أن الإرهاب الإسلامي عديم الـشكل. فـإذا قامـت مـنظمة إرهابية إسلامية بتفجير قنبلة نووية في نيويورك أو واشنطن، من هي الجهة التي ستثأر منها؟" ثم نظر إلى هاري وقال: "من؟"

فكّر هاري للحظة ثم أجاب "بغداد".

"ولماذا بغداد؟ كيف لك أن تعرف إن كان لصدام حسين أي علاقة بهجوم نووي على أميركا؟"

أجـاب هاري "ما هو الفرق؟ فأي مدينة عربية تعتبر هدفاً جيداً مثل المدينة التي تليها". وأضاف "سيتبلّغ الرسالةَ الجميع".

"بالطبع سيتبلّغونها. ولكن توجد خطة أفضل. في فترة إدارة ريغان، اِستحدثت الحكـومة الأميـركية ووضعت قيد الاستخدام خطة سرّية اسمها **عاصفة النار**. ما تعنـيه عاصفة النار هو التدمير النووي للعالم الإسلامي بأكمله بواسطة الصواريخ الـنووية الأميـركية، رداً على هجوم إرهابي نووي على أميركا. كيف يبدو الأمر بالنسبة إليك؟"

اِمتنع هاري عن الردّ.

"يمكـنك التحدث بحرّية، فأنت من بين الأصدقاء. ألا ترغب في أعماق قلبك في رؤية الصحراء وقد تحولّت إلى بحر من الزجاج الذائب؟"

نظر هاري إلى الجالسين حول الطاولة ثم أجاب "أجل".

أومأ مادوكس برأسه وقال: "ها هو هاري، الذي يعتبر مواطناً أميركياً عادياً في معظم النواحي، يرغب في رؤية الإسلام وهو يُستأصل بعملية إبادة جماعية نووية".

أحس هاري بالسعادة لانسجامه مع التفاهات التي يتفوّه بها مادوكس؛ هذا كل ما يمكن أن توصف به. تفاهات، وعلى الأرجح أن مخيّلة المعتوهين اليمينيين هي التي تدفع هؤلاء الأشخاص إلى تبنّي هذه المواقف. ولم يكن في مقدوره ملاحظة أية صلة بين ما يقوله مادوكس وما هو قادر على فعله. وقد ذكّره ذلك بالأيام التي قضاها في وحدة المخابرات التابعة لشرطة نيويورك، عندما قام باستجواب راديكاليين يساريين كانوا يتحدثون عن ثورة عالمية ونهوض الجماهير، وما إلى ذلك. وقد اعتاد رئيسه على تسمية ذلك بأحلام بينكو الرطبة. نظر هاري إلى الجالسين حول الطاولة مجدداً. لكن من ناحية أخرى، لا يبدو أن هؤلاء الأشخاص يعبثون أو يتلاعبون معه. في الواقع، يبدو أنهم جدّيون بشأن أمر ما، وهم أشخص يحتلون مناصب هامة.

قطع مادوكس على هاري أفكاره وقال له: "كيف يمكننا حمل حكومة الولايات المتحدة على وضع نهاية سريعة للإرهاب، ولهذا الخطر النووي الوشيك والواضح الذي يهدد الأراضي الأميركية؟ حسناً، سأخبرك. يتعين على الحكومة أن تطلق **عاصفة النار**. أليس كذلك؟"

امتنع هاري عن الإجابة. لكن مادوكس نظر إليه وقال: "هناك حوالى سبعين حقيبة مجهزة بقنابل نووية فُقدت من مخازن الاتحاد السوفياتي السابق. هل تعرف ذلك؟"

أجاب هاري "ست وسبعون".

"أشكرك. هل خطر ببالك يوماً احتمال وصول أي من هذه الحقائب النووية إلى أيدي إرهابيين إسلاميين؟"

"نعتقد بأنهم حصلوا على بعض منها".

"حسناً، أنت محق. لقد فعلوا ذلك. وسأقول لك شيئاً لا تعرفه – شيئاً يعرفه أقل من عشرين شخصاً من مختلف أنحاء العالم – لقد تم اكتشاف واحدة من تلك الحقائب النووية في العاصمة واشنطن في العام الفائت. ولم يتم ذلك لأن الحظ حالف فريق **نست**، بل نتيجة لتحرّك مكتب التحقيقات الفيدرالي عقب تلقّيه وشاية".

أحجم هاري عن الردّ، ولكنه فكّر في الكلام الذي سمعه، وبالبرد الذي يسري في بدنه.

واصل مادوكس حديثه وقال: "أنا متأكد من وجود المزيد من الحقائب النووية التي تم تهريبها إلى البلاد، وعلى الأرجح عبر المنطقة غير المراقبة كما يجب من الحدود مع المكسيك". وابتسم إلى هاري وقال: "على الأرجح أن هناك واحدة في شقة في الجهة المقابلة من الشارع لمكتبك".

"كلا، أن لا أعتقد ذلك. لقد مسحنا المنطقة".

"حـسناً، أردت أن أوضح وجهة نظري، فلا تأخذ كلامي على حرفيته. والسؤال هـو لمـاذا لم يتم تفجير حقيبة نووية سوفياتية مفقودة في إحدى المدن الأميركية؟ هل تعتقد بأن لدى الإرهابيين الإسلاميين أي حس أخلاقي حيال تدمير مدينة أميركية وقتل مليون من الرجال والنساء والأطفال الأبرياء؟"

"كلا".

"ولا أنـا أعـتقد ذلك أيضاً. ولا أي شخص آخر بعد 11 سبتمبر/أيلول. ولكنني سـأقول لك لماذا لم يحصل ذلك ولماذا لن يحصل ذلك. لأنه لكي تكون خطة **عاصفة النار** رادعاً يمكن التعويل عليه، كما كان الدمار المؤكد المتبادل، لا يمكن الإبقاء على الخطـة سرّيةً بالكامل. في الواقع، منذ أن بُدئ بتنفيذ خطة **عاصفة النار**، جرى إعلام كافـة رؤساء الحكومات الإسلامية من قبل الإدارات المتعاقبة في واشنطن بأن هجوماً على مدينة أميركية بواسطة سلاح دمار شامل سيضمن تلقائياً ردّاً ثأرياً أميركياً نووياً يستهدف ما بين خمسين ومئة مدينة وأهدافاً أخرى في العالم الإسلامي".

قال هاري: "هذا جيد".

واصـل مـادوكس حديثه وقال: "وكما يمكن لهؤلاء السادة أن يشهدوا يا هاري، تنظـر الحكومة الأميركية إلى خطة **عاصفة النار** على أنها حافز قوي جداً يدفع تلك الـدول إلـى السيطرة على الإرهابيين الذين ينشطون على أراضيها، وإلى حثّها على تقاسـم المعلـومات مع الوكالات الاستخبارية الأميركية، وإلى فعل كل ما يلزم فعله لحمايـة نفـسها مـن التبخّر. في الواقع، جاءت الوشاية المتعلقة بالحقيبة النووية من الحكومة الليبية. وبالتالي، يبدو أن الخطة تعمل بنجاح".

"هذا رائع".

أضاف مادوكس، "إن شيئاً مثل فريق **نست** ردٌّ دفاعي على الخطر النووي يبعث علـى الأسـى. لكنّ **عاصفة النار** ردّ استباقي. إنها سلاح موجّه صوب رؤساء الدول الإسـلامية؛ سـلاح سينطلق في حال فشلوا في منع أصدقائهم الإرهابيين من امتلاك أسـلحة نـووية. ومـا من شك في أنه تم تحذير غالبية، إن لم يكن كافة، المنظمات الإرهابـية مـن ذلـك مـن قبل الحكومات الإسلامية التي تأويهم، وتساعدهم، وتقيم اتـصالات معهـم. لكن التأكد مما إذا كان الإرهابيون يصدقون ذلك أم لا بحث آخر. ولغايـة الآن، يبدو أنهم يصدقون، وهو السبب الذي يفسر على الأرجح عدم تعرضنا لهجوم بأسلحة دمار شامل. ما رأيك يا هاري؟"

"يبدو الأمر منطقياً بالنسبة لي".

"ولـــي أيـــضاً. كمـــا جرى إبلاغ الحكومات الإسلامية بأن **عاصفة النار** خطة مبـــرمَجة؛ بمعنى أنه لا يمكن لرئيس أميركي تعديل هذا الردّ الموجّه ضدّ الإسلام ولا إلغـــاؤه. وهـــذا يمنع أعداءنا من محاولة تحليل كل رئيس لمعرفة إن كان يملك – أو تملـــك – الشجاعة الكافية. إن الرئيس ليس طرفاً في المعادلة إلى حدٍّ بعيد بعد وقوع انفجـــار نووي في أميركا، تماماً كما كان الحال إبّان الحرب الباردة". ونظر إلى بول دان وسأله "هل هذا صحيح؟"

أجاب دان، "هذا صحيح".

ثـــم نظر مادوكس إلى هاري وقال: "يبدو أنك شردت في التفكير. ما الذي تفكّر فيه؟"

"حسناً... أنا متأكد من أن شخصاً في الحكومة قد فكّر في ذلك. لكن ألا تعتقد بأن خمـــسين أو مئة صاروخ نووي تنهال على الشرق الأوسط ستحرق ذلك الشيء الذي يسمى النفط؟"

ابتـــسم بعض الحاضرين، وابتسم مادوكس أيضاً. نظر إلى إدوارد وولفر وقال: "لقـــد أكّـــد لي نائب وزير الدفاع بأنه لا توجد حقول نفطية على لائحة الأهداف، ولا مـــصافٍ نفطية، ولا موانئ لتصدير النفط. ستظل هذه المواقع سليمة، ولكنها ستصبح تحت إدارةٍ جديدة". وأضاف "عليّ أن أتدبّر أمر معيشتي يا هاري".

"أجل. ولكن ماذا بشأن البيئة؟ أنت تعرف تأثير السقط النووي، الشتاء النووي".

أجـــاب مـــادوكس "قلـــت لك، إن حل مشكلة الاحتباس الحراري هو في الشتاء النووي. أنا أمزح فقط. انظر، تمت دراسة تأثير الانفجارات النووية المدمّرة الخمسين أو حتى المئة في الشرق الأوسط بشكل مكثف من جانب الحكومة. لن يكون الأمر بهذا الـــسوء". وأضـــاف "أعنـــي أنها تشكل بالنسبة إليهم انفجارات. لكن بالنسبة إلى باقي الكوكب، ستستمرّ الحياة، اعتماداً على طراز الحاسوب الذي تحبّه".

"حقـــاً...؟" كان هناك شيء آخر يزعج هاري مولر، فقال: "حسناً، هذا الأمر لن يحـــصل على أية حال لأنه، وكما قلتَ سابقاً، إذا علم الإرهابيون بشأن ذلك... أعني، هل تعتقد أو هل سمعتَ بأنهم سيهاجموننا بالسلاح النووي؟"

"أنـــا لـــم أسمع شيئاً. وأنت، هل سمعتَ شيئاً؟ في الواقع، يعتقد زملائي هنا بأن **عاصفة النار** رادع شديد الفاعلية لدرجة أن احتمال الهجوم على مدينة أميركية بسلاح نـــووي من قبل إرهابيين إسلاميين ضئيل جداً. ولهذا السبب يتعين علينا نحن أن نقوم بذلك".

"نقوم بماذا؟"

"لقد ابتكرنا نحن الرجال الموجودون في هذه الغرفة، **المشروع الأخضر** – الخطة التي تقضي بتفجير قنبلة نووية في مدينة أميركية، مما سيطلق ردّ **عاصفة النار** – والذي يعني التدمير النووي للإسلام".

لم يكن هاري متأكداً من أنه سمع الكلام على الوجه الصحيح وانحنى نحو مادوكس.

نظر مادوكس إلى هاري وتابع كلامه قائلاً: "وسرّ الجمال في هذه الخطة هو أن الحكومة ليست بحاجة إلى التأكد من أن الهجوم النووي على أميركا كان من فعل إرهابيين إسلاميين. فهناك افتراض مسبق قوي جداً بأن الذنب يقع على عاتق المجاهدين الإسلاميين، وبالتالي لا داعي إلى الحصول على دليل قاطع لإطلاق عاصفة النار. خطة عبقرية، أليس كذلك؟"

أخذ هاري نفساً عميقاً وقال: "هل أنت مجنون؟"

"كلا، هل يبدو أننا مجانين؟"

لم يكن هاري يعتقد بأن الأشخاص الأربعة الآخرين مجانين، ولكن مادوكس كان معتوهاً فعلاً. أخذ هاري نفساً عميقاً وسأل "هل تملكون سلاحاً نووياً؟"

"بالطبع لدينا أسلحة نووية. لماذا تظن أننا هنا؟ في الواقع، نحن نملك أربع قنابل نووية..." وقف مادوكس، وتقدم نحو الحقيبة الجلدية السوداء اللون، وربت على ظهرها.

"هذه إحداها".

الفصل 9

اِقتــرح بــاين مــادوكس أخذ استراحة قصيرة، فغادر الجميع الغرفة في أثنائها باستثناء سكوت لاندسايل وهاري مولر.

وقف لاندسايل عند الطرف البعيد من الطاولة قبالة هاري، وكان كل منهما ينظر إلى الآخر. قال لاندسايل: "إياك أن تفكّر بما تفكّر فيه".

"لا يمكنني سماعك. اقترب أكثر".

"توقف عن التظاهر بالرجولة، أيها التحرّي. إن الطريقة الوحيدة لكي تخرج من هنا هي في سماحنا لك بذلك".

"لا تراهن بالسراويل التحتية الحريرية لوكالة الاستخبارات المركزية على ذلك".

قال لاندسايل: "إذا أجبت عن جملة من الأسئلة، ففي إمكاننا التوصل إلى حل ما".

"كلامك يشبه الكلام الذي اعتدتُ أن أقوله للمشتبه فيهم. كنتُ أكذب أيضاً".

تحاشى لاندسايل التعليق وسأل هاري "متى أسند إليك توم والش هذه المهمة. وما الذي قاله لك؟"

"قال لي بأن أرتدي ثياباً سميكة وأقلل من مصروف الغاز".

"نصيحة جيدة. وأشكرك على تأكيدك لي بأن والش هو المسؤول". ثم سأل "ماذا كان يُفترض بك أن تفعله بأقراصك الرقمية؟"

"أن أعثر على عميل في وكالة الاستخبارات المركزية، وأحلق بها أسته".

"هل كان من المفترض أن تذهب إلى مطار **أديرونداك** كجزء من مهمتك؟"

أدرك هــاري بأن لاندسايل يجيد عمله. إن عملاء وكالة الاستخبارات المركزية جديــرون بــالازدراء، ولكنهم أشخاص جديرون بالازدراء ويتمتعون بقدر كبير من الاحتــرافية. أجاب هاري "كلا، ولكنها فكرة جيدة. وأنا أراهن بأنني سأجد اسمك على قائمة الركاب الواصلين".

"هــاري، لــديّ من المعارف أكثر مما لديك من جوارب نظيفة في دولابك". ثم سأل "من غيرُ والش في المبنى الفيدرالي 26 لديه معلومات عن مهمتك؟"

"من أين لي أن أعرف".

قـــال لاندســـايل: "سأقول لك شيئاً لم أقله سابقاً، لديّ صديق في المبنى الفيدرالي 26 أخبرنـــي بأنـــك تحدثت إلى زميلك في الغرفة، جون كوري، في ردهة المصعد، وأنك كنت تحمل حقيبة معدنية استلمتها من الرجل التقني. هل سألك كوري عن العمل الذي تقوم به؟"

"لِمَ لا تعبث بنفسك؟"

تجاهل لاندسايل هذا الاقتراح وسأل "أنا أحاول مساعدتك يا هاري".

"كنت أظن أنك من وكالة الاستخبارات المركزية".

نظر إلى هاري مولر وسأله "هل ترغب في المشاركة في هذا العمل يا هاري؟"

"أجل بالتأكيد، فأنا معك".

"ربمـــا لا تعنـــي ذلك حقيقة الآن، ولكن قبل أن نفرغ من هذا الأمر، سيتبين لك أنها الطريقة الوحيدة لإنقاذ البلاد".

"ألا تشعر بالحاجة إلى التبوّل أو إلى أي شيء آخر؟"

"كـــلا، ولكـــن لـــديّ ســـؤال أريدك أن تفكر فيه يا هاري: هل تعتقد بأنه جرى توريطك في ذلك؟"

"ما الذي تعنيه بذلك؟"

"أعني أن شخصاً طلب إلى والش، ربما في واشنطن، إرسال شخص إلى هنا – شـــخص يعمـــل فـــي المراقبة من شرطة ولاية نيويورك – لالتقاط صور للأشخاص القادمـــين إلـــى الـــنادي. يـــبدو أن المسألة تافهة، أليس كذلك؟ ولكنّ الأشخاص الذين أصـــدروا الأوامـــر – وربمـــا يكـــون والش نفسه – عرفوا أنك لن تصل إلى مسافة كيلومتر من النادي قبل أن يُلقى القبض عليك".

قال هاري: "لقد اقتربتُ مسافة أكثر من ذلك بكثير".

"أودّ أن أهنئك. إذاً، ما أفكر فيه يا هاري هو أنك كنت كبش فداء. هل تفهمني؟"

"كلا".

"ما أعنيه هو أن الأمر من السخافة بحيث إن السبب الوحيد لإرسالك إلى هنا هو إرهابنا وحملنا على تعليق العمل **بالمشروع الأخضر**. أو ربما حملنا على تسريع العمل فيه. ما هو رأيك؟"

أجاب هاري "سبق أن عملت مع وكالة الاستخبارات المركزية، والذي أعتقده هو أن جماعـــتك ترى مؤامرة في كل شيء باستثناء الأشياء التي فيها مؤامرة فعلاً. ولهذا السبب أنتم تعبثون".

"ربمـــا تكون لديك وجهة نظر، لكن دعني أشاركك هواجسي. جرى إرسالك إلى هناك من قبل مسؤولين رفيعي المستوى، عبر والش، إما بهدف حملنا على التحرّك أو لتوفيـــر مذكـــرة تفتيش لمكتب التحقيقات الفيدرالي لكي يأتي إلى هنا بحثاً عنك وعن الحقائب النووية الأربع التي ربما يعتقدون بأنها موجودة هنا".

امتنع هاري على الردّ، ولكنه بدأ يفكر في ما سمعه.

واصـــل لاندســـايل حديثه فقال: "دعني أفترض أولاً أن شخصاً يريد حملنا على التحرّك. ترى من يكون؟ حسناً، ربما يكون من جماعتي، أو ربما يبحث البيت الأبيض نفسه عن عذر لإطلاق **عاصفة النار**".

فكّر هاري في هذا الأمر، ولكنه امتنع عن الردّ أيضاً.

واصل لاندسايل حديثه فقال: "لكن ربما يوجد سبب آخر؛ أعني إرسالك إلى هذا المكـــان لكي تختفي فيه بحيث يمكن لمكتب التحقيقات الفيدرالي مداهمة المكان بذريعة ومذكـــرة تفتيش. في الواقع، إن الأشياء الوحيدة الجرمية في النادي هي القنابل الأربع وأنـــت، إلا أن لا القنابل النووية ولا أنت ستبقيان في هذا المكان وقتاً أطول من ذلك. إن جهـــاز الإرســـال الذي يعمل بتردد شديد الانخفاض قانوني، ولكن يصعب تفسير الحاجة إلى استخدامه، أليس كذلك؟"

شعر هاري كما لو أنه دخل إحدى المستشفيات الخاصة بالعلاج النفسي في شمال الـــولاية، وأنه وصل بعد مرور عشر دقائق على سيطرة المرضى عليه. ما هو سبب اســـتعمال جهـــاز إرسال بتردد شديد الانخفاض؟ هل تريد إرسال رسائل بتردد شديد الانخفاض؟ لماذا تريد...؟

سأل لاندسايل، "هل تعرف بأمر جهاز الإرسال؟"

"أجل".

ابتـــسم لاندسايل، وحدّق بهاري ثم سأله "ربما كنت لا تعرف". وأضاف "التردد شديد الانخفاض، هل يعني لك شيئاً؟"

"كلا".

أراد لاندســـايل أن يـــتحدث عـــن أمـــر معين، ولكن الباب فُتح ودخل مادوكس والرجال الثلاثة الآخرون الغرفة.

نظر لاندسايل إلى مادوكس وأشار إلى الباب.

قال مادوكس للباقين: "اعذرونا في التحدث على انفراد".

غادر مادوكس ولاندسايل الغرفة، وقال مادوكس لكارل الذي كان يقف قريباً من الباب: "راقب السيد مولر".

دخل كارل الغرفة وأغلق الباب.

مـــشى لاندسايل في الممر وتبعه مادوكس. قال لاندسايل: "حسناً، لقد تحدثتُ إلى مولر، ويبدو أنه صادق في قوله بأنه لا يعرف شيئاً باستثناء المهمة التي جرى تكلــيفه بهـــا". وأضاف "لم يحصل مولر على تفاصيل لا من والش ولا من غيره، وهــذا إجــراء روتينـــي عند إرسال شخص متدني الرتبة ليقوم بمراقبة في مهمة حساسة".

أجاب مادوكس "أنا أعرف ذلك، فما الذي تلمح إليه بالضبط؟"

فكّــر لاندســايل للحظة ثم أجاب "ليس لديّ أدنى شك في أن الجهة التي أرسلت هـــاري مولـــر إلى هنا، بصرف النظر عمن تكون، كانت واثقة من أنه سيُلقى القبض عليه. أليس ذلك صحيحاً؟"

امتنع مادوكس عن الردّ.

تابع لاندسايل كلامه قائلاً: "وأنا واثق تماماً من أن وكالة الاستخبارات المركزية على علم بما ننوي فعله يا باين، وكذلك وزارة العدل ومكتب التحقيقات الفيدرالي".

أجاب مادوكس "أنا لست متأكداً من ذلك".

"ولكننـــي مـــتأكد. وأنـــا أعـــتقد، بناء على معلوماتي، بأن وزارة العدل ومكتب التحقــيقات الفيدرالي على وشك إسكاتك". نظر لاندسايل إلى مادوكس ثم قال: "ولكن لـــديك بعض المعجبين والأصدقاء في الحكومة، ووكالة الاستخبارات المركزية بوجه خاص يريدون منك أن تمضي في المشروع. هل تفهمني؟"

أجـــاب مـــادوكس "أنا لا أعتقد بأن أي شخص في الحكومة، باستثناء الأشخاص الموجودين هنا، لديه أدنى فكرة عن **المشروع الأخضر** أو..."

"باين، تنازل عن شيء من كبريائك. هناك من يتلاعب بك ويستخدمك، و..."

"هذه تفاهات".

"هـــذه ليـــست تفاهات. انظر، لديك خطة رائعة. ولكنك لا تزال تعمل عليها منذ فترة طويلة. لقد اتصل بك الخيّرون في وزارة العدل ومكتب التحقيقات الفيدرالي، وهم يـــريدون منك أن تقوم بالعمل الصائب وتُفشل هذه المؤامرة. ولكنّ وكالة الاستخبارات المركـــزية تنظر إلى الأمور بطريقة مختلفة تماماً". وأضاف "تعتقد الوكالة بأن خطتك رائعة وعبقرية بالتأكيد".

سأل مادوكس "هل أنت متأكد من كل ما تقول؟ أم أنك تتكهّن؟"

فكر لاندسايل في الردّ ثم قال: "قليل من الاثنين". وأضاف "انظر. بوصفي ضابط الارتـــباط لدى وكالة الاستخبارات المركزية مع البيت الأبيض، أنا لست ضمن حلقة

'لانغْلــي' تمامــاً. ولكننــي كنت أعمل في فرع بلاك أوبس، وسمعت عنك قبل وقت طويل من سماعك عنّي".

وهنا أيضاً لاذ مادوكس بالصمت.

واصــل لاندســايل حديثه قائلاً: "كل فرع سرّي تابع للمؤسسة الاستخبارية لديه أعــضاء أسطوريون، رجال ونساء يُنظر إليهم على أنهم أكبر من الحياة. وأنا عملت مــع شخص من أمثال هؤلاء، وحدّثني مرّة عن **عاصفة النار**، وفي تلك المناسبة ذُكر اسمك، باين، كفرد لديه القدرة على إشعال **عاصفة النار**".

بدا مادوكس منــزعجاً من تلك المعلومات، وسأل "هل هذا هو سبب لقائي بك؟"

لــم يردّ لاندسايل على السؤال بطريقة مباشرة، ولكنه قال: "إنه سبب تعييني في البــيت الأبــيض". وأضاف "أدّت مؤامرتك الصغيرة هنا إلى مؤامرة مماثلة بين أفراد معينــين فــي وكالة الاستخبارات المركزية وكذلك في البنتاغون... وربما في البيت الأبــيض نفــسه. وبعــبارة أخرى، يوجد أشخاص آخرون في واشنطن عدا مجلسك التنفــيذي، يقدمون لك المساعدة. أنا متأكد من أنك تفهم ذلك وتفهم أيضاً أنه لو لم تكن موجــوداً، لاحتاج من في الحكومة ممن يريدون إشعال **عاصفة النار** إلى زرع قنابلهم الــنووية في المدن الأميركية بأنفسهم". أُجبر على الابتسام وقال: "ولكننا نحب تشجيع المبادرات الخاصة التي تستند إلى الإيمان".

سأل مادوكس "ماذا تقصد يا سكوت؟"

"وجهة نظري يا باين هي أنه بصرف النظر عن الجهة التي أرسلت هاري مولر إلــى هنا، فهي تريد إنهاء المسألة بسرعة. إذا كان مكتب التحقيقات الفيدرالي هو تلك الجهة، فأنت على وشك أن تُعتقَل. وإذا كانت وكالة الاستخبارات المركزية، فهذا يعني أنها تريد منك أن تتحرّك بسرعة". وأضاف "لا شك لديّ في أن كلتا المنظمتين تعرف ما تخطط له المنظمة الأخرى، وتحولت المسألة إلى سباق لمعرفة فكرة من ستنجح في حماية الأمن الأميركي".

حدّق مادوكس بصمت ثم قال: "كل ما أحتاج إليه هو نحو ثمانٍ وأربعين ساعة".

أجاب لاندسايل "آمل بأن يتوفر لك هذا الوقت الكثير. أنا على اتصال *بالوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب*، وصديقي هناك أخبرني بأن مولر يعمل في قسم الشرق الأوســط ولا يعمــل في قسم الإرهاب المحلّي، ولذلك فمن غير المألوف اختياره لتنفيذ هذه المهمة. ولكنه قال لي بأن شخصاً اسمه جون كوري، وهو ضابط سابق في شرطة نيويورك مثل مولر ويعمل أيضاً في قسم الشرق الأوسط، كان الشخص الذي اختير في الأساس للقيام بعملية المراقبة. لقد تم اختياره عن قصد. لماذا؟ هذا

هــو السؤال. فما هو الفرق في إرسال أي منهما ليكون كبش فداء؟" أشعل سيجارة وقـــال: "أتذكّــر أن الضابط في الوكالة الذي أخبرني بداية عن **عاصفة النار** أُلحق مــرّة *بالوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب*، وفيما كان يعمل هناك، دخل في صراع مع الشخص الذي يُدعى كوري. وأسوأ ما في ذلك الصراع هو أن كلاً منهما أراد قتل صاحبه".

نظــر مادوكس إلى ساعته، فيما واصل لاندسايل كلامه "ويبدو أن إحدى النقاط الكثيــرة التــي يخــتلفان حــولها هي الزوجة الحالية لكوري، وهي عميلة من مكتب التحقــيقات الفيدرالي جرى إلحاقها *بالوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب*". وابتسم قائلاً: "هناك دائماً امرأة".

ابتــسم مــادوكس أيــضاً وقال: "الغيرة الجنسية هي العامل غير المضمون في الــتاريخ. فقــد انهارت إمبراطوريات لأن جاك كان يضاجع جيل، ولأن جيل يضاجع جيم أيضاً". وسأل "لكن ماذا تقصد من وراء ذلك؟"

أجــاب لاندسايل "أرى في الأمر أكثر من مصادفة لأنه من المفترض أن يكون كوري جالساً حيث يجلس مولر الآن، في انتظار أن يموت".

قال مادوكس: "في بعض الأحيان يا سكوت، المصادفة ليست أكثر من مصادفة. وما هو الفرق على أية حال؟"

تــردّد لاندسايل في الإجابة ثم قال: "لكن إذا لم تكن تلك مصادفة، فأنا أرى عقلاً مدبراً يقف وراء ذلك؛ شخصاً أخبرني منذ البداية عن **عاصفة النار** وعمل أيضاً على إيــصالي إلى هذا المنصب في البيت الأبيض، وهو الذي عرّفني بنادي كاستر هيل... ولكــن ذلك مستحيل لأن ذلك الشخص قد تُوفي، أو يُفترض بأنه قد تُوفي. يقال: بأنه قضى نحبه في مركز التجارة العالمي".

قال مادوكس: "إما أن يموت الناس أو يبقوا على قيد الحياة".

فأجابــه لاندســايل "إن الشخص الذي أحدثك عنه عفريت كبير. فهو ميت عندما يحتاج إلى أن يكون ميتاً، وهو حي عندما يحتاج إلى العودة مجدداً. ما أودّ قوله هو أنه إذا كان ذلك الشخص هو المسؤول عن وجود مولر هنا، سأكون أكثر ارتياحاً لفرص تنفيذ **المشروع الأخضر** في غضون الساعات الثماني والأربعين القادمة، وسأكون أكثر ارتياحاً حيال إشعال الحكومة **لعاصفة النار** كردّ عليه".

حــدّق مادوكس بلاندسايل وقال: "إذا كان ذلك يُشعرك بارتياح أكبر يا سكوت، فأنــا ســعيد لأجلــك، لكن ما الذي يجري هنا. لقد عملت على هذه الخطة طوال عقد تقريباً، وسوف أجعلها تتحقق".

أجابــه لاندســـايل "لكنك لن تتمكن من ذلك في حال أسكتوك في غضون يوم أو يومين". وأضاف "عليك أن تكون ممتنّاً لأن لديك أصدقاء في واشنطن، وممتنّاً جداً إذا كان معلّمي السابق في بلاك أوبس على قيد الحياة ويوفر الحماية لك".

"حــسناً، إذا كنت تقول ذلك... ربما عندما ينتهي كل شيء يمكنني أن ألتقي بهذا الرجل، في حال كان في عداد الأحياء، وأصافحه". وسأل مادوكس "ما اسمه؟"

أجاب لاندسايل "لا يمكنني إعطاؤك اسمه، حتى وإن كان قد مات فعلاً".

"حسناً، إذا رأيته يوماً حياً، وإذا كان ملاكي الحارس في هذا المشروع، فاشكره نيابة عنّي".

"سأفعل".

أشـــار مادوكس إلى الباب وقال للاندسايل: "دعنا نواصل الاجتماع". وفيما كان لاندســـايل يـــتقدم نحو الباب، أومأ مادوكس برأسه تعبيراً عن سعادته لمعرفة أن هذا الـــرجل الغـــامض فكّـــر فـــي الأمـــر ملياً. في الواقع، لم يمت هذا الرجل يوم 11 ســـبتمبر/أيلـــول، وهو الأمر الذي كان يعرفه مادوكس، بل كان في طريقه إلى نادي كاســـتر هـــيل. كـــان السيد تيد ناش، وهو صديق قديم لباين مادوكس، قد اتصل قبل اجـــتماع المجلس التنفيذي مباشرة لمعرفة إن كان جون كوري مسجوناً لدى مادوكس. وعندما قال له مادوكس بأنهم ألقوا القبض على السيد هاري مولر بدلاً منه، خاب أمل نـــاش وقـــال: "إنه السمكة الخطأ"، ولكنه بدا متفائلاً وقال: "سأرى ما يمكنني أن أفعله لحمـــل كوري على الذهاب إلى نادي كاستر هيل". وأضاف "ستحبّه يا باين، فهو تافه مغرور بمثل ذكائنا تقريباً".

دخـــل لاندســـايل الغـــرفة ولحقه باين مادوكس ومشى نحو نهاية الطاولة وقال: "سيتوصـــل الاجتماع إلى قرار". وأشار إلى الحقيبة السوداء التي تتوسط الغرفة وقال: "ذلـــك الـــشيء، الـــذي ترونه لأول مرّة، قنبلة آر أي - 155 سوفياتية الصنع، تزن حوالـــى ثلاثين كيلوغراماً وتحتوي على حوالى اثني عشر كيلوغراماً من البلوتونيوم عالي الإشباع، بالإضافة إلى جهاز تفجير".

نظـــر هاري إلى الحقيبة. عندما كان يعمل في فريق **نـــست**، لم يخبره رؤساؤه عمّا يـــبحث عـــنه؛ قنابل ذرّية صغيرة من مختلف الأحجام والأشكال، وكما قال المدرّب: "لن تجدوا رمزاً ذرّياً على الجهاز أو جمجمة وعظمتين متصالبتين أو أي شيء. وكل ما عليكم فعله هو الاعتماد على أجهزتكم الخاصة بالكشف عن الأشعة غاما والنيوترونات".

واصـــل مـــادوكس حديثه فقال: "سيُحدث هذا الشيء الصغير انفجاراً تبلغ قوته خمـــسة كـــيلو طـــن، أي حوالـــى نـــصف القدرة التفجيرية للقنبلة التي أُسقطت على

هيروشـــيما. وبما أن هذه الأجهزة قديمة، وتحتاج إلى صيانة مستمرّة، يمكن أن يكون الانفجـــار أقل قوة. ولكن ليس في ذلك الكثير من العزاء إذا صدف أنك جالس بالقرب منها". وارتسمت على وجهه ابتسامة.

قال لاندسايل: "في الحقيقة، إننا نجلس بالقرب من إحداها". وقال ممازحاً: "ربما لا يجدر بك أن تدخن يا باين".

تجاهلـــه مـــادوكس وقال: "أودّ أن أضيف إلى معلوماتكم يا سادة بالقول بأن هذا الشيء الصغير سيمسح وسط مانهاتن ويتسبب بمقتل حوالى نصف مليون إنسان على الفور، ووفاة نصف مليون إنسان آخر متأثرين بالانفجار".

تقـــدم مادوكس نحو الحقيبة الكبيرة ووضع يده عليها. "تكنولوجيا مدهشة. عليك أن تفكـــر في هذه الذرات التي يمكن شطرها أو صهرها بواسطة رجال قتلة لإطلاق هذه الطاقة الخارقة".

أزاح هاري مولر بصعوبة شديدة عينيه عن القنبلة النووية. لاحظ وجود قارورة مياه أمامه لأول مرّة، وبيد مرتجفة، شرب منها.

خاطبه مادوكس "لا تبدو على ما يرام".

أجـــاب مولر "لا يبدو أي منكم على ما يرام، ومن أي مكان لعين حصلت على هذه القنبلة؟"

"فـــي الواقع، كان ذلك الجزء السهل من العملية. كان مجرّد مسألة مالية مثل أي شـــيء آخـــر فـــي الحياة، إضافة إلى طائراتي الخاصة التي استخدمتها في نقلها من جمهـــوريات الاتحـــاد الـــسوفياتي السابق. لقد دفعت – من جيبـــي الخاص – عشرة ملايـــين دولار، إذا كـــنت مهـــتماً بالتفاصيل. كان ذلك ثمن أربع قنابل، لا ثمن قنبلة واحـــدة. ويمكـــنك تصوّر عدد الحقائب النووية التي اشتراها أصلاً أشخاص مثل بن لادن".

شـــرب هاري الماء الذي في قارورته وأخذ قارورة لاندسايل وقلمه ووضعه في جيبه. لم يلاحظ أحد الأمر مع مواصلة مادوكس حديثه.

قـــال مادوكس لهاري، وكان يريد أيضاً إفادة الآخرين: "إننا لسنا وحوشاً يا سيد مولر. إننا رجال محترمون هدفنا إنقاذ الحضارة الغربية، وإنقاذ عائلاتنا، وأمّتنا".

سأل هاري "بقتل ملايين من الأميركيين؟"

أجاب مادوكس "سيقتلهم الإرهابيون الإسلاميون على أية حال. إنها مجرّد مسألة وقت. وسيكون الحال أفضل إذا قمنا بذلك في وقت أقرب. وسنقوم نحن باختيار المدن، وليس هم".

"هل جُننتم؟"

صـــاح مادوكس بغضب "توقف يا هاري. قبل وقت قصير، لم تكن لديك مشكلة فـــي مـــسح العـــالم الإسلامي؛ رجال، ونساء، وأطفال، بالإضافة إلى السيّاح ورجال الأعمـــال الغـــربيين، ومن يدري من سيكون غيرهم في الشرق الأوسط في الأسبوع القادم..."

"الأسبوع القادم؟"

"أجـــل. وكمـــا قلت لك، يمكنك أن تشكر نفسك ومنظمتك على ذلك. اليوم، كنتَ الوحـــيد الـــذي يحـــوم فـــي المـــنطقة. وغداً أو في اليوم الذي يليه، سيكون العملاء الفيدراليون وربما جنود من 'درام كامب' من سيحاصر هذا المكان بحثاً عنك... وعن هذه"، وربت على الحقيبة.

كاد هاري أن يقفز من مقعده.

"لـــذلك، يتعـــين علينـــا إخفـــاؤك وإرسال الحقائب إلى وجهاتها النهائية". وقال للمجلـــس: "وفي هذه الأثناء، سنكمل العمل الذي بين أيدينا. أولاً..." عاد إلى الطاولة وضـــغط على زرّ على لوحة المفاتيح. انطفأت الأنوار وأضاءت شاشة مسطحة مثبتة علـــى الجدار، وظهرت عليها خريطة ملوّنة للشرق الأوسط وشرق آسيا. "... سنلقي نظرة على العالم الإسلامي، الذي نحن على وشك تدميره".

الفصل 10

بــدأ باين مادوكس كلامه قائلاً: "هذه يا سادة بلاد الإسلام التي تمتدّ من الساحل الأطلــسي لشمال أفريقيا، مروراً بالشرق الأوسط وآسيا الوسطى، ووصولاً إلى شرق آســيا، لتنتهــي في إندونيسيا، أكبر البلاد الإسلامية من حيث عدد السكان، والتي هي الجبهة القتالية الأخيرة في الحرب على الإرهاب".

توقف لكي يترك انطباعاً لدى الحاضرين ثم أضاف، "يوجد أكثر من مليار مسلم يعيــشون في هذه البلاد اليوم. وفي وقت ما في الأسبوع القادم، سيصبح هذا العدد أقل بكثير".

أفــسح مــادوكس للحاضرين المجال لاستيعاب الموضوع، ثم أضاء مصباح القراءة وقال: "وفّر لنا إيد لائحة بالمدن الإسلامية المستهدفة بموجب خطة عاصفة الــنار..." ونظر إلى الورقة التي أمامه وقال ممازحاً: "تبدو شبيهة بلائحة أمنياتي لعيد الميلاد".

لــم يضحك أحد. أضاف مادوكس قائلاً: "سيقدم لنا إيد بعض التفاصيل المتعلقة بخطة **عاصفة النار**".

بدأ نائب وزير الدفاع، إدوارد وولفر، شرحه بالقول: "يوجد في الحقيقة لائحتان: اللائحــة **ألــف** واللائحــة **باء**. تتضمن اللائحة **ألف** منطقة الشرق الأوسط بأكملها – الجزيــرة العــربية، قلــب الإســلام – إضـــافة إلى أهداف معينة في شمال أفريقيا، والــصومال، والسودان، والأجزاء المسلمة من آسيا الوسطى، والقليل من الأهداف في شــرق آســيا. وهــذه اللائحة بقيت على حالها في الأساس طوال السنوات العشرين الماضــية، ولكننا كنا نضيف هدفاً بين الحين والآخر مثل الجزء الشمالي من الفيليبين الــذي أصبح مرتعاً للأصولية الإسلامية. لاحظوا أيضاً أننا كنا نحذف بعض الأهداف أحــياناً. فنتــيجة لاحــتلال أفغانــستان، على سبيل المثال، قمنا بشطب معظم أجزاء أفغانــستان مــن لائحــة الأهداف إضافة إلى أماكن معينة في منطقة آسيا الوسطى، والخليج حيث يتمركز الجنود الأميركيون في الوقت الحالي".

أومأ الجميع برؤوسهم، وكتب قلّة من الحاضرين ملاحظات سريعة.

واصل وولفر كلامه فقال: "كما أضفنا أهدافاً جديدة تقع في جنوب أفغانستان، وتحديداً منطقة تورا بورا والمناطق الحدودية المجاورة لها في باكستان، حيث نعتقد بأن بن لادن مختبئ فيها". وأضاف، "إذا نجا بن لادن من الانفجار، سيكون ملك الأراضي النووية القاحلة".

ضحك البعض بأدب.

سأل سكوت لاندسايل، "ولماذا أعددتم لائحتين؟"

أجاب وولفر، "يوجد ردّان ثأريّان محتملان بموجب خطة **عاصفة النار**. فاللائحةَ **ألف** هي في صلب الخطة ولا تراجع عنها، أما اللائحة **باء** فاللجوء إليها متوقف على مستوى الهجوم الإرهابي على أميركا ونوعه. فإذا كان هجوماً جرثومياً أو كيميائياً مثلاً، فإن الأهداف المدرجة في اللائحة **ألف** هي التي ستدمَّر. وإذا كان الهجوم نووياً، وأدّى إلى دمار مدينة أميركية أو أكثر، فسوف تضاف اللائحة **باء** إلى الردّ الثأري بشكل تلقائي".

قال مادوكس: "حسناً، نحن نعرف أن الهجوم على أميركا سيكون نووياً لأننا نحن من سيفجر تلك القنابل".

سادَ الصمتُ الغرفة، ثم قال بول دان: "باين، أنت لست مضطراً إلى التصرف بكل هذا الحماس حيال هذه الخطة".

"أنا آسف يا بول. ولكن هذا ليس أحد الاجتماعات المهذبة لمجلس الأمن القومي. هنا يمكننا التعبير صراحة عمّا يجول في خواطرنا".

لم يجب بول دان، وواصل وولفر حديثه فقال: "هناك قلق دائماً من مستوى السقط الإشعاعي إضافة إلى التغيّرات المناخية... وهذا هو سبب وجود لائحة أساسية وأخرى متممة. كما أنه ليست كل المدن الإسلامية تأوي إرهابيين بكل تأكيد، أو غير صديقة للولايات المتحدة. لكنّ خطة **عاصفة النار** خلصتنا من معظم ذلك الجدال عبر الربط بين الردّ وطبيعة الهجوم على الولايات المتحدة. وبالتالي، إذا أدّى الهجوم بسلاح كيميائي أو جرثومي إلى مقتل عشرين ألف شخص فقط على سبيل المثال، في نيويورك أو واشنطن، فسوف يستأصل ردّنا اثنين وستين هدفاً فقط من الأهداف المدرجة في اللائحة **ألف**. وأضاف، "نحن لا نريد أن نظهر كما لو أننا بالغنا في ردّة فعلنا".

سخر لاندسايل من سخافة تلك العبارة، ولكن لم يظهر أن أحداً لاحظ وجه الفكاهة في المسألة.

أضاف وولفر، "لغاية اليوم، تتضمن اللائحتان معاً 122 هدفاً. ونحن نتوقع حدوث إصابات أولية تطال حوالى مئتي مليون شخص، وربما يموت مئة مليون

آخـــرون فـــي غضون ستة شهور بسبب التأثيرات الإشعاعية". وقال في نبرة واقعية: "وبعـــد ذلـــك، من الصعب أن نقدّر تأثيرات الأمراض، والتعرّض لتأثيرات الطقس، والمجاعة، والانتحار، والصراعات المدنية، وما إلى ذلك".

لم يعلّق أحد على ما سمع.

قـــال إيـــد وولفـــر: "أدرك الأشخاص الذين وضعوا خطة **عاصفة النار** بأنه من الضروري ألاّ يضطر أي رئيس مستقبلي أو إدارته، إلى اتخاذ أية خيارات استراتيجية أو أخلاقـــية. فإذا حصل هجوم من النوع كذا، سنردّ باللائحة **ألف**، وإذا حصل هجوم من نوع آخر، سنردّ باللائحة **باء**. الأمر في غاية البساطة".

أشـــاح هاري مولر بناظريه عن الخريطة المضيئة، ونظر إلى الرجال الأربعة علـــى جانبـــي الطاولة. تحت الضوء المنعكس من الشاشة، بدا هؤلاء الرجال الأربعة الآن هادئـــين، بعد أن كانوا متوترين بعض الشيء قبل نصف ساعة. بدا كما لو أنهم يقولون، لا بأس، إنها هنا. انتبه وتابع عملك.

ثـــم نظـــر إلـــى مـــادوكس الذي كان ينظر إلى الشاشة التلفزيونية، ورأى تلك الابتسامة الغريبة على وجهه، كما لو كان يرى جلداً يرتجف. لاحظ مادوكس نظرات هاري وغمزه.

الـــتفت هاري في مقعده ونظر إلى الشاشة. يا إلهي، الخطة حقيقية. كان الله في عوننا.

واصـــل وولفر كلامه فقال: "إن خطة **عاصفة النار** ببساطة نسخة عن **ماد**. في الواقـــع، قامـــت مجمـــوعة من المحاربين القدامى إبّان الحرب الباردة في عهد إدارة ريغان باقتراح هذه الخطة، وتطويرها، ووضعها موضع التنفيذ".

بقـــي صامتاً للحظة، ثم قال بنبرة رزينة: "كانوا رجالاً شجعاناً. لقد وقفوا وجهاً لـــوجه أمام السوفيات، والطرف الآخر هزّ برمشه أولاً. لقد مرّروا إلينا درساً عظيماً وإرثاً رائعاً. ولكي نكون جديرين في نظر هؤلاء الرجال الذين أعطونا عالماً خالياً من الإرهـــاب السوفياتي، نحن بحاجة إلى القيام بعمل تجاه الإرهابيين الإسلاميين كما كان محاربو الحرب الباردة هؤلاء على استعداد للقيام به تجاه الاتحاد السوفياتي".

مـــرّة أخرى، ساد الصمت الغرفة. ثم قال الجنرال هاوكنـــز: "كان لدى الروس علـــى الأقـــل بعض الشرف، وخوف من الموت، وكانوا سيخجلون من إلحاق الدمار بمـــدنهم وشعوبهم. ولكنّ هؤلاء الأنذال - الإسلاميين - يستحقون كل شيء سينـــزل بهم".

وجّه مادوكس سؤاله إلى إدوارد وولفر، "قل لنا ما الذي سينـــزل بهم؟"

بلـــع وولفر ريقه وقال: "الذي سينـــزل بهم هو 122 رأساً حربياً نووياً بأوزان مخـــتلفة، تـــنطلق أساســـاً من غواصاتنا النووية من فئة أوهايو المنتشرة في المحيط الهندي، إضافة إلى بعض الصواريخ البالِستية العابرة للقارّات التي ستُطلق من أميركا الـــشمالية". وأضاف "سيتم إبلاغ الروس بالأمر، من باب المجاملة وكتدبير احترازي، قبل دقيقة تقريباً من إطلاق الصواريخ".

قـــال الجنــــرال هاوكنـــز: "تمثّل هذه الرؤوس الحربية نسبة ضئيلة جداً من ترســـانتنا. وســـتتبقّى آلاف مـــن الرؤوس الحربية في حال احتجنا إلى شنّ هجوم آخـــر علـــى الإســـلام، أو في حال خطر على بال الروس أو الصينيين أية أفكار سخيفة".

أومـــأ وولفـــر برأســـه ثم قال: "تتضمن اللائحة **ألف** كافة العواصم في الشرق الأوسط تقريباً – القاهرة، دمشق، عمّان، بغداد، طهران، إسلام أباد، الرياض، وغيرها – إضافة إلى المدن الرئيسية الأخرى، ومعسكرات تدريب الإرهابيين، وكافة المنشآت العسكرية".

نظـــر إلى أوراقه وقال: "كانت مقاديشو، عاصمة الصومال، في الأصل مدرجة في اللائحة **باء**، ولكن منذ إسقاط طائرة البلاك هوك العمودية، انتقلت إلى اللائحة **ألف** للـــثأر مـــن تلك الهزيمة المخزية. والأمر نفسه ينطبق على مدينة عدن الساحلية في اليمن؛ سنأخذ بثأر المدمرة كول أيضاً".

علّـــق مـــادوكس بالقـــول: "أنا مسرور لأنه يجري تطوير هذه اللائحة مع تغيّر الظروف. ولدينا الكثير من الحسابات التي ينبغي تصفيتها".

أجـــاب وولفـــر، "بالطـــبع لديـــنا حسابات. لكن بقدر ما نرغب في الثأر لثكنة المارينــــــز التـــي دُمـــرت في بيروت، فهذه العاصمة لم تُدرَج في اللائحة. كما أنها ستصبح رأس جسر لنا نحو شرق أوسط جديد ومتطور". وأضاف، "لاحظوا أيضاً أن إسرائيل لن تعود محاطة بالأعداء؛ بل ستصبح محاطة بأراضٍ قاحلة".

سأل لاندسايل، "هل يعرف الإسرائيليون شيئاً عن خطة **عاصفة النار**؟"

أجـــاب وولفر "إنهم يعرفون عنها بقدر ما يعرفه أعداؤنا. وقد عرضناها عليهم كخطـــة محتملة. ولكنهم لم يشعروا بغبطة عارمة لاحتمال تساقط الغبار الذرّي عليهم، ولكـــن لـــديهم برامج جيدة للدفاع المدني، ويمكنهم اجتياز تلك المرحلة بأمان إلى أن يصفى الجو".

عـــاد لاندســـايل وسأل بابتسامة، "إيد، هل تعتقد بأنه ينبغي أن نحجز مقعداً في رحلة إلى الأراضي المقدسة في عيد الفصح؟"

أجـــاب وولفــر، "إنـــنا نـــتحدث عن عالم جديد تماماً يا سكوت، عالم تعود فيه الإجــراءات الأمنـــية في المطارات إلى المستوى الذي كانت عليه في الستينيات من القـــرن الماضـــي، عالم يمكن أن يرافقك فيه أفراد عائلتك وأصدقاؤك إلى البوابة من جديـــد، وحيث خزائن الحقائب ليست شيئاً من الماضي، عالم لا يعامَل فيه كل مسافر بالطائرة على أنه إرهابي محتمل، وحيث تقتصر الإجراءات الأمنية المتعلقة بالطائرات على المسائل الميكانيكية لا على الإرهابيين الذين هم على متنها، أو الأحذية المحشوة بالقـــنابل، عالم لا يعود فيه كل سائح أو رجل أعمال أميركي هدفاً محتملاً للإرهابيين. في هذا العالم الجديد، أيها السادة، سيتم التعامل مع كل أميركي بلطافة، واحترام، وقليل من الهيبة؛ مثل الطريقة التي عُومل بها آباؤنا وأجدادنا الذين حرّروا أوروبا وآسيا من الشرّ. ولذلك، أجل يا سكوت، خطط للسفر إلى الأرض المقدسة يوم عيد الفصح. ستتم معاملـــتك بطريقة لائقة، ولن تضطرّ إلى القلق من المتفجرين الانتحاريين في المقاهي المزدحمة".

ســـاد الـــصمت الغـــرفة فيما كان وولفر يواصل عرضه لمخلصه عن موضوع المدن المقدسة". "كما ستتضمن الأهداف الأولية المدن الإسلامية المقدسة. وهذا لوحده سيـــستأصل قلـــب الإسلام". وأضاف، "وسيتم تجنب أقدس مدنهم، من الدمار – ليس بسبب الحساسية تجاه ذلك الدين – بل لأجل معاملة المدينة كرهينة سيطالها الدمار في حـــال هدد أي إرهابيين بقوا على قيد الحياة بتنفيذ عملية ثأرية". وأنهى كلامه بالقول: "إن الحكـــومات في الشرق الأوسط على علم بذلك، وقد طلبت إلينا تجنيب المدينة من الدمار أيضاً في حال حصل الأسوأ. ولكننا أجبناهم بالنفي".

قـــال مـــادوكس: "هـــذا جواب جيد. فلدي الكثير من التعاملات غير السارّة مع العائلة... المالكة. وفي الأسبوع القادم، سيطويهم التاريخ، والأمر الوحيد الجيد في ذلك المكان هو النفط الذي ينتظرنا أسفل الرمال".

تجاهل إدوارد وولفر ذلك التعليق وأضاف، "والمدينة الإسلامية المقدسة الأخرى التـــي لن يتم تدميرها هي القدس بالطبع والتي نحترمها نحن كمسيحيين، واليهود أيضاً بوصـــفها أكثـــر مواقعـــنا قداسة. ونحن نتوقع أن يقدم الإسرائيليون، بعد تنفيذ خطة **عاصـــفة الـــنار**، على طرد المسلمين من القدس، وبيت لحم، والناصرة، وغيرها من المواقع المقدسة المسيحية الأخرى التي لا تزال تحت سيطرتهم. وإذا لم يفعلوا، فسوف نفعل ذلك نحن".

علّق مادوكس قائلاً: "بالنسبة إلى المدن التي سيتم ضربها، أرى عدداً من المدن التركية في اللائحة، ولكنني لا أرى إسطنبول".

شرح وولفر السبب قائلاً: "إسطنبول كنــز تاريخي، وتقع من الناحية الجغرافية فـــي أوروبـــا، وستصبح مدينة القسطنطينية مرّة أخرى. وسيتم طرد المسلمين منها". وأضـــاف "في الواقع، توجد يا سادة خطة سياسية للعالم في حقبة ما بعد **عاصفة النار** لإعـــادة رســـم بعـــض الخطوط على الخريطة وإخراج الشعوب من الأماكن التي لا نـــريدهم أن يـــبقوا فـــيها. والقدس، وبيروت، وإسطنبول من الأماكن التي نفكر فيها، بالرغم من أنني لست مطلعاً على تفاصيل هذه الخطة السياسية".

علّـــق مـــادوكس بالقـــول: "بغض النظر عن شكل هذه الخطة، يمكننا أن نترك لوزارة الخارجية أمر تدبيرها".

قال الجنرال هاوكنـــز: "آمين"، ثم أشار إلى أنه "مع تدمير بغداد وغالبية أجزاء العراق، لن نكون بحاجة إلى الدخول في حرب ضدّ صدام حسين".

ردّ وولفر قائلاً: "في الحقيقة، لن نكون بحاجة إلى الدخول في حرب ضدّ سوريا أيضاً، أو إيران، أو أي بلد معادٍ آخر لأنه لن يعود موجوداً".

قال مادوكس: "يعجبني هذا الكلام. ألا يعجبك يا هاري؟"

تردّد هاري ثم أجاب "بلى، إذا كان يعجبك الكلام عن جريمة جماعية".

نظر مادوكس إلى هاري وقال:"لديّ ولد يا هاري، باين الصغير، وهو ضابط احتياط في الجيش الأميركي. إذا دخلنا في حرب مع العراق، فسوف يُطلب إليه الالتحاق بالخدمة، وربمـــا يلقى حتفه هناك. الخلاصة هي أنني أفضّل أن أرى الجميع في بغداد يُقتلون على أن يبلغني أحدهم بأن ولدي قُتل في العراق. هل تعتبر ذلك أنانية؟"

لـــم يردّ هاري، ولكنه قال في نفسه، أجل هذه أنانية. كما أن مادوكس نسي أبناء وبنات الأميركيين الذين ينوي قتلهم بالقنابل النووية داخل أميركا.

وجّه باين مادوكس سؤالاً إلى هاري وإلى الحاضرين "في بعض الأحيان، تُبرز النكتة حقيقةً لا يرغب الناس في الإقرار بها. ولذلك أقصص علينا يا سيد مولر إحدى الـــنكات التي ربما سمعتها عندما كنت تعمل شرطياً". ابتسم مادوكس ابتسامة شخص يـــريد أن يقـــص نكـــتة جميلة وقال: "إذن، يبدو أن الرئيس، أعني رئيس السيد دان، ووزيـــر الدفاع، رئيس السيد وولفر". ابتسم مجدداً وقال: "مختلفان حول مسألة سياسية مـــا، ولذلك استدعيا مساعداً صغيراً، فقال له وزير الدفاع: 'لقد قرّرنا إلقاء قنبلة ذرّية علـــى ملـــيار عربي وعلى امرأة واحدة جميلة، وشقراء، وعيناها زرقاوتان. فما هو رأيـــك؟' فـــسأله المـــساعد الصغير 'سيدي الوزير، لماذا تريدون قصف امرأة جميلة شقراء وزرقاء العينين؟' وبدوره، قال وزير الدفاع للرئيس، هل تسمع ذلك؟ 'قلت لك بأن أحداً لا يأبه لمليار عربي'".

كــان هــناك بعض الضحك المهذّب والمضبوط، كما أن هاري ابتسم أيضاً لدى سماعه النكتة القديمة التي سبق أن سمعها مرّات عديدة.

وجه مادوكس سؤاله إلى هاري وقال: "هل فهمت قصدي؟"

عــاد إدوارد وولفر إلى موضوعه وقال: "في ما يختص العراق، من المعلوم أن الحــروب البــرّيّة مكلفة على صعيد الرجال، والموادّ، والمال. كما أنه يوجد للحروب البــرّيّة دائماً عواقب غير مقصودة. ويمكنني أن أقول لك من واقع خبرتي – ويمكن لبول إيضاح ذلك – إن الإدارة تميل إلى إشعال حرب مع العراق، ثم مع سوريا، وفي نهايــة المطــاف مــع إيران. لا أعتقد بأن أياً منّا يعارض ذلك من حيث المبدأ، لكن بالنــسبة إلى رفاقنا الذين حاربوا في فييتنام – باين، جيم، وأنا – يمكننا القول بدرجة من اليقين بأنه عندما تطلق كلاب الحرب، فسوف تخرج عن سيطرتك. سرّ الجمال في الهجوم النووي أنه سريع ورخيص. وسبق لنا أن اشترينا ترسانة ذرّية ضخمة ودفعنا ثمــنها – لديــنا حالــياً حوالـــى سبعة آلاف رأس حربي نووي – وهي موجودة في المخــازن ولا نــستفيد مــنها بــشيء. وفي مقابل جزء بسيط من كلفة تلك الرؤوس الحــربية، يمكنــنا تحقيق نتائج كبيرة جداً. إن نتائج ضربة نووية غير مشكوك فيها". وأضاف مبتسماً، "ولن تتعذب ذا نيويورك تايمز، والواشنطن بوست في معرفة إن كنا سننتصر في الحرب على الإرهاب أم لا".

ضــحك الجميع، وقال مادوكس بطريقة منمّقة: "أنت تعني أنني لن أكون بحاجة إلـــى قــراءة قــصة تدمي القلب في التايمز عن فتاة صغيرة وأمّها التي أصيبت بفعل **عاصفة النار؟**"

عــاد الجمــيع إلـــى الضحك مرّة أخرى، وقال وولفر: "لا أعتقد بأن التايمز أو الواشــنطن بوست سترسل أي مراسلين إلى رماد نووي للحصول على ما يسمى قصةً تهمّ الإنسانية".

ابتسم مادوكس، ثم نظر إلى الخريطة التي ترتسم على الشاشة وقال: "أرى على اللائحــة ســدّ أسوان الكبير". نقل المؤشر نحو موقع مصر والجزء الشمالي من النيل وقال: "يوجد هنا، فيما أعتقد، أمّ كافة الأهداف".

أجاب وولفر، "بالتأكيد، إنها كذلك. يمكن لصاروخ متعدد الرؤوس أن يدمّر السدّ ويطلق مليارات الغالونات من المياه في اتجاه مجرى النيل، والذي من الناحية العملية، ســيمحو مــصر عــن الخريطة، وربما يؤدي إلى مقتل ما بين خمسين وستين مليون شــخص مــع طوفان وادي النيل وتدفق المياه في البحر الأبيض المتوسط". وأضاف، "وســيكون ذلــك أكبر خسارة منفردة في الأرواح والممتلكات؛ كما أنه لا توجد حقول

نفطية هناك. ومن سوء الحظ، يتعين علينا القبول بفقدان آلاف من السيّاح الغربيين وعلماء الآثار ورجال الأعمال الغربيين، وغيرهم، إلى جانب خسارة مواقع تاريخية". ولكنه أضاف، "ينبغي المحافظة على الأهرامات".

سأله مادوكس، "إيد، أرى أن مدناً مصرية عديدة على امتداد وادي النيل على لائحة الأهداف التي ستُضرب برؤوس نووية. إذا اعتبرنا أن مياه أسوان ستجتاح تلك المدن، ألن تكون الصواريخ زائدة عن الحاجة؟ وهل ورد اسمها في الكتاب المقدس؟"

نظر وولفر إلى صديقه وقال: "لم أفكر في الأمر قبل ذلك". وتوقف للحظة ثم قال: "أعتقد بأن مياه الفيضان ستطفئ الحراق في المدن المشتعلة".

قال مادوكس: "هذا أمر سيّئ جداً".

تابع وولفر حديثه فقال: "هناك بعض الأخبار السيّئة، كما سبق أن ألمحت، وهي أن عدداً كبيراً من الغربيين سيُقتلون في هذا الهجوم، من السيّاح، ورجال الأعمال، والمغتربين، والعاملين في السفارات، وغيرهم. ويمكن لهذا العدد أن يصل إلى مئة ألف، وسيكون العديد منهم من الأميركيين".

لم يعلّق أحد على هذا الكلام.

واصل وولفر حديثه فقال: "ومن سوء الحظ أيضاً أننا لا نستطيع التكهن بالوقت الذي ستصبح فيه هذه المناطق صالحة للسكن مجدداً أو مستقرّة من الناحية الاجتماعية من أجل استمرار الإمدادات النفطية. غير أن محللاً في وزارة الدفاع يتكهن بأنه لن يحدث نقص خطير في تلبية الاحتياجات العالمية أو الوطنية لأن هذه البلدان التي تنتج النفط لن تستخدمه بعد ذلك. وبالتالي، ينبغي أن يكون النفط المستورد من مصادر *أخرى إضافة إلى الاحتياطي من النفط، كافيان لتلبية أية طلبات قصيرة الأمد في* أميركا وأوروبا الغربية". وأضاف، "وعلى الأرجح أن يتوفر النفط السعودي لنا أولاً؛ في غضون سنتين".

قاطعه مادوكس بالقول: "ينبغي على المسؤولين الحكوميين أن يتحدثوا إلينا بوصفنا من العاملين في القطاع الخاص. وتحليلي هو أنه سيتم استئناف تصدير النفط السعودي بواسطة ناقلات النفط في غضون سنة تقريباً". وأضاف، "أعتقد بأننا يمكننا الحصول على برميل النفط مقابل مئة دولار في حال تفاقمت المشكلات المتعلقة بضخ النفط وشحنه بعد الحرب النووية".

تردّد وولفر ثم قال: "باين، يميل وزير الدفاع إلى الاعتقاد بأن سعر البرميل سيهبط إلى عشرين دولاراً على اعتبار أننا سنتحكم بكافة عمليات الضخ والشحن". وأضاف، "الفكرة هي أننا سنحتاج إلى نفط رخيص الثمن للمساعدة في إنعاش الاقتصاد

الأميركي والذي نتكهن بأنه سيتدهور بشكل سريع بعد أن تعاني مدينتان أميركيتان من الدمار النووي".

لـــوَّح باين مادوكس بيده وقال: "أعتقد بأن في ذلك مبالغة أيضاً. ستشهد أسواق الأســـهم هـسبوطاً سريعاً مقداره بضعة آلاف نقطة لمدة تقل عن عام. وستعاني بعض المـــدن مـــن نــــــزوح سكاني إليها لبضعة شهور، كما حصل مع نيويورك بعد 11 ســـبتمبر/أيلـــول. ولكن بعد أن يتبين أن العدو قد مات ودُفن، سنشهد نهضة أميركية تـــدهش العالم". وقال لوولفر: "لا تكن متشائماً. إذا كان انهيار الاتحاد السوفياتي إيذاناً ببزوغ فجر القرن الأميركي، فإن التخلّص من الإسلام سيبشّر بألفية السلم، والازدهار، والـــثقة بالنفس الأميركية، ناهيك عن القوة الأميركية التي لا تُضاهى. ستجعل الألفيةُ الأميركية الإمبراطوريةَ الرومانية تبدو مثل دولة من العالم الثالث".

لم يعلّق أحد، ولذلك واصل مادوكس كلامه وقال: "ستكون الأمور مختلفة. سيتم الـــتخلّص مـــن آخر الأخطار العالمية التي تهدد أميركا، وستجتمع الأمة بأكملها حول الحكومة على غرار ما فعلت بعد 11 سبتمبر/أيلول وبيرل هاربور. وسيتم التعامل مع الأعـــداء الداخليـــين لأميركا، بمن فيهم الأعداد المتنامية من السكان المسلمين، بدون احـــتجاجات. ولن ترى أية مظاهرات مناوئة للحرب في أميركا، ولا في أي مكان في العـــالم. والأوغـــاد الـــذين رقـــصوا فـــي مختلف أنحاء العالم في الشوارع بعد 11 سبتمبر/أيلول إما سيكونون في عداد القتلى أو يقبّلون أقدامنا".

أخـــذ نفساً ثم بدأ يتكلم بسرعة، "وسوف يغلق الأوروبيون أفواههم، ثم يأتي دور كـــوبا، ثم كوريا الشمالية. وسيبقي الروس أفواههم مغلقة أيضاً، لأننا بعد أن نخوض حـــرباً نـــووية مرّة، سيفهم الجميع أننا يمكن أن نقوم بذلك مرّة أخرى. وعندما يحين الوقت المناسب، سنضع حدّاً للمشكلة الصينية وهي في مهدها قبل أن تكبر وتتحدّانا".

راقـــب هـــاري مولر الرجال الآخرين فيما واصل مادوكس كلامه المسهب. بدا بالنـــسبة إلى هاري أن الرجال الآخرين منـــزعجون بعض الشيء الآن بعد أن انتقل مادوكس من مشكلة الإرهاب الإسلامي إلى البحث عن أعداء جدد وقتلهم. ثم جاء دور النفط الذي اعتقد هاري بأنه لا يقل أهمية في نظر باين مادوكس وشركة النفط العالمية عن التخلّص من الإرهابيين. وهاري يعرف أصلاً أن الرجل مجنون، ولكنه بات الآن يرى مقدار هذا الجنون؛ وكذلك رفاق مادوكس.

وقـــف مادوكس وتحدث بنبرة عالية، "وبوصفنا من قدامى المحاربين في فييتنام، ســـأقول لكم، سنستردّ أيضاً شرفنا الضائع عندما يزحف جنودنا نحو سايغون وهانوي من غير أن تنبس الصين أو غيرها ببنت شفة".

نظــر باين مادوكس إلى زملائه الأربعة وأنهى كلامه بالقول: "بالنسبة إلينا، إن عــدم شــنّ حرب نووية - ومواصلة حربنا ضدّ أعدائنا بالأسلحة التقليدية والوسائل الدبلوماســية، وخسارة الأرواح والأموال في هذه المعركة، وإطالة أمدها من غير أن يلوح نصر واضح في الأفق - خطأ من الناحية الأخلاقية. فنحن نملك الوسائل اللازمة لإنهائهــا بطــريقة سريعة، وحاسمة، وقليلة الكلفة باستخدام الأسلحة التي في حوزتنا أصــلاً. إن عدم استخدام هذه الأسلحة ضدّ أشخاص لن يتورّعوا عن استخدامها ضدّنا لو أمكنهم ذلك، سيكون انتحاراً قومياً، وحماقة استراتيجية، وإهانة للتفكير الفطري". ثم جلس في مقعده.

ساد الغرفة صمت مطبق. نظر هاري إلى الوجوه من خلال الضوء الخافت وقال فــي نفــسه: "أجــل، إنهم يعرفون بأنه مجنون، ولكنهم لا يأبهون طالما أنه يعبّر عما يفكرون فيه".

أشــعل بــاين مــادوكس ســيجارة وقال: "حسناً، دعونا نتحدث الآن عن المدن الأميركية التي يلزم التضحية بها، وكيف ومتى سنقوم بذلك".

القسم 5

يوم السبت

نورث فولك، لونغ أيلاند

ناسو بوينت، لونغ أيلاند، الثاني من أغسطس/آب 1939
أف دي روزفلت، رئيس الولايات المتحدة،
البيت الأبيض، واشنطن العاصمة

سيدي... ربما بات في الإمكان إطلاق تفاعل تسلسلي نووي باستخدام كتلة كبيرة من اليورانيوم تُنتج مقادير هائلة من الطاقة وكميات ضخمة من العناصر الجديدة الشبيهة بالراديوم، والتي بواسطتها عزيزي الرئيس، يمكن إطلاق قوة تدميرية هائلة.

– ألبرت آينشتاين

الفصل 11

بعـد تـناول العـشاء فـي المطعم العائم، توجهتُ وكايت بواسطة السيارة نحو **أوريـنت بويـنت** عند الرأس الشرقي لنورث فولك في لونغ أيلاند. كانت السماء قليلة الغيوم، ولكن كان في مقدوري رؤية النجوم التي نادراً ما أراها في مانهاتن.

إن نورث فولك عبارة عن أرض رملية جرفتها الرياح، ومكان جميل على نحو غيـر مألـوف، محـاط بلونغ أيلاند ساوند من الشمال، وخليج غاردينر من الجنوب، والمحيط الأطلسي من الشرق.

بما أن المياه المحيطة تختزن حرارة الصيف، يتميّز فصل الخريف هناك بدفء غيـر عـادي بالنـسبة إلى خط العرض الذي تقع عنده. في الواقع، كان هذا المناخ المحلّـي، وربمـا بالإضـافة إلـى الاحتباس الحراري بوجه عام، السبب في ظهور الأراضـي المـزروعة بالكرمة حديثاً، والتوسع الكبير في السياحة، وهو ما غيّر من طبيعة الأرض.

فـي طفولتي، كنت أقضي فصل الصيف هنا برفقة والديّ مع العائلات الأخرى القوية والأقل ثراءً والتي لا يمكنها تحمل تكاليف الإقامة في هامبتون، أو التي أرادت على وجه الخصوص تجنّب الزحمة في هامبتون.

أحـد هؤلاء الأشخاص الأقوياء كان ألبرت آينشتاين، الذي أمضى فصل الصيف هـنا فـي مكان يسمى ناسو بوينت سنة 1939. وبما أنه لم يكن يوجد الكثير ليفعله، فعلـى الأرجح توفّر لديه الكثير من الوقت ليفكّر. ولذلك في أحد الأيام، ونـزولاً عند إلحـاح علماء فيزياء آخرين، كتب رسالة إلى فرانكلين روزفلت - والتي باتت تسمى ***رسالة ناسو بوينت*** - نصح الرئيس فيها بقوة بالمضي نحو صنع قنبلة نووية قبل أن يصنع النازيون قنبلتهم. والباقي، كما يقولون، تاريخ.

بالعودة إلى المناخ المحلّي والطقس الدافئ، قلت لكايت: "ما رأيك في السباحة؟"

نظرت إليّ وقالت: "إنه شهر أكتوبر/تشرين الأول يا جون".

قلت: "ينبغي علينا الاستفادة من الاحتباس الحراري قبل أن يقوم بذلك كل شخص آخـر. فـي غـضون عشر سنوات، سيكون هذا المكان مليئاً بأشجار النخيل بدلاً من

الكرمة، وسيأتي الآلاف من الناس إليه في شهر أكتوبر/تشرين الأول للاستمتاع بأشعة الشمس".

"إذاً، لنعد إلى المكان بعد عشر سنوات لكي نسبح".

واصلت سيري شرقاً سالكاً الطريق 25، وهو طريق يرجع إلى الحقبة الاستعمارية كان يُعرف سابقاً بطريق الملك عندما كان البريطانيون هنا قبل الثورة. وعلى امتداد الطريق، كنت أرى المرتفعات الواقعة إلى الشمال، كان في إمكاني رؤية البيوت القديمة المصنوعة من الألواح الخشبية البيضاء والمنازل الصيفية التي بُنيت حديثاً من خشب الأرز والزجاج. لم أرغب يوماً في أن أصبح ثرياً، ولكنني أفكر بين الحين والآخر في بدء ثورة جديدة بحيث أتمكن من الاستيلاء على منزل صيفي في وسط الماء لأحد سماسرة البورصة. أعني أنني سأعيده له في بضع سنين، ويكون الجميع قد استفاد من التجربة.

اقتربنا من أورينت بوينت، وكان أمامنا محطة المركب الذي ينقل المسافرين إلى نيو لندن، وكونتيكيت، والمدن التي وراءها، والمنطقة المحصورة حيث يصل المركب الحكومي إلى مركز أمراض الحيوانات فائق السرّية في بالم أيلاند.

حملني هذا بالطبع على التفكير في ذلك الصيف عندما كنت أتعافى في هذا المكان من جراحي التي أصبت بها من جرّاء تعرّضي لإطلاق نار، وعملت في التحقيق في جريمة غريبة مزدوجة فيما كان يُفترض بي مراقبة الجراح التي أحدثتها الرصاصات ريثما تلتئم. كما تورّطت في علاقة مع سيدة اسمها **إيما وايتْستون** والتي لا أزال أفكر فيها كثيراً.

نتيجة لهذه الأحداث، تورّطت في علاقة أيضاً مع سيدة اسمها بيث بينروز التي كانت تعمل تحرّية في القسم الجنائي في المقاطعة على تلك القضية - تعرفت على بيث قبل أن أتعرّف على كايت، أو ربما تعرّفت عليهما في وقت واحد - ولذلك لا آتي على ذكر بالم أيلاند واسم بيث بينروز كثيراً عندما أتحدث عن القضايا القديمة مع كايت.

كما أنه أثناء عملي على تلك القضية، التقيت أولاً بالسيد تيد ناش من وكالة الاستخبارات المركزية، وكان لهذا اللقاء تأثير عميق في حياتي، وفي حياته أيضاً كما تبيّن فيما بعد. فقد انتهت حياته قبل حياتي، ولذلك لم يعد يفكّر فيّ كثيراً، بالرغم من أنني لا زلت أفكّر فيه بين الحين والآخر.

في انعطاف غريب آخر للقدر، تعرّف تيد ناش على كايت قبل أن أتعرّف عليها، وأنا على اعتقاد بأنه كان بينهما شيء قبل تعرّفي عليها. ولذلك، أعيش في بعض

الأحيان في هذه الرؤيا الخيالية بأن ناش نجا من حادثة انهيار مركز التجارة العالمي، وأنني التقيت به مجدداً. ثم تتواصل هذه الرؤيا الخيالية على شكل مواجهة شفهية أنتصر فيها بالطبع، وتليها مواجهة بدنية - بدون سلاح - حيث ألقيه من حافة جرف، أو من ناطحة سحاب، وأحياناً أنهش رقبته، ثم أراقبه وهو ينتفض.

سألتني كايت، "ما الذي تفكر فيه؟"

استفقت من أحلام اليقظة وأجبت "في مقدار جمال هذا العالم".

سألتني "ما هو اسمك الذي ذكرته لي؟"

"كوني لطيفة، أنا أحاول أن أكون في مزاج جيد... لا يهم الاسم".

"جيد. دعنا نذهب إلى فندق بي أند بي ونقضي ليلتنا معاً".

انعطفت بالسيارة على الفور كما لو أنها باتت تسير على دولابين على الطريق المهجور وزدت من السرعة.

"خفف سرعتك".

رفعت قدمي قليلاً عن دوّاسة البنزين. وكما يقول المثل القديم، "النساء بحاجة إلى سبب لقضاء أمسية رومانسية، أما الرجال فيحتاجون إلى مكان. وبناء على ذلك، انعطفت بسرعة عندما وصلت إلى لافتة تقول منتزه أورينت بيتش العمومي.

"إلى أين أنت ذاهب؟"

"إلى مكان رومانسي".

"جون، دعنا نذهب إلى فندق بي أند..."

"هذا أقرب".

"هيا يا جون. أنا لا أرغب في القيام بذلك في العراء".

أنا لا آبه إلى المكان الذي أقوم فيه بذلك طالما أنني أقوم به. وقلبي يشير بوضوح إلى هذا الطريق.

واصلت السير في طريق ضيّق مظلم ثم زدت السرعة عندما وصلت إلى نباتات البردي والعشب البحري في شبه جزيرة ضيقة. اتسعت الأرض، ورأيت فسحة بين النباتات في جهة اليسار فانعطفت نحو مسار ينتهي عند الماء. استخدمت الدفع الرباعي، وواصلت سيري في أرض تنتشر فيها برك الماء إلى أن وصلنا إلى شاطئ رملي صغير في خليج غاردينرز.

أطفأت المحرّك، ونزلنا من سيارة الدفع الرباعي، ونزعنا أحذيتنا وجواربنا، ومشينا على حافّة الماء.

كان في إمكاننا رؤية ساحل بلام أيلاند الموحش شرقاً، وغاردنرز أيلاند في الجنوب، حيث لا تزال عائلة غاردنر تقيم منذ القرن السابع عشر، وحيث يقال إن القرصان **كيد** دفن كنزه، وهو أمر ربما يكون صحيحاً، ولكن أبناء العائلة لا يتحدثون عن الموضوع.

في مكان أبعد جنوباً ظهرت أضواء هامبتونز حيث يملك المصطافون كنزاً أغلى من الكنوز التي يمكن لأي قرصان أن يأمل بسرقتها من خلال عمليات السلب والنهب.

غيرت الموضوع وقلت: "هيا نسبح بالعراء". نزعت سترتي وألقيتها على الرمال.

لمست كايت الماء بإبهامها وقال: "إنها باردة".

"إنها أكثر دفئاً من الهواء". ثم نزعت قميصي وسروالي. "هيا". تجرّدت من ملابسي التحتية ونزلت إلى الماء. كان جسمي أشبه بعجينة باردة.

لاحظت كايت ذلك وقالت: "ربما كنت بحاجة إلى تبريد". ثم دفعتني وقالت: "هيا يا طرزان".

حسناً، كانت تلك فكرتي، ولذلك استحضرت ما قرأته في كتيّب بولار بير الخاص بالسباحة في شهر يناير/كانون الثاني في المحيط الأطلسي في كوني أيلاند، فأطلقت صيحة تخثّرُ الدم، وركضت نحو المياه، ثم غصت فيها.

اعتقدت أن قلبي توقف عن الخفقان، ولكنني بقيت في الماء لأطوال فترة ممكنة، ثم رفعت رأسي وقلت لكايت: "سيكون الأمر على ما يرام حالما تنزلين إلى الماء".

"هذا جيد. ابقَ في الماء، وسأذهب إلى فندق بي أن بي. إلى اللقاء".

صرخت "كنت أعتقد بأن عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي أقوياء. أنتِ جبانة".

"وأنت غبي. اخرج من الماء قبل أن تموت من البرد".

"حسناً، لقد تشنجت عضلاتي..." غصت في المياه، ثم أخرجت رأسي مجدداً، وبصقت الماء وصحت "النجدة".

"هل تمزح؟"

"النجدة".

سمعتها تقول: "اللعنة"، أو ربما قالت: "اغرق". ثم نزعت ملابسها، وأخذت نفساً عميقاً وركضت نحو الماء إلى أن وصل إلى مستوى خصرها، ثم غاصت في الماء، وبدأت تسبح نحوي.

مـــلأتُ رئتـــيّ بالماء وطفت على ظهري، ونظرت إلى السماء الرائعة. اعتقدت بأنني رأيت كوكبة الفرس الأعظم من خلال الغيوم المتفرّقة.

اقتربت كايت منّي حتى مسافة بضعة أمتار وقالت: "أيها الأخرق؟"

"عفواً؟"

"إذا كنت لا تغرق الآن، فستغرق في غضون دقيقة من الآن".

"أنا لم أقل إنني أغرق". ثم قلت لها عومي على ظهركِ، وسأريكِ كوكبة الفرس الأعظم".

"لا يمكنني أن أصدق بأنك فعلت ذلك. أنا أتجمد من البرد".

"المياه أكثر دفئاً من.."

وضعت يدها على وجهي ودفعتني أسفل الماء، وأبقتني تحته ولمدة طويلة.

سبحت أسفل الماء، ثم صعدت إلى السطح خلفها. توجهتْ نحو الشاطئ مباشرة. وعندما صعدتُ، كانت تسبح في دائرة وهي تحاول أن تبصر في الظلام.

صرخت "لقد عضضتُ للتو قرشاً أبيض".

التفـــتت إلـــيّ وتلفظت بالكثير من الكلمات غير اللطيفة. ولكنني سمعت الكلمتين "أخرق، أبله".

قلت: "حسناً يكفي غزلاً، سأعود إلى الشاطئ، هل تنوين البقاء في الماء؟"

امتنعت عن الردّ، وتوجهت نحو الشاطئ بسرعة.

كانـــت تسبح بسرعة، ولكنني لحقت بها، وتسابقنا لنرى من سيصل إلى الشاطئ أولاً. أعـــتقد بأننا متنافسان للغاية، وهذا ما يبقي علاقتنا مثيرة جداً. كما أن أحدنا كان أحمـــق لـــم ينضج بعد، بخلاف الآخر، وبذلك صار كل واحد منّا متمّماً للآخر، مثل سعدان ذكر ضخم ومدرّبته الأنثى.

علـــى أيـــة حـــال، أعتقد بأن كايت كانت غاضبة منّي، ولذلك تركتها تصل إلى الـــشاطئ قبلـــي. وعـــندما مشينا على الشاطئ، كانت تجفف بدنها بسروالي وسترتي الرياضية.

أحسست ببرد شديد بعد أن خرجت من المياه مع هبوب نسمة هواء باردة جعلت أسناني تصطك. قلت لها: "كان الأمر منعشاً".

لم أسمع أي جواب.

حاولـــت اتـــباع مقاربـــة أخرى فقلت: "هاي، أنتِ سبّاحة فعلاً". ثم سألتها، "هل ترغبين في قضاء أمسية رومانسية؟"

كانت تجمع ملابسها ولم يبدُ أنها سمعتني.

"كايت، مرحباً".

التفـــتت إليّ وقالت: "لم يسبق أن صاحبت في حياتي رجلاً يبدو ناضجاً، ولكنه بهذه الطفولية، وهذا الغباء، وهذا الطيش، وهذا التهوّر، وهذا..."

أردت أن أقاطعها فقلت: "إذن، أعتقد بأن ذلك يعني أن فشل العلاقة أمر مستبعد".

"ماذا تقول، هل تمزح؟"

"حسناً، اعتقدت بأنكِ قلتِ بأن..."

"لا تتكلم معي".

"لا بأس".

هكذا، وقفنا على الشاطئ، بدون ملابس، أعني كانت تبدو جميلة جداً بالرغم من شعرها المبلل وشفتيها الزرقاوين. كانت تنظر إليّ أيضاً، وعرفت بأن الدفء عاد إليها بالرغم من درجة حرارة الهواء. التفتت إليّ وقالت: "قل أنا آسف".

قلت: "أنا آسف".

عدنا إلى سيارة الدفع الرباعي، وأدارت كايت المسخّن عند أعلى درجة. غادرنا المنتزه العمومي، ثم توجهنا غرباً نحو فندق بي أند بي.

قالت كايت: "إذا أُصبت بالتهاب رئوي، سيكون الذنب ذنبك".

"أنا أعرف. أنا آسف".

"اعتقدت بأن قرشاً عضّني".

"أنا أعرف. كان ذلك عملاً أخرق. أنا آسف".

"وينبغي عليك ألاّ تدّعي الغرق أبداً".

"أنا أعرف بأنه عملٌ لا يُغتفر. أنا آسف".

"أنت أخرق تماماً".

"أعرف ذلك".

هكـــذا ســـلكنا الطريق الموحش، ونحن نمسك بيديْ بعضنا، ونستمع إلى محطة إذاعية من كونتيكيت تبثّ أغانٍ لجوني ماثيس، ونات كسنغ كول، وإيلاّ فيتزجيرالد.

وصـــلنا إلى فندق بي أند بي، وبدا أن المفتاح الغبي لا يعمل، كدت أُسقط الباب أرضاً، ولكن كايت تمكنت من فتحه، وصعدنا السلالم كمراهقَين.

وفي النهاية يمكنني أن أقول أن حماماً ساخناً بعد...، أفضل من ممارسة الـــ... في الخليج البارد.

القسم 6

يوم السبت

شمال ولاية نيويورك

إن أميــركا، بالــتعاون مع اليهود، هي زعيمة الفساد وانحلال القيم، سواء أكـان ذلك فساداً أخلاقياً، أم إيديولوجياً، أم سياسياً، أم اقتصادياً. إنها تنشر الكراهية، والمجون بين الناس عبر وسائل الإعلام الرخيصة.

– سليمان أبو غيث
متحدث باسم أسامة بن لادن

الفصل 12

بقـــي أعضاء المجلس التنفيذي، وهاري مولر صامتين، فيما كان مادوكس يجمع أفكـــاره. ثـــم بـــدأ مـــادوكس حديثه فقال: "أولاً، نحن بحاجة إلى وضع إطار زمني **للمشروع الأخضر**. الحقائب النووية..." وأشار إلى الحقيبة التي في وسط الغرفة "... بحاجة إلى صيانة دورية لضمان انفجارها وتحقيق أفضل النتائج المرجوّة. لكن العملية معقدة جداً، لأننا مضطرون إلى التعامل مع مادّة البلوتونيوم، ولكن الأخبار الجيدة هي أن لـــديّ عالماً فيزيائياً نووياً يقوم بهذه المهمة اسمه **ميخائـــيل**، وهو روسي يعمل في أميركا. لقد اتصلت به وسيأتي إلى هنا غداً. وبحلول مساء الغد، وفي حال لم نصادف أية مشكلات، سنضع الأجهزة على نار حامية".

ســـأل سكوت لاندسايل "هل يعرف ميخائيل أي شيء عن **المشروع الأخضر**؟ أو عن خطة **عاصفة النار**؟"

"بالطـــبع لا. فهو يعتقد أن هذه القنابل سوف تُزرع في مدن في الشرق الأوسط، وهو ما يبدو أمراً منطقياً بالنسبة إليه. وهذا كل شيء يحتاج إلى معرفته".

"وأين هو الآن؟"

"إنه يعيش في الساحل الشرقي، ويعمل في إحدى الجامعات الأميركية. وهذا كل ما تحتاجون إلى معرفته". وأضاف مادوكس "إنه يعرف بأن الأمر ملحّ". وابتسم قائلاً: "فـــي مقابـــل خمـــسين ألف دولار ثمناً للزيارة، أعتقد بأنه سيأتي إلى هنا على جناح البرق".

سأل لاندسايل "وهل تثق بهذا الرجل؟"

"لـــيس تماماً. ولكنني عرضت عليه مبلغ مليون دولار في حال انفجرت القنابل الـــنووية علـــى أن يتم احتساب نسبة المبلغ بناء على عدد القنابل التي تنفجر والنتائج التقريبية التي تترتب على انفجارها". وأضاف، "يملك ميخائيل حافزاً قوياً".

ســـأل لاندسايل "وعندما تنفجر القنابل في المدن الأميركية - بدلاً من أن تنفجر في الشرق الأوسط - كيف ستكون ردّة فعل ميخائيل حيال ذلك؟"

"ليس لديّ أدنى فكرة. وهل لذلك أهمية؟"

"وماذا سيحصل لميخائيل بعد أن تنفجر القنابل؟"

قال مادوكس: "أنت تطرح الكثير من الأسئلة يا سكوت".

"أنا شديد الحذر من الناحية الأمنية، لأنه تراودني فكرة تثير قلقي وهي أن ميخائيل قد يعمد إلى شرب الكثير من شراب البطاطا الروسي والإفصاح لشخص ما عن أنه يعمل بدوام جزئي في صيانة قنابل نووية في نادي كاستر هيل".

"ليس في نيتي حصول ذلك".

"هل هذا يعني أنك تعتني بميخائيل؟"

نظر مادوكس إلى أعضاء المجلس الثلاثة الآخرين، ثم قال للاندسايل ورفاقه: "لا تقلقوا بشأن ذلك".

أصغى هاري مولر إلى مناقشة الحاضرين لفكرة قتل الشاهد. فإذا كان ميخائيل، الذي أحيط علماً بجزء من العملية، سيتم الإجهاز عليه، فلن يتوفر لديه، أي لهاري مولر، أدنى فرصة للنجاة، وهو الذي يعرف بأنها قريبة من الصفر على أية حال.

قال مادوكس: "من الواضح أن العملية أصبحت على المسار السريع منذ الزيارة غير المعلَن عنها للتحرّي مولر، ولكنني لا أرى سبباً يمنعنا من تنفيذ **المشروع الأخضر** في الأيام القليلة القادمة". نظر إلى لاندسايل وقال: "أيها السادة، في الحقيقة نحن مجبرون على المضي قدماً، ولا خيار أمامنا سوى ذلك".

قال بول دان، مستشار الرئيس: "باين، أعتقد أن بإمكاننا إخفاء تلك القنابل النووية إلى أن يحين الوقت المناسب".

"الوقت المناسب هو الآن يا بول. فأنا أعتقد - بناء على معلومات وصلتني مؤخراً - بأنه يوجد أشخاص داخل الحكومة بدأوا يشكون في شيء، ويتعين علينا المضي في المشروع قبل أن يأتوا إلى هنا. وبالتالي، ينبغي أن توضع هذه القنابل في أماكنها في غضون يوم أو يومين، وعليك أن تعود إلى واشنطن وتكون قريباً من الرئيس بحيث إننا عندما نطلق **المشروع الأخضر**، يطلق الرئيس **عاصفة النار**". ثم وجه مادوكس سؤاله إلى دان، "ما هو جدول أعمال الرئيس ليومي الاثنين والثلاثاء؟"

نظر دان إلى ورقة أمامه وأجاب، "سيكون الرئيس في البيت الأبيض يوم الاثنين صباحاً، يوم كولومبوس، ثم يسافر إلى ديربورن بولاية ميتشيغان، ويصل إلى مطار مقاطعة أوكلاند قرابة الساعة الثالثة والنصف. فقد بات يفصلنا عن يوم الانتخابات أقل من ثلاثة أسابيع، كما تعرف، ولذلك سيلقي الرئيس خطاباً دعماً لديك بوثوماس المرشح لمنصب حاكم ولاية ميتشيغان. ثم ينتقل في موكب سيارات إلى ريتز كارلتون في ديربورن حيث سيلقي خطاباً في حفلة عشاء لدعم ثاديوس ماكوتر المرشح

لعـــضوية الكونغـــرس في المقاطعة. ثم يغادر على متن الطائرة الأولى لسلاح الجو، ويـــتوقع وصوله إلى قاعدة رايت باترسون الجوّيّة عند الساعة العاشرة مساءً تقريباً، ومن ثَمّ ينتقل بواسطة الطوافة إلى البيت الأبيض، ويصل إلى ساوث لون عند الساعة العاشرة والنصف تقريباً".

فكّـــر مادوكس في الأمر ثم قال: "ربما يكون يوم الاثنين، يوم كولومبوس، يوماً يقرّر الإرهابيون الإسلاميون فيه تفجير قنابل نووية في المدن الأميركية".

قال بول دان: "باين، لا أعتقد بأن يوم عطلة، لجملة من الأسباب المتنوعة، يوماً جـيداً لــ... للقيام بذلك". وشرح وجهة نظره فقال: "فمن ناحية، لا أنا ولا إيد سنكون مـــع الـــرئيس عـــندما يسير في الطريق يوم الاثنين، كما لن يكون سكوت في البيت الأبيض أيضاً". ونظر إلى لاندسايل لكي يؤكد صحة ما قاله.

قال سكوت لاندسايل: "سأكون في نـــزهة مع رفاقي، وسأمارس لعبة الكرة اللينة يوم الاثنين".

ضحك مادوكس وقال: "حسناً إذاً، علينا تأجيل شنّ الهجوم النووي على أميركا". ثـــم تـــوجّه بحديثه إلى إدوارد وولفر وقال: "ربما سنحتاج إلى بعض المعلومات عن **الجيب** لمساعدتنا على اتخاذ هذا القرار".

أومـــأ وولفـــر برأسه موافقاً وقال: "ربما تعرفون جميعاً قليلاً من التفاصيل عن **الجـيب**؛ أي خطـــة الإخـــلاء الطارئة المشتركة. كانت الخطة تستدعي أثناء الحرب الـــباردة نقـــل الـــرئيس ومجموعة مختارة من الضباط العسكريين والقادة السياسيين بأقـــصى ســـرعة ممكـــنة – بواســـطة السيارات أو الطوافات – إما إلى قاعدة رايت باترســـون أو إلى المطار الوطني، أيهما أقرب إلى المكان الذي يكون الرئيس متواجداً فـــيه. وفـــي المطـــار المعني، تكون هناك طائرة نفاثة من طراز إي – 4 بي جاهزة للإقـــلاع متـــى تلقّت إشارة بذلك. وهذه الطائرة تسمى مركز القيادة الوطنية الطارئ المحمـــول جواً، **نيسب**، واسمها الرمزي **كاينيكاب**، ويشار إلى الطائرة أحياناً بطائرة يوم الحساب".

نظـــر وولفـــر إلـــى الجالسين في الغرفة وقال: "سيصطحب الرئيس كرة القدم الـــنووية معه بالطبع، وفي إمكانه شنّ هجوم انتقامي من مركز القيادة المحمول جواً". وأضـــاف "لكن طرأت بعض التعديلات على ***الجيب وكاينيكاب*** بعد 11 سبتمبر/أيلول، والتـــي تـــدخل حيّز التنفيذ عندما لا يُستخدم في الهجوم على أميركا صواريخ بالِستية عابـــرة للقارّات. فإذا تبين أن الهجوم من عمل إرهابيين، فمن المفترض أنه لن يتوفر لـــنا تحذير قبل عشر أو خمس عشرة دقيقة توفره هذه الصواريخ لنا، وعندها سيكون

ممكناً تفجير قنبلة نووية مخبّأة في واشنطن في أية لحظة. ولذلك سيكون الردّ مختلفاً؛ سيكون الرئيس بحاجة إلى الصعود إلى طوافة المارينز الجاثمة في حديقة البيت الأبيض بأسرع ما يمكن، حيث تنقله إلى مكان آمن بعيد عن واشنطن التي ستكون بالطبع هدفاً محتملاً للإرهابيين".

قال مادوكس: "حسناً، نحن نعرف بأنها لن تكون واحدة من المدن على لائحة أهدافنا لأسباب واضحة تتعلق بالبقاء الوطني". وابتسم قائلاً: "ناهيك عن أنكم ستكونون هناك جميعاً أيها السادة عند الساعة صفر. ستبدون جميعاً أبطالاً عبر مكوثكم في مكاتبكم عندما ينتشر الذعر والارتباك الذي سيلي انفجار القنابل النووية. وستكونون بحاجة - إيد، وبول، وسكوت - إلى التأثير في الأحداث".

قال وولفر: "في الحقيقة، سبق أن قمنا بذلك عبر الضغط من أجل إدخال هذا التعديل في الخطة **جيب**. فطائرة المارينز تفتقر إلى الأجهزة المتوفرة في الطائرة الأولى لسلاح الجو أو الطائرة إي - 4 بي التي يمكن أن تتعامل مع أحجام كبيرة من الاتصالات وأنواع معينة من الرسائل المشفرة، وبالتالي ستستهلك إجراءات الإخلاء جزءاً كبيراً من الوقت الفاصل بين الهجوم والردّ عليه، ويقل احتمال تلقّي الرئيس أية رسائل أو حصوله على نصيحة سيئة قد تحمله على التفكير في التدخل لوقف تنفيذ خطة **عاصفة النار**". وختم وولفر كلامه بالقول: "إن الوقت الذي يمضيه الرئيس في طوافة المارينز فترة أقل من مثالية من أجل ممارسة القيادة، والسيطرة، وإجراء الاتصالات".

رد مادوكس بالقول: "هذا وقت مثالي لنا". ثم سأل بول دان، "إذاً، ما هو جدول أعمال الرئيس ليوم الثلاثاء؟"

أجاب دان "سيبقى الرئيس في البيت الأبيض طوال اليوم. وسيستضيف عند الساعة الثانية من بعد الظهر مؤتمراً يُعقد في البيت الأبيض يعالج موضوع ملكية الأقليات للمنازل السكنية. وسيمضي ما تبقى من النهار في المكتب البيضاوي. وسيتناول عشاءه مع أصدقاء، ومجموعة مختارة من الموظفين، والسيدة الأولى". وأضاف دان، "ينبغي أن يعمل سكوت حتى وقت متأخر من ذلك اليوم في مكتبه الواقع في الجناح الغربي، وينبغي أن يكون إيد قريباً بقدر الإمكان من وزير الدفاع طوال اليوم، وينبغي أن يكون جيم في البنتاغون ويتابع تحرّكات أعضاء هيئة أركان الحرب المشتركة". وختم دان حديثه بالقول: "وسأكون على طاولة العشاء في البيت الأبيض".

بدا أن مادوكس غرق في أفكاره، ثم قال: "حسناً، يبدو أن الثلاثاء هو أفضل يوم لإطلاق **المشروع الأخضر**. وهذا يوفر لنا فسحة لإنجاز ما ينبغي إنجازه". وشرح ما

عناه بالقول: "أولاً، ينبغي أن يحضر ميخائيل إلى هنا، وربما يحتاج إلى بعض الوقت لـصيانة القـنابل الـنووية. ثانياً، عليّ أن أتأكد من أن طائرتي ستكون هنا وجاهزة للإقلاع. ثالثاً، أنا بحاجة إلى تشغيل مولّدات الكهرباء التي تعمل بالديزل لإمداد هوائي التـردد شديد الانخفاض بالطاقة. ثم ينبغي التحقق من جهاز الإرسال الذي يعمل على التردد شديد الانخفاض، وسأقوم بذلك بنفسي... ثم أعالج المسائل المتعلقة باللوجستيات الخاصة بالرحلتين إلى المدن المستهدفة".

أصغى هاري إلى مادوكس، ولكنه لم يكن واثقاً من الحديث الذي يسمعه، بالرغم من أن الآخرين كانوا على علم بما قاله.

واصـل مـادوكس حديثه فقال: "إذاً، لنقل أن الوقت هو في الساعات الأولى من مـساء يوم الثلاثاء. أنا أعرف بأن الرئيس يخلد إلى النوم في وقت مبكر، وأنا لا أريد إيقاظه من سريره ووضعه في طائرة المارينـز وهو لا يزال بالبيجاما". ابتسم قائلاً: "ولنفتـرض بأنه أثناء ساعة العشاء، سيكون بول والسيدة الأولى مع الرئيس، وهو ما سـيجعل عملية الإخلاء بالطائرة أسهل على الجميع. وسأقوم أنا بتحديد الوقت الدقيق لذلك، وتمريره إلى سكوت وإيد اللذَين سيعملان حتى ساعة متأخرة من ذلك المساء في مكتبيهما". ونظر إلى الجنرال هاوكنـز وقال: "وأنت يا جيم ستعمل حتى وقت متأخر في البنتاغون".

أومأ هاوكنـز برأسه موافقاً.

خـتم مـادوكس كلامـه بالقول: "إذاً يا سادة، سيبدأ العالم الجديد مساء يوم الـثلاثاء، أي بعد ثلاثة أيام وثلاث ساعات تقريباً من الآن. وستبقون جميعاً على اتـصال. وأنـت يـا سـكوت ستعمل على تهدئة الوضع بالإعلان عن أنك تمتلك معلـومات أكيدة تفيد بأن المدن التي تعرّضت للهجوم النووي ستكون الوحيدة التي تعاني من هذا المصير".

أومـأ لاندسـايل برأسه موافقاً وقال: "سأبذل كل ما في وسعي، ولكن بات هناك العديد من الناس الذين يثقون بوكالة الاستخبارات المركزية هذه الأيام".

"لقـد حملـك البيت الأبيض على الاعتقاد بوجود أسلحة دمار شامل في العراق، وأنا بالمناسبة لا أعتقد بوجودها هناك".

ابتسم لاندسايل وأجاب، "قد تكون موجودة وقد لا تكون. وعلى أية حال، ستكون حقبة ما بعد **عاصفة النار** موضع النقاش، وهذا أمر جيد للجميع".

أومـأ مادوكس برأسه، ونظر إلى وولفر وقال: "كيف تدخل خطة **عاصفة النار** حيّز التنفيذ فعلاً؟ اشرح لنا ذلك؟"

أجــاب إدوارد وولفـــر، "بعـــد التبليغ عن تعرّض مدينة أميركية أو أكثر لهجوم بأســـلحة الـــدمار الشامل، والذي سيكون في هذه الحالة بالأسلحة النووية، والتأكد من الخبـــر، يبعث وزير الدفاع برسالة مشفّرة إلى كولورادو سبرينغز يقول فيها ببساطة: أطلـــق **عاصفة النار**، مع عبارة تليها تفيد بمستوى الردّ؛ اللائحة **ألف** أو اللائحة **باء**". ثـــم نظر إلى الجالسين حول الطاولة وقال: "إذا تعرّضت واشنطن نفسها للدمار، و/أو إذا لـــم يتبلّغ الرئيس أية رسالة من وزير الدفاع، فسوف تبدأ خطة **عاصفة النار** على أية حال".

لـــم يـــدلِ أحـــد بـــأي تعليق، ولذلك واصل وولفر كلامه فقال: "إن الإجراءات البـــروتوكولية والاحتـــرازية شـــبيهة بتلك الخاصة بالخطة ***مـــاد*** بالرغم من أن خطة عاصـــفة الـــنار أسرع إلى التنفيذ من ***ماد***، وهذه من الحالات النادرة التي ينتصر فيها المنطق البديهي. وبعبارة أخرى، حالما يعرف الناس في كولورادو سبرينغز – من أي مـــصدر موثوق – بأن مدينة أميركية تعرّضت لهجوم نووي، يقومون بإرسال رسالة مـــشفّرة إلى صوامع الصواريخ التي ستُستخدم في الردّ في خطة **عاصفة النار**، وإلى مركـــز العملـــيات البحرية في نورفولك وبيرل هاربور، واللذين سيتصلان بدورهما بأســـطول الغواصـــات. وســـيتم إصـــدار أمـــر قبل الإطلاق إلى صوامع الصواريخ والغواصـــات، لأن خطة **عاصفة النار** تشترط توفر فترة فاصلة مقدارها ثلاثون دقيقة بين مرحلة ما قبل إطلاق الصواريخ ولحظة إطلاقها".

نظـــر وولفـــر إلـــى الجالـــسين حول الطاولة وقال: "وفي هذه الأثناء، سينتظر الأشخاص الذين يعملون في كولورادو سبرينغز وصول أية رسالة مشفرة من الرئيس ربما تعدّل الخطة أو تلغيها".

قال لاندسايل: "كنت أعتقد بأنه لا يمكن للرئيس إلغاء الردّ **بعاصفة النار**".

أجـــاب وولفـــر، "يمكنه ذلك، ولكن فقط في حال توفرت له دلائل كثيرة وقاطعة تفيد بأن الهجوم النووي لم ينطلق من أراضٍ إسلامية. وأمامه ثلاثون دقيقة فقط لحسم قـــراره. وفي حال كان على متن طوافة المارينـــز في طريقه إلى موقع آمن، تصبح الفرصـــة ضـــئيلة لتلقّيه مثل هذه المعلومات. وكما تكلمنا سابقاً، هناك افتراض قوي مـــسبق بتوجيه الاتهام إلى الإرهابيين الإسلاميين، وخصوصاً بعد 11 سبتمبر/أيلول. فـــي الواقع، ستبدو بصمات أصابع تنظيم القاعدة على هذه القنابل النووية. وفي غياب أي دلـــيل آخـــر، يفيد بأن كوريا الشمالية هي من أطلق الهجوم مثلاً، أو إقدام إحدى الجماعـــات المحلّية على إشعال **عاصفة النار**، مع أن ذلك بعيد الاحتمال، فستستهدف **عاصـــفة الـــنار** أرض الإســـلام. من الناحية العملية، نحن نطلق النار أولاً ثم نطرح

الأسئلة بعد ذلك". وأضاف "إذا كنّا مخطئين في تحديدنا لمصدر الهجوم، نكون قد حققنا هدفاً هاماً على أية حال".

قال مادوكس: "فهمت من بول أن الرئيس لن يسعى إلى إلغاء خطة **عاصفة النار**".

أجاب بول، "جرى إطلاع الرئيس مجدداً على المعلومات المتعلقة **بعاصفة النار** بعد هجمات 11 سبتمبر/أيلول مباشرة، وفي مناسبة حديثة في الذكرى السنوية الأولى لتلك الهجمات. ويبدو أنه مرتاح للخطة، ويفهم أن كل ما ينبغي عليه القيام به هو عدم القيام بشيء".

قال وولفر: "إذا لم تتلقَ كولورادو سبرينغز رسالة من الرئيس بعد ثلاثين دقيقة، فهذا الصمت يعني أمراً بشنّ الهجوم. ولذلك، لنقل إننا في غضون ساعة على الهجوم النووي على أميركا، نكون قد سحقنا بردّنا النووي أولئك المسؤولين عن الهجوم".

قال لاندسايل: "آمل بألاّ يحدث ذلك، لأننا نحن المسؤولون".

لم يرَ مادوكس في ذلك أي دعابة وقال: "كلا يا سكوت، الإرهابيون الإسلاميون هم المسؤولون في النهاية عن دمار بلادنا". وأضاف "فهم لا يزالون يعبثون معنا منذ وقت طويل، وإذا لعبت بالنار، فستُحرق إشعاعياً".

علّق لاندسايل على ما سمع بالقول: "لنفترض أي سبب يريحك". ثم سأل مادوكس، "ما هي العمليات اللوجستية التي ينبغي القيام بها لإيصال تلك القنابل النووية إلى أماكنها؟"

أجاب مادوكس، لديّ طائرتا سايتايشون نفاثتان، وهما ليستا هنا في هذه اللحظة بكل أسف، ولكنني اتصلت بالطيارين، وستصل الطائرتان إلى مطار أديرونداك. يوم غد أو يوم الاثنين على أبعد تقدير، عندما يقول لي ميخائيل بأن القنابل باتت جاهزة، يقوم الطيارون ومساعدوهم بنقل الحقائب الأربع على متن سيارتي جيب إلى المطار وتحميلها في الطائرتين". ثم نظر مادوكس إلى الحقيبة السوداء وقال: "إنها تسمى حقائب تفجيرية، ولكن كما ترون، إنها لا تشبه أي شيء رأيتموه من أميركان تورستر أو سامسونايت. ولذلك، قبل أن يراها عامة الناس، سنضع كل واحدة منها في حقيبة كبيرة خاصة بالملابس مع قفل مصنوع من الفولاذ الكربوني. ثم يتوجه الطيارون ومساعدوهم إلى مدينتين مختلفتين حيث يستقلّون سيارات تاكسي تنقلهم إلى الفنادق المحددة – ومعهم حقائبهم – وينتظرون تلقي المزيد من التعليمات".

سأل لاندسايل، "هل يمكنك الوثوق بهؤلاء الأشخاص؟"

أجـــاب مـــادوكس، "إنهم يعملون لديّ منذ وقت طويل، وجميعهم من العسكريين السابقين، وسينفذون الأوامر".

"وهل سيتم إبلاغهم عن الوقت الذي ينبغي عليهم فيه مغادرة غرفهم؟"

أجاب مادوكس، "لسوء الحظ، سيكونون داخل غرفهم عندما تنفجر الحقائب. من البديهـــي أنهـــم لا يعرفون أي شيء عن محتوياتها، ولكنهم يعرفون أنها تحتوي على أشياء قيّمة، ولا يمكن أن تُترك بدون حراسة".

أصغى هاري مولر إلى كل ما جرى في المناقشة. كان قد فقد القدرة على متابعة إحصاء عدد القتلى قبل فترة، وبات يعرف الآن بأن فرص خروجه من المكان حيّاً قد انخفضت بضع نقاط تحت الصفر.

مدّد هاري رجليه المصفدتين، ثم وضع قدمه على السلسلة. أدرك بأنه لن يتمكن مـــن كـــسرها، ولكنّ يديه كانتا طليقتين، وعلى افتراض أنه لا يوجد رجل مسلح في الغرفة، فقد يتمكن من الخروج عنوة. نظر هاري إلى الباب خلسة، ثم إلى النوافذ التي أُسدلت عليها الستائر.

لاحظ مادوكس حركات هاري وخاطبه قائلاً: "هل سبّبنا لك الشعور بالملل؟ هل لديك مكان تنوي الذهاب إليه؟"

قال هاري: "عليك اللعنة".

قال بول دان: "باين، إننا لم نعد بحاجة إلى بقائه هنا وقتاً أطول من ذلك".

أجـــاب مادوكس، "أخشى أن هذا هو أفضل مكان للسيد مولر في الوقت الحالي. فنحن لا نريد أن يتحدث إلى الحرّاس ويزعجهم بحديث مجنون عن قنابل نووية". نظر إلى مولر ثم خاطب الآخرين "طلبت إحضار مادّة مهدئة إلى هنا، فالسيد مولر بحاجة إلى البقاء نائماً حتى يوم الثلاثاء".

لـــم يعلّـــق أحد على ما قاله مادوكس باستثناء هاري الذي قال للرجال الأربعة الآخرين: "هذا المعتوه عازم على قتلي. هل تفهمون ذلك؟"

لم يجب أحد منهم أو ينظر إلى هاري باستثناء سكوت لاندسايل الذي ربت على كتف هاري وقال: "لن يصيبك أحد بمكروه".

دفع هاري يد لاندسايل بعيداً وقال: "أنتم جميعاً قتلة ملاعين".

قاطعـــه مادوكس قائلاً: "هاري، أنت غاضب بدون سبب. ربما أنت بحاجة إلى أخذ مسكّن الآن. أو ربما ترغب في إغلاق فمك، وتسمع باقي القصة؟"

لـــم يجـــب هاري، وقال مادوكس لمجلسه التنفيذي: "كما سبق أن أشرت، سيبقى الطيارون ومساعدوهم في مراكزهم، وفي وقت معين من يوم الثلاثاء، عندما يخبرني

بـول بـأن الـرئيس والسيدة الأولى يتناولان طعام العشاء في البيت الأبيض، سأقوم بتـشغيل جهـاز الإرسال الذي يعمل بتردد شديد الانخفاض، وأرسل إشارة من ثلاثة أرقام تفجّر الحقائب النووية الأربع. وفي هذه الأثناء، يكون الرئيس قد انتهى من تناول طبق السلطة، ووصلته الأخبار الرهيبة، لتبدأ الساعة بالعدّ مؤذنة بإطلاق **عاصفة النار** فـيما ينتقل الرئيس والسيدة الأولى بواسطة الطوافة إلى مكان آمن". وسأل "هل جرت تسمية أي منكم لكي يتم إخلاؤه معه؟"

أجاب بول دان: "أنا، ولكن فقط في حال كنت في مكان قريب منه".

أجـاب مادوكس، "حسناً، لا يمكنك أن تكون أقرب إليه أكثر من أن تكون على طاولة العشاء معه".

ابـتلع الجنرال هاوكنـز ريقه وقال لمادوكس: "أعرف أننا سبق أن تحدثنا عن الأمكـنة التي ستوضع القنابل فيها، ولكن بما أن الوقت مناسب، أرغب في معرفة ما يجول في خاطرك بالتحديد. فقد ذكرت مدينتين، ولكن يوجد لدينا أربع قنابل نووية".

أجاب باين مادوكس، "كما ذكرت سابقاً، إنها أسلحة ذات مفعول متدنّ، وربما لا تفضي إلى النتائج التي نرجوها. ولذلك، بعد التشاور مع ميخائيل، وضعت خطة لزرع قنبلتـين في كل من المدينتين. وبالتالي، في حال لم تنفجر إحدى القنبلتين، تكون هناك قنـبلة أخرى نعتمد عليها. وفي حال أدّى الانفجار إلى أعظم النتائج، نكون قد حصلنا على انفجار أجمل".

نظـر إلـى الجالـسين حـول الطاولـة وقال: "لنفترض مثلاً أننا اخترنا سان فرانسيـسكو لـتكون المديـنة الأولى، سوف يحجز الطيارون في فندق ومعهم إحدى الحقيبتـين، فـيما يحجز الطيارون المساعدون في فندق قريب ومعهم الحقيبة الثانية. والآن، لديـنا مركـزان للانفجار، يقع كل منهما ضمن شعاع التدمير الكامل للمركز الآخـر، بحيث إنه في حال انفجرت إحدى القنبلتين، فسوف تسحق الفندق الذي توجد فـيه القنـبلة الثانـية. ولهذا الأمر أهمية بالغة لأنه ينبغي ألاّ يتم العثور على قنبلة لم تنفجـر، مـع طيار مذهول، في غرفة في فندق يمكن أن توصل مسار التحقيق إليّ. وبعـبارة أخرى، سيؤدي أحد الانفجارين إلى محو الدليل على وجود قنبلة محتملة لم تنفجر، وقتل الطيار، في المكان الآخر". وأضاف "إذا لم تنفجر القنبلتان، فسوف أتصل بالطيارين وأزوّدهما بتعليمات إضافية".

سأل الجنرال هاوكنـز، "ما مدى إمكانية الاعتماد على هذه القنابل؟"

أجاب مادوكس، "أكّد لي ميخائيل أن احتمال انفجار كل من هذه القنابل يزيد على التسعين في المئة. وفي ما يتعلّق بالفعالية القصوى للانفجار، فإننا لن نتمكن من معرفة

مقــدارها إلاّ بعد حدوثه. وكما سبق أن قلت، إنها قنابل قديمة يعود تاريخ صنعها إلى العـــام 1977 تقريباً. وبما أنها قنابل نووية صغيرة، فهي أكثر تعقيداً من رأس حربي ذرّي بقــوة واحــد مــيغا طــن على سبيل المثال. ولكن ميخائيل أجرى لها عمليات الصيانة، وقال لي بأن تصميمها جيد وأن أجهزة التفجير والمحتوى من البلوتونيوم في حالة ممتازة".

قـــال الجنرال هاوكنـــز: "يعتبر ميدان الأسلحة، والأسلحة النووية بشكل خاص، أحد الميادين التي برع فيها السوفيات". وابتسم مضيفاً، "أثناء الحرب الباردة، كنّا نتندّر بالقول إنه لا داعي لأن نقلق بشأن الحقائب النووية السوفياتية لأن السوفيات لا يملكون التكنولوجيا اللازمة لصنع حقيبة".

ابتـــسم بعض الحاضرين، ونظر مادوكس إلى الحقيبة وقال: "لا يبدو أنها سيئة". ثــم ضحك ونظر إلى الرجال الجالسين حول الطاولة وقال: "والآن، ربما كان أصعب قــرار علينا اتخاذه – القرار الذي لم يسبق أن ناقشناه بالتفصيل – وآن أوان مناقشته، هــو تحديد المدينتين الأميركيتين اللتين سنحتاج إلى التضحية بهما لكي تصبح أميركا والعالم خاليين من الإرهاب الإسلامي؟"

الفصل 13

ضغط باين مادوكس على زرّ من أزرار لوحة المفاتيح، فحلّت خريطة الولايات المتحدة محلّ خريطة العالم الإسلامي. قال مادوكس: "انسوا أنكم أميركيون، وضعوا أنفسكم في مكان الإرهابيين الإسلاميين. أنتم قادرون على تدمير مدينتين أميركيتين. فما هما هاتان المدينتان؟"

أشعل مادوكس سيجارة، وراقب دخانها وهو يتصاعد أمام الخريطة المضاءة للولايات المتحدة، ثم قال: "حسناً، سأبدأ أولاً. لو كنت إرهابياً إسلامياً، سيكون خياري الأول نيويورك وخياري الثاني واشنطن. ولكنني لست إرهابياً إسلامياً، وبالتالي فإن واشنطن ليست على لائحة أهدافنا. كما أن نيويورك لن تكون على لائحتنا أيضاً لأن فيها أسواق الصرف، وهي على قدر عظيم من الأهمية بالنسبة إلى الاقتصاد العالمي، إضافة إلى حقيقة أنني أعتقد بأنه يوجد لدينا جميعاً، وكذلك السيد مولر، أصدقاء وعائلات في منطقة نيويورك".

قال لاندسايل: "ولا تنسَ الشقة التي في بارك أفنيو يا باين".

أجاب مادوكس، "لديّ العديد من الأرصدة في عدة مدن يا سكوت. وهذا ليس أحد اعتباراتي. فالشيء الوحيد الذي سنفكر فيه هم أحباؤنا الموجودون في المدن التي سنستهدفها. وربما سنحتاج إلى إخراج بعض الأشخاص من مدينة مستهدفة تحت ذريعة معينة. ولكننا سنتغاضى عن ذلك إذا اضطُررنا".

سأل لاندسايل، "أين تقيم زوجتك السابقة؟"

أجاب مادوكس بنبرة تنمّ عن انزعاجه، "في بالم بيتش. وهي ليست هدفاً إسلامياً محتملاً لهجوم نووي".

ابتسم لاندسايل وقال: "لو كنت أدفع نفقة زوجتك، لكنت دافعت بقوة عن استهداف المنطقة التي تقيم فيها".

قال مادوكس: "حسناً، أعتقد بأنه ينبغي علينا استثناء كافة مدن الساحل الشرقي من لائحة الأهداف المحتملة، لأن أي انفجار نووي في أي مدينة تقع على امتداد ممر بوسطن – بالتيمور ستكون له عواقب خطيرة على الاقتصاد الوطني، وهذا أمر ينبغي

علينا أن نتجنّبه. ومن ناحية أخرى، وكما قلت سابقاً، نحن بحاجة إلى أن نوجِد انطباع بأنه هجوم إسلامي".

أصغى هاري مولر إلى الرجال الخمسة فيما كانوا يتباحثون في أمر المدينتين الأميركيتين اللتين ينوون استهدافهما. في هذه المرحلة، بدو أشبه برجال أعمال يفكرون في إقفال مصنع في هذه المدينة أو تلك. وبدا الأمر أبعد ما يكون عن الحقيقة لدرجة أن هاري نفسه بدأ ينسى ما كانوا يتحدثون عنه حقيقة.

قال باين مادوكس: "أعتقد بأنه ينبغي التفكير جدّياً في ديترُويت. فهذه المدينة ميتة على أية حال، وتضم عدداً كبيراً من السكان المسلمين، وهي قريبة جداً من كندا التي أصبحت أكثر ميلاً إلى السلام وشوكة اشتراكية في خاصرتنا. ويمكن أن يكون ذلك إشارة جيدة لحلفائنا الكنديين".

أجاب إدوارد وولفر، "ربما تكون ديترويت في أعلى لائحة أهدافنا، لكن بالنظر إلى الأسباب التي سبق أن أشرتَ إليها يا باين، ينبغي ألاّ تكون في قمّة أية لائحة لجماعة إسلامية إرهابية".

"أنا أعرف ذلك، ولكنها هدف مغرٍ للغاية".

قال لاندسايل مذكّراً مادوكس: "فكّر كما لو كنت إرهابياً مسلماً. أنا أقترح ميامي التي تضم عدداً كبيراً من السكان اليهود. وبالرغم مما للمدينة من أهمية اقتصادية بالنظر إلى المرفأ الموجود فيها، ورغم أنها تعتبر مقصداً للسياح، ففي إمكاننا العيش بدونها". وأضاف "في إمكاننا توجيه ضربة استباقية إلى بعض الناخبين المترددين قبل أن يحين موعد الانتخابات القادمة".

ضحك البعض. ولكن بول دان قال: "توجد جالية كوبية كبيرة في ميامي وهي تدعم كثيراً... بعض سياسات الإدارة". وأضاف "سيكونون بمثابة عون لنا عندما نتصدّى للمشكلة الكوبية".

أومأ الجميع برؤوسهم تعبيراً عن موافقتهم، ثم قال الجنرال هاوكنز: "أقترح استهداف عالم ديزني. ألم تصدر تهديدات إسلامية ضدّ عالم ديزني؟" ونظر إلى الطاولة الهادئة وقال: "إنها هدف مثالي. فليس هناك صناعة، ولا قيمة اقتصادية أو عسكرية حيوية. كما أنها بعيدة عن المراكز السكانية..."

نظر باين مادوكس إلى الجنرال هاوكنز وقال: "هل تقترح بأن نقتل ميكي ماوس؟" فضحك الجميع.

أضاف مادوكس، "ميني، غوفي، ما هي الأسماء الأخرى؟ أنت متوحش يا جيم، ناهيك عن الأطفال الموجودين هناك. إننا لسنا وحوشاً".

لـم يكـن هـاري مولـر متأكداً تماماً من صحة ذلك. ولكن صورة هؤلاء الأشـخاص لا تـتطابق مـع صـورة الرجال المضطربين نفسياً أو اجتماعياً، أو المجانـين والعنيفـين. بـدا بالنسبة إلى هاري، إن هؤلاء أشخاص شبه طبيعيين، ومـثقفون، وناجحـون، ويعملـون في وظائف جيدة، ولديهم عائلات، وأصدقاء، وأشـخاص يجلّـونهم. وأقرب شبه لهؤلاء الأشخاص هم أفراد الجيش الجمهوري الأيـرلندي. فغالبيـتهم طبيعـيون، ولكنهم مشبعون بالكراهية والحماسة لقضيتهم. ولهذا السبب، لم يرتكبوا أي شيء خطأ، على غرار ذلك الشخص الذي ينتمي إلى الجيش الجمهوري الأيرلندي الذي استجوبه مرّة والذي طلب طبقاً من سمك الطون كوجبة غداء لأنه كان يوم جمعة في فترة الصوم الكبير. وكان قد قتل شرطيَّين بدم بـارد فـي بلفاست. إن أمثال هؤلاء الأشخاص أكثر إثارة للرعب من المجرمين الذين يتسكعون في الشوارع.

كان باين مادوكس يتحدث قائلاً: "شيكاغو في غاية الأهمية بالنسبة إلى الاقتصاد الأميركـي. ولذلك، لديّ ثلاثة مدن مرشحة وهي: لوس أنجلوس، وسان فرانسيسكو، و**لاس فيغاس**. سدوم، وغومورا، و.."

قال لاندسايل على سبيل المساعدة: "بابل".

"شـكراً لـك. أولاً سان فرانسيسكو. صحيح إن لها بعض الأهمية الاقتصادية، ولكن الأهم من ذلك حقيقة أن هذه المدينة تزداد فساداً، وقد أصبحت بثرة ممتلئة قيحاً فـي قفا أميركا. وهي مرتع يساري قذر للانحراف الجنسي، ومعاداة القيم الأميركية، والإصلاح السياسي، والنـزعة الانهزامية، وسياسة التهدئة".

قال لاندسايل: "لِمَ لا تخبرنا عن رأيك في سان فرانسيسكو؟"

تجاهله مادوكس وسأل، "هل يمكن لأي من الحاضرين المجادلة ضدّ وضع سان فرانسيسكو على لائحة الأهداف؟"

أجاب إدوارد ولفر قائلاً: "حسناً، لدي اعتراض. فمن ناحية تعيش ابنتي هناك، بالرغم من أنه يمكنني السفر إليها في الغد بحجة زيارة مريض من أفراد العائلة. وهي أيـضاً مدينة جميلة من الناحية المعمارية. وأنا أعتقد بأن سان فرانسيسكو ستكون، في أميـركا الجديدة، أشبه بمختبر اجتماعي، لأنه سيكون من المشوق معرفة كيفية تفاعل المديـنة مـع تدمير مدينتين أميركيتين، وما سيلي ذلك من تدمير لمعظم أجزاء العالم الإسلامي".

فكّـر الجميع في الأمر، ثم قال مادوكس: "أنا لست مهتماً بالتفاعل، بل أنا مهتم أكثر بزوالها عن الوجود".

قال بول دان: "هذا موقف أناني ومتحامل يا باين. إننا لا نناقش رأيك الشخصي في سان فرانسيسكو والتي لن تكون في أعلى قائمة أهداف المتطرفين الإسلاميين. فنحن نعلم بأنه لم تصدر أية تهديدات لتلك المدينة".

أجاب مادوكس، "ولماذا ينبغي أن تكون هناك تهديدات؟ لو كنت إرهابياً إسلامياً، أو ماركسياً، أو أسامة بن لادن نفسه، فإن آخر مدينة في العالم يمكن أن أهددها هي مدينة سان فرانسيسكو الصديقة".

قال وولفر: "وهذا بالضبط السبب الذي يدعونا إلى عدم اعتبارها هدفاً".

بدا مادوكس مغتاظاً لأن بعض حججه تُستخدم ضدّه. ضرب بيده على الطاولة وقال: "ستكون سان فرانسيسكو على لائحة الأهداف النهائية".

سأل لاندسايل، "هل تترأس الاجتماع يا باين، أم تتولّى إدارته؟"

أخذ مادوكس نفساً عميقاً وأجاب، "أنا أعتذر عن أسلوبي في الإدارة. ولكن هذه ليست لجنة حكومية، بل هي مجلس تنفيذي بحاجة إلى اتخاذ بعض القرارات السريعة الصعبة والنهائية. إن إسهاماتكم قيّمة، والأعمال التي ستقومون بها يوم الثلاثاء لا غنى عنها من أجل نجاح تنفيذ خطة **عاصفة النار**. في حين أنني بحاجة إلى إجماع، فإننا بحاجة إلى الوضوح وحسّ الاتجاه أيضاً". وأضاف "وكما كتب فريدريك نيتشه، 'الشكل الأكثر شيوعاً للغباء الإنساني هو نسيان المرء ما يحاول أن يقوم به'".

قال لاندسايل: "شكراً لك. أعتقد بأننا نعرف ما نحاول أن نقوم به؛ إشعال حرب نووية من جانب واحد عبر توليد انطباع بأننا تعرّضنا لهجوم. وينبغي ألاّ يكون ذلك صعباً جداً". وأضاف "إذا كنت تذكر، هناك العديد من الأشخاص الذين اتهمونا بتدبير الهجوم على مركز التجارة العالمي وعلى البنتاغون، وبالتالي في إمكاننا الثأر منهم. فقد فهموا الفكرة وإن كانوا مخطئين في ذلك الحين. أما الآن، فسيكونون محقّين. ولكننا بحاجة إلى اختيار الأهداف الصحيحة، على أمل ألاّ يعتقد أحد – في غضون الساعات الأولى على الأقل – بأننا من نفّذ الهجوم بحيث نتمكن من النيل منهم. إذاً، لنكن منطقيين وأذكياء في اختيار أهدافنا". وابتسم قائلاً: "هذا ما كان سيقوله نيتشه".

تجاهل مادوكس هذه الإشارة وقال: "المدينتان التاليتان اللتان ينبغي التفكير فيهما هما لوس أنجلوس و**لاس فيغاس**. دعونا نبدأ بلوس أنجلوس أولاً. إنها مركز اقتصادي، ولكن المدينة من الضخامة بحيث لا أعتقد بأن انفجار قنبلتين نوويتين بقوة خمسة كيلو طن سيحدث أضراراً كبيرة أو نزوحاً سكانياً أكثر مما تحدثه إحدى هزاتها الأرضية أو أعمال الشغب الدورية فيها. ولذلك، أودّ أن أستهدف على وجه التحديد منطقة هوليوود وبيفرلي هيلز. هل يتوجب عليّ ذكر الأسباب؟"

قال الجنرال هاوكنــز: "أعتقد بأننا جميعاً متفقون على هذه المدينة".

أومـــأ مـــادوكس برأســـه قـــائلاً: "ولا تنسوا أنه صدرت تهديدات محددة جداً، وصـــدرت بـــيانات عامـــة عن مجاهدين إسلاميين توعّدوا فيها هوليوود. ويبدو أنهم ينظـــرون إلى المكان على أنه موطن الفساد الأخلاقي. وهذا لا ينمّ عن تفكير ليبرالي، وأنا محرج من الاعتراف بأنني أتفق معهم في الرأي".

ضحك البعض بشكل خافت.

نظـــر مـــادوكس إلى ملاحظة موضوعة على الطاولة وقال: "هناك رجل اسمه ســـليمان أبو الغيث، وهو متحدث رسمي باسم بن لادن قال: 'إن أميركا، بالتعاون مع اليهود، هي زعيمة الفساد وانحلال القيم، سواء أكان ذلك فساداً أخلاقياً، أم إيديولوجياً، أم سياســـياً، أم اقتصادياً. إنها تنشر الكراهية، والمجون بين الناس عبر وسائل الإعلام الرخيـــصة'". وأضاف مادوكس "هناك كلمة مفقودة في الترجمة، وأنا أعتقد بأنه كان يتحدث عن هوليوود".

وهنا أيضاً صدرت بعض الضحكات الخافتة.

ضـــغط مادوكس على بعض الأزرار فظهرت خريطة لوس أنجلوس على الشاشة. قال مادوكس: "هذه منطقة عمرانية ممتدّة، وإذا ركزنا على هوليوود..." وبعد أن كبّر قسماً مـــن الخريطة أضاف "وبيفرلي هيلز المجاورة. ويمكننا أن نرى بأنه بالكاد يتداخل شعاعا انفجـــاري القنبلتـــين. وهذا ما يشكل مشكلة في حال لم تنفجر إحدى القنبلتين وأمكن تعقّب آثارها وصولاً إلينا. ولكنني أعتقد بأنه ينبغي علينا المجازفة لأن المكافآت عظيمة جداً".

قال بول دان: "أعتقد بأن ذلك سيرتدّ علينا بطريقة أو بأخرى. باين، سيكون لدينا مركـــزان لانفجـــارين يمكـــن تحديدهما بأنهما فندقان، وفي وقت ما، سيحصل مكتب التحقـــيقات الفيدرالـــي علـــى لائحة بأسماء كافة الأشخاص الذين نـــزلوا في الفنادق الموجـــود هناك. وفي النهاية، ستكشف لوائح النـــزلاء في الفنادق الأربعة عن أسماء طيّاريك، وستكشف التحقيقات المتعمقة عن مسارات رحلاتهم والمطارات التي هبطوا فـــيها. وأنا لا أعتقد بأن مكتب التحقيقات الفيدرالي، أو وكالة الاستخبارات المركزية، سيعتبران ذلك من قبيل المصادفة".

فكّر مادوكس للحظة، ثم نظر إلى هاري مولر وقال: "ما رأيك يا هاري؟"

"أعتقد بأنكم جميعاً فقدتم عقولكم اللعينة".

"نحن نعرف ذلك. ولكنني أبحث عن رأي شخص محترف". وأضاف، "أرجوك".

تردد هاري ثم قال: "لو كنت أعمل على هذه القضية، لما كنت سأحتاج إلى أكثر مـــن أسبوع واحد لكي أجمع تفاصيل الحادثة بأجمعها. فأنت تبدأ من مسرح الجريمة؛

أي الفندقين اللذَين تم تحديدهما على أنهما مركزا الانفجارين، ثم تنتقل إلى لائحة النزلاء التي يتم الاحتفاظ بها في حاسوب احتياطي موجود في مكان آخر، ثم تبدأ بتحليل تلك اللوائح إلى أن تصل إلى رابط معيّن".

سأله مادوكس "هل سيختلف الأمر لو حجز الطيارون بأسماء مزيفة واستخدموا بطاقات اعتماد مزورة؟"

"أجل ولكن..."

"حسناً، هذه هي الخطة إذاً يا هاري، هذه هي الخطة يا بول. أنا لست بهذا الغباء".

رفع هاري من سقف التحدّي وقال: "هل من المصادفة أن لديك طائرتين هبطتا في مدينتين وقعت فيهما انفجارات نووية، وأنك فقدت طيّاريك الأربعة بعد تلك الانفجارات؟"

أجاب مادوكس، "هل تعرف عدد المصادفات التي توفرت في مبنيَيْ مركز التجارة العالمي؟ المخاطرة إن وجدت هي في احتمال تعقب مجرى الأحداث وصولاً إلينا. لكن مع مقتل مليون شخص، يصبح الأمر مقبولاً وغير ذي أهمية. هل تعرف؟ إذا جاء عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي وقرعوا بابي، فعلى الأرجح أنهم سيقدّمون لي التهاني".

لم يكن هاري يفكر على هذا النحو، ولكن لم يعلّق على ذلك.

أضاف مادوكس، "وفي حال استنتج مكتب التحقيقات الفيدرالي، أو أي شخص في الحكومة، بأن لنادي كاستر هيل علاقة بهذه الهجمات التي استهدفت أميركا والتي أدّت إلى إطلاق **عاصفة النار**، هل تعتقد بأنهم سينشرون ذلك الخبر في العالم؟ ماذا سيقولون؟ 'إننا آسفون، لقد ارتكبنا خطأً بسيطاً'. ويلي ذلك بالطبع تعبير عن الأسف على مقتل مئتي مليون مسلم، واعتذار صادق إلى الناجين المصعوقين، مع وعد بألاّ يحدث ذلك ثانية".

بدا الكلام منطقياً في نظر الجميع، وقال مادوكس: "دعونا نكمل مناقشتنا. لقد أجريت بعض الأبحاث المتعلقة باستهداف لوس أنجلوس، وقرّرت بأن أفضل فندقين يمكن أن يحجز فيهما الطيارون ومساعدوهم هما بيفرلي ويلشير في بيفرلي هيلز، وفندق هوليوود روزفلت". وأضاف "سأحجز غرفة لهم في كل من الفندقين باستخدام بطاقات اعتماد مزيفة، مع الطلب بأن تكون الغرفة في الطابق العلوي، وهو ما سيوفر مطلاً أفضل، علماً بأنه سيكون أفضل ارتفاع للتفجير. كما أنه كلما ارتفعت أكثر، كلما قلّ احتمال تمكّن فريق **نست** المتجول من التقاط أية آثار لأشعة غاما أو النيوترونات".

ثم نظر إلى هاري وسأله، "هل هذا صحيح؟"

أجاب هاري "أجل، لا تقلق بشأن ذلك يا باين. ففرق **نست** عديمة النفع على أية حال. هل تذكر؟"

ضحك لاندسايل من بين كافة الموجودين.

بدا أن مادوكس كان على وشك قول شيء لا يسرّ هاري، ولكنه تابع حديثه وقال: "إذا كانت حساباتي صحيحة، وإذا أطلقت القنابل النووية أقصى قدر ممكن من الطاقة، ينبغي أن تتداخل حلقات التدمير. والدمار الكلّي أو الجزئي الذي سيلحق ببفرلي هيلز سيخلّصنا من عدد من النجوم السينمائيين غير الموهوبين، ومدراء استديوهات التصوير الذين يتقاضون أجوراً مرتفعة، وغيرهم من الأغنياء الذين يقتنون سيارات الليموزين". ثم سأل بطريقة منمقة، "ما رأيكم في ذلك؟"

علّق لاندسايل بالقول: "آمل ألا تكون ديمي مور يومها في المنطقة".

ردّ مادوكس، "سأعطيك خريطة لنجوم هوليوود يا سكوت. حسناً، إن منطقة الدمار الثانية تشمل العديد من المنشآت الخاصة بصناعة الأفلام، بما في ذلك استوديوهات بارماونت، واستوديوهات وارنر، إضافة إلى استوديو المحطة التلفزيونية أي بي سي. وكمكافأة إضافية، توجد مقرّات سكرين أكتورز غيلد ضمن المنطقة المستهدَفة". وقال: "أعتقد أننا سنشاهد أشرطة الدي في دي القديمة والأفلام السينمائية المعادة لفترة من الوقت".

ابتسم عدد من الحاضرين بأدب.

قال بول دان: "تعدّ سان فرانسيسكو واحدة من أكثر المدن أهمية في البلاد إذ إن عدد سكانها يزيد على خمسة عشر مليون نسمة. وفي حال فجّرت قنبلتين نوويتين لتدمير هوليوود وبيفرلي هيلز، فقد يُحدث ذلك فوضى وحالة ذعر في المدينة. ويمكن أن يعمد الملايين من الناس إلى الفرار، وستكون النتيجة كارثية".

أجاب مادوكس، "يا بول، أنت تضع مسحة تشاؤمية على كل شيء. كن إيجابياً. فكّر في حل مشكلة الغرباء غير المسجلة أسماؤهم". وأضاف، "جميعهم يعرف الطريق المؤدّية إلى المكسيك".

أجاب دان، "هذه إشارة عرقية".

أبدى مادوكس إشارة تنمّ عن ندم ساخر وقال: "أنا آسف جداً. أنا أتفهم وجهة نظرك. في الواقع أنا أملك مخزوناً نفطياً ضخماً ومنشآت لتكرير النفط في جنوب لوس أنجلوس. ولكنني متفائل من أن الأمور ستعود إلى طبيعتها في غضون عام. والأهم من ذلك أن الإسلاميين يريدون فعلاً تدمير هوليوود. ولذلك فإن هذا الهدف على لائحة أهم المدن المستهدفة".

أومأ الجميع برؤوسهم.

واصل مادوكس حديثه فقال: "أخيراً وليس آخراً، **لاس فيغاس**". ثم ضغط على بضعة أزرار فظهر مشهد جوّي **للاس فيغاس** التُقط ليلاً على الشاشة. قال مادوكس: "بالنسبة لي، إنها هدف مثالي، فهي وكر لانعدام المساواة يعجّ بالمخدرات، وأرض خالية من الأخلاق، ويسكنها فنّانون غشاشون، ورجال ملحدون، ونساء خليعات..."

قاطعه لاندسايل، "توقف. فبعضنا يهوى النساء الخليعات".

أجاب مادوكس، "أنا أقدم لكم وجهة النظر الإسلامية". وأضاف "هذه بلدة تضم صناعة واحدة، ومع أنه يُعرف عنّي أني أُقامر في الكازينوهات، ففي مقدوري أن أجد مكاناً آخر أهدر فيه مالي. وعلى أية حال، أنا لا أرى ضيراً في تسوية هذه البقعة بالأرض. فهي بعيدة جداً عن المراكز السكانية، وهي في أعلى قائمة الأماكن المستهدَفة من قِبل الإسلاميين، ولذلك ينبغي أن تكون في قمة لائحة أهدافنا".

أومأ الرجال الأربعة برؤوسهم موافقين.

أزاح مادوكس المشهد نحو مدينة **لاس فيغاس**، تلك الواحة ذات الأضواء المتلألئة والمحاطة بالصحراء المظلمة والتلال السوداء. قال: "في الواقع، ربما يكون هناك جانب اقتصادي إيجابي في هذا المكان. فالمدينة آخذة بالنمو بسرعة، وهي تستهلك الكثير من الكهرباء وكميات أكبر من المياه النادرة".

لم ينطق أحد بكلمة واحدة.

واصل مادوكس حديثه قائلاً: "ما أقترحه عليكم هو وضع حقيبة متفجرة في فندق شاهق على امتداد الشريط – ربما يكون هذا الفندق سيزارز بالاس الذي يقع في وسط الشريط – ووضع حقيبة أخرى في وسط المدينة. وينبغي أن ينتج عن ذلك دمار كافة الكازينوهات، من غير أن تصاب الضواحي المحيطة بأذى". وأضاف، "من المصادفة أن هذه الضواحي يسكنها ناخبون جمهوريون بكثافة". ابتسم، وضغط على مفتاح فانطفأت الشاشة.

أضيئت أنوار الغرفة، وقال مادوكس: "إذاً، أعتقد بأن لدينا ثلاث مدن مرشحة، ويجب اختيار موقعين. هل نبدأ بالتصويت؟"

قال بول دان: "أعتقد بأنه سيكون من الصعب علينا... اختيار مدينتين ستعانيان من دمار نووي. أعني، لقد اخترنا ثلاث مدن، ولكن ربما يكون من الأسهل علينا الاقتراع من أجل المدينتين المعنيتين".

نظر مادوكس إلى كل رجل في الغرفة، فأومأوا جميعاً برؤوسهم. قام بتقطيع إحدى أوراقه الصفراء إلى ثلاثة أجزاء وكتب اسم كل مدينة على كل منها، ثم أخفى

الأسماء بحيث لا يمكن أن يراها أحد، وقال: "إذاً، أنتم لا تعتقدون أنني كتبتُ اسم سان فرانسيسكو مرّتين". وابتسم وطوى الأوراق على شكل أرباع، ووضعها في كوب قهوة فارغ. ثم وضع الكوب في وسط الغرفة وقال: "هاري، اختَر سدوم وغوموراه".

أجاب هاري مولر، "اذهب إلى الجحيم".

"إذاً، دعنا نقوم بالعملية بالطريقة الأخرى؛ اختر المدينة التي لن تُضرب بالقنابل النووية".

"كُلْ بعض القاذورات".

بدا لاندسايل عديم الصبر، وسحب ورقتين ثم أحرقهما بواسطة ولاّعة السجائر، وألقى بهما في منفضته. حدّق الجميع بالمنفضة. وبعد ذلك قال لاندسايل: "هاتان الورقتان تمثلان المدينتين الخاسرتين في اليانصيب النووي الوطني". ثم سحب الورقة المطوية الأخيرة من الكوب وقال: "المدينة التي ستنجو من الدمار النووي هي.."

قال مادوكس: "لا تنظر إليها. ضعها في جيبك وأرِنا إيّاها لاحقاً. فأنا لا أريد من أحد أن يشعر بخيبة أمل، أو ارتباك، أو شرود خلال هذا الاجتماع".

دسّ لاندسايل الورقة التي تحمل اسم المدينة التي ستنجو في جيبه وقال لهاري: "والآن، أنت لا تريد أن تعرف اسمها إلى أن ينتهي كل شيء".

لم يعتقد هاري البتّة بأنه سوف يعرف اسمها.

الفصل 14

أصغى هاري مولر إلى الرجال الخمسة فيما كانوا يبحثون في التفاصيل النهائية للمشروع الأخضر و**عاصفة النار**.

في مرحلة ما، وفي أعماق قلبه، وافق هاري على أن انفجار 122 رأساً حربياً نووياً في الصحراء قد لا يكون أمراً سيئاً. لكن ما أقلقه كان القنابل النووية الأربع التي ستزرع في أميركا، وبدا أنها أزعجت وولفر، وهاوكنز، ودان، ولاندسايل أيضاً. ولكنهم كانوا يتعاملون مع الوضع. سمع مادوكس وهو يقول: "لو كان في مقدوري اختيار الوقت، لكنت أحببت ضرب لوس أنجلوس أثناء حفلة أكاديمي ريواردس".

في الواقع، اعتقد هاري بأن مادوكس يتعامل مع الوضع بشكل جيد جداً.

عاد الجنرال هاوكنز إلى الموضع المفرح الخاص **بعاصفة النار** وقال بشوق: "من قبيل المصادفة أنه وقت احتفال أكاديمي ريواردس، ستكون البحيرة الضخمة خلف السدّ العالي في أسوان قد وصلت إلى أعلى مستوى لها".

أومأ مادوكس برأسه وقال: "حسناً، بفضل السيد مولر، لن نكون بحاجة إلى اختيار الوقت المناسب". ونظر إلى هاري وقال: "بالرغم من أن النجوم، والقمر، والكواكب لن تكون في مواضعها يوم الثلاثاء، فأنا أعتقد بأن وصول السيد مولر إلى هنا كان إشارة بأننا بحاجة إلى الشروع في العملية". وعاد إلى الموضوع وقال: "نحن لسنا بحاجة إلى أن تكون الأمور مثالية لكي نطلق مئات الرؤوس النووية، فهذه الرؤوس ستوجد بنفسها عالمَها المثالي الخاص".

نظر سكوت لاندسايل إلى مادوكس وسأل، "باين، قبل أن تصبح غنياً وذا نفوذ، هل سبق أن استخدم أحد كلمة مجنون في جملة واحدة يرد فيها اسمك؟"

ملأ مادوكس كوبه بالماء ونظر إلى لاندسايل. وأخيراً قال: "في بعض الأحيان، أجد نفسي خارجاً عن السيطرة عندما يُثار موضوع **عاصفة النار**". وأضاف، "إذا نظرنا إلى تاريخ البشرية، من النادر أن نجد لمشكلة عويصة حلاً بسيطاً. ويصبح الأمر أكثر ندرة عندما يضع القدر ذلك الحل في رؤوس وأيدي حفنة من الرجال الطيّبين. وهذا أمر يثيرني".

لم يجب أحد حتى سكوت لاندسايل.

قـــال مـــادوكس: "هـــناك بعض التفاصيل العملياتية الأخرى. أولاً، ينبغي عليكم جمـــيعاً أن تخططـــوا للمغـــادرة يـــوم غد. وسيغادر من تبقى من أعضاء النادي يوم الاثنـــين، كما هو مقرَّر. وقد رتّبت أمر وسيلة النقل التي ستنقلنا لحضور القدّاس في الكنيسة يوم الاثنين".

قال هاري: "أرغب في الذهاب إلى الكنيسة".

نظـــر إليه مادوكس وقال: "ستنام حتى ساعة متأخرة. وهذا ينسجم مع القول إن أحـــداً من الموجودين لن يناقش جدول أعمال هذه الجلسة التنفيذية المغلقة للمجلس مع أي عضو آخر. عليكم أن تتصرفوا بطريقة طبيعية، وتمارسوا أعمالكم كالمعتاد. وكما تعـــرفون، ستيف دايفيز يعيش في سان فرانسيسكو، وجاك هارلو ووالت بوير يعيشان فـــي منطقة **لاس فيغاس**. لا تنظروا إلى أي منهم كما لو كان على وشك أن يموت". وأضـــاف، "فـــي الحقـــيقة، نحن لم نعرف بعد المدينتين اللتين تم اختيارهما، وهو ما سيساعدكم في ذلك".

لم يقل أي من الحاضرين شيئاً.

قـــال مادوكس: "إذا كانت قدرتكم على التمثيل لا ترقى إلى هذا المستوى، قولوا إنكم تتحدثون عن الحرب الوشيكة على العراق، وهي تسبب لكم القلق بالطبع. وأرجو ألاّ تتناولوا الكثير من المشروبات الكحولية. هل اتفقنا؟"

أومأ الجميع برؤوسهم.

واصل مادوكس حديثه قائلاً: "وفي ما يتعلق بوسائل الاتصال، نحن جميعاً نملك هواتـــف خلـــيوية لا يمكن تعقّبها، على غرار الأجهزة التي يحملها تجار المخدرات، وسنقتـــصر علـــى استخدام تلك الهواتف فقط. وكما تعرفون، لديّ برج ترحيل خلوي خـــاص بـــي وجهـــاز لتشويش الصوت. ولكنني سأتصل فقط عندما أكون بحاجة إلى معرفة شيء منكم". وأضاف "جلّ ما أنا بحاجة إلى معرفته يتعلق **بالمشروع الأخضر**، وأنـــا أستطيع متابعة كافة المحطات التي تذيع الأخبار على مدار الساعة". فكّر للحظة ثـــم قال: "في لحظة معينة من ساعة تناول الرئيس عشاءه، ستصبح كل محطة إذاعية وتلفـــزيونية في أميركا – باستثناء تلك الموجودة في المدينتين – محطة تذيع الأخبار على مدار الساعة".

لـــم يقـــل أحد شيئاً، وواصل مادوكس حديثه قائلاً: "وبعد ذلك بحوالى الساعة، أتوقـــع سماع خبر هام عن الردّ الأميركي النووي على الهجمات النووية على أميركا. هل هذا صحيح يا بول؟ إيد؟"

أجاب إيد وولفر: "أجل، سيتم الإعلان عن **عاصفة النار** للأمّة والعالم بأسره. فلا يوجد سبب لإبقاء الخطة سرّاً لأنه سيكون من الصعب إبقاء أمر إطلاق عدد ضخم من الصواريخ ووقوع مئة واثنين وعشرين انفجاراً نووياً سرّاً لفترة طويلة جداً". وأضاف، "في لحظة معينة من ذلك المساء، سيلقي الرئيس خطاباً في الأمّة من مكانه الآمن، ويكشف عن وجود خطة **عاصفة النار**. ونأمل بأن يكون لذلك تأثير مهدّئ في البلاد. وفي حال لم يحقق ذلك، سيكون جيداً في رفع المعنويات الوطنية".

قال باين مادوكس: "حسناً، سيكون جيداً من أجل معنوياتي". وأضاف، "لقد شعر الجميع بالإحباط بعد 11 من سبتمبر/أيلول عندما لم نردّ على تلك الهجمات على الفور. ولكن هذه المرّة، لن يكون في مقدور الأميركيين اتهام حكومتهم بأنها تلتزم الحذر الزائد".

أجاب الجنرال هاوكنز، "هذا صحيح، ولكن هذه المرّة، سنتلقّى الكثير من النقد اللاذع على مبالغتنا في الردّ".

أجاب مادوكس، "هذه المرّة يا جيم، سيلوذ العالم ووسائل الإعلام بصمت مطبق. ولن نسمع حساً".

أومأ أعضاء المجلس برؤوسهم، وكذلك فعل هاري.

قال مادوكس: "لا بدّ وأنها ستكون أمسية مثيرة. سأبقى هنا لإرسال الإشارة ذات التردد شديد الانخفاض والتي ستفجر القنابل". ومرة أخرى، مشى نحو الحقيبة على الأرضية ووضع يده على الجلد الأسود. ونظر إلى كل رجل وقال: "سأضغط يا سادة على الزرّ النووي وهو ما سيدمّر مدينتين أميركيتين بواسطة أربع قنابل نووية. وعندما أقوم بذلك، سأسأل الله المغفرة. وسترون أن **عاصفة النار** قد أُطلقت كردّ انتقامي".

سأله الجنرال هاوكنز، "إلى متى ستبقى هنا بعد يوم الثلاثاء يا باين؟"

عاد مادوكس إلى مقعده وأجاب "لا أدري. لماذا؟"

"حسناً، أنا أفهم بأنه سيكون هناك الكثير من الذعر في أميركا بعد انفجار القنابل النووية في المدينتين. وسيعتقد الناس بأنه إذا كان في حوزة العدو القليل من الأسلحة النووية، فقد يستخدم المزيد منها. وسيبدأ الناس بإخلاء المدن وهو ما سيُحدث حالة من الفوضى، وبعض الإصابات وحالات الوفاة بكل أسف. وأفراد عائلاتنا وأصدقاؤنا عرضة لبعض الخطر... ولا يمكنني ولا أريد الاتصال بالأشخاص الذين أعرفهم في كافة أنحاء أميركا لأطلب إليهم لزوم أماكنهم والمحافظة على هدوئهم. وكل ما يمكننا فعله هو الأمل

بأن الضربة الثأرية – محو الإسلام – ستهدّئ من روع الناس. لكن في هذه الأثناء..."

"جيم، ماذا الذي تنوي قوله؟"

"حسناً، الآن وبعد أن أزفت الساعة، أنا أفكر في... أعتقد بأننا جميعاً نفكر في حقيقة ما سيحدث".

أجاب مادوكس، "أعرف أن الأمر يشكل مفاجأة يا جيم، ولكن هذا من نوع الأعمال التي احتجتَ إلى التفكير فيها بعد 11 سبتمبر/أيلول عندما بدأ التخطيط **للمشروع الأخضر**".

"أجل، أعرف. ولكنني أفكر الآن في أمر بقائك هنا فيما نحن الأربعة في واشنطن، وأصدقاؤنا وعائلاتنا موزعة في كافة أرجاء البلاد التي ستكون في حالة فوضى. أين ستكون عائلتك؟"

"في أي مكان يكونون فيه. وأنا لن أجري أية اتصالات". وأضاف، "فأولادي لا يردون على مكالماتي على أية حال".

"إنه قرارك. ولكنني أعتقد بأنك بحاجة إلى العودة إلى نيويورك في أسرع وقت ممكن بعد التفجيرات".

"لماذا؟"

أجاب هاوكنز، "لمشاركتهم محنتهم يا باين".

"حسناً، سأبذل كل ما في وسعي للذهاب إلى نيويورك بأسرع ما يمكن. ولكنني بحاجة إلى تدمير جهاز الإرسال ذي التردد شديد الانخفاض والتخلّص منه، تحسباً لاحتمال مجيء أحد إلى المكان ومعه مذكرة تفتيش. هذه هي وظيفتي. ووظيفتكم أيها السادة هي البقاء في واشنطن – أو في المكان الآمن المحدد – بغرض التأثير في الأحداث. هل أنتم موافقون؟"

أومأ الجميع برؤوسهم.

نظر هاري مجدداً إلى الرجال الجالسين حول الطاولة. بدا أن الحقيقة تتكشف. ومرّة أخرى، تذكّر المجموعات الراديكالية التي استجوبها في السنوات الماضية. كانوا يتفوهون بكل شيء، لأن غالبيتهم لم تشأ، في أعماق نفسها، تعريض حياتها للخطر بزرع قنبلة، أو إطلاق النار على شرطي، أو سرقة أحد المصارف، أو خطف أي كان. وبين الحين والآخر – عندما يكون المسؤول عنهم واحد من أمثال باين مادوكس – تتحول بعض تفاهاتهم إلى حقيقة. وفي نصف تلك الحالات، يقدم أحد الأفراد في تلك المجموعات على إخبار رجال الشرطة بالخطة، أو تسليم نفسه بعد ارتكاب الجريمة من أجل التوصل إلى اتفاق.

نظر هاري إلى وجوه الحاضرين. ربما يعود أحد هؤلاء إلى رشده، بعد اقتراب موعد التنفيذ، قبل يوم الثلاثاء. فمستشار الرئيس، دان، بدا قلقاً بعض الشيء، وربما يقوم بالوشاية. والجنرال كان متقلقلاً بعض الشيء أيضاً، ولكن هاري يعرف هذا النوع من الرجال؛ سيمضي في هذا الأمر، وربما ينسف دماغه بعد ذلك. أما وولفر، من وزارة الدفاع، فقد بدا ملتزماً بالبرنامج، ولم يكن ليتردّد.

لكن ماذا عن لاندسايل. اعتقد هاري بأن تيد ناش الضابط في وكالة الاستخبارات المركزية، وخصم كوري، قد توفي الآن. وكان كوري قد قال مرّة عن ناش: "أفضل ما يمكنك قوله عن ضابط في وكالة الاستخبارات المركزية هو أنه يكذب على الجميع بالتساوي". لو أن لاندسايل وافق على كل شيء، لكان هاري سيشك في أنه عميل مزدوج. ولكنه أزعج مادوكس كثيراً، وهذا يعني أنه مخلص للبرنامج على الأرجح، حتى وإن لم يكن مخلصاً لمادوكس. اعتقد هاري بأن مادوكس على علم بذلك، ولكن لا بدّ وأنه كان يثق بلاندسايل، وإلاّ لما كان هذا الرجل هنا. في الواقع، كان في مقدور هاري الإحساس بأن لاندسايل يتعامل مع مادوكس بحزم أكثر من باقي الحاضرين.

ثم جاء دور مادوكس نفسه. كان من النوع الذي يملك كل شيء، لكن ثمة أمر كان يدفعه للمخاطرة بكل شيء. لم يكن لهذا الأمر علاقة بالنفط، أو المال، أو السلطة، بل كان متعلقاً بالكراهية، كما هو الحال مع هؤلاء الرجال، وكما هو الحال مع بن لادن، وهتلر، وستالين، وكافة الأشخاص الذين استجوبهم هاري واعتقلهم منذ أن انضمّ إلى وحدة محاربة الإرهاب. كما كان للأمر علاقة بشيء من الجنون أيضاً، وهو الذي يؤدّي إلى الكراهية. أم هل الأمر كما هو من منظورهم؟

نظر مادوكس إلى هاري كما لو أنه عرف بالأفكار القاسية التي تراود هاري تجاهه وقال: "هل ترغب في قول شيء، عدا عليك اللعنة؟"

"أجل، بوصفي ضابطاً فيدرالياً يعمل على تطبيق القانون، أريد أن أذكّر كل واحد منكم بأن التآمر على ارتكاب الجريمة جريمة..."

غير أن مادوكس قاطعه وقال: "نحن نتحدث عن حرب أيها التحرّي مولر، لا عن جريمة. فالجنرالات يضحّون بجنودهم أحياناً - وحتى بالمدنيين - لكي يعيش الجنود الآخرون ويقاتلوا مجدداً".

"كلام فارغ".

لوّح مادوكس بيده تعبيراً عن الرفض وعاد إلى التركيز على أعضاء مجلسه التنفيذي وقال: "أيها السادة، في 11 سبتمبر/أيلول 2001، نفّذ تسعة عشر مختطفاً إسلامياً خطتهم بدون أن يكون لديهم أي سبب وجيه لإلحاق الأذية بنا، وهم ليسوا

بمنـــزلتكم أيها الرجال الجالسون حول هذه الطاولة. لم يتخلّف منهم أحد، أو يبلّغ عن الآخرين، ومضوا بإرادتهم إلى حتفهم. أنا لا أسأل أياً منكم أن يضحّي بحياته، وجلّ ما أســـأله هو ألاّ تكون أذيتنا لأعدائنا أقل شدّة من أذيتهم لنا". وختم كلامه قائلاً: "إذا كان في مقدورنا القيام بذلك، فإنه يتعين علينا القيام بذلك".

أومأ القليل من الحاضرين برؤوسهم.

قـــال مادوكس: "أرغب من كل واحد منكم في هذه المرّة قول 'موافق' أو 'غير موافق' على **المشروع الأخضر**". ونظر إلى مساعد وزير الدفاع وقال: "إيد؟"

وقـــف إيـــد وولفـــر وقال: "يا سادة، إن ما نوشك أن نقدم عليه يتطلب شجاعة وعـــزيمة، ونحن لا نعاني من نقص فيهما هنا. إنني أعتقد أن كل واحد منّا يعرف من صـــميم قلـــبه أن ما نقوم به ضروري وصواب". وأضاف، "هذا ليس وقتاً للتفكير في أنفسنا وفي المخاطر الشخصية التي نتحملها. إنه وقت العمل من أجل بلادنا؛ كما يفعل رجالـــنا ونساؤنا الذين يخدمون في القوات العسكرية كل يوم". وختم قائلاً: "أنا أصوّت لصالح تنفيذ **المشروع الأخضر**".

ثم وقف الجنرال هاوكنـــز قائلاً: "بوصفي رجلاً عسكرياً، أقسمت على المحافظة على الدستور والدفاع عنه، كما فعلتم أنتم. كما أقسمت على إطاعة القائد العام للقوات المـــسلّحة. وأنـــا أتعامل مع هذين القسمين بجدّية، وقررت بعد كثير من التفكير بأنه يمكنني التصويت، وأنا بكامل وعيي، لصالح المضي قدماً في **المشروع الأخضر**".

ثـــم وقـــف بـــول دان وقال: "كنت أتمنّى لو لم يُفرض ذلك علينا مع هذا الوقت الـــضئيل لتحـــسين خطتنا، ولكن يتعين علينا الردّ على من يعتدي علينا. وأنا أصوّت لصالح المضي في المشروع".

بقـــي سكوت لاندسايل في مقعده وقال: "لديّ إحساس قوي بأن هذه هي الفرصة الوحيدة التي سنحصل عليها. فهاري مولر لم يُرسَل إلى هنا من أجل مراقبة الطيور. وأفـــضل دفاع لنا في مواجهة مزيد من الاهتمام الحكومي بنشاطاتنا – واحتمال توجيه تهم بالتآمر إلينا – هو في تبنّي موقف الهجوم. وفي حال لم نستخدم الأسلحة النووية، فسنخسر الحرب النووية". وتابع قائلاً: "أنا أصوّت لصالح الموافقة على المشروع".

وقـــف بـــاين مـــادوكس، وحدّق بصمت في الجدار البعيد، واستغرق في تفكير عمـــيق. ثـــم نظر إلى مجلسه وقال: "أشكركم على شجاعتكم وإخلاصكم. بالطبع، أنتم جميعاً جنود في خدمة الحضارة".

قـــال هـــاري: "الجنود الطيبون لا يقتلون المدنيين. هل قتلتَ مدنيين في فييتنام؟ ألهذا السبب مُنحت ميدالية النجمة الفضية؟"

نظـــر مـــادوكس إلى هاري وقال: "يا سادة، نحن الرجال المجتمعون هنا بعددنا القلـــيل بمـــثابة الجـــيش الـــصغير الذي يمكن بل سيهزم انتشار الأصولية والإرهاب الإســـلامي. نحن المجموعة الأخيرة من سلسلة طويلة من النساء والرجال المسيحيين الطيبين الذين دافعوا عن الإيمان وعن الحضارة الغربية في وجه الإسلام. أرجو منكم الجلوس".

نظـــر الرجال الأربعة إلى بعضهم خلسة، ولكنّ أحداً منهم لم يعلّق على خطاب مادوكس.

ارتشف باين مادوكس القليل من الماء، كان هاري يشتبه بأن ما يشربه مادوكس هو شراب البطاطا الروسي الذي يبعث على الدفء.

ختم مادوكس حديثه قائلاً: "حسناً، لقد قلت ما لديّ. والآن، أطلب إليكم أن تحنوا رؤوسكم للصلاة بصمت وتسألوا الله أن يمنحكم القوة، والتوجيه، والقليل من الغفران". وقال: "وأنت يا هاري، صل معنا".

حنى باين مادوكس رأسه بصمت، ثم فعل الآخرون فعلته بعد تردد.

صلّى هاري مولر لكي يعود أحد هؤلاء إلى رشده، أو يفقد رباطة جأشه، أو لكي يتلقّى رسالة قدسية أفضل من تلك التي يتلقّاها مادوكس.

بعـــد دقيقة، قال مادوكس: "آمين"، ثم قال: "تبدأ حفلة الكوكتيل في البار، وأرجو أن تـــرتدوا ملابس عادية. يمكن لمن يشاء أن يلعب البوكر. لدينا لوحة تهديف جديدة عليها صورة صدام حسين. وسيتم تقديم العشاء عند الساعة السابعة، أرجو أن ترتدوا ملابس رسمية. استخدموا المدفأة للتخلّص من أوراقكم قبل الخروج. لقد انتهى اجتماع المجلس التنفيذي. أشكر حضوركم".

جمع الرجال الأربعة أغراضهم وغادروا الغرفة بهدوء.

بقـــي كل من باين مادوكس وهاري مولر جالسين إلى الطاولة، وكان كل منهما يحدق في وجه صاحبه. قال مادوكس: "لم يبقَ أحد سوانا يا هاري".

بـــدأ هـــاري مولـــر بتقييم الوضع. وجد أن أفضل فرصة أمامه هي في ضربه وإفقـــاده وعيه، ثم الهروب من النافذة. لكن إذا كان في مقدوره التحدث إلى الأحمقين اللـــذَين يقفـــان فـــي الخارج، وإخبارهما بما كان يجري في الغرفة، سيكون ذلك حلاً أفضل من محاولة الهرب.

سأله مادوكس، "ما الذي تفكّر فيه؟"

"أعتقد بأنني معجب بخطتكم".

"هذا كلام فارغ. قل لي، كيف كان أدائي؟"

"لا بأس".

"لا بأس وحسب؟"

اعتقد هاري أن في إمكانه الانقضاض على مادوكس في أقل من ثلاث ثوان حتى وهو مقيد بالأغلال.

قال مادوكس: "يزعجني أنك لا تفهم ما نريد. هل ترغب في استمرار هذه الحرب اللعينة على الإرهاب إلى أن يشيخ أحفادك؟"

"انظر يا رفيقي، ينبغي علينا أن نتحمل إصاباتنا، والثأر لها. وهم لن يقدموا على ضربنا بالأسلحة النووية، ولذلك نحن لسنا بحاجة إلى استخدام هذه الأسلحة. أنت لا تفهم المقصود من خطة **عاصفة النار**".

"كلا أنا أفهم. الفكرة هي أنها ناجحة جداً".

"أجل، هذه هي الفكرة اللعينة".

"الأمر أشبه بما يلي يا هاري، إذا لم يذهب الجبل إليهم، فسيأتون هم إلى الجبل. أليس ذلك صحيحاً؟"

"أجل كما تشاء". أمسك بالمنفضة المعدنية الثقيلة التي كان يستعملها لاندسايل، وألقاها على مادوكس، ثم قفز على قدميه فيما انحنى مادوكس لكي يتفادى المنفضة.

تقدّم هاري مسافة ثلاثة أمتار في أقل من ثانيتين، ولكن مادوكس كان قد وقف على قدميه وهرع نحو الباب. تحرك هاري بأسرع ما يمكنه وقدماه مكبّلتان، ولكن مادوكس كان أسرع منه وشهر مسدساً من تحت سترته.

قفز هاري على مادوكس الذي أطلق النار من مسافة قريبة. توقف هاري، وارتبك عندما لم يشعر بإصابته بالرصاصة، وأدرك بأنه بالكاد سمع صوت المسدس.

ابتعد مادوكس أكثر، وحدّق كل من الرجلين في الآخر. تقدم هاري خطوة نحو مادوكس، ولكنه شعر بثقل في رجليه وبالغرفة وكأنها تدور حوله.

قال مادوكس: "أنت بحاجة إلى أن تهدأ".

شعر هاري أن رجليه تنحنيان، ما لبث أن سقط على ركبتيه. ولاحظ شيئاً يخرج من صدره فوضع يده عليه.

قال مادوكس: "هذا سهم نستخدمه مع الدببة السوداء. فمن غير المسموح لنا قتلها خارج موسم الصيد".

انتزع هاري السهم من صدره، ولاحظ الدم على رأس السهم.

قال مادوكس: "وأنا لا يُسمح لي بقتل عميل فيدرالي، ولذلك عليك أن تموت بطريقة أخرى. ربما في حادث صيد".

فُتح الباب، وسأل أحد الحرّاس "هل كل شيء على ما يرام يا سيد مادوكس؟"

"أجل يا كارل. الرجاء أن تصطحب السيد مولر إلى غرفته".

ظهر حارس آخر، وتوجه مع كارل نحو هاري.

بالكاد استطاع هاري الوقوف على قدميه، وكانت الغرفة تشتد ظلاماً، ولكنه أخذ نفساً عميقاً وقال: "نووي..." عرف بأنه ينبغي عليه البقاء بلا حراك لكي لا يسري المهدّئ في دمه بوتيرة أسرع. "إنهم عازمون على تفجير... الحقيبة..."

رفعه الحارسان على قدميه، وحنى كارل ظهره وحمل هاري كما يفعل رجل الإطفاء، ثم مشى نحو الباب.

وقف باين مادوكس قبالة الباب وقال لهاري، "إنني معجب بك بالفعل. كان ذلك شجاعة منك. وقد أسديت إليّ خدمة عظيمة. وبالتالي أرجو أن تسامحني".

بالكاد كان هاري يستطيع أن يفهم ما يقوله مادوكس، ولكنه تمكن من القول: "عليك اللعنة".

قال مادوكس: "لا أعتقد ذلك". وقال لكارل: "أبقهِ هادئاً. وسأتحقق من حالته لاحقاً".

غادر الرجال الثلاثة، وأغلق باين مادوكس الباب. كان منزعجاً من سقوط أعقاب السجائر على السجادة الشرقية فقام بتنظيفها.

بعد ذلك تقدم نحو الحقيبة السوداء، ومسح بيديه على الجلد الأملس اللامع، وقال بصوت خافت: "أرجو أن تنفجر".

القسم 7

يوم الأحد

نورث فولك، لونغ آيلاند ومدينة نيويورك

لديـــنا الحق في قتل أربعة ملايين أميركي - مليونان منهم من الأطفال - وطرد ضعف ذلك العدد وجرح وشلّ مئات الآلاف.

- سليمان أبو الغيث

الناطق باسم بن لادن، مايو/أيار 2002

الفصل 15

تناولتُ وكايت وجبة الإفطار صباح يوم الأحد، وتبيّن لنا أن رفاقنا النــزلاء لا يــشكّلون مفاجأة كبيرة؛ التشكيلة المعتادة من ذوّاقة الشراب الفرنسي من مانهاتن. في هذه الحالة، ثلاثة أزواج من جنس غير محدد يأخذون كل شيء على محمل الجدّ، كما لــو كانوا يختبرون الإذاعة الوطنية العامة. لم يكن في مقدوري تبيّن إن كان كل منهم يعرف الآخر، أو من يصاحبون.

كانــوا يتحدثون ويمرّرون أوراقاً من صحيفة صنداي تايمز كما لو أنّهم وجدوا نصوصاً مقدسة.

جلست وكايت إلى الطاولة على مقعدين خاليين. أحضر لنا رئيس السجن القهوة وعــصير البرتقال، ونصحنا بتناول وجبة ساخنة من الشوفان كطبق من المقبلات. ثم سألنا، "هل لديكم باغل؟"

"كلا".

"أنــا لا أســتطيع قراءة التايمز بدون باغل. لكن الشوفان الحارّ، ينسجم مع وول ستريت جورنال. هل لديكم وول ستريت جورنال؟"

قاطعته كايت بالقول: "طبق ساخن من الشوفان يبدو جيداً. شكراً لك".

كــان رفاقي الذين يتناولون إفطارهم يعلّقون على الأخبار القصيرة التي قرأوها في أوراق صحيفة التايمز؛ مثل الفنّ، والكتب، والسفر، ... إلخ.

بعــد أن شربنا زجاجة من الشراب الفرنسي في الليلة الفائتة، ترك ذلك الشراب تأثيراً خفيفاً عليّ، وهو ما جعلني أشتكي، ولم أكن أشارك في المحادثة، بالرغم من أن كايت لم تلاحظ ذلك.

كنت أحمل مسدساً صغيراً من طراز سميث أند ويسون قرب كاحلي، ففكرت في نـــزع قِرابِه وسحبه والصراخ "لا تتحرّكوا. أنا فلسطيني! اخرسوا وتناولوا وجبات الشوفان". ولكنني أعرف كيف تصبح كايت في كل مرّة أتصرّف فيها بطريقة حمقاء.

علـــى أية حال، دارت المحادثة حول العنوان الرئيسي للتايمز - رامسفيلد يأمر بإعـــادة دراسة خطط الحرب من أجل تحرّك أسرع - واتفق رفاقي النـــزلاء على أن

الحرب على العراق باتت محتمة بالنظر إلى عقلية الإدارة الحالية.

كنت رجل مراهنات، وأردت المراهنة على شهر يناير/كانون الثاني أو ربما فبراير/شباط. ولكنني اعتقدت أنني سأكون على الأرجح أوفر حظاً إذا راهنت على مارس/آذار. شعر أحد الرجال، واسمه أوين، بأنني لا أعير الأمر انتباهي فسألني "ما رأيك يا جون؟ لماذا ترغب هذه الإدارة في الدخول في حرب مع دولة لم تلحق بنا أية أذية؟"

بدا السؤال دسماً بعض الشيء، على غرار الأسئلة التي أطرحها على المشتبه فيهم، مثل "متى توقفت عن ضرب زوجتك وبدأت بالعمل مع القاعدة؟"

أجبت أوين بصدق، "أعتقد بأنه يمكننا تجنب هذه الحرب إذا أقصينا صدام وولديه المريضين نفسياً باستخدام فريق من القنّاصة والقليل من صواريخ كروز".

ساد الصمت في المكان للحظة، ثم قال أحد الحاضرين، واسمه مارك: "إذاً، ... أنت معارض للحرب... ولكنك تعتقد بأنه ينبغي علينا قتل صدام حسين؟"

"هذه طريقتي في القيام بذلك. ينبغي علينا إبقاء الحرب كخيار أخير عندما نستنفد كل الوسائل الأخرى".

سألتني امرأة، اسمها مِيا، بطريقة منمّقة "هل نحن أصلاً بحاجة إلى الدخول في حرب؟"

سألتها، "ماذا كنتِ ستفعلين بعد الهجوم على مركز التجارة العالمي والبنتاغون؟ هل كنتِ سترسلين دجاجات ديكسي إلى أفغانستان في جولة سلمية؟"

قالت كايت: "جون يحب استخدام العبارات الاستفزازية".

اعتقدت أنني أنهيت المناقشة، وهو أمر يناسبني تماماً، ولكن بدا أن مارك مهتمّ بي فسأل "ما هي وظيفتك يا جون؟"

عادة ما أقول للناس أنا أفتش عن الحشرات، ولكنني قررت وضع حدّ لهذا الكلام الفارغ فأجبته "أنا عميل فيدرالي من *الوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب*".

بعد مرور لحظة من الصمت، سأل مارك، "حقاً؟"

"حقاً. وكايت عميلة خاصة من مكتب التحقيقات الفيدرالي".

قالت كايت: "نحن نعمل سوياً".

قالت إحدى السيدات، واسمها أليسون: "كم هذا الأمر مثير".

سألني الشخص الثالث، واسمه جايسون، "هل تعتقد بأن مستوى الخطر - البرتقالي - حقيقي فعلاً، أم أنه يجري التلاعب بنا لأسباب سياسية؟"

"أنا لا أعرف يا جايسون. ماذا يقولون في التايمز؟"

أصرّ على سؤاله وقال: "ما مدى حقيقة الخطر الذي نعيش فيه اليوم؟"

أجابت كايت، "إن خطر الإرهاب على أميركا حقيقي جداً. لكن وبدون الإفصاح عن أية معلومات سرّية، يمكنني القول إنه لا توجد لدينا معلومات محددة عن هجوم وشيك".

سأل جايسون، "إذاً لماذا، نحن في حالة الإنذار ذي اللون البرتقالي الذي يعني أننا في خطر شديد ينذر بقرب وقوع هجوم إرهابي؟"

أجابت كايت، "هذا مجرّد تدبير احترازي بسبب الذكرى السنوية الأولى لهجمات 11 سبتمبر/أيلول".

قال مارك: "هذا شيء من الماضي. أعتقد بأنها مجرد طريقة يراد منها إبقاء البلاد في حالة خوف لكي تتمكن الإدارة من دفع أجندتها الأمنية المحلّية، والتي تعني انقضاضاً على الحريّات المدنية". ثم نظر إليّ وسألني، "هل توافق على ذلك يا جون؟"

"بالتأكيد. في الحقيقة، لقد أتيت مع العميلة الخاصة مايفيلد إلى هذا المكان لكتابة تقرير عن النشاطات التخريبية المعادية للحكومة، وأنا بحاجة إلى تحذيرك من أن أي شيء تقوله ربما يُستخدم ضدّك في محكمة عسكرية".

تمكن مارك بصعوبة من رسم ابتسامة خافتة على وجهه.

قالت لي أليسون: "أعتقد بأنك عدت إلى أسلوبك الاستفزازي مجدداً".

"لا بد وأن السبب هو كريم ما بعد الحلاقة".

ضحكت أليسون. أعتقد بأنها أُعجبت بي. كما أنني أشتبه بقوة في أنها هي التي كانت تتأوّه البارحة.

سألتنا بام المرأة الثالثة، "هل سبق أن اعتقلتما إرهابياً؟"

بدا كما لو كان سؤالاً طبيعياً، لكن بسبب نبرة صوت بام، والسياق العام، كان يمكن حمل السؤال على محمل آخر، وهو ما فعلته كايت.

أجابت كايت، "إذا كنتِ تعنين إرهابياً إسلامياً فالجواب هو لا، ولكن.." وقفت وسحبت بعنف سترتها لتعرض جرحاً طويلاً أبيض يبدأ من أسفل الجانب الأيسر من قفصها الصدري وينتهي في أسفل ظهرها، وقالت: "أصابني رجل ليبي اسمه أسد خليل ببندقية قنّاص. وأصاب جون أيضاً".

كان جرحي بجانب وركي الأيمن، ولم أكن أعرف كيفية إظهاره لهذه الرفقة المختلطة.

جذبتْ كايت سترتها الصوفية إلى أسفل وقالت: "إذاً، الجواب هو لا، أنا لم أعتقل إرهابياً، ولكنّ إرهابياً أطلق عليّ النار. أضيفي إلى ذلك أنني كنت في مركز التجارة العالمي عندما اصطدمت به الطائرتان".

ساد الغرفة بعض الهدوء، واعتقدتُ أن الجميع ينتظرون رؤية جرحي. يوجد في بدنـــي فعـــلاً ثلاثة ثقوب أحدثتها رصاصات أطلقها سيد من أميركا اللاتينية، وأنهت حياتـــي المهنـــية مع شرطة ولاية نيويورك. كان هناك ثقبان في مكان فاضح، ولكن الثقب الثالث كان في صدري وكان في مقدوري القول إنه ناجم عن إطلاق النار الذي قام به أسد خليل، لأني أردت فعلاً نـــزع قميصي لترى أليسون جرحي.

"جون؟"

"هاه؟"

"قلت أنا مستعدة للذهاب".

"أشمّ رائحة سجق مقلي".

"أريد أن أبدأ نهاري باكراً".

"أجـــل". وقفـــتُ وقلت للجميع: "إننا ذاهبون إلى بلام أيلاند. أنتم تعرفون مختبر بحـــوث الحرب الجرثومية. إننا نبحث عن ثمانية ليترات مفقودة من محلول جرثومة الجمـــرة الخبيثة، وعلينا أن نعرف المكان الذي وصلت إليه". وأضفت "يمكن أن تكون هـــذه عملـــية قذرة في حال استخدم أحدهم مِذراراً لرشّ المحلول على بساتين العنب، أو.." سعلتُ مرّتين وقلتُ: "اعذرونا. طاب يومكم". ثم غادرنا البيت القديم ومشينا نحو سيارة الجيب.

قالت كايت: "لا يفترض بك قول أشياء كهذه".

"ماذا تقولين؟"

قالـــت وهـــي تـــضحك: "أنت تعرف ماذا أقول". لم تكن لتضحك قبل يوم 11 ســـبتمبر/أيلول ولا بعده بستة شهور. إلا أنها الآن، وكما قلت، أصبحت امرأة مختلفة، فقد خفّت حدّة طباعها كثيراً، وصارت بتقدّر أخيراً ذكائي الحادّ وظرفي المعقد. قالت: "أنت شخص غير ناضج إلى حدٍّ الجنون".

لم يكن ذلك ما فكّرت فيه تماماً. صعدنا إلى سيارة الدفع الرباعي، وانطلقنا.

تحـــدثتْ فـــي الـــسيارة بصوت عميق وجهير، اعتقدت بأنه كان تقليداً لصوتي، وقالت: "إننا نبحث عن ثمانية ليترات مفقودة من محلول جرثومة الجمرة الخبيثة".

"هل تعانين من نـــزلة برد؟"

واصلت كلامها وقالت: "يمكن أن تكون هذه عملية قذرة في حال استخدم أحدهم مـــذراراً لرشّ المحلول على بساتين العنب"، ثم سعلتْ مرّتين. وأضافت، "اعذروني، أَعتقد أنني التقطت عدوى الجمرة الخبيثة".

"أنا لم أقل ذلك".

"من أين جئتَ بهذه القصة؟"

لا أدري. مجرّد خاطرة بدرت إلى ذهني".

"خاطرة مرعبة".

"الجرثومة الخبيثة مرعبة جداً".

"كنت أعني ذهنك".

"أنتِ محقّة. والآن إلى أين نذهب؟"

أجابت كايت، "أعرف متجراً رائعاً يبيع التحف في ساوث أولد".

"دعينا نذهب إلى الكنيسة، فهي أقل كلفة".

"ساوث أولد. انعطف إلى اليسار الآن".

هكـذا، أمـضينا صباح الأحد في متجر التحف. أنا لست معجباً بالتحف القديمة لأننـي أرى أنهـا قطـع قذرة من الخشب المتعفّن وخردة متسخة من القماش المليء بالجراثيم.

مـن نافل القول إننا لم نشترِ شيئاً. في الواقع، قالت كايت: "ما الذي يدعوني إلى شراء التحف؟ فأنا متزوجة من تحفة".

تناولـنا طعـام الغـذاء في مطعم يشبه الحافلة حيث حصلت أخيراً على الباغل إضافة إلى السجق والبيض اللذَين فاتني تناولهما في وجبة الإفطار.

بعـد أن تناولـنا طعام الغذاء، صادفنا القليل من معامل الشراب الفرنسي حيث اشـترينا عدداً من الزجاجات التي كان في مقدورنا شراؤها في مانهاتن بالسعر نفسه، ثم توقفنا عند موقف لإحدى المزارع.

نادراً ما كنا نتناول الطعام في المنـزل، فهي لا تعرف كيفية الطهو، كما أنني لا أعـرف أيـضاً. ومع أنني لا آكل الفاكهة أو الخضار، فقد اشترينا طنّاً منها بأوراقها وأقـذارها، إضـافة إلى كيس من بطاطا لونغ أيلاند يزن خمسة وعشرين كيلوغراماً. سألتُ كايت، "ماذا تنوين أن تفعلي بكل هذه الخضار؟"

أجابت، "أنت تصطاد الغزال وأنا أصنع اليخنة".

كان ذلك ممتعاً فعلاً. لماذا لم أفكر في ذلك؟

جمعـنا أغراضـنا مـن فندق بي أن بي، وسدّدنا الفاتورة، وعدنا أدراجنا إلى المدينة.

سألتني، "هل أمضيت عطلة نهاية أسبوع ممتعة؟"

"أجل، باستثناء وجبة الإفطار".

"أنت بحاجة إلى التحدث إلى أشخص لديهم وجهات نظر مختلفة".

"أجل، فأنا متزوّج".

قالــت: "أمــر مضحك للغاية. لِمَ لا نذهب إلى شمال الولاية في عطلة الأسبوع المقبل؟"

"إنهــا فكرة جيدة". وهذا ما ذكّرني بسؤال "ماذا تعرفين عن نادي كاستر هيل؟" وأضفت، "لم يقنعني جوابك السابق".

فكّرتْ في السؤال والتعليق، ثم أجابت، "أنا أعلم أنك أمضيت معظم عطلة نهاية الأسبوع هناك".

"ماذا تعنين بذلك؟"

"حسناً، سألني توم والش إن كان لديّ اعتراض على إرسالك إلى هناك في مهمة مراقبة".

"حقاً؟ وماذا أجبتِه؟"

"قلت أجل لديّ اعتراض". وسألتْني، "كيف عرفت بنادي كاستر هيل؟"

"من هاري مولر الذي كلّف بتلك المهمة".

"ماذا قال لك؟"

"أنا الذي يطرح الأسئلة. لماذا لم تخبريني عن ذلك؟"

"طلب مني توم ألاّ أفعل ذلك". وأضافت، "ولكنني كنت عازمة على إخبارك".

"متى؟"

"الآن. في طريق العودة إلى المدينة".

"أجل. لماذا رفضتِ تكليفي بالمهمة؟"

"كنت أخطط للذهاب بعيداً معك فيْ عطلة هذا الأسبوع".

"أنا لم أعرف شيئاً عن هذا الأمر أيضاً، لغاية يوم الجمعة حوالى الساعة الرابعة والنصف".

"كنت أفكر في هذه المهمة".

"كــنتَ تزحف فعلاً بحثاً عن مكان تختبئ فيه من أجل المراقبة". قلت لها: "أنتِ تتحدثــين إلــيّ يا عزيزتي. ولا يمكنكِ التحذلق على متحذلِق صدف أنه تحرّي لامع أيضاً".

فكــرت في ما قلته ثم قالت: "حسناً، لم تُعجبني المهمة... ولذلك، قلت لتوم بأن لدينا خططاً أخرى، وعندها احتجت إلى التخطيط لقضاء يوم العطلة خارج المدينة".

تقبّلت كل ما قالته وسألتها، "ماذا تعنين بأن المهمة لم تعجبكِ؟"

"لا أعرف... مجرّد حدس. أحياناً يتعلق الأمر بأسلوب توم.."

"هل تستطيعين أن تكوني أكثر تحديداً؟"

"كــلا، لــيس فــي اســتطاعتي ذلك. وإذا عدت إلى استحضار لقائي به، ربما اســتنتجت كثيراً مما قاله لي حينها. كما أنني لم أشأ أن أبقى لوحدي يوم عطلة نهاية الأسبوع".

"لماذا لم تتطوّعي للذهاب معي؟"

"جــون، انــسَ الأمر. أنا آسفة لأنني كذبت عليك، وآسفة لأنني لم أخبرك قبل ذلك".

"الاعتذار مقبول، إذا أخبرتِني عن حقيقة نادي كاستر هيل".

"أنــا لــست متأكدة. ولكنّ توم قال لي بأنه نادٍ اجتماعي وترفيهي، أعضاؤه من الرجال الأثرياء وأصحاب النفوذ".

"كنت سأقضي وقتاً طيباً".

"كان من المفترض أن تلتقط صوراً فوتوغرافية لــ..."

"أعرف كل ذلك. ولكن ما لا أعرفه هو لماذا نحتاج إلى مراقبة هؤلاء الرجال".

"أنــا لا أعــرف، وهــو لــم يكن ليشاركني تلك المعلومات". وأضافت، "يمكنك الافتراض بأنهم محافظون في توجهاتهم السياسية، وربما يكونون راديكاليين أيضاً".

"هذه ليست جريمة".

"هذا كل ما أعرفه".

كــنت أســير على طريق لونغ أيلاند السريع، متوجهاً غرباً نحو الشمس الآفلة. بــدت رائحــة السيارة الرباعية الدفع كما لو كانت مصنوعة في كوريا، وكنت أسمع قعقعة زجاجات الشراب على أرضية السيارة الخلفية.

فكّرتُ في ما قالتْه كايت، ولكن لم تكن تتوفر لديّ حقائق كافية للتوصل إلى أية اســتنتاجات. ومــع ذلــك، برزت بضع نقاط، مثل التوجّه السياسي لنادي كاستر هيل وعــضويته الــراقية. مــن المعلوم أن المجانين من جناح اليمين الذين يشاركون في نــشاطات إجــرامية مــن الطــبقة الدنيا دائماً. وناديهم، إن كان لديهم نادٍ، هو محطة بنــزين أو كوخ حقير في غابة. لكن يبدو أن هذه المجموعة شيء مختلف تماماً.

كــان ذلك كل ما توفر لي من معلومات حتى تلك اللحظة، وإذا كنت ذكياً، سأجد في تلك المعلومات كل ما أنا بحاجة إليه، وإذا كنت بحاجة إلى معرفة المزيد، فسوف أسأل هاري غداً صباحاً.

قالت كايت: "أعتقد أنك مستاء منّي لأنني لم أُشِر إلى أنني تناقشت مع توم فكرة إرسالك في تلك المهمة".

"كــلا على الإطلاق. أنا سعيد لأن حياتي المهنية بين هاتين اليدين الأمينتين. في الواقــع، بــدا كما لو كنت أفكر في أنك تناقشتِ مع ويلش إن كان ينبغي إبعاد جوني الصغير في يوم عطلة نهاية الأسبوع".

"جون..."

"ربمــا كــان يجدر بكِ القول أنّك لا تمانعين بذلك، ولكن كان عليه أن يستشير زوجته أولاً لكي يتأكد من أنه لا يوجد لديها مانع".

"توقف عن التصرف كالأغبياء".

"أنا أثير أعصابكِ قليلاً".

"انسَ الموضوع، فهو غير مهم بالمرّة". وأضافت، "اذهب إلى والش وقل له إنني أخبرتك، وأنك لست سعيداً من أسلوبه في الإدارة".

"هذا بالضبط ما أنوي فعله".

"لا تكن عدائياً. وحاول أن تكون دبلوماسياً".

"أنا دبلوماسي للغاية". ثم سألتها، "هل يمكنني أن أقبض بيدي على عنقه؟"

قدت السيارة بهدوء لفترة من الوقت. أدركت بأنه ينبغي عليّ التحدث إلى هاري قبل أن أواجه ويلش في الصباح. اتصلت بهاتف هاري الخليوي مستخدماً هاتفي الذي لا يحتاج إلى لمس.

سألتني كايت "بمن تتصل؟"

"بمستشاري الخاص بالإجهاد العاطفي".

وبعــد أن رنّ الهاتــف ستّ مرات، سمعنا صوت هاري وهو يقول "أنا التحرّي هاري مولر. بعد سماع النغمة، اترك لي رسالة ورقماً هاتفياً لكي أتمكن من الاتصال بك". بيب.

قلــت: "هــاري، أنا كوري. تريد كايت أن تطهو لنا يخنة الصياد. لقد أحضرت البطاطا، والخضار، والشراب الفرنسي الأحمر. وينبغي على أحدنا أن يذهب لاصطياد الغزال لاستكمال مكونات الوصفة. اتصل بي في أسرع وقت ممكن".

أقفلــت الخــط، وقلت لكايت: "كان من الممكن أن تساهم مهمة المراقبة تلك في ترقيتي في حال لم أصبح وليمة لدبّ".

"ربما كان هذا هو سبب رغبة توم في تكليفك بها".

"لمساعدتي على الترقّي في مهنتي أو جعلي وليمة لدبّ؟"

"هل تجد حاجة إلى السؤال؟"

ابتـــسمتُ، وأمسكت بيديها، ثم شغّلت المذياع لسماع شيء هادئ. وتحدثنا لبعض الوقت أثناء عودتنا إلى المدينة.

مـــع اقترابنا من نفق وسط المدينة، ظهر الأفق المضاء لمانهاتن. لم أعلّق أنا أو كايـــت على مركز التجارة العالمي الذي اختفى، ولكن عرف كل منا ما كان يفكر فيه الآخر.

أذكـــر أن إحدى الأفكار الأولى التي راودتني بعد انهيار البرجين أن رجلاً شهر سكيناً في وجه أشخاص لا يحملون مسدسات، وأذكر أنني قلت لشرطي كان بجواري "الحمد لله. هذا يعني أنهم لا يحملون قنبلة نووية".

أجابني الشرطي، "ليس بعد".

القسم 8

يوم الاثنين

مدينة نيويورك

في أميركا، توجد صراعات حزبية، ولكن لا توجد مؤامرات.

– أليكس دي توكيفيل، Democracy in America (1835)

الفصل 16

صادف يوم الاثنين يوم كولومبوس، وهو يوم خاص يُحتفل فيه بذكرى وفاة رجل أبيض عثر على قارّة وهو في طريقه إلى مكان آخر. وأنا نفسي مررت بتجارب مماثلة عندما خرجت من حانة دريزنرز.

كنا في ذلك اليوم نرتدي ملابس عادية، كنت أنتعل حذاءً شبيهاً بالموكاسان، وألبس سروال جينز أسود، وكنزة رياضية، وسترة جلدية. أما كايت فكانت تلبس الجينز، وكنزة ذات فتحة ضيّقة، وسترة جلدية وتنتعل حذاءً عالي الساق. قلت: "حقيبة يدك لا تنسجم مع قراب مسدسك".

"حسناً إذاً، أنا بحاجة إلى شراء حقيبة يد جديدة اليوم".

ينبغي أن أتعلم كيف أُبقي فمي الذكي مغلقاً.

خرجت برفقة كايت من منزلنا الكائن في شارع 72 الشرقي، وأوقف لنا ألفريد، البواب، سيارة أجرة.

كانت حركة المرور يوم العطلة في مانهاتن خفيفة، ووصلنا إلى مبنى فيدرال بلازا 26 بسهولة.

كان يوماً منعشاً وصافياً من أيام الخريف. سألتني كايت، "هل تعرف إن كان توم ويلش سيحضر اليوم؟"

أجبتها، "كلا، ولكن إذا ذكرتِ لي بعض الكلمات، فقد أتمكن من معرفة ذلك".

"أنت أخرق".

"أعتقد بأنها باتت حقيقة راسخة".

كان سائق سيارة الأجرة، وهو صديق اسمه **زياد الشيحي**، يتحدث باللغة العربية مستخدماً هاتفه الخليوي.

وضعت إصبعي على شفتيّ وانحنيت إلى الأمام. همست في أذن كايت "إنه يتحدث إلى قائد خليته التابعة لتنظيم القاعدة... إنه يقول شيئاً عن التنزيلات بمناسبة يوم كولومبوس في بيرغْدورفس".

تنهدت كايت.

بعد أن أنهى السيد الشيحي مكالمته، سألته "هل تعرف من يكون كريستوفر كولومبوس؟"

نظر إلى مرآته الخلفية وأجاب "دائرة كولومبوس؟ جادة كولومبوس؟ إلى أين تريد الذهاب؟ لقد قلت إنك تريد الذهاب إلى الفيدرال بلازا".

"ألم تسمع عن نينا، وبينتا، وسانتا ماريا؟"

"سيدي؟"

"كوين إيزابيلا أرجوك؟ هل ستشارك في استعراض يوم كولومبوس؟"

"سيدي؟"

"جون، توقف عن ذلك".

"أنا أساعده فقط على اجتياز اختبار نيل الجنسية".

"توقف عن ذلك".

أسندتُ ظهري وبدأت أغنّي "أوتومْن إن نيويورك".

إنه يوم عطلة فيدرالية، ولذلك، لم تكن *الوحدة التكتيكية الفيدرالية لمحاربة الإرهاب* تعمل بكامل طاقتها، ولكنّ كايت قررت الذهاب على أية حال لمرافقتي وإنجاز بعض الأعمال المكتبية. تناولنا طعام الغداء معاً، ثم غادرت من أجل اغتنام فرصة تنزيلات يوم كولومبوس.

حتى عندما كنا نعمل وفقاً لبرنامج العمل نفسه، لم نكن نسافر معاً دائماً. ففي بعض الأحيان، يقضي أحدنا وقتاً طويلاً جداً أمام المرآة، ويفقد الآخر صبره ويغادر المكان.

كانت كايت تحمل في حقيبتها صحيفة التايمز، فسألتها أن تعطيني قسم الأخبار الرياضية فأعطتني القسم ألف بدلاً من ذلك.

جاء في العنوان الرئيسي في الصفحة الأولى: رامسفيلد يفضل الأعمال الفعالة لإحباط أي هجوم. وجاء في التقرير أن الولايات المتحدة بحاجة إلى التحرّك باكراً خلال "الفترة التي تسبق الأزمة" لإحباط هجوم يمكن أن تتعرض له البلاد. بدا بالنسبة لي أنه إذا كان صدام يقرأ التايمز، فسوف يستدعي وكيل مراهناته ويراهن على أن الغزو سيبدأ في أواخر يناير/كانون الثاني.

القصة الكبيرة الأخرى كانت تفجير سيارة في نادٍ ليلي كثيراً ما يرتاده الغربيون في جزيرة بالي السياحية الإندونيسية. بدا أن ذلك جبهة جديدة في الحرب على الإرهاب العالمي. بلغت حصيلة القتلى 184 قتيلاً وتجاوز عدد الجرحى 300 جريح، وكانت تلك الخسارة الأكبر في الأرواح منذ 11 سبتمبر/أيلول 2001.

أقرّت التايمز بأن الهجوم من تدبير *متطرّفين إسلاميين* على الأرجح. هذا تخمين جـيد. كمـا أنّه وصف جيد من جانب التايمز أيضاً، فلماذا نسمّيهم إرهابيين أو قتلة؟ سيكون ذلك بمثابة إصدار أحكام. وأدولف هتلر نفسه كان متطرّفاً.

مـن غيـر الوارد أن ننتصر في الحرب على الإرهاب ما لم ننتصر في حرب الكلمـات. انتقلتُ إلى الصفحة التي فيها لعبة الكلمات المتقاطعة وسألت كايت، "ما هو تعريف العربي المعتدل؟"

"لا أدري".

"إنه شخص نفدت منه ذخيرته".

أومأت برأسها في حين ضحك زياد.

حقاً إن المرح يردم الهوّة بين الحضارات المختلفة.

قالت كايت: "سيكون يوماً طويلاً".

وكما تبيّن لاحقاً، كانت محقّة في ذلك.

الفصل 17

لم يكن هاري عند طاولته عندما وصلنا إلى فيدرال بلازا 26 في الخامسة إلاّ خمس دقائق، وهو لم يكن هناك عند الساعة 9:15 أو 9:30. وفي ما يتعلق بمكالمتي الأخيرة معه، كان من المفترض أن يرى والش اليوم. لكن والش كان هنا بخلاف هاري.

كان المكتب بحاجة إلى شيء من التغيير، وأنا أحصيت ثلاثة من أفراد شرطة نيويورك عند مكاتبهم، وعميلاً واحداً من مكتب التحقيقات الفيدرالي؛ كايت. كما كان من المفترض تواجد عميل واحد على الأقل يراقب الهواتف، والموجات اللاسلكية والإنترنت في مكان آخر في الطابق 26. وكنا نأمل بأن يمضي الإرهابيون يوم العطلة بأكمله يراقبون في نيو إنغلاند.

اتصلت بهاتف هاري مولر الخليوي عند الساعة 9:45 وتركت له رسالة، ثم اتصلت بمنزله في كوينز، وتركت له رسالة على ماكينة الإجابة. ثم اتصلت بمجيبه الصوتي، وهو الأمر الذي يعتبر رسمياً في هذه المهنة.

وعند الساعة الخامسة والعشر دقائق، جاءت كايت إلى الطابق الذي أعمل فيه وقالت: "توم والش يريد رؤيتنا".

"لماذا؟"

"لا توجد لديّ أدنى فكرة". ثم سألتني، "هل تحدثت إليه؟"

"كلا". مشيت مع كايت نحو مكتب والش. كان الباب مفتوحاً فدخلنا.

وقف والش، ولاقانا في منتصف الطريق، وهو ما يعني في العادة أنك لست في مشكلة. أشار إلينا بالجلوس إلى الطاولة المستديرة بالقرب من النافذة. كان يوجد على الطاولة أوراق ومجلدات مبعثرة، وهو أمر مستغرب جداً عندما كان جاك كُوينغ في هذا المكتب.

كان يوجد عند نافذة مكتبه، التي كان يمكن منها رؤية البرجين التوأمين مرّة، لوحة كبيرة سوداء ملصقة على الزجاج يظهر فيها البرجان وعبارة، 9/11؛ لن ننسى.

كـــان يـــوماً خريفياً جميلاً، كما سبق أن أشرت، مثل ذلك اليوم الذي وقعت فيه الهجمـــات قـــبل ســـنة وشهر. ولولا الاجتماع الذي كان مقرّراً في ويندوز في مركز الـــتجارة العالمي، لربما كان جاك هنا في مكتبه يشهد تلك الهجمات، ولكان رآها ديفيد ســـتاين، أيـــضاً من مكتبه. وكما تبيّن، شاهد الرفيقان تلك الهجمات من مسافة أقرب بكثير.

بـــدأ توم والش الحديث بالقول: "جون، لقد أخبرني رفاقنا في أمن الحواسيب أنك استخدمت كلمة المرور الخاصة بك للدخول إلى ملف سرّي يوم الجمعة".

"هذا صحيح". نظرت إلى والش. كان أصغر من أن يكون عميلاً خاصاً في موقع المـــسؤولية، فـــي سنّ الأربعين تقريباً، أيرلندي داكن البشرة، ليس قبيح الوجه، وغير متـــزوج. وقد اكتسب لقب رجل السيدات، كما كان يمتنع عن شرب الكحول، وهذا ما جعله أيرلندياً شاذّاً؛ أي رجل يفضّل النساء على الشراب الاسكتلندي.

سألني، "لماذا أنت مهتم بذلك الملف؟"

"لا أعـــرف، تـــوم. لم أستطع الدخول إليه، ولذلك لا أعرف إن كان لديّ اهتمام به".

نظر إليّ، وبدا عديم الصبر بعض الشيء.

كـــنت أعـــتقد بـــأن أسلوب جاك كوينغ التيوتوني لا يروق لي، واعتقدت بأنني ســـأُعجب بـــوالش علـــى اعتبار أنه نصف أيرلندي مثلي، ولكن كان ذلك مثالاً على الوظيفة التي تصوغ الرجل؛ طبيعة تتغلب على طبيعة أخرى.

قال والش: "ماذا تعني عبارة 'نادي الجمال العراقي لأسلحة الدمار الشامل'؟"

"إنهـــا مجـــرّد مـــزحة". نظـــرت إلى كايت، ولكنها لم تكن مسرورة، بل كانت مرتبكة.

"فهمـــت". ونظر إلى كايت، رفيقته في مكتب التحقيقات الفيدرالي، وسألها، "هل أخبرتِ جون عن مهمة المراقبة؟"

"أجل، ولكن ليس قبل يوم الأحد".

خاطبني والش "إذاً، هاري أخبرك بها".

لا يمكـــنك أبـــداً الغدر بزميل في الشرطة، ولذلك أجبته "هاري مولر؟ ما شأنه بكاستارد...؟ ما اسم ذلك النادي؟"

"حسناً، الأمر لا يهم على أية حال".

"أوافقـــك الـــرأي. وبما أنني هنا، هل يمكنني التقدم بشكوى رسمية لأنك طلبت الإذن من زوجتي لكي ترسلني في مهمة في شمال الولاية؟"

أجابني قائلاً: "لم أكن أطلب الإذن منها، بل كنت أجاملكما. أنت متزوج، وأردت أن أعــرف إن كــان ذلــك يتعارض مع أية خطط خاصة لديكما لقضاء عطلة نهاية الأسبوع".

"في المرّة القادمة، عليك أن تسألني".

"هذا جيد. لقد وصلت الفكرة".

"ولماذا خطر اسمي ببالك؟"

بدا أن والش لا يريد مناقشة ذلك، ولكنه أجاب، "من الواضح أنني اعتقدتُ بأنك أفضل رجل يمكن أن يقوم بهذه المهمة".

"كما تعرفِ يا توم، آخر مهمة مراقبة قمت بها خارج المدينة كانت في السنترال بارك، حيث تهتُ لمدة يومين".

ابتسم بأدب وقال: "حسناً، كنت أفكر في النواحي الأخرى للمراقبة".

"نواحٍ مثل".

"حــسناً، من ناحية، تتضمن مهمة المراقبة هذه الدخول إلى أملاك خاصة بدون مذكّــرة. كما أن هذا المكانِ - نادي كاستر هيل - يتمتع بحراسة أمنية جيدة، وهناك احــتمال توقــيف الشخص الذي يقوم بالمراقبة واستجوابه من قبل الحرّاس الخاصّين، وأنــا أعــرف أنك تستطيع التعامل مع هذا الوضع". وأضاف "إن أعضاء هذا النادي أفراد لديهم بعض النفوذ السياسي في واشنطن".

بــدأت أعرف لماذا لم يرغب أحد في الطلب إلى قاضٍ منح مذكرة تفتيش. وإلى جانــب ذلك، بدا أن هناك تناقضاً بين ما قاله لي هاري مولر - مهمة مراقبة روتينية، فتح ملف، ... إلخ - وما قاله توم والش للتوّ. وبما أنه لا يمكن لهاري أن يكذب عليّ، فقد استنتجت بأن هاري لم يحصل على معلومات كاملة من والش.

قلت لوالش: "إذاً، الخلاصة هي أنك احتجت إلى شرطي لكي يكون المتورّط في حال سارت الأمور على نحو غير مؤاتٍ".

"هذا ليس صحيحاً البتّة. دعونا ننتقل إلى صلب الموضوع". نظر توم والش إلينا وقال: "لم تردنا أية أخبار من هاري مولر".

اعــتقدت بــأن هــذا هو سبب وجودنا في مكتبه، ولكنني أملت بأن يكون الأمر بخلاف ذلك. سألته، "هل كان من المفترض أن يتصل بك؟"

"في حال صادف مشكلة فقط".

"فــي بعض الأحيان يا توم، عندما تكون هناك مشكلة، تكون تلك الحالة التي لا تتلقّى فيها أي اتصال".

"أشكرك على هذه الخاطرة. حسناً، دعوني أخبركما بما أعرف. لقد غادر هاري مولـــر هذا المكان، كما تعرفان، قبل الساعة الخامسة من مساء يوم الجمعة. ذهب إلى فــريق الدعم التقني، وحصل على المعدات التي يحتاج إليها، وذهب إلى المرآب لكي يستقل سيارته المقطورة، والتي اصطحبها معه تحسباً لهذه المهمة. وصدف أن جنيفر لـــيوبو رآه في المرآب حيث تبادلا بعض الكلمات، وكان آخر شخص رآه. وفي وقت لاحـــق، سمعنا حديثاً دار بينه وبين صديقته لوري على الهاتف الخليوي، عند الساعة السابعة وثمانٍ وأربعين دقيقة من صباح يوم السبت".

ضـــغط والش على زر جهاز تسجيل على الطاولة. سمعنا صوت هاري وهو يقــول: "مـــرحباً يا عزيزتي، أنتِ حبّي الأول والوحيد. أنا هنا في منطقة جبلية، ولذلك ربما لن يكون استقبالك لمكالمتي جيداً لفترة طويلة، ولكنني أردت أن أقول مـــرحباً. لقد وصلت إلى هنا في الليلة الماضية عند منتصف الليل تقريباً، وقضيت ليلتـــي فـــي الـــسيارة المقطـــورة، وأنا الآن في مهمة بالقرب من مسكن اليمينيين المخبولـــين، ولذلك لا تردّي على مكالمتي. وسأتصل بكِ لاحقاً من خط أرضي إذا لـــم أســـتطع التحدث إليكِ عبر الهاتف الخليوي، هل اتفقنا؟ أنا لا أزال بحاجة إلى القـــيام بأمـــر في المطار المحلّي في وقت لاحق من اليوم، ولذلك ربما أحتاج إلى قـــضاء ليلتـــي هـــنا. وسأخبرك عندما أتأكد من الأمر. سأكلمكِ في وقت لاحق. أحبكِ".

علّق والش على ما سمع بالقول: "إذاً، نحن نعرف بأنه وصل إلى هناك، ونعرف بأنه كان قريباً من المكان المستهدف. وعند الساعة التاسعة وست عشرة دقيقة صباحاً، اتصلت به، وتركت رسالة على هاتفه الخليوي الذي استرجعناه من شركة الهاتف". ثم ضغط على الزرّ مجدداً فسمعنا صوت لوري وهي تقول: "مرحباً يا عزيزي. وصلتني رسالتك. كنت نائمة، وسوف أذهب للتبضع اليوم برفقة شقيقتي وآن. اتصل بي لاحقاً، فـــسآخذ هاتفـــي الخليوي معي. هل هذا جيد؟ أخبرني إن كنت تنوي المبيت في ذلك المكـــان. أنـــا أحـــبك، وأنا مشتاقة إليك". وأضافت، "كن حذراً من هؤلاء المعتوهين اليمينيين، فهم يحبون أسلحتهم. توخَّ الحذر".

قلت لوالش: "من الواضح أنك تحدثت إليها".

"أجل، هذا الصباح. قالت لي بأنها تلقّت عند الساعة الرابعة تقريباً من بعد ظهر يوم السبت رسالة نصيّة من هاري على هاتفها الخليوي تقول..." ونظر إلى ورقة على طاولته جاء فيها "أنا آسف، لم أتمكن من تلقّي مكالمتك، فالإرسال سيئ هنا. لقد التقيت ببعض الأصدقاء؛ صيادين ومتنـــزهين؛ أراكِ يوم الاثنين".

لـم يثر أي منّا فكرة أنه يمكن أن تكون الرسالة النصّية من تأليف شخص آخر غيـر هاري. ولكن من الواضح أن لوري اعتقدت بأن هاري هو الذي بعث بالرسالة لأن والـش قـال: "لم تكن سعيدة. فقد اتصلَت به بعد تلقّيها الرسالة النصّية، ولكنه لم يجـب. واسـتمرّت في الاتصال وترك الرسائل، كما اتصلت به عبر مجيبه الصوتي أربـع أو خمـس مـرّات. وآخـر رسالة نصّية أرسلتها إليه كانت يوم الأحد مساءً. ووصفت لي رسائلها بأنها كانت تعبّر عن شعور متزايد بالغضب والقلق. قالت له بأنه في حال لم يردّ على اتصالاتها فسوف تنقطع العلاقة بينهما".

سألته، "في أية مرحلة تحوّل غضبها إلى قلق؟"

أجابنـي والش، "عند الساعة العشرة تقريباً من يوم السبت مساءً. كان لديها رقم الاتـصال الخـاص بالاتـصال بعد انتهاء الدوام، حيث اتصلت وتحدثت إلى العميل المناوب في مكتب التحقيقات الفيدرالي – كِن رايلي – وعبّرت له عن قلقها".

أومـأت برأسـي. سـبق أن تلقـيت اتصالات مثل هذا الاتصال من صديقات، وأصـدقاء، وأزواج، وزوجـات. وأنت تبذل كل ما في وسعك لتعرف إن كان يوجد سـبب وجيه للقلق. وبنسبة مئة في المئة تقريباً من تلك الحالات، يتضح أن المحبوب ليس ميتاً، ولكنه سيكون كذلك عندما يصل إلى البيت.

واصـل والـش حديثه قائلاً: "حاول كِن أن يطمئنها، ولكن الصديقات لا يتلقّين المجاملـة نفسها التي تتلقّاها زوجة أو فرد من أفراد العائلة، ولذلك لم يقدّم لها الكثير من المساعدة. ولكنه أخذ منها رقم هاتفها، وقال لها بأنه سيعاود الاتصال بها في حال وصـلته أية أخبار. وسعى فعلاً إلى الاتصال بهاتف مولر الخليوي ومجيبه الصوتي، ولكنه لم يتلقَّ أي ردّ". وأضاف والش، "لم يكن قلقاً".

فـي الحقيقة، لم يكن يوجد سبب يدعوه إلى القلق، باستثناء فشل هاري في الردّ علـى مجيبه الصوتي. فمن ناحية، كان ذلك يوم عطلة نهاية الأسبوع، ومن المعروف أن العمـلاء ينـسون أجهـزة المجيب الصوتي، في أيام العطل، أو يكونون في أمكنة صاخبة، مثل الحانات أو في فراش هانئ حيث يتجاهلون الصوت أو لا ينتبهون إليه. ومـن ناحـية أخـرى، هاري كان في مهمة. قلت: "ربما كانت المشكلة في الاستقبال السيئ".

أومـأ والـش برأسه وقال: "عندما وصلت إلى هنا عند الساعة الثامنة، راجعت تقارير العملاء المناوبين يوم عطلة نهاية الأسبوع، واطلعت على إفادة كِن رايلي بشأن لـوري وهـاري مولـر. لـم أشعر بالقلق، ولكنني اتصلت بهاتف هاري الخليوي، وبمنـزله، وعرفت أن المجيب الصوتي معه. ثم اتصلت بالآنسة لوري وتحدثت إليها.

ثم أجريت عدة مكالمات أخرى، بما في ذلك مكالمة مع المكتب الميداني لمكتب التحقيقات الفيدرالي في ألباني، وطلبت إلى دائرة العملاء المناوبين في ألباني، وإلى غاري ميليوس، الإبلاغ عن عميل مفقود، وقال إنه سيفعل بالرغم من أنني أحسست أنه لم يكن متأكداً من أن التحرّي هاري مولر فُقد أثناء تأديته مهامه أو أنه غائب عن عمد. وعلى أية حال، قامت دائرة العملاء المناوبين بإبلاغ شرطة الولاية، والتي بدورها أبلغت الشرطة المحلّية التي تعرف المنطقة، ولكن ليس لديها الكثير من الطاقات البشرية. وقد تحققوا من المستشفيات المحلّية، ولغاية الآن لم يتم إدخال أحد إليها بهذا الاسم أو إدخال أشخاص لم تُعرف أسماؤهم".

نظر إلى كايت وإليّ محاولاً، فيما أعتقد، تحديد ردّة فعلنا تجاه ما سمعناه، وتوسّعاً، كيف سيؤثر ذلك عندما يروي الحكاية للأشخاص الذين هم أعلى منه رتبة في التسلسل القيادي.

وأضاف، "بحثت شرطة الولاية عن هاري مولر عبر دائرة المركبات السيّارة، حيث قاموا بالتبليغ عن اسم الشركة المصنّعة للسيارة المقطورة، وعن طرازها، ولونها، ورقم لوحتها. وحتى ربع ساعة من الآن، لم تتم إعادة السيارة... لكن في المناطق الكبيرة المفتوحة، ربما يتطلب الأمر وقتاً طويلاً حتى وإن كانت السيارة لا تزال في المنطقة".

سألته كايت، "هل تصدر عن هاتفه الخليوي أو مجيبه الصوتي أية إشارات؟"

"لا تزال شركة الهاتف تحاول التحقق من الأمر. ولغاية الآن، الجواب هو لا".

في ما يختص بمحادثتي مع هاري، عرفت أنه من المفترض أنه سيكون هنا هذا الصباح، ولكن والش لم يذكر ذلك بعد، ولذلك سألته، "هل كان من المفترض أن يقدم هاري لك تقريراً اليوم؟"

"أجل، كان من المفترض أن يسلّم معداته وأقراص الكاميرا الرقمية إلى القسم التقني قبل التاسعة صباحاً، ثم يأتي إلى مكتبي ليطلعني على النتائج".

"ولغاية الآن، لم تصل إلى مرحلة الشعور بالقلق".

"أنا أشعر بالقلق، ولكنني لن أُفاجأ إذا اتصل الآن أو دخل هذا المكتب".

"أما أن فسأُفاجأ". وأضفت، "لم يكن هاري مولر ليتغيّب عن لقاء مع مشرف".

لم يردّ والش على تعليقي.

لم أكن سعيداً جداً من أسلوب توم والش الهادئ في الإدارة، لكن ينبغي على الأشخاص الذين يتولون مسؤوليات جديدة أن يكونوا حريصين على عدم الاتصال بمدير مكتب التحقيقات الفيدرالي للتبليغ عن أن السماء على وشك السقوط.

كـــان هـــناك بالطبع البُعد الآخر لهذه المشكلة، وهو نادي كاستر هيل نفسه. فلو كان هاري مولر يراقب عبد السلام في الغابة سرّاً واختفى، لكان الردّ مختلفاً جداً. وإذا أردت أن أكـــون ساخراً، سأقول بأنه لو كان هاري مولر أحد عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالـــي ولـــيس أحـــد أفراد شرطة نيويورك، لربما كان الردّ أسرع بعض الشيء بالرغم من عطلة نهاية الأسبوع. في الواقع، ربما كان العميل في المكتب، كِن رايلي، سيتصل بتوم والش يوم الأحد مساءً. لست أعني بذلك أن سلامة رجل في الشرطة أقل أهمـــية مـــن ســـلامة عميل في مكتب التحقيقات الفيدرالي، بل إن الأمر على علاقة بالسمعة غير اللائقة لنيويورك والتي تستحقها بدرجة جزئية لكونها عديمة النظام.

سألت والش، "هل تعتقد أن اختفاء هاري على علاقة مباشرة بمهمته؟"

كـــان جـــواب والش جاهزاً فقال: "لا أريد التكهّن بطبيعة اختفائه، لكن في حال فعلـــت، ســـأقول إنه من المحتمل أن هاري مولر تعرّض لحادث. فهناك الملايين من الفدادين من الأراضي البرّيّة في تلك المنطقة، ومن المحتمل أنه ضلّ طريقه أو أصيب بمكـــروه. من المحتمل أنه تعرّض لكسر في رِجله، أو وقع في شرَك للدببة، أو حتى تعرّض لهجوم من الدببة". وأضاف "وبناء على ما قالته لي دائرة العملاء المناوبين في ألبانـــي، يقـــوم بعض الأشخاص هناك بالاصطياد خارج الموسم أحياناً. وبما أنه من المرجح أن هاري كان يرتدي ثياباً مموَّهة، ربما يكون قد أصيب بطلقة من صيّاد عن طريق الخطأ. في البرّيّة، يمكن أن يتعرّض المرء لكافة أنواع الأخطار، ولهذا السبب تسمّى برّيّة".

قالـــت كايت: "ولهذا السبب لا تعدّ فكرة جيدة إرسال شخص إلى هناك بمفرده. كان من الأفضل أن يكون معه شريك".

أجاب والش، "إذا عدنا إلى الماضي، ربما يكون كلامكِ صحيحاً، ولكنني أشرفت علـــى العـــشرات مـــن مهام المراقبة في الأماكن الريفية بواسطة عملاء منفردين. إن أديرونْداك ليست المجاهل الأفريقية".

"ولكنك قلت بأنه..."

"لا تنتقدونـــي فـــي هذه القضية. إنه إجراء قياسي، وأنتِ لم تثيري تلك القضية عندما ناقشنا فكرة إرسال جون. دعونا نتصدّى للمشكلة المباشرة".

اعـــتقدت بأن والش هو المشكلة المباشرة، ولذلك تصدّيت له، "توم، ما هو نادي كاستر هيل بالضبط؟"

فكّر للحظة ثم أجاب، "أنا لا أرى صلة بين هذا الأمر والعثور على هاري، ولكن إذا كـــنت تـــريد جـــواباً، ... بـــناء على ما أعرفه، وهو ليس بالكثير، إنه نادٍ خاص

وحصري جداً للصيد البرّي والمائي غالباً ما يكون أعضاؤه أثرياء، أو نافذين، أو الأمرين معاً".

"قلتَ أيضاً إن لديهم نفوذاً سياسياً".

"هذا ما قلته فعلاً، ويمكنني القول إن أعضاءه نصفهم من سياسيي واشنطن والنصف الآخر من سماسرة وول ستريت".

"من أين تحصل على هذه المعلومات؟"

"جرى إطلاعي عليها، فلا تسألني عنها". وأضاف "أنا واثق من أن القائمة الحقيقية والمكتملة لأعضاء النادي ليست معلومات عامة، ولهذا السبب، هناك شخص ما في وزارة العدل أراد مراقبة ذلك الاجتماع".

"من الذي اتصل بك؟"

"هذا ليس من شأنك".

"جواب جيد". وفي ما يختص بالرسالة الهاتفية التي بعث بها هاري إلى صديقته، سألت والش "ما العمل الذي كان من المفترض أن يقوم به هاري في المطار؟ وما اسم ذلك المطار؟"

تردّد والش قبل أن يجيب، ثم قال: "مطار أديروندااك المحلّي". وأضاف "على الأرجح أنه وصل بعض الأشخاص الذين كان من المقرر أن يحضروا هذا التجمع يوم عطلة الأسبوع على متن طائرة تجارية؛ فهناك طائرة نقل تخدم هناك. وكان من المقرر أن يذهب هاري إلى المطار يوم السبت أو في وقت مبكر من صباح يوم الأحد للحصول على لوائح مطبوعة بأسماء المسافرين".

أومأت برأسي. لقد نسي والش أن يشير إلى إمكانية الحصول على لائحة المسافرين على متن الطائرات من أي مكتب سفريات يملك حاسوباً، أو مباشرة من المبنى الفيدرالي 26 نفسه بالتعاون مع شركات النقل الجوّي. وهذا يعني أن مهمة هاري الأخرى في المطار كانت معرفة هويات الواصلين على متن طائرات خاصة أو مستأجرة. وبعد ذلك يأتي دور شركات تأجير السيارات، فالحصول على نسخ لعقود التأجير سيكون مفيداً جداً في محاولة تحديد الأشخاص الذين ربما حضروا اللقاء. بدأت أُفكّر في متابعة العملية بنفسي.

على أية حال، عمد توم والش إلى تغيير الموضوع فقال: "فتشت شرطةُ الولاية الطائرة بواسطة أجهزة الاستشعار التي تعمل بالأشعة ما تحت الحمراء بحثاً عن كائنات حيّة كبيرة، أو ماتت حديثاً. وهم مدربون ومجهزون تجهيزاً حسناً للبحث عن الأشخاص المفقودين في الغابات".

"هـــذا جـــيد". جاء دوري الآن لتغيير الموضوع فأشرت إلى والش قائلاً: "يبدو أنك تلمّـــح إلى أنها كانت مهمة روتينية، ولكنك هنا في يوم عطلة للاجتماع بهاري والحصول علـــى ملخص للنتائج التي توصل إليها. ومن الواضح أن أعضاء القسم التقني متواجدون لاســـتلام أقـــراص الكاميرا الرقمية وشريط الفيديو والتي أفترض بأنها ستُرسل في أسرع وقت ممكن إلى واشنطن إضافة إلى أية معلومات يحصل عليها من المطار".

"ماذا تقصد بكلامك هذا؟"

"ما مدى إلحاحية عملية المراقبة تلك؟"

"لـــيس لديّ أدنى فكرة. أنا أنفّذ الأوامر مثلك بالضبط... في الواقع، أنت لا تنفّذ الأوامـــر، بخلافـــي أنا". ونصحني بالقول: "أنت بحاجة فقط إلى طرح أسئلة تساعدك علـــى إنهـــاء مهمـــتك". وزاد مـــن معلوماتي بالقول: "وظيفتنا هي جمع المعلومات الاســـتخبارية. فـــي بعـــض الأحيان، نعرف كيفية القيام بذلك، وفي أحيان أخرى لا نعـــرف. يُطلب إلينا في بعض الأحيان التحرّك بناء على معلومات استخبارية، وأحياناً تقوم جهة أخرى بذلك".

"منذ متى أنتم تعملون على هذه المهمة؟"

"منذ فترة طويلة".

كمـــا هو الحال دائماً، يوجد صراع خفيف بين الحضارات بين مكتب التحقيقات الفيدرالي والشرطة، وأنا متأكد من أنه يُحبط الجميع.

قالت كايت لوالش: "توم، لقد عملت مع الكثير من أفراد شركة نيويورك منذ أن التحقت بالوحدة التكتيكية، وتعلمت الكثير منهم، وتعلموا الكثير منّا".

فـــي الواقع، لم أتعلم شيئاً من مكتب التحقيقات الفيدرالي، بالرغم من أن التعامل مع وكالة الاستخبارات المركزية عمل مشوّق.

واصـــلت كايت حديثها فقالت: "منذ 11 سبتمبر/أيلول، صرنا بحاجة إلى التفكير بطريقة مختلفة، وطرح أية أسئلة نرغب في طرحها، وتحدّي المسؤولين عنّا عندما لا نقتنع بما يقولونه لنا".

نظر والش إليها لفترة، ثم قال: "أعتقد أن هناك شخصاً يقدّم لك مثالاً سيئاً".

"كلا، ما حصل قبل سنة مضت هو الذي غيّر طريقتي في التفكير".

لم يردّ والش على كلامها وقال: "دعونا نعود إلى موضوع فقدان..."

قاطعـــته كايت، وبدأت باتباع أسلوب محاميها. "توم، أنا لم أفهم بعد لماذا تخضع هذه المجموعة للمراقبة. ما هو النشاط غير القانوني أو الجريمة الفيدرالية التي يُشتبه بارتكابهم لها؟"

"لا علاقة للعمل الذي يُشتبه بأنهم يقومون به، بصرف النظر عن حقيقته، باختفاء هاري مولر الظاهر، ولذلك لا حاجة لديك إلى أن تعرفي أي شيء عنه".

تـــدخلتُ في الموضوع وقلت له: "هذه مجموعة رجعية، أليس ذلك صحيحاً؟ نادٍ لمعتوهين من الجناح اليميني".

أومأ برأسه موافقاً.

"إذاً، إذا ســلّمنا بهذه الأمر وحقيقة أن أعضاء هذا النادي الذي يوصف بأنه نادٍ للـــصيد مـــن أصحاب النفوذ السياسي والمالي الكبير، ربما نحن نتحدث عن مؤامرة للاستيلاء على الحكومة".

ابتسم وأجاب، "أعتقد بأنهم قاموا بذلك فعلاً يوم الانتخابات".

"هذه نقطة جيدة. وفي هذه الأثناء، نودّ فعلاً معرفة المعلومات التي أطلعتك عليها القيادة".

قال: "حسناً، ما قيل لي هو إن لهذا الأمر علاقة بمؤامرة للتلاعب بأسعار النفط. فالشخص الذي من الواضح أنه يدير النادي هو باين مادوكس. ربما سمعتَ هذا الاسم، فهو يملك ويدير شركة النفط العالمية غوكو". وأضاف "أعتقد أنني أخبرتكما أكثر مما أنتما بحاجة إلى معرفته".

فكّــرت في الأمر. بدا الاسم مألوفاً، والتلاعب بأسعار النفط مسألة معروفة. لكن ذلـــك لا يـــشرح بالكامل سبب وجود نادي كاستر هيل، أو حتى سبب انتماء أعضائه إلـــيه. هـــناك شـــيء غامض في الموضوع، وتوم والش لن يعمد إلى توضيح الأمر بطريقة مباشرة حتى ولو كان في مقدوره ذلك.

بالرغم مما تقدم، قلت له: "قرأت المذكّرة التي رفعتها".

"هذا أمر مشجّع".

قلت: "كنت أعتقد بأن العراقيين على النار الحامية".

"هذا صحيح".

"إذاً؟ ما علاقة نادي كاستر هيل بالعراقيين أو بالحرب الوشيكة؟"

"لا تـــوجد علاقة على حسب علمي. جاءت فكرة تكليف هاري بتلك المهمة لأن النادي أراد عقد اجتماع في يوم العطلة، وهو أمر أعتقد بأنه ليس شائعاً. هل تعاني من مشكلة في متابعة ذلك".

"أنـــا آســـف، فقد كنتُ على استعداد للعمل بموجب مذكّرتك، وألفّ خرقة حول رأسي، وأحوم حول مقهى عراقي اليوم".

قال: "انسَ هذا الموضوع. دعونا نعود إلى المشكلة التي بين أيدينا. بصراحة، لم أبلّغ القيادة لغاية الآن عن هذا العميل المفقود، لكن في وقت مبكر جداً، سيقوم شخص هناك بالاستعلام عن المعلومات التي طلبنا الحصول عليها. وعندما يحدث ذلك، عليّ أن أشرح بأنني فقدتُ الاتصال بشكل مؤقت بهذا العميل الذي كُلف بالمهمة. وهذه لن تكون محادثة ودّية، لكن إذا تمكنا من الاستراحة بين الحين والآخر، فقد أكون قادراً على توفير بعض الأخبار الإيجابية".

قلت: "أرغب وكايت في الذهاب إلى شمال الولاية والمساعدة في عمليات البحث".

أنا واثق من أنني لست خيار توم والش الأول للقيام بهذه المهمة، ولكنني كنت مناوباً في ذلك اليوم، إضافة إلى أنه يعرف بأمر الصداقة التي تجمعني بهاري. كما أنه كان بحاجة إلى إرسال عميل من مكتب التحقيقات الفيدرالي إلى المنطقة في أسرع وقت ممكن، وكايت ارتكبت خطأً بالمجيء إلى هنا لقضاء نصف يوم عطلة، وصار في مقدور والش أن يخبر واشنطن بأن لديه فريقاً فعلاً في طريقه إلى شمال الولاية.

خاطبنا والش قائلاً: "اعتقدتُ أنك سترغب في القيام بذلك، وبالتالي نكون قد فرغنا من هذه المسألة".

"هذا جيد. سنغادر في أسرع وقت ممكن".

نظر إلى ساعته وقال: "في الواقع، ستغادران في غضون خمس دقائق تقريباً، فهناك سيارة في انتظاركما لكي تنقلكما إلى مطار الطوافات في وسط المدينة. وهناك، ستنقلكما طوافة تابعة لمكتب التحقيقات الفيدرالي إلى مطار أديروندااك المحلّي. ستستغرق الرحلة حوالى الساعتين، وستجد سيارة هيرتز مستأجَرة باسم جون". وأضاف "اتصلا بي عندما تصلان إلى هناك، وسأزودكما بالمزيد من التعليمات".

سألته كايت، "هل يوجد شخص نتصل به هناك؟"

"ربما، فهناك عملاء من ألباني وآخرون من المنطقة سينضمون إليكما هذا المساء أو في الغد".

سألته، "هل حصلنا على مذكّرة تفتيش لنادي كاستر هيل؟"

"آخر شيء سمعته من مكتبنا في ألباني هو أنهم يحاولون العثور على مدعٍ عام يوم العطلة، والذي بدوره بحاجة إلى قاضٍ فيدرالي يرغب في العمل اليوم".

"هل حاولوا البحث في الصالونات؟"

واصل والش حديثه فقال: "سيحتاج المدعي العام إلى إقناع القاضي بأنها قضية فيدرالية، وأن عليه إصدار مذكّرة تفتيش لأملاك نادي كاستر هيل - التي تبلغ

مساحتها حوالى أربعين كيلومتراً مربعاً - ولكن ليس مبنى النادي نفسه، فنحن لن نتمكن من الحصول على ذلك بدون قضية محتملة، وما من سبب يدعونا إلى الاعتقاد بأن هاري مولر موجود داخل المبنى".

قالت كايت: "لسنا بحاجة إلى مذكرة تفتيش لولا وجود خطر مباشر يهدد حياة شخص".

وافق والش على ما قالته وأضاف، "أنا على ثقة من أن المالك، السيد مادوكس، سيرضى بالبحث عن شخص ربما يكون مفقوداً أو مصاباً في أملاكه، وسنبدأ بسلوك هذا المسار أولاً. لكن في حال لم يكن مادوكس متعاوناً، أو لم يكن موجوداً، وإذا لم يكن موظفو النادي يعرفون ماذا عليهم أن يفعلوا، عندها سننفذ مذكرة التفتيش للبحث في المكان".

سألته، "وكيف سنشرح لمادوكس أنه ربما يكون هناك عميل فيدرالي مفقود في أملاكه؟"

"لا حاجة إلى أن يعرف بأنه عميل فيدرالي. وسنترك أمر تفتيش الملكية إلى شرطة الولاية". وأضاف "من الواضح أننا نبذل كل ما في وسعنا، من غير أن ننبّه مادوكس إلى أنه يخضع للمراقبة".

قلت: "إذا كان هاري محتجَزاً لدى حرّاس النادي، فهذا يعني أن مادوكس يعلم بأنه تحت المراقبة، أليس كذلك يا توم؟"

أجاب والش، "أولاً، لا يوجد دليل أو سبب يحملنا على الاعتقاد بأن هاري محتجَز في نادي كاستر هيل. لكن في حال كان هناك فعلاً، فسيتمسك بقصة غطائه بالتأكيد".

"وهي؟"

"مراقبٌ للطيور تاه في البريّة".

"أنا أعتقد بأن القصة لن تطير، اعذرني على هذا الوصف. وماذا لو فتّش الحرّاس مقتنياته؟ هل كان بدون معدات عندما دخل أرض النادي؟"

تردّد والش ثم أجاب، "كلا. لكن ما هي احتمالات أن يقوم حرّاس من القطاع الخاص بإجراء عملية تفتيش بدني لشخص انتهك حرمة أرض؟ وهل سيسمح لهم هاري بذلك؟"

أجبته، "أنا لا أعرف يا توم، ولكن لا أرغب في معرفة ذلك بالطريقة الصعبة. ولو كنتُ الشخص الذي اجتاز حدود الأرض لما كنت سأحمل معي بطاقتي الفيدرالية. فأفراد الشرطة الذين ينتحلون صفة تجار المخدرات لا يأخذون مسدساتهم وشاراتهم معهم".

لا يظهر أن والش قدّر هذه المحاضرة وقال لي: "قبل كل شيء، نادي كاستر هيل ليس وكراً للمخدرات، ولذلك لا تستخدم تشبيهات شرطة نيويورك عندما لا تكون لائقة. ولذلك، دعنا نفترض بأن الحراس في نادي كاستر هيل لم يوقفوا هاري، أو يحتجزوه، أو يفتشوه".

"حسناً، دعنا نفترض إذاً أنه تاه أو أصيب بجرح في أملاك النادي. ينبغي أن تنفّذ شرطة الولاية والشرطة المحلّية عملية تفتيش برّي وجوّي لأملاك النادي الآن. ماذا ننتظر؟"

"إننا لا ننتظر شيئاً يا جون. إننا نتحدث عن القيام بخطوة في كل مرة، وهم يبحثون في المنطقة الحرجية خارج أملاك النادي". نظر إلينا وقال: "أنا شخصياً لا أعتقد بأننا سنجد هاري في تلك الأرض، ولا أنتما أيضاً إذا فكرتما في الأمر. دعونا نكون منطقيين، ونوازن بين قلقنا على هاري وحاجتنا إلى إبقاء السيد مادوكس جاهلاً بموضوع المراقبة".

أجبته، "أنا لا أعتقد بوجود أمل في ذلك".

"هذا لا يختلف عن أية مهمة أخرى. ستحصل على ما تحتاج إليه من معلومات عندما تقوم بالخطوة التالية".

"يبدو الأمر سخيفاً بالنسبة لي".

"إنها السياسة الرسمية المتبعة فعلاً".

قالت كايت: "جون، ينبغي أن نذهب".

وقف والش ووقفنا معه. قال: "إذا حدثت تطورات أثناء ذهابكما إلى هناك، فسأتصل بالطوافة".

تصافحنا وقال والش: "إذا احتجتما إلى قضاء الليلة هناك، احجزا غرفة في فندق".

قلت: "لا تتوقع أن ترانا إلى أن نعثر على هاري".

"أتمنّى لكما حظاً موفقاً".

غادرنا مكتب والش، وعدنا إلى مكتبينا، وأطفأنا حاسوبينا، وجمعنا حاجياتنا، ونزلنا بواسطة المصعد إلى الردهة.

كان هناك سيارة وسائقها في انتظارنا في الخارج. سألتني كايت ونحن في طريقنا إلى مطار الطوافات "ما رأيك؟"

"أعتقد بأنه ما كان ينبغي أن تذهبي إلى المكتب في يوم إجازتك. لا يوجد عمل طيب بدون ثمن".

قالت: "كنت محظوظة بأنني قدمت إلى هنا. أعني ماذا تعتقد أنه حلّ بهاري؟"

أجبتها، "بناء على خبرتي وإحصائياتي، التفسير الأكثر احتمالاً لأي حالة اختفاء، وخـصوصاً إذا كنا نتحدث عن رجل راشد، هو أن الأمر ليس حادثة لم يتم اكتشافها بعد، ولا جريمة انتحار، ولا اختفاء مقصود. فمن النادر أن تحدث أعمال غبية في مثل هذه الحالات".

فكرتْ في الأمر وسألتني، "هل تعتقد بأنه تعرّض لحادث."

"كلا".

"هل تعتقد بأنه انتحر؟"

"ليس هاري بالشخص الذي ينتحر".

"هل تعتقد بأنه يضيّع وقته في مكان ما؟"

"كلا".

"إذاً، ..."

"أجل".

ولم نتحدث بعد ذلك طوال فترة ركوبنا في السيارة.

الفصل 18

كانت هناك بضع طوافات جاثمة في المطار، وكان من السهل علينا العثور على طائرتنا لأنها تحمل إشارة مكتب التحقيقات الفيدرالي، وغالبية طائرات مكتب التحقيقات لا تحملها. أنا أفضل السفر إلى مكان والوصول إليه مع مرافقة لا تحمل أية رموز، ولكن الطيار علّل ذلك بأنها الطوافة الوحيدة المتوفرة على جناح السرعة. لا توجد لديّ مشكلة.

صعدنا إلى متن الطوافة - من نوع بيل جِت رانجر - وأقلعت من المنصة التي بجانب النهر الشرقي، وتبعت مجرى النهر متوجهة شمالاً. على يساري بدا أفق جزيرة مانهاتن، وإلى يميني بدت الأراضي المنبسطة الغامضة لبروكلين وكوينز، والتي من النادر أن أذهب إليها.

واصلت الطائرة تحليقها شمالاً فوق هادسون متتبعة وادي النهر الساحر.

في أقل من عشر دقائق، مررنا فوق جسر تابين زي، وبعد ذلك ببضع دقائق، بتنا نحلّق فوق الأراضي الريفية المفتوحة على جانبي الوادي فيما واصلنا تتبع مجر نهر هادسون شمالاً.

أنا لست معجباً بتمضية الوقت في الهواء الطلق، لكن من هذه النقطة المرتفعة، كان المشهد بانوراما ساحرة من البلدات الصغيرة، والمزارع، والأشجار التي كانت أوراقها الخريفية تتوهج تحت أشعة الشمس الساطعة.

قالت كايت: "ينبغي أن نستأجر منزلاً لقضاء عطلة نهاية الأسبوع هنا".

عرفت أنها ستقول ذلك. فما من مكان نذهب إليه إلاّ وترغب في استئجار بيت جبلي أو ساحلي لقضاء عطلة نهاية الأسبوع فيه. وأعتقد بأن عدد تلك المنازل بلغ أربعة عشر منزلاً. أجبتها، كما أجيبها دائماً "هذه فكرة رائعة".

كان نهر هادسون، راين أميركا، يتلألأ تحت أشعة الشمس، وكان في مقدورنا رؤية المنازل الريفية الكبيرة والقلاع على امتداد ضفتي النهر. قلت: "هناك قلعة رائعة مع لافتة مكتوب عليها 'للبيع'".

تجاهلتْ ما سمعت وقالت: "أحياناً أفكر في ترك عملي، وشراء منزل في الريف، وعيش حياة طبيعية". وسألتني، "هل سبق أن فكّرت بذلك؟"

سمعت هذه العبارة قبل ذلك أيضاً، لكن ليس من كايت، وإنما من أشخاص آخرين منذ 11 سبتمبر/أيلول. والأطباء النفسانيون علّلوا ذلك بالإجهاد الذي يلي التعرّض لرضوض نفسية، والقلق من الحرب، والخوف من هجوم آخر، والذعر من جرثومة الجمرة الخبيثة، ... إلخ. أجبتها "كنت جاهزاً لتوضيب أمتعتي في السنة الماضية كما تذكرين، لكن بعد وقوع الهجمات، عرفت أنني لن أذهب إلى أي مكان". وأضفت "لديّ حوافز تدفعي إلى العمل".

أومأت برأسها وقالت: "أفهم ذلك، ولكنني أُفكّر باستمرار في أن ذلك سيحصل مرة أخرى، وعندها يمكن أن يكون الهجوم أسوأ. ربما سيستخدمون جرثومة الجمرة الخبيثة، غازاً سامّاً، قنبلة إشعاعية..."

لم أعلّق على كلامها.

قالت: "لقد غادر الناس المدينة يا جون".

"أعرف ذلك. فقد بات أسهل بكثير الآن الحصول على سيارة أجرة، وحجز طاولة في مطعم".

"هذا ليس أمراً مضحكاً".

"كلا إنه ليس أمراً مضحكاً". في الواقع، أنا أعرف أشخاصاً اشتروا منازل في الريف بعد 11 سبتمبر/أيلول، أو اشتروا قوارب من أجل هروب سريع، أو رحلوا ببساطة إلى دبوبوك. وهذا ليس أمراً جيداً بالرغم من أنه ربما يكون ذكياً.

قلت لكايت: "أنا أكبر منكِ سنّاً، وأنا لا أزال أذكر زمناً كانت الأمور تسير فيه بطريقة مختلفة. وأنا لا أحب طريقة العيش التي حملنا هؤلاء الأوغاد على اتّباعها. إنني أرغب في العيش فترة طويلة بما يكفي لكي أرى الأمور تتجه نحو التحسّن، وأرغب في أن ألعب دوراً في تحسينها". وأضفتُ، "أنا لن أهرب".

لم تردّ على كلامي، ونظر كل منا من النوافذ إلى المنظر الطبيعي في فصل الخريف.

على الضفة الغربية لنهر هادسون، ظهرت أكاديمية وِست بوينت العسكرية الأميركية بأبراجها القوطية الشاهقة التي تأسر أشعة الشمس. وكان في مقدوري رؤية تشكيل للطلاب العسكريين على أرض الاستعراضات.

قالت كايت: "إن الأمور لن تتحسن في زمانك أو زماني".

"لا يمكنكِ معرفة ذلك. وفي هذه الأثناء، سنبذل أقصى ما لدينا".

فكّرت للحظة ثم قالت: "أعتقد بأنه لا علاقة للقضية التي يعمل عليها هاري بالإرهاب الإسلامي، ولكنها جزء من المشكلة نفسها".

"من أية ناحية؟"

"الأمـــر كلـــه يتعلق بأشخاص منخرطين في صراع على القوة من نوع معيّن. فالمراد هو استخدام كلمة الدّين، أو السياسة، أو الحرب، أو النفط، أو الإرهاب... من أجل شيء أسوأ بكثير مما شهدناه لغاية الآن".

"ربما. وفي هذه الأثناء، دعينا نعثر على هاري".

عادت كايت إلى النظر من النافذة.

تتميّـــز كايـــت بالـــشجاعة البدنية، وهذا ما تبيّن لي عندما استخدمنا السيد خليل كهـــدف للتدريب بواسطة بندقيته القنّاصة، غير أن أحداث السنة الماضية نالت نصيبها مـــن صحّتها النفسية. كما أن عملنا في هذه المهنة لم يساعد أياً منّا في صحته العقلية بسبب قراءة المذكرات السرّية التي كانت تصلنا كل يوم والمتعلقة بهذا الخطر المحلّي أو ذاك. كمـــا أن الحـــرب التي بدأت تلوح في أفق العراق بدأت تتلف أعصاب بعض الأشخاص الذين كنت أعمل معهم.

عاشت كايت أياماً حلوة وأياماً مرّة، كما هو الحال معنا. وهذا اليوم لم يكن يوماً حلواً. في الواقع، كان يوم 10 سبتمبر/أيلول 2001 آخر الأيام الحلوة.

القسم 9

يوم الاثنين

شمال ولاية نيويورك

بالنظـــر إلى حجم الردّ الفيدرالي المنتظر على حادثة محتملة تُستخدم فيها أسلحة دمار شامل، فقد يشعر المسؤولون عن توجيه الردّ بالتردد في البداية في تشغيل الآليات التي تطلق الردّ.

– الإرهاب في الولايات المتحدة

من منشورات مكتب التحقيقات الفيدرالي، 1997

الفصل 19

بعـــد مرور ساعتين وخمس عشرة دقيقة على إقلاع الطائرة من مطار الطوافات فـــي وسط المدينة، حلّقت فوق بلدة لايك سراناك الواقعة في شمال الولاية. وبعد ذلك ببـــضع دقائق، ظهر ثلاثة مدارج طويلة للطائرات ترسم مثلثاً محاطاً بالغابة. وأعتقد أنني رأيت دببة متربّصة عند حافة الفسحة الخالية من الأشجار.

وفـــيما كانـــت الطائـــرة تهبط، شاهدت بعض الطائرات النفاثة الجميلة التجارية جاثمـــة على المدرج، بالرغم من أن طائرة واحدة فقط رُسم على ذيلها شعار الشركة المالكة. بالنسبة إلى الطائرات المملوكة من قبل شركات تجارية، لا تدفع هذه الشركات ثمناً لقاء إعلاناتها لأسباب أمنية من ناحية، ولأنها تثير غضب حملة الأسهم من ناحية أخـــرى. وبالرغم من ذلك، نظرت إلى طائرة كانت تحمل شعار غوكو، ولكنني لم أرَ أية علامات مميزة بعد أن بدأت طائرتنا تحوم على ارتفاع منخفض.

كـــان الطيار يتحدث إلى شخص بواسطة جهاز اللاسلكي، ثم هبط بالطوافة على أرض معبّدة خلف مبنى مرتفع مصنوع من الخشب بدا شبيهاً ببيوت أديروندداك، ولكنه بـــدا أنه لا يتناسب بعض الشيء مع مطار. ومن زياراتي المتباعدة للمناطق الجبلية، عرفت أن السكان المحليين يقيمون وزناً كبيراً للتقاليد الريفية، وفوجئت لأن العنابر لم تكن شبيهة بالأكواخ الخشبية.

على كل حال، أوقف الطيار محرّك الطوافة، وانخفض مستوى الضجيج بدرجة كبيرة.

خـــرج مساعد الطيار من المقصورة، وفتح باب الكابينة، وأمسك بيد كايت فيما كانت تهمّ بالخروج. تبعتُها من غير أن أمسك بيد الرفيق، وقلت له بصوت يعلو على صوت الشفرات الدوّارة المتباطئة، "هل شاهدت دببة؟"

"ماذا قلت؟"

"لا بأس. هل ستبقى هنا؟"

"كـــلا. ســـنتزوّد بالوقـــود، ثـــم نعود إلى نيويورك". وفيما كان يتحدث، لمحت صـــهريجاً للوقـــود يتجه نحونا وهو ما اعتبرته خدمة أسرع من الخدمة التي أحصل

عليها في محطات الوقود. واعتقد بأنه لا بدّ وأن للأمر علاقة بشعار مكتب التحقيقات الفيدرالي المرسوم على الطوافة.

التفتُّ ونظرت من حولي إلى أرض المطار الخالية تقريباً. كانت طائرات الشركات جاثمة في صف على منحدر أسود على مسافة بعيدة، وبدت وراءها مجموعة متفرقة من الطائرات الصغيرة الخفيفة. ولم يكن يوجد نشاط يستحق الذكر.

كان الطقس بارداً وكان في مقدوري رؤية بخار الهواء الذي أتنفسه، وهو الأمر الذي لم أكن أرغب في رؤيته في الساعة 1:30 من بعد ظهر يوم أحد مشمس في مطلع أكتوبر/تشرين الأول.

قالت كايت: "هل تشم رائحة الهواء؟"

"أنا لا أشم شيئاً".

"الهواء الجبلي يا جون. وانظر إلى الأشجار وإلى تلك الجبال".

"أين نحن يا تُرى؟"

"في الفردوس".

من الواضح أن المبنى الذي في أديرونداك كان محطة الوصول الرئيسية للركاب. مشينا نحو المدخل الأمامي الذي كانت له شرفة مسقوفة ومحاطة بقضبان حديدية صدئة. كانت هناك طاولة وماكينة بيبسي على الشرفة، وكان هناك رجل أمن يدخن سيجارة. لا يمكن لأحد أن يخلط بين هذا المكان ومطار جون كينيدي الدولي.

قالت كايت: "سأتصل بتوم".

"لماذا؟"

قالت: "ربما يفترض بأحد أن يلتقي بنا هنا".

"حسناً، لا يمكنني فهم سبب عدم قدرتهم على العثور علينا". في الواقع، لم يكن يوجد أحد في الجوار، وبالكاد كان هناك أكثر من عشر مركبات في موقف السيارات، نصفها يعود لأشخاص جاءوا بتذكرة ذهاب إلى هذه البريّة.

دخلنا المحطة التي كانت أكثر دفئاً من وادي الألب في الخارج. كانت محطة صغيرة، وعاملة، وهادئة.

بالرغم من صغر حجم هذا المكان وعزلته، كانت هناك نقطة تفتيش أمنية، مجهزة بممشى مزود بجهاز كاشف للمعادن وجهاز ماسح للحقائب. لم يكن يوجد موظفون أمنيون عند نقطة التفتيش، كما لم يكن يوجد مسافرون، ولذلك افترضت بأن خروجنا سيكون سريعاً.

نظــرت كايــت مــن حولها في المحطة الخالية وقالت: "أنا لا أرى شخصاً قدم لاستقبالنا".

"كيف يمكنك استنتاج ذلك مع كل هذه الحشود؟"

تجاهلــتْ تعليقي وقالت: "هناك مقر لشركة لتأجير السيارات... ومطعم، وغرف جلوس. أين تريد أن تبدأ؟"

"مــن هــنا". تــوجهت نحو مكتب قطع التذاكر الوحيد والذي كان يحمل شعار كونتيننتال كوميوتير.

سألتني كايت، "ماذا تنوي أن تفعل؟"

"دعينا نرى ماذا كان يُفترض بهاري أن يجد هنا".

"هذا ليس ما أرسلنا توم..."

"اللعنة على توم".

فكّرت للحظة ثم قالت: "أجل عليه اللعنة".

اقتــربت مــن المكــتب الــصغير الذي كانت تعمل فيه امرأة حسنة الهندام في منتصف العمر وشاب جالس على كرسي وهو يراقبنا. بدا أنهما شقيقان، ولسوء الحظ، أعتقد بأن أبويهما شقيقان كذلك!! رحبت بنا السيدة التي كانت تحمل شارة مكتوباً عليها بيتي، "مساء الخير، كيف يمكنني مساعدتكما؟"

أجبتها، "أريد قطع تذكرة إلى باريس".

سألتني، "هل ترغب في السفر عبر ألباني أو بوسطن؟"

"ما رأيك في عدم السفر عبر أي من المدينتين؟"

قالــت بيتــي: "ســيدي، لا توجد رحلات مباشرة إلى أي مكان من هنا، إلاّ إلى ألباني أو بوسطن".

"لا بدّ أنكِ تمزحين. وماذا بشأن الطائرات القادمة؟"

"الأمر نفسه. ألباني وبوسطن، كونتيننتال كوميوتير، رحلتان في اليوم. لقد فاتتك للــتو آخــر رحلــة مــتوجهة إلــى بوسطن". أشارت بإصبعها إلى جداول القادمين والمــسافرين على الجدار خلفها وأضافت "تتوجه طائرتنا إلى ألباني عند الساعة الثالثة من بعد الظهر".

خط طيران جوّي واحد، مدينتان، رحلتان إلى كل مدينة. هذا يجعل عملنا أسهل وأسرع. قلت لها: "أرغب في التحدث إلى المدير".

"أنت تتحدث إلى المديرة".

"اعتقدت بأنكِ وكيلة لبيع التذاكر".

"أنا كذلك".

آمل بألاّ تكوني الطيار أيضاً".

بدت كايت عاجزة عن تحمّل سخافاتي، فأبرزت بطاقتها وقالت: "مكتب التحقيقات الفيدرالي، سيدتي. أنا العميلة الخاصة مايفيلد وهذا هو التحرّي كوري، مساعدي. هل نستطيع التحدث إليكِ على انفراد؟"

نظرت بيتي إلينا وقالت: "آه... أنتما الشخصان اللذان وصلا للتوّ على متن طوافة".

أعتقد بأن الأخبار الهامة تنتشر بسرعة هنا. أجبتها "أجل يا سيدتي. إلى أين يمكننا الذهاب للتحقق من جداول أسماء الركاب؟"

نهضت من مقعدها، وطلبت إلى مساعدها، راندي، المحافظة على الحصن، ثم قالت لنا: "اتبعاني".

دخلنا عبر باب مفتوح إلى مكتب صغير فارغ يحتوي على طاولات، وحواسيب، وأجهزة فاكس، وأجهزة إلكترونية أخرى.

جلستْ إلى إحدى الطاولات، وسألت كايت - لا أعتقد بأنها أُعجبت بي - "ما الذي تحتاجين إلى معرفته؟"

أجابت كايت، "أريد الحصول على لائحة بأسماء المسافرين الذين قدموا إلى هنا في أيام الخميس، والجمعة، والسبت، واليوم. كما أريد لائحة بأسماء المسافرين الذين غادروا في تلك الأيام إضافة إلى أسماء من غادروا اليوم".

"حسناً..."

سألتها، "هل قدم شخص آخر إلى المكان، أو اتصل بكِ في الأيام القليلة الأخيرة ليسألكِ عن جداول أسماء الركاب؟"

هزّت رأسها وأجابت، "كلا".

"هل يمكنكِ التحقق من أن شخصاً اتصل أو جاء إلى هنا في غيابك؟"

أومأت برأسها وقالت: "بكل تأكيد. كان جايك أو هارييت، أو راندي سيقول لي".

ربما كانت كايت على حق في أنه ينبغي عليّ أن أقوم بما قام به الكثير من زملائي وأحصل على وظيفة رئيس دائرة شرطة في بلدة صغيرة حيث يعرف كل واحد طبيعة أعمال الآخرين. يمكن لكايت أن تعمل حارسة عند نقطة دخول السيارات إلى المدرسة، وأمضي كامل وقتي في الحانة، فيما تقيم علاقة مع أحد حرّاس الغابة.

قلت لبيتي: "حسناً، هل يمكنكِ طباعة هذه اللوائح؟"

أدارت بيتي كرسيها، وضغطت على أزرار لوحة المفاتيح.

وفـيما بدأت الطابعة تخرج أوراقها، نظرتُ إلى بضع صفحات وقلتُ: "لا يوجد الكثير من الركاب في هذه الرحلات".

أجابت بيتي وهي تضغط على المفاتيح "إنها طائرة صغيرة تسيّر رحلات يومية، وهي تتسع لثمانية عشر راكباً على الأكثر".

كانـت تلك أخباراً طيّبة. سألتها، "وهؤلاء هم كافة المسافرين الذين وصلوا إلى المكان أو سافروا منه في الأيام التي تكلمنا عنها؟"

"لغاية الآن، ولكنني لا أستطيع معرفة من سيسافر إلى ألباني عند الساعة الثالثة، ولا أسـماء مـن سيـسافرون يوم غد، ولكنني أحصل على لوائح حجز خاصة بتلك الرحلات".

"هذا جيد". ثم سألتها "هل لديك سجل بالطائرات الخاصة القادمة والمغادرة؟"

"كــلا، فهذا خط جوّي. لكن الطائرات الخاصة من جملة الملاحة الجوّيّة العامة، ومكتب العمليات يهتم بهذا الأمر".

"بالطبع. ماذا كنت أريد أن أقول؟ إذاً، أين يوجد مكتب العمليات؟"

"عند الطرف الآخر للمحطة".

لكن قبل أن أتمكن من القول إن المكان ليس كبيراً ليكون له طرف آخر، أضافت بيتي "ستجد عندهم سجلاً بالطائرات القادمة والمغادرة فقط في حال أمضت ليلة هنا أو تزودت بالوقود".

هـذا مـا يعجبنـي في هذه الوظيفة؛ أنت تتعلم شيئاً جديداً كل يوم عن أمر لن تستخدمه طوال المدة المتبقية من حياتك.

سألتها كايت، "هل يمكنكِ الحصول على هذه السجلات؟"

أجابت بيتي، "سأرسل راندي لكي يحصل على نسخة عنها".

أمـسكت بـسماعة الهاتف وقالت لمساعدها: "أريد منك هذه الخدمة يا عزيزي. اذهـب إلـى مكتب العمليات". شرحت له ما تريده منه، وأعادت السماعة، وخاطبتنا قائلة: "هل يمكنني أن أسأل عن سبب حاجتكم إلى لوائح المسافرين؟"

أجابـت كايت، "لا يحقّ لنا الإجابة عن هذا السؤال، وأريد منك ألاّ تتكلمي عن هذا الموضوع مع أي شخص كان".

وأضافت، "ولا إلى جايك، أو هارييت، أو راندي".

أومـــأت بيتـــي رأسها بطريقة عفوية فيما كانت تُفكّر في لائحة بكافة الأشخاص الذين ستخبرهم عن زيارة مكتب التحقيقات لها.

وفـــي غــضون بــضع دقائق، ظهر راندي وسلّم بعض الأوراق لبيتي، والتي بــدورها سـلّمتها إلـــى كايت. نظر كلانا إلى الأوراق. كان هناك عشرات الطائرات الخاصــــة التـــي سجّلت نفسها في الأيام المعنية، ولكن المعلومات الوحيدة التي كانت مذكـــورة فـــي الأوراق أفادت عن الشركة المصنّعة للطائرة، وطرازها، ورقم ذيلها. سألت بيتي "هل يمكنكِ معرفة إن كانت توجد معلومات عن مالكي هذه الطائرات؟"

"كلا، ولكنكم تستطيعون معرفة ذلك من الأرقام الموجودة على الذيل".

"حسناً، وهل يمكننا معرفة من كان على متنها؟"

"كلا، بالنسبة إلى حركة الطيران العامة - الرحلات الخاصة - لا توجد سجلات بأسماء الركاب. ولهذا السبب تسمى خاصة".

"هـــذا صحيح". وفي هذه الأثناء، يمكن أن يكون أسامة بن لادن على متن طائرة خاصـــة من غير أن يدري أحد بذلك. والآن، بعد سنة على أحداث 11 سبتمبر/أيلول، لا يـــزال الأمن الخاص بالرحلات العامة غير موجود، في حين يجري تفتيش الركاب المسافرين على متن طائرات تجارية، بما في ذلك الأطفال، وأطقم الطائرات، والنساء المتقدمات في السنّ، حتى عندما يسافرون على متن طائرات صغيرة.

جمعت كايت الأوراق، ووضعتها في حقيبتها الصغيرة.

طـــرحتُ على بيتي السؤال النموذجي التالي "هل لاحظتِ أمراً غير اعتيادي في عطلة نهاية الأسبوع؟"

تقدمت بكرسيها نحونا، وسألت "هل لك أن تعطيني مثالاً؟"

لماذا يطرحون هذا السؤال دائماً؟ قلت: "غير اعتيادي، أعني غير اعتيادي".

هزّت رأسها، وقالت: "لا أذكر حدوث أمر غير اعتيادي".

"وصول عدد من الأشخاص أكبر من المعتاد؟"

"حـــسناً، أجل، يصل إلى المطار الكثير من الناس في أيام عطل نهاية الأسبوع. والمكـــان يشهد ازدحاماً في فصلي الصيف والشتاء. ولكنّ أعداد القادمين ممن يحبون الاســـتمتاع بـــرؤية أوراق الأشجار في فصل الخريف ازدادت أيضاً، ثم تأتي عطلة الشكر، ثم عيد الميلاد، والتزلّج، و..."

قاطعتها قبل أن نصل إلى يوم 2 فبراير/شباط، وسألتها "هل بدا أي من الركاب غير مألوف؟"

"كلا، لكن أتعرف؟"

"ماذا تريدين أن تقولي؟"

"وصلت شخصية هامة من واشنطن".

"هل كان تائهاً؟"

نظرتْ إلى كايت كما لو كانت تقول من هذا الأخرق الذي برفقتكِ؟

أدارت كايت المناقشة، وسألت "من كان ذلك الشخص؟"

"أنا لا أذكر، وزير ما. ينبغي أن يكون اسمه على لائحة الركاب القادمين".

"كيف وصل إلى هنا؟"

"على متن طائرة كوميوتير قادماً من بوسطن. أعتقد بأن ذلك حدث يوم السبت. أجل يوم السبت. وصل في رحلة الساعة الحادية عشرة، وقد تعرّف عليه أحد الحرّاس".

سألتها كايت، "هل استأجر سيارة؟"

"كلا. أعتقد بأنه التقى بشخص من نادي كاستر هيل؛ إنه نادٍ خاص يبعد حوالى خمسين كيلومتراً من هنا. وكان هناك ثلاثة أشخاص آخرون في تلك الرحلة، وبدا أنهم رفقة".

سألتها، "كيف عرفتِ أن الشخص الذي التقى بالوزير من ذلك النادي؟"

"كان السائق يرتدي ملابس تعود إلى نادي كاستر هيل. وهم يأتون إلى هنا بين الحين والآخر لاصطحاب المسافرين". وأضافت "حمل الأشخاص الأربعة حقائبهم وغادروا المكان بواسطة سيارة مقفلة خاصة بالنادي كانت في انتظارهم".

أومأتُ برأسي. قليلة هي الأحداث التي تمرّ بدون أن يلحظها أحد في الأماكن الصغيرة. سألتُ بيتي، "هل اصطحبت تلك السيارة المزيد من الركاب القادمين على متن رحلات أخرى؟"

"لست أدري، ربما كنت في إجازة".

"وهل أوصلت السيارة المقفلة أياً من الركاب المغادرين؟"

"لست أدري، فأنا لا أستطيع دائماً مشاهدة ما يحدث عند الرصيف".

"حسناً". لم أشأ إظهار مزيد من الاهتمام بنادي كاستر هيل، ولذلك انتقلت إلى قصة وهمية وقلت: "ما نودّ معرفته هو إن كان أي شخص يبدو... كيف يمكنني أن أصف لك بدون أن أبدو عرقياً...؟ شخص يبدو كمن جاء من مكان تكثر فيه الجمال؟"

أومأت برأسها تعبيراً عن فهمها لما أردت قوله، وفكّرت لثانية، ثم أجابت، "كلا، لا أعتقد بأن شخصاً يحمل هذه المواصفات جاء إلى هنا".

أراهــن على أنهم سيفعلون ذلك. قلت: "هل يمكنكِ إسداء خدمة لنا والسؤال عن ذلك لاحقاً؟"

أومأت برأسها بحماسة وقالت: "يمكنني ذلك بالتأكيد. هل تريدون منّي أن أتصل بكما؟"

"سنتصل بكِ أو نــزوركِ".

"حـــسناً، سأستفسر عن ذلك". وقفت ونظرت إلينا وسألتنا "ما هو الموضوع؟ هل سيحصل شيء؟"

اقتـــربت أكثر من بيتي، وقلت بصوت منخفض "للأمر علاقة بأولمبياد الألعاب الشتوية في لايك بلاسيد. لا تخبري أحداً بذلك".

فكّرت بيتي في الأمر لبضع ثوانٍ، ثم قالت: "أقيمت الألعاب الأولمبية الشتوية في العام 1980".

نظـــرتُ إلـــى كايت وقلت: "اللعنة، لقد تأخرنا كثيراً". وسألتُ بيتي، "هاي، هل حصل شيء؟"

نظـــرت إلـــيّ كايـــت بازدراء، ثم قالت لبيتي: "هذه هي طريقة التحرّي كوري في التعبير عن عدم قدرته على مناقشة الموضوع. ولكننا نستطيع الاستفادة من مساعدتكِ".

فـــي العادة، هذه هي اللحظة التي تقدّم فيها للمواطن الصالح بطاقتك، ولكننا كنا ننـــشر ستاراً دخانياً، وكانت كايت المسؤولة عن التحقيق، ولذلك قدّمت لبيتي بطاقتها وقالت: "سنتصل بكِ. أشكركِ على المساعدة".

"متى احتجتم إلى أي شيء، ما عليكم سوى السؤال". وأضافت "إذا حاول هؤلاء الأشخاص فعل أي شيء هنا، سنقوم بالتعامل معهم".

أجبـــتها بلهجة جون واين "هذه وظيفتنا، سيدتي. لا تحملي مسؤولية تنفيذ القانون على عاتقكِ".

أصـــدرت صوتاً يشبه النخير، ثم قالت: "فيما أنتما هنا، ربما ترغبان في البحث في نادي كاستر هيل؟"

"لماذا؟"

"لأن أموراً غريبة تحدث هناك".

أحســـست كما لو أنني أشارك في فيلم سينمائي قليل الكلفة، حيث يجري تحذير الـــشخص القـــادم مـــن المدينـــة مـــن قبل أحد السكان المحلّيين من مكان يبعث على القـــشعريرة فـــي التلّة، ثم يتجاهل النصيحة، وهو ما كان سيحدث بالفعل في المشهد الثاني. أجبتها بطريقة عفوية، "شكراً. كيف حال الطعام في المطعم؟"

"ممتاز، ولكنه باهظ الثمن بعض الشيء. جرّب *الدبل تشيز برغر*".

بدا وكأن بيتي أكلت منه كثيراً.

رافقتنا إلى خارج المحطة، وقالت لكايت بنبرة تحذيرية: "بصرف النظر عما ستقومان به يا آنسة، لا تذهبا إلى نادي كاستر هيل".

ابتسمت كايت وأجابت، "لا تطلبي الدبل تشيز برغر".

في الواقع، كان ذلك أول عمل خطر عزمتُ على القيام به اليوم قبل الذهاب إلى نادي كاستر هيل.

الفصل 20

بعد أن غادرنا المحطة، قلت لكايت: "أريد الذهاب إلى دورة مياه الرجال".

"ينبغي عليك القيام بذلك، فأنت مليء بالقاذورات".

"أجل، سأوافيك عند مكتب تأجير السيارات".

أنعشت نفسي، ثم ذهبت إلى ناحية مكتب تأجير السيارات في غضون أربع دقائق. النساء يحتجن إلى وقت أطول.

كان يوجد مكتبان - إنتربرايز وهيرتز - الواحد خلف الآخر في ناحية صغيرة قبالة المحطة. كان الموظف في مكتب إنتربرايز جالساً ويقرأ كتاباً. وفي مكتب هيرتز، كانت توجد شابّة واقفة تعمل على الحاسوب تحمل شارة مكتوب عليها ماكس، والذي افترضت بأنه اسمها وليس مقاسها. قلت: "هاي ماكس، لديّ حجز باسم كوري".

"أجل سيدي". تأكدتْ من الحجز، وقمنا بملء الأوراق في غضون دقائق قليلة فقط، ثم سلّمتنا مفاتيح سيارة فورد توروس، وأرشدتنا إلى موقف السيارات المستأجَرة، ثم سألتني "هل تحتاج إلى أية توجيهات؟"

"هل تقصدين توجيهات في الحياة؟"

ضحكت وقالت: "كلا، عنَيت توجيهات في القيادة. هل تريد خريطة؟"

"بالتأكيد". أخذت الخريطة وقلت: "في الواقع، أنا بحاجة إلى مكان أبيت فيه".

أجابت، "هناك رفّ عليه كتيبات. نوادي صيد، مطاعم، مناظر جميلة، وغيرها".

"هذا رائع. ما هو أفضل مكان في المنطقة؟"

"ذي بوينت".

"ماذا تعنين؟"

ابتسمت وقالت: "لا أدري يا جون، ما الفائدة؟" وضحكت وقالت: "أنا أوقع الناس بهذه العبارة دائماً".

"أراهن على أنكِ تفعلين ذلك. إذاً، ما هو المكان الذي تنصحيننا بالإقامة فيه؟"

"ذي بوينت".

"حسناً..."

"إنه باهظ الثمن بعض الشيء".

"مئة دولار مثلاً؟"

"كلا، السعر أقرب إلى الألف دولار".

"في العام؟"

"في الليلة".

"لا بدّ وأنكِ تمزحين؟"

"كلا، أنا صادقة في ما أقول. إنه أشبه بفندق حصري".

"حقــاً". لا أعتقد بأن مكتب المحاسبة سيوافق على ذلك، ولكنني كنت في مزاج مجنون وسألت ماكس، "كيف يمكنني الوصول إلى ذي بوينت؟"

"توقــف عن المراوغة". وضحكت بصوت عالٍ، وضربت الطاولة بيدها وقالت: "نلت منك".

"هاي، أنتِ طيبة". ما الذي فعلتُه لكي استحقّ هذه المعاملة؟

سيطرت ماكس على نفسها وقالت: "هاي، هل تنويان الذهاب إلى هناك فعلاً؟"

"لِمَ لا؟ لديّ عمّ ثري".

"يتعين أن تكون كذلك". ثم سألتني، "هل أنت غني؟"

"أنا جون".

ابتسمت بأدبٍ وقالت: "اسم جميل".

أعطتنــي مــاكس خريطة، ولاحظتُ وجود الكثير من الطرق المتعرّجة الضيّقة والتــي تمــر فــي أمكــنة مكشوفة، والقليل من البلدات. فكّرت في هاري الذي يحب أديروندداك، وسألت الله العافية.

وضــعت مــاكس إشارة على الخريطة وقالت: "يقع فندق ذي بوينت عند بحيرة سراناك العليا، هنا تقريباً. ينبغي عليك الاتصال للحصول على التوجيهات. كما ينبغي عليك الاتصال لحجز غرفة، لأن الغرف محجوزة دائماً".

"مقابل ألف دولار لليلة؟"

"أجــل، هــل تصدق ذلك؟" سحبتْ دليل الهاتف من أسفل الطاولة، ووجدت رقم هاتف فندق ذي بوينت، وكتبته على الخريطة، وقالت لي: "لن تجد منشوراً إعلانياً لهذا المكان في ذلك الرفّ".

"حقاً". وضعت الخريطة في جيبــي، وقالت ماكس: "إذاً، أنت من نيويورك سيتي؟"

"أنا كذلك بالفعل".

"أنا أحب نيويورك. إذاً، ما الذي جاء بك إلى هنا؟"

"طوافة".

بدأت تبتسم، ثم خطرت ببالها فكرة وقالت: "آه، أنت الشخص الذي قدم على متن طوافة تابعة للأف بي آي".

"أجل. فولر براش إنكوربورايتد".

ضحكت وقالت: "كلا، إنها تعني مكتب التحقيقات الفيدرالي".

جاءت كايت ومعها كوبان من القهوة وقالت: "أنت تمضي وقتاً طيباً هنا؟"

"أنا أستأجر سيارة".

"يمكنني سماع صوتك وأنت تضحك من المطعم. ما هي النكتة؟"

"ما الفائدة؟"

ضحكت ماكس، ولكن كايت لم تضحك. قلت: "إنها قصة طويلة".

قالت كايت: "اختصرها".

"حسناً، يوجد مكان، ... فندق أو شيء اسمه..."

تدخلت ماكس بقصد المساعدة وقالت: "منتجع".

"هـذا صحيح، هناك منتجع يسمى ذي بوينت. في البداية سألتها 'هل يوجد مكان جيد لأبيت فيه' فقالت 'ما الفائدة..؟'"

قاطعتنـي مـاكس قائلة: "كلا، أنا قلت 'ذي بوينت' وأنت قلت 'ماذا تعني بذي بوينت؟' وقال..."

قاطعـتْها كايت، "حسناً، فهمت الموضوع". وضعت كوب القهوة الذي أحضرته لي على الطاولة، وسألتني "ما هي النقطة التي نحن عندها الآن؟"

فأجبـتها بطـريقة احتـرافية، "أنـا على وشك التعريف عن نفسي بأني عميل فيدرالي".

سبقتني كايت إلى إظهار بطاقتها وقالت لماكس: "أحتاج إلى نسخ عن كافة عقود تأجيـر السيارات بدءاً من يوم الثلاثاء وحتى اليوم، بما في ذلك المركبات التي أعادها مـستأجروها. وانظري إن كان في مقدورك الانتهاء من ذلك في غضون عشر دقائق. سـنكون في المطعم". مشت كايت نحو الطاولة التالية الخاصة بشركة إنتربرايز رنت أكار، وتحدثتْ إلى موظف شاب كان جالساً هناك.

قلت لماكس: "إنها زوجتي".

"أجل، لم أكن لأخمّن ذلك".

أخـــذت كوب القهوة، وذهبت إلى المطعم الذي لم يكن في الواقع أكثر من مقهى صـــغير. كان السقف والجدران مطليان برسمة لسماء مرعبة مع غيوم بيضاء، بعكس كـــل مـــا ســـبق أن رأيته في هذا الكوكب. وأسفل السقف كانت تتدلّى نماذج طائرات بلاســـتيكية مـــزدوجة الجناح، إضافة إلى صور فوتوغرافية لطائرات متنوعة. وكان هـــناك طاولـــة مع أربعة كراسي خالية بدون ظهر، إضافة إلى حوالى عشر طاولات كـــان فـــي مقدوري اختيار واحدة من بينها. جلست إلى طاولة بالقرب من نافذة تطلّ على الطريق الضيّق.

تقدمت نادلة جذّابة ومعها قائمة الطعام وسألت، "كيف مساؤك؟"

"مسائي رائع. أنا سعيد بزواجي. هل يمكنني الحصول على قائمة طعام أخرى؟ ستصل زوجتي في غضون دقائق".

"بالتأكيد" وضعت القائمة على الطاولة، وذهبت لإحضار قائمة أخرى.

رنّ هاتفـــي الخليوي، وظهرت على الشاشة عبارة خاص، وهو ما يعني في 90 فـــي المـــئة من الحالات أنه المكتب، ولذلك قمت بتحويل المكالمة إلى البريد الصوتي.

دخلت كايت المقهى فقلت لها: "لقد رنّ للتوّ هاتفي الخليوي".

"على الأرجح أن بيرغْدروف يبحث عنك".

جلـــستْ، وأصـــغت إلـــى بريدها الصوتي، وقالت لي: "توم والش يريد منّي أن أتصل به".

"انتظري بضع دقائق".

"لا بـــأس". سحبت مجموعة النسخ من حقيبتها، ووضعتها على الطاولة. أخذت نصفها، وبدأت أتصفحها فيما كنت أحاول الاتصال بواسطة الهاتف.

"ما هو الشخص الذي تريد الاتصال به؟"

"ذي بوينت".

كـــان المجيب على الطرف الآخر اسمه تشارلز. قلت: "أودّ أن أحجز غرفة لهذه الأمسية".

"أجل سيدي. لدينا بعض الأماكن".

"وهل توجد لديكم غرف أيضاً؟"

"أجل سيدي. لدينا غرفة الموهوك في نادي الصيد الرئيسي، وغرفة اللوك آوت في ’عشّ النسر‘، وويذرواتش في ’بيت الضيوف‘".

"على مهلك يا تشارلز. ما الذي يمكنني الحصول عليه مقابل ألف دولار؟"

"لا شيء".

"لا شيء؟ ولا حتى كوخ في المطبخ؟"

ثم ذكر لي أسعار بعض الغرف الشاغرة، فأعجبني سعر الموهوك الذي يبلغ ألفاً ومئتي دولار، وهي الغرفة المتوفرة الأقل كلفة. سألته "هل تتوفر في هذا المكان تدفئة وكهرباء؟"

"أجل سيدي. كم ليلة تنوي البقاء عندنا؟"

"أنا لست متأكداً يا تشارلز. دعنا نبدأ بليلتين".

"أجـــل ســـيدي". وأضاف "إذا بقيت في الفندق يوم الأربعاء، يتعين ارتداء ربطة عنق سوداء عند تناول وجبة العشاء".

"هل تقصد أنني بحاجة إلى ارتداء زيّ سهرة لكي أتناول عشائي في الغابة؟"

"أجـــل سيدي". وعلّل ذلك بالقول: "يتناول ويليام أفيري روكيفيلر، مالك الفندق، عشاءه كل مساء مع ضيوفه وهو يرتدي ربطة عنق سوداء. ونحن نحاول أن نمارس ذلك مساء يومي الأربعاء والسبت".

"ربما أحتاج إلى تفويت هذه الممارسة. هل يمكنني الحصول على خدمة الغرف وأنا في ثيابي الداخلية؟"

"أجل سيدي. كيف تريد تأمين حجزك؟"

أعطيـــته اســـمي وبطاقتي الائتمانية الحكومية، وأنهينا بعض التفاصيل الأخرى، وسألته "هل توجد لديكم دببة؟"

"أجل سيدي. لدينا بار في..."

"دببة يا تشارلز، دببة. كما تعرف، أورسوس تيريبالوس".

"آه، نحن... توجد دببة في المنطقة، ولكن..."

"أطعم الدببة هذه الليلة. أراك لاحقاً"، وأقفلت الخط.

سألتني كايت "هل سمعتك على الوجه الصحيح؟"

"أجل، دببة لعينة".

"أعني سعر الغرفة".

"أجل، نحن في غرفة الموهوك. أما ويذرواتش فسعرها ألفا دولار للّيلة الواحدة. يبدو السعر باهظاً بعض الشيء".

"هل أنت مجنون؟"

"لماذا تسألين؟ هاي، بعد قضاء ليلتين في الكوخ الكئيب بي أند بي الذي حجزتِ فيه، من حقنا المبيت في مكان جميل".

"أعـتقد بأننا سنحصل على بدل إقامة مقداره مئة دولار للّيلة الواحدة في منطقة ألباني". وأضافت "عليك أن تدفع الفارق".

"سننظر في الأمر".

رنّ جرس المجيب الصوتي لكايت. نظرت إليه وقالت: "توم".

قلت: "أخّري الإجابة بضع دقائق إضافية".

"ربما عثروا على هاري".

"سيكون ذلك خبراً رائعاً". تصفحت النسخ محاولاً العثور على شيء لافت.

كمـا تـصفحت كايت النسخ وقالت: "هذه طائرة كوميوتير عند الساعة الحادية عشرة من قبل الظهر قدمت من بوسطن يوم السبت... واو".

"واو ماذا؟"

"إدوارد وولفر. أنت تعرف من يكون؟"

"أجل، إنه لاعب الوسط في فريق..."

"إنه نائب وزير الدفاع. شخص متعجرف للغاية يضغط من أجل شنّ حرب على العراق، ومقرّب جداً من الرئيس. وكثيراً ما يظهر على شاشات التلفزة".

"ربما كان هو الشخص الذي تعرّف عليه الموظف في المطار".

"أجـل، وهذا شخص آخر جاء على متن الطائرة نفسها؛ بول دان. إنه مستشار الرئيس..."

"لقضايا الأمن القومي، وعضو في مجلس الأمن القومي".

"هذا صحيح. كيف عرفتَ ذلك؟"

"إنه سؤال خطر دائماً".

"لماذا تحب أن تتظاهر بالحماقة؟"

أجبـتها، "إنهـا غطاء جيد عندما أكون أحمق فعلاً. إذاً، وصل وولفر ودان يوم السبت، إضافة إلى شخصين آخرَين، وفقاً لما قالته بيتي، ثم ركبوا جميعاً مركبة مغلقة تعود ملكيتها إلى نادي كاستر هيل".

نظـرت كايـت مجـدداً إلى جدول أسماء الركاب القادمين من بوسطن عند الساعة الحادية عشرة من قبل ظهر يوم السبت وقالت: "هناك تسعة رجال آخرون كانوا على متن الطائرة، ولكنّ أياً من هذه الأسماء لا يذكّرنا بشيء، وبالتالي نحن

لا نعرف من يكون هذان الشخصان اللذان صعدا إلى المركبة".

"هذا صحيح". تصفحتُ لوائح الركاب وقلت لكايت: "غادر وولفر ودان على متن أول طائرة أقلعت من بوسطن البارحة متوجهَين إلى واشنطن".

أومأت برأسها وهي تفكر، ثم سألتني، "هل يعني ذلك شيئاً؟"

"حسناً، في الظاهر، لا يعني ذلك الكثير. فالكثير من الأغنياء والأشخاص من أصحاب النفوذ يسافرون معاً في إجازة مدتها ثلاثة أيام ليقيموا في منزل جبلي يملكه أحد الأثرياء في صناعة النفط. والأمر أشبه برحلات الاستكشاف، أو تجمّع لمجموعة 'غارْليل'، حيث يتكهن بعض الأشخاص، ووسائل الإعلام، بارتفاع قيمة كافة الأشياء المخادعة: التلاعب بأسعار النفط، والصفقات المالية والسياسية، والمؤامرات الهادفة إلى الاستيلاء على الكوكب، وما إلى ذلك. ولكن في بعض الأحيان، يقتصر الأمر على مجموعة من الأثرياء الذين يسافرون معاً من أجل الاسترخاء، ولعب الورق، والحديث عن النساء، وقول النكات القذرة".

فكّرت كايت، وقالت: "الأمر كذلك في بعض الأحيان. غير أن شخصاً من وزارة العدل أمر بمراقبة هذا التجمّع".

أجبتها، "هذا هو بيت القصيد".

تابعت حديثها قائلة: "وليس من عادة وزارة العدل أن تطلب مراقبة نائب وزير الدفاع، وأحد مستشاري الرئيس، ومن يدري من يكون غيرهم في هذا النادي".

قلت: "هذا تحليل جيد". تفحصتُ لوائح أسماء الركاب وقلت: "نحن بحاجة إلى دراسة خلفية كل شخص قدم إلى هنا على متن طائرة تجارية في الأيام القليلة الأخيرة وننظر إن كانت توجد صلة بينهم – ثم محاولة معرفة ما كان من المفترض أن يكتشفه هاري من هذه المراقبة – من هم الأشخاص الذين توجّهوا إلى نادي كاستر هيل".

أجابت كايت، "أنا لا أعتقد بأن هذه هي وظيفتنا. إن توم لم يأتِ على ذكر شيء من ذلك".

"من المستحسن إظهار روح المبادرة. توم يقدّر ذلك، وبالمناسبة اللعنة على توم".

جاءت النادلة، فطلب أحدنا تشيز برغر دبل، وطلب الآخر سلطة الكوب، بصرف النظر عن معنى الاسم.

رنّ المجيب الصوتي فنظرتُ إلى الرقم. من غير المفاجئ أنه كان توم والش. قلت: "سأتصل به".

"كلا أنا من سيتصل به".

قلـــت لها: "دعيني أتولّى هذا الأمر، فهو يحبّني ويحترمني". اتصلت بهاتف توم الخليوي، وسألته "هل اتصلت بي على المجيب الصوتي؟"

"أجل اتصلت بك وبكايت عبر المجيب الصوتي، واتصلت بكما عبر الهاتف. كان من المفترض أن تتصلا بي حالما تصلان أرض المطار". "لقد وصلنا للتو. لقد واجهنا رياحاً معاكسة".

"استناداً إلى ما قاله الطيار، أنتما هناك منذ ساعة تقريباً".

"كـــان هناك طابور طويل عند مكتب تأجير السيارات. والأهم من ذلك، هل من أخبار جديدة بشأن هاري؟"

"لـــم تـــردنا أخبار جديدة بعد". لم يذكر لي أية تفاصيل. وقال: "أريدك أن تتوجه إلـــى المقـــرّ الإقليمي لشرطة الولاية في راي بروك الذي يبعد بضعة كيلومترات عن ســـارناك لايك. اتصل بالرائد هانك شافير، قائد الفرقة باء، ونسّق عملية البحث معه. يمكـــنك عـــرض خـــدماتك وخبراتك، كما هي حقيقة، وعرض المشاركة في عمليات البحث".

"حسناً، أهذا كل شيء؟"

"هـــذا كل شيء حتى الآن. وفي هذه الأثناء، نقوم بالاتصال عبر بعض القنوات لمعرفة إن كان في مقدورنا إحضار بضع مئات من العناصر من كامب درام للمشاركة فـــي عملـــيات البحث. فهذا سيسرّع العمليات بدرجة كبيرة. قُل لشافير إننا لا نـــزال نعمل على هذا الأمر".

"سأفعل ذلك".

"اتصل بي بعد أن تتكلم مع شافير".

"سأفعل ذلك".

"حسناً، هل يمكنني التحدث إلى كايت؟"

"إنها في حمام السيدات".

"قل لها أن تتصل بي".

"سأفعل ذلك".

"ماذا تفعل الآن؟"

"أنتظر تشيز برغر دبل".

"حـــسناً... لا تتسكع بالقرب من المطار لفترة طويلة، ولا تطرح على الأشخاص الموجودين هناك أية أسئلة".

"ماذا تقصد بذلك؟"

"كـــل مـــا عليه القيام به هو التوجه إلى المقر الإقليمي في أسرع وقت ممكن". وأضاف "ولا تفكر حتى في الذهاب إلى نادي كاستر..."

"فهمت".

"حسناً. لا يوجد شيء آخر".

أنهيت المكالمة، وسألتني كايت "ماذا قال؟"

ارتشفت رشفة من فنجان القهوة، وعدت إلى أوراقي، وقلت: "يريد منّا أن نذهب إلـــى نـــادي كاســـتر هيل ومعرفة إن كان باين مادوكس موجوداً هناك، لنتحدث إليه، ونعرف من هم الأشخاص الآخرون الموجودون هناك".

"هل قال ذلك؟"

"لم يقل ذلك بالمعنى الحرفي".

"هل يريدني أن أتصل به؟"

"كما تشائين".

بدأت تفقد صبرها وقالت: "جون، ما هو الشيء اللعين الذي...؟"

"إلـــيك مـــا دار بينـــنا من حديث. لا أخبار جديدة عن هاري، ووالش يريد منا الاتـــصال بـــشرطة الولاية، والمساعدة في البحث، وعدم التسكع في منطقة المطار". وقلت: "جاءت تعليماته متأخرة كثيراً".

"أنا لم أسمع شيئاً عن الذهاب إلى نادي كاستر هيل".

"لِمَ لا تذهبين إلى مقرّ شرطة الولاية فيما أذهب إلى نادي كاستر هيل؟"

لم تجب عن سؤالي.

قلت لها: "كايت، لقد أُرسلنا إلى هنا كردّ شكلي على اختفاء أحد رفاقنا في الوحدة التكتيكـــية. نحن هنا من أجل تلقّي الأخبار السيئة أو الأخبار الجيدة، وما إذا تم العثور علـــى هاري ومتى كان ذلك. إنه مجرد بروتوكول وأنت تعرفين ذلك. والسؤال الذي أطرحه عليكِ هو هل تحبّين أن تلعبي دوراً انفعالياً أم استباقياً هنا؟"

"لديك طريقة مذهلة في عرض الأمور... دعني أُفكّر في الأمر".

"سأقوم بذلك".

حضر الطعام، وبدا أن التشيز برغر دبل يمكن أن يتسبب لك بنوبة قلبية في حال لمسته.

سألت كايت، "هل تريدين بعضاً من هذه السلطة؟"

"وجدت بزّاقة في طبق سلطة في إحدى المرات".

"شكراً".

وقبل أن أتمكن من أكل حاجتي اليومية الدنيا من الدهون، دخل شخص من مكتب إنتربرايز المقهى، وسلّم كايت رزمة من نسخ عقود تأجير السيارات، وقال لها: "دوام عملي ينتهي عند الساعة الرابعة، في حال كنتِ تريدين أن أريك المكان. ربما يمكننا تناول العشاء معاً. سأكتب رقم هاتفي الخليوي على بطاقتي".

"أشكرك يا لاري. سأتصل بك لاحقاً". وغادر بعد ذلك.

قلت: "أنت أغريتِه بالقيام بذلك".

"ما الذي تتحدث عنه؟"

لم أجب، وطلبت الفاتورة لكي يكون في مقدورنا الذهاب حالما تظهر ماكس.

تناولت قضمة أخرى من البرغر، وما لبثت أن دخلت ماكس المقهى، وبعد أن عرفت مكاننا توجهت نحونا على الفور. قالت لكايت: "هذه كافة العقود التي وقّعناها منذ يوم الثلاثاء وحتى الغد، بما في ذلك السيارات التي تم إرجاعها. يوجد ستة عشر عقداً، إنه يوم عطلة حافل".

قالت كايت: "أشكركِ، وأرجو ألاّ تأتي على ذكر ذلك أمام أيّ كان".

"بالتأكيد". ثم نظرت إليّ وقالت: "أنت رجل محظوظ لأنك متزوج من امرأة مثل هذه".

كان فمي مليئاً بالبرغر، فأصدرت صوت شخير.

غادرت ماكس، وابتلعت ما كان في فمي من طعام، وقلت: "أنتِ أغريتها على قول ذلك".

"ما الذي تتحدث عنه؟"

تناولت قضمة أخرى، ووقفت، وقلت: "حسناً، لنذهب".

وضعتْ كايت الأوراق في حقيبتها، ووضعتُ عشرين دولاراً على الطاولة، وغادرنا المقهى. قلت: "إذا كنتِ لا تنوين الذهاب معي، فاذهبي إلى مكتب الهيرتز، واستأجري سيارة أخرى. يوجد مقرّ شرطة الولاية في مكان يسمى راي بروك، وهو لا يبعد كثيراً عن هنا. ابحثي عن الرائد شافير، وسأتصل بكِ لاحقاً".

وقفت، وشعرت بالتردد بين ضرورة تنفيذ أوامر والش ورأيها الذي عبّرت عنه مؤخراً أمامه عن أن العالم قد تغيّر.

وأخيراً قالت: "سأذهب معك إلى نادي كاستر هيل، ثم نذهب بعد ذلك إلى مقرّ شرطة الولاية".

خـــرجنا من المحطة، ومشينا نحو موقف السيارات المخصصة للتأجير، ووجدنا سـيارة التوروس الزرقاء. قدت السيارة إلى أن وصلنا إلى مبنى المحطة حيث يوجد مركز العمليات العام، ثم أوقفتُ السيارة، وقلت: "أريد أن أعرف إن كان لشركة غوكو طائرة نفاثة، وما إذا كانت قد استخدمت هذا المطار". أعطيتها خريطة الطرقات وقلت: "اتــصلي بــشرطة المقاطعـــة لتعرفـــي إن كان في مقدوركِ الحصول على توجيهات للوصول إلى نادي كاستر هيل".

دخلـــت المبنى، ووجدت شخصاً جالساً إلى طاولة، ويعمل على الحاسوب. سألته "هل يمكنني قطع تذكرة إلى باريس من هنا؟"

نظر أعلى شاشة الحاسوب وأجاب، "يمكنك الذهاب إلى حيث تشاء إذا كنت تملك أو تستأجر طائرة كبيرة بما يكفي. حتى أنك لست بحاجة إلى تذكرة سفر".

"اعـــتقدت أننـــي وصـــلت إلى المكان المناسب". قدمت له أوراقي وقلت: "جون كـــوري من *الوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب*. أنا بحاجة إلى أن أطرح عليك بضعة أسئلة".

وقف، وتقدم نحو المنضدة، ونظر إلى أوراقي وسألني "ما الأمر؟"

"من الذي أتحدث إليه؟"

"أنا تشاد ريكمان، مسؤول العمليات".

"حسناً يا تشاد، أريد أن أعرف إن كان هناك طائرة خاصة تستخدم هذا المطار، ومسجّلة باسم شركة غلوبال أويل كروبورايشن، غوكو".

"أجل، طائرتان حديثتان من طراز سيسنا سايتايشن. هل توجد مشكلة؟"

"هل توجد في المطار أي منهما؟"

"كـــلا.. فـــي الواقع حطّت الطائرتان في أرض المطار البارحة صباحاً، تفصل بينهما ساعة تقريباً، ثم تزودتا بالوقود، ثم أقلعتا بعد ذلك ببضع ساعات".

"كم كان عدد الركاب الذين صعدوا إلى متنهما؟"

"لا أعـــتقد بأنهما نقلتا أي ركاب. في العادة، نحن نرسل سيارة إلى الطائرة، وأنا متأكد من أنه لم يصعد إلى الطائرتين سوى أفراد الطاقمين".

"هل صعد أي راكب بعد أن أعادتا التزوّد بالوقود؟"

"لا أعـــتقد ذلك. فقد هبطتا على أرض المطار، وأعادتا التزوّد بالوقود، ثم أقلعتا بعد ذلك ببضع ساعات".

"حسناً، إلى أين توجهتا؟"

"لا يحتاج الطاقم إلى إخباري بوجهته، ولكن عليه إبلاغ إدارة الطيران الفيدرالية".

"حسناً... كيف يتم الاتصال بين الطاقم وإدارة الطيران الفيدرالية؟ بواسطة اللاسلكي؟"

"كلا، الاتصال يتم عبر الهاتف. في الواقع، سمعت كِلا الطيارَين يبلّغان عن عزمهما على التوجّه إلى كنساس سيتي، ثم أقلعت إحداهما وتلتها الأخرى بعد ثلاثين دقيقة".

فكّرت في الأمر، ثم سألته، "لماذا تتوجه الطائرتان إلى كنساس سيتي من غير أن تنقلا ركاباً؟"

أجاب تشاد، "ربما كانتا تنقلان شحنة فقط. في الواقع، أذكر أنني رأيت سيارتي دفع رباعي نقلتا إلى الطائرتين بعض الأغراض".

"ما الذي تم نقله إلى الطائرتين تحديداً؟"

"لم أرَ الحمولة".

"هاتان طائرتان مخصصتان لنقل الركاب، أليس كذلك؟ بدون شحنة؟"

"أجل. ولكنهما تنقلان حمولة خفيفة في المقصورة".

"لم أفهم بعد لماذا حلقت الطائرتان بدون ركاب ومع القليل من الحمولة، وتوجهتا إلى المكان نفسه".

"هاي، إن الشخص الذي يملك الطائرتين، باين مادوكس، يملك آبار النفط اللعينة. وفي وسعه حرق كافة الوقود المخصص للطائرات إذا شاء ذلك".

"هذا صحيح". وسألته، "هل كانت كنساس سيتي وِجهتهما النهائية؟"

"لست أدري. لكن تلك كانت خطة الرحلة التي سمعت الطاقم يبلّغ عنها عبر الهاتف. وعلى الأرجح أن الأمر يتعلق بمدى التحليق، ولذلك ربما ستواصل الطائرتان رحلتيهما من هناك، أو ربما ستعودان إلى هنا".

"فهمت... إذن يمكنني الاتصال بإدارة الطيران الفيدرالية للحصول على خطط رحلاتهما".

"أجل، إذا كان مصرحاً لك بذلك، وإذا كنت تعرف أرقام التسجيل المكتوبة على ذيلي الطائرتين".

"حسناً، أنا مصرّح لي بذلك يا تشاد". وسحبت ورقة كان قد أعطاني إياها تشاد من مكتبه ووضعتها على الطاولة. "ما هي الطائرة التي تعود ملكيتها إلى شركة غوكو؟"

نظر إلى الورقة وتحقق من أمر الرقمين: N2730G وN2731G. ثم قال: "رقما تسجيل متسلسلان. هناك الكثير من الشركات التي تسيّر طائراتها الخاصة وتفعل ذلك".

"أنا أعرف ذلك".

"حقاً؟ ما الأمر؟"

"مشكلة تقليدية على علاقة بالضرائب. إن الأثرياء مختلفون عنك وعنّي".

"هل تمزح؟"

"حسناً، أشكرك يا تشاد. فكّر ملياً في الأمر، واسأل نيابة عنّي لمعرفة إن كان يوجد شخص يتذكر أي شيء. وإليك رقم هاتفي الخليوي".

"بالتأكيد". كتب رقم الهاتف على بطاقتي وسألني، "ما هو الذي تبحث عنه بالضبط؟"

"سبق أن أجبتك؛ التهرّب من الضرائب. أكياس مليئة بالمال. لا تخبر أحداً بشأن التحقيق الفيدرالي".

"لن أتفوّه بكلمة".

غادرت مكتب العمليات، وصعدت إلى السيارة. قلت لكايت: "هناك طائرتان تملكهما شركة غوكو استخدمتا المطار. وأخبرتها بالتفاصيل فيما كنت أغادر المطار بالسيارة وقلت لها: "إن علينا الاتصال بمكتب إدارة الطيران الفيدرالية في واشنطن لمعرفة خطط الرحلات المستمرّة التي أبلغت عنها تلك الطائرتان".

سألتني كايت، "لماذا تريد معرفة ذلك؟"

"لا أدري، لكن مادوكس يثير اهتمامي، وأنتِ لن تعرفي مقدار أهمية هذه المعلومات إلى أن تضيفيها إلى الأجزاء الأخرى. في أعمال التحقيق، لا يوجد شيء اسمه الكثير من المعلومات".

"هل يجدر بي تدوين الملاحظات؟"

"كلا، وسأعطيك واحدة من محاضراتي المسجلة على كاسيت مثل تلك التي أعطيتها لجون جاي".

"شكراً لك".

عند نقطة الخروج من المطار، سألت كايت، "هل حصلتِ على التوجيهات؟"

"إلى حدٍّ ما. قال الرقيب المناوب بأن عليّ سلوك الطريق 3 المتجه غرباً وصولاً إلى الطريق 56 المتجه شمالاً، ثم أسأل هناك".

"الرجال الحقيقيون لا يسألون عن الاتجاهات". وسألتها، "ما هو الاتجاه الذي يؤدي إلى الطريق 3؟"

"حسناً، بما أنك سألت، انعطف نحو اليسار".

فـــي غضون دقائق معدودة، وصلنا إلى الطريق 3 الذي يتجه غرباً نحو البرّيّة. قلـــت لكايت: "تأكدي من وجود دببة. هاي، هل تعتقدين بأن مسدساً من طراز غلوك وعيار 9 ملم سيوقف دبّاً؟"

"لا أعتقد ذلك، ولكن آمل بأن تصادف واحداً لكي تعرف الجواب".

"هـــذا ليس كلاماً وديّاً للغاية". أسندت ظهرها إلى المقعد، وأغلقت عينيها وقالت: "كل دقيقة تمرّ بدون ورود معلومات عن هاري تجعلني أفكر بأنه ليس حياً".

لم أجب على التعليق.

التزمتْ الصمت لفترة، ثم قالت: "كان من الممكن أن تكون أنت المفقود".

كـــان مـــن الممكـــن ذلك، لكن لو كنت الشخص الذي في الغابة في محيط نادي كاســـتر هيل، لسارت الأمور على نحو مختلف. وهنا أيضاً، ربما كان الحال بخلاف ذلك.

الفصل 21

واصلنا السير غرباً على الطريق 3، وهو طريق بدا أنه لا سبب يدعو إلى وجوده، باستثناء النظر إلى الأشجار أثناء انتقالك من اللامكان إلى اللامكان.

كانت كايت قد أخذت بضع منشورات دعائية في المطار، وبدأت تمعن في قراءتها. وهي تقوم بذلك متى سافرنا لكي تتمكن من زيادة خبراتها، ومن ثَمّ تعيد سرد تلك المعلومات عليّ، مثل مرشد سياحي.

قالت إن بحيرة سارناك، والبلدة، والمطار، وهذا الطريق، كلها تابعة لمنتزه أديرونداك التابع للولاية. كما قالت إن هذه المنطقة تُعرف بالريف الشمالي، وهو اسم وجدتْه رومانسياً.

قلت لكايت: "يمكن أن تموتي من البرد هنا في شهر أبريل/نيسان".

تابعت كلامها، وقالت: "هناك أقسام واسعة من المنتزه يرمَز إليها على أنها أراضٍ بريّة إلى الأبد".

"هذا أمر يبعث على الاكتئاب".

قالت: "والأرض التي أُشير إلى أنها أرض المنتزه بحجم ولاية نيوهامشير".

"ما هي نيوهامشير؟"

"ومعظمها غير مأهول بالسكان".

"هذا واضح".

في الواقع، عرفت الآن كيف يمكن لشخص أن يتوه هنا لمدة أيام أو أسابيع، أو طوال المدة المتبقية من حياته، ولكنني أدركت أيضاً بأنه يمكن للمرء أن ينجو إذا كان لديه بعض التجارب السابقة في الغابات.

في الواقع، كان الطريق 3 طريقاً جميلاً من مسربين، يمرّ بين الحين والآخر ببلدات صغيرة، ولكن كانت هناك مساحات واسعة من الأراضي البريّة أثارت فيَّ رُهاب الأماكن الواسعة ورهاب حدائق الحيوانات. وفهمت لماذا يملك هذا الشخص الذي يُدعى باين مادوكس نادياً للصيد في هذا المكان لو لم يكن في نيته شيء.

قالت كايت: "هذا منظر جميل للغاية".

"إنه كذلك".

كانت هناك لافتات صفراء مع صور ظلّية سوداء لغزلان تقفز، وهو ما اعتقدت بأنه تحذير من احتمال أن يقفز غزال أمام السيارات التي تسير على الطريق.

ظهرت لافتة كبيرة عند أحد المنعطفات عليها رسم أسود لدبّ وكلمة 'تحذير'.

قلت: "هل رأيتِ ذلك؟ هل رأيت اللافتة التي تحذّر من الدببة؟"

"أجل. هذا يعني أنه توجد دببة في المنطقة".

"يا للمصيبة. هل الأبواب مقفلة؟"

"جون، توقف عن التصرف كالأغبياء. الدببة لن تزعجك إن لم تزعجها".

"الكلمات الأخيرة الشهيرة. كيف تعرفين ما الذي يزعج الدبّ".

"توقف عن الحديث عن الدببة".

واصلنا سيرنا. لم نشهد الكثير من الازدحام في الطريق، بل بضع مركبات كانت تمرّ في الاتجاه المعاكس نحو بحيرة سارناك.

قالت كايت: "قل لي لماذا نحن ذاهبان إلى نادي كاستر هيل؟"

"إنها الإجراءات التقليدية التي تتبعها الشرطة. عليكِ أن تذهبي إلى آخر مكان عُرف أن الشخص المفقود كان فيه".

"هذه القضية أكثر تعقيداً من قضية شخص مفقود".

"في الواقع، إنها ليست كذلك. ولكن المشكلة مع مكتب التحقيقات الفيدرالي ومع وكالة الاستخبارات المركزية هي أنهما يجعلان الأمور أكثر تعقيداً مما ينبغي أن تكون".

"هل هذه حقيقة؟"

"أجل إنها كذلك".

"عليّ أن أذكّرك بأننا لا نرغب في لفت نظر مادوكس أو أي شخص آخر هناك إلى أنه كان يوجد عميل فيدرالي في أرضه".

"أعتقد بأننا سبق أن ناقشنا ذلك. لكن لو كنتِ في أملاك نادي كاستر هيل ورجلكِ مكسورة، ولا توجد خدمة لهاتف الخليوي، وهناك دبّ يقضم أصابع قدميكِ، هل كنتِ سترغبين منّي أن أتّبع الأوامر وأنتظر الحصول على مذكرة تفتيش لكي أبحث عنكِ؟"

فكرتْ في الأمر ثم قالت: "أعرف بأن الشرطي سيخاطر بحياته وحياته المهنية لمساعدة شرطي آخر، وأعرف أنك ستفعل الشيء نفسه من أجلي؛ بالرغم من أنك

ستشعر بالارتباك بشأن دوري المزدوج كزوجة لك وكعميلة من مكتب التحقيقات الفيدرالي..."

"هذه نقطة مثيرة للاهتمام".

"ولكنني أعتقد بأن لديك خطة أخرى، وتتمثل في التعرف على حقيقة نادي كاستر هيل".

"ما هو مفتاحك الأول لحل القضية؟"

"حسناً، يمكننا البدء بلوائح المسافرين بالطائرات وعقود تأجير السيارات كخيار أول. ويمكنك الاستعلام عن طائرة شركة النفط العالمية كخيار ثانٍ".

"لا يبدو أنني أستطيع خداعكِ".

"جون، أنا موافقة على أننا بحاجة إلى متابعة البحث عن هاري، لكن فيما عدا ذلك، أنت تتدخل في أمور يمكن أن تكون أكبر بكثير مما تعتقد". وأضافت "إن وزارة العدل مهتمة بهذا الرجل وهذا النادي وضيوفه. لا تفسد مسار التحقيق".

"هل تتكلمين بوصفكِ زميلتي، أم زوجتي، أم المحامية التي تدافع عنّي؟"

"أنا أتكلم بهذه الصفات الثلاث معاً". وأضافت "حسناً، عبّرت لك عن وجهة نظري لأنه يتعين عليّ القيام بذلك ولأنني أشعر بالقلق لأجلك في بعض الأحيان. أنت مدفع مشحون".

"أشكركِ".

"كما أنك لامع وذكي للغاية، وأنا أثق بحكمك وغرائزك".

"حقاً؟"

"حقاً. لذلك، حتى وإن كنتُ المسؤولة عنك من الناحية التقنية، فسأتبع قيادتك في هذه القضية".

"لن أخذلكِ".

"يجدر بك ألاّ تفعل ذلك. كما أريد أن أذكّرك أيضاً بأنه لا يوجد شيء ينجح مثل النجاح. فإذا تخطيتَ... تخطينا الأوامر، فمن الأفضل أن يكون لدينا عذر لتبرير ذلك".

"كايت، لو لم أكن أعتقد بأن هناك ما هو أكثر من التلاعب بأسعار النفط، لكنا الآن جالسيْن في مقرّ شرطة الولاية نحتسي القهوة".

أمسكتْ بيدي، ثم واصلنا سيرنا.

بعد مرور حوالى أربعين دقيقة على مغادرتنا المطار، شاهدت لافتة للطريق 56 الذي يتجه شمالاً وقالت لكايت: "حانة إلى اليمين".

ضغطت على المكابح، وشهرت مسدس الغلوك، وقلت: "أين؟"

"هنا، حانة إلى اليمين. انطلق".

"آه حانة. إياكِ أن تستعملي تلك الكلمة".

"انعطف نحو اليمين. لقد وصلنا".

انعطفت نحو الطريق 56 الذي يتجه شمالاً ثم واصلت سيري. كان ذلك الطريق أرضاً بريّة حقيقية وقلت لكايت: "يبدو أننا في منطقة هندية. ماذا يقول المنشور عن الهنود؟ هل هم أصدقاء؟"

"يقول إن معاهدة السلام مع السكان الأميركيين المحلّيين تنتهي يوم عيد كولومبوس، سنة 2002".

"هذا أمر مضحك".

سرنا مسافة ثلاثين كيلومتراً تقريباً، وشاهدنا لافتة بنّية اللون تقول إننا نغادر منتزه أديرونداك.

قالت كايت: "قال الرقيب المناوب إن نادي كاستر هيل يوجد في أرض خاصة داخل المنتزه، وهذا يعني أننا تجاوزناه". ثم نظرت إلى الخريطة التي حصلت عليها من مكتب الهيرتز وقالت: "هناك بلدة تسمى ساوث كولتون على مسافة بضعة كيلومترات. سنتوقف هناك، ونسأل عن الاتجاه الصحيح".

واصلت سيري، وما لبثت أن برزت مجموعة صغيرة من المباني، وشاهدت لافتة مكتوباً عليها 'ساوث كولتون – بلدة صغيرة'.

كانت هناك محطة للوقود عند طرف بلدة صغيرة، فتوقفت عندها. قلت لكايت: "اذهبي واسألي عن الاتجاهات".

"جون، حرك رِجليك، واذهب، واسأل عن الاتجاهات".

"حسناً، ستأتين معي".

خرجنا من السيارة، وأرخينا عضلاتنا، ودخلنا مقهى ريفياً صغيراً.

شاهدنا رجلاً كبيراً نحيل البدن يرتدي سروال جينز وقميصاً عليه رسوم يجلس إلى طاولة مكسوة بقطعة من القماش، هو يدخن سيجارة، ويشاهد برنامجاً عن صيد الأسماك على شاشة تلفاز وُضع على منضدة. بدا الاستقبال أقل من مثالي، ولذلك وجهت أذني الأرنب تجاهه وقال: "اجلس حيث أنت، فالمكان هناك جيد".

حالما أبعدت يديّ عن أذني الأرنب حتى فقد روح الاستقبال مجدداً. أذكر أن إحدى وظائفي وأنا طفل صغير كانت العمل كهوائي لتلفاز العائلة، ولكنني كبرت على ذلك الآن، فقلت له: "إننا بحاجة إلى الحصول على بعض التوجيهات".

"أحتاج إلى طبق لاقط للقمر الصناعي".

"هذه ليست فكرة سيئة. يمكنك التحدث مباشرة إلى الرفاقة الأساسية. نريد التوجه إلى..."

"من أين قدمتم؟"

"من بحيرة سارناك".

"حقـاً؟ نظـر إلينا للمرّة الأولى، وتحقق من سيارة التوروس الواقفة في الخارج وسأل، "من أين أنت؟"

"من كوكب الأرض. انظر لقد تأخرنا..."

"هل تريد التزود بالوقود؟"

"بالتأكيد، لكن ينبغي أولاً..."

"هل تحتاج السيدة إلى الذهاب إلى دورة المياه؟"

أجابت كايت، "شكراً لك. إننا متوجهان إلى نادي كاستر هيل".

لم يجب لبضع ثوان، ثم قال: "حقاً؟"

سألته كايت، "هل تعرف أين يوجد هذا النادي؟"

"بالطـبع، فأعضاؤه يتزودون بالوقود هنا، وأنا لا أقدم خدمات صيانة لسياراتهم، ولكـنهم يأخـذونها إلـى التاجر في بوتسدام". اللعنة، ما نسيته من الخبرة في إصلاح الـسيارات يفوق ما يمكن أن يعرفه هؤلاء الأغبياء الذين يعملون عند تاجر السيارات. لكن في حال علقوا في الثلج أو الوحل، بمن تعتقد أنهم سيتصلون؟ بالتاجر؟ اللعنة لا. سوف يتصلون برودي، الذي هو أنا. لماذا، في شهر يناير/كانون الثاني فقط، أو ربما فبرايـر/شباط... أجل تساقطت هذه الكمية الكبيرة من الثلوج في منتصف الشهر، هل تذكر ذلك؟"

أجبته، "ربما كنت في باربادوس. انظر يا رودي..."

"لدي ماكينة للوجبات الخفيفة، وماكينة أخرى للكولا. هل تحتاج إلى قطع نقدية؟"

استسلمت وقلت: "أجل من فضلك".

هكـذا، حصلنا على قطع نقدية، واشترينا بعض الوجبات الخفيفة المتحجرة من الماكينة، إضافة إلى علبتي كوكاكولا، واستخدمنا دورة المياه، وتزوّدنا ببضع غالونات من البنـزين.

عدت إلى المكتب الصغير، وسددت ثمن الوقود مستخدماً إحدى بطاقات الماستر كارد الحكومية. فالعملاء يحملون نوعين من بطاقات الاعتماد، واحدة للطعام، والإقامة والأشـياء المتـنوعة الأخـرى، والثانية مخصصة للوقود. كُتب على بطاقة الاعتماد

الخاصة بالوقود "كوربوريت" و"آر أند آي أسوشيتس"، والتي لم تكن تعني شيئاً، ولكن رودي المزعج سألني، "ماذا تعني عبارة آر أند آي أسوشيتس؟"

أجبته "صانعو ثلاجات وثلج".

"حقاً؟"

أردت تغيير الموضوع فسألته، "هل لديك خريطة محلّية؟"

"كلا. ولكن في وسعي رسم واحدة لك".

"مجاناً؟"

ضـــحك، وبدأ يفتش في كومة من البريد التافه، ووجد منشوراً يروّج لمسابقة في مــصارعة الأيل أو شيء من هذا القبيل، وبدأ يكتب على ظهر المنشور مستخدماً قلم رصاص. قال: "إذاً، عليك أن تصل إلى طريق ستارك، ثم تنعطف يساراً علماً بأنه لا توجد لافتات، ثم تصل إلى الطريق جو إنديان..."

"عفواً؟"

"جو إنديان". ثم أعاد ما قاله تحسباً لاحتمال أن أكون غبياً، ثم قال: "ستصل بعد ذلك إلى طريق ليس له اسم حيث يقطعون الأشجار، واصل سيرك مسافة خمسة عشر كيلومتــراً تقريباً. وبعد ذلك، عليك أن تتوجه إلى طريق ماكوين بوند في جهة اليسار، والــذي يؤدي إلى أرض نادي كاستر هيل. لا يمكنك أن تحيد عنه، إلاّ في حال جرى توقيفك".

"من قبل من؟"

"الحرّاس. لديهم بيت هناك وبوّابة". وأضاف "يوجد سياج يحيط بكامل الأرض".

"حسناً، أشكرك يا رودي".

"لماذا تنوي التوجه إلى هناك؟"

"إننا نلبّي طلباً لصيانة الثلاجة. توجد مشكلة في جهاز صنع الثلج".

"حقا؟" نظر إلينا وقال: "هل يتوقعون مجيئكم؟"

"بالتأكيد. فهم لن يتمكنوا من صنع شراب الكوكتيل ما لم نحلّ مشكلة الثلاجة".

"ولم يزوّدوكم بأية إرشادات للوصول إلى المكان؟"

"لقد قاموا بذلك فعلاً، ولكن كلبي أكلها. حسناً، شكراً..."

"هاي، هل تريد نصيحة؟"

"بالتأكيد".

"ينبغي أن أحذركما، شريطة ألاّ تذكروا اسمي".

"حسناً".

"اقبض مالك سلفاً، فهم يماطلون في تسديد الفواتير. وهذا هو سبب ثرائهم. إنهم يماطلون في تسديد فواتير العمال".

"أشكرك على التحذير".

غادرنا المكان، وقلت لكايت: "إننا في برنامج الكاميرا الخفية. أليس كذلك؟"

"بدأت أعتقد أننا كذلك".

ركبنا السيارة، وعدنا إلى الطريق 56، ودخلنا المنتزه، وبحثنا عن الطريق ستارك.

وصلت إلى الطريق الضيّق الذي كان يمرّ بين مجموعة من الأشجار، وانعطفت نحوه. سألت كايت "هل تريدين تناول شريحة من لحم البقر؟"

"لا شكراً، وإياك أن تتسكع".

كنت جائعاً بما يكفي لكي آكل دبّاً، ولكنني قنعت بشريحة من لحم البقر سيئة المذاق. ألقيت بلفافات السيلوفان في المقعد الخلفي، وكان ذلك مساهمة منّي في حماية البيئة.

اقتربنا من نادي كاستر هيل. واستناداً إلى ما قاله والش، من المفترض أن عمليات تفتيش جوّيّة وبرّيّة قد بدأت في محيط أرض النادي، ولكنني لم أسمع أصوات طوافات ولا طائرات ذات أجنحة ثابتة، كما لم أشاهد أية مركبات للشرطة تبحث في المكان. لم يكن ذلك مؤشراً جيداً، أو ربما كان مؤشراً مثالياً.

نظرت كايت إلى هاتفها الخليوي وقالت: "يوجد إرسال الآن، كما وصلتني رسالة".

بدأت باسترجاع الرسالة، ولكنها قالت: "فقدنا الإرسال. لا توجد رسائل، ولا مكالمات".

"ماذا لو عثروا على هاري؟"

أجبتها، "لا أريد أن أعرف أصلاً. إننا ذاهبون لرؤية باين مادوكس".

وضعت هاتفها الخليوي في جيبها، ثم رنّ المجيب الصوتي الذي تحمله كايت، وبعد ذلك بدقيقة، رنّ جهازي.

تبعنا إرشادات رودي، وفي غضون عشرين دقيقة، وصلنا إلى طريق ماكوين بوند الذي كان ضيّقاً، ولكنه معبّد.

شاهدنا لافتة كبيرة فوق الطريق مثبتة بعمودين يبلغ ارتفاعهما ثلاثة أمتار ومزودين بأضواء كاشفة. كُتب على اللافتة، **أملاك خاصة - لا تتجاوز الحدود - توقف عند البوابة التي أمامك أو عدْ أدراجك.**

مــررنا أســفل اللافــتة ووجدنا فسحة أمامنا، وبوابة حديدية، وبيتاً ريفياً خشبياً خلفها.

خرج رجلان يرتديان ثياباً مرقطة من البيت كما لو كانا يعرفان بشأن قدومنا قبل وقــت طويل من وصولنا إلى البوابة. قلت لكايت: "توجد أجهزة لاستشعار الحركة أو الصوت. وربما توجد كاميرات تلفزة أيضاً".

أضافت كايت، "ناهيك عن هذين الشخصين اللذَين يحملان مسدسين، وذاك الذي يراقبنا باستخدام منظار".

"يــا إلهي، كم أكره الحرّاس الخصوصيين. أعطِهم سلاحاً وبعض الصلاحيات، و..."

"هناك لافتة تقول حافظ على سرعة عشرة كيلومترات في الساعة".

خفّفــت الــسرعة مــع اقترابي من البوابة المغلقة. وعلى مسافة ثلاثة أمتار من البوابة كان يوجد مطبّ للسرعة ولافتة كُتب عليها **توقف هنا**، فتوقفت.

انــــزلقت الــبوابة الكهــربائية مسافة متر تقريباً، ومشى أحد الأشخاص نحو الــسيارة. أنــــزلت زجــاج الــنافذة، واقترب الرجل منّي وسألني "كيف يمكنني أن أساعدك؟"

كـــان الرجل في العقد الثالث، يرتدي ثياباً عسكرية مرقطة، وقبعة، وينتعل حذاءً عالي الساق، ويحمل مسدساً. كما كانت تعابير وجهه توحي بأنه بارد جداً وربما خطر في حال استُفزّ. وكل ما كان ينقصه هو نظارات شمسية وصليب معقوف. قلت له: "أنا العميل الفيدرالي جون كوري وهذه هي العميلة الفيدرالية كايت مايفيلد. لقد جئنا لرؤية السيد باين مادوكس".

بدا أن كلامي حطّم وجهه الحجري. سألني، "هل يتوقع مجيئكما؟"

"لو كان يتوقع مجيئنا، لكنتَ عرفت بذلك، أليس كذلك؟"

"هل يمكنني أن أرى بطاقتك؟"

أردت أن أريــه مسدسي الغلوك أولاً لكي يعرف بأنه ليس الشخص الوحيد الذي يحمل سلاحاً، ولكن لكي أكون لطيفاً، سلمته بطاقتي، وكذلك فعلت كايت.

تفحص البطاقتين، وشعرت بأنه وجد أنهما حقيقيتان، أو أنه كان يدّعي بأنه يتقن فحص الأوراق الثبوتية.

قاطعت قراءته المتأنّية وقلت له: "أريد استرجاع هاتين البطاقتين".

تــردّد، ثم أعادهما لي. كررت طلبي وقلت: "جئنا لرؤية السيد مادوكس في لقاء عمل رسمي".

"ما هي طبيعة عملك؟"

"هل أنت السيد مادوكس؟"

"كلا ولكن..."

"انظر يا رفيقي، لديك عشر ثوانٍ تقريباً لتقوم بعمل ذكي. اتصل بمن في الداخل إذا كنت بحاجة إلى القيام بذلك، ثم افتح هذه البوابات اللعينة".

بدا عليه الانــزعاج بعض الشيء، ولكنه حافظ على برودته وقال: "انتظر".

عاد إلى البوابة مجدداً، وانسلّ من خلال الفتحة، وتحدث إلى الشخص الآخر. ثم دخل الرجلان بيت الحراسة بعد ذلك.

سألتني كايت، "لماذا تميل دائماً إلى المواجهة؟"

"المواجهة هي عندما أشهر مسدسي، والمجادلة هي عندما أضغط على الزناد".

"العملاء الفيدراليون مدرّبون على التصرّف بطريقة مؤدّبة".

"لقد فاتني ذلك الصف".

"ماذا لو لم يسمحوا لنا بالدخول؟ ففي وسعهم منعنا من الدخول إلى أملاك خاصة إذا لم تكن في حوزتنا مذكّرة تفتيش".

"أين ذُكر ذلك؟"

"هذا منصوص عليه في الدستور".

"أُراهنكِ بمبلغ عشرة دولارات بأننا سندخل؟"

"أراهنك على ذلك".

عــاد الفاشـــيّ الجديد إلى سيارتنا وقال: "أريد منك أن تمرّ عبر البوابة، وتوقف سيارتك ناحية اليمين. وستنقلّك سيارة جيب إلى نادي الصيد".

"لماذا لا أذهب بسيارتي إلى هناك؟"

"من أجل أمنك وسلامتك يا سيدي، ولأن سياستنا التأمينية تنصّ على ذلك".

"حــسناً، لا نــريد أن نعــبث مــع شركة التأمين. هاي، هل توجد دببة في هذه الأرض؟"

"أجــل سيدي. أرجو منك المرور عبر البوابة والبقاء داخل السيارة إلى أن تصل سيارة الجيب".

هل اعتقد ذلك الأبله بأنني سأخرج من السيارة فيما تنتشر الدببة في المكان؟

أشــار إلـــى الــشخص الذي كان يقف بالقرب من بيت الحراسة، وما لبثت أن انفتحت البوابة الحديدية المنــزلقة.

قـدت السيارة إلى حيث أرشدني، وانعطفت نحو بقعة مكسوة بالحصى. أُغلقت الـبوابة خلفـنا، وقلت لكايت: "أهلاً بكِ في نادي كاستر هيل. أنت تدينين لي بعشرة دولارات".

ضحكت وقالت: "أراهنك بعشرين دولاراً إذا خرجنا من هنا حيَّيْن".

اقتـربت سـيارة جيب سوداء ذات نوافذ ملونة، وتوقفت وخرج منها شخصان يحملان مسدسين، ويرتديان ثياباً مرقطة، وتقدما نحونا.

قلت: "أريد المبلغ الذي راهنّا عليه".

اقتـرب أحـد الأشـخاص من النافذة وقال: "أرجو منك أن تترجل من السيارة، وتقفلها، وتتبعني".

بـدا المكان أشبه بمكان يمكن أن يضع فيه شخص جهازاً للتعقب أو للتنصت في سيارتك، ولذلك لم يكن في نيّتي الخروج من السيارة. قلت له: "لديّ فكرة أفضل. أنت تتقدم بسيارتك، وأنا أتبعك".

تردد ثم قال: "اتبعني عن قرب والتزم بالسير على الطريق".

عـاد إلـى سيارة الجيب، واستدار بالسيارة، وتبعته صعوداً نحو تلّ عبر حقل مكشوف تحيط به نتوءات صخرية كبيرة.

قالت كايت: "افترضتُ أنك أردت تفادي تركيبهم خيارات غير مرغوب فيها في السيارة".

أجبتها، "عندما ترين هذا المستوى من الأمن، عليك ألاّ تكوني أقلّ هوساً بالأمن منهم".

"أنت تعرف دائماً كيف تتعامل مع كل وضع سيّئ توقعنا فيه".

"أشكركِ".

اصـطفت علـى جانبـي الطريق أعمدة إنارة، كما لاحظت سلسلة من الأعمدة الخدمـية تبدأ من خط الأشجار عبر الحقل المكشوف وصولاً إلى خط الأشجار التالي. كانـت الأعمـدة تحمـل خمسة أسلاك، وأثناء مرورنا أسفلها، لاحظت أن ثلاثة منها سميكة واعتقدت بأنها خطوط رئيسية لإمداد الطاقة.

عـند منتصف الطريق على التلّ، شاهدت منـزلاً ضخماً، بحجم فندق صغير. وقبالة البيت، كان يوجد وتد يرفرف عليه العلم الأميركي، وأسفل العلم كان يوجد علم أصفر مثلث الشكل.

رأيـت في أعلى التلّ خلف البيت برجاً طويلاً بدا أشبه ببرج لترحيل الموجات الخليوية، وهو ما يفسر توفر الإرسال هنا، ولذلك لا بدّ وأنه توفر الإرسال لهاري في

حـــال كان حيّاً وبصحة جيدة. وتساءلت إن كان هذا البرج يعود لشركة الهاتف أم أنه لباين مادوكس.

وصـــلنا إلـــى المنـــزل الذي كان أمامه مرآب سيارات مفروش بالحصى، حيث كانـــت سيارة جيب سوداء أخرى متوقفة فيه إلى جانب سيارة زرقاء من طراز فورد توروس شبيهة بالسيارة التي كنت أقودها، لكن كان يوجد عليها ملصق يحمل الحرف إي علـــى صـــدامها الخلفـــي، والذي استنتجت بأنه يرمز إلى شركة إنتربرايز لتأجير الـــسيارات. ولذلك، ربما لا يزال بعض ضيوف عطلة نهاية الأسبوع موجودين هنا. كمـــا كانـــت هناك سيارة مقفلة زرقاء اللون؛ وعلى الأرجح أنها السيارة التي أشارت إليها بيتي.

توقفنا أسفل رواق كبير ذي أعمدة، وخرج رجلان من الأبواب المفتوحة. ترجلتُ وكايـــت مـــن الـــسيارة. كانت تحمل حقيبة مليئة بلوائح أسماء الركاب وعقود تأجير السيارات. حفظتُ أرقام لوحة سيارة شركة إنتربرايز، ثم أقفلنا أبواب سيارتنا ونظرنا حولنا.

كان المكان المحيط بالمنـــزل خالياً مسافة كيلومتر تقريباً من كافة جوانبه، وهو مـــا يوفر مطلاً جيداً وأمناً جيداً جداً. لا بدّ وأن هاري مرّ بأوقات صعبة وهو يحاول الاقتراب مسافة كافية من هذا المرآب لكي يلتقط صوراً فوتوغرافية للوحات السيارات ومستخدميها، حتى وإن كان قد استخدم الصخور الناتئة كغطاء له.

كمـــا أحصيت وجود أربعة حرّاس لغاية الآن، وساورني إحساس بوجود المزيد منهم. بدا أن المكان يخضع لحراسة مشددة، وصرت متأكداً الآن من أن هاري تورّط في موقف صعب.

خاطبنا سائق سيارة الجيب قائلاً:"اتبعاني من فضلكما".

قلـــت لـــه: "حذاري لمس هذه السيارة. إذا اكتشفت بأن أحداً أضاف مزيّة غير مرغوب فيها إلى هذه السيارة، فسيدخل السجن. هل هذا مفهوم؟"

لم يجب، ولكنه فهم التحذير.

صـــعدنا بضع درجات نحو الشرفة المسقوفة حيث كان يوجد صف من كراسي أديـــرونداك الثابـــتة والهـــزّازة قبالة منحدر التل. وفيما عدا الحرّاس المخبولين، كان المكان لطيفاً وأليفاً. وتبيّن لي أنه يوجد في العلم المثلث الأصفر رقم 7.

قال الحارس: "أرجو أن تنتظرا هنا"، ودخل المنـــزل.

وقفـــت وكايت في الرواق، وقلت لها: "ربما كان هذا المكان معروضاً للبيع، مع جيش صغير".

لم تعلّق على كلامي وقالت: "عليّ أن أتحقق من الرسائل".

"كلا".

"جون، ماذا لو..."

"كـــلا. هـــذه إحـــدى المرات النادرة التي لا أرغب فيها في الحصول على أية معلومات جديدة. نريد أن نجتمع ببابن مادوكس".

نظرت إليّ، وأومأت برأسها تعبيراً عن تفهمها لموقفي.

فُتح الباب، وقال الحارس: "ادخلا"، فدخلنا نادي كاستر هيل.

الفصل 22

مشينا في ردهة تعلوها شرفة، وثريا ضخمة مصنوعة من قرون الوعول. كانت الردهة مكسوة بخشب الصنوبر الأصفر ومزينة على النمط الريفي بالبُسُط المتشابكة، واللـــوحات التي تصور صيد الحيوانات والأسماك، والقليل من قطع الأثاث المصنوعة مـــن أغصان الأشجار. ساورني إحساس بأنه لا علاقة للسيد مادوكس، إذا كان يوجد شخص بهذا الاسم، بهذا المنـــزل. قلت لكايت: "إنه مكان جميل".

أجابتني بالقول: "أنا واثقة من أنه يوجد رأس أيل في مكان ما هنا".

ســـمعنا وقع أقدام في الممر في الجانب الأيسر، وشاهدنا حارساً من نوع آخر، كـــان رجلاً في منتصف العمر يرتدي ملابس زرقاء اللون، وما لبث أن دخل الردهة. لا بـــدّ وأنـــه أحد حرّاس القصر. عرّف عن نفسه بأنه كارل، وسأل "هل لي أن آخذ معطفيكما؟"

قلـــنا لـــه: "إننا نفضل عدم خلعهما". ثم خاطب كايت بالقول: "هل يمكنني وضع حقيبتك في غرفة الملابس؟"

أجابت، "سأحملها معي".

ردّ عليها بالقول: "أريد أن أُفتش الحقيبة وذلك لأسباب أمنية".

أجابت كايت، "انسَ الموضوع".

بدا أن الجواب أثار غيظه، فسألنا، "ما هي طبيعة عملكما مع السيد مادوكس؟"

قلـــت: "انظر يا كارل، إننا عميلان فيدراليان، ونحن لا نخضع لعمليات التفتيش، ولا نـــسلّم أي شيء في حوزتنا، بما في ذلك مسدساتنا، ونحن لا نجيب على الأسئلة، بـــل نطرحها. وإما أن تصحبنا إلى السيد مادوكس الآن أو نعود مع مذكرة تفتيش، مع عـــشرة عمـــلاء فيدراليـــين آخـــرين، إضافة إلى شرطة الولاية. كيف تريد أن تسير الأمور؟"

بـــدا كارل غير واثق مما يجب أن يفعله، ولذلك قال: "دعني أتحقق من الأمر"، ورحل.

همست كايت في أذني، "أراهنك بمبلغ عشرة دولارات على أننا سنرى هذا الماكر".

"كلا، لن تحصلي على مالكِ بعد أن وضعته أمام خيار واحد".

أمسكت بهاتفي الخليوي، والمجيب الصوتي، وأوقفت تشغيلهما، وقلت لكايت: "هذه الأشياء تخيف المشبوهين أحياناً، أو تقطع المحادثة في لحظة حرجة". وأضفت، "هذه من المرات التي يُسمح لنا فيها بكتم صوت المجيب الصوتي".

"أنا لست متأكدة من صحة ذلك، ولكن..." وبعد تردد، أوقفت تشغيل هاتفها الخليوي والمجيب الصوتي.

لاحظتُ وجود لوحة زيتية كبيرة معلّقة على الجدار البعيد. كانت تصوّر معركة 'ليتل بيغ هورن'، والجنرال جورج آرمسترونغ كاستر ورجاله المحاصرين بالرجال الهنود الذين يمتطون الجياد، وبدا أن الهنود كانوا منتصرين.

قلت لكايت: "هل سبق أن شاهدتِ لوحة لموقف كاستر الأخير في متحف الفنون الحديثة؟"

"كلا، هل شاهدتها؟"

"أجل، إنها لوحة تجريدية تذكّرني بماغريت أو دالي".

لم تجب، وأنا واثق من أنها تعجبت من معرفتي بماغريت ودالي، وما إذا كنت ذهبت إلى متحف أصلاً.

قلت: "تُظهر اللوحة هذه السمكة مع عين كبيرة وهالة، وهي تطفو في الهواء، وأسفل السمكة كافة هؤلاء الأميركيين الأصليين الذين يجانسون".

"ماذا قلت؟ ما علاقة هذا الأمر بموقف كاستر الأخير؟"

"حسناً، اللوحة تعمل العنوان سمكة المكاريل المقدسة، انظر إلى هؤلاء الهنود الملاعين".

لم تنبس ببنت شفة.

"هل فهمت اللوحة؟ السمكة، العين الكبيرة، الهالة، المكاريل المقدسة، انظري إلى..."

"هذه أسخف نكتة سمعتها في حياتي".

عاد كارل وقال: "أرجو أن تتبعاني".

سرنا خلفه في الرواق نحو ما يشبه المكتبة، ثم نزلنا بضع درجات، ودخلنا غرفة فسيحة ذات سقف كاتدرائي.

كانت توجد مدفأة حجرية في الطرف البعيد من الغرفة، وإلى جانبها قطع خشبية، ورأس أيل كبير فوق إطارها. قلت لكايت: "هاي، هذا هو رأس الأيل الذي كنتِ تتحدثين عنه. كيف عرفتِ بأمره؟"

علـــى أيـــة حال، كان يوجد رجل جالس في مقعد مجنّح بالقرب من نار المدفأة. وقف واجتاز الغرفة الكبيرة. كان يرتدي بزة زرقاء اللون، وسروالاً غير رسمي بنّي اللون، وقميصاً منقشاً أخضر اللون.

التقيـــنا فـــي وســـط الغـــرفة، ومدّ يده لكايت التي بادلته بالمثل. قال: "أنا باين مادوكس، رئيس هذا النادي ومالكه. لا بدّ وأنكِ السيدة مايفيلد. أهلاً بكِ".

أجابت كايت، "شكراً".

ثـــم التفت إليّ، ومدّ يده، وقال: "وأنت السيد كوري". تصافحنا وقال: "إذاً، كيف يمكنني مساعدتكما؟"

تذكّرت صف التهذيب وقلت له: "أولاً، أودّ أن أشكرك على مقابلتنا بدون موعد مسبق".

ابتسم بحزم، وأجاب "ماذا كانت خياراتي؟"

"محدودة جداً في الواقع".

بـــدأت أقـــيّم السيد باين مادوكس. ربما كان في العقد الخامس من عمره، طويل القائمة، يتمتع بلياقة بدنية جيدة، ووجه مقبول. كان شعره الرمادي الطويل يتدلى على جبيـــنه، وكـــان له أنف بارز معقوف، وعينان رماديتان قاسيتان بالكاد كانتا ترمشان، وهو ما ذكّرني بصقر أو نسر. حتى أن رأسه بدا لي كرأس طائر. كان صوته رخيماً، كمـــا تتوقع. وفيما عدا المظاهر الخارجية، شعرت بأنه رجل رابط الجأش وواثق من نفسه.

قلت له: "نحن بحاجة إلى عشر دقائق من وقتك". ربما كنت بحاجة إلى أكثر من ذلك، ولكنني أقول دائماً عشر دقائق. أشرت إلى الكراسي القريبة من المدفأة.

تردد ثم قال: "حسناً، لا بدّ وأنك قطعت مسافة طويلة. تعال واجلس".

مشينا خلفه في الغرفة، وبقي كارل وحيداً.

كان في مقدوري رؤية الكثير من رؤوس الحيوانات الميتة على الجدران، وكذلك الطـــيور المحـــنّطة، وهـــو الأمر الذي لا يعتبر صحيحاً من الناحية السياسية في هذه الأيـــام، ولكننـــي كنت واثقاً من أن باين مادوكس لا يأبه لذلك البتّة. حتى أنني كدت أتوقع رؤية ديموقراطي محنّط على الجدار.

كمـــا لاحظت خزانة خشبية كبيرة لها نوافذ زجاجية تحتوي على بنادق يمكن أن ترى من خلالها حوالى عشر بنادق وبنادق الخردق.

اصـــطحبنا مادوكس إلى مقعدين مجنّحين مصنوعين من الجلد تتوسطهما طاولة صغيرة، وجلسنا جميعاً.

سـألنا باين مادوكس، الذي صار يشعر الآن بأنه مجبر على التصرف كمضيف كـريم، "هل يمكنني أن أطلب من كارل إحضار شيء لكما؟ قهوة؟ شاي؟" وأشار إلى كوب من سائل الكهرمان على الطاولة وسأل "أو شيء أقوى؟"

أجابـت كايـت، عملاً بالإجراءات التي تقول بضرورة إبقاء المرء جالساً وقتاً أطول مما كان يريد للجلوس والتحدث، "قهوة لو سمحت".

أردت كأسـاً من الشراب الاسكتلندي، وكنت أشمّ رائحته من كوب مادوكس فيما كان يشرب منه، وبذلك ربما يتضح إن كانت توجد مشكلة في ماكينة صنع الثلج فعلاً.

"وأنت يا سيد كوري؟"

"كما تعرف، أنا متعطش لشرب القهوة والحليب. هل يمكنك تقديم ذلك؟"

"آه..." ونظر إلى كارل وسأله، "اسأل من في المطبخ إن كان في مقدورهم صنع القهوة بالحليب".

قلت: "أو كابوتشينو، وحتى الأميركانو ستفي بالغرض".

أنا لا أشرب هذه الأشياء بالطبع، ولكننا كنا بحاجة إلى تمضية المزيد من الوقت مع السيد مادوكس.

غـادر كـارل الغرفة، ولاحظت الآن وجود كلب ممدد على جانبه بين الكرسي الذي يجلس فيه مادوكس والمدفأة، إما نائم وإما ميت.

قال مادوكس: "هذا القيصر ويليام".

"يبدو كما لو كان كلباً".

ابتسم وقال: "إنه من فصيلة الدوبرمان، ذكي جداً، ومخلص، وقوي، وسريع".

"بالكـاد أسـتطيع تصديق ذلك". ما عنيته هو أن الكلب كان ممدداً هناك، يسيل لعابه على البساط، ويلهث، ويشخر.

قالت كايت: "إنه حيوان جميل".

تـساءلت عما يحلم به الكلب. زد على ذلك أن السيدة مايفيلد لا تعتقد بأنني بهذا القدر من الجمال عندما أشخر أو يسيل لعابي.

سأل السيد مادوكس، "إذاً، كيف أستطيع مساعدتكما؟"

في العادة، أتناقش مع كايت مسبقاً ما ينبغي أن نقوله في اللقاء ونوع المعلومات التـي نـريد الحـصول عليها. لكن ما كنا نبحث عنه، أي هاري مولر، سيدل السيد مـادوكس إلى أنه يخضع للمراقبة، وهو ما حصر أسئلتنا بأحوال الطقس والمسلسلات العالمية. ومن ناحية أخرى، ربما كان مادوكس يعرف أصلاً أنه تحت المراقبة.

"سيد كوري؟ السيدة مايفيلد؟"

اتخذت قراراً بالاحتذاء بالجنرال كاستر والهجوم على أمل أن أتوصل إلى نتائج أفضل. قلت لمادوكس: "لقد تحرّكنا بناءً على معلومات مفادها أن عميلاً فيدرالياً اسمه هـاري مولـر قد اختفى في منطقة مجاورة لهذا النادي، ونحن نعتقد بأنه ربما تاه في أملاكك أو أصيب بجرح فيها". نظرت إليه لكي أتلمّس ردّة فعله، ولكن تعابيره لم توحِ بشيء.

قال: "هنا؟ في هذه الأرض؟"

"ربما".

بدا مندهشاً فعلاً، أو أنه كان ممثلاً جيداً. قال لي: "لكن... وكما رأيت، ليس من السهل الدخول إلى الأرض".

أجبته، "كان يمشي على قدميه".

"حقاً؟ ولكن هذه الأرض تخضع لحراسة ومحاطة بسياج أمني".

جاء دوري للتظاهر بالتعجب فأجبته، "سياج؟ حقاً؟ حسناً، ربما اخترق السياج".

"ما الذي يدعوه إلى القيام بذلك؟"

كان سؤالاً جيداً. أجبته، "إنه مهووس بمراقبة الطيور".

"فهمت. إذاً أنت تعتقد بأنه اجتاز السياج، وأصيب بجرح في أرضي".

"ربما". بقيت تصرفات مادوكس مقلقة ومرتبكة.

سألني، "لكن لماذا تعتقد أنه فعل ذلك؟ فهناك الملايين من الفدادين من الأراضي البـرّيّة التي تحيط بهذه الأرض علماً بأن مساحة أرضي لا تزيد على ستة عشر فداناً فقط".

"فقـط؟ اسمع يا سيد مادوكس، إننا نعمل بناء على معلومات محددة يتعين علينا الـتأكد من صحتها. والسؤال الذي أطرحه عليك هو هل التقيت أو التقى أحد موظفيك بأي شخص في هذه الأرض؟"

هـزّ رأسـه وأجاب، "لو حدث ذلك، لكانوا أخبروني". وسألني، "كم مضى على فقدان هذا الرجل؟"

"منذ يوم السبت". وأضفت، "ولكننا لم نأبه للأمر حتى وقت قريب".

أومـأ برأسه وغرق في التفكير، واحتسى بعض الشراب الاسكتلندي، وقال: "حسناً، استـضفت حوالى ستة عشر ضيفاً في عطلة نهاية هذا الأسبوع، حيث تتـزه العديد منهم في الأرض أو ذهب لصيد الطيور. زد على ذلك أن لدي فريقاً أمنياً، ولذلك من المستبعد أن يكون ذلك الشخص قد تاه في أرضي بدون أن يصلني خبر عن ذلك".

تحـــدثت كايـــت للمرة الأولى، فقالت: "إذا قسمنا ستة عشر ألف فدان على ستة عـــشر شخـــصاً نجد أن هناك شخصاً واحداً مقابل كل ألف فدان". وأضافت، "يمكنك إخفاء جيش هناك".

أعاد السيد مادوكس التفكير في العملية الحسابية وأجاب، "أعتقد بأنه لو أصيب أو أصبح عاجزاً عن الحركة، فمن المحتمل ألاّ يتم العثور عليه".

أجابت كايت، "إنه احتمال قوي جداً".

أشـــعل مـــادوكس ســـيجارة، ونفخ حلقات الدخان في الهواء، وسألني، "ما الذي تريدني أن أقوم به؟ كيف يمكنني أن أساعدك؟"

فكّرت في مادوكس، الذي يدخّن، ويشرب، ويجلس على كرسيه الجلدي في بيته الكبيـــر. بـــدا مرتاحاً أكثر منه شخصاً عادياً مشبوهاً. في الواقع، بدا أنه بريء. لكن ســـاورني إحساس بأنه حتى وإن كانت له علاقة باختفاء هاري، فسيحافظ على رباطة جأشه. فقد كان في مقدوره أن يأمر خدمه بأن يقولوا لنا بأنه غير موجود، أو مشغول، لكنه اختار بدلاً من ذلك الاجتماع بنا وجهاً لوجه.

تعلمـــت مـــن دراســـتي لعلـــم النفس الجنائي، ومن السنوات التي أمضيتها في الشوارع، شيئاً عن المضطربين نفسياً والنرجسيين؛ وهم الأشخاص المغرورون على نحو لا يصدّق، والمتعجرفون الذين يعتقدون بأن في مقدورهم الإفلات من العقوبة عبر التفوه بالتفاهات.

كـــان من المحتمل أن لدى باين مادوكس شيئاً يخفيه، وأنه اعتقد بأن في مقدوره إخفاءه تحت أنفي. ولكن ذلك لن يحصل أبداً.

أعاد سؤاله، "كيف يمكنني أن أساعدك؟"

أجبته، "نودّ الحصول على إذن منك بتفتيش الأرض".

بـــدا أنه مستعد لهذا السؤال فقال: "في إمكاني القيام بمهمة البحث بنفسي بعد أن عـــرفت بأنه ربما يوجد شخص تائه في أرضي". وأضاف، "لديّ حوالى خمسة عشر مـــوظفاً، إضـــافة إلى مركبات تصلح للسير على الأرض الوعرة وست سيارات دفع رباعي".

قلت له: "سنحتاج إلى شهر لكي نمسح الأرض بأكملها. أنا أتحدث عن شرطة الـــولاية والـــشرطة المحلّية، والعملاء الفيدراليين، وربما بعض الجنود من كامب درام".

لـــم يـــبدُ أنه أُعجب بالفكرة، ولكنه كان محاصراً، ولذلك سألني، "قل لي مجدداً لماذا تعتقد بأن هذا الرجل موجود في أرضي وليس في البرّيّة التي تحيط بها؟"

كان ذلك سؤالاً جيداً فعلاً، وكانت أملك جواباً تقليدياً يتعلق بتطبيق القانون. قلت له: "إننا نعمل بناء على معلومات وظنون، وهذا كل ما يمكنني أن أقوله لك". وأضفت، "واستناداً إلى المعلومات المتوفرة لدينا، يمكننا الحصول على مذكرة تفتيش، ولكن ذلك سيتطلب بعض الوقت. ولذلك، فنحن نفضّل لو تتعاون معنا بشكل طوعي". وسألته، "هل توجد لديك مشكلة في ذلك؟"

"كلا لا توجد مشكلة، ولكنني أقترح عليك البدء ببحث جوّي، وهو الذي سيؤدي الوظيفة ذاتها في وقت أسرع وفاعلية مماثلة".

قالت كايت: "نشكرك، فنحن نعلم ذلك. وقد بدأنا فعلاً البحث الجوّي. ونحن هنا من أجل الحصول على إذن منك بدخول هذه الأرض مع فرق التفتيش".

أجاب مادوكس، "أنا لن أعترض عملية البحث عن شخص مفقود بكل تأكيد، ولكنني أريد تنازلاً رسمياً عن الحقوق".

بدا على كايت الانزعاج وقالت: "سنرسل إليك واحداً عبر الفاكس في أسرع وقت ممكن".

"أشكركِ. لا أريد أن أبدو مواطناً غير صالح، ولكننا لسوء الحظ نعيش في أوقات كثرت فيها المنازعات القضائية".

لم أكن أستطيع مجادلته في ذلك، فقلت له: "هذه البلاد في طريقها إلى الجحيم. بات هناك الكثير من المحامين".

أومأ برأسه، وعرض تقديم رأيه فقال: "المحامون يعملون على تخريب البلاد. إنهم يهدمون الثقة، ويروّعون الناس الذين يريدون أن يكونوا مواطنين صالحين، ويدافعون عن ثقافة الظلم، ويشاركون في الابتزاز المقنّن".

أعجبني هذا الرجل فأضفت، "في الواقع، إنهم يعصرون الناس".

ابتسم وقال: "إنهم يعصرون الناس".

اعتقدت أنه ينبغي عليّ إخباره بأمر فقلت، "السيدة مايفيلد تحمل شهادة في المحاماة".

"آه، ... حسناً، أنا أعتذر إن كنت..."

قالت: "أنا لا أمارس مهنة المحاماة".

"هذا جيد"، ثم ضحك وقال: "أنت أجمل من أن تعملي في المحاماة".

حدّقت به السيدة مايفيلد.

قال السيد مادوكس: "أعتقد بأنكم ستبدأون البحث في الصباح". وأضاف، "سيحل الظلام، مما يجعل من المتعذر عليكما إرسال رجالكما في تلك الغابات".

من الواضح أن السيد مادوكس كان يماطل من أجل كسب الوقت بكلامه الفارغ عن التنازل عن الحقوق، وما إلى ذلك. قلت له: "أعتقد بأننا لا زلنا نملك ثلاث ساعات من النهار".

واصل حديثه فقال: "سأطلب إلى الموظفين لدي بدء البحث على الفور، فهم يعرفون طبيعة الأرض".

نظر كل واحد منّا إلى الآخر وإلى تلك العينين الرماديتين اللتين لا ترمشان أبداً.

قال من غير أن يرفع بصره عنّي: "سيد كوري، أرجو منك أن تخبرني عن سبب وجود عميل فيدرالي في أرضي".

سبق أن أجبته عن هذا السؤال فقلت: "لا علاقة للبحث بكون السيد مولر عميلاً فيدرالياً".

"لا علاقة لكونه عميلاً فيدرالياً؟"

"أجل، لقد كان ينوي التخييم في المكان، ولم يكن في مهمة. ألم أوضح لك ذلك؟"

"ربما أسأتُ الفهم".

قلت له: "ربما. وبما أنه عميل فيدرالي، فالحكومة الفيدرالية تساعد في البحث".

"فهمت. إذن ينبغي عليّ ألاّ أعير اهتماماً لكونك والسيدة مايفيلد من *الوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب*؟"

"كلا، في الواقع، لا ينبغي أن تعير اهتماماً لذلك". وأضفت، "وينبغي أن أشير أيضاً إلى أن السيد مولر زميل لي، أي أننا هنا بدافع من القلق الشخصي إضافة إلى أسباب مهنية".

فكّر للحظة ثم قال: "لم أصادف هذا النوع من الصداقة الحميمة منذ أن استقلت من الجيش. وأنا لا يمكن أن أفكر في شخص يمكن أن يقوم بما هو أكثر من إجراء بعض المكالمات الهاتفية في حال تهت من أجل العثور عليّ".

"ولا حتى أمّك؟"

ابتسم وقال: "حسناً، ربما أستثني أمّي. وربما أستثني أولادي في الأوقات الجيدة. كما أن مصلحة جباية الضرائب ستبحث عنّي بعد أن أتخلّف عن سداد الدفعة الفصلية".

لم أعلّق أنا أو كايت على ذلك.

أشعل مادوكس سيجارة أخرى، ونفخ المزيد من الحلقات الدخانية، وقال: "هذا فنّ ضائع". وسألنا، "هل تسمحان بأن أقدّم لكما سجائر؟"

رفضتُ وكايت ذلك العرض.

نظرتُ في أنحاء الغرفة ولاحظت شيئاً في الزاوية المعتمة وهو ينظر إليّ بعينين قاسيتين. كان في الواقع دبّاً أسود ضخماً واقفاً على قدميه الخلفيتين ورافعاً يديه الأماميتين ومخالبه في إيماءة تحذيرية. أعني كنت أعرف بأنه ميت ومحنَّط، ولكنه خضّني. قلت لمادوكس: "هل اصطدت ذلك الشيء؟"

"أجل".

"أين؟"

"هنا في أرضي". وأضاف، "تمرّ الدببة عبر السياج أحياناً".

"وهل تطلق النار عليها؟"

"حسناً، إذا كان الوقت خارج الموسم، نطلق عليها طلقات مهدّئة ثم نخرجها من المكان. لكن لماذا تسأل؟"

"أنا أكره الدببة".

"هل مررت بتجربة سيئة مع إحداها؟"

"كلا، ولكنني أحاول تفادي المرور بتجربة سيئة. هاي، هل تعتقد بأن مسدساً من طراز غلوك عيار 9 ملم قادر على وقف الدبّ؟"

"لا أعتقد ذلك، وآمل بألاّ تُضطرّ إلى معرفة ذلك".

"وأنا أيضاً. هل تنصبون أشراكاً للدببة في هذه الأرض؟"

"بالقطع لا، فأنا أستضيف الناس في هذه الأرض، وأنا لا أرغب في أن يعلق أحدهم في شرَك دبّ". وأضاف، "وكذلك من يجتازون الحدود بدون إذن، ففي إمكانهم ملاحقتي قانونياً". نظر إلى ساعته وقال: "إذاً، إذا..."

"بقي القليل من الأسئلة فيما نحن ننتظر القهوة مع الحليب".

امتنع مادوكس عن التعليق. بدأت بسؤاله "إذن، أنت صياد".

"أنا أصطاد".

"هل كل غنائم الصيد هذه لك؟"

"أجل، فأنا لا أشتريها كما يفعل البعض".

"إذاً، أنت صياد ماهر".

"كنت جندياً متمرساً في سلاح المشاة في الجيش، ولا يزال في مقدوري قتل غزال من مسافة مئتي متر".

"هذا مدهش فعلاً. كم كان يبعد عنك ذلك الدبّ؟"

"مسافة قريبة. تركت المفترس يقترب منّي". نظر إليّ وقال: "هذا ما يجعل الأمر مثيراً". وسألني، "ما علاقة ذلك باختفاء السيد مولر؟"

"لا توجد علاقة".

نظـر كـل منّا إلى الآخر فيما كان ينتظر منّي تفسير السبب الذي يدعوني إلى طرح هذه الأسئلة. قلت له: "أنا أحدّثك فقط". وسألته "إذاً، هذا نادٍ خاص؟"

"إنه كذلك".

"هل يمكنني الانضمام إليه؟ فأنا أبيض البشرة، وإيرلندي، وإنكليزي، وكاثوليكي مـثل كريـستوفر كولومبوس، ولكن في مقدوري تبديل مذهبي. كما عقدت قراني في كنيسة ميثودية".

قـال الـسيد مادوكس: "لا يوجد مثل هذه المتطلبات أو الاستثناءات، ولكن ليس لدينا مراكز عضوية شاغرة في الوقت الحاضر".

سألته كايت، "هل تقبلون عضوية النساء؟"

ابتـسم وقـال: "أنا أوافق على الصعيد الشخصي، ولكنّ عضوية النادي تقتصر على الرجال".

"ما هو السبب؟"

أجاب، "لأن هذا ما أردنا أن يكون عليه النادي".

ظهر كارل حاملاً صينية قام بوضعها على الطاولة. قال لي: "هل القهوة بالحليب طيبة المذاق؟"

"ممتازة".

لفـت كـارل نظـر السيدة مايفيلد إلى وعاء فضي صغير للقهوة، ثم سألنا "هل تريدان شيئاً آخر؟"

أشرنا إليه بالنفي، وما لبث أن غادر الغرفة.

ذهب السيد مادوكس إلى المنضدة ليملأ كأسه. قلت له: "سأتناول معك كأساً صغيرة".

الـتفت إليّ وقال: "عليك أن تشربها بدون ماء". ملأ كوبين وعاد وقال لي: "يبدو أنني أعاني من مشكلة في جهاز صنع الثلج"، وابتسم.

رودي أيها الحقير، سأحلق شعرك من رأسك حتى أخمص قدميك.

والأهـم مـن ذلك أن مادوكس علم بأن شخصاً في طريقه إليه، ولكنه لم يحاول تجـنّب اللقـاء مـع الـزوار غير المعروفين، حتى عندما أخبره المعتوهون في بيت الحراسـة بأنـنا عميلان فيدراليان. من الواضح أنه اتخذ قراراً بالتقصّي عنّا فيما كنا نسعى إلى دخول النادي.

سلّمني السيد مادوكس كوباً مصنوعاً من الكريستال، وقال: "يوم كولومبوس سعيد". لامسنا كوبينا، وجلس واضعاً رِجلاً على رِجل، واحتسى قليلاً من الشراب، ونظر إلى نار المدفأة.

أفاق القيصر ويليام، وجلس بالقرب من كرسي سيده، ليحظى بمداعبه لأذنيه. نظر الكلب الغبي إليّ، فنظرت إليه. أشاح بعينيه أولاً، وبذلك أكون قد فزت.

شربت كايت قهوتها، ثم كسرت الصمت وقالت: "قلتَ إنك استضفت ستة عشر شخصاً يوم عطلة نهاية الأسبوع".

أجاب مادوكس، "هذا صحيح". ونظر إلى ساعته وقال: "أعتقد بأنه لا بدّ وأنهم رحلوا جميعاً الآن".

قالت كايت: "ربما نحتاج إلى التحدث إليهم، ولذلك أريد الحصول على أسمائهم وعلى معلومات تساعدنا على الاتصال بهم".

لم يكن مادوكس يتوقع هذا الطلب، وعجز عن الكلام لفترة، وهو ما أعتقد بأنه ليس من عادته، ثم سأل "لماذا؟"

أجابت، "لكي نتأكد مما إذا كانوا قد رأوا السيد مولر أو سمعوا شيئاً يتعلّق باختفائه". وأضافت "إنها إجراءات عادية".

لا يبدو أنه رأى فيها إجراءات عادية، وقال: "لا أرى داعياً إلى هذا الأمر على الإطلاق. فما من أحد رأى أو سمع شيئاً. كما أرجو أن تفهما بأن هذا نادٍ خصوصي وأعضاؤه يرغبون في المحافظة على خصوصياتهم".

أجابت كايت، "يمكنني ضمان خصوصياتهم، والأمر يعود إلينا في تحديد إن كان أحدهم رأى أو سمع شيئاً".

شرب مقداراً كبيراً من الشراب الاسكتلندي، وقال لكايت: "أنا لست محامياً مثلك، ولكن حسب معلوماتي، ما لم تكن هناك قضية جنائية، والأمر ليس كذلك، أو قضية مدنية، والأمر ليس كذلك، فأنا لست مضطراً إلى إطلاعكما على أسماء ضيوفي أكثر من اضطراركما إلى إطلاعي على أسماء ضيوفكما".

لم يكن في مقدوري المقاومة فقلت: "استضفت عمّتي وعمّي، جو وآغنيس أوليري في عطلة نهاية الأسبوع الماضي. من هم ضيوفك؟"

نظر إليّ. لم أستطع التكهن إن كان يقدّرني أم لا. لكن الغريب هو أنني أُعجبت بهذا الرجل وأعتقد بأنه كان من الممكن أن نكون صديقَين في ظروف أخرى. ربما سيدعوني السيد مادوكس إلى قضاء عطلة مع الأولاد هنا إذا اتضح أن الأمر كله سوء فهم، وأنه تم العثور على هاري في فندق صغير أو ما شابه، وربما لن يفعل ذلك.

قالــت له كايت: "أنت محقّ في أنه لا يقع عليك واجب قانوني يحتم الكشف عن أســماء ضيوفك - في هذه المرحلة على الأقل - ولكننا نتمنّى أن تتعاون معنا بشكل طوعي الآن فيما حياة شخص قد تكون في خطر".

فكّر السيد مادوكس في الأمر وأجاب، "عليّ أن أتصل بالمحامي".

ذكّرته كايت، "أنت لا تحبّ المحامين".

ابتسم بحزم وأجاب، "أنا لا أحبّهم، ولكنني لا أحبّ طبيب الأمعاء أيضاً. سأتصل بالرجال الذين كانوا هنا لأعرف إن كانوا يوافقون على البوح بأسمائهم".

قالت كايت: "أرجو منك القيام بذلك بسرعة فيما نحن هنا، وأنا بحاجة إلى أسماء موظفيك وأية معلومات تساعدنا على الاتصال بهم". وأضافت، "اتصل بي هذا المساء. أنا والسيد كوري مقيمان في فندق ذي بوينت".

ارتفع حاجباه وسأل، "هل تعانون من مشكلة في إنفاق ميزانية مكافحة الإرهاب".

كان ذلك سؤالاً جيداً. أنا معجب فعلاً بهذا الرجل. قلت: "إننا نتقاسم غرفة واحدة لكي نحافظ على أموال دافعي الضرائب".

رفــع حاجبــيه مجدداً وقال: "أنا لن أقترب من ذلك الفندق". ثم نظر إلى ساعته مجدداً وقال: "حسناً، إذا كنت سأجري بعض المكالمات..."

قاطعْــته فقلت: "بالمناسبة، لاحظت أن لدينا استقبالاً قوياً للإرسال الخليوي هنا، ورأيت برجاً على التلّ. هل هو برج للهواتف الخليوية؟"

"إنه كذلك".

"لا بدّ وأنك تتمتع ببعض النفوذ".

"ماذا تعني؟"

"أعني أن السكان في هذه المنطقة أقل عدداً على الأرجح من سكان سنترال بارك يــوم الأحد، وأنا لا أعتقد بأن الكثير من هؤلاء الناس يحملون هواتف خليوية، ولكنك تملك بالرغم من ذلك برجاً ضخماً باهظ الثمن، في أرضك".

أجاب، "ستفاجأ من عدد السكان القرويين الذين لديهم هواتف خليوية". وأضاف، "في الواقع، أنا من طلب بناءه".

"لنفسك؟"

"لكل شخص لديه هاتف خليوي. وجيراني يقدّرون ذلك".

"أنا لا أرى أي جيران".

"ماذا تقصد؟"

حسناً، ما قصدته هو أنه كان لدى العميل مولر هاتف خليوي، أجرى من خلاله بعض المكالمات، واستقبل أخرى في هذه المنطقة، وهو الآن لا يجري أية مكالمات أو يتلقّاها. وهذا هو سبب قلقنا من احتمال أن يكون قد تعرّض لإصابة أو إلى ما هو أسوأ".

أجاب السيد مادوكس، "بالنظر إلى المسافة التي تفصل بين أبراج الترحيل المحيطة، فإننا نفقد الإرسال أحياناً. وفي بعض الأحيان، يفقد الناس هواتفهم أو يصيبونها بأضرار. وفي بعض الأحيان، يكون إرسال شركة هاتف بعينها سيئاً في منطقة ما، وأحياناً يوجد عيب في الهاتف الخليوي نفسه، وأحياناً تفرغ البطارية من الطاقة". وأضاف، "أنا لا أستفيد كثيراً من هاتف خليوي لا يستقبل المكالمات. ولو أنني كنت أستفيد من ذلك، لكنت اعتقدت بأن أطفالي تعرّضوا للاختطاف على يد سكان المرّيخ".

ابتسمتُ وقلت: "هذا صحيح. إننا لن نستفيد من ذلك كثيراً".

"هذا جيد". ثم وضع رِجله الثانية على الأرض وانحنى إلى الأمام وقال: "هل لديكما المزيد من الأسئلة؟"

أجبته، "أجل، ما هو نوع الشراب الاسكتلندي الذي تشربه؟"

أجاب "ماركة تجارية خاصة، نوع وحيد من الملت". وسأل، "هل ترغب في الحصول على زجاجة وأنت في طريق المغادرة؟"

"هذا كرم كبير منك، ولكنني لن أقبل الهدية، بالرغم من أنه يمكنني شرب زجاجة هنا وعدم انتهاك أخلاقيات المهنة".

"هل ترغب في واحدة لتشربها وأنت في الطريق؟"

أجبته، "في مثل هذه الطرقات، أعتقد أنني سأواجه مشكلة في الوصول إلى فندق ذي بوينت وأنا صاحٍ". وأضفت، "أرغب أنا والسيدة مايفيلد في الانضمام إلى موظفيك في البحث. وبعد ذلك، ربما يمكننا قضاء الليلة هنا. هل هذا ممكن؟"

"كلا، لأن ذلك مخالف لقوانين النادي. كما أن كافة الموظفين سيغادرون المكان لقضاء إجازة يستحقونها بعد عملهم في عطلة استمرّت ثلاثة أيام".

"أنا لا أحتاج إلى الكثير من الموظفين، وسنتقاسم غرفة واحدة".

فاجأني بالقول: "أنت مضحك. أنا آسف، لا أستطيع تقديم دعوة لكما لقضاء ليلة هنا. ولكن إذا كنتما ترغبان في المكوث في فندق صغير محلّي، سأطلب إلى أحد الموظفين إرشادكما إلى ساوث كولتون". وأضاف، "ربما مررتم في تلك المنطقة عندما كنتما في طريقكما إلى هنا".

"أجل، أعتقد ذلك". اعتقدت بأن الشراب الاسكتلندي قلّل من التزامه بالرسميات، وهـو ما يفسر اعتقاده بأنّي مسلٍ. ولذلك قلت له: "لا أرغب في منعك من إجراء تلك المكالمات، ولكن إذا كان أمامي دقيقة، أودّ التعبير عن فضولي بشأن هذا النادي".

لم يعلّق مادوكس بشيء.

قلت: "لا علاقة لما أقوله باختفاء مولر، ولكنه مكان بهيّ المنظر فعلاً. كيف بدأ العمل به؟ وماذا تفعلون هنا؟ هل تصطادون الحيوانات والأسماك؟"

أشعل مادوكس سيجارة أخرى، وأسند ظهره، وعاد إلى وضع رِجل على أخرى وقال لنا: "حسناً، نبدأ بالاسم أولاً. في العام 1968، حصلت على رتبة ملازم ثانٍ في الجيش الأميركي، وجرى إلحاقي بفورت بينيغ قبل إرسالي إلى فييتنام. كان يوجد عدد من نوادي الضباط الملحقة بفورت بينيغ؛ أي بعض النوادي الصغيرة التي كانت تسمح بالتقاء صغار الضباط بعيداً عن كبار الضباط الذين يلتقون في النادي الرئيسي".

"إنهـا فكرة رائعة. فقد كنت شرطياً قبل انضمامي إلى *الوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهـاب*، ويمكنني أن أقول لك إنني لم أكن أذهب إلى الحانات التي كان يتسكع فيها كبار الضباط".

"بالـضبط. حسناً، كان يوجد هذا النادي الوحيد، داخل الغابة في مكان يسمى كـستر هـيل، ويسمّى نادي كاستر هيل للضباط. كان المبنى بسيطاً ويشبه بيوت الصيد".

"آه، فهمت كيف سارت الأمور".

"أجـل. وبالتالي، كان بضع عشرات من صغار الضباط يلتقون هنا عدة ليالٍ في الأسـبوع لـشرب الجعـة وتناول البيتزا السيئة، ومناقشة أوضاع الحياة، والحرب، والنساء؛ والسياسة بين الحين والآخر".

بدا أن السيد مادوكس غادر الغرفة، وعاد إلى ذلك الزمان والمكان. كان المكان هادئاً باستثناء صوت النار التي كانت قد بدأت تخمد.

واصـل حديـثه فقـال: "كـان وقتاً سيئاً مرّت به البلاد والجيش. فلم يعد هناك انـضباط، وانقسمت الأمة على نحو خطير، وحدثت أعمال شغب وعمليات اغتيال في المدن، وكانت الأخبار السيئة ترد من الجبهة... كان الرفاق، الأشخاص الذين نعرفهم، يموتـون فـي فييتنام، أو يعودون إلى الوطن مثخنين بالجراح... من الناحية البدنية، والذهنية، والروحية... وهذا هو الموضوع الذي كنا نتحدث عنه".

أنهى كأسه، وأشعل سيجارة أخرى، وقال: "شعرنا بأننا تعرّضنا للخيانة. شعرنا بـأن تـضحياتنا، ووطنيتنا، وخدمتنا، ومعتقداتنا باتت بدون أهمية وممقوتة من جانب

الكثيـــرين فـــي البلاد". نظر إلينا وأضاف، "هذا ليس بالأمر الجديد في تاريخ العالم، ولكنه كان جديداً في أميركا".

لم أعلّق أو كايت على ما قاله.

واصـــل بـــاين مـــادوكس حديثه، فقال: "حسناً، بتنا نشعر بالمرارة، ثم أصبحنا راديكاليين، وأفترض بأنك ستقول بأننا أقسمنا بأننا إذا عشنا، فسنكرّس حياتنا لتصحيح العديد من الأخطاء".

لم أعتقد بأن ذلك كان طبيعة القسم، بل خطر ببالي كلمة "انتقام".

تابع مادوكس حديثه فقال: "ولذلك، سافر العديد منّا، ثم عاد البعض، وبقينا على اتـــصال. بقي البعض منّا، مثلي، في الجيش، ولكن غالبية الرجال سرّحوا بعد انتهاء عقودهم. وأصبح العديد منا ناجحين، وغالباً ما ساعدنا الأشخاص الذين لم ينجحوا، أو احـــتاجوا إلى دعم مهني، أو توصية للحصول على وظيفة. كانت شبكة كلاسيكية من الرفاق القدامى، ولكنها وُلدت في مرجل الأوقات المضطربة، واكتسبت الصلابة بالدم والحرب، واختُبرت بسنين التيه في البريّة التي آلت إليها أميركا. وعندها، عندما كبرنا فـــي الـــسنّ، وأصبحنا أكثر نجاحاً، ومع تزايد نفوذنا، ومع بدء أميركا باستعادة قوتها وعثورها على طريقها مجدداً، رأينا أنه بات لنا وزن".

ومرّة أخرى، سكت وبدأ ينظر من حوله، كما لو كان يفكر في كيفية وصوله إلى هـــذا البـــيت الكبير بعيداً عن نادي الضباط الصغير في غابات جورجيا. قال: "قمت بتشييد نادي الصيد هذا ليكون مكاناً للتجمع، قبل حوالى عشرين عاماً".

قلـــت: "إذاً، أصدقاؤك لا يأتون إلى هنا لمجرّد صيد الحيوانات والأسماك. أعني أنه توجد ناحية مهنية، وربما القليل من الاهتمام بالسياسة أيضاً".

فكّر في كلامي، وقال: "كنا مشتركين في الحرب ضدّ الشيوعية، ويمكنني القول بصدق وبشيء من الفخر بأن العديد من أعضاء هذا النادي قدموا مساهمات كبيرة في تحقـــيق النصر النهائي على تلك الإيديولوجية المريضة، ووضع حدٍّ للحرب الباردة". ونظر إلينا وقال: "والآن، حسناً، بات لدينا عدو جديد. وسيكون هناك دائماً عدو جديد".

سألته، "والآن، هل تشارك في الحرب ضدّه؟"

هزّ كتفيه، وقال: "ليس بقدر اشتراكنا في الحرب الباردة". وأضاف "لقد أصبحنا جميعاً كباراً في السنّ الآن، خضنا قتالاً جيداً، ومن حقنا أن نتقاعد بهدوء". ونظر إلى كايت وإليّ وقال: "الأمر منوط بأشخاص في أعماركم لكي يخوضوا هذه المعركة".

سألته "إذاً، جميع أعضاء هذا النادي من قدامى المحاربين في الجيش الذين كانوا في نادي كاستر هيل الأصلي؟"

أجـــاب "كـــلا، الأمر ليس كذلك في الحقيقة. فقد تُوفي البعض، واختفى البعض، وانـــسحب الـــبعض. ولـــذلك أضفنا أعضاء جدداً على مرّ السنين، رجالاً يشاركوننا معتقداتـــنا ممن عاشوا في تلك الأوقات. وقد منحناهم العضوية الشرفية لنادي ضباط كاستر هيل الأصلي، فورت بينيغ، ولاية جورجيا، 1968".

فكـــرت في ما قاله، وفي الرجال الأثرياء، وأصحاب النفوذ الذين يلتقون في يوم عطلـــة طـــويل في بيت صيد ناءٍ، واعتقدت بأنه ربما لا يكون هناك شيء آخر، وأن وزارة العدل تمرّ في واحدة من لحظات هوسها الكثيرة.

ومن ناحية أخرى، قلت له: "حسناً، أشكرك على مصارحتنا بهذه المعلومات. إنه أمر مثير فعلاً، وربما يجدر بكم جميعاً كتابة مذكراتكم".

ابتسم وقال: "سندخل جميعاً السجن".

"عفواً؟"

"بـــسبب بعض النشاطات التي قمنا بها إبّان الحرب الباردة. لقد بالغنا في الأمر قليلاً".

"حقاً؟"

"لكن كل شيء يكون على ما يرام عندما ينتهي على ما يرام. ألا توافقني الرأي بأنه لكي تحارب الوحوش، يتعين عليك أن تكون وحشاً أحياناً؟"

أجبته "كلا، أنا لا أوافقك الرأي".

أبدت كايت تأييدها لموقفي وقالت: "إننا بحاجة إلى خوض حرب شريفة بطريقة شريفة. وهذا ما يجعلنا مختلفين عنهم".

أجاب مادوكس "حسناً، عندما يصوّب شخص صاروخاً نووياً نحوك، يصبح ذلك مبرراً مثالياً لكي تقضي عليه قضاء مبرماً".

كان في مقدوري فهم وجهة نظره، ولكن مجادلات مثل هذه يمكن أن تستمرّ أياماً وليالـــي، وأعتقد بأنه سبق أن خاض تلك المجادلات، وتوصل إلى إجابات للكثير من الأسئلة قبل وقت طويل من الآن، فيما كان يحتسي الجعة أو يأكل البيتزا.

لطالمـــا اعـــتقدت بـــأن الأشخاص الذين ينتمون إلى ذلك الجيل، ممن بلغوا سنّ الرشد في ستينيات القرن الماضي، كانوا مختلفين بعض الشيء، وربما خائفين، وربما كانوا لا يزالون يكنّون حقداً أو ما شابه. ولكنني لا أتقاضى أجري للتفكير في الأمور على هذا النحو، أو توفير استشارة مجانية.

وبالرغم من ذلك، قلت للسيد مادوكس: "إذاً، لديك رفاق سيأتون للبحث عنك في حال اختفيت".

نظــر إليّ لبرهة ثم قال: "هل لديّ رفاق؟ أجل. عندما كنت صغيراً وعندما كنت أرتدي البزة العسكرية... ولكنني أعتقد بأن جميعهم رحلوا الآن... باستثناء كارل الذي خدم تحت إمرتي في فييتنام". وأضاف، "كارل وقيصر ويليام مخلصان لي".

حــسناً، لو كانت توجد مزلجة تسمى روزْباد، لكنت ألقيت بها في نار المدفأة ليــصبح لونها أسود. وبدلاً من ذلك وقفت وقلت: "أشكرك على الوقت الذي منحتنا إيّاه".

وقفت كايت أيضاً وحملت حقيبتها.

بــدا أنــه تفاجــأ لكونه سيتخلّص منّا وللحظة، اعتقدت بأن أمله قد خاب. وقف وسألنا، "هل ستنضمان إلى الموظفين لديّ في البحث؟"

لم أعتقد أنني سأتمكن مع كايت من إنجاز شيء بالبحث في الستة عشر فداناً مع الموظفين الأمنيين لدى مادوكس حتى هبوط الليل.

"سيد كوري؟"

مــن ناحــية أخــرى، لم أكن لأمانع في إلقاء نظرة على الأرض. ولكن لم يكن يُفتــرض بي ولا بكايت أن نكون هنا، وقد تأخرنا على الاجتماع مع الرائد شافير في مقــرّ شــرطة الولاية. نظرت إلى كايت، ثم قلت لمادوكس: "سنترك لموظفيك مهمة إجراء البحث. ولكننا سنعود في الصباح".

أومأ برأسه وقال: "هذا جيد. سأطلب إلى الموظفين البدء بالبحث على الفور. كما ســأتأكد فــي الغــد مــن أن فريق التحقيق في مسرح الجريمة يملك خرائط للأرض وسأعرض عليه استخدام مركباتي والموظفين لديّ".

قالت كايت: "ألم تقل بأن الموظفين سيذهبون في عطلة؟"

"سيأخذ العاملون في البيت إجازة، أما الحرّاس فسيبقون هنا".

قالــت كايت: "هل لي أن أسأل لماذا لديك هذا العدد الكبير من الحرّاس في هذا المكان؟"

أجاب مادوكس، "العدد ليس كبيراً إذا اعتبرتِ أنهم يعملون في نوبات لتغطية أيام الأسبوع السبعة، على مدى أربع وعشرين ساعة في اليوم، وعلى امتداد العام".

"ولكن لماذا تحتاج إلى هذا النوع من الأمن؟"

نظــر إلـــى كايـــت، وأجاب، "إن بيتاً مثل هذا يجذب انتباهاً غير مرغوب فيه". وأضاف، "لقد استنفدت الشرطة المحلّية قواها، وشرطة الولاية تبعد كثيراً عن المكان. ولذلك فأنا أعتمد على أمني الخاص".

لم تعلّق على كلامه، ولكن باين مادوكس قال: "سأرافقكما نحو باب المنــزل".

مشينا نحو الباب، وفيما كنا في طريقنا إلى الخروج، سألته، "هل ستكون هنا في الغد؟"

"ربما". وأضاف "لدي خطط في الهواء".

كذلك كانت طائرتاه النفاثتان. سألته، "أين تقيم في العادة؟"

أجاب، "في نيويورك سيتي".

"هل توجد لديك منازل أخرى؟"

"القليل من المنازل".

"كيف تصل إليها؟ بالسيارة؟ بالطائرة؟"

أجاب، "في العادة، ينقلني أحد الأشخاص إلى المطار الإقليمي في سارناك لايك. لماذا تسأل؟"

"أردت أن أتأكد فقط من قدرتنا على الاتصال بك يوم غد. هل تحمل هاتفاً خليوياً؟"

أنا لا أعطي رقمه لأحد، لكن إذا اتصلت بالرقم الخاص بالحرس، حيث يوجد شخص لتلقي المكالمات على مدار الساعة، فسيقومون بالاتصال بي. وفي حال اكتشفنا أي شيء، سنتصل بك في ذي بوينت. وأعطاني رقم الحرس وأضاف، "ولكنني سأراك على الأرجح يوم غد".

"ستراني غداً". وسألته، "هل تملك طائرة خاصة؟"

تردد ثم أجاب، "أملك طائرة خاصة. لماذا تسأل؟"

"هل يمكن الاتصال بك وأنت على الطائرة؟"

"هذا ممكن في العادة. لكن لماذا...؟"

"هل تخطط للقيام برحلات داخل البلاد أو خارجها؟"

"أنا أذهب حيث يأخذني عملي. ولكنني لا أرى أنك بحاجة إلى معرفة هذه المعلومات".

"أريد فقط التأكد من إمكانية الاتصال بك في حال حصل سوء تفاهم أو طرأت مشكلات مع فريق الحراسة لديك الذي يبدو أنه شديد التحفّظ ويصعب التعامل معه".

أجاب، "هذا هو سبب تقاضيهم لأجورهم، ولكنني سأتأكد من فهمهم أنك تستطيع وكايت الاتصال بي، وأن فرق التفتيش يمكنها مسح الأرض بحرّية في الصباح".

"هذا رائع. هذا كل ما نحتاج إليه".

مررنا في غرفة المكتبة، ووصلنا إلى الردهة، وقلت: "إذاً، أنت من بنى هذا المكان".

أجــاب، "أجــل، في العام 1982". وأضــاف، "لطالما أُعجبت وأنا طفل بنوادي الــصيد الكبيرة هنا، وبما يسمى المخيمات الكبيرة التي بناها الأثرياء عند مطلع القرن الماضي. في الواقع، فندق ذي بوينت الذي تنــزل فيه كان مخيم روكيفلر الكبير".

"أجل أنا أعرف. هل لديك ملابس سهرة رسمية يمكن أن تعيرني إياها؟"

ابتسم وقال: "أفضل أن أطلب خدمة الغرف".

"وأنــا أيــضاً. إذاً، لِمَ لم تشترِ أحد هذه الأمكنة القديمة التي على الأرجح كانت معروضة للبيع؟"

فكّــر للحظة، ثم أجاب، "حسناً، فكّرت في القليل منها، ولكن قطعة الأرض هذه كانــت متوفرة في المنتزه، واشتريتها مقابل ثلاثمائة ألف دولار، أي أقل من عشرين دولاراً للفدان الواحد. وهذا أفضل استثمار قمت به في حياتي".

"أفضل من النفط؟"

امتنع عن الردّ لبرهة، ثم قال: "أعتقد بأنك تعرف من أكون".

"حسناً، أنت لست شخصية غير معروفة".

"أنــا أحاول عدم الظهور". وأضاف، "ولكن ذلك ليس متيسراً دائماً. ولذلك لديّ فريق حراسة هنا".

"أجل. إنها فكرة جيدة. لا أحد يمكن أن يصل إليك هنا".

أجاب، "لا أعتقد بأنه يوجد من يلاحقني".

"لا يمكــنك أن تعــرف". تجاهــل هذه العبارة، وسألني، "هاي، ماذا سمعت عن أسعار النفط؟ هل ارتفعت أم انخفضت؟"

"تخمينك ليس أقل دقّة من تخميني".

"هذا أمر مرعب فعلاً".

ابتــسم، وأجاب، "أراهن أن سعر البرميل سيبلغ خمسين دولاراً مع اقترابنا من الحرب في العراق". وأضاف، "أنت لم تسمع ذلك منّي".

"تلت منك".

بــدا أنه يرغب في الكلام، وهو أمر يناسبني. لفت انتباهنا إلى جدار عُلّقت عليه حوالى عشرين لوحة برونــزية، تحمل كل منها اسماً وتاريخاً.

قــال: "هــؤلاء هم بعض الرجال الذين خدمت معهم وتواريخ وفاتهم. التواريخ الأولى تعود إلى الأشخاص الذين قضوا في فييتنام، والتواريخ الأخيرة تعود إلى الذين قــضوا فــي هــذه الحرب أو تلك بين الحين والآخر، كما أن بعضهم تُوفي لأسباب طبيعــية". واقتــرب مــن اللوحات وقال: "قمت بتشييد هذا المكان إحياءً لذكراهم من

ناحـــية، وكمذكر ببدايات حياتنا في نادي كاستر هيل للضباط، وكمكان للتجمع في يوم المحاربين القدامى، ويوم الذكرى للأشخاص الذين لا يزالون على قيد الحياة".

بعد بضع ثوانٍ من الصمت، قالت كايت: "إنه أمر في غاية الروعة".

واصل باين مادوكس النظر إلى الأسماء، ثم التفت نحونا وقال: "عندما بنيت هذا المكـــان، كـــنّا في ذروة الحرب الباردة، وربما تذكر أن وسائل الإعلام كانت تحاول إدخـــال الـــبلاد فـــي حالة من الهستيريا بسبب المزاعم بأن ريغان يقودنا نحو ملحمة نووية".

قلـــت: "أجل، أنا أذكر ذلك. وقد تمكنت من التأثير فيّ لفترة، حيث كنت أشتري التشيلي والشراب بالصناديق".

ابتـــسم مـــادوكس وقـــال: "حسناً، لم أعتقد أبداً أنه سيحصل تبادل لإطلاق النار بالأسلحة النووية – ليس مع الدمار المؤكد المتبادل – ولكنّ الحمقى في وسائل الإعلام وفـــي هولـــيوود جعلـــونا موتى ودفنونا". وأضاف، "في الأساس، توجد مجموعة من السيدات الكبار في السنّ".

قلت: "هذه إهانة للسيدات الكبار في السنّ".

ابتـــسم مجدداً وقال: "وعلى أية حال، أعتقد أنني فكّرت في ذلك عندما بنيت هذا المكان. وأعرف أن زوجتي كانت تفكر فيه أيضاً".

"هل أنت متزوّج؟"

"لم أعد متزوجاً".

"هل هي من مؤيدي الحزب الديموقراطي أو شيء من هذا القبيل؟"

أجاب، "إنها مستهلكة تحمل البطاقات الائتمانية".

"إذاً، لديك مأوى يحميك من الغبار الذرّي هنا؟"

"هذا صحيح. مصروف من غير طائل بالمرّة، ولكنّ هذا ما أرادته".

"حسناً، الغبار الذرّي مادّة خطرة".

"هناك مبالغة في تقدير تأثيرات الغبار الذرّي".

لـــم يسبق أن سمعت وصفاً عن السقط الذرّي الإشعاعي بهذه الطريقة، وفكرّت للحظة أنني كنت أتحدث إلى الدكتور سترانجلوف.

نظـــر مـــادوكس إلى الساعة المعلقة على الجدار وقال لنا: "كنت أودّ أن أريكما المكان، ولكنني متأكد من أن لديكم محطات أخرى".

ذكّرته بالقول: "سنعود غداً مع شعاع الضوء الأول".

أومأ برأسه، وتوجّه نحو الباب.

قلت: "إنها لوحة رائعة لمعركة ليتل بيغ هورن".

"شكراً لك. إنها قديمة جداً، قام برسمها فنّان غير معروف، ولا أعتقد بأنه تصوّر بدقّة اللحظات الأخيرة في تلك المعركة".

"من كان سيعرف؟ لقد ماتوا جميعاً".

"لم يمت جميع الهنود".

أردت أن أحكي له نكتتي، ولكنني شعرت بأن كايت ترمقني، ولذلك قلت: "حسناً، كانوا طائشين، ولكنهم كانوا شجعاناً".

"أخشى أنهم كانوا طائشين أكثر منهم شجعاناً". وأضاف، "كنت أخدم في فوج الخيالة السابع، فوج كاستر".

قلت: "لا يبدو أنك كبير في السنّ أو..." واقتربت من اللوحة.

"في فييتنام يا سيد كوري، كانت الأفواج موجودة".

"أجل".

وقف بجانب الباب، وسادت لحظة من الصمت المطبق. هذه هي اللحظة التي أباغت فيها المشبوه، فأتركه يمضي ليلة سيئة. لكن في الحقيقة، لم يعد في جعبتي المزيد من الأسهم لكي أستخدم تشبيهاً مناسباً، ولم أكن متأكداً إن كان لباين مادوكس أي علاقة باختفاء هاري، ولذلك قلت له: "أشكرك على الوقت الذي منحتنا إيّاه وعلى المساعدة التي قدمتها لنا".

أجاب، "سأرسل رجالي على الفور. وفي هذه الأثناء، إذا توصل البحث الجوّي إلى شيء، اطلب من شرطة الولاية الاتصال برقم الحرس، وسأرسل بعض الأشخاص إلى المكان الذي مسحته الطوافات". وأضاف، "إذا كنا محظوظين، فقد نجد هذا الرجل هذا المساء".

"أعتقد بأن بعض الصلوات ستفيد أيضاً".

قال مادوكس: "طالما أن الحرارة فوق درجة التجمّد، يمكن للمرء أن يبقى على قيد الحياة في الغابات لأسابيع إن لم يكن قد أصيب بجروح خطرة".

فتح الباب، وخرجنا نحو الشرفة. لاحظت أن السيارة التابعة لشركة إنتربرايز لم تعد موجودة.

قلت لمادوكس: "أريد أن أشكرك على خدمتك لبلادنا".

أومأ برأسه.

قالت كايت: "أجل، شكراً لك".

قـــال مـــادوكس: "أنتما تخدمان البلاد بطريقة مختلفة، وفي حرب مختلفة. وأنا أشكركما على ذلك". وأضاف، "ربما تكون تلك أقسى معركة خضناها. واصلا القتال، وسننتصر".

قالت كايت: "سنفعل".

قـــال مـــادوكس: "سنفعل". وأضاف، "آمل بأن أعيش فترة كافية لرؤية التحذير باللون الأخضر بشكل دائم".

الفصل 23

ركبنا سيارة التوروس، وتبعنا سيارة الجيب السوداء، ونزلنا التل متوجهين نحو البوابة.

لم نتكلم لفترة عندما كنا داخل الأرض تحسباً لاحتمال وجود أجهزة تنصت موجهة، ولكن قام كل منا بتشغيل هاتفه الخليوي ومجيبه الصوتي. لاحظت كايت أنها تلقّت رسالتين، بينما لم يصلني شيء.

أشارت الساعة التي في السيارة إلى أنها كانت 4:58 من بعد الظهر، وهذا يعني أن توم والش لا يزال في مكتبه يدافع عن الحضارة الغربية ولا تزال أمامه دقيقتان أخرتان قبل أن يغادر.

عندما وصلنا إلى بيت الحراسة، تنحّت سيارة الجيب جانباً، وفُتحت البوابة. كان في مقدوري رؤية حارسين ينظران من نافذة البيت فيما كنت أخرج من الأرض، وكان أحدهما يصورنا على شريط فيديو. اقتربت من نافذة كايت، ووجّهت له التحية بإصبعي الوسطى.

خيّم الظلام على طريق ماكوين بوند، وأضأت أنوار سيارتي الأمامية لكي أتمكن من رؤية الدببة في وقت مبكر. قلت لكايت: "ما رأيكِ؟"

بقيت صامتة لفترة، ثم أجابت، "إنه رجل ساحر على نحو مخيف".

أحد أكثر الأمور إثارة في الحياة هو سماع أفكار امرأة حيال رجل التقيت به معها. فالرجال الذين أجدهم بشعين، ترى المرأة أنهم وسيمون، والرجال الذين أجدهم منفرين، تجدهم اجتماعيين، وهكذا... لكن في هذه الحالة، ملت إلى الاتفاق مع كايت.

قالت: "أعتقد بأنه أُعجب بك". وأضافت، "لا تفهمني خطأً، ولكنّه ذكّرني بك".

"كيف ذلك يا عزيزتي؟"

"حسناً، الثقة بالنفس، وبعبارة أدقّ، رجولته الملفتة".

"هذا تعبير جيد. لكن الذي يهمني أكثر هو ما إذا كان يعرف عن هاري أكثر مما قاله لنا؟"

قالت: "لست أدري... لكن سلوكه يدل على أن أعصابه هادئة".

أجبتها، "هذه علامة على شخص مضطرب نفسياً ونرجسي".

"أجل، ولكنها علامة في بعض الأحيان على شخص ليس لديه ما يخفيه".

"يوجد لديه ما يخفيه، ربما تلاعب بأسعار النفط. وهذا هو السبب الذي دفع وزارة العدل إلى الاهتمام بأمره".

أجابت، "هذا صحيح، ولكن..."

"ومع ذلك، دعانا إلى الدخول بدون حضور محاميه".

سألتني، "ما هي وجهة نظرك؟"

"يريد أن يعرف ماذا نعرف، وفي إمكانه معرفة ذلك من نوعية الأسئلة التي نطرحها عليه".

"هذه إحدى طرق النظر في المسألة".

قلت لها: "وماذا بشأن قصة نادي كاستر هيل؟"

أومأت برأسها، وقالت: "يا لها من قصة. إنها مثيرة فعلاً إذا كنت تفكر فيها، أعني هؤلاء الضباط الصغار، والرغبة في البقاء على اتصال، وكيف أصبح بعضهم ثرياً وصاحب نفوذ، وبناء باين مادوكس لنادي الصيد ذاك".

"أجل. المدهش أكثر هو اعترافه لنا بأن هذه المجموعة كانت مجتمعاً سرّياً يؤثر بطريقة ما على الأحداث التي كانت تدور على الساحة الدولية أثناء الحرب الباردة، بما في ذلك التورّط في نشاطات غير قانونية".

فكّرت للحظة، ثم قالت: "يريد أن يبدو مهماً وقوياً... هناك أشخاص يقومون بذلك، لكن إذا كان أي شيء مما قاله صحيحاً، فإنه يلقي إضاءة مختلفة كلّياً على نادي كاستر هيل". وأضافت، "وقد أثار بعض الشكوك التي لم يكن يرغب في إثارتها".

أجبتها، "ربما اعتقد بأننا نعرف أصلاً تاريخ هذا النادي".

"أو" أضافت كايت "إنه تاريخ قديم يفتخر به، بقدر ما يفتخر بخدمته في فييتنام. لست أدري... ولكنه قال حينها بأنه منخرط بعض الشيء في الحرب على الإرهاب".

"هذا صحيح. ويبدو أن لذلك دلالة ما. وكما توقعت، يوجد لدى هذه المجموعة أكثر مما تراه العين. يوجد عنصر سياسي هنا، وفي عالمنا الحاضر، نفط السيد مادوكس يمتزج جيداً مع السياسة".

قالت كايت: "إنه واقع الحال دائماً".

أردت تغيير الموضوع والعودة إلى قضيتنا الأساسية فسألتها "إذاً، هل لمادوكس أية علاقة باختفاء هاري؟"

لاذت بالصمت، ثم قالت: "الشيء الوحيد الذي أزعجني هو أنه كان يماطل... كما لو كان ينتظر من هاري أن يظهر".

أومأت برأسي وقلت: "سيزيل ذلك الضغط عنه. يساورني شعور سيئ بأن هاري سيظهر باكراً، خارج أرض باين مادوكس".

أومأت كايت رأسها بصمت، ثم قالت: "أريد سماع الرسائل التي وصلتني". أنصتت إلى رسائلها الهاتفية وقالت: "توم، توم. يقول إن علينا أن نتصل به في أسرع وقت ممكن".

تساءلت عن السبب الذي دعا والش إلى الاتصال بها من غير أن يتصل بي أيضاً.

ثم تفحصتْ مجيبها الصوتي وقالت: "توم، توم".

"إنه مثابر صغير قذر، أليس كذلك؟"

"إنه ليس كذلك... ما هي مشكلتك مع السلطة؟"

"مشكلتي مع الرؤساء الذين يتجاهلونني ويتوقعون إخلاصي لهم بالمقابل". وأضفت، "المعاملة بالمثل هي جوهر الإخلاص. فإذا كنتِ مخلصة لي، فسأكون مخلصاً لكِ. وإذا تجاهلتني، فسأتجاهلكِ. هذا هو العقد".

قالت: "أشكرك على إطلاعي على هذا الرأي. والآن، سأتصل برئيسنا فيما تُولي انتباهك الذي لا يتجزأ للطريق". وأضافت، "قد السيارة ببطء لكي لا نصبح خارج تغطية الهاتف الخليوي".

خففت السرعة، وقلت: "أوصلي الرسالة إلى الهاتف".

أجرت الاتصال، فسمعنا صوت والش من هاتفها. قال والش: "بالله عليكما أين أنتما؟"

أجابت كايت بدون مواربة، "كنا نستجوب باين مادوكس في نادي كاستر هيل".

"ماذا تقولين؟ لقد أعطيتكما تعليمات محددة، هل كانت تلك فكرة زوجكِ الغبي؟"

قاطعته، وقلت: "مرحباً يا توم. الزوج الغبي يتكلم معك".

سادت فترة من الصمت تلاها، "كوري، لقد أفسدت الأمر فعلاً هذه المرّة".

"هذا ما قلتَه لي في المرّة السابقة".

لم يكن رجلاً سعيداً وكان يصرخ "لقد عصيت أوامري. لقد أصبحت جزءاً من التاريخ يا سيد".

بدت كايت مضطربة بعض الشيء، وتدخلت قائلة: "توم، حصلنا على إذن من مادوكس بتفتيش أرضه مع شعاع الضوء الأول". وأضافت، "وفي هذه الأثناء، وعدنا ببدء البحث على الفور مستخدماً فريق الحراسة لديه".

لم نسمع جواباً، واعتقدت بأن المكالمة انتهت أو أنه يعاني من نوبة صرع أو شيء من هذا القبيل.

قالت كايت: "توم؟ هل تسمعني؟"

قال: "أخشى أننا لم نعد بحاجة إلى مواصلة البحث".

لم نجب بكلمة، وأحسست بأن معدتي تقلّصت. كنت أعرف ما ينوي أن يقوله، ولكنني لم أشأ سماعه.

قال توم والش: "لقد وجدت شرطة الولاية جثة رجل عرّفته مؤقتاً بأنه هاري مولر وذلك اعتماداً على محتويات محفظته والصورة الفوتوغرافية التي على بطاقته".

وهنا أيضاً، لم ننطق بكلمة، وقال توم والش: "أنا آسف لكوني حامل الأخبار السيئة".

توقفتُ في جانب الطريق، وأخذت نفساً عميقاً، وسألت والش، "ما هي التفاصيل؟"

أجاب، "حسناً، عند الساعة الثالثة والربع تقريباً من بعد ظهر هذا اليوم، تلقّى المقرّ الإقليمي لشرطة الولاية في راي بروك... حيث كان من المفترض أن نتواجدا... مكالمة من مجهول قال بأنه كان يتريّض في الغابة، ورأى جسماً ممدداً على الدرب. وقال إنه اقترب منه، ووجد أن الرجل قد تُوفي بعد إصابته بطلق ناري، ثم هرع إلى مركبته، وتوجه إلى هاتف الطوارئ في المنتزه، واتصل بالشرطة". وأضاف، "لم يفصح الرجل عن اسمه".

فكّرت في ما قاله، اعتقدت بأنه عرف اسم الرجل. 'كنت جندياً متمرساً في سلاح المشاة في الجيش'.

تابع والش كلامه فقال: "أعطى هذا الرجل وصفاً دقيقاً للمكان، وفي غضون نصف ساعة، وجدت شرطة الولاية والشرطة المحلّية الجثة بالاستعانة بالكلاب المدرّبة". وأضاف، "وبعد مزيد من عمليات البحث، تم العثور على سيارة هاري المقطورة على مسافة خمسة كيلومترات تقريباً إلى الجنوب من مكان العثور على الجثة، وبالتالي يبدو أن هاري كان متوجهاً إلى نادي كاستر هيل، على مسافة خمسة كيلومترات تقريباً إلى الشمال من الدرب".

قلت: "هذا لا يتطابق مع المكالمة التي أجراها هاري مع صديقته".

"حسناً، أعدتُ سماع الرسالة مجدداً وسمعت هاري يقول 'أنا الآن في مهمة بالقرب من مسكن اليمينيين المخبولين'". قال والش: "لا يمكنك تفسير ذلك بأنه كان على مرأى أو قريباً جداً من أرض كاستر هيل".

مــن الواضــح أن هذا الرجل ليس تحرّياً. قلت له: "توم، من غير المنطقي أن يوقــف سيارته على مسافة عشرة كيلومترات، ثم يتصل بصديقته عند الساعة السابعة والأربعــين دقيقة صباحاً، ثم يبدأ بالمشي في الغابة، لأن ذلك يتطلب منه المشي قرابة ســاعتين لمجرّد الوصول إلى السياج، وأنا أعتقد بأنه كان من المفترض أن يكون في كاســتر هــيل أو بالقــرب مــنه مــع شعاع الضوء الأول. لكن إذا كنا سنصدق هذا الــسيناريو، فهذا يعني أنه لن يتمكن من الوصول قبل الساعة العاشرة صباحاً تقريباً. هل أنت معي يا توم؟"

امتنع عن الكلام لبضع ثوانٍ، ثم قال: "أجل، ولكن..."

"جــيد. وبما أنك لا تزال تتابع الموضوع، أحصل على التثليث الخاص بمكالمة هاري الخليوية مع صديقته، فهذا سيفيدك في تحديد المكان الذي كان فيه عندما أجرى المكالمة".

"أشكرك، أنا أعرف ذلك. إن شركة الهاتف تعمل على هذا الأمر. لكن فيما عدا بــرج ترحيل الموجات الخليوية في نادي كاستر هيل، ربما لا توجد أبراج قريبة بما يكفي لإجراء عملية التثليث".

"كيف عرفت بأن هناك برجاً خليوياً في أرض كاستر هيل؟"

مــرّت عدة ثوانٍ من الصمت المطبق، ثم قال: "حصلت على هذه المعلومة للتو مــن شــركة الهاتــف". وأضاف، "من المفترض أن نعرف المزيد في غضون ساعة تقــريباً، ولكن عليّ أن أقول لك بأنه حتى وإن كان قريباً من كاستر هيل عندما اتصل بصديقته، فهذا لا يعني أنه دخل الأرض. ربما أخافه أمر ما، مما اضطرّه إلى العودة إلــى ســيارته حيث قُتل". وأضاف إلى معلوماتي شيئاً بقوله: "يوجد دائماً طريقتان أو أكثر للنظر إلى الدليل".

"حقاً؟ عليّ أن أتذكّر ذلك. وبالمناسبة، في بعض الأحيان، يقودنا التفكير المنطقي إلى السير مسافة طويلة".

"المدّعــون الفيدراليون لا يأبهون للمنطق. ولكنهم يريدون أن يتحدث الدليل عن نفسه، والدليل لا يفعل ذلك".

"حــسناً إذاً، نحــن بحاجة إلى المزيد من الأدلة". وسألته، "أخبرني عن الإصابة التي تعرض لها".

"اختــرقت الرصاصــة جذعــه العلوي من الخلف، وقيل لي بأنها أصابت على الأرجــح عمــوده الفقــري، وخرجت من قلبه. ولم يتم العثور على الرصاصة بعد". وأضاف، "على الأرجح أنه تُوفي على الفور... لقد تحدثت إلى الرائد شافير، وأكد لي

أنــه لا يــوجد مــا يشير إلى بقاء هاري حياً فترة طويلة بعد تعرّضه للإصابة... من الواضـــح أنه مات حيث سقط". وأضاف، "وُجد في محفظته بعض النقود، وساعة يد، ومسدس، وأوراقه الثبوتية، وكاميرا فيديوية، وكاميرا رقمية، إضافة إلى بعض الأشياء الأخرى. ولذلك، استناداً إلى شرطة الولاية، يبدو أنه حادث صيد".

'لا يــزال في مقدوري قتل غزال من مسافة مئتي متر'. أجبته، "هذا ما أُريد لنا التوصل إليه".

لم يجب والش على تعليقي.

قلت له: "من الواضح أنه ينبغي علينا معرفة ما يوجد في الكاميرات".

أجــاب والش، "لقد قاموا بذلك بالفعل. وتبين أنه لا يوجد شيء في شريط الفيديو ولا في القرص الرقمي".

قلت: "أحضر الشريط والأقراص إلى مختبرنا وانظر إن تم محو شيء منها".

قال والش: "قمنا بذلك بالفعل".

سألته كايت، "متى يمكننا الحصول على تقرير فحص الجثة؟"

أجاب والش، "يجري حالياً نقل الجثة إلى مشرحة المقاطعة في بوتسدام من أجل التأكد من الهوية باستخدام الصور الفوتوغرافية وبصمات الأصابع الموجودة في الملف الخــاص بمقرّ مكتب التحقيقات الفيدرالي. أمرت بعدم إجراء فحص للجثة هناك، لأنه مــن المهم جداً ترك الأمر لطبيب محلّي. سأطلب إحضار الجثة بالطائرة إلى هنا في بيليفيو هذا المساء أو في الغد".

"هــذه خطــوة جــيدة. أرسل بالفاكس نسخة عن تقرير التشريح ونتائج فحص السموم".

"ربما يستغرق فحص السموم ما بين أربعة وستة أيام".

"سيــستغرق يومــين أو ثلاثــة مع الإسراع في العمل. كما عليك أن تطلب إلى بيليفــيو البحث عن إشارات تدل على تعرّضه لأعمال شنيعة مثل التخدير، والإصابة بالرضــوض، والإشـــارات التي تدلّ على ربطه بحبل، أو علامات أصفاد على جلده، وأية رضوض عدا تلك الناجمة عن إصابته بالرصاصة. كما أن تحديد زمن الوفاة في غاية الأهمية".

"ربما تجد من الصعب التصديق بأن الفاحص الطبّي في نيويورك سيتي وشرطة الولاية، ومكتب التحقيقات الفيدرالي يجرون هذه الفحوصات على الأحياء".

تجاهلتُ هذا التعليق، وقلت: "كما عليك أن تطلب من المحقق من شرطة الولاية الحـــضور إلى المشرحة في أسرع وقت ممكن لمراقبة عملية نــزع الثياب والأدوات

الشخصية. عليه أن يبحث عن علامات تشير إلى حدوث تلاعب بالثياب أو إضافة أدوات شخصية بطريقة ما".

"هناك شخص من مكتب التحقيقات الفيدرالي في طريقه إلى المشرحة. كما أرسلنا عميلين من ألباني أيضاً". وأضاف، "سنتولّى نحن عملية التحقيق لأنه كان عميلاً فيدرالياً قُتل أثناء تأدية مهامه".

"هذا جيد، واحرص أيضاً على أن تجري شرطة الولاية ومكتب التحقيقات الفيدرالي مسحاً شاملاً لمسرح الجريمة وتبحث عن شهود". وأضفت، "عليك أن تفترض حدوث جريمة".

"أنا أفهم ذلك، لكن يمكن أن يكون الحادث أيضاً كما يبدو في الظاهر؛ أي حادثة، فهذا يحصل دائماً في ذلك المكان. وفي هذه الأثناء، لو كنتَ حيث يُفترض أن تكون، لكنتَ حيث تريد أن تكون لتقديم خبراتك في كيفية إجراء تشريح الجثة والتحقيق".

"توم، عليك اللعنة".

أجابني، "أعرف أنك مستاء، ولذلك سأتجاهل تلك العبارة؛ لمرّة واحدة".

"عليك اللعنة".

تجاهل العبارة للمرة الثانية، وسألني "أين أنت الآن؟"

أجابت كايت، "لقد غادرنا للتو نادي كاستر هيل".

قال والش: "حسناً، أنت لم تضيّع وقتك هناك وحسب، بل ونبّهت باين مادوكس إلى أنه يخضع للمراقبة".

دافعت كايت عما قمنا به فقالت: "أدار جون التحقيق بطريقة ممتازة. وإذا كان مادوكس لا يعرف بأنه تحت المراقبة، فهو لا يزال جاهلاً بالموضوع. وإذا كان يعرف بأمرها أصلاً، فالمسألة فيها نظر".

أجاب والش، "النقطة الهامة هي أنه لم يكن من المفترض بكما التواجد هناك تحت أي ظرف من الظروف". وسأل، "ما هي الفائدة التي حصلتما عليها من ذهابكما إلى هناك؟ جون؟"

أجبته، "كنت في مهمة رحمة يا توم. حصلتُ على ما أردت؛ إذن بإجراء عملية تفتيش. حسناً، إننا لم نعد بحاجة إلى عملية التفتيش، بالرغم من أنني على استعداد للقيام بها لمجرّد العبث مع باين مادوكس".

"هذا ما لا يمكن أن يحصل. الآن وبعد أن قمتما بزيارته، بتنا مجبرين بحكم القانون على إبلاغه بأن الشخص المعني وُجد خارج أرضه".

"لا تتسرّع في استنتاج تلك المعلومة".

"جـــون، أن لا أعبث في هذه المسائل. فهذا الشخص ليس مواطناً عادياً. وسيتم إطلاعـــه علـــى آخـــر التفاصيل عبر مكالمة هاتفية من شرطة الولاية أو من الضابط المحلّي المسؤول عن تطبيق القانون في غضون ساعة من الآن".

"دعني أناقش تلك المسألة مع الرائد شافير أولاً".

"لماذا؟"

"لقد أمضيتُ للتو أربعين دقيقة مع مادوكس، ولاحظت بعض الأمور الغريبة فيه. أعتقد بأن ابن الحقيرة أحضر هاري إلى منـــزله، واستجوبه، ثم قتله".

"هذه مجرّد ظنون... فكّر في ما تقوله".

"أنت من عليه أن يفكر في ما أقول".

قال والش: "كايت؟"

أخذتْ نفساً عميقاً وقالت: "هذا ممكن، أعني هذا محتمل".

سأل والش، "ما هو دافع مادوكس؟"

أجبته، "لست أدري، ولكننا سنكتشف ذلك".

بقي صامتاً لبضع ثوانٍ ثم قال: "حسناً، سنتابع عملنا بالتأكيد كما لو كانت الحادثة جـــريمة قتل. وفي هذه الأثناء، سأتصل بلوري، صديقة هاري، كما أن واشنطن على الخط الآخر، ولذلك..."

"أرســـل شخـــصاً – شـــرطياً من الوحدة التكتيكية – للاجتماع شخصياً بلوري، واطلب إحضار كاهن من الشرطة. كما أن لهاري زوجة سابقة وأطفالاً، وأنت بحاجة إلـــى إرسال شخص تعرفه العائلة لإبلاغها بالخبر، مثل قائد فرقته القديمة أو شريكه السابق. تحدث إلى باريزي، وهو يعرف كيفية الاهتمام بالموضوع".

"يمكنني تفهم ذلك. وفي هذه الأثناء، اذهب إلى المطار، وانتظر وصول طوافة لكي تنقلك إلى المقر". وأضاف، "سيلتقي بك مسؤول من شرطة الولاية ليسلّمك الكاميرات التي كانت في حوزة هاري، وستقوم بإحضارها إلى المبنى الفيدرالي 26..."

قلت له: "توقف للحظة. إننا لن نغادر المنطقة حتى ينتهي التحقيق".

"بل ستعود إلى مانهاتن هذه الليلة. وسأكون هناك..."

"توم، اعذرني، أنت بحاجة إلى وجود أشخاص في مسرح الحادثة".

"أشكرك. أنا أعرف ذلك. في الواقع، سيتم إرسال اثنين من هذا المكتب على متن تلـــك الطـــوافة. وأنت أيها التحرّي كوري لم تعد مسؤولاً عن القضية، وكذلك كايت". أضـــاف، "عودا على الفور. وفي هذه الأثناء، سيتوقف العمل في المقرّ، إنني لا أملك الوقت ولا الصبر لكي..."

"ولا أنا. دعني أتكلم معك بصراحة يا توم. أولاً، هاري مولر كان صديقي. ثانياً، كنتَ تريد تكليفي بتلك المهمة، وربما كنت أنا الممدد في تلك المشرحة بدلاً منه. ثالثاً، أعتقد بأنه راح ضحية جريمة قتل. ورابعاً، إذا أبعدتني عن هذه القضية، فسأطلق رائحة كريهة يشمّها من في وزارة العدل".

"هل تهددني بشيء معيّن؟"

"أجل. وخامساً، أنت من أرسلت ذلك الرجل إلى مخيم محصّن من غير أن تزوّده بمعلومات حول ما يجري هناك؛ يا للقذارة، لقد غادرتُ هذا المكان للتو. لا يمكن حتى لفريق دلتا أن يخترقه؛ وإما أنك كنت تعرف ذلك أو كان ينبغي عليك أن تعرف ذلك. سادساً، ذهب هاري مولر إلى هناك حاملاً أوراقه الثبوتية، وبدون قصة تغطية قابلة للتصديق. منذ متى وأنت تقوم بذلك لكي تكسب رزقك؟"

كان محتداً جداً، وصاح "دعني أقول لك شيئاً..."

"كلا، دعني أنا أقول لك شيئاً يا آينشتاين. لقد خُدعتَ. هل تعرف؟ سأناقش الأمر معك بالتفصيل عندما تنتهي المسألة. لماذا؟ لأنني أحبك؟ كلا، لأنك ستطلب منّي الآن البقاء هنا ومتابعة الإشراف على القضية. وإذا لم تفعل، فإن محطتي التالية بعد المبنى الفيدرالي 26 ستكون واشنطن. هل تفهم؟"

احتاج إلى أربع ثوانٍ تقريباً لكي يفهم، قال والش، "لقد قدّمتَ مرافعة مفحمة لكي تواصل العمل على القضية". وأضاف، "لكن ليساعدني الله يا كوري إذا..."

"كنتَ تقول كلاماً جيداً قبل دعائك الأخير. انسحب فيما لا تزال النتيجة تعادلاً".

"سآخذ بثأري".

"ستكون محظوظاً إذا لم يتم إرسالك إلى ويشيتا". وأضفت، "سأترك لك ولكايت الكلمة الأخيرة".

كانت كايت ترتجف، وأخذت نفساً عميقاً، وقالت لوالش "عليّ أن أعبّر عن موافقتي على رأي جون بأنه لم يسبق مهمة هاري إعداد مناسب، كما لم يجرِ التعامل معها بشكل جيد". وأضافت، "كان من المحتمل أن زوجي هو الموجود في المشرحة".

لم يجب والش وإنما قال: "أحتاج إلى التحدث إلى المقر العام. هل تريدان شيئاً آخر؟"

قالت كايت: "كلا".

قلت: "اذهب إلى شرطة الولاية في راي بروك، واتصل بي من هناك".

أغلق هاتفه، وجلسنا بصمت لفترة على جانب الطريق. كان في مقدوري سماع الطيور في الغابة، وصوت هدير المحرّك.

وأخيراً، قالت كايت: "كنت أخشى سماع هذه الأخبار".

لم أردّ، لأنني كنت غارقاً في أفكاري بشأن هاري مولر الذي ظل يجلس أمامي طــوال ثــلاث سنوات تقريباً، شرطيان سابقان، يعملان كشخصين غريبين في أرض غريبة تسمى الفيدرال بلازا 26. أعيدت الجثة إلى نيويورك سيتي من أجل تشريحها، وسيستمرّ المأتم من الثلاثاء وحتى الجمعة، وسيقام القدّاس ومراسم الدفن يوم السبت.

أمسكت كايت بيدي وقالت: "أنا لا أصدّق ذلك..."

بقــيت علــى مدى عدة شهور بعد 11 من سبتمبر/أيلول أحضر جلسات السهر بجــوار الموتــى، وأحضر الجنائز، والقداديس، ومناسبات إحياء ذكرى الموتى، ليلاً ونهاراً، ثلاث مرات في اليوم في بعض الأحيان. كل شخص أعرفه مرّ بهذه المرحلة الجنونــية، برنامج تخدير الأرواح. ومع مرور الأسابيع، كنت ألتقي بنفس الأشخاص فــي أماكن العزاء، والكنائس، والمقابر، وكنا نكتفي بالنظر إلى بعضنا بعيون تتجاوز التعبيــر. كانــت الــصدمة والرّضّة حديثتي العهد، ولكن الجنائز صارت تطغى على بعضها، والاختلاف الوحيد كان في العائلات التي عمّها الحزن والتي لم تعد تشبه آخر عائلــة ضــربها الحزن، وكان الأرامل والأطفال يحضرون جنازة شرطي آخر لتقديم التعازي، وأصبحوا جزءاً من جمهور المنتحبين. كان زمناً باعثاً على الأسى ويتجاوز حــدود الطبيعة: توابيت سوداء، وأكفان سوداء، وعصابات حداد سوداء على الشارات اللامعة، وصباح أسود بعد ليلة من الإسراف في الشرب.

لا أزال أتذكّــر معزوفات الفرق على مزامير القُرب، والتحية الأخيرة، والتابوت... الذي غالباً ما كان يحتوي على أشلاء من جثة ما، فيما يجري إنــزاله في القبر.

قالت كايت: "جون، دعني أقود السيارة".

لقد حضرت مع هاري بعضاً من هذه الجنازات، وأذكر أنه في قدّاس دوم فانيلّي الجنائزي، على أدراج الكنيسة، قال لي:"عندما يفكر الشرطي باحتمال مقتله أثناء تأديته لمهامّه، فهو يفكر في كيس نفايات صادف يوماً سعيداً. من كان يتخيّل حدوث مثل هذا الأمر هنا؟"

قالت كايت: "جون؟ هل أنت على ما يرام؟"

أذكــر أيضاً أن ماريون فانيلّي، والدة دوم، تصرّفت بعزّة نفس، تجاهلها كل من كــان فــي الحــشد لأنهم كانوا يركزون على زوجة دوم وأطفاله، وقال هاري: "دعنا نذهب ونتحدث إليها. إنها وحيدة".

ذكّرني هذا بأن والدة هاري لا تزال على قيد الحياة، وعزمت على إضافتها إلى لائحة الأشخاص الذين ينبغي إبلاغهم رسمياً بحضور الكاهن.

خرجت كايت من السيارة، وفتحت بابي، وأمسكت بذراعي، وقالت: "دعني أقود السيارة".

خرجت من السيارة، وتبادلنا المقاعد.

انطلقت كايت بالسيارة، وواصلنا سيرنا بصمت.

كانــت الــسماء فوقنا لا تزال مضيئة، ولكن الطريق كانت معتمة، والغابة على جانبي الطريق سوداء. كان في مقدوري بين الحين والآخر رؤية عيون زجاجية تشعّ فــي الغابــة المظلمة، أو حيوان صغير يهرول قاطعاً الطريق. وعند أحد المنعطفات، توقف غزال أمام أضواء السيارة الأمامية نصف متحجّر ونصف مرتجف خوفاً قبل أن يندفع نحو الغابة.

قالت كايت: "ينبغي أن نصل إلى مقرّ شرطة الولاية في غضون ساعة تقريباً".

وبعد عشر دقائق، قلت: "هناك شيء غير مفهوم في مهمة هاري".

"جون، إيّاك أن تفكر في هذا الأمر".

"كان في مقدوره رؤية السيارات وتصويرها على هذا الطريق. مرّة عند ذهابها، ومرّة عند إيابها. لم يكن مضطراً إلى دخول الأرض".

"أرجوك، لا تفكّر في هذا الأمر". وأضافت،"لا يمكنك القيام بشيء الآن".

"ولهذا السبب ينبغي عليّ أن أفكرّ في الأمر".

نظرت إليّ، وسألتني "هل تعتقد فعلاً بأن باين مادوكس هو الفاعل؟"

أجبتها "الدليل الظرفي وغرائزي يقولان أجل، ولكنني بحاجة إلى ما هو أكثر من ذلك لكي أقتله".

الفصل 24

وصلنا إلى الطريق 56 الذي يتجه جنوباً نحو سارناك لايك ومقرّ شرطة الولاية في راي بروك، أو شمالاً نحو بوتسدام والمشرحة حيث ينبغي أن تكون قد وصلت جثة هاري بحلول هذا وقت.

أرادت كايت الانعطاف والتوجه نحو راي بروك، ولكنني قلت: "انعطفي نحو اليمين. دعينا نذهب لرؤية هاري".

ذكّرتني بالقول: "طلب إلينا توم الذهاب إلى..."

"لا يمكنكِ أن تمعني في الخطأ إذا فعلتِ عكس ما يقوله توم".

ترددت، ثم انعطفت نحو بوتسدام. وفي غضون عشر دقائق، مررنا بلافتة صفراء تقول إننا نغادر منتزه أديروندداك.

بعد السير بضعة كيلومترات، وصلنا إلى ساوث كولتون حيث شاهدنا رودي وهو يتحدث إلى شخص يقوم بنفسه بتعبئة سيارته بالوقود. قلت لكايت: "توقفي هنا".

توقفت داخل محطة الوقود. انحنيت نحو النافذة وقلت: "هاي رودي".

تقدم من السيارة وقال لي: "هاي، كيف كان يومك هناك؟"

أجبته، "أصلحت جهاز صنع الثلج، وقلت للسيد مادوكس ما قلتَه لي عن ضرورة الحصول على المال مقدماً، وتسديد الفاتورة نقداً".

"أوه، لم يكن من المفترض أن..."

"إنه غاضب منك كثيراً يا رودي".

"يا إلهي، لم يكن من المفترض أن..."

"يريد أن يراك... هذه الليلة".

"أوه، يا إلهي".

"أريد الذهاب إلى مستشفى المقاطعة في بوتسدام".

"حقاً؟ أجل... حسناً، تابع سيرك على الطريق 56 شمالاً". وأعطاني إرشادات للوصول إلى المستشفى. قلت له: "عندما ترى مادوكس، قل له بأن جون كوري رامٍ ماهر بالمسدس أيضاً".

"كما تريد".

عـــادت كايـــت إلى الطريق، وواصلنا سيرنا نحو بوتسدام. قالت: "يبدو ذلك أنه تهديد".

"بالنسبة إلى رجل مذنب، إنه تهديد. لكنه بالنسبة إلى رجل بريء عبارة غريبة".

لم تعلّق على كلامي.

زادت رقعة المشهد، وصار في مقدوري رؤية المنازل والمزارع الصغيرة الآن. كانـــت الشمس في هذا الوقت المتأخر من بعد الظهر ترخي بظلال طويلة على التلال المتجاورة.

لـــم نتكلم أنا أو كايت كثيراً، فهناك أمر يتعلق برؤية إنسان ميت حال دون تبادل الكلمات.

بقـــيت أُفكّر في هاري مولر، وصعب عليّ التصديق أنه مات. أعدت استحضار محادثتي الأخيرة معه، وتساءلت إن كان قد ساورني إحساس سيئ تجاه المهمة، أم أنّ مـــا حدث منذ تولّيه المهمة جعلني أفكر بهذه الطريقة. لا يمكنك أن تعرف أبداً. ولكن مـــا أعرفه هو أنه سواء أكان يساورني هذا الإحساس المنذر بالشرّ يوم الجمعة أم لا، يتعيّن عليّ معرفة حقيقة ما جرى.

وفـــي غـــضون عـــشرين دقـــيقة، وصلنا إلى بلدة بوتسدام الجميلة حيث وجدنا مستشفى مقاطعة كانتون – بوتسدام في الطرف الشمالي من البلدة.

أوقفنا السيارة في المرآب، ودخلنا المستشفى الصغيرة المبنية من الطوب الأحمر من الأبواب الأمامية.

كـــان هناك مكتب للاستعلامات في الردهة. عرّفت عن نفسي، وسألت الموظفة عن مكان المشرحة. أرشدتنا إلى الوحدة الجراحية التي قالت إنها تُستخدم كمشرحة. لم يكن ذلك ليروق للجرّاحين، ولو كنت في مزاج أفضل لقلت نكتة عن ذلك.

سرنا في بعض الممرات، ووجدنا قسم الممرضات في الوحدة الجراحية.

كان يوجد اثنان من عناصر شرطة الولاية في زيّهما الرسمي وهما يتحدثان إلى الممرضـــات. أبـــرزتُ وكايت أوراقنا الثبوتية، وقلت: "إننا هنا من أجل التعرّف على جثة هاري مولر. هل ترافقان الجثة؟"

أجاب أحد الرجلين، "أجل سيدي. لقد قمنا بمواكبة سيارة الإسعاف".

"هل يوجد شخص آخر هنا؟"

"كلا سيدي. أنت أول الواصلين".

"من هم الأشخاص الذين تتوقع وصولهم غيري؟"

"حسناً، بعض العملاء من مكتب التحقيقات الفيدرالي القادمين من ألباني، وبعض الأشخاص من مكتب التحقيق التابع للولاية".

لـــن نمضي الكثير من الوقت لوحدنا بجانب الجثة قبل أن تحضر رفقة. سألت، "هل الطبيبة الفاحصة موجودة هنا؟"

"أجل سيدي. لقد أجرت فحصاً أولياً على الجثة، وقامت بفرز الأدوات الشخصية. وهي تنتظر وصول شرطة الولاية والعملاء من مكتب التحقيقات الفيدرالي".

"حسناً، نودّ إلقاء نظرة على الجثة".

"عليكما أن توقّعا هنا".

لـــم أكـــن أرغب في التوقيع، ولذلك قلت: "نحن لم نأتِ إلى هنا بصفة رسمية". وأضفت "الرجل المتوفى كان زميلاً وصديقاً لي. إننا نودّ إلقاء التحية".

"آه، أنا آسف.. بالتأكيد".

قادنا نحو باب فولاذي ضخم كُتب عليه 'غرفة العمليات'.

تعتبـــر جـــثة ضحية جريمة القتل ساحة جريمة ينبغي تأمينها، وينبغي المحافظة علـــى تسلسل الأدلة. وبالتالي، استنتجت من تواجد اثنين من عناصر شرطة الولاية، والمـــسؤول عـــن أخذ التواقيع أن هناك شخصاً غيرنا يعتقد بأن القضية لم تكن حادثة صيد.

فتح الشرطي الباب، وقال: "ادخل أنت أولاً".

أجبته "نرغب في البقاء لوحدنا لكي نقدم التحية".

تردد الشرطي ثم قال: "أنا آسف، لا يمكنني السماح بذلك. أنا بحاجة إلى..."

"فهمـــت. هل يمكنك أن تسدي إليّ خدمة، وتطلب إلى الطبيبة الفاحصة المجيء إلى هنا؟ وسنبقى حيث نحن".

"بالتأكيد".

توارى الشرطي عن الأنظار، ففتحت الباب، ودخلنا المشرحة المؤقتة.

كانـــت غـــرفة العمليات مضاءة وفي وسطها طاولة فولاذية، وُضعت عليها جثة يغطيها غطاء أزرق.

كانت توجد نقالتان مدولبتان على جانبي الطاولة، إحداهما تحمل ثياب هاري كما كـــان يلبـــسها: الحذاء العالي الساق، الجاربان، الملابس الداخلية الحرارية، السروال، القميص، السترة، والقبعة.

وعلـــى النقالة الأخرى كانت توجد أدوات هاري الشخصية، وكان في مقدوري رؤيـــة الكاميـــرات، والمنظار، والخرائط، والهاتف الخليوي، والمحفظة، وساعة اليد،

وقطّاعــة الأســلاك، وغيــرها. وشــاهدت في سلسلة المفاتيح مفتاح تشغيل مركبته الحكومــية، بونتــياك غــراند أم، ومفتاح مركبته الخاصة من طراز تويوتا. لكنني لم ألاحظ وجود مفتاح السيارة المقطورة التي كان يقودها. افترضت بأنه موجود في عهدة شرطة الولاية أو فريق التحقيق في مسرح الجريمة لكي يتمكن من نقلها. وكان مسدسه وأوراقه الثبوتية مع الشرطيَّين في الخارج.

كانــت رائحــة المــادّة المطهرة، الفورمالْهايد، وروائح كريهة أخرى تفوح من الغرفة، ولذلك توجهت نحو الخزانة حيث وجدت أنبوب فيكس الذي يعتبر أداة قياسية فــي مكــان تُـشرّح فيه الجثث. عصرت بعض الهلام الممزوج بالمنتول على إصبع كايت، وقلت: "ضعي هذه تحت أنفكِ".

وضــعتْ الهلام فوق شفتها العليا وأخذت نفساً عميقاً. أنا لا أستخدم هذه الأشياء فــي العادة، لكن لم تكن قد مضت فترة طويلة على وجودي بالقرب من جثة محنطة، ولذلك وضعت بعضاً منها تحت أنفي.

وجدت علبة من قفازات اللاتكس، فأخذ كل منا زوجاً منها، وقلت لكايت: "سنلقي نظرة".

أومأت برأسها.

توجّهت نحو الطاولة ورفعت الغطاء الأزرق عن الوجه.

هاري مولر.

قلت في نفسي، أنا آسف يا صديقي.

كــان وجهــه متــسخاً لأنــه سقط على الدرب على وجهه أولاً، وكانت شفتاه متباعدتــين بعض الشيء، ولكنني لم ألاحظ أي تشوّه أو إشارة إلى أنه تعذّب، وهو ما يعني أن الوفاة كانت سريعة. ينبغي أن نتمتع بهذا الحظ عندما لا يحالفنا الحظ.

كانت عيناه مفتوحتين، فأغلقت جفني عينيه.

رفعت الغطاء حتى خصره ورأيت قطعة كبيرة من الشاش فوق قلبه. كان يوجد أثر ضئيل للدم على جسده، أي أن الرصاصة أوقفت عمل القلب على الفور تقريباً.

لاحظت تلوّن جلده باللون الأزرق؛ مما يعني تجمع الدماء في الجهة الأمامية من جسمه، وهو ما يؤكد سقوط وجهه أولاً ووفاته وهو في ذلك الوضع.

رفعــت ذراعــه اليسرى. عادة ما تتيبّس الأعضاء بعد مرور ثماني إلى اثنتي عشرة ساعة على الوفاة. لم ألاحظ أي انثناء في عضلاته، ولكن ذراعه لم تكن متيبّسة بالكامل. كما أنه من مظهر الجلد، والحالة العامة للجثة، افترضتُ بأن الوفاة حدثت قبل مــا بــين اثنتــي عشرة ساعة وثمانٍ وأربعين ساعة. وللتوصل إلى نتائج أكثر دقّة،

وبافتـــراض أن الحادثة جريمة قتل متعمدة، فعلى الأرجح أنه جرى تنفيذها ليلاً لتقليل فرص اكتشاف الجثة أثناء ارتكاب الجريمة. ولذلك، افترضت بأن الجريمة وقعت ليلاً على الأرجح.

بافتـــراض أن مـــادوكس هو الجاني، فعلى الأرجح أنه انتظر شخصاً لكي يعثر على الجثة ويبلّغ الشرطة. وعندما لم يحصل ذلك في فترة ما بعد ظهر هذا اليوم، قام هـــو أو شـــريك له في الجريمة بالاتصال هاتفياً بالشرطة من هاتف في المنتزه، لكي يريح نفسه من الضغوط قبل أن تبدأ عمليات البحث في أرضه.

فـــي الواقـــع، ربما كان مادوكس يتساءل عندما كنا جالسين معه عن سبب عدم العثور على الجثة بعد المكالمة الهاتفية، وهو ما جعله متوتر الأعصاب.

نظرت إلى معصم هاري وإبهامه، فلم أجد أثراً لقيود، بالرغم من أننا في الغالب لا نجد أثراً لها.

ثـــم وضعت يد هاري في يدي، وفحصت راحة يده، وأظافر أصابعه وبراجمها. يمكـــن لليد أحياناً أن تخبرك عن معلومات لا يلاحظها المحققون في أسباب الوفيات، الـــذين يهتمون في العادة أكثر في الأعضاء والرضوض، ولكنني لم ألاحظ شيئاً غير اعتيادي، باستثناء الأوساخ.

نظرت إلى كايت التي بدت رابطة الجأش، ثم درت حول الطاولة، وأمسكت بيد هاري اليمنى ونظرت إليها.

سمعت صوتاً أنثوياً يقول: "هل يمكنني إعارتك مشرطي؟"

الـــتفتُ وكايت فرأينا امرأة عند الباب ترتدي ثياب الجرّاحين الفضفاضة. كانت فـــي العقـــد الـــثالث من عمرها، هيفاء، وذات شعر قصير أحمر. ومع اقترابها منا، لاحظـــت النمش في وجهها وعينيها الزرقاوين. في الواقع، إذا استثنينا الثياب الزرقاء الفـــضفاضة، كانت امرأة ظريفة. قالت: "أنا باتي غليسون، المحققة في أسباب الوفيات في المقاطعة. أعتقد أنكما العميلان من مكتب التحقيقات الفيدرالي".

نـــــزعت قفاز اللاتكس، ومددت يدي، وقلت: "التحرّي جون كوري من *الوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب*".

تـــصافحنا، وعـــرّفتها بالعمـــيلة الخاصة من مكتب التحقيقات الفيدرالي، كايت مايفيلد، من غير أن أنسى إضافة، "كايت هي السيدة كوري أيضاً".

أضافت كايت، "أنا المشرفة على التحرّي كوري أيضاً".

قالت الدكتورة غليسون: "ربما يمكنكِ أن تخبريه بأنه ينبغي عدم المساس بالجثة بدون حضور فاحص طبّي. أو ربما الامتناع عن المساس بها أصلاً".

قدمتُ اعتذاري، وأضفت، "أنا أقوم بذلك منذ عشرين سنة في نيويورك سيتي".

"أنت لست في نيويورك سيتي".

أُخذنا على حين غرّة، ولكن كايت قالت: "كان هاري صديقنا".

ألانت الدكتورة غليسون كلامها، وقالت: "أنا آسفة". وسألت كايت، "ما علاقة هذه القضية بالإرهاب؟"

أجابت كايت، "لا توجد علاقة. لكن هاري كان زميلاً لنا في الوحدة التكتيكية، وكان يتريّض هنا، وقد جئنا من أجل التعرّف على الجثة".

"فهمت. وهل تعرفتما على الجثة؟"

أجابت كايت، "أجل". وسألت، "ما هي النتائج الأولية التي توصلتِ إليها؟"

أجابت الدكتورة غليسون "حسناً، بناء على ما يمكنني استنتاجه من الجروح الخارجية، اخترقت رصاصة عموده الفقري، ثم اخترقت قلبه، مما أدى إلى مصرعه على الفور تقريباً. وعلى الأرجح أنه لم يشعر بشيء، وحتى لو شعر بألم، فقد استمرّ ذلك لثانية واحدة أو اثنتين فقط. لقد فارق الحياة قبل أن يسقط على الأرض".

أومأت برأسي، وقلت: "طوال سنوات عملي كشرطي، لم يسبق أن شاهدت إصابة مثالية أصابت العمود الفقري والقلب وكانت حادثة عرضية".

امتنعت الدكتورة غليسون عن التعليق لبضع ثوانٍ ثم قالت: "بوصفي طبيبة جرّاحة ومحققة في أسباب الوفيات، رأيت حوالى مئة إصابة من جرّاء حوادث وقعت أثناء الصيد، ولكن لم يسبق أن رأيت إصابة مثل هذه". وأضافت، "لكنّ ذلك أمر ممكن الحدوث". وسألت، "هل تعتقد أنها جريمة قتل؟"

أجبتها، "إننا لا نستبعد هذا الاحتمال".

أومأت برأسها، وأجابت "هذا ما أسمعه".

يجد بعض الفاحصين الطبّيين رغبة في لعب دور التحرّي، كما في التلفزيون، ولكنهم يلتزمون تماماً بالحقائق. وبما أنني لا أعرف باتي غليسون سألتها، "هل وجدتِ أي شيء يشير إلى أنها جريمة قتل؟"

أجابت، "سأعرض عليك النتائج التي توصلت إليها، وفي إمكانك أخذها من هناك".

توجهت إلى خزانة المؤن، وأمسكت بقفازين، ثم أعطتني قفازاً جديداً، وقالت: "أرى أنك وجدتَ الفيكس".

اقتربت من النقالتين، وقالت: "لقد أزلت وصنّفت كل شيء لكي يضعه عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي في أكياس الأدلة. هل ترغبان في الذهاب إلى المخزن والتوقيع على استلامها؟"

أجابـت كايت، "هناك عملاء آخرون في طريقهم إلى هنا، وهم بحاجة إلى سرد كل شيء في ما نسمّيه الورقة الخضراء".

قلت للدكتورة غليسون: "دعينا نلقي نظرة على الجثة".

وقفـت بجانـب الجثة، وأزالت الشاش عن صدر هاري، مما أزال بعض الشعر وكشف عن ثقب كبير غائر. قالت: "كما ترى، هذا هو الجرح الذي أحدثته الرصاصة عـند خروجها. وقد استخدمت مكبّراً بقوة سبعة أضعاف ولاحظت أجزاء صغيرة من العظـام، وأنسجة ليّنة، ودماً، وجميعها بكميات ضئيلة ومتسقة على امتداد الثقب الذي أحدثته رصاصة عالية السرعة، من العيار الكبير أو المتوسط، عبر الفقرات، والقلب، وعظم الصدر".

تابعـت حديثها شارحة من منظور سريري كيف تتوقف حياة الإنسان. وختمت حديـثها بالقـول: "كمـا تعرف، أنا لا أقوم بتشريح الجثة، ولكنني أشك في أن يظهر التشريح الكثير حول ما يتعلق بسبب الوفاة".

قلت لها: "إننا أكثر اهتماماً بالأحداث التي قادت إلى لحظة الوفاة". وسألتها، "هل لاحظتِ أي شيء غير اعتيادي؟"

"فـي الحقيقة، لاحظت بعض الأمور". وضعت إصبعها على صدر هاري، على مسافة ثلاثة سنتيمترات من حافة المكان الذي خرجت منه الرصاصة وقالت: "لاحظتُ هنا... هل يمكنك أن ترى ذلك؟"

"كلا".

"حسناً، يوجد ثقب ناتج عن جرح صغير، ومن الواضح أنه أصيب به قبل وفاته. قمـت بفحـصه، ووجدته أنه عميق بحيث وصل إلى الأنسجة العضلية. كما تفحصت قميصه وملابسه الحرارية، فوجدت أن فيها ثقوباً مماثلة، وما بدا أنه بقعة دم صغيرة. أي أن هذه الأداة – ربما كانت إبرة تحت الجلد – غُرزت بقوة في الثياب حتى وصلت إلـى عضلته الصدرية. لم أستطع التأكد من أنه حُقن بمادّة ما، ولكن ينبغي أن يكون فحص السموم قادراً على إخبارنا بذلك".

واصلت الدكتورة غليسون حديثها، وقالت: "كما يوجد جرحان آخران في ساعده الأيمـن. لكنني لم أجد دماً أو ثقوباً مناظرة في ثيابه". وقالت: "لم أجد في حوزته إبرة تغرز تحت الجلد، وافترض بأنه لم يكن يداوي نفسه عبر قميصه".

سألتها، "ماذا تستنتجين من هذه الجروح الصغيرة؟"

أجابت، "أنت التحرّي".

"أجـل". افترضتُ بأن الجرح الصغير الأول كان الجرح الذي في الصدر الذي

وجـــدت أثــاره على ثيابه، وهو ما يعني أنه حُقن بمادّة مسكنة على الأرجح فيما كان يصارع، أو أنه أصيب بمسدس يطلق طلقات مهدئة للحيوانات. 'إذا كان الوقت خارج الموسم، نطلق عليها طلقات مهدّئة ثم نخرجها من المكان'. والجرحان الآخران اللذان أصـــابا الجلـــد، كانا تحت الجلد، وكان الغرض منهما إبقاءه هادئاً، كما افترضت بأن المـــادة هـــي بنتاثول الصوديوم، وهو مصل، ولكنني احتفظت بأفكاري لنفسي، وقلت "سأفكر في الأمر".

واصـــلت حديثها، وقالت: "أريد أن أريك شيئين آخرَين قاداني إلى الاعتقاد بأنه وقعت أحداث أو حوادث غير عادية قبل الوصول إلى زمن الوفاة".

راقبـــنا الدكـــتورة غليسون وهي تدور حول الطاولة في اتجاه رأس هاري. وضعت باتـــي غليسون يديها أسفل كتفي هاري عند جذعه الضخم، ودفعته إلى الأمام إلى أن أصبح في وضعية جلوس، مما تسبب في خروج بعض الريح، فأخذت كايت نفساً سريعاً. لاحظت أن المحققـــين في أسباب الوفاة لا يتعاملون برفق مع المتوفين، ولا يوجد سبب يدعوهم إلى أن يكونوا بخلاف ذلك، بالرغم من أنني أُفاجأ دائماً من طريقة تعاملهم مع الجثة.

صـــار في مقدوري رؤية الثقب الذي أحدثته الرصاصة عند دخولها، في الوسط تماماً حيث اخترقت عموده الفقري، وسارت بشكل خط مستقيم باتجاه قلبه. حاولت أن أتخيّل كيفية حدوث ذلك. على الأرجح أن هاري كان لا يزال تحت تأثير المخدّر حيث وُضع على الدرب في حالة وقوف أو جاثياً على ركبتيه، من قبل شخص أو أشخاص، فيما وقف الرامي على مسافة قريبة بما يكفي لكي يحقق إصابة مثالية، ولكن ليس قريباً بما يسمح لانفجار فوهة البندقية أن يخلّف حروقاً أو أثراً للبارود. ومن المحتمل أن هاري كان ممدداً في مكان آخر، حيث أصيب بطلق ناري، ونُقل إلى الدرب. ولكنّ ذلك تصرّف لا يقوم به سوى الهواة، وكان فريق التحقيق في مسرح الجريمة سيكتشف ذلك.

علـــى أيـــة حال، أصيب بطلقة في الظهر، وكل ما كنت آمل به هو أنه لم يكن يعرف ماذا سيحدث له.

أرادت الدكتورة غليسون لفت انتباهنا إلى شيء آخر فقالت: "انظرا هنا". وضعت إصـــبعها على لوح كتف هاري الأيمن وقالت: "يوجد تغيّر في لون الجلد من الصعب رؤيته. إنه ليس ناجماً عن كدمة، أو حرق تسبّبت به مادة كيميائية، بل هو حرق ناتج عن الحرارة. ربما يكون حرقاً كهربائياً".

اقتربت وكايت من البقعة التي تغير لونها. كانت بحجم وشكل قطعة نقدية من فئة نصف دولار. لم تكن ناتجة عن مسدس صاعق، ولكن سبق أن رأيت بقعاً مثلها ناتجة عن استخدام قضيب معدني كهربائي.

كانت الدكتورة غليسون تنظر إليّ فيما كنت أتمعن في العلامة البارزة على كتف هاري. قلت: "لا أدري ما حقيقة هذه البقعة".

مشت نحو جانب الطاولة، وجذبت بطريقة فظة الغطاء الأزرق حتى طرف الطاولة، فظهر جسم هاري العاري.

بدأت تقول شيئاً، ولكنني قاطعتها، وقلت: "هل تمانعين في إعادة الجثة إلى وضعها الأول؟"

"أنا آسفة". دفعت جذع هاري المتيبّس نحو الطاولة فيما كنت أمسك برِجليه. ما أعنيه هو أنني معتاد على رؤية الجثث، ولكن ينبغي أن تكون الجثة في وضع ممدد، لا في وضعية جلوس. وكان في مقدوري ملاحظة أنه بالكاد كانت كايت تحافظ على رباطة جأشها.

مشت الدكتورة غليسون بمحاذاة الطاولة وقالت: "ذكر أبيض البشرة، حسن التغذية، قوي العضلات، وفي منتصف العمر، جلد طبيعي، باستثناء ما أشرتُ إليه، كما لاحظت أنه لم يستحمّ أو يحلق ذقنه منذ عدة أيام، وهو ما يتطابق مع قضائه وقتاً في الهواء الطلق ومع ثيابه المتسخة بالتراب. ولم أرَ أي شيء يثير الاهتمام إلى أن وصلت إلى قدميه وكاحليه".

وقفنا نحن الثلاثة عند قدمي هاري العاريتين، وقالت الدكتورة غليسون: "كان باطنا القدمين متسخين بالتراب، كما لو كان يمشي حافي القدمين، ولكن ذلك لم يكن تراباً من البرّيّة أو أرض زراعية".

أومأت برأسي.

قالت: "وجدتُ القليل من الألياف التي تشبه ألياف البُسُط والسجاد، كما يمكنك أن ترى ما يشبه الغبار الناعم أو الأوساخ التي تجدها على أرضية غرفة". وأضافت، "أنا أفهم بأنه كان يملك سيارة مقطورة، وينبغي أن تتأكد إن كان يوجد فيها بساط وتأخذ عينات من أليافها والأوساخ التي فيها".

أومأت برأسي. عرفت مكاناً آخر ينبغي عليّ أخذ عينات من الألياف والأوساخ منه، ولكن فرص الحصول على مذكرة تفتيش لنادي الصيد كاستر هيل لم تكن جيدة في تلك المرحلة.

اقتربتُ أكثر من هاري، وقلت: "توجد آثار كدمات على كِلا الكاحلين".

"أجل، توجد كدمات إضافة إلى آثار برْي. وهي واضحة جداً كما ترى، والأمر الوحيد الذي يمكنني التفكير فيه هو أنه كان مكبّل الرِّجلين بأصفاد فولاذية، لا بشريط أو حبل أو أي شيء مرن، وأنه حاول نزعها، أو حاول الركض مع وجودها. وهذا

هــو الــسبب الذي يفسر وضوحها وكثرتها". وأضافت، "الجلد ممزق في موضعين". وأضـــافت، "وأعتقد بأنه لبس جاربيه وحذاءه بعد نــزع الأصفاد عن كاحليه... أعتقد بأنـــه كـــان حافي القدمين عندما كان مكبّلاً. انظر إلى موضع البرْي والكدمات على الجلد".

بغــض النظر عما حدث لهاري في الساعات التي سبقت وفاته، فلا بدّ وأنها لم تكــن أحداثاً سارّة. وبما أنني كنت أعرف ذلك، فقد كنت متأكداً من أنه لم يكن سجيناً نموذجياً، وهو ما يفسر استخدام القضيب الكهربائي المعدني، والحقن المخدّرة، والقيود في الرِّجلين. لقد قمت بعمل جيد يا صديقي.

قالــت الدكـــتورة غليسون: "وبعد أن لاحظتُ وجود بعضٍ من هذه الألياف في قدميه، فحصت سائر جسده ووجدت بعض الألياف في شعره وعلى وجهه". وأضافت، "يمكـــن أن يكـــون مصدر هذه الألياف الكابينة التي في مقطورته، ولكنّ لونها أزرق داكن، في حين أن هذه الألياف متعددة الألوان".

لم أعلّق على ما قالته، ولكن بدا واضحاً أن هاري كان ممدداً على بساط أو بطانية.

أضـــافت الدكـــتورة غليـــسون، "كما توجد ألياف على سرواله وقميصه، وعلى ملابسه الداخلية الحرارية، وهي أيضاً تبدو غير منسجمة مع ما كان يرتديه عندما جاء إلـــى هـــنا". وأضـــافت، "كمـــا وجـــدت أربع شعرات سوداء، جميعها بطول خمسة ســـنتيمترات: واحدة على قميصه، وواحدة على سرواله، واثنتان على ملابسه الداخلية الحرارية. وقد ألصقتها بالألياف حيث وجدتها".

أومـــأت برأســـي من غير أن أعلّق بشيء. فكلما كان حديثي أقل، كلما شعرت الدكتورة غليسون بالحاجة إلى شرح المزيد لنا. وأضافت، "وهذه الشعرات لا تعود إلى المتوفـــى. فـــي الواقع، بعد أن وضعت الشعرات تحت المكبّر، تبيّن لي أنها لا تعود لإنسان".

سألتها كايت، "هل هي شعرات كلب؟"

"ربما".

قيصر ويليام.

أنهت الدكتورة غليسون حديثها، بالقول: "هذا كل ما وجدته على الجثة مما يمكن أن يكون غير مألوف".

سألتها كايت، "هل يمكنك تقدير وقت حدوث الوفاة؟"

أجابت الدكتورة غليسون، "بناء على ما أراه، وأشمه، وأشعر به أعتقد بأن الوفاة حـــصلت قـــبل أربع وعشرين ساعة تقريباً، وربما قبل وقت أقل من ذلك". وأضافت،

"ربمـــا وجد فريق التحقيق في مسرح الجريمة شيئاً يمكن أن يجعل تحديد الوقت أكثر دقّة، وكذلك الفاحص الطبّي الذي يقوم بالتشريح".

سألتها، "هل نـــزعتِ ثيابه وأدواته الشخصية؟"

"لقد قمت بذلك مع أحد المساعدين".

"وفـــيما عـــدا شـــعرات الحيوان والألياف الغريبة، هل لاحظتِ شيئاً آخر غير اعتيادي؟"

"شيء مثل ماذا؟"

"حسناً، شيء غير عادي".

"كلا... لكن إذا شممت ثيابه - وخصوصاً قميصه - ربما لا يزال في مقدورك اكتشاف أثر رائحة الدخان".

"أي نوع من الدخان؟"

"الرائحة تشبه دخان السجائر". وأضافت، "لكنني لم أجد أية مواد خاصة بالتدخين ضمن حاجياته الشخصية".

'هذا فنّ ضائع'.

إنه أحد مبادئ الإيمان لدى التحرّيين الجنائيين، والأطباء الشرعيين، والفاحصين الطبّيـــين، أن الجـــثة تبوح بأسرارها: الألياف، الشعرات، والسائل المنوي، واللعاب، وعلامـــات العضّ، والحروق الناجمة عن الحبال، والحرق بأعقاب السجائر، والرماد، والحمـــض النووي، والبصمات، وغيرها كثير. فهناك دائماً مواد تنتقل من الجاني إلى الضحية، ومن الضحية إلى الجاني. وكل ما عليك القيام به هو العثور عليها، وتحليلها، ومطابقتها مع مشتبه به. والمفتاح هو في العثور على شخص مشتبه به.

سألتها، "هل يوجد شيء آخر؟"

"كـــلا، ولكننـــي لـــم أقـــم سوى بفحص ظاهري للثياب والحاجيات الشخصية". وأضافت، "كان معي مساعد طوال الوقت، وقمت بتصوير الجثة والحاجيات الشخصية على شريط فيديو. وفي مقدورك الحصول عليه بعد نسخه".

"شكراً لكِ". من الواضح أنها أدركت بأنها قضية ساخنة.

سألتني، "ما القصة؟"

"هل تريدين معرفتها حقيقة؟"

فكّرت للحظة، ثم أجابت "كلا".

قلـــت: "هذا جواب جيد. حسناً، لقد قدمتِ لنا مساعدة كبيرة، ونحن نشكركِ على الوقت الذي منحتِنا إيّاه".

سألتنا، "هل ستبقيان مع الجثة؟"

"أجل".

"أرجـو مـنكما ألاّ تلمساها". ونظرت إلى هاري مولر، وقالت: "إذا كان ضحية جريمة قتل، آمل بأن تجدوا الفاعل".

"سنجد الفاعل".

وبعد ذلك، ودّعتنا الدكتورة غليسون، ورحلت.

قالت كايت: "لماذا ترغب امرأة شابة مثل هذه في العمل في مشرحة؟"

"ربما كانت تبحث عن السيد 'مثالي'. دعينا نبدأ عملنا".

مـشيت أنا وكايت نحو النقالة التي عُلّقت عليها أدوات هاري الشخصية فيما كنا نـرتدي القفازات، وبدأنا نفحص كل شيء – محفظته، ساعة اليد، المجيب الصوتي، المـنظار، والكاميرا الفيديوية، والكاميرا الرقمية، والبوصلة، وقطّاعة الأسلاك، ودليل مـراقبة الطيور، وخريطة ظهرت عليها أرض نادي كاستر هيل معلّمة بالقلم الأحمر، إضافة إلى موقع نادي الصيد، والقليل من المباني الأخرى التي أضيفت إلى الخريطة. وحتـى مع استخدامنا لقفازات اللاتكس، تعاملنا بحذر شديد مع تلك الحاجيات لكي لا نتلف أثر أية بصمة.

تفحـصت محتويات محفظة هاري، ولاحظت أنه يوجد مفتاح احتياطي في جيبه الـصغير، إضـافة إلـى مفـتاح سيارة التويوتا، ومفتاح الغراند أم الخاص بسيارته الحكومية، ولكنني لم أجد أي مفتاحٍ احتياطي لسيارته المقطورة. إذا كان يوجد مثل هذا المفـتاح، فـلا بـدّ وأن شخصاً ما أخذه عدا شرطة الولاية التي حصلت على مفتاح المقطـورة من سلسلة المفاتيح. ولذلك، ربما عمد طرف آخر إلى إخراج المفتاح من محفظـته لكي يتسنّى له إبعاد السيارة المقطورة عن أرض نادي كاستر هيل. لكن من يكون هذا الطرف؟

قالـت كايت: "لا يوجد شيء غير اعتيادي هنا، أو شيء جرى نقله من مكانه الأصـلي أو الـتلاعب بـه، لكننـي أراهـن بأنـه تم مسح شيء كان يوجد في الكاميراتين".

أجبتها، "على الأرجح أنه تم التخلص من القرص، والشريط، والذاكرة واستُبدلت بالأقراص الاحتياطية التي كانت في حوزة هاري".

أومـأت كايـت برأسها، وقالت: "إذاً، لن يتمكن المختبر من استخراج أية صور ممسوحة".

"أعتقد بأنه لن يستطيع ذلك".

أمسكت بهاتف هاري الخليوي وقمت بتشغيله، ثم استعرضت آخر ما وصله من مكالمات.

كانت هناك مكالمة من صديقته لوري باهنيك عند الساعة 9:16 من صباح يوم السبت ردّاً على اتصال هاري بها عند الساعة 7:48 صباحاً، وتليها عشر مكالمات أخرى من لوري تبدأ من فترة ما بعد ظهر يوم السبت بعد أن وصلتها رسالته النصية عند الساعة 4:02 من بعد الظهر، ثم طوال يوم الأحد، وحتى اليوم، الاثنين.

ثم كان اتصال الضابط المناوب، كِن رايلي، بهاري عند الساعة 10:17 من مساء يوم الأحد استجابة لاتصال لوري بمكتب *الوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب*.

المكالمة التالية، وصلت إلى هاتف هاري عند الساعة 10:28 من مساء يوم الأحد من رقم في نيوجرسي. قلت لكايت: "أليس هذا الرقم الهاتفي لمنزل والش؟"

"أجل".

"ولكنه قال بأنه لم يتصل بهاري إلاّ بعد أن جاء إلى المكتب صباح هذا اليوم".

قالت كايت: "من الواضح أنه كذب علينا".

"هذا صحيح... هذه هي مكالمة والش لهاري هذا الصباح، وقبلها كانت مكالمة كِن رايلي الذي كان يتصل طوال الليل من المبنى الفيدرالي 26".

بقيت صامتة لفترة، ثم قالت: "يبدو أن القلق كان أكبر مما حاول توم والش الإيحاء لنا به".

"هذه عبارة تهوينية. إن حقيقة كذب والش علينا تحملني على الاعتقاد بأن هذه المهمة لم تكن مراقبة روتينية".

"أعتقد بأننا نعرف ذلك أصلاً".

نظرتُ إلى هاتف هاري الخليوي مجدداً، ورأيت مكالمتي التي أجريتها بعد ظهر يوم الأحد عندما اقترحت عليه إعداد يخنة الصياد، ثم مكالمتي الأخيرة له عند الساعة 9:45 هذا الصباح. وبعد ذلك، كان هناك القليل من المكالمات من لوري.

بدأت كايت استعراض هاتفها الخليوي، وقالت: "هذا أمر مؤسف جداً..."

أومأت برأسي. لم أكن أعرف كلمة المرور التي يستخدمها هاري وبالتالي تعذّر عليّ الاستماع إلى أي من رسائله، ولكنني عرفت بأنه في مقدور فريق التحقيق في مسرح الجريمة القيام بذلك.

استعرضت المكالمات الأخيرة التي أجراها هاري، ورأيت مكالمة أجراها مع لوري باهنيك عند الساعة 7:48 من صباح يوم الأحد، ثم رسالة نصية بعد ظهر يوم الأحد عند الساعة 4:02، ثم لم تعد هناك أية مكالمات.

كنت على وشك إطفاء الهاتف عندما سمعت رنينه، وهو ما أصابنا بالذهول.

نظــرت إلى بطاقة المتصل ووجدت أن المتصلة هي لوري باهنيك. نظرت إلى كايت فرأيت عليها إمارات الحزن.

فكّــرت فـــي الردّ على المكالمة، ولكنني لم أكن متهيئاً للإبلاغ عن الخبر عبر الهاتف فيما لا يبعد هاري سوى مترين عنّي. أطفأت الهاتف، وأعدته إلى النقالة.

نظــرت إلـــى ساعتي. سيمرّ وقت طويل قبل أن تصل شرطة الولاية وعملاء مكــتب التحقــيقات الفيدرالي من ألباني. كما أنه لا بدّ وأن الرجلين اللذَين ينتميان إلى الوحدة التكتيكية وصلا إلى مطار سارناك لايك بحلول هذا الوقت. وتساءلت من يكون هذان الرجلان اللذان أرسلهما والش للحلول محلّنا.

على الأرجح أنهما من هؤلاء الأشخاص الذين يتّبعون الأوامر.

قلت لكايت: "دعينا نلقي نظرة على ثيابه قبل وصول رجال الشرطة".

ذهــبتْ إلـــى المغــسلة، وأزالت الهلام الممزوج بالمنتول عن شفتها، في حين انتهــزتُ الفرصـــة لاخــتلاس خريطة الأرض. يُعتبر أخذ دليل من مسرح الجريمة جــريمة، ولكنني اعتقدت بأنني قد أحتاج إلى الخريطة، وبرّرت ذلك بأن والش كذب عليّ، وحقيقة أنني، وليس هاري، من كان سيُمدد على هذه البلاطة.

وقفت كايت بجانب النقالة الثانية، فشمّت قميص هاري، وقالت: "لست متأكدة... يمكن أن تكون هذه رائحة دخان التبغ".

لــم أستطع شمّ أية رائحة، باستثناء رائحة المنتول الموجود أسفل أنفي، ولكنني قلت: "من هو الشخص الذي تعرفين بأنه يدخّن؟"

أومأت برأسها.

تفحــصنا الملابــس قطعة بعد قطعة، ولاحظنا شريط السيلوفان الذي استخدمته الدكتورة غليسون لتثبيت الشعرات الأربع التي تعود إلى حيوان. لم نكن نقوم بأمر لا يُــسمح لــنا بالقيام به، ولكن من ناحية أخرى، لم يكن من المفترض أن نكون في هذا المكان أصلاً، وإنما في مقرّ شرطة الولاية في راي بروك. كما أن هناك مسألة تسلسل الأدلــة، وكل من يتعامل مع الأدلة ينبغي أن يسجّل اسمه أولاً، وهو الأمر الذي لم نقم بــه. ثم إن هناك عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي والمحققين من شرطة الولاية الذين قــد لا يكونون سعيدين لرؤيتنا عند وصولهم. وبعبارة أخرى، كنّا في منطقة رمادية، حــيث أمضي جلّ وقتي. والأهم من ذلك أننا أحرزنا تقدماً في القضية، ولكن الأوان كان قد حان لكي نغادر المكان.

قلت لكايت: "لنذهب".

قالــت: "انظــر إلى هذا". كانت تمسك بسروال هاري المرقّط، بعد أن أخرجت جيبه اليمنى. قالت: "هل ترى هذا الشيء؟"

نظرت إلى بطانة الجيب البيضاء ورأيت علامات زرقاء بدا أنها كُتبت بواسطة قلم.

قالت كايت: "يمكن أن تكون أحرفاً".

بالطبع، يمكن أن تكون كذلك. إما أن هاري هو الشخص الذي كتب على القماش الأبيض ويده في جيبه، أو ربما وضع قلمه، في حال كان مهملاً مثلي، بدون غطاء في جيبه.

وضــعتْ كايــت السروال على النقّالة المدولبة، وانحنى كل منا ليلقي نظرة عن قــرب، محاولاً فكّ شيفرة العلامات الزرقاء التي كتبت بالحبر بلا شك، حيث بدا أنها ليست علامات عشوائية.

قلت لكايت: "دوركِ أولاً".

"حــسناً، توجد ثلاث مجموعات من الحروف... أوضح تلك الحروف كان 'أم' و'أي' و'پــي'، والمجمــوعة التالية تشبه حرف 'أن' ويليه حرف 'يو' أو 'ڤي'، ثم نجمــة...، كــلا يليها حرف 'كاي'. والمجموعة الأخيرة تشبه الحروف 'إي' و'أل' و'أف'. نظرتْ إليّ، وقالت: "إلف؟"

نظــرت إلى العلامات المكتوبة بالحبر، وقلت: "ماب يمكن أن تكون ماد. أعني أنه كان يكتب ويده في جيبه لا يراها. أليس ذلك صحيحاً؟"

"ربما".

"والآن كلمــة نيوك... وهنا علامة تكاد تكون مختفية وراء الدرزة. ربما كانت نيوك".

نظر كل واحد منّا إلى الآخر، ثم قالت كايت: "نيوك؟ هل أراد كتابة نووي؟"

"آمل بخلاف ذلك". وأضفتُ، "تبدو الحروف الأخيرة واضحة إلف".

أجل.. ما الذي كان يحاول أن يقوله لنا؟ مادوكس؟ نووي؟ إلف؟ ما معنى إلف؟ ربما كان يريد أن يقول ساعدوني".

"كلا. الحروف في غاية الوضوح. إي أل أف".

نظــرت إلى الساعة مجدداً، ثم إلى الباب، وقلتُ: "علينا الذهاب". أعدت الجيب إلى مكانه داخل السروال، وقلت: "دعيهم يعملون على حلّ هذا اللغز".

نـــزعنا قفازات اللاتكس ووضعناها في علبة نفايات مغطاة. ثم عدنا إلى حيث تــوجد جــثة هاري ونظرنا إليه. وقفت كايت بجانبي، وأمسكت بذراعي. سوف أرى

هاري في وقت قريب مجدداً عندما تقام جنازته، مرتدياً بزته القديمة. قلتُ له: "أشكرك على إرشادنا إلى مفتاح حلّ القضية يا صديقي. إننا نعمل على حل القضية". ثم غطيته بالغطاء الأزرق، وتوجهت نحو الباب.

غادرنـــا غــرفة العمليات، ومشينا مسرعين نحو الردهة التي تؤدي إلى محطة الممرضات. قلت لشرطة الولاية: "هل لديكم مسدس المتوفى وأوراقه الثبوتية؟"

"أجل سيدي".

"أريد شارة شرطة ولاية نيويورك لكي أعيدها إلى عائلته".

تـــردد الـــشخص المسؤول ثم قال: "أخشى أنني لا أستطيع إعطاءك إياها. أنت تعرف... إنها..."

قلت له: "لم يتم إدراجها في قائمة الموجودات بعد. فمن سيعرف؟"

قال الشرطي الآخر لرئيسه: "لا أرى في ذلك بأساً".

فـــتح الشرطي المسؤول كيس أدلة كان موضوعاً على المنضدة، وأخرج الشارة من الكيس ومرّرها إليّ.

قلت له: "أشكرك"، ووضعت الشارة في جيبـــي.

سألني الشرطي الآخر، "هل تعتقد بأنها جريمة قتل؟"

"ماذا تعتقد؟"

أجـــاب، "حـــسناً، شـــاهدت الجثة على الدرب قبل وضعها في سيارة الإسعاف، والطـــريقة الوحـــيدة التي يمكن فيها إطلاق النار على هذا الشخص - صديقك - في منتـــصف ظهـــره مع وجود تلك الأشجار الكثيفة هي أن يكون مطلق النار واقفاً خلفه مباشرة على الدرب. هل تفهمني؟"

"أجل".

"إذاً، تلك لم تكن حادثة؛ ما لم تكن قد وقعت ليلاً، بعد أن اعتقد مطلق النار بأنه شـــاهد غزالاً يسير على الدرب... عليّ أن أخبرك بأنه كان يجدر بصديقك أن يرتدي ثياباً عليها خطوط عاكسة أو برتقالية اللون، كما تعرف".

"أجل. حسناً، لكن هذا ليس موسم صيد".

"هـــذا صـــحيح، لكـــن هـــناك بعض السكان المحليين الذين لا ينتظرون افتتاح الموسم".

"فهمت ما تريد أن تقوله".

"أجل. حسناً، أنا آسف".

"شكراً لك".

قـدّم الـشرطي الآخـر تعازيه، كما فعلت الممرضتان اللتان كانتا تقفان خلف المنضدة. وأعتقد بأنهم شعروا بالحزن بسبب حادثة الصيد التي وقعت خارج الموسم، أو ما هو أسوأ بسبب احتمال مقتل سائح في منطقتهم الجميلة في هذا العالم.

مشيت وكايت في الردهة، فيما دخل رجلان يرتديان بزتين رسميتين من الباب. افترضـت بأنهمـا من إحدى وكالات تنفيذ القانون. توجه الرجلان مباشرة إلى طاولة الاستعلامات، وأبرزا بطاقتيهما.

لاحظـت المـوظفة في مكتب الاستعلامات أنني وكايت نهمّ بالمغادرة فيما كان الـرجلان يـتحدثان إليها. بدا أنها تريد لفت انتباههما إلى زميليهما المغادرَين، ولكننا وصلنا إلى الباب قبل أن تتمكن من تعريفنا ببعضنا.

مشينا بسرعة نحو السيارة، وجلست في مقعد القيادة، وغادرنا المكان على جناح السرعة.

الفصل 25

عدنا أدراجنا إلى وسط البلدة، ثم تبعنا العلامات وصولاً إلى الطريق 56 المتجه جنوباً.

قالت كايت: "لم يسبق أن عملتُ معك في قضية، إلاّ وشعرت أنني أتقدم خطوة على القانون بدلاً من أن أكون ممثلة للقانون".

أجبتها بطريقة فلسفية، "في بعض الأحيان، يحول القانون دون معرفة الحقيقة وتطبيق العدالة".

"هل تقوم بتدريس ذلك في صفك في جون جاي؟"

"أريد أن أضيف إلى معلوماتك حقيقة أنه هناك الكثير من الأشخاص العاملين في وكالات تطبيق القانون تبنّوا بعد هجمات 11 من سبتمبر/أيلول طريقة كوري التي تقول إن الغاية تبرّر الوسيلة".

أجابت كايت، "قمنا جميعاً بعد 11 سبتمبر/أيلول بالقليل مما تقول، ولكن ليس لهذه القضية علاقة بالإرهاب الإسلامي".

"كيف عرفتِ ذلك؟"

"دعك من ذلك يا جون، أنا لا أرى أي رابط".

"حسناً، فكّري في ما سأقوله؛ لدى مادوكس تاريخ عريق في محاربة أعداء أميركا بوصفها مشروعاً خاصاً، أليس كذلك؟"

"أجل، ولكن..."

"لقد زالت الشيوعية، والآن جاء الإسلام. وهو قال لنا بأنه غير مشارك بفاعلية في الحرب على الإرهاب، وهو ما يعني أنه مشارك فيها، أليس كذلك؟"

بقيت صامتة لفترة، ثم أجابت "بلى".

"حسناً، وبالطبع هناك تجارة النفط التي هي على اتصال بكل ما تقدم".

"ما هو وجه الاتصال؟"

"لا زلت غير متأكد". ولكن الصورة بدأت تتشكل في ذهني، وينبغي أن تكون على علاقة بباين مادوكس، والأسلحة النووية، والإرهاب؛ وهي ليست تركيبة جيدة.

لكــن كايــت لم تكن على استعداد للتأمل في تلك المعلومات، ولذلك قلت لها: "حسناً، اعتقد هاري بأن شخصاً ما سيفهم، ولذلك عندما نفكر في الأمر فسوف نعرف حقيقته".

أومأت برأسها، ثم غيّرت الموضوع وقالت: "هناك أمر واحد أنا متأكدة منه الآن وهو أن مادوكس قتل هاري، أو أمر بقتله".

"لقد قام بذلك بنفسه، وربما بمساعدة كارل".

"ربما لن يكون من السهل إثبات ذلك في المحكمة".

إن قتلة رجال الشرطة لا يصلون إلى المحاكم دائماً، ولكنني لم أقل ذلك.

لكــن كايــت قــرأت ما كان يجول بخاطري وقالت: "أرجو ألاّ تقدم على عمل أحمق. فالغاية لا تبرّر الوسيلة".

لم أعلّق على ذلك.

غادرنا بوتسدام وتوجهنا جنوباً سالكَين الطريق 56. عند الساعة 6:01 من بعد الظهــر، بدأ الظلام يخيّم على الطريق. كانت نوافذ البيوت المتفرّقة مضاءة، وكان في مقــدوري رؤيــة الــدخان المتصاعد من المدافئ. لقد انتهت عطلة يوم كولومبوس، والعــشاء صار داخل الفرن، والغد يوم عمل، ويوم دراسة. الأشخاص العاديون يتجمعون حول شاشة التلفاز، أو حول المدفأة، أو في أي مكان يتجمّع فيه الأشخاص العاديون.

بدا أن كايت قرأت أفكاري، وقالت: "يمكننا شراء منــزل صيفي يمكن أن يصبح في النهاية منــزلنا بعد تقاعدنا".

"معظم الناس لا يقضون حياتهم بعد التقاعد حيث يوجد الثلج والجليد".

"يمكنــنا تعلّــم كيفية التزلّج على الثلج والتزحلق على الجليد". وأضافت، "يمكنك تعلّم كيفية الصيد وقنص الدببة".

ابتسمتُ، وأمسك كل منا بيد الآخر.

رنّ هاتفها الخليوي، ونظرت إلى شاشته. "خاص، ربما كان ذلك والش".

"استقبلي المكالمة".

أجابت، وأصغت، ثم قالت: "إننا في طريقنا إلى هناك يا توم". أصغت مجدداً، ثم قالت: "ذهبنا إلى المستشفى، وتأكدنا من أنها جثة هاري".

بغض النظر عما قاله والش، لن يكون كلامه لطيفاً، فقد أبعدتْ كايت الهاتف عن أذنها في إيماءة تمثيلية. وكان في مقدوري سماع كلام والش اللاذع.

لا يعجبنــي صــراخ شخص في وجه زوجتي، ولذلك أخذت الهاتف من كايت، وســمعت والــش ينهــي كلامه بالقول "أنتِ المشرفة عليه، ولذلك أنتِ المسؤولة عن

عـصيانه لأوامري. لقد أبقيتكِ مسؤولة عن هذه القضية مخالفاً لقناعاتي، وطلبتِ إليك التوجه فوراً إلى مقرّ شرطة الولاية، وكنت أعني ما أقول. هل أنتِ عميلة في مكتب التحقيقات الفيدرالي أم زوجة لطيفة ومطيعة؟"

أجبت، "مرحباً يا توم. زوج كايت يتكلم".

"أوه... وهل تتلقّى مكالمات زوجتك أيضاً؟ أنا أتكلم مع كايت".

"كـلا أنت تتكلم معي. وإذا رفعت صوتك في وجه زوجتي ثانية، فسأقطعك إلى نصفين. هل تفهم؟"

امتنع عن الردّ لبضع ثوانٍ، ثم قال: "لقد سقطت يا صديقي".

"إذاً، ستسقط معي".

"أنا لا أعتقد ذلك".

"أما أنا فبلى. وبالمناسبة، لقد تفحصت هاتف هاري الخليوي، ووجدت أنك نسيت أن تخبـرنا بأنك اتصلت به يوم السبت مساءً، وأنّ الضابط المناوب ظلّ يتصل طوال الليل".

أبقته تلك الكلمات هادئاً لفترة، ثم قال: "وما الضير في ذلك؟"

شـعرت بـأن علاقتـنا المهنـية آخذة في التدهور وأنه يفكر في أفضل طريقة لإشـراكي في مناسبة مهنية تطوعية، أعني أنه يكرهني ويريد طردي. قلت له: "رغم كل جهودك، سأتوصل إلى حلّ القضية".

فاجأني بقوله: "إذا نجحت في ذلك، أعلمني بما توصلت إليه".

أعتقد بأن واشنطن لم تكن صريحة تماماً معه، وهو أمر قد يكون صحيحاً وقد لا يكون. وعلى أية حال، كان والش ينفّذ الأوامر، وأنا لم أكن أنفّذها، وهو ما كان يسبب للعميل الخاص المسؤول توم والش بعض المشكلات. قلت له: "في النهاية، ستشكرني على مبادرتي غير العادية".

"يـبدو أن مبادرتك اللعينة تشبه العصيان إلى حدٍّ بعيد والفشل في تنفيذ الأوامر. كمـا أنك تنفق الكثير من الوقت والطاقة في التحقيق في أعمال المكتب بدلاً من القيام بوظيفتك".

"ما هي وظيفتي؟"

"كانـت وظيفـتك أن تعثـر على هاري. أما وقد تم العثور عليه، ففي مقدورك العودة إلى هنا".

"كلا، أريد الآن أن أعثر على قاتله".

أتقول بأنك بحاجة إلى العثور على قاتله؟ أنت؟ لماذا أنت دائماً؟"

"لأني لا أثق بك، ولا بالأشخاص الذين يعملون لديك".

"إذن قدّم استقالتك".

"سأقول لك أمراً؛ إذا عدتُ خالي الوفاض من هذه القضية، ستجد كتاب استقالتي على طاولتك".

"متى؟"

"في غضون أسبوع".

"اتفقنا. وفّر عليّ مشقة القيام بالعمل المكتبي اللازم لطردك".

"ولا أريد أن أسمع مزيداً من الهراء حول إبعادنا عن القضية".

"أسبوع واحد".

أعدتُ الهاتف إلى كايت التي قالت: "توم، أرجو أن تتصل بالرائد شافير، وتخبره بأننا العميلان المكلفان بالتحقيق في هذه القضية، وأن تمنحنا كافة التوصيات المطلوبة وما إلى ذلك".

قال والش شيئاً لكايت، وأجابت، "كلا، لم نتوصل إلى أية معلومات أو خيوط جديدة. لكن في حال توصلنا إلى شيء، فسنطلعك عليه".

أعتقد بأنها نسيت أن تخبره بأمر الكتابة التي وجدناها في جيب هاري، ومحادثتنا مع الفاحصة الطبّية. إن الذاكرة الانتقائية جزء من طريقة كوري في التعامل مع الرؤساء.

أنصتت لفترة ثم قالت: "فهمت".

بدأت كايت تقول شيئاً، ثم أدركت أن الخط انقطع، فأطفأت الهاتف.

سألتها، "ماذا عنيتِ بكلمة فهمت؟"

"فهمت بأن لدينا سبعة أيام للقيام بمعجزة، وأننا في حال لم نفعل، فسنصبح شيئاً من الماضي".

"لا أجد مشكلة في ذلك".

"ومن الأفضل أن تكون معجزة كبيرة، لا معجزة صغيرة مثل العثور على صياد أبله اعترف بأنه قتل هاري عن طريق الخطأ".

"حسناً، هذا مطلب منطقي".

"وإذا كنا سنسعى وراء السيد باين مادوكس لارتكابه جريمة قتل، ونفشل في الإمساك به، سيعتبر والش أن الأمر سينتهي بنا إلى العمل كحارسَين لدى أحد المتاجر".

"تفوح من هذه القضية رائحة التحدّي".

"أجل. حسناً، أنتَ الذي فتحت فمك الكبير".

"أشكركِ على تذكيري بذلك. وماذا قال غير ذلك؟"

"حـــسناً، قال إن تحقيقنا محصور بجريمة قتل محتملة، لا بأي شيء آخر يخصّ مادوكس. فهذا متروك لوزارة العدل لكي تعالجه".

"بالطبع، أنا أفهم ذلك".

نظـــرت كايت إليّ لتعرف إن كنت أتهكم. كان في مقدورها أن توفر على نفسها هذا التحليل. قالت: "كنت قاسياً معه بعض الشيء مرّة أخرى".

"لقد أثار غضبي".

"لا تأخذ الأمر على محمل شخصي، ولا تخض حروبي، ففي إمكاني القيام بذلك بنفسي في الزمان والمكان الذي أختاره".

"أجل سيدتي".

أمـــسكتْ بـــيدي مجـــدداً، وقالت: "ولكنني أشكرك. فقد نسيت أن تقول له عليك اللعنة".

"ما قلته له كان يتضمن ذلك".

قالت: "جون، أعتقد بأنه مذعور".

فكّـــرت في تلك الكلمة ثم قلت: "أعتقد أنكِ على حق". وأضفت، "وأنتِ نسيتِ أن تخبريه بما توصلنا إليه في المشرحة".

قالـــت: "هممـــت بـــأن أخبره، ولكنه أقفل الهاتف في وجهي". وأضافت، "عليه اللعنة".

قدنا بصمت لفترة متوجهَين جنوباً على طريق 56.

بقـــيت أسترجع صورة هاري القتيل الممدد والعاري في المشرحة، وشعرت بألم فـــي معدتي. أُزهقت روح طيبة، بكل بساطة، لأن صاحبها رأى أو سمع شيئاً لم يكن من المفترض أن يراه أو يسمعه.

بلغت مرحلة تفوق مرحلة الغضب، كنت مشحوناً بدافع جرمي ضدّ الشخص الـــذي فعـــل ذلـــك بهـــاري كائناً من كان. ولكن كان عليّ أن أحافظ على رباطة جأشـــي والعمل على القضية إلى أن أتأكد من أن لديّ قاتلاً. وعندها أقوم بتصفية الحساب.

مررنا في كولتون، ثم ساوث كولتون. كانت محطة الوقود التي يملكها رودي مقفلة، وأملت بأنه في طريقه إلى منـــزل سيده الفخم، وأنه بال في سرواله وهو في الطريق.

رأيت لافتة ترحّب بنا في منتزه أديروندداك، وسرعان ما أصبحت الأشجار أكبر حجماً وأغلظ عوداً، وزاد الظلام الدامس الذي يكتنف الطريق.

بعـــد بضع دقائق، قلت لكايت: "ما نراه هو جريمة. لكن هناك أمر آخر يجري بدون أن نراه".

امتنعت عن الردّ لفترة، ثم سألتني، "أمر مثل ماذا؟"

شـــرحت لها مرادي فقلت: "إن الشيء الوحيد الذي أنجزه مادوكس بتلفيق حادثة الصيد بعيداً عن أرضه هو كسب الوقت".

"الوقت اللازم لإخفاء الأدلة؟"

"كلا. ففي النهاية جميع الدلائل تشير إلى مادوكس على أية حال. فإذا كان كسب الوقت هو مراده، فهذا كل ما كان يريده".

"حسناً، ولكن ما هو السبب؟"

قلت: "باين مادوكس لا يتورّط في أعمال غبية أو متهورة. والشيء الوحيد الذي يجعل من المنطقي من وجه نظره قتل عميل فيدرالي يعرف مكتب التحقيقات الفيدرالي بأنـــه فـــي أرضـــه أو قريب منها هو عندما لا تكون الجريمة والتحقيقات التي ستليها مـــصدر قلق له. والتفسير الوحيد المنطقي هو أن هناك عملاً آخر على وشك الحدوث قـــريباً أهم بكثير بالنسبة إلى باين مادوكس من كونه مشتبهاً في ارتكابه جريمة قتل".

ونظرت إليها وسألتها، "إذاً، ما هو هذا العمل؟"

"حسناً، عرفت الجواب".

"عرفت أنكِ ستفعلين. قولي لي ما هو الجواب".

"تفجير نووي".

"أجـــل. أعتقد أنه في حوزة هذا الرجل سلاحاً نووياً. هذا ما كان هاري يريد أن يقوله. وهذا ما أعتقده".

"لكن لماذا؟ ماذا تقول؟"

"لست أدري، ربما ينوي ضرب بغداد، أو دمشق، أو طهران بالأسلحة النووية".

أجابـــت كايت، "أعتقد بأنك تبالغ يا جون. إننا بحاجة إلى المزيد من المعلومات، والمزيد من الأدلة".

"أجل، وقد نحصل عليها في وقت أقرب مما نعتقد".

أصغت من غير أن تردّ.

الفصل 26

كـــان الظلام دامساً عندما وصلنا إلى قرية راي بروك القريبة من المطار حيث حطت بنا الطائرة في ذلك الصباح.

بقـــدر مـــا كانت قريبة، فقد احتجنا إلى السير طويلاً لكي نصل إليها، واكتشفنا أموراً في رحلتنا لم نكن نتخيلها عند الساعة 9 من قبل الظهر عندما دخلنا مبنى بلازا 26 الفيدرالي.

كانـــت تلك الطريقة التي تسير وفقها الأمور في بعض الأيام. كانت معظم الأيام تمـــرّ بدون أحداث، وفي بعض الأيام، مثل 11 سبتمبر/أيلول 2001، كانت الأحداث تعصف فجأة.

فـــي هذا اليوم، يوم كولومبوس، خسرتُ صديقاً، ودخلت في مشاحنة عنيفة مع رئيسي، والتقيت بشخص صعب المراس، ربما يتبين أنه يخطط لإحداث مفاجأة نووية.

في يوم كولومبوس القادم، إذا كان سيأتي ذلك اليوم، سألعب مباراة فاصلة.

وجـــدنا مقـــر شـــرطة الولاية الإقليمي وثكنات رجال الشرطة في طرف البلدة، ودخلـــت المـــرآب. ســـألتُ كايت، "هل نملك صفة رسمية، أم أننا زائران، أو معاقان أخلاقياً؟"

"ابحث عن مكان مناسب".

لـــم أتمكـــن مـــن العثور على مكان مناسب، ولذلك أوقفت السيارة في الموقف الخـــاص بالموظفين. خرجنا من السيارة ومشينا نحو مبنى حديث ضخم مصنوع من الطـــوب وخشب الأرز. وشاهدت لافتة فوق الأبواب الأمامية تقول 'قسم الشرطة باء، شرطة ولاية نيويورك'.

دخلـــنا الـــردهة وعرّفنا الرقيب المناوب بأنفسنا وبدا أنه كان يتوقع مجيئنا. في الواقع على الأرجح أنه كان ينتظر مجيئنا طوال اليوم.

اتصل بالرائد شافير عبر الهاتف الداخلي، وطلب منا الانتظار.

كـــان هـــناك القليل من عناصر الشرطة الذين يدخلون ويخرجون، مرتدين ثياباً رماديـــة، وسترات شبيهة بالسترات العسكرية، مع حزام عند الخصر وقِراب مسدس،

وكانوا يعتمرون قبعات. يبدو أنه لم يطرأ تعديل على هذه البزات منذ أن كان تيودور روزفلت حاكماً لولاية نيويورك.

كما لاحظت أن جميع العناصر، بما في ذلك السيدات، كانوا طويلي القامة، فسألتُ كايت "هل تعتقدين بأنهم يولّدونهم؟"

كان المكان نظيفاً ومصقولاً كما لو كان منظمة برلمانية، والشيء الوحيد المشترك مع مبنى شرطة ولاية نيويورك كان لافتة 'التدخين ممنوع'.

كانت هناك رزمة من المناشير الدعائية على طاولة جانبية، فأخذت كايت - التي لا يمكنها مقاومة المنشورات الإعلامية - واحداً وقرأت بصوت عالٍ لتسمعني، "قسم الشرطة 'باء' هو المكلف بالمناطق الواقعة في أقصى الشمال، وهو يسيّر دوريات في أكبر منطقة جغرافية تعمل فيها الشرطة، والتي تبلغ مساحتها 20 ألف كيلومتر مربع، كما أنها أقل المقاطعات من حيث الكثافة السكانية في البلاد، وتتميّز بمسافاتها الشاسعة وفصول شتائها الطويلة".

"وهل يتباهون بذلك أم يشتكون منه؟"

تابعتْ القراءة، وقالت: "إن تسيير الدوريات في شمال البلاد يغذّي سمة خاصة من الاعتماد على النفس، وقسم الشرطة باء معروف بقدرته على التعامل مع أي وضع مع أدنى قدر من المساعدة".

"هل تعني عبارة 'أدنى قدر من المساعدة' أنه غير مرحَّب بنا؟"

"ربما، في حال كنت تنوي تصحيح أخطائهم النحوية". وتابعت القراءة، وقالت: "وبالإضافة إلى المهام التقليدية مثل التحقيق في الحوادث والجرائم، وتسيير دوريات داخل الولاية والاهتمام بالتفاصيل المتعلقة بالحدود الكندية، غالباً ما يُطلب إليهم البحث عن متريّضين تائهين في الأرياف، وإخلاء المصابين من المخيمات، وإنقاذ المسافرين المحتجَزين بسبب العواصف، والتحقيق في الانتهاكات المتعلقة بقانون صيد الأسماك والبريّة، والتجاوب مع المناقشات المحلّية والشكاوى الجرمية في الأماكن النائية".

سألتها، "هل يمكنهم المشي في ساوث برونكس؟"

قبل أن تفكّر في ردّ ذكي، دخل الردهة رجل طويل يبدو شديد البأس في بزة مدنية رمادية اللون وعرّف عن نفسه قائلاً: "هانك شافير". تصافحنا، ثم قال: "أنا آسف بشأن التحرّي هاري مولر. عرفت أنكم كنتم أصدقاء".

أجبته، "أجل، كنا أصدقاء".

"حسناً، أنا آسف جداً".

لـــم يظهـــر أن لديـــه الكثير ليقوله عدا ذلك، ولاحظت أن شافير لم يستقبلنا في مكتـــبه. غالـــباً ما تحدث مشكلات تتعلّق بالتعدي على مناطق النفوذ، والصلاحيات، والـــتدرّج فـــي الـــسلطة، وما إلى ذلك، ولكن كايت تعاملت بشكل جيد مع الموضوع بالقـــول: "لدينا تعليمات بأن نساعدك بكافة الطرق الممكنة. هل يوجد أي شيء يمكننا القيام به؟"

قـــال شـــافير: "يـــبدو أن رئيسكم والش في نيويورك يعتقد بأنه لا دخل لكم في القضية".

أجبـــته، "أعـــاد المسؤول في مكتب التحقيقات الفيدرالي والش التفكير في الأمر. ينبغـــي أن يكـــون قد اتصل بك". مشكلة تتعلق بالنفوذ. "إذن، يمكنك الاتصال به، أو يمكنك تصديقنا".

أجاب، "حسناً، اعملا على حلّ القضية. يمكنني نقلكما بالسيارة إلى المشرحة إذا شئتما ذلك".

لا يبدو أنه كان يعرف المكان الذي كنا فيه. قلت له: "انظر أيها الرائد، أنا أتفهم بأنك الرجل المسؤول، وأنك لست سعيداً بوجود عميل فيدرالي قتيل في عهدتك، وأنك علـــى الأرجح تلقيت اتصالات من نيويورك، والباني، وربما واشنطن، أكثر مما كنت تـــرغب. ونحـــن لـــم نأتِ إلى هنا لكي نـــزيد من صعوبات حياتك. إننا هنا من أجل المساعدة. ومن أجل تبادل المعلومات، أريد أن أقول لك بأن لديّ صديقاً متوفى وممدداً في المشرحة".

فكّـــر شـــافير في كلامي وقال: "يبدو أن في استطاعتك شرب فنجان من القهوة. اتبعني".

مـــشينا خلفـــه عبر ممر طويل ودخلنا كافتيريا كبيرة. كان يوجد حوالى عشرة أشخاص من الرجال والنساء الأنيقات في الزيّ الرسمي والمدني موزعين فيها، ووجد شافير طاولة شاغرة في إحدى الزوايا.

جلـــسنا، وبدأ الحديث بالقول: "هذا اجتماع غير رسمي، وأمام الناس في مقهى، لتبادل المجاملات، وتقديم التعازي، بدون وجود أوراق على الطاولة".

"فهمت". بدا أن شافير رجل صريح يمكنه الإكثار من المجاملات بدون سبب عدا رؤية ما يمكنه الحصول عليه بالمقابل.

دخلـــت إلـــى صـــلب الموضـــوع مباشرة وقلت: "الشكل أشبه بحادثة عرضية، والرائحة أشبه بجريمة قتل".

أومأ برأسه إيماءة خفيفة وسألني، "من يرغب في قتل هذا الرجل؟"

أجبته، "أعتقد أنه باين مادوكس. لا بدّ وأنك تعرفه".

بدا مصدوماً، وسألني "أجل، ولكن لماذا؟"

"أنت تعرف بأن هاري مولر كان في مهمة في نادي كاستر هيل".

"أجـل. لقـد عـرفت ذلـك بعد أن بلغنا أمر اختفائه وبعد أن طلب الفيدراليون المـساعدة في البحث عنه". ونصحنا بالقول: "سيكون عملاً لطيفاً منكما لو أحطتماني علمـاً بما تتوصلان إليه في وقت مبكر. فكما تعرف، الأمر أشبه باللياقة، كما أن هذه منطقة صلاحياتي".

أجبته، "لن أجادلك في ذلك".

قـال شافير: "انظر، أنتما لستما الشخصين اللذين أحتاج إلى تقديم شكوى بهما، ولكـن مـا مـن مرّة تعاملت فيها مع مكتب التحقيقات الفيدرالي..." نظر إلى كايت وأضاف، "إلاّ وشعرت وكأني غارق في الثلج".

"هـذا صـحيح، وأنا أيضاً. أنت تعرف أنه خلف أوراقي الثبوتية الفيدرالية، أنا شرطي قلباً وقالباً".

أجـاب، "أجل، ولكن دعني أقول لك بأن حالي لم يكن أفضل عندما تعاملت مع شرطة ولاية نيويورك أيضاً".

ابتسمت زوجتي الوفية، وقالت: "أنا وجون متزوجان، ولذلك فأنا أوافقك الرأي".

بالكاد ارتسمت ابتسامة على وجه شافير، ثم سأل، "إذاً، قل لي ماذا كان يُفترض بهاري أن يقوم به في أرض كاستر هيل".

أجبته، "عملية مراقبة. كان يوجد تجمّع هناك في عطلة نهاية هذا الأسبوع، وكان من المفترض أن يقوم بتصوير الضيوف القادمين ولوحات سياراتهم".

"لماذا؟"

"لست أدري. ولكن يمكنني أن أقول لك بأن وزارة العدل مهتمة بالسيد مادوكس ورفاقه". وسألته، "هل أطلعك أحد على أية معلومات عن هذا الموضوع؟"

"لم أُخبَر بالكثير. سمعت كلاماً فارغاً يتعلق بالأمن القومي".

كـلام فارغ؟ هل يبدو ذلك كلاماً فارغاً؟ ربما لم يدلِ هذا الرجل بالقسم. ولكنني تذكـرت بأنـه ينبغـي عليّ الحذر في اختيار كلماتي، وقلت له: "الفيدراليون مليئون بـالكلام الفارغ، وهم جيدون في الوظائف الثلجية، لكن سأقول لك أمراً عليك أن تبقيه بيننا، ربما يكون للأمن القومي دخل في هذه القضية".

"حقاً؟ وكيف ذاك؟"

"لست أدري. ولكي أكون صادقاً معك، هذا ما نسمّيه بالموادّ الحساسة، وما لم تكن بحاجة إلى معرفتها، فلا يمكنني إطلاعك عليها".

لم أكن متأكداً إن كان سيقدّر الصراحة أم لا، ولكنني نفخت بعض الثلج عليه، وقلت: "أنا أفهم تماماً أن رجالك مكلّفون بتسيير دوريات في منطقة شاسعة، مساحتها حوالى 20 ألف كيلومتر مربع، وأنك تعتمد على إمكاناتك الذاتية وأنك بحاجة إلى... أدنى قدر من المساعدة من الخارج".

ركلتني كايت من تحت الطاولة فيما كنت أتابع إمطاره بالثلج، وقلت: "إننا هنا من أجل المساعدة في حال احتجت إلى مساعدة، وأنا لا أعتقد بأنك كذلك. ولكننا بحاجة إلى مساعدتك، وخبرتك، ومواردك".

كنت سأتفوه بالمزيد من الكلام الفارغ لو احتجت إلى ذلك، ولكن بدا أن الرائد شافير تنبّه إلى أنني أمطره بالثلج. وبالرغم من ذلك قال: "حسناً، أتريد فنجاناً من القهوة؟"

"يبدو عرضك جيداً".

أشار إلينا أن نبقى جالسين وذهب إلى منضدة القهوة.

قالت كايت: "أنت مليء بالقذارة".

"هذا ليس صحيحاً. أنا أتكلم من صميم قلبي".

"أنت تتكلم بناء على منشور العلاقات العامة الذي قرأتُه عليك للتوّ، والذي كنت تسخر من محتواه".

"أوه... هل هذا هو مصدر معلوماتي؟"

أشاحت بناظريها، ثم قالت: "لا يبدو أنه يعرف الكثير، وفي حال كان يعرف شيئاً، فهو لا يريد مشاركتنا به".

"إنه مغتاظ قليلاً لأن مكتب التحقيقات الفيدرالي يمطره بالثلج. وبالمناسبة، إنه لا يقسم، ولذلك عليك أن تتنبّهي للغة التي تخاطبينه بها".

"لغتي أنا؟"

"ربما لا يقسم أمام السيدات. لديّ فكرة ربما سيكون أكثر انفتاحاً لو لم تكن توجد عميلة من مكتب التحقيقات الفيدرالي. لماذا لا تغادرين المكان؟"

"لماذا لا تغادر أنت المكان؟"

"هيا..."

عاد شافير إلى طاولة حاملاً صينية من فناجين القهوة وجلس.

وقفت كايت مرغمة، وقالت: "أريد إجراء بعض المكالمات الهاتفية، وسأعود بعد عشر دقائق". وغادرت بعد ذلك.

صبّ شافير القهوة من إبريق معدني في كوبين مصنوعين من البورسلان، وقال لي: "حسناً، قل لماذا تعتقد أن باين مادوكس، المواطن المليء الذي يملك مليار دولار في المصرف، وربما أحد أعضاء الحزب الجمهوري، يقدم على قتل عميل فيدرالي؟"

شعرت بأن الرائد شافير لا يشاركني شكوكي، ولذلك قلت: "إنه مجرّد حدس".

"هل يمكنك أن تكون أكثر دقّة؟"

لم يكن في مقدوري ذلك في الحقيقة، ولكنني قلت له: "أنا أستند في شكوكي إلى حقيقة أن مادوكس كان آخر شخص رأى هاري حياً".

قال لي: "كنت آخر شخص رأى حماتي حيّة قبل أن تنزلق على الجليد وتكسر جمجمتها".

أردت أن أساله المزيد عن تلك الحادثة، ولكنني قلت: "كنت أعمل محققاً جنائياً، وأنت تطوّر حساً بهذه الأشياء". وأضفت، "ذهبت وكايت إلى نادي كاستر هيل، وتحدثنا إلى هذا الشخص الذي يسمى مادوكس".

"أجل؟ وماذا حصل بعد ذلك؟"

"إنه شخص ماكر. هل التقيتَ به؟"

"بضع مرّات. في الواقع، ذهبت في رحلة صيد معه".

"لا بدّ وأنك تمزح".

"إنه يريد المحافظة على علاقة جيدة مع شرطة الولاية ومع الشرطة المحلّية، على غرار الكثير من الأشخاص الأثرياء هنا. فهذا يجعل حياتهم أسهل وأكثر أمناً".

"هذا صحيح. ولكن هذا الشخص يملك جيشاً خاصاً به".

"أجل. وهو لا يوظف أحداً يعمل في وظيفتين ولا شرطياً متقاعداً، وهو الأمر الذي يفعله معظم الأثرياء. كما أن رجاله ليسوا من السكان المحلّيين، ولا علاقة لهم بتنفيذ القانون، وهو أمر غير عادي بعض الشيء بالنسبة إلى شخص يريد أن يبقى على علاقة وطيدة بالشرطة".

أومأت برأسي وقلت: "يبدو المكان بأكمله غير عادي".

"أجل... ولكنهم لا يسببون لنا أية مشكلات بل يبقونها لأنفسهم. والشرطة المحلّية تتلقّى القليل من الاتصالات كل عام لكي تستلم شخصاً تجاوز حدود الأرض أو صياداً

قطع السياج وأُلقي القبض عليه". وأضاف، "لكن لم يسبق أن رفع مادوكس أية دعاوى قضائية".

"إنه شخص لطيف". وفي ما يتعلقُ بهاري قلت: "ربما يعمد إلى قتل الناس الذين يرون شيئاً لا يُفترض بهم رؤيته. هل جرى الإبلاغ عن أشخاص مفقودين؟ هل وقعت حوادث مريبة؟"

"هل هذا سؤال جدّي؟"

"أجل".

فكّر في الجواب وقال: "حسناً، هناك دائماً أشخاص مفقودون، وحوادث صيد يمكن أن تكون شيئاً آخر... ولكنني لا أعرف قضية على علاقة بمادوكس أو ناديه". وأضاف، "سأطلب إلى أحدهم التحقق من الأمر".

"هذا جيد". وسألته، "هل حصلتَ على مذكرة تفتيش لأرض نادي كاستر هيل؟"

"أجل".

"دعنا إذن ننفّذ المذكرة".

"هذا غير ممكن. المذكرة كانت للبحث عن شخص مفقود. ولكننا عثرنا على ذلك الشخص خارج تلك الأرض".

"هل علم مادوكس بذلك؟"

"من أين له أن يعرف حتى أنه تم الحصول على مذكرة تفتيش؟ أو أن شخصاً ما ربما يكون مفقوداً في أرضه؟" وأضاف، "كنت على وشك الاتصال به لأطلب إليه التعاون معنا بشكل طوعي، ولكن وردتنا مكالمة من مجهول قادتنا إلى العثور على الجثة". وسألني، "هل أخبرتَه بشأن الشخص المفقود؟"

"أجل. ولذلك دعنا ننفّذ مذكرة التفتيش".

ذكّرني الرائد شافير بقوله: "لقد تم العثور على ذلك الشخص".

اعتقدت بأنه ربما يؤمن بفلسفتي فقلت: "في بعض الأحيان، يحول القانون دون معرفة الحقيقة وتطبيق العدالة".

"ليس تحت إمرتي أيها التحرّي". وأضاف، "أما وقد أخبرته بشأن الشخص المفقود، فسأطلب إلى أحد رجال الشرطة إبلاغه بأنه تم العثور عليه".

كنت متأكداً من أن هذا الشخص خدم مرّة في كشافة النسور، ولم أشأ إبراز أوجه الاختلاف بين شرطي من مدينة نيويورك وشرطي من أفراد شرطة الولاية، ولذلك قلت: "حسناً، علينا أن نفكر في شيء لإقناع القاضي بإصدار مذكرة تفتيش جديدة".

أجابني، "إننا بحاجة إلى إيجاد صلة سببية بين الجثة التي عثرنا عليها في منتزه الـولاية ونـادي كاستر هيل. وبدون توفر تلك الصلة، لن يمكنني الطلب إلى المدعي العـام أن يسأل القاضي إصدار مذكرة تفتيش". وسألني، "هل يوجد لديك دليل عن أن التحرّي مولر كان في الأرض فعلاً؟"

"لدي دليل غير قاطع".

"حسناً، إذاً لا توجد صلة".

"حـسناً، لديـنا المكالمة الهاتفية التي أجراها شخص مجهول والتي أرشدتنا إلى مكان الجثة. والمجهول شخص مشبوه. كما أنه يوجد دليل ظرفي قوي يؤكد أن هاري كان في تلك الأرض".

"ما هو هذا الدليل؟"

"المهمة التي كان مكلفاً بها". وشرحت له المكالمة الهاتفية التي جرت عند الساعة 7:48 مـن بعـد ظهر يوم السبت، وقرب مكان هاري من الأرض، والمسافة البعيدة المـريبة التي تفصل بين مكان سيارته المقطورة وأرض النادي، وظروفاً أخرى زدت من أهميتها قليلاً.

أصـغى إلـيّ شافير، ثم هزّ كتفيه استهزاءً، وقال: "هذا ليس كافياً لوضع باين مادوكس في دائرة المشبوهين وليس كافياً لكي أطلب إصدار مذكرة تفتيش".

"فكر في الأمر". لم يكن يساورني شك في أن مكتب التحقيقات الفيدرالي سيطلب إلـى أحد القضاة إصدار مذكرة، ولكن ذلك قد يحدث في وقت متأخر جداً. وبدا أنني سـأحتاج إلى إصدار مذكرة ليلية بنفسي، أعني الخلع والدخول. لم أقم بهذا الأمر منذ مدة، ويمكن أن يكون مسلّياً، لولا وجود الجيش الخاص بمادوكس، والأمن الإلكتروني، وكلاب الحراسة.

سألني شافير، "ماذا تظن أنك ستجد في تلك الأرض؟"

"لست أدري".

"القـضاة لا يحـبّون بعثات صيد الأسماك. فكّر في شيء تريد البحث عنه. هل شاهدت أي شيء في أرضه أو في بيته يمكن إبلاغ المدّعي العام به؟"

أجبـته، "رأيـت فـي أرضه حراساً أكثر من الحراس الموجودين في مزرعة الرئيس".

"هذا ليس أمراً مخالفاً للقانون".

"أجـل. حسناً، أعتقد بأننا بحاجة إلى العمل على القضية". وسألته، "لِمَ لا تُخضع تلك الأرض لمراقبة سرّية؟"

"ما هو الشيء الذي أبحث عنه؟"

"مـــراقبة الداخلين والخارجين، بما في ذلك مادوكس". وذكّرته بالقول "أنت لست بحاجة إلى إذن لكي تجري عملية مراقبة؛ بل تحتاج إلى الشك فقط".

"أشكرك على هذه النصيحة. أجل، حسناً، الشك الوحيد الذي يساورني هو في ما تخبرنـــي به". فكّر للحظة ثم سألني، "هل ترغب في إخافة هذا الرجل؟ أعني هل تريد تنفيذ عملية مراقبة مكشوفة أم سرّية؟"

أجبته، "سرّية، مثل قاطعي الأشجار الذين يراقبون الطريق ومحيط المكان".

"حـــسناً، ولكـــن عليّ إبلاغ شرطة المقاطعة والتنسيق معها، وعليّ أن أقول لك إنني أعتقد بأن لدى مادوكس أصدقاء في مكتب الشريف".

فكّرت في الأمر. بدا كما لو أن السيد باين مادوكس سيد القرية وأن مجسّاته تمتدّ لمسافات طويلة، وهو ما يدل عليه اتصال رودي بنادي كاستر هيل. سألته، "وهل لدى مادوكس أصدقاء في هذا المكتب أيضاً؟"

أجاب بدون تردد، "ليس تحت إمرتي".

"أجل". لكن كيف لي أن أعرف؟

قلـــت لشافير: "إذا كنت تعتقد بأنه يوجد شخص وثيق الصلة بمادوكس في مكتب الـــشريف، يـــبدو لـــي أنـــك تستطيع تنفيذ عملية المراقبة بضمير مرتاح بدون إبلاغ الشريف".

"كلا. عليّ أن أحل المشكلة مع الشريف، لا إيجاد مشكلة أخرى".

"أنت على حقّ". لم نكن حتى على كوكب واحد. فالرائد شافير يقود سفينة نظيفة بإحكام، وهو أمر جميل، ولكنه ليس مناسباً في هذه المرحلة. قلت له: "إننا بحاجة فعلاً إلى تنفيذ تلك المراقبة".

"سأدرس ما يمكنني القيام به".

"هذا رائع". وفي هذا الوقت المتأخر قلت له: "لقد ذهبت وكايت إلى المشرحة قبل وصولنا إلى هنا".

بدا متفاجئاً، ولكنه سأل، "هل اكتشفتما أي شيء جديد؟"

"تحدثت إلى الفاحصة الطبّية؛ الدكتورة غليسون. وأعتقد بأنه يجدر بك أن تتحدث إليها".

"سأقوم بذلك. وفي هذه الأثناء، قل لي ما هي النتائج التي توصلتْ إليها؟"

"حسناً، يبدو أن التحرّي مولر تعرّض لبعض الإساءات البدنية قبل وفاته".

فكّر في ما قلت، ثم سألني، "ما هو نوع تلك الإساءات البدنية؟"

"أنـا لـست فاحصاً طبّياً". وأضفت من غير أن أصدقه القول: "ذهبت إلى هناك لمجرّد التأكد من هوية صاحب الجثة ووداع صاحبي".

أومأ برأسه، وقال لي: "سأتكلم معها هذه الليلة".

قلـت لـه: "وجدت ما يبدو أنه ألياف من بساط وشعرات كلب". وشرحت له ما اكتـشفته الدكـتورة غليـسون، ثم قلت: "إذا كانت لا تتطابق مع البساط الموجود في الـسيارة المقطـورة، فقـد تتطابق مع بساط في نادي كاستر هيل". وأضفت، "كما أن هاري لا يمتلك كلباً".

أومـأ برأسـه، وقـال: "حسناً، إذا حصلنا على مذكرة تفتيش، فسنتحقق من ذلك".

كان لدى الرائد شافير خطط بعيدة المدى لما كان يعتقد بأنه تحقيق وجيز، ولذلك قلـت لـه "سينتهي بك الأمر إلى مشاركة عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي، وهم لا يحبون مشاركة أحد، كما أنهم لا يجيدون اللعب مع الآخرين".

ذكّرني قائلاً: "إن جريمة القتل، وإن كان ضحيتها عميل فيدرالي، جريمة وقعت ضمن ولاية، ولذلك فهي ليست جريمة فيدرالية".

"أنا أعرف ذلك يا حضرة الرائد. ولكن في النهاية، ربما يتم إجراء محاكمة على صـعيد الـولاية للقاتـل، ولكن مكتب التحقيقات الفيدرالي سيحقق في تعرّض عميل فيدرالـي للاعتداء، وهو ما يعتبر جريمة فيدرالية". وأضفت، "والمحصلة النهائية هي نفسها سيأتون إلى هذا المكان، وسيتولّون هذه القضية عمّا قريب".

أجاب الرائد شافير، "القضية لا تزال قضيتي".

"هذا صحيح". كان ذلك أشبه ببارون محلّي يقول لجيش غازٍ بأنه تجاوز أرضه. قلـت: "وبمـا أن الدكـتورة غليسون لن تقوم بتشريح الجثة، فسيصار إلى نقلها إلى نيويورك سيتي".

"لا يمكنهم القيام بذلك".

"أيهـا الـرائد، فـي مقدورهم فعل ما يريدون. ولديهم كلمتان سحريتان؛ الأمن القومي. وعندما يستخدمون هاتين الكلمتين السحريتين، تتحول شرطة الولاية والشرطة المحلّـية إلـى..." كـنت أنوي أن أقول: "إلى كلاب صغيرة"، ولكن كان ذلك سيثير غضبه، ولذلك قلت: "إلى حجر".

نظر إليّ ثم قال: "سننظر في ذلك".

"أجل. أتمنّى لك حظاً موفقاً".

سألني، "ما هو وضعك الحقيقي في هذه القضية؟"

أجبته، "أمامي سبعة أيام لكي أحلّ القضية".

سألني، "وكيف حصلت على سبعة أيام كاملة؟"

"قمت بمراهنة توم والش".

"ماذا كان الرهان؟"

"راهنت على وظيفتي".

"وزوجتك؟"

"كلا، لم أراهن عليها".

"أعني هل راهنتْ على وظيفتها؟"

"كــلا، إنها عميلة في مكتب التحقيقات الفيدرالي. عليها أن تطلق النار على أحد المسؤولين لكي تصبح وظيفتها في خطر".

أجبرته على الابتسام. قال شافير: "أنا لا أعتقد بأنك ستتمكن من حل القضية في غضون سبعة أيام، ما لم يتقدم أحد ببلاغ ما إلى الشرطة".

"ربما لا. هل لديك وظائف شاغرة؟"

ابتسم مجدداً وقال: "أعتقد بأنك تجاوزت سنّ التوظيف في شرطة الولاية. ولكن الــشرطة المحلّــية تــبحث دائمـــاً على أشخاص من ذوي الخبرة من أبناء المدينة". وأضاف، "ستحبّ الحياة هنا".

"أجـــل، أعرف أنني سأحبها. فأنا أشعر وكأنني رجل جديد منذ الآن". وبغرض تغيير الموضوع سألته، "أين ذهبت إلى الصيد مع مادوكس؟"

"في أرضه".

"هل رأيت أي شيء؟"

"أجل. رأيت الأشجار". وأضاف، "التقينا في منــزله. إنه مكان كبير. ثم انطلقنا لــصيد الغــزلان. كـــنا ستة أشخاص، أنا ومادوكس، وأحد الرقباء لديّ، وثلاثة من أصـــدقائه مـــن أبـــناء المديـــنة". وأضـــاف، "تناولنا طعام الغداء في الغابة، وتناولنا المشروبات لدى عودتنا إلى نادي الصيد".

"هل لاحظت أي شيء غير اعتيادي؟"

"كلا. هل لاحظت شيئاً من ذلك القبيل؟"

أجبته، "كلا، باستثناء الإجراءات الأمنية". وسألته، "هل رأيت السياج الذي يحيط بالأرض؟"

"لمحـــته فقط. إنه محاط بالأضواء الكاشفة، كما لو كان معسكر اعتقال، باستثناء أن هـــذه الأضـــواء تحـــرّكها أجهزة الاستشعار". وأضاف، "لدى مادوكس أيضاً برجٌ خاصٌ به لترحيل الموجات الخليوية".

"لماذا؟"

"إنه ثري".

"أجل. متى جرت عملية الصيد؟"

"قبل موسمين".

"أتعني موسمي صيد؟"

"أجل. لدينا موسم للصيد، وموسم للتزلج، والوحل، والفيضانات، وموسم للذباب، ثم موسم لصيد السمك".

عـــندما غـــادرت المدينة، كان موسم حفلات الأوبرا والباليه. قلت له: "يمكن أن يبقى المرء مشغولاً هنا".

"أجل، إذا كنت تحب قضاء الوقت خارج المنـــزل".

"أحـــب الأجواء الخارجية. وبالمناسبة، رأيت خريطة لأرض نادي كاستر هيل، ورأيت بعض المباني الخارجية البعيدة عن نادي الصيد. ما هي طبيعة تلك المباني؟"

فكّـــر للحظـــة ثـــم قـــال: "حسناً، أنا أعرف بأن أحد هذه المباني عبارة عن مهجع للحراس. كما يوجد مبنى يشبه مخزن الغلال لمركباته. وهناك مبنى لمولّدات الكهرباء".

"مولّد كهربائي؟"

"أجل. لديه ثلاثة مولّدات كهربائية تعمل على الديزل".

"وما حاجته إليها؟"

أجاب شافير، "يمكن أن يحدث انقطاع في التيار الكهربائي عندما تهبّ العواصف الثلجية. ولدى غالبية الناس شكل من أشكال المولدات الاحتياطية".

"أجل. وهل شاهدت هذه المولدات؟"

"كلا. إنها في مبنى حجري". وأضاف "إن الرجل المقيم في بوتسدام والذي يؤدي خدمات الصيانة لمولّد الطوارئ هنا يقوم بصيانة مولدات نادي كاستر هيل".

تذكّرت أنني رأيت ثلاثة كابلات غليظة على الأعمدة الخدمية في أرض مادوكس ولذلك سألت، "لماذا يحتاج هذا المنـــزل إلى هذا المقدار الكبير من الطاقة؟"

فكّـــر للحظـــة ثـــم أجـــاب، "لست متأكداً من مقدار الطاقة التي يمكن لكل مولّد إنـــتاجها، وأعـــتقد بأنـــه يـــستخدم مولّداً أو اثنين كاحتياطي في حال تعطل أحد هذه

المـــولّدات. ولكـــنك أثرت نقطة هامة. وسأحاول معرفة مقدار الطاقة التي تنتجها هذه المولّدات".

"حسناً".

"ما الذي تفكر فيه؟"

"بـــصراحة، لـــست أدري". ولكـــن هـــذه المولدات قادتني إلى السؤال، "ما هي الأحاديث التي يتبادلها الناس حول نادي كاستر هيل؟"

نظـــر إلـــيّ وسألني، "هل تحقق في جريمة قتل أم في الأماكن التي توقف فيها صديقك؟"

"أنا محقق جنائي، ولكنني فضولي. وأحب الشائعات".

أجابنـــي، "حسناً، هناك الشائعة المعتادة. جميع الناس من المعربدين والسكارى، إلى الأثرياء غريبـــي الأطوار، يراقبون أظفاره وهي تنمو".

"أجل". وسألته، "هل يزور مادوكس البلدة؟"

"لا يكـــاد يـــزورها. ولكن يمكن أن تراه بين الحين والآخر في سارناك لايك أو لايك بلاسيد".

"هل سبق أن شاهد أحد السيدة مادوكس؟"

"لا أعرف، فهي بعيدة عن الأضواء منذ زمن بعيد".

"هل له خليلة؟"

"لا أعرف أن لديه صديقة".

"أخلاّء؟"

قـــال الـــرائد شـــافير: "أثـــار إعجابي بوصفه رجلاً مهذباً، ولكنه رجل يتباهى برجولته. ما هو رأيك؟"

"الـــرأي نفـــسه. أعتقد بأنه في فريقنا". ثم سألته، "هل تعرف عدد مرات زيارته للنادي؟"

"لَيـــست لدي أدنى فكرة. في العادة، يتم إبلاغ الشرطة المحلّية أو شرطة الولاية عندما يرحل المقيمون في بيت صيد ضخم، أو في مخيّم كبير، لكي تقوم الشرطة بمراقبة المكـــان، ولكن لدى مادوكس حرّاس يعملون بدوام كامل، وعلى مدار الساعة وطوال أيام الأسبوع". وأضاف "وعلى حدّ علمي، لم يسبق أن تُرك ذلك المكان بدون حراسة".

كـــنت قـــد تكهنت بذلك بناء على ما قاله لي مادوكس، والآن تأكد ظنّي. سألت الـــرائد شـــافير "هـــل أشـــار أحد إلى أن نادي كاستر هيل يعني شيئاً عدا كونه نادياً خصوصياً لصيد الحيوانات والأسماك؟"

احتسى القهوة فيما كان يمعن في التفكير، ثم أجاب، "حسناً، عندما كان يجري بناء المنزل، قبل عشرين سنة تقريباً - أي قبل عشر سنوات من قدومي إلى هنا - سمعت بأنه لم يجرِ التعاقد مع أي من المقاولين المحلّيين. وتحدثت الشائعات عن أن المقاولين الذين كانوا يبنون المكان شيّدوا ملجأ يحمي من الغبار الذرّي، وسياجاً بطول خمسة وعشرين كيلومتراً، وهو ما تبين أنه خبر صحيح، وهوائيات لاسلكية، وأجهزة أمنية في محيط الأرض، وهو ما تبين بأنه صحيح أيضاً. وأعتقد بأنه جرى تركيب مولّدات الديزل حينها أيضاً. وتحدثت الشائعات عن أن أشخاصاً غرباء يأتون ويذهبون، وعن شاحنات نقل كانت تصل في منتصف الليل، وما إلى ذلك". وأضاف، "وكما تعرف، يتوفر لدى السكان القرويين الكثير من الوقت والمخيّلة الواسعة. ولكن بعض الأخبار التي يتناقلونها كانت صحيحة".

"أجل. إذاً، ماذا يقول الناس بشأن النشاطات التي تحدث هناك؟"

"حسناً، حصلت على تلك المعلومات بطريقة غير مباشرة... ولكن ذلك حدث أثناء الحرب الباردة، ولذلك اعتقد كثير من الناس بأن النادي كان عبارة عن منشأة حكومية سرّية". وأضاف "وأعتقد بأن هذا افتراض منطقي بالنظر إلى حجم المشروع، وما كان يدور في أذهان الناس حينها".

"لكن ألم يفكر أحد في السؤال عن ذلك؟"

أجاب، "وفقاً لفهمي للموضوع، لم يكن هناك أحد لكي يسأل كانت النشاطات تجري هناك سرّاً. ولم يكن أحد ليأبه كثيراً لو أنكر أحد العاملين في المشروع حينها أن يكون المنشأ تابعاً للحكومة". وأضاف، "يميل السكان المحلّيون إلى التحلّي بالوطنية، وبما أنهم كانوا يعتقدون بأن المكان عبارة عن منشأة حكومية سرّية، فقد تغلّبوا على شعورهم بالفضول وبقوا بعيدين عن المكان".

أومأت برأسي، فتلك كانت ملاحظة مثيرة. أعتقد بأنك إذا كنت ثرياً تبحث عن الأمن والخصوصية، فقد ترغب في الترويج لفكرة مفادها أن تلك منشأة حكومية سرّية تعمل تحت غطاء نادٍ خصوصي. وكانت تلك فكرة جيدة بقدر ما كانت فكرة بناء سياج بطول خمسة وعشرين كيلومتراً. قلت لشافير: "ولكنني أفترض الآن بأن الجميع يفهم بأنه نادٍ خصوصي لصيد الحيوانات والأسماك".

أجاب، "لا يزال هناك القليل من الناس الذين يعتقدون بأنه منشأة حكومية سرّية".

يمكنني أن أرى مزية لمادوكس في المحافظة على حياة سرّية.

تابع الرائد شافير حديثه وقال: "انظر، إن إحاطتك لأرضك بسياج وأجهزة أمنية، أو توظيف حرّاس خصوصيين، أو حتى ممارسة العربدة الرومانية السرّية ليست عملاً

مخالفـــاً للقانون. والأشخاص الأثرياء يقومون بأعمال أكثر غرابة من ذلك. إن الهوس والغرابة ليسا أمرين مخالفَين للقانون".

قلت للرائد شافير: "اللعبة لا تقتصر على الهوس والغرابة".

"أوافقـــك الرأي، ولكن إذا كان باين مادوكس متورطاً في أحد أشكال النشاطات الإجرامية، فأنا لا أعرف شيئاً عنه". ونظر إليّ وقال: "إذا كنت تعرف معلومات أكثر مما تطلعني عليه، فهذا هو الوقت المناسب لكي تطلعني على كل ما لديك".

أجبته، "كل ما قيل لي هو أن له علاقة بعمليات التلاعب بأسعار النفط".

فكّـــر للحظـــة. كـــان في مقدوري ملاحظة أنه يعاني من المشكلات نفسها التي عانـــيت منها عندما سمعت هذا الكلام الفارغ من والش. قال لي: "إذاً، أنت تعتقد بأن بـــاين مادوكس، أحد الأثرياء في صناعة النفط، قتل عميلاً فيدرالياً كان يقوم بمراقبة روتينـــية للضيوف القادمين إلى النادي والذين يمكن أن يكونوا متورّطين في مؤامرة للتلاعب بأسعار النفط؟" وأضاف، "يبدو لي أن هذه نظرة متطرفة، ألا تعتقد ذلك؟"

"أجل، حسناً، إذا شرحتَها في هذا السياق..."

"وما هو السياق الآخر لشرح تلك النظرة؟ وما علاقة ذلك بالأمن القومي؟"

كـــنت ســـعيداً لأنـــه كان يصغي إليّ بانتباه، ولكنني لم أكن سعيداً لسماعي ذلك السؤال. كان الرجل جائعاً وكان بحاجة إلى شيء ليمضغه، ولكنني لم أكن لأخبره عن المعلـــومات البـــسيطة التـــي لها علاقة بمسألة نووية، ولذلك قلت متصنّعاً: "انظر يا حـــضرة الـــرائد، الـــنفط أكثـــر أهمية من النشاطات السوداء الخطرة. أعني أن باين مادوكس لا يعمل في صناعة العباءات. وعندما يكون للنفط علاقة بالموضوع، يصبح كل شيء ممكناً، بما في ذلك ارتكاب جريمة قتل".

لم يعلق على كلامي، ولكنه استمرّ في النظر إليّ.

قلت له: "دعنا نركّز على التحقيق الجنائي. إذا كان في مقدورنا توريط مادوكس، فقد يقودنا ذلك إلى أشياء أخرى".

"حسناً، هل يوجد شيء آخر؟ أنا بحاجة إلى العمل على هذه القضية".

نظرتُ إلى ساعتي، وقلت: "أودّ الذهاب إلى مسرح الجريمة الآن".

أجابني، "الظلام شديد. سآخذك إلى هناك في الصباح".

"هل يمكننا إنارة المكان هذه الليلة؟"

"لقـــد أمرت بتأمين المكان، ولا يوجد أحد من أعضاء فريق التحقيق في مسرح الجـــريمة هناك، كما أن التوقعات لا تشير إلى احتمال انهمار المطر أو تساقط الثلج. اتصل بي عند الساعة السابعة صباحاً، وسنقوم بزيارة المكان".

"ربما لو ألقيتُ نظرة سريعة..."

"إنــك تسير بسرعة عالية أيها التحرّي. تناول العشاء مع زوجتك في مطعم ما. هل يوجد لديك مكان تقيم فيه؟"

"أجل، ذي بوينت".

"أنت تنــزل في ذي بوينت؟"

"حسناً، ... أجل".

"هــل لديكم مشكلة في كيفية صرف الأموال الفيدرالية؟ كل ما حصلت عليه من واشنطن كان بعض أجهزة اللاسلكي الحديثة، وكلباً لشمّ رائحة القنابل ولكنه يعاني من الحساسية".

ابتسمت وأجبت، "حسناً، أنا لا أعتقد بأن الإرهاب قضية كبيرة هنا".

"ربما ليس الإرهاب العربي، ولكن يوجد لدينا مجانين محلّيون هنا".

لم أعلق على كلامه.

"هــل هذا ما تقوم به زوجتك هنا؟ التحقق من نشاطات غرباء الأطوار المنتمين إلى الجناح اليميني؟"

"لا يمكنني التعليق على ذلك".

اعتبــر شافير ردّي بمثابة إقرار بما قال، وقال لي: "عندما عُيّنت هنا قبل عشر سنين، تقريباً، قدِم بعض عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي للسؤال عن باين مادوكس".

كــان ذلــك خبــراً مثيــراً للاهتمام. سألته، "ما هو الشيء الذي كانوا يريدون معرفته؟"

"قالوا إنهم يجرون تحقيقاً عن ماضيه لأنه كان مرشحاً لمنصب حكومي".

إنــه الكــلام الفارغ التقليدي عندما تستقصي معلومات عن شخص بسبب قيامه بنــشاطات إجــرامية، ولكــن يمكن أن يكون صحيحاً أيضاً. في حالة باين مادوكس، يمكنني التصديق أنه كان مرشحاً لنيل منصب حكومي، بقدر ما يمكنني التصديق بأنه يجري التحقيق بأمره لأسباب تتعلق بنشاطات إجرامية. في هذه الأيام، ليس ضرورياً أن يحول أحد التحقيقين دون إجراء التحقيق الآخر. سألت شافير "هل حصل على ذلك المنصب؟"

"لم يحصل عليه بحسب علمي". وأضاف، "أعتقد بأنه كان يوجد شيء آخر يجول في عقولهم". سألني، "إذاً، ماذا كانت حقيقة نوايا هذا الشخص؟"

"أعــتقد بأنه يبحث عن تعيين رئاسي في لجنة تابعة للأمم المتحدة تُعنى بظاهرة الاحتباس الحراري".

"هل هو معها أم ضدها؟"

ابتسمت بأدب، وقلت: "كل شيء جيد بالنسبة إلى باين مادوكس سيكون جيداً بالنسبة إلى الكوكب".

وقف شافير وقال: "لنذهب للبحث عن زوجتك".

وقفت، وغادرنا الكافتيريا، وتوجهنا نحو الردهة. خطرت ببالي فكرة ولذلك سألته، "في ما يتعلق بالشائعات القديمة، هل ذكر أحد على وجه التحديد ما هو نوع المنشأة الحكومية السرّية التي كان يجري تشييدها هناك؟"

"أتريد العودة إلى الحديث عن نادي كاستر هيل؟"

"عودة وجيزة وحسب".

"وهل سيساعد ذلك التحقيق الجنائي؟"

"ربما، ومن يدري".

قال: "حسناً، كان هناك الكثير من التخمينات حول ما كانت الحكومة تقوم ببنائه".

"هل لك أن تذكر مثالاً على تلك التخمينات؟"

"حسناً، دعني أُفكر؛ معسكر التدريب على البقاء، منزل آمن، برج لإطلاق الصواريخ، كلّية للبحرية، محطة إذاعية". وأضاف، "والسبب يرجع إلى تلك الأجهزة الإلكترونية والهوائيات".

"هل تعاني المنطقة من الكثير من التشويش الإلكتروني؟"

"لا يوجد تشويش على الإطلاق. وأنا أعتقد بأن هذه المعدات الإلكترونية لا تعمل أو أنها خارج نطاق الخدمة، أو أنها تعمل بتردد لا يمكننا التقاطه".

تساءلت إن كانت وكالة الأمن القومي قد أجرت مسحاً إلكترونياً لنادي كاستر هيل. ولا بدّ أنها قامت بذلك في حال كانت وزارة العدل تشكّ في أمر ما.

كانت كايت جالسة في الردهة، وكانت تتحدث عبر هاتفها الخليوي. وقبل أن نصل إلى المكان الذي كانت فيه قال شافير: "تذكرتُ الآن أن أحد قدامى المحاربين في البحرية عاش في هذه المنطقة، وكان يقول للجميع بأنه يعرف ما كان يجري في نادي كاستر هيل، ولكن لم يكن مسموحاً له الحديث عن ذلك".

بدا ذلك أشبه بكلام فارغ، ولكنني سألته، "هل تذكر اسم ذلك الشخص؟"

"كلا، ولكن سأحاول معرفة اسمه، فلا بدّ وأن شخصاً ما لا يزال يذكره".

"أخبرني بما تتوصل إليه".

قال: "أجل... أعتقد بأن اسمه كان فريد. أجل، فريد. وكان يقول بأن نشاطات النادي على علاقة بالغواصات".

"غواصات؟ ما هو عمق هذه البحيرات بالضبط؟"

"أنـــا أقـــول لك المعلومات التي أتذكرها. يبدو أنه أشبه بكلب بحر قديم يريد أن يطفو على سطح الماء".

أنهـــت كايـــت مكالمـــتها الهاتفية، ونهضت، وقالت: "أنا آسفة. كنت أنتظر تلك المكالمة".

كـــان يوجد أشخاص آخرون في الردهة، بمن فيهم الرقيب المناوب، ولذلك قال شـــافير كلامـــاً بغرض الاستهلاك العام: "أعبّر عن أسفي مجدداً لمقتل التحرّي مولر. أرجو أن تطمئنّا إلى أننا نبذل كل ما في وسعنا للكشف عن أسباب هذه المأساة".

قلت له: "إننا نقدّر ذلك. أشكرك على القهوة".

"هل تحتاج إلى الإرشادات للوصول إلى ذي بوينت؟"

"ستكون الإرشادات مفيدة".

أعطانا الإرشادات، وسألنا: "ما هي المدة التي تنويان المكوث فيها هناك؟"

أجبته، "إلى أن نُفصل من عملنا".

قال: "لن يستغرق ذلك وقتاً طويلاً إذا كنتما تدفعان ألفي دولار للّيلة الواحدة. إذا كان يوجد أي شيء يمكنني مساعدتكما فيه، أخبراني".

قلت له: "في الواقع... هل تعانون من أية مشكلات هنا بسبب الدببة؟"

أشاحت كايت بناظريها.

قـــال لـــي الـــرائد شافير: "تعتبر منطقة أديرونداك موطناً لأكبر عدد من الدببة السوداء في الشرق. ومن المحتمل جداً أن تصادف دبّاً في الغابة".

"حقاً؟ وماذا سيحصل عندئذ؟"

أجـــاب، "الدببة السوداء لا تعتبر شديدة العدوانية. ولكنها فضولية، وذكية، وربما تقترب منك". وأضاف، "والمشكلة هي أن الدببة تساوي بين الناس والطعام".

"أنا متأكد من أنها تفعل ذلك، عندما تبدأ بالتهامك".

"أعنـــي أن الناس – الذين يقيمون المعسكرات ويتريّضون في الجبال – يحملون طعـــامهم معهـــم والدببة تعرف ذلك". وأضاف، "إنها تفضل تناول طعام غدائك على الـــتهامك. وإيـــاك أن تقترب من صغارها، فالإناث تتميز بأنها تدافع بقوة شديدة عن صغارها".

"ومن أين لي أن أعرف بأني قريب من صغار الدببة؟"

"ستعرف. كما أن الدببة تصبح كثيرة النشاط بعد الساعة الخامسة من بعد الظهر".

"كيف يعرفون كيفية تحديد الوقت؟"

"لست أدري. المهم أن تتخذ تدابير احتياطية إضافية بعد الساعة الخامسة من بعد الظهر، فهذا هو وقت بحثها عن الطعام".

"أجل، لكن سؤالي هو هل يمكن لمسدسي الغلوك من عيار 9 ملم أن يوقف دبّاً؟"

"لا تطلق النار على الدببة أيها التحرّي. لقد دخلت إلى أراضيها، ولذلك كن لطيفاً معها. استمتع برؤية الدببة".

قالت كايت: "نصيحة ممتازة".

لا أعتقد ذلك.

أنهى شافير حديثه عن الدببة وقال: "لم أحتج إلى التعامل مع هجوم قاتل من دبّ منذ سنين". وأضاف، "كانت مجرّد هجمات بسيطة".

"هذا أمر مطمئن".

قال لنا شافير: "يوجد كتيّب يحكي عن الدببة يمكن أن تجده هناك، وأنا أنصحك بقراءته".

إذا كانت الدببة اللعينة بهذا القدر من الذكاء والفضول، ينبغي على كايت قراءته أيضاً.

وجدت كايت الكتيّب، ثم قدّمت للرائد شافير بطاقتها وقالت: "هذا هو رقم هاتفي الخليوي".

تصافحنا، ثم غادرت وكايت المبنى ومشينا في المرآب المزود بالأنوار الكاشفة.

قالت كايت: "لا أريد سماع المزيد عن الدببة".

"اقرئي لي هذا الكتيّب وحسب".

"اقــرأه بنفسك". دسّت كايت الكتيّب في جيب سترتي وسألتني، "هل ذكر شافير شيئاً مثيراً للاهتمام؟"

"أجل... نادي كاستر هيل منشأة بحرية سرّية للغواصات".

"غواصات؟ هل هذا ما قاله لك شافير؟"

"كلا. هذا ما قاله فريد".

"ومن يكون فريد؟"

"لست أدري، ولكن فريد يعرف أكثر مما نعرف نحن".

الفصل 27

ركبنا السيارة، جلستُ في مقعد السائق، وأدرت المحرّك، وبدأت السير على الطريق.

وفيما كنت أسير في راي بروك، سألتني كايت، "حسناً، أخبرني عما قاله الرائد شافير؟"

"سأفعل. ولكنني الآن أُفكر".

"بماذا تفكر؟"

"بشيء قاله شافير".

"ما هو؟"

"هذا ما أحاول أن أتذكّره... كان شيئاً جعلني أُفكر في شيء آخر".

"ماذا تقول؟"

"لا يمكنني أن أتذكّر. هذا تقاطع".

"جعة، انعطف شمالاً. هل تريدني أن أقود فيما تمعن في التفكير؟"

"كلا. كُفّي عن إزعاجي. كان ينبغي أن أقول شيئاً. أنتِ تفعلين ذلك دائماً".

"كلا، أنا لا أفعل ذلك. إذا كنت تريد إخباري بكل ما قاله لك شافير، فالأمر عائد إليك".

"حسناً". انعطفتُ نحو الطريق 86 الذي كان معتماً وخالياً. وفيما كنت أقود السيارة، سردت لها ما دار من حديث بيني وبين شافير. كايت مستمعة جيدة، وأنا قاصّ جيد للوقائع عندما أريد أن أكون كذلك. ولكن الوقائع والمنطق ليسا شيئاً واحداً، ولم أستطع تذكّر كلمة يمكن أن تساعدني على التوصل إلى شيء.

عندما أنهيت كلامي، سألتني كايت، "هل تذكّرت كلمة ما؟"

"كلا. دعينا نغيّر الموضوع".

"حسناً. ربما سيساعدنا ذلك". وسألتني، "هل تعتقد بأن نادي كاستر هيل منشأة حكومية أو كان كذلك في يوم من الأيام؟"

"كلا. إنه عمل قام به مادوكس من بدايته إلى نهايته. فكّري أيتها الدكتورة نو".

"حـــسناً يا سيد بوند. أنت تعتقد بأن النادي يعني ما هو أكثر من نادٍ للصيد، بل وأكثر من مكان يلتقي فيه متآمرون".

"أجل، يبدو أن هناك مستوى تكنولوجياً هناك لا ينسجم مع الغاية المصرّح عنها للمكـــان، ما لم تكن حقيقة الأمر مطابقة لما قاله لنا مادوكس من أن زوجته أرادت أن يكون ملجأً في حال اندلعت حرب نووية".

أجابت كايت، "أعتقد بأن ذلك جزء من قصصه التضليلية؛ أي تفسير منطقي لما كان يَعرف بأننا سنسمعه في النهاية عن بناء ذلك المكان قبل عشرين عاماً". وأضافت "إنه في غاية الذكاء".

"وأنتِ تبدين ذكية ولامعة بشكل خاص هذه الليلة".

"أشكرك يا جون. وأنت تبدو بليداً وكئيباً على نحو غير عادي".

"هذا الهواء الجبلي يعكّر صفو دماغي".

"هذا واضح. كان ينبغي أن تضغط على الرائد شافير أكثر عند حديثه عند بعض من هذه النقاط".

أجبـــتها بنبـــرة فيها شيء من الحدّة، "كنت أبذل أقصى ما يمكنني بذله للحصول علـــى تعـــاون طوعي منه". وأضفت، "ليس من السهل على شرطي استجواب شرطي آخر".

"حسناً، عندما أخرجتني من الغرفة، افترضت بأنكما ستتآلفان ويفصح كل منكما بما لديه للآخر".

خطـــرت ببالـــي الكلمـــتان "علـــيكِ اللعـــنة"، ولكن التفوه بهما هو طريقة للبدء بالمشاجرات. قلت "سأقوم معك بالضغط عليه أكثر غداً يا عزيزتي".

"ربما كان يجدر بك أن تخبره بما عثرنا عليه في جيب هاري".

"لماذا؟"

"حسناً، أولاً إنه العمل الصائب الذي ينبغي القيام به. وثانياً، ربما كان يعرف ما تعني عبارة 'إلف'".

"أنا أشكّ في ذلك".

"متى سنصارحه بهذه المعلومات".

"لـــسنا بحاجة إلى ذلك. فأصدقاؤك في مكتب التحقيقات الفيدرالي يتميزون بذكاء حـــادّ، وسيكتـــشفون تلـــك الحروف بأنفسهم. وفي حال لم يفعلوا، فستفعل ذلك شرطة الـــولاية. وفـــي حـــال لم تفعل، عندها سنسأل باين مادوكس عما تعنيه العبارات ماد، ونيوك، وإلف".

"ربما ينبغي عليك أن تقوم بذلك، فهو يعرف معانيها".

"بالطبع إنه يعرف معناها... انتظري، لقد وجدتها".

التفتت إليّ، وقالت: "ماذا تقول؟ عرفت ما تعنيه تلك العبارات؟"

"أجـــل، أجل عرفت معناها. العبارتان ماد ونيوك اختصاران لمادوكس ونووي. ولكن إلف كلمة أوائلية (مؤلفة من الأحرف الأولى لعدة كلمات)".

"لأية كلمات؟"

"لرأي هاري مولر في باين مادوكس: لعين حقير شرّير".

عادت إلى مقعدها، وقالت: "أخرق".

واصلنا سيرنا بصمت، وغرق كل منا في أفكاره.

وأخيراً، قالت كايت: "هناك مجموعة تسمى جبهة تحرير الأرض، إلف".

"حقاً؟"

"إن قسمنا المحلّي يتعاطى معها".

"حقاً؟"

"إن جبهة تحرير الأرض هي المسؤولة عما نسميه الإرهاب البيئي. فقد أحرقت مـــشاريع بـــناء مـــن أجل إنقاذ الأرض، ووضعت مسامير فولاذية كبيرة في جذوع الأشجار من أجل إعطاب المناشير الآلية، حتى أنها زرعت قنابل في ناقلات النفط".

"حـــسناً. إذاً أنـــتِ تعـــتقدين بأن مادوكس ينوي زرع قنبلة نووية في اجتماعه التالي".

"لست أدري... لكن ربما تكون هناك صلة بين إلف، والنفط، ومادوكس".

"لقد نسيتِ عبارة نيوك".

"أعرف ذلك... أنا أحاول فقط إيجاد صلة ما يا جون. ساعدني في هذا الأمر".

أجبتها، "أنا لا أعتقد بأن السيد باين مادوكس، الذي يدّعي بأنه ساعد على إلحاق الهـــزيمة بالإمبـــراطورية الـــسوفياتية، آل بـــه الأمر إلى مصارعة حفنة من قاطعي الأشجار والسيدات ذوات الأرجل الكثيرة الشعر".

امتنعت عن الردّ لبضع ثوانٍ، ثم قالت: "حسناً، إن تعليلي أفضل من 'لعين حقير شرّير'".

"ليس بدرجة كبيرة".

كانـــت الغـــيوم تندفع تحت هلال برتقالي ساطع، وكانت الأوراق تتطاير داخل حزمتي أضواء السيارة الأمامية.

كـــنا لا نـــزال داخل حدود محمية المنتزه، ولكنّ تلك المنطقة بدت وكأنها خليط من الأراضي العامة والخاصة، وكانت توجد منازل متفرقة على امتداد الطريق العام، ولاحظـــت وجـــود الكثير من المنتجات الموسمية في المروج الأمامية؛ أكواز الذرة، اليقطـــين، وما إلى ذلك. كما كان هناك بعض الإعلانات الخاصة بمناسبة الهالووني: مشعوذات، هياكل عظمية، مصاصو دماء، وما إلى ذلك من السخافات التي تبعث على القشعريرة. كان الخريف جميلاً على نحو ملفت وغامضاً على نحو مثير.

سألت كايت، "هل تحبين فصل الخريف؟"

"كلا. فالخريف يعني الظلمة والموت. أنا أحب الربيع".

"لكنني أحب فصل الخريف. فهل أنا بحاجة إلى مساعدة؟"

"أجل، وأنت تعرف ذلك".

"أجـــل. لقـــد تعلمـــت قـــصيدة عندما كنت في الثانوية العامة. هل ترغبين في سماعها؟"

"بالتأكيد".

"حـــسناً". ابتلعت ريقي، واستحضرت ذاكرتي، وقلت: "الآن حلّ فصل الخريف، والفاكهة المتساقطة، والرحلة الطويلة نحو عالم النسيان. هل بنيت سفينة الموت؟ حقاً، هل قمت بذلك؟"

بقيت هادئة لفترة ثم قالت: "هذا مرض".

"أنا أحبه".

"استشر طبيباً عندما نعود".

واصـــلنا ســـيرنا بصمت، ثم قامت كايت بتشغيل المذياع الذي كان مبرمجاً عند تـــردد محطـــة محلّية تبث أغاني الغرب. كانت راعية بقر تغني على أنغام آلة وترية

كيف لي أن أفتقدك إذا كنت لا تبارح مكانك؟

قلت: "هل تمانعين إذا أطفأته؟ أنا أحاول التفكير".

لم تردّ كايت على كلامي.

"كايت؟ عزيزتي؟ مرحباً".

"جون... اتصالات لاسلكية".

"ماذا تقولين؟"

"يـــوجد تردد فائق العلو 'يو أتش أف' وتردد منخفض جداً 'ڤي أل أف'، إلخ... ألا يوجد تردد بالغ الانخفاض 'إي أل أف'؟"

نظرت إليها، وقلت: "هذا ما كنت أحاول أن أتذكره. إنها الهوائيات اللاسلكية في كاستر هيل".

سألتني، "هل تعتقد بأن مادوكس يتواصل مع شخص على تردد بالغ الانخفاض؟"

"أجل. أعتقد بأن هاري كان يقول، اضبطوا ترددكم عند التردد بالغ الانخفاض".

"ولكن لماذا يستخدم هذا التردد؟ ومن هم الذين يستخدمون نطاق التردد بالغ الانخفاض؟ الجيش؟ الطيران؟"

"أنا لا أعرف، لكن بصرف النظر عمّن يستخدمه، يمكن إخضاعه للمراقبة".

قالت: "أنا متأكدة بأنه إذا كان مادوكس يرسل إشارات أو يستقبلها، فهو يفعل ذلك علانية. أعني أنه يجري تشويش رسائله أو تشفيرها".

"أجل. لكن ينبغي أن تكون وكالة الأمن القومي قادرة على فكّ أي نوع من الشيفرة".

سألتني كايت، "مع من يتصل ولماذا؟"

"لست أدري. ونحن بحاجة في هذه الأثناء إلى معرفة المزيد عن الموجات اللاسلكية ذات التردد بالغ الانخفاض. انظري، ربما كان هذا هو السبب الذي يجعل كل شخص هنا غريب الأطوار إلى حدٍّ بعيد. إنها موجات التردد بالغ الانخفاض. هناك أصوات تعلو في رأسي. هناك شخص ما يقول لي أن أقتل توم والش".

"هذا ليس أمراً مضحكاً يا جون".

واصلنا سيرنا في عتمة الليل، ثم قلت: "باين مادوكس، نووي، تردد بالغ الانخفاض. أعتقد بأن كل ما نحتاج إلى معرفته موجود في هذه الكلمات".

"آمل أن يكون ذلك صحيحاً، فنحن لا نعرف الكثير عدا ذلك".

قلت لها: "لماذا لا نذهب إلى نادي كاستر هيل ونحصل على المعلومات من مادوكس بالقوة؟"

"أنا لست متأكدة من أن مدير مكتب التحقيقات الفيدرالي سيوافق على ذلك".

"أنا جادّ في كلامي. ماذا لو كان هذا الحقير يخطط لمناسبة نووية؟ ألا يعدّ ذلك مبرراً لكي أعذّبه إلى أن يتكلم؟"

قالت: "إن ما يزعجني هو 'ماذا لو'. وحتى وإن كنا متأكدَين بنسبة تسعة وتسعين في المئة... فنحن لا نقوم بعملنا على هذا الوجه. إننا لا نفعل ذلك".

أجبتها، "بل سنفعل. عندما نهاجَم في المرة القادمة – وخصوصاً إذا كان الهجوم نووياً – سنبدأ بضرب المشتبه فيهم".

"يـــا إلهي، أرجو ألاّ نفعل". لَزِمت الصمت فترة من الوقت ثم قالت: "إننا بحاجة إلـــى التبلـــيغ عن كل ما سمعناه، وعرفناه، وتكهنّا به. دع مكتب التحقيقات الفيدرالي يتولّى الأمر انطلاقاً من ذلك".

"حسناً، ولكننا نحتاج إلى بعض الوقت لكي نجمع معلومات أكثر دقّة".

"حـــسناً، لـــنقل إننا سنقوم بذلك في مثل هذا الوقت غداً مساءً، سنذهب إلى توم والش بكل ما نتمكن من جمعه. هل توافق؟"

لـــم أعـــد أثق بوالش بعد الآن، ولذلك ربما أتجاوز القواعد، وأتوجه مباشرة إلى النقيب باريزي رئيسي في الوحدة التكتيكية في قسم شرطة ولاية نيويورك.

"جون؟"

ذكّرتها بالقول: "لدينا أسبوع".

"لسنا ندري إذا كان لدى الكوكب أسبوع".

نقطة مثيرة للاهتمام. قلت: "لننظر ماذا سيحدث في الغد".

الفصل 28

كانت تفصلنا عن فندق ذي بوينت مسافة تقل عن ثلاثين كيلومتراً، ولكن المكان كـان شديد العزلة لدرجة أنه بالرغم من إرشادات شافير، وخريطة ماكس، كان على كايـت أن تتصل بالمنتجع لكي يزودنا بتوجيهات تساعدنا على الوصول إلى الطريق الذي لا يظهر على الخريطة.

استخدمتُ الأضـواء القوية، وتقدمت ببطء على طريق ضيّقة تغطيها الأشجار بدت أشبه بدرب هندي طرأ عليه بعد التطوير.

قالت كايت: "إنه طريق جميل جداً".

كل ما كان في إمكاني رؤيته هو نفق من الأشجار على ضوء المصابيح الأمامية للسيارة، ولكـن لكي أُسعد نفسي - لا سيما وأنني حجزت في الفندق - قلت: "أشعر أننـي قـريب من الطبيعة". ولكي أكون دقيقاً، كان جانبا الطريق يبعدان عن السيارة مسافة متر تقريباً من كل جانب.

وصـلنا إلـى بوابة ريفية يعلوها عقد مصنوع من أغصان الأشجار على شكل أحرف **ذي بوينت**.

أُغلقت البوابة، ولكن كان يوجد مجهار بجانبها. وبعد أن أنـزلت زجاج النافذة، ضـغطت علـى الـزرّ، وسـمعت صوتاً مشوشاً من المجهار يقول: "هل يمكنني أن أساعدك؟"

"أريد تشيز برغر دبل وبطاطا مقلية مقطعة إلى شرائح طويلة، وعلبة كوكا كولا خالية من السكر".

"سيدي؟"

"السيد والسيدة كوري، ضيفان مسجلان عندكم".

"أجل سيدي. أهلاً بك في ذي بوينت".

بـدأت الـبوابة التي تعمل بالكهرباء تتحرك، وقال الصوت: "أرجو أن تواصل سيرك إلى أن تصل إلى المبنى الأول في جهة اليسار".

سرت عبر البوابات، وقالت كايت: "يبدو هذا المكان أكثر ألفة من نادي كاستر هيل".

"من الأفضل له أن يكون كذلك بالنظر إلى مبلغ الألف ومئتي دولار لليلة الواحدة".

"هذه لم تكن فكرتي".

"أجــل". ظهر أمامي منشأ ضخم مصنوع من الخشب، فتوقفت بجانب الطريق. خــرجنا من السيارة ومشينا في الممر، فُتح الباب، وأشار إلينا شاب وقال: "أهلاً بكما. هل قضيتما رحلة جيدة؟"

أجابت كايت: "أجل، شكراً لك".

صــعدنا الدرجات التي تؤدي إلى المبنى الريفي، وقال الشاب الذي كان يرتدي ثياباً عادية "اسمي جيم". تصافحنا استعداداً للإقامة في المكان الذي اعتقدت بأنه أليف، ومريح، وربما سخيف. قال جيم: "اتبعاني".

دخلنا المبنى، الذي كان يضم مكتب المنتجع، ومحلاً لبيع مصنوعات أديروندناك اليدوية، وبعض الملبوسات الجميلة باهظة الثمن والتي لفتت انتباه كايت.

لاحظــتُ أن النــساء يلتهين بسهولة عندما يرين متاجر بيع الملبوسات، وكنت مــتأكداً من أن السيدات في سفينة التايتانك توقفن عند متجر بيع الملبوسات في السفينة بمناســبة تنــزيلات الغرق التي بلغت خمسين في المئة وهنّ في طريقهنّ إلى قوارب النجاة.

علــى أية حال، تجاوزنا متجر الثياب، وجلسنا على كراسي مريحة بالقرب من طاولة. فتح جيم ملفنا وقال: "هذه رسالة لكما". وقام بتسليمي بطاقة كُتب عليها بالحبر "اتصل". كانت من "السيد والش"، الزمن: 7:17 صباحاً.

وبمــا أننــي لا أذكر أننا أخبرنا توم والش بمكان مبيتنا، فلا بد وأن والش علم بالأمــر مــنذ مدة وجيزة عن طريق الرائد شافير. لا توجد مشكلة، لكن كان عليّ أن أذكّر نفسي بأن والش وشافير على اتصال مستمرّ.

أعطــيت الــبطاقة لكايــت التي نظرت إلى هاتفي الخليوي ورأت أنه لا يوجد إرسال. سألتْ جيم، "هل يقع الفندق خارج نطاق الخدمة الخليوية؟"

أجاب، "تتوفر الخدمة بين الحين والآخر. ويمكنكما الحصول على أفضل إرسال عــندما تقفــان فــي وســط ملعب الكريكت". اعتقد أن كلامه مضحك فبدأ بالضحك. وأضاف، "يمكن الحصول على الخدمة أحياناً في **ذي بوينت**".

لم يكن في استطاعتي المقاومة فسألته "'ما الفائدة' يا جيم؟"

أزال الالتــباس بالقول: "ويتني بوينت أون أبر سارناك لايك. وهو المبنى الذي نحــن فيه". وزاد جيم من معلوماتنا بقوله: "في الواقع، إننا لا نفضل استخدام الهواتف الخليوية هنا".

"ما هو السبب يا جيم؟"

"إنها تحطّ من قيمة المكان".

"ألا توجد هواتف في الغرف؟"

"هذا صحيح، ولكنك لا تستطيع الحصول على خط خارجي".

"وما هو سبب وجودها يا جيم؟"

"لتبادل الاتصالات داخل المكان".

"هل أنا معزول عن العالم؟"

"كلا سيدي. يوجد هاتف خارجي في هذا المكتب، وآخر في مطبخ نادي الصيد الرئيسي، والذي يمكنك استخدامه. وفي حال اتصل شخص بالفندق، كما فعل السيد والش، فسنوصل الرسالة إليكما".

"كيف؟ عبر الإشارات الدخانية؟"

"عبر ترك ملاحظة، أو الاتصال بهاتف الغرفة لديك".

"حسناً". بدا أن للإقامة في هذا المكان ناحية إيجابية، ولكن كانت هناك ناحية سلبية أيضاً بالنظر إلى عدد المكالمات التي احتجنا إلى إجرائها في اليومين التاليين.

واصل جيم تدوين المعلومات الخاصة بالحجز وقال: "ليلتان، أليس كذلك؟"

أجبته "أجل. أين يوجد المشرب؟"

"سنتكلم عن كافة هذه المواضيع بعد لحظات". واصل جيم النقر على لوحة المفاتيح، ودفع المعلومات المطبوعة إلينا، إلى جانب كتاب صور تذكارية لفندق ذي بوينت، وخريطة للأرض التابعة له، وما إلى ذلك.

سألني جيم، "بطاقة الاعتماد". خاطبتني كايت، "جون، لِمَ لا تستخدم بطاقتك الشخصية بدلاً من البطاقة الحكومية؟"

قلت لها: "لقد سُرقت بطاقتي الائتمانية".

"متى؟"

"منذ أربع سنوات تقريباً".

"لِمَ لم تستبدلها؟"

"لأن ما ينفقه السارق من مال أقل مما كانت تنفقه زوجتي السابقة".

لم يبدُ كلامي مضحكاً لأحدٍ سواي. أعطيت جيم بطاقتي الحكومية فقام بأخذ بياناتها.

وضع على خريطتنا علامات بواسطة قلم تأشير وقال: "إذا سرتما في هذا الطريق، وتجاوزتما كوخ التدفئة وملعب الكريكت، فستصلان إلى نادي الصيد

الرئيسي. وسيكون تشارلز في انتظاركما هناك".

"أين يوجد المشرب؟"

"قبالة نادي الصيد الرئيسي مباشرة، في عش النسر". ووضع علامة على الموقع وقال: "استمتعا بإقامتكما لدينا".

"وأنت أيضاً".

غادرنا المكتب وسألتني كايت، "لماذا تتصرف بفظاظة؟"

"أنا آسف".

"كلا أنت لست كذلك. هل سنتصل بوالش؟"

"بالتأكيد. أين يوجد ملعب الكريكت؟"

ركبنا السيارة وسرنا على الطريق، وتجاوزنا كوخ التدفئة، بصرف النظر عما يكون، ثم توجهنا نحو ملعب الكريكت، وعندها سألت، "هل تريدين مني أن أركض هنا، وأتصل بوالش؟"

"كلا، إن تشارلز في انتظارنا".

كان يوجد عند نهاية الطريق مبنى ضخم مصنوع من جذوع الأشجار مع شرفة أمامية - نادي الصيد الرئيسي - وهناك، رأينا شاباً يرتدي سترة وربطة عنق وهو يلوح بيده لنا. أوقفت السيارة وخرجنا منها.

نزل الشاب بضع درجات، ورحّب بنا، وعرّف عن نفسه بأنه تشارلز وقال: "أعتقد أنني تحدثت إلى السيد كوري في وقت سابق".

أجبته "هذا صحيح".

أراد أن يمازحنا فقال: "لدينا فيدراليون ودببة".

"هذا رائع. هل يمكنك إطعامنا؟"

أعتقد بأن تشارلز أراد أن يجعلني طعاماً للدببة، ولكنني قلت: "في الواقع، يجري تقديم العشاء الآن، وقد حجزنا مكانين لك". نظر إليّ وقال: "ينبغي ارتداء سترة وربطة عنق عند تناول طعام العشاء".

"لا أملك أياً منهما يا تشارلز".

"يا إلهي. يمكننا أن نعيرك سترة وربطة عنق".

المضحك هو أنهم يرضون عن سروال الجينز الأسود الذي ترتديه كايت، ولكنني بحاجة إلى سترة وربطة عنق. قلت لتشارلز: "لن يكون ذلك ضرورياً. أين يوجد المشرب؟"

أشــار أيضاً إلى مبنى ريفي آخر يبعد مسافة ثلاثين متراً، وقال: "المشرب هناك يــا سـيدي. يـوجد عــدد من مشارب الخدمة الذاتية هنا، وجميع الموظفين يقدمون المــشروبات، لكن إذا لم تجد أحداً من الموظفين في أي من هذه المشارب، أرجو أن تخدم نفسك".

"ربما سأُعجب بهذا المكان".

قال: "اتبعاني من فضلكما".

صعدنا خلفه عدة درجات تؤدي إلى الشرفة، ودخلنا غرفة مستديرة الشكل بُنيت على الطراز السائد في أديروندداك الذي بدأ يثير أعصابي.

قــال تشارلز: "هذا هو مدخل البهو المؤدي إلى نادي الصيد الرئيسي والذي كان منــزل ويليام أفيري روكفيلر".

مــرّ جزء من الثانية قبل أن أتمكن من قول نكتة جيدة. قالت كايت: "إنها غرفة جميلة".

ابتسم تشارلز وقال: "جميع القطع التي فيها أصلية".

من الواضح أن تشارلز يستمتع بالأشياء الجميلة في الحياة. كان يوجد في وسط الغــرفة طاولة وُضع عليها وعاء فيه باقة من الأزهار، وزجاجة شراب في دلو فضي للــثلج، وثلاثة أكواب مزخرفة. فتح تشارلز الزجاجة، وملأ الأكواب، وسلّم كل واحد منّا كوبه، ثم رفع كوبه وقال: "أهلاً بكما".

أنــا لا أحب شرب هذه الأشياء، ولكن لكي أكون مؤدباً، وبما أنني كنت بحاجة إلى...، رفعت كوبي وشربنا جميعاً.

أشــار تشارلز إلى غرفة صغيرة بعيداً عن الغرفة المستديرة وقال: "هذا مشرب مكمّل يعمل بالخدمة الذاتية ويفتح نهاراً ومساء من أجل راحتكما".

كــان الجو مريحاً حينها، ولكن تشارلز واصل حديثه، وقال: "وهنا"، وأشار إلى فتحة يعلوها عقد في الغرفة المستديرة وقال: "هذه هي القاعة الكبيرة".

نظــرت إلــى القاعــة الكبيــرة التي ذكرتني بالقاعة الكبيرة حيث جلست مع باين مــادوكس. غيــر أنــه كان يوجد في الطرف البعيد من هذه القاعة طاولتا عشاء كبيرتان ومــستديرتان أمام مدفأة كبيرة متوهجة. وكان يجلس إلى كل من الطاولتين حوالى عشرة مــن الــرجال والسيدات، وكانوا يأكلون ويشربون، وبالرغم من أنه لم يكن في مقدوري سماعهم، فقد كنت متأكداً من أنهم يشاركون في محادثات فكاهية لا طرافة فيها.

قــال تشارلز: "يمكنك الوصول إلى غرفتك، الموهوك - وبالمناسبة كانت غرفة النوم الرئيسية لويليام أفيري روكيفلر - عبر القاعة الكبيرة. ولكن بما أنه يجري تقديم

العشاء، فقد ترغب في الذهب إلى مدخلك الخارجي والذي سأريك إيّاه بعد لحظات".

قلت له: "أعتقد بأننا بحاجة إلى أن نشرب شيئاً أولاً".

أومـــأ برأسه وقال: "بالتأكيد. إذا تركت مفاتيح سيارتك معي، فسنعتني بها وننقل أمتعتك إلى غرفتك".

أجابـــت كايت، "لا توجد لدينا أمتعة". من الواضح أن ذلك أثار قلق تشارلز الذي اعـــتقد أننا التقينا عند محطة للشاحنات في مكان ما. وأضافت، "كانت رحلة مفاجئة، وستصل أمتعتنا غداً. وفي هذه الأثناء، هل يمكنك أن تحضر لنا أشياء متنوّعة: فرشاتا أسنان، وماكينة للحلاقة، وما إلى ذلك؟"

"بالطبع. سأطلب إرسال بعض من هذه الأشياء إلى غرفتكما".

النـــساء عملـــيات للغاية، ناهيك عن قلقهنّ مما يفكر به الغرباء عنهن من أبناء المـــنطقة، ولـــذلك، لكي أكون زوجاً جيداً ومخلصاً، قلت لتشارلز: "إننا نحتفل بذكرى زواجـــنا، وكنا نشعر بإثارة كبيرة، فلذلك وضعنا أمتعتنا في سيارة بنتلي، ثم ركبنا في سيارة الفورد عن طريق الخطأ".

اســتوعب تشارلز كلامي، ثم عرض علينا زجاجة شراب أخرى، ولكننا رفضنا معـــاً العـــرض، وقلـــت: "سنكون في المشرب. هل يمكنك إحضار بعض الطعام إلى هناك؟"

"بكـــل تأكيد. إذا احتجتما إلى أي شيء آخر، ما عليكما سوى الطلب إلى أي من الموظفين".

"ماذا عن مفتاح الغرفة؟"

"ليس هناك مفاتيح".

"وكيف ندخل الغرفة؟"

"لا توجد أقفال".

"وكيف أبقي الدببة خارجها؟"

"الأبواب مزودة بمسامير داخلية".

"هل يمكن للدبّ أن...؟"

"جون، دعنا نتناول الشراب".

قلـــت لتـــشارلز: "أجل، يوجد مفتاح لسيارتي. وهذا هو. أنا بحاجة إلى مكالمة توقظني عند الساعة السادسة صباحاً".

"أجل سيدي. هل ترغب في تناول طعام الفطور في غرفتك، أم في القاعة الكبيرة؟"

سايرتني في سخافتي، وأجابت، "أعتقد أنني سأشرب كأساً صغيرة من الشيري. كلا ليكن شراب ستولي مزدوجاً مع عصير الليمون. كوبان من فضلك".

"ممتاز يا سيدتي".

أحضرت كوبين صغيرين، ووجدت الثلج، والفاكهة، والشراب الاسكتلندي، والستولي، وحملت زجاجة في كل يد، وملأت الكوبين حتى حافّتيهما.

لامسنا الكوبين، وقالت كايت: "نخب هاري".

أضفتُ "ارقد بسلام يا رفيقي".

لم يقل أي منّا شيئاً فيما كنا نريح أنفسنا من عناء يوم طويل حافل بالأحداث كثير الأحزان.

وأخيراً، قالت كايت: "ألا ينبغي علينا أن نتصل بتوم؟"

تحققت من هاتفي الخليوي مجدداً، ووجدت أن الإرسال متوفر، ولكنني قلت: "إن استخدام الهواتف الخليوية غير محبّذ في فندق **ذي بوينت**، يا سيدتي".

"ماذا لو كانت المكالمة هامة؟"

"عندها سيتصل مجدداً".

أعدت ملء كوبينا، وقلت: "إذا كان الشراب يُقدّم بالمجان، كيف تتوقعين أن يجنوا أموالاً منا لقاء ألف ومئتي دولار لليلة الواحدة؟"

ابتسمت، وأجابت، "ربما يأملون بأن نأوي إلى الفراش باكراً. وبالمناسبة، ينبغي عليك ألاّ تستخدم بطاقتك الائتمانية الحكومية".

أجبتها، "انظري إلى المسألة من هذه الزاوية؛ إذا كان العالم سيصل إلى نهايته، ما هو الفرق الذي سينتج بسبب ذلك؟"

فكرتْ في ما قلته، ولكنها لم تجب.

واصلت كلامي، وقلت: "وفي حال تمكنا من إنقاذ العالم، هل تعتقدين بأن الحكومة ستطلب منا ردّ الأموال التي صرفناها في هذا المكان؟"

"أجل".

"حقاً؟"

"حقاً".

"إذاً، ما الذي يحفزني لإنقاذ الكوكب؟"

"إنها وظيفتك لهذا الأسبوع". احتست شرابها، ونظرت إلى المدفأة، وقالت: "حسناً، إذا كان العالم سينتهي، فهذا مكان جيد لكي ننهي حياتنا فيه".

"أجل، وكذلك نادي كاستر هيل".

أومأت برأسها تعبيراً عن الموافقة.

سألتها، "هل تلعبين البلياردو؟"

"كنت ألعب البلياردو، ولكنني لست لاعبة ماهرة".

"يبدو أننا في عجلة". استدرت حول المنضدة، ومشيت نحو طاولة البلياردو حيث كانت الكرات في المثلث البلاستيكي. وضعت كوبي، وخلعت سترتي الجلدية، وسحبت قميصي لكي أخفي مسدسي، ثم اخترت عصا، وقلت: "هيا لنعلب".

قامت كايت عن مقعدها، وخلعت سترتها المصنوعة من الجلد الشامواء، وغطت مسدسها، ورفعت كمّي قميصها، واختارت عصا.

رفعت المثلث عن الكرات، وقلت لكايت: "ابدئي بضرب الكرات". في الواقع، أنا لم أقل تلك العبارة بالضبط، وإنما قلت: "ابدئي اللعب يا سيدتي".

وضعتْ شيئاً من المسحوق على يديها، وانحنت فوق الطاولة، وضربت الكرة. كانت ضربة جيدة، ولكن لم تسقط أي من الكرات.

أسقطتُ ثلاث كرات، ثم أخطأت كرة سهلة. اعتقدت بأن الشراب الاسكتلندي بدأ يؤثر في قدرتي على التنسيق بين يديّ وعينيّ، أو ربما كنت بحاجة إلى كأس أخرى.

أسقطت كايت ثلاث كرات، واستنتجت بأنها كانت تلعب البلياردو من قبل.

أخطأتُ كرة سهلة أخرى، فقالت: "هل أنت ثمل، أم أنها العجلة؟"

"اليوم ليس يومي في اللعب".

أسقطتْ أربع كرات أخرى، ولذلك استسلمتُ، وأعدت ترتيب الكرات، وقلت: "لنلعب مقابل خمسة دولارات لكل كرة".

"سبق أن قمنا بذلك".

ابتسمت وسألتها، "أين تعلمتِ هذه اللعبة؟"

ارتسمت على وجهها ابتسامة خبيثة، وأجابت، "أعتقد بأنك لا تريد أن تعرف الجواب".

كانت نتيجة المباراة الثانية متقاربة أكثر لأن الشراب بدأ يؤثر فيها.

كنت أقضي في الواقع وقتاً مسلّياً، وألعب البلياردو مع زوجتي، وأنصت إلى حسيس النار، في غرفة جميلة ودافئة داخل الغابات مع مشروب مجاني.

دخلت إحدى الفتيات إلى المشرب وهي تحمل صينية من المقبلات، وقمت بمساعدتها على إعداد المنضدة. قالت الفتاة: "مرحباً، اسمي آمي. أهلاً بك في **ذي بوينت**". وسألتني، "هل يمكنني أن أقدم لك شراباً؟"

أجبتها "كلا، ولكن اشربي أنتِ".

رفضت آمي دعوتي، وقالت: "هذه هي قائمة وجبة الفطور. وما عليك سوى اختيار ما تريد، والوقت الذي تريدنا أن نرسله إلى غرفتك، والاتصال بالمطبخ".

نظرت إلى صينية المقبلات، وسألت آمي، "أين السجق الملفوف بالعجين المخبوز؟"

بدا عليها الإحراج، وأجابت، "يقول رئيس الطهاة، وهو فرنسي، بأنه لم يسبق أن سمع بهذا الاسم". وأضافت، "أنا لا أعتقد بأنه يتوفر لدينا أي نوع من السجق".

"آمي، هذه أميركا. قولي لبيار..."

قاطعتني كايت، وسألت، "آمي، اطلبي من رئيس الطهاة استخدام سجق الفطور". وشرحت مرادها فقالت: "مع خردل رجاءً".

وعدت آمي بأن تعود وغادرت المشرب.

قلت لكايت: "هذه البلاد في طريقها إلى الجحيم".

"جون، استرح قليلاً. جرّب بعضاً من هذه". وسلّمتني قطعة من السلمون المدخّن والتي رفضت أن أتناولها.

قلت: "كنت أتوقع أن أتناول طعاماً حقيقياً هنا. أعني، إننا في الغابة. وكما تعرفين، أحب أن أتناول شرائح من لحم الجاموس، يخنة الصياد..." تذكرتُ رسالتي الهاتفية إلى هاري، وملأت لنفسي كأساً أخرى من الشراب الاسكتلندي.

قالت كايت: "أنا أدرك بأنه كان يوماً صعباً جداً عليك يا جون. ولذلك فرّج عن كربك، واشرب، وافعل كل شيء يمكن أن يشعرك بمزاج أفضل".

لم أجب، ولكنني أومأت برأسي.

حملنا كأسينا إلى غرفة الألعاب. جلست إلى طاولة الورق، وجلست كايت أمامي. فتحت مجموعة جديدة من ورق اللعب وسألتها، "هل تلعبين...؟"

"سبق أن لعبتها، ولكنني لست ماهرة فيها".

ابتسمتُ، وقلت: "الفيشة الحمراء تساوي دولاراً واحداً، والفيشة الزرقاء تساوي خمسة دولارات، وأنتِ المصرف".

بدأت أخلط الأوراق فيما أخذت هي وأعطتني فيشات بقيمة مئتي دولار.

وضعت الورق أمامها، وقلت: "اقطعي". قطعت المجموعة، وقمت بتوزيع خمس أوراق.

لعبنا قليلاً، وكان أدائي في الورق أفضل من أدائي في البلياردو. ربما خسرت القدرة على التنسيق بين يديّ وعينيّ، ولكن كان في مقدوري لعب الورق وأنا نائم.

نظرت كايت إلى هاتفها الخليوي، وقالت: "أعتقد بأنه ينبغي علينا الاتصال بتوم".

"من يخسر هذه اللعبة يتصل بتوم".

خسرتْ اللعبة، وخسرتْ اثنين وعشرين دولاراً، ولكنها فازت بحق الاتصال بتوم والش.

طلبت الرقم الهاتفي لوالش، وقالت: "إننا نردّ على مكالمتك". وقامت بتشغيل المجهار، ثم وضعت الهاتف على الطاولة، وبدأت تجمع الأوراق.

سمعته يسألها، "أين أنتما؟"

أجابت كايت، "في فندق **ذي بوينت**. وأين أنت؟"

أجاب، "في المكتب". وهو ما اعتقدت أنه مثير وغير مألوف في هذه الساعة.

سأل كايت "هل يمكنكِ التحدث إليّ؟"

ضحكت، وقالت: "لا يمكنني التحدث بطريقة جيدة، فقد احتسيت أربع كؤوس من الستولي".

خلطت الأوراق بالقرب من الهاتف، وقال والش: "هناك تشويش".

قالت كايت: "أنا أخلط ورق اللعب".

بدا عديم الصبر معها وسألها، "أين جون؟"

"إنه هنا".

قلت: "أراهن".

"ماذا تقولين...؟"

ألقت بفيشة بقيمة دولار، وقالت لي: "اقطع".

سأل والش، "ماذا تفعلين؟"

أجابت كايت، "أنا ألعب..."

"أتلعبين لوحدكِ؟"

وزعت خمس أوراق، وأجابت، "كلا أن ألعب السوليتير".

قال وهو يتصنّع الصبر: "أعني هل يوجد أحد عدا جون؟"

"كلا. ألا زلتَ تعمل؟"

ألقيت فيشة زرقاء، وقلت: "أبدأ بخمسة".

ألقت فيشتين زرقاوين، وقالت: "أزيد عليك بخمسة".

سأل والش، "هل تتكلمين معي عبر المجهار؟"

"أجل. كم ورقة تريد؟"

"ورقتين".

تغلبت عليّ بورقتين، وقالت: "من الأفضل أن يكون لديك ما هو أفضل من ثلاث أوراق من نوع واحد يا سيد".

"إنكِ تغشين".

قال والش: "اعذريني، هل يمكنكِ التوقف عن اللعب لدقيقة؟"

قلبت كايت يدها على الطاولة وهمست "جاء دورك".

"أنتِ رفعتِ رهاني الافتتاحي. إنه دوركِ".

"هل أنت متأكد؟"

قال والش: "الدور دوركِ يا كايت. لكن قبل أن تضعي رهانكِ، ربما يمكن لجون أن يقول لي كيف سارت الأمور بينه وبين الرائد شافير".

قلبتُ يدي على الطاولة، وتناولت مشروبي، وقلت: "بما أنك تعرف بأننا في فندق **ذي بوينت**، فأنا أعتقد بأنك تكلمت معه؛ إذاً ماذا قال لك؟"

"قال بأن كايت لم تحضر اللقاء؟"

"هذا صحيح. أجريت معه محادثة بين شرطيين".

"هذا ما كنت أخشاه. وماذا بعد؟"

سألته، "ماذا قال لك؟"

"قال لي بأنك أخبرته عن رهاننا. أعتقد بأنك في مزاج جيد للمراهنات اليوم".

كان ذلك أقصى ما لدى والش من فطنة، ولذلك أردت تشجيعه على المتابعة في ذلك الاتجاه فضحكت.

سألني، "هل كنت تشرب؟"

"كلا سيدي. لا زلنا نشرب".

"فهمت، حسناً.."

قلت لوالش: "ألم يكن من المفترض أن تتصل بشافير قبل ذهابنا إلى هناك لكي تقول له إنني وكايت المحققان اللذان جرى تكليفهما بهذه القضية؟"

"من الواضح أنك لا تنسى زلاّتي حتى عندما تكون ثملاً".

"توم، حتى ولو كنتُ ميتاً، لن أنسى أنك تلاعبت بي".

نصحني السيد والش قائلاً: "أنت بحاجة إلى تعلّم كيفية السيطرة على غضبك".

"لماذا؟ إنه الشيء الوحيد الذي يحفزني للذهاب إلى العمل".

تجاهـل والش عبارتي، وسألني، "هل كان شافير متعاوناً؟ هل حصلت منه على أية معلومات؟"

"توم، بصرف النظر عما أخبرني به، فسيطلعك على التفاصيل. إنه يحب مكتب التحقيقات الفيدرالي".

قال والش: "أعتقد بأنه ينبغي أن نواصل مناقشتنا بعد أن ترتاح قليلاً".

"أنا بخير".

قال والش: "حسناً، لمعلوماتك فقط، تجري إعادة جثة هاري بواسطة الطائرة إلى نـيويورك من أجل تشريحها". وأضاف، "علمت بأن هناك آثاراً تدل على إساءة بدنية على الجثة".

لم أعلّق على كلامه.

قـال والـش: "من الواضح أنه لم يكن حادث صيد، ولذلك فإن مكتب التحقيقات الفيدرالي يتعامل مع القضية على أنها جريمة قتل".

سـألته، "مـا هو مفتاحك الأول لحل القضية؟ أرسل إليّ بواسطة الفاكس تقريراً شاملاً عن التشريح واحذر من شافير".

تجاهـل نـصيحتي وقال: "لقد وصل فريق من العملاء من نيويورك وواشنطن، وهم يرغبون في التحدث إليكما غداً".

أجبته، "طالما أنهم ليسوا هنا من أجل إلقاء القبض علينا، فسنتحدث معهم".

"لا تكون مهووساً، إنهم يرغبون فقط في الحصول على معلومات كاملة منك".

"حـسناً. وفي هذه الأثناء، أنت بحاجة إلى قاضٍ فيدرالي من أجل إصدار مذكرة تفتيش لأرض نادي كاستر هيل ونادي الصيد في أسرع وقت ممكن".

"نعمل على دراسة الموضوع".

تـدخلت كايت، وقالت: "توم، أعتقد أنا وجون بأن باين مادوكس يتآمر من أجل القيام بأمر يتجاوز التلاعب بأسعار النفط".

ساد الصمت لبعض الوقت، وقطعه والش بالسؤال، "ما هو نوع هذه المؤامرة؟"

"لا زلـنا نجهـل أي شيء عنها". ونظرت إليّ، وحرّكت لسانها بالكلمات "ماد، ونيوك، وإلف"، ولكنني أشرت إليها بألاّ تخبره عنها.

أجابت، "لا نعرف لغاية الآن".

"إذاً لماذا تعتقدان بأن هناك مؤامرة؟"

"إننا..."

قلت: "سنناقش المسألة معك عندما تكون صاحياً يا توم".

"اتــصل بي غداً صباحاً. أنا أعرف بأنه لا يوجد في المكان هواتف في الغرف وأن الإرســال الخليوي ضعيف، ولكن إيّاك أن تعبث معي". أضاف، "وإيّاك أن تفكر في تقديم فاتورة إقامتك في ذلك المكان"، وقطع المكالمة.

قلت لكايت: "إنه دورك".

أضافت ثلاث فيشات زرقاء إلى مجموع المبالغ التي راهنّا عليها، وقالت: "إيّاك أن ترفع الرهان".

"هذه خمسة عشر دولاراً، مع خمسة عشر دولاراً أخرى".

ألقــت ثلاث فيشات زرقاء أخرى، وقالت: "سأتسامح معك". وكشفت عن فلوش من الكوبة، وسحبت المبالغ التي راهنّا عليها نحوها. وسألتني، "ما هي أوراقك؟"

"هذا ليس من شأنكِ".

جمعت الأوراق، وخلطتها، وقالت لي: "أنت خاسر سيئ".

"الخاسرون الجيدون خاسرون أيضاً".

"أيها المغالي في رجولته".

"أنتِ تحبّين رجولتي".

لعبــنا بضع مرات، وتقدمت عليها قليلاً في لعب الورق، بالرغم من أنني بقيت الخاسر في البلياردو. قلت لها: "لنلعب لعبة السهام. دولار واحد مقابل كل نقطة".

ضـــحكت، وقالت: "لا يمكنك حتى أن تضع الكوب على فمك. وأنا لن أقف في الغرفة نفسها التي تقف فيها فيما تحمل سهماً في يدك".

"هــيا بنا". وقفت مختلّ التوازن قليلاً، وقلت: "يبدو ذلك أشبه بلعبة ثلاثية داخل صالون: ورق، وبلياردو، والسهام".

وجــدت الــسهام، وتراجعت إلى الوراء ثلاثة أمتار بعيداً عن اللوحة الخشبية، وبدأت بإطلاقها. أصاب أحدها اللوحة، في حين تاهت السهام الأخيرة بكل أسف وأدى سهم إلى إلصاق ستارة النافذة بالجدار.

وجدت كايت الأمر مسلّياً، وقلت: "دعينا نرى أداءكِ".

قالت لي: "أنا لا ألعب بالسهام. ولكن في وسعك تكرار المحاولة"، وضحكت.

عـــادت آمي حاملة صينية مغطاة بقطعة من القماش، ووضعتها على المنضدة، وقالت: "ها قد حضر الطعام. سجق من لحم الحبش مع التفاح المدخّن".

قبل أن أقول لها ما يمكن لبيار أن يفعله بالسجق الذي أعدّه، قالت كايت: "شكراً لكِ".

نظرت آمي إلى السهام العالقة في الجدار، ولكنها لم تعلّق، باستثناء سؤالنا. "هل اخترتما الطعام الذي تريدانه في وجبة الفطور؟"

سبق أن استعرضنا قائمة الطعام، وطلبنا طعام الفطور الذي لم يمكن لطاهٍ فرنسي حتى أن يفهم معناه.

أردت مشاهدة نشرة الأخبار المسائية، فسألت آمي، "أين يوجد جهاز التلفاز؟"

أجابت، "لا توجد أجهزة تلفاز في فندق **ذي بوينت**".

"ماذا لو وصل العالم إلى نهايته؟ ألن نتمكن من مشاهدة الحدث على التلفاز".

ابتسمت على طريقة الأشخاص الذين يعرفون بأنهم يتعاملون مع شخص ثمل. خاطبتْ كايت، اعتقاداً منها ربما بأنها صاحية، وقالت: "أجل، عانينا من هذه المشكلة يوم 11 سبتمبر/أيلول. ولهذا السبب، وضعوا جهاز تلفاز هنا في المشرب لكي يتسنّى للجميع مشاهدته". وأضافت، "كان حدثاً فظيعاً".

لم أعلّق أنا ولا كايت، وتمنّت لنا آمي قضاء أمسية هادئة، واختلست نظرة أخرى على السهام، ورحلت.

رفعت الغطاء عن الصينية، وتفحصت السجق المصنوع من لحم الحبش الملفوف بعجينة من نوع ما. "ما هذا الطعام؟"

قالت كايت: "سنغادر المكان غداً".

"يعجبني المكان".

"إذن توقف عن التذمّر، وتناول هذا السجق اللعين".

"أين الخردل؟ لا يوجد خردل".

"آن أوان الذهاب إلى الفراش يا جون". سلّمتني سترتي الجلدية، وارتدت معطفها، وجمعت حاجياتها، وحملت حقيبتها، ثم قادتني إلى خارج الغرفة.

وضعت مسدسي الغلوك على خاصرتي تحسباً لاحتمال مواجهة دبّ، واقترحت على كايت أن تفعل الأمر نفسه، ولكنها تجاهلت نصيحتي القيّمة.

كان الهواء بارداً، وكان في مقدوري رؤية أثر أنفاسي، وكانت السماء مزينة بآلاف من النجوم المنتشرة على غطاء أسود. كان في مقدوري أن أشمّ رائحة الصنوبر، ودخان الخشب المتصاعد من مدافئ نادي الصيد الرئيسي، كان كل شيء هادئاً.

أحبّ صخب المدينة، والخرسانة أسفل قدميّ، وأنا لا أفوّت على نفسي رؤية النجوم في الليل لأن أضواء مانهاتن تولّد عالمها الخاص، كما أن ثمانية ملايين شخص أكثر إثارة من ثمانية ملايين شجرة.

لكــن مــا مــن شك في أن المكان كان جميلاً، وكنت سأسترخي في المكان، لو أن الظروف كانت مختلفة، وأستسلم للبرّيّة، وأتصالح مع نفسي فيما أتناول طعاماً مع عشرين شخصاً لا أعرفهم ممن جنوا مالهم على الأرجح من سرقة جيوب أفراد الشعب الأميركي.

قالــت كايت: "المكان وديع جداً. ألستَ تشعر بأن التوتر والإجهاد قد خرجا من جسدك؟"

"أنا معتاد على هذا الأمر".

"عليك أن تنسى نفسك، وتسمح للطبيعة بأن تستحوذ عليك".

"أجل. في الواقع، بدأت أتواصل مع ذاتي البدائية".

"جون، ربما يشكّل الأمر مفاجأة لك، ولكنني على اتصال وثيق بذاتي البدائية. في الواقع، لم تسنح لي بعد فرصة الالتقاء بالجانب الآخر من ذاتك".

لم أكن أعرف إن كان ذلك إطراءً أم انتقاداً، ولذلك امتنعت عن الردّ.

ســرنا حول نادي الصيد الرئيسي، وتوجهنا نحو مصطبة مكسوة بالحصى. كان فــي مقــدورنا رؤية القاعة الكبيرة من خلال النوافذ الكبيرة، وكنت أراقب الضيوف الجالــسين إلى المائدتين، وهم يمارسون بجدّ لعبة السلوك المتحضر عند تناول طعام العــشاء. لــم يكن أي منهم من أبناء المنطقة بالطبع. وبغض النظر عن الأمكنة التي جاءوا منها، فقد وصلوا إلى المكان.

تخــيّلت بــاين مادوكس وهو جالس في قاعته الكبيرة: المدفأة، الكلب، تذكارات الــصيد، الــشراب الاسكتلندي المعتق، الخادم، وربما عشيقة أو عشيقتان. بالنسبة إلى تــسعة وتــسعين فــي المــئة من البشر، هذا يعتبر أكثر من كافٍ. ولكنّ السيد باين مــادوكس، بالــرغم من أنه يجدر به أن يكون في غاية الرضى عن الإنجازات التي حققها والثروة التي جمعها، كان يخضع لتوجيهات صوت داخلي ما في مكان معتم.

مــا أردت قــوله هو أنه مع استحضار ما دار في ذلك اللقاء، كان في مقدوري رؤيــة شيء في عينيه وفي سلوكه مما حملني على الاعتقاد بأنه يحمل رسالة، رجل مصير، في مكان أبعد ما يكون عن البشر.

أنــا على ثقة بأن لديه أسباباً لما ينوي فعله، أسباباً يعتقد بأنها وجيهة وسبق أن ألمــح إليها في الواقع عندما كنا نشرب الشراب الاسكتلندي والقهوة. ولكنني لا أبالي بأسبابه، ولا بشياطينه الداخلية، ولا بأصواته الملهِمة، ولا بجنون العظمة الواضح الذي ابتُلــي به. كل ما كنت أهتم لأمره هو مشاركته الواضحة في مشروع إجرامي، وأنه علــى الأرجح قتل صديقاً لي في أثناء سعيه لتحقيق هدفه الكبير الذي يتجاوز في حدّ ذاته حدود الإجرام بدون شك.

سألتني كايت، "بماذا تفكّر؟"

"أفكر في مادوكس، وهاري، والشيء النووي، والإشارات اللاسلكية، وأشياء من هذا القبيل".

"أنا على ثقة من أننا سنكتشف الحقيقة".

"حسناً يا كايت، الأمر المثير في هذا اللغز هو أنه حتى وإن لم نكتشف الحقيقة، فسنعرف عما قريب الحقيقة التي لم نتمكن من اكتشافها".

"أعتقد بأنه من الأفضل أن نكتشفها قبل أن يحصل أمر ما".

وصلنا إلى الجهة الخلفية لنادي الصيد الرئيسي من غير أن نصادف حيواناً برّياً متوحشاً واحداً، ورأيت باباً عليه لافتة خشبية كُتب عليها موهوك.

دخلنا الباب غير المقفل، وقمت بإحكام مساميره الداخلية، ولكنني لم أكن متأكداً من أنه سيبقي الدببة خارجاً. ربما يجدر بي نقل الخزانة ووضعها خلف الباب مباشرة.

قالت كايت: "أوه، هذا رائع".

"ما هو الشيء الرائع؟"

"الغرفة. انظر إلى هذا المكان".

"حسناً". نظرت. كانت غرفة كبيرة ذات سقف كاتدرائي، وجدران مصنوعة من ألواح خشب الصنوبر. كان يوجد سرير ضخم بدا أنه مريح، ولكنه كان مرتفعاً جداً عن الأرضية، وأنت لا ترغب في السقوط عنه. وعلى السرير كان هناك سلّة مصنوعة من الخيزران مليئة بأدوات الزينة.

كان هناك الكثير من قطع الأثاث في الغرفة، والكثير من الوسادات والبطانيات، والتي أعرف بأن السيدات يحببْنها.

وفيما كانت كايت تتحسس الأقمشة وتشمّ الأزهار، تحققت من الحمام، فأنا أهوى الحمامات، وتبين لي بأن الحمام كان جيداً. وأنا أحبّ وعاء المرحاض الجيد. غسلت وجهي في المغسلة ثم عدت إلى الغرفة الرئيسية.

كان يوجد في الجدار البعيد مدفأة كبيرة مصنوعة من الحجر، وكان يوجد في داخلها قطع خشبية وحطب للوقود قامت كايت بإشعاله بعود ثقاب. اشتعلت النار، ووقفت كايت، وقالت: "هذا منظر رومانسي للغاية".

كان يوجد فوق المدفأة قرون أيل ضخمة ذكّرتني بأنني شبق، فقلت، "أنا شبق".

"ألا يمكننا الاكتفاء بالاستمتاع بالغرفة؟"

"أنتِ قلتِ بأن الجو رومانسي. إذن؟"

"الرومانسية والجنس ليسا شيئاً واحداً".

عرفت بأنني إذا جادلت في تلك النقطة، فلن أحصل على أي منهما، ولذلك قلت: "أنـــا متأثر جداً بذلك. اسمحي لي بالاستماع إلى الموسيقى". كان يوجد جهاز لتشغيل الأقراص المدمجة على الطاولة وإلى جانبه مجموعة من الأقراص.

تمكــنت بسرعة من العثور على قرص مدمج لإيتا جايمس، والذي عرفت بأنها تحبّه، وقمت بتشغيله. بدأ إيتا يغنّي بصوت خافت، "وأخيراً".

وجــدت كايت زجاجة شراب فرنسي أحمر على طاولة المائدة، ففتحتها وصبّت كأسين، وأعطتني واحدة وقالت: "لنشرب نخبنا".

أنا لست مغرماً بالشراب الفرنسي، ولكنني اكتشفت أن الشراب الفرنسي يساوي الرومانسية، والرومانسية تؤدّي إلى... كل ما قد يخطر ببالك.

أطفــأت كايــت الأنوار، وخلعنا أحذيتنا، وجلسنا على كرسيين منجّدين مريحَين يواجهان بعضهما أمام النار المتوهجة.

قالت كايت: "الفكرة كانت جيدة باستثناء أنها باهظة الكلفة".

"هاي، حصلتُ على نصيحة حول أسعار النفط من باين. سنشتري كميات جاهزة للتــسليم مـــن النفط حالما تفتح الأسواق. ثم أقوم بالاتصال بوكيل المراهنات في اليوم الأول لــبدء الحــرب". وســألتها، "هل تعتقدين بأن لهذه الحرب أية علاقة بما يخطط مادوكس للقيام به؟"

"هذا محتمل".

"أجل... ربما ينوي مادوكس قصف بغداد بالأسلحة النووية وإغنائنا عن الحاجة إلى دخول الحرب. هل يمكن أن تكون تلك لعبته؟"

"لست أدري. ولماذا تتكهّن؟"

"هذا يسمى تحليلاً. وهذا ما نتقاضى رواتبنا من أجله".

"أنا الآن خارج وقت الدوام".

"هل سيؤدي ضرب بغداد بالأسلحة النووية إلى رفع أسعار النفط أم إلى خفضها؟ وكــيف يمكنني المراهنة غداة شنّ الحرب إذا جرى استباق الحرب بانفجار نووي؟ ما هو رأيكِ؟"

"أنا أفكر في أنه ينبغي عليك التوقف عن التفكير في ذلك هذه الليلة".

نظــرت من حولي في الغرفة المعتمة، التي باتت مضيئة الآن بفعل النار. كانت ألــسنة النار تنعكس على اللوحات الزيتية اللامعة المعلقة على الجدران. زادت سرعة الــرياح، وكان في مقدوري سماع صفيرها في المدخنة ورأيت مجموعة من الأوراق وهي تصطدم بالنافذة. قلت: "هذا رومانسي فعلاً. أنا أرى الفرق الآن".

ابتسمت، وقالت: "أنت تسير على المسار الصحيح".

"هــذا جــيد. هــاي، هل تعلمين بأن ويليام أفيري روكيفلر كان يجانس في هذه الغرفة بالذات؟"

"هل هذا هو الشيء الذي تفكر فيه؟ أعني، ها نحن في أحد معسكرات أديروندداك التاريخــية الرائعة، وكل ما يمكنك التفكير فيه هو كيف كان روكيفلر يجانس في هذه الغرفة؟"

"هــذا لــيس صحيحاً. كنت أنوي التعليق على الحركة الريفية لدى الأثرياء في الجــزء الأول من القرن الماضي والتي أدّت إلى بناء هذه المنازل الريفية لتكون ملاذاً بــسيطاً لهم من تعقيدات الحياة المدينية بكل ما فيها من ضجيج، وتلوّث، واكتظاظ في السكان".

"هذا مثير للاهتمام".

"كمــا أن روكيفلر كان شبقاً. انظري إلى ما حدث لنيلسون روكيفلر المسكين. ثم انظري إلى أويسترز روكيفلر، محار، هل تفهمين؟ وبالتالي فإن إشارتي إلى أن ويليام أفيري..."

"جون، أنت تخسر النقاط".

"أنــتِ محقّــة". وهكذا، أصغينا إلى إيتا جايمس، وراقبنا النار، وشربنا الشراب الفرنسي. وكانت حرارة النار تشعرني بالنعاس، وتدفعني إلى التثاؤب.

وقفــت كايــت، وذهبتْ إلى السرير، ورفعت البطانية الصوفية والوسادة بعد أن كانت قد وضعتهما أمام المدفأة. ثم اندست في شيء أكثر راحة.

كــان هــذا اليوم سيئاً للغاية، وغداً، في حال كنا سنراه، لن يكون أفضل بكثير. ولكن في الوقت الحالي، كنا نقضي أمتع الأوقات.

القسم 10

يوم الثلاثاء

شمال ولاية نيويورك

لقد غيّرت القوة مطلَقة العنان للذرّة كل شيء، وغيّرت مزاجنا في التفكير، ودفعتنا بالتالي نحو كارثة لم يسبق لها مثيل.

– ألبرت آينشتاين

الفصل 29

جاءت مكالمة إيقاظنا من النوم عند الساعة السادسة صباحاً مما جعلني أفكر في الأسـباب التي دعتني إلى طلب إجرائها. بدا وكأن رجالاً اسكتلانديين يلقون الحجارة على رأسي.

استيقظت كايت، وتمتمت ببضع كلمات، ثم دفنت رأسها أسفل الوسادة.

وجدتُ غرفة الحمام في العتمة، واستخدمت أدوات الزينة المتوفرة في الغرفة، ثم اغتسلت بالدوش؛ والذي بدا أنه يساوي مليون دولار، أو ألفاً ومئتي دولار على الأقل.

عدت إلى غرفة النوم، وارتديت ثيابي في العتمة، وتركت الجمال النائم ليستريح. في الواقع، أمضى كلانا ليلة أرق بعد يوم مجهد للغاية. وللمرة الأولى منذ زمن طويل، حلمت بأنني أقف أسفل أبراج تحترق فيما الناس يقفزون من النوافذ. كما حلمت بهاري وحضوري لجنازته.

فتحت الباب الذي يؤدي إلى غرفتنا، ورأيت أنه يؤدي إلى ممر قصير مفتوح على القاعة الكبيرة.

دخلت القاعة، حيث كانت الطاولتان المستديرتان قد جُهزتا بطعام الفطور، وكانت النار تتوهج من المدفأتين في جانبي الغرفة. ولو لم أكن شرطياً، لكنت واحداً من أبناء روكيفلر.

فُتح باب المطبخ، وكان في مقدوري سماع أصوات الأشخاص الذين يحدثون ضجيجاً في المكان، وهم يعدّون طعام الفطور.

اعتقدت أنني سمعت صوتاً يقول بلكنة فرنسية سجق *بالعجين المخبوز*؟ ثم سمعت ضحكة بعدها. ولكن ربما كنت أتخيل.

كان يوجد على طاولة جانبية قهوة وفطائر مستديرة. ملأت كوباً من القهوة بدون لبن، ومشيت عبر الأبواب الزجاجية وصولاً إلى المصطبة، وأخذت نفساً عميقاً من الهواء الجبلي.

كان المكان لا يزال مظلماً، ولكن كان في مقدوري رؤية أن السماء صافية، وأنه يوم جميل آخر في هذه الجنان.

هناك اعتقاد لدى العاملين في مجال تطبيق القانون، تعززه الخبرة والإحصائيات، وهو أن الساعات الثماني والأربعين الأولى من التحقيق الجنائي هي الأكثر أهمية. ومن ناحية أخرى، يتحرك العمل الاستخباري وعمليات مكافحة الإرهاب بخطى أبطأ. وهناك أسباب وجيهة لذلك، ولكن غريزتي وخبرتي كشرطي قالت لي إن كل ما أحتاج إلى معرفته، وكل شيء سأكتشفه، سيستغرق يومين، وربما ثلاثة أيام. لكنّ ما تفعله بتلك المعلومات خلال تلك المدة هو الذي يمثّل وجه الاختلاف بين قضية أُغلقت بنجاح، وبين تخبّط الرؤساء المتطفلين، والمدّعين العامّين أصحاب العقول المغلقة، والمشبوهين غير المدانين، وقضاة الاستدعاء شبه الأذكياء. وإذا منحت كافة هؤلاء الأشخاص الوقت الكافي للتفكير، فسيفسدون الأمور.

فيما كنتُ غارقاً في أفكاري الصباحية الملهمة، جاءت كايت إلى المصطبة مرتدية روب الحمام والخفّ المنزلي وفي يدها فنجان من القهوة. تثاءبت، وابتسمت، وقالت: "صباح الخير".

"صباح الخير يا سيدة روكيفلر". سواء أكنت متزوجاً أم لا، البروتوكول الصباحي بعد المجانسة هو إعطاء قبلة، وتقديم مجاملة، والإشارة إلى أنكما قضيتما أمسية رومانسية من غير أن يبدو الكلام خالياً من العواطف، وأن يكون واضحاً من غير أن يكون منفراً.

تمكنت بصعوبة من تطبيق كل ما تقدم، ووقفنا على المصطبة، يد أحدنا في يد الآخر، فيما كنا نشرب القهوة، وننظر إلى أشجار الصنوبر وأوراق الخريف.

بدأت الشمس تشرق، وكان الندى يفرش الأرض المنحدرة إلى أسفل نحو بحيرة سارناك العليا التي بدت هادئة جداً. كان الجو هادئاً، والهواء مشبعاً برائحة رطوبة الأرض ودخان الحطب. عرفت لماذا أحبّ هاري هذه المنطقة، وتخيّلته وهو يستيقظ صباح يوم السبت في سيارته المقطورة ليترقّب مشهداً شديد الشبه بهذا المشهد قبل أن يتابع طريقه نحو نادي كاستر هيل.

قالت كايت: "ربما عندما نفرغ من هذه القضية، سنأخذ إجازة لمدة أسبوع ونستأجر كوخاً جبلياً بالقرب من البحيرة. ألن يكون ذلك رائعاً؟"

فكّرت في أنه إذا انتهت هذه القضية على غير ما نتمنّاه، فلن نكون بحاجة إلى أخذ إجازة لمدة أسبوع، وسيتوفر لنا حينها الكثير من الوقت الحرّ.

أضافت كايت، "أعتقد بأن تلك كانت ميزة تناسب هاري".

أجبتها، "سيكون ذلك في منتهى الروعة".

شعرتْ كايت بالبرد، ولذلك عدنا إلى القاعة الكبيرة، وهناك، وجدنا زوجين على أريكــة بالقــرب مــن المدفأة. ملأنا كوبينا من جديد، وجلسنا على أريكة قبالة أريكة الــزوجين. أشــارت لغــة جسدي بوضوح إلى أنه لا نية لديّ في الدخول في حوار معهمــا. وأعطى الرجل، الذي كان ملتحياً وفي منتصف العمر، إشارات مماثلة. لكن زوجته أو عشيقته ابتسمت وقالت: "هاي، اسمي سيندي، وهذا خطيبــي سوني".

لم يكن وجه سوني مشرقاً بل بدا في الواقع متجهماً. ربما وصلته الفاتورة للتوّ. ومن ناحية أخرى، كانت سيندي مرحة ولطيفة، وعلى الأرجح أنها تتكلم مع سمكة من نوع غولد فيش في وعاء.

بــدأت كايت وسيندي تتحدثان عن فندق **ذي بوينت**، وأبناء أديروندداك، وما إلى ذلك. بقيت عابساً وصامتاً. كانت الحرارة المنبعثة من النار لطيفة.

كانــت ســيندي والعــابس قادمَــين من لونغ أيلاند، وكان يعمل، على حدّ زعم سيندي، "في صناعة الكتب". وكانت سيندي تعمل في ميدان العلاقات العامة وهذا هو سبب تعرّفهما على بعضهما. كنت متأكداً من أن أحدهما لا بدّ وأنه ثمل.

قالت كايت إنها كانت محامية، وهو أمر صحيح بشكل جزئي، وقالت إنها عاملة مــؤهلة في ميدان الشؤون الاجتماعية، تعمل بين أوساط الجالية المسلمة، وهي قصة بدت مضحكة، ولكن العابس أصدر صوت شخير تعبيراً عن عدم موافقته.

بطريقة ما، انتقل موضوع الحديث إلى التسوّق، وقالت سيندي لكايت بأنه توجد متاجــر جيدة في قرية لايك بلاسيد. تجمّدت عيناي واعتقدت بأنه حصل الشيء نفسه لعيني العابس، ولكنني لاحظت بأنه كان ينظر إلى كايت التي انفرج ثوبها من الأعلى قليلاً. بدا واضحاً أن هذا الرجل حيوان.

وحول ذلك الموضوع، لم يكن في إمكاني سوى ملاحظة أن سيندي كانت جميلة جــداً، بشعرها الأشقر الطويل، وعينيها العسليتين، وسماتها الإسكندنافية، وحضورها الــرائع فعلاً، إلى غير ذلك من الصفات. بدت أصغر سناً من المدعو خطيبها بحوالى عشرين عاماً، ولم أكن أستطيع أن أتخيل الشيء الذي وجدتْه جذّاباً فيه، باستثناء النتوء في سرواله، أقصد محفظة نقوده.

خرج العابس عن صمته وقال لي: "لديّ فكرة جيدة عن الهجرة. بصرف النظر عــن المكان الذي وُلدتَ فيه، احرص على البقاء هناك". ثم وقف، وألقى نظرة أخيرة على الشقّ الذي في ثوب كايت من زاوية أفضل، وقال لها وليس لي: "سُررتُ بلقائكِ".

وقفت سيندي أيضاً، وقالت: "سنلتقي على مائدة العشاء. سيعدّ لنا الطاهي دجاجة الأرض هذه الليلة".

دجاجة الأرض؟ وقفتُ، وقلت: "سمعت أن دجاجته مكتنـــزة ورطبة".

ابتسمت سيندي من غير أن تباعد ما بين شفتيها.

قالت كايت: "جون"، ثم قالت لصديقينا الجديدين: "أتمنّى لكما يوماً طيباً".

أجاب العابس، "لديّ خطط أخرى". ثم غادرا المكان.

قالت كايت: "ثنائي لا يناسب أحدهما الآخر على الإطلاق".

"هل تتحدثين عنهما أم عنّا؟"

تـــرك العـــابس صـــحيفة النيويورك تايمز على الأريكة، فنظرت إلى صفحتها الأولـــى. تصدّر الصفحة العنوان التالي: الشرخ الأميركي الفرنسي يزداد عمقاً. قلت لكايـــت: "أتـــرين؟ لـــو أن هـــؤلاء الأشـــخاص تناولوا طعاماً حقيقياً مثل الأيرلنديين والإنكليـــز، لكـــان لـــديهم بعـــض الشجاعة. من يأكل الحلزونات؟ إليكِ قصة أخرى: مهـــرجان للألعـــاب النارية في ديزني خارج باريس يتسبب في إلقاء الحامية الفرنسية القريبة من المكان أسلحتها واستسلامها إلى حافلة مليئة بالسياح السويديين".

"جون، لا يزال الوقت مبكراً جداً للحديث عن ذلك".

"دجاجـــة الأرض". قـــرأت العـــنوان الرئيسي الذي كان: بوش يربط بين تفجير الملهى الليلي في بالي وبين شبكة القاعدة. تصفحت تفاصيل ما جاء في الخبر ورأيت أن: بعض المسلحين الإسلاميين يروّجون لنظرية تقول إن الولايات المتحدة هي العقل المدبّـــر وراء الهجـــوم الـــذي وقـــع يوم السبت كوسيلة من أجل التلاعب بالحكومة الإندونيسية ودعم حجتها لشنّ حرب على الإسلام.

سبق أن قال المسلحون الإسلاميون الكلام نفسه عقب هجمات 11 من سبتمبر/أيلول. كانـــت نظـــرية مشوّقة، تتميّز بسمة مقنعة بما يكفي لكي تدفع ببعض الناس إلى التساؤل. أعني، أنا لا أؤمن بنظرية المؤامرة، ولكنني لا أستطيع أن أتخيل وجود أشخاص في هذا البلد، من داخل الحكومة ومن خارجها، أرادوا ذريعة لتوسيع رقعة الحرب على الإرهاب بحـــيث تتضمن بلداناً إسلامية معينة، كالعراق مثلاً. وفكرّت في شيء قاله أحد الأشخاص الـــذين يثيـــرون الفـــزع في وكالة الاستخبارات المركزية أمام *الوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب*: ما نحتاج إليه هو هجوم جيد واحد آخر.

أعتقد بأن في إمكاني العمل بدون ذلك، ولكنني فهمت مراد ذلك الشخص.

قالت لي كايت: "أنا ذاهبة لكي أستحمّ. ماذا ستفعل؟"

نظـــرت إلـــى هاتفي الخليوي ووجدت أنه لا يوجد إرسال. قلت: "أريد الاتصال بـــشافير لـــتحديد موعد لرؤية مسرح الجريمة، ولذلك فسأستخدم الهاتف الموجود في المطبخ. سأراك في الغرفة".

"كن لطيفاً مع بيار".

"أجل، أجل".

ذهبت كايت لتستحمّ، وذهبت إلى المطبخ. كان المكان يعجّ بالحركة بحيث لم يلحظ أحد أو يأبه لوجودي فيه، ولذلك وجدت الهاتف الذي كان مثبتاً بالجدار، واتصلت بمقرّ شرطة الولاية. أجاب الرقيب المناوب، وطلب مني الانتظار. كانت رائحة منتجات اللحوم تفوح في المطبخ، وكانت عصافير معدتي تزقزق.

نظرت إلى ورقة النعي في صحيفة التايمز، ولكنني لم أجد اسم هاري مولر. ربما لا يزال الوقت مبكراً لنعيه، أو ربما لم يُنشر الخبر في التايمز. تفحصت قسم الأخبار المحلّية لأرى إن كان يوجد خبر عن وفاة هاري، ولكنني لم أرَ شيئاً. والسبب هو أن حادثة صيد تقع في شمال الولاية لا تعتبر خبراً يستحق الذكر، بخلاف مقتل عميل فيدرالي. ولذلك، سيصدر مكتب التحقيقات الفيدرالي والشرطة المحلّية بياناً مشتركاً يشير إلى أن الوفاة ناجمة في الظاهر عن حادثة عرضية، ولكن التحقيق لا يزال مستمرّاً. وسيُطلب إلى كل وكالة إخبارية تريد الحصول على مزيد من المعلومات أن تمتنع عن الإشارة إلى القصة لكي لا تسيء إلى عائلة القتيل، و/أو تبوح باسم أحد المشتبه فيهم. وعادة ما يتيح لك ذلك الحصول على مهلة تمتدّ لعدة أيام.

ناديت نادلة كانت تسير بالقرب منّي، وقلت: "هل يمكنكِ أن تسدي لي خدمة، وتتحققي من وجبة الفطور المعدّة لكوري، غرفة الموهوك. يمكنني تناول شطيرة من اللحم المملّح مع نبات الجاودار".

"أتريد طعامك الآن؟"

"أجل رجاءً، إضافة إلى القهوة".

أسرعتْ بالخروج، وسمعتُ صوت شافير يقول: "صباح الخير".

بالكاد كنت أستطيع سماعه بسبب الضجيج في المطبخ. قلت بصوت مرتفع "صباح الخير. ما هو الوقت الأنسب للذهاب إلى مسرح الجريمة؟"

"كن هنا عند الساعة الثامنة. وسألتقي بك في الردهة".

"شكراً. هل من أخبار جديدة؟"

"لقد تحدثت إلى الدكتورة غليسون ليلة أمس".

"إنها امرأة لطيفة".

"قالت إنك تجاوزت مهمة التحقق من هوية صاحب الجثة، وقمت بالوداع الأخير".

"قلت لك بأنه ظهرت على الجثة علامات تدلّ على إساءة بدنية".

"حقاً؟ وهل تفحصت أياً من أدواته الشخصية؟"

"كلا على الإطلاق". لقد تفحصتها كلها.

سألني، "هل وجدت أي شيء أيها التحرّي؟"

"كلا". مجرّد كتابة في جيب هاري والمكالمات التي تلقّاها هاتفه الخليوي.

"هل أزلتَ شيئاً؟"

"كلا". باستثناء خريطة أرض نادي كاستر هيل.

"يقول عناصر الشرطة لديّ بأنك لم توقّع أنت أو زوجتك قبل دخولكما المشرحة وبعد خروجكما منها".

"دعني أختصر المسألة يا حضرة الرائد، لِمَ لا أذهب أنا وأنت إلى المشرحة بعد أن ننتهي من زيارة مسرح الجريمة؟"

"لم يعد ذلك ممكناً. لقد أخذ عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي الجثة ليلة أمس".

"قلت لك، بأنه يتعين عليك التحرّك بسرعة".

"شكراً لك".

وضعت النادلة صينية على المنضدة، وقالت: "سيتم تقديم طعام الفطور عند الساعة السابعة".

"شكراً لكِ. أضيفي بعضاً من هذا البسكويت حالما يتم إخراجه من الفرن".

سألني شافير، "كيف وجدت فندق **ذي بوينت؟**"

"رائع. كافة المشروبات مجانية. أين وصلنا على صعيد مذكرة التفتيش وتنفيذ عملية المراقبة؟" تناولتُ قضمة كبيرة من الشطيرة التي طلبتها. "هذه فردوس".

"انسَ أمر مذكرة التفتيش في الوقت الحالي، ولكنني بدأت عملية المراقبة ليلة أمس".

"هل وجدت شيئاً؟"

"أجل. عند الساعة 8:03 مساءً، غادرت مركبتان النادي، إحداهما مقفلة من طراز فورد ومسجلة باسم نادي كاستر هيل، والأخرى من طراز فورد توروس ومسجّلة باسم شركة إنتربرايز رنت أكار".

تخلصت من أثار اللحم بشربة من فنجان القهوة، وسألته "إلى أين توجّهتا؟"

"توجّهتا إلى مطار أديرونداك الإقليمي. كانت المحطة التجارية مقفلة في تلك الساعة. وقد ترك السائقان سيارة التوروس في مرآب الإنتربرايز وسلّما مفاتيح السيارة، ثم انطلقا في المركبة المقفلة وعادا إلى نادي كاستر هيل".

"ماذا تستنتج من ذلك؟"

أجاب، "يبدو أنهما أعادا سيارة مستأجَرة. ما رأيك في ذلك؟"

يملك الرائد شافير روحاً فكاهية مقزّزة. قلت له: "تحقق من صندوق السيارة بحثاً عن آثار لها علاقة بالجثة. ما هو رقم لوحة سيارة التوروس؟"

"أنا لا أراها أمامي". كانت تلك طريقته المؤدبة البديلة عن قول: "ماذا صنعت لي مؤخراً؟"

قلت: "شاهدت سيارة توروس زرقاء تعود لشركة إنتربرايز في نادي كاستر هيل عندما ذهبت إلى هناك". أعطيته رقم لوحة السيارة بعد أن استحضرته من ذاكرتي وسألته، "هل هذا هو رقمها؟"

"يبدو أنه كذلك". وأضاف، "سأتصل بشركة إنتربرايز لكي أعرف من الذي استأجر تلك السيارة".

أعتقد أنني ربما حصلت على تلك المعلومة من لاري، صديق كايت، الذي يعمل لدى إنتربرايز، ولكنني قلت: "هذا جيد. هل هناك معلومات أخرى كشفتها المراقبة؟"

"لا توجد معلومات أخرى. ولكن ما الذي نبحث عنه".

"لا يمكنك أن تعرف، ولكنني أودّ أن أعرف إن كان مادوكس لا يزال في النادي".

"حسناً".

"انتظر يبدو أن هناك طفلاً برداء طاهٍ بليد يحاول أن يلفت انتباهي". سألته "ماذا تريد؟"

"أريد أن أستعمل الهاتف. عليّ أن أطلب طلبية".

"ما هو الشيء الذي تريد أن تطلبه؟ دجاجة أرض؟ أنا من يتحكم بسوق دجاج الأرض. أعطني رقم هاتفك. كم دجاجة تريد؟"

"أريد استعمال الهاتف يا سيد".

"هاي، أنا أحاول إنقاذ العالم هنا يا رفيقي. انتظر لحظة". قلت لشافير: "أنا أستخدم هاتف المطبخ. سأراك عند الساعة الثامنة".

أقفلت الخط، وسلّمت الهاتف إلى الطاهي، وقلت: "إذا انتهى العالم، سيكون الذنب ذنبك".

اقترب منّي رجل وسيم يلبس رداء أبيض، والذي كنت أعرف بأنه رئيس الطهاة الفرنسي، ومدّ يده. قال الرجل بلكنة معينة: "صباح الخير". تصافحنا، وقال: "أنت بالطبع السيد كوري".

"ماذا تستنتج من ذلك؟"

أجاب، "يبدو أنهما أعادا سيارة مستأجَرة. ما رأيك في ذلك؟"

يملك الرائد شافير روحاً فكاهية مقزّزة. قلت له: "تحقق من صندوق السيارة بحثاً عن آثار لها علاقة بالجثة. ما هو رقم لوحة سيارة التوروس؟"

"أنا لا أراها أمامي". كانت تلك طريقته المؤدبة البديلة عن قول: "ماذا صنعت لي مؤخراً؟"

قلت: "شاهدت سيارة توروس زرقاء تعود لشركة إنتربرايز في نادي كاستر هيل عندما ذهبت إلى هناك". أعطيته رقم لوحة السيارة بعد أن استحضرته من ذاكرتي وسألته، "هل هذا هو رقمها؟"

"يبدو أنه كذلك". وأضاف، "سأتصل بشركة إنتربرايز لكي أعرف من الذي استأجر تلك السيارة".

أعتقد أنني ربما حصلت على تلك المعلومة من لاري، صديق كايت، الذي يعمل لدى إنتربرايز، ولكنني قلت: "هذا جيد. هل هناك معلومات أخرى كشفتها المراقبة؟"

"لا توجد معلومات أخرى. ولكن ما الذي نبحث عنه".

"لا يمكنك أن تعرف، ولكنني أودّ أن أعرف إن كان مادوكس لا يزال في النادي".

"حسناً".

"انتظر يبدو أن هناك طفلاً برداء طاهٍ بليد يحاول أن يلفت انتباهي". سألته "ماذا تريد؟"

"أريد أن أستعمل الهاتف. عليّ أن أطلب طلبية".

"ما هو الشيء الذي تريد أن تطلبه؟ دجاجة أرض؟ أنا من يتحكم بسوق دجاج الأرض. أعطني رقم هاتفك. كم دجاجة تريد؟"

"أريد استعمال الهاتف يا سيد".

"هاي، أنا أحاول إنقاذ العالم هنا يا رفيقي. انتظر لحظة". قلت لشافير: "أنا أستخدم هاتف المطبخ. سأراك عند الساعة الثامنة".

أقفلت الخط، وسلّمت الهاتف إلى الطاهي، وقلت: "إذا انتهى العالم، سيكون الذنب ذنبك".

اقترب منّي رجل وسيم يلبس رداء أبيض، والذي كنت أعرف بأنه رئيس الطهاة الفرنسي، ومدّ يده. قال الرجل بلكنة معينة: "صباح الخير". تصافحنا، وقال: "أنت بالطبع السيد كوري".

"وِي".

"أوه، أنت تتكلم الفرنسية".

"وِي".

"حـــسناً. أنـــا أدعى هنري، رئيس الطهاة. يتوجب عليّ التعبير عن أسفي الشديد على السجق الملفوف بالعجين المخبوز".

لفظ اسم الطبق بطريقة صحيحة، وإن لم يصف مكوناته. قلت: "هاي، انسَ الأمر يا هنري".

"لـــم أنـــسَ الأمـــر، ولذلك طلبت، تطييباً لخاطرك، مكوناتها، وسنقدم الطبق في ساعة الكوكتيل".

"هذا رائع. أحب أن يكون لون القشرة قريباً من البنّي".

"أجـــل بالطـــبع". وانحنـــى نحوي، وهمس قائلاً: "وأنا أيضاً أحب هذه الأشياء الصغيرة".

تأكدت الآن من أنه يشدّ لجامي، فقلت: "لن أخبر أحداً. حسناً، لا تنسَ أن تضيف الخردل. سأراك في وقت لاحق".

"هل تسمح لي بأن أريك المطبخ؟"

نظرت حولي، وقلت: "يبدو جيداً".

"يمكنك طلب أي طبق خاص لأية وجبة".

"هذا رائع. كنت أفكر في دجاجة الأرض مؤخراً".

"هذا مدهش. فهذه الليلة، سنقدم طبق دجاجة الأرض".

"لا بدّ وأنك تمزح؟ حسناً، يجدر بي المشاركة في سحب اليانصيب اليوم".

"حقاً؟ أوه، أنا أفهم".

نظرت إلى ساعتي، وقلت: "حسناً، ينبغي عليّ...؟

"انتظر لحظة". سحب ورقة من جيبه وقال: "هذه هي قائمة الطعام لهذه الأمسية". وقرأ "تبدأ بيخنة الفطر الجبلي، ثم بقطع الفيليه الهشة من سمك الشار القطبي الشمالي، والتـــي نقدمها مع الفلفل. أعتقد بأنه يمكن أن نضيف الشراب الفرنسي الأبيض صنع كاليفورنـــيا. ثم نقدم دجاجة الأرض مع تشكيلة من الخضار المحلّية، وشراب البورت البرتغالي. كيف وجدت القائمة؟ سيد كوري؟"

"أوه، يبدو أنها سترضي الحشود".

"هذا جيد. ثم ننهي وجبتنا باستكشاف أنواع الشوكولاته".

"خاتمة ممتازة".

"مع شراب ذهبي اللون بالطبع. هل ستنضمّ إلينا مع زوجتك في تناول الغداء؟"

"كلا، سنحضر سباق السناجيب المقلّمة. أشكرك على..."

"حسناً، يتوجب عليّ إذاً أن أوضب لك غداء للنــزهة. متى ستغادر الفندق؟"

"بعد عشرين دقيقة. أرجوك ألاّ تزعج نفسك..."

"أنـــا أصـــرّ على القيام بذلك. ستجد سلّة تحتوي على طعام الغداء في سيارتك".

ومـــدّ يـــده وتـــصافحنا، وقال: "ربما تكون بيننا خلافات، ولكننا نظلّ أصدقاء، أليس كذلك؟"

بلى. كان قد بدأ يساورني إحساس بالندم على موقفي المعادي للفرنسيين، ولذلك قلت: "سوية، يمكننا تأديب بعض العراقيين. أليس كذلك؟"

لم يكن هنري واثقاً من ذلك، ولكنه ابتسم، وقال: "ربما".

"يمكننا ذلك. سأراك في وقت لاحق".

وفيما كنت أغادر المطبخ، سمعت هنري وهو يصيح مصدراً أوامره بإعداد غداء لنــزهتي. على رِسلك يا هنري.

عـــدت إلى الغرفة، وقلت لكايت التي كانت تتزيّن أمام المرآة، "علينا أن ننطلق بسرعة. علينا أن نكون في مقر شرطة الولاية عند الساعة الثامنة".

"طعام الفطور موجود على الطاولة. ماذا قال لك الرائد شافير؟"

"سأخبرك ونحن في طريقنا إليه. أين توجد حقيبتكِ؟"

"إنها أسفل السرير".

مـــددت يـــدي أســـفل السرير، وسحبت الحقيبة، وبدأت أقلّب رزمة عقود تأجير الـــسيارات التـــي حـــصلنا عليها من شركة إنتربرايز فيما كنت واقفاً بجانب الطاولة، وكشفت الغطاء عن السلّة التي كانت تحتوي على البسكويت الحارّ.

"ما الذي تبحث عنه؟"

"الزبدة".

"جون.."

"آه. ها قد وجدتها".

"ماذا وجدت؟"

"وجدت عقد تأجير السيارات الذي يحتوي على رقم لوحة السيارة التي شاهدناها في نادي كاستر هيل". وضعت العقد على الطاولة وأضفت الزبدة إلى قطعة من البسكويت.

"من الذي استأجر تلك السيارة؟"

"ربما يكون من استأجرها مثيراً للاهتمام".

"من يكون؟"

"هذا هو اسمه. إنه روسي، ميخائيل بوتيوف".

فكّرت في الأمر ثم قالت: "لا يبدو لي أنه عضو في النادي".

"ولا يبدو لي ذلك أيضاً. ربما يحب مادوكس أن يدعو الأعداء القدامى في الحرب الباردة من أجل استعادة ذكريات الماضي". وفيما كنت لا أزال واقفاً، تناولت شيئاً من العجة، وقلت لكايت: "هل تريدين تناول طعام الفطور، أم ترغبين في مواصلة أعمال الدهان؟"

لم أسمع جواباً.

قلت: "ينبغي علينا أن نذهب الآن".

لم أسمع جواباً.

سألتها، "يا عزيزتي، هل يمكنني إحضار عصيركِ وقهوتكِ وقطعة من الخبز المحمّص؟"

"أجل من فضلك".

لم أكن قد تدرّبت جيداً على ذلك بعد، ولكنني كنت أتعلّم. أحضرت عصيرها، ودهنت البسكويت بالزبدة، وأحضرت القهوة إلى طاولة الزينة وسألتها، "هل يتوفر إرسال خليوي؟"

"كلا".

"إذاً، أنا بحاجة إلى إجراء مكالمة أخرى من المطبخ".

"بمن ستتصل؟"

"بشخص يمكنه الاستقصاء عن هذا الرجل الروسي".

"اتصل بمكتبنا".

"أُفضّل عدم القيام بذلك".

قالت لي: "إننا في مشكلة أصلاً يا جون، وأنت تفهم ذلك. أليس كذلك؟"

"إليكِ كيفية عمل هذا العالم. المعلومات قوة. وإذا أفصحتِ عن معلوماتكِ، فأنتِ تفقدين بذلك عن قدرتكِ على التفاوض بشأن المشكلة التي أنتِ فيها".

أجابت، "إليك طريقة عمل عالمي. ابقَ بعيداً عن المشكلات".

"أعتقد بأننا تأخرنا كثيراً على القيام بذلك يا عزيزتي".

الفصل 30

عـــدت إلى القاعة الكبيرة التي كان يوجد فيها حوالى عشرة أشخاص، بمن فيهم ســـيندي وسوني، موزعين على الطاولتين، ويتناولون طعام الفطور. ابتسمت سيندي، ولوّحت بيدها، فيما كان سوني يبحث عن كايت.

عدت إلى المطبخ، لأجد الطفل نفسه، يستخدم الهاتف أيضاً، وهو يوصي بطلبية أخرى. قلت له: "هنري يريد رؤيتك. الآن".

"ماذا قلت؟"

"أريد استعمال الهاتف. الآن".

عـــبس في وجهي، ولكنه أقفل الخط، ثم ابتعد، وهو يدبدب على الأرض. ينبغي على الصغار أن يتعلّموا الصبر وكيفية احترام الآخرين.

حصلت على رقم الهاتف من دليل الهاتف، وطلبت الرقم.

سمعت صوتاً مألوفاً يقول: "خدمة كيرنـــز للتحرّيات".

قلت: "أظن أن كلبي جاسوس عراقي. هل يمكنك استقصاء معلومات عنه؟"

"من المتكلم؟ كوري؟"

ضحك وقال: "أطلق النار على الكلب. كيف حالك؟"

"رائع، وأنت؟"

"ممتاز. من أين تتصل؟"

"من ذي بوينت"

"ما هو **ذي بوينت**؟"

"أية نقطة؟ آه، إنه المكان الذي أقيم فيه. سارناك لايك".

"هل أنت في إجازة؟"

"كلا أنا في مهمة. كيف حال الوالدة؟"

"مجنونة كما كانت دائماً. كيف حال كايت؟"

"إنها بخير. إننا نعمل معاً".

تبادلـــنا حديـــثاً مؤدباً لمدة دقيقة. ديك كيرنـــز هو تحرّ جنائي سابق في شرطة ولايـــة نيويورك، وأحد عناصر شبكتي الزرقاء التي لاحظت أنها تتناقص كل عام مع تقاعـــد أعـــضائها أو انتقالهم، أو وفاتهم نتيجة لأسباب طبيعية؛ أو كما حدث مع دوم فانيلّـــي، وســـتة أشـــخاص آخرين أعرفهم، ممن تُوفوا أثناء تأديتهم الخدمة يوم 11 سبتمبر/أيلول.

كمـــا عُيّن ديك لفترة قصيرة في *الوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب* حيث حصل على تصريح عالي السرّية، وتعلّم كيفية عمل العملاء الفيدراليين، ولذلك عندما تقاعد، صـــار يجري تحقيقات عن خلفيات أشخاص لصالح مكتب التحقيقات الفيدرالي بشكل مـــستقل. وهو يعمل في صناعة متنامية منذ 11 سبتمبر/أيلول، ويجني من المال أكثر مما كان يجنيه أثناء عمله كشرطي مع إجهاد أقلّ. هذا من حسن حظ ديك.

قلت له: "ديك، أنا بحاجة إلى بعض المعلومات المتعلقة بشخص معين".

"حـــسناً، ولكننـــي غـــارق فـــي العمل. سأبذل كل ما في وسعي. متى تريد هذه المعلومات؟"

"في وقت الظهيرة".

ضـــحك، وقـــال: "أمامـــي عشرة استقصاءات أقوم بها لصالح مكتب التحقيقات الفيدرالي، وقد تأخرت في تسليمها".

"أعطِهـــم كافة التصاريح الأمنية وأرسل الفاتورة. انظر، أريد في الوقت الحالي بعـــض المعلـــومات الموجـــودة فـــي السجلات العامة وربما متابعة بعض المكالمات الهاتفية".

"فـي وقت الظـهيرة؟"

لاحظـــت أن بعـــض الأشخاص بدوا مهتمين بمحادثتي، ولذلك خفّضت صوتي، وقلت لديك: "ربما تكون مسألة تتعلّق بالأمن القومي".

"وأنت تتصل بي بالرغم من ذلك؟ لماذا لا تطلب من مكتبك القيام بذلك؟"

"سألتهم، ولكنهم أرشدوني إليك. أنت الأفضل".

"جون، عدتَ لتحشر أنفك في ما لا يعنيك".

من الواضح أن ديك تذكر أنه ساعدني في السابق بطريقة غير رسمية في قضية تـــي دبلـــيو أي 800، وهـــو يظن الآن أنني عدت إلى ألاعيبـــي القديمة مجدداً. هذا صحيح، ولكن ما سبب انـــزعاجه من ذلك؟ قلت له: "سأدين لك بخدمة كبيرة".

"أنـــت مـــدين لـــي في القضية السابقة. انظر، ماذا حصل في قضية التي دبليو أي 800؟"

"لم يحصل شيء. هل أنت جاهز لسماعي؟"

"جـون، أنا أقوم بذلك لكسب لقمة عيشي. إذا ساعدتك، فقد أُصاب بالإفلاس، أو أُطرد من عملي، أو يُلقى القبض عليّ".

"الاسم الأول هو ميخائيل"، وقمت بتهجئة حروفه.

تنهّد، وأعاد تهجئة الاسم، وسأل "هل هو روسي؟"

"ربما. الاسم الأخير هو بوتيوف". قمت بتهجئة حروفه، وتأكّد من صحة سماعه للحروف، وقال: "آمل بأنه يتوفر لديك هو أكثر من ذلك".

"سأقوم بتسهيل الأمر عليك. حصلت على عقد لاستئجار سيارة. وما لم يكن اسم هذا الشخص مزوراً، فإن المعلومات التي أعطيتك إياها هي كل ما ستحتاج إليه".

"هذا جيد. قل لي ما لديك".

أعطيـته كافة المعلومات ذات الصلة الواردة في اتفاقية تأجير السيارة، بما في ذلك عـنوان بوتـيوف، الذي كان كامبريدج، ولاية ماساشوستس. قال ديك: "حسناً، ينبغي أن تكون العملية سهلة. ماذا ينوي هذا الشخص أن يفعل؟ وما هي الناحية التي تهتم فيها؟"

"لست أدري ما يريد هذا الرجل أن يفعله، ولكنني بحاجة إلى معرفة الوظيفة التي يعمل فيها".

"سأزودك بهذه المعلومة مع الرزمة الأساسية. أين تريديني أن أرسل الفاتورة؟"

"إلـى زوجتي السابقة". لم يكن ديك بحاجة إلى سبب آخر لأداء هذه الخدمة عدا مساعدة رفيق له في الشرطة، ولكن لكي أتأكد من أنه متحفز بما يتجاوز زاوية الأمن القومـي قلـت لـه: "هل تذكر شخصاً كنت أعمل معه في مبنى بلازا 26 الفيدرالي، هاري مولر؟"

"أجل. إنه شخص متقاعد من وظيفته، سبق أن حدثتني عنه".

"أجل. حسناً، لقد قُتل. قُتل في هذه المنطقة، بالقرب من سارناك لايك. ربما تجد نعـياً أو مـا شابه في التقارير، وربما يذكر الخبر أنه قُتل إثر تعرّضه لحادث صيد. ولكنه راح ضحية جريمة قتل".

"يا إلهي، هاري مولر؟ ما الذي حصل؟"

"هذا ما أنا بصدد الكشف عنه".

"وهل هذا الشخص الروسي متورّط في الأمر؟"

"إنه متورّط مع شخص أعتقد أنه القاتل".

"حسناً، إذاً عند وقت الظهيرة. هل يناسبك ذلك؟ كيف يمكنني الاتصال بك؟"

"إن استقبال المكالمات الخليوية سيئ هنا، ولذلك سأقوم أنا بالاتصال بك. كن في مكان يمكّنني من الوصول إليك".

"بالتأكيد".

"أشكرك. ابعث بتحياتي إلى الوالدة".

"ابعث بتحياتي إلى كايت".

وضعت السماعة، وغادرت المطبخ. وجدت أنني بحاجة إلى مكان أفضل لكي أدير هذه العملية.

عدت أدراجي إلى القاعة الكبيرة، ومشيت في الغرفة المستديرة، ثم خرجت من الباب حيث شاهدت كايت جالسة في مقعد القيادة في السيارة.

ركبت في المقعد الجانبي، وقلت: "حسناً، سنحصل على بعض المعلومات المتعلقة بميخائيل بوتيوف عند الظهيرة".

أدارت محرك التوروس وغادرنا المكان.

نظرتُ إلى ساعة السيارة، وقلت: "هل تعتقدين بأن في إمكاننا الوصول إلى المقرّ في غضون ثلاثين دقيقة؟"

"هذا هو سبب قيادتي للسيارة يا جون".

"هل يتوجب عليّ أن أذكّركِ بخوفكِ الشديد من زحمة السير في مانهاتن؟"

"أنا لا أشعر بالخوف... أنا أتدرب على أساليب المراوغة".

"وهذا ما يفعله كل من في حولكِ".

"هذا أمر مسلّ للغاية. هاي، ما الذي يوجد في المقعد الخلفي؟"

نظرت من وراء كتفي وقلت "أوه، فكّرت سلفاً، وطلبت من رئيس الطهاة أن يعدّ لنا غداء لنأكله في النزهة".

"هذا تفكير جيد. هل التقيتَ به؟"

"أجل. اسمه هنري".

"هل كنت فظاً؟"

"بالطبع لا. إنه يقوم بإعداد السجق الملفوف بالعجين أثناء حفلات الكوكتيل. إنه يعدّها لي فقط".

لا أعتقد بأنها صدقتني.

مررنا عبر البوابات، وسرنا في درب ضيّق تحفه الأشجار، وانعطفنا نحو الطريق. ضاعفتْ كايت السرعة، وانطلقنا قاصدين مقرّ شرطة الولاية ما لم يرونا

أولاً ويوقفوننا بسبب قيادتنا المتهورة.

سألتني كايت، "هل من شيء جديد لدى الرائد شافير؟"

"أجل. لقد عمل بنصيحتي وبدأ عملية مراقبة لأرض نادي كاستر هيل".

"وماذا أيضاً؟"

"لقد أعيدت السيارة المستأجرة من شركة إنتربرايز التي رأيناها هناك، والتي استأجرها بوتيوف، إلى المطار".

"إذاً، هل رحل بوتيوف؟"

"إذا كان هو من قاد السيارة، فهو لم يغادر من المطار ليلة البارحة، لأنه أو أي شخص آخر كان يقود السيارة، عاد إلى نادي كاستر هيل في مركبة مقفلة". وسردت لها تفاصيل مكالمتي فيما كانت تقود السيارة، ثم أخرجت عقد تأجير السيارة من جيبي وتفحصته. قلت: "استأجر بوتيوف السيارة صباح يوم الأحد، وهذا يعني أنه قدم بالطائرة في ذلك اليوم على متن الرحلة القادمة من بوسطن أو ألباني".

قالت: "لقد قدم من بوسطن، لأنني تحققت من جداول أسماء الركاب. وصل ميخائيل بوتيوف إلى مطار أديرونداك الإقليمي، سارناك لايك يوم الأحد عند الساعة 9:25 صباحاً".

"هذا جيد. إنه يقيم في كامبريدج". نظرتُ إلى عقد الإيجار، وقلت: "استأجر بوتيوف السيارة ليومين، أي أنه من المفترض أن يعيدها اليوم. وبدلاً من ذلك، أعيدت إلى مرآب المطار ليلة البارحة". سألتها، "هل تحققتِ من الحجوزات في الرحلات التي حصلنا عليها من بيتي؟"

"أجل. من المقرر أن يغادر بوتيوف اليوم عند الساعة 12:45 من بعد الظهر إلى بوسطن".

"حسناً، سنتحقق من ذلك". فكّرت للحظة، ثم قلت: "أتساءل لماذا قدم بوتيوف إلى هذا التجمع متأخراً عن الباقين، ولماذا لا يزال هناك بعد أن غادر الجميع".

"هذا يتوقف على السبب الذي جاء إلى المكان من أجله. ربما كان يتعامل مع مادوكس في تجارة النفط".

أجبتها، "السيد مادوكس رجل مشغول، ويؤدي مهمات متعددة. فهو يمضي عطلة نهاية الأسبوع مع أصدقاء قدامى ونافذين، ثم يقتل عميلاً فيدرالياً، ثم يختم عطلته مع روسي قادم من كامبريدج، بولاية ماساشوستس". وأضفت، "لا أعرف كيف تمكن من إدراج كل ذلك في جدول أعماله".

علّقــت كايــت قائلةً: "أنا لا أعتقد بأن هاري كان جزءاً من خططه ليوم عطلة الأسبوع".

ولكن ربما كان كذلك.

توجهــنا شرقاً على الطريق 86، وبدا أن كايت تجد متعة في السير في المسرب المعاكس مع اقتراب شاحنة منا بسرعة. قلت لها: "خففي السرعة".

"لا أســتطيع. إن دواســة الوقود عالقة، والمكابح لا تعمل. ولذلك، أغلق عينيك، ونم قليلاً".

لــدى كايــت، التي نشأت في منطقة ريفية، الكثير من هذه النكات السخيفة التي تقولها على الطرقات، والتي لم أجد أياً منها يثير الضحك.

أبقيت عينيّ مفتوحتين، ونظرت من زجاج السيارة.

قالت لي كايت: "أريد الاتصال بجون ناسيف. هل تعرفه؟"

"كلا، ولكن لديه اسم أول جميل".

"إنــه مــن اســتخبارات البحرية المضادّة، وقد أُلحق *بالوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب*".

"ماذا تقولين؟"

"إنه يعمل في قسم الاتصالات".

"اسأليه عن هاتفي الخليوي".

تجاهلــت كلامــي، وقالــت: "كــنت أفكر في فريد، أحد المحاربين القدامى في البحرية. وبالتالي، إذا كان لتردد الموجات علاقة ما، ينبغي أن نسأل شخصاً يعمل في الاتصالات في سلاح البحرية عن 'إلف' لنعرف إن كنا قد توصلنا إلى شيء".

لــم أكن متأكداً من أنني أفهم هذا التحليل، ولكن ربما كانت كايت تفكر في أمر مــا. ومن ناحية أخرى، لم أشأ الاتصال بمبنى البلازا 26 الفيدرالي لطرح أسئلة مثل هذه، ولذلك قلت: "أنا أفضل عدم الاتصال بمكتبنا".

"ولِمَ لا؟ فهذا هو المكان الذي نعمل فيه".

"هذا صحيح، ولكنكِ تعرفين كيف يتناقل الجميع الشائعات هناك".

"إنهم لا يتناقلون الشائعات، وإنما يتبادلون المعلومات ويقدمونها. المعلومات قوة، أليس كذلك؟"

"فقــط عندما تحتفظي بها لنفسكِ. دعينا نستخدم الإنترنت لنعرف ما تعنيه عبارة إلف".

"يمكنك استخدام الإنترنت، أما أنا فسأتصل بخبير".

"حسناً، ولتكن لعبة منـــزلية، مثل 'مرحباً يا جون، لدينا رهان يتعلق بالموجات اللاســلكية بالغة الانخفاض. تقول شقيقتي بأنها بالكاد تسلق بيضة، ويقول زوجي بأنها تقلي دماغي'".

"هل تريده أن يعتقد بأننا أغبياء؟"

"بالضبط".

"أنا لست ماهرة مثلك في ادعاء الغباء".

"إذاً، دعيني أتصل به".

"كلانا سيتصل به".

وصـــلنا إلى هامليت أف راي بروك، وبدأتْ كايت تخفف سرعة السيارة. وبعد فتـــرة وجيـــزة، أوقفـــت السيارة في مرآب مقرّ الشرطة الولاية. كانت الساعة 8:05 صباحاً.

حملـــت كايـــت حقيبتها، وخرجنا من السيارة، وبدأنا نمشي نحو واجهة المبنى، ولكنّ سيارة أخرى خرجت من المرآب فجأة، توقفت أمامنا مباشرة.

لم يتبين لي سبب ذلك، ولكنني كنت متأهباً.

انخفـــض زجاج المقعد الجانبي الأمامي، وأطلّ الرائد هانك شافير برأسه وقال: "اركبا".

ركبـــنا ســـيارته، كراون فيكتوريا بدون علامات مميزة، أنا في المقعد الأمامي وكايت في المقعد الخلفي. تساءلت لماذا كان ينتظرنا في المرآب بدلاً من انتظارنا في الردهة، ولكنه أوضح السبب بقوله "اتى رفاق لكم إلى عندي هذا الصباح".

لم أحتج إلى الاستفسار عنهم.

انعطـــف نحو الطريق العام، وقال: "وصل ستة منهم. ثلاثة من المكتب الميداني في نيويورك، واثنان من واشنطن، وواحد من مكتبك".

قلت: "إنهم مبعوثون من قبل الحكومة، وقدا جاءوا لمساعدتك".

"لقد جاءوا لأخذ ملفاتي".

قالـــت كايـــت، التـــي كانـــت تجلس في المقعد الخلفي: "اعذرني، أنا من مكتب التحقيقات الفيدرالي".

قلت لها: "إننا لا نوجه انتقاداً إلى مكتب التحقيقات الفيدرالي يا عزيزتي".

لم تردّ كايت على كلامي.

سألت شافير، "من هو الشخص الذي قدم من *الوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب*؟"

"إنه شخص يدعى ليام غريفيث. هل تعرفه؟"

"بالطبع. إنه من مكتب المسؤولية المهنية".

"ما معنى هذا الاسم؟"

"إنها التسمية الفيدرالية البديلة عن تسمية 'الشؤون الداخلية'".

"حقاً؟ حسناً، إنه يبحث عنكما".

نظرتُ إلى كايت التي بدا أنها مستاءة بعض الشيء.

بعض الناس يطلقون على ليام غريفيث اسم منفّذ القانون، ولكن الرفاق الأصغر سنّاً يسمّونه العميل الأسود، وأنا أسميه المهماز.

أذكــر أنــه كــان من المفترض أن يحضر غريفيث الاجتماع في مبنى التجارة العالمي، ولكن يبدو أنه وصل متأخراً جداً، أو أنه لم يتلقَّ دعوة في الأساس. وعلى أية حال، نجا من مصير كل من كان هناك في ذلك الصباح.

كمــا أن بعــض المشاجرات حصلت بيني وبين السيد غريفيث أثناء التحقيق في قــضية تــي دبليو أي 800، وكانت كلماتي الأخيرة له في مشرب إيكو، "اغرب عن وجهي".

عمل باقتراحي، بالرغم من أنه لم يعمل به بشكل جيد. وها هو قد عاد الآن.

وجهت كايت لشافير السؤال التالي، "ماذا قلتَ له؟"

"قلــت لــه بأنــه على الأرجح أنكما ستأتيا إلى المقرّ اليوم. وقال إنه يرغب في رؤيتكما عندما تصلان". وأضاف، "اعتقدت بأنكما ترغبان في تأجيل ذلك اللقاء".

قلت لشافير: "شكراً لك".

لــم يُظهر امتنانه لشكري ولكنه قال: "اتصل بي رئيسك توم والش بعد رحيلك. وسألني عن القضايا التي تناقشنا فيها، فطلبت منه أن يسألك".

أجبته، "هذا جيد. وأنا طلبت منه أن يسألك". وقلت: "هل قلت له إننا ننــزل في فندق **ذي بوينت**؟"

"كلا. لماذا؟"

نظرتُ إلى كايت، ثم قلت شافير: "حسناً، لقد ترك لنا رسالة هناك".

أعاد شافير القول: "لم آتِ على ذكر المكان الذي تنــزلان فيه".

اعــتقدت بأنــه ربمــا قابل عملاءُ من مكتب التحقيقات في المدينة، أو ليام غريفيث نفسه، صديقي ماكس في الهيرنــز. سألت شافير، "هل ذكر لك والش أننا مكلفان بهذه القضية؟"

أجاب شافير،"كلا. ولكنه لم يقل أيضاً بأن غريفيث موجود هنا من أجل إبعادكما عنها". وأضاف، "ولكنني أعتقد بأنه جاء إلى هنا من أجل ذلك".

إذا كان في مقدوري وكايت أن نتحدث بحرّية الآن، فعلى الأرجح أننا سنتفق على أن توم والش خذلنا. في الواقع، لم أقدر على كتم ذلك في نفسي، وقلت لكايت: "لقد نكث توم بالاتفاق".

أجابت، "كيف لنا أن نعرف ذلك؟" وأضافت، "ربما يريد ليام غريفيث منا... أن نفهم طبيعة مهمتنا هنا".

أجبتها، "أنا لا أعتقد بأن هذا هو سبب اتصال والش بمكتب المسؤولية المهنية، أو أن هذا هو سبب مجيء غريفيث إلى هنا".

لم تردّ على كلامي، ولكن شافير قال: "آخر عبارة سمعتها كانت بأن لديكما سبعة أيام لحلّ القضية، وإلى أن يصلني خلاف ذلك، أنتما المكلّفان بالتحقيق".

"هذا صحيح".

في هذه الأثناء، صرت بحاجة إلى أن أتقدّم على ليام غريفيث دائماً بخطوة.

الفصل 31

بعد مرور أقل من ساعة على مغادرتنا راي بروك، خرجنا من الطريق 56 عند ستارك رود.

كان هاتفان الخليويان ومجيبانا الصوتيين هادئين على غير العادة طوال الصباح وهو ما كنت سأعتبره نعمة عظيمة لو لم يكن الأمر نذير شؤم.

في الواقع، لم يعد رفيقنا المعتاد على الهاتف، توم والش، يتصل بنا بعد أن بعث منفّذ القانون لكي يستقصي عنّا. بحلول هذا الوقت، لا بد وأن والش وغريفيث تحدثا عبر الهاتف بضع مرات، وهما يحاولان التكهن بما يقوم به التحرّي كوري والعملية الخاصة مايفيلد اللذان يُعرفان بالعميلين المرتدَّين.

كنت متأكداً من أن غريفيث طمأن والش إلى أن الوغدين سيرحلان عما قريب، وأنهما سيكونان في عهدته قبل أن يصلا إلى وسط الردهة في مقرّ شرطة الولاية، وفي طريقهما إلى المطار حيث تنتظرهما طوافة تابعة لمكتب التحقيقات الفيدرالي لتنقلهما إلى مانهاتن.

حسناً، هذا ما لن يحدث أبداً.

أطفأت هاتفي الخليوي ومجيبي الصوتي، وطلبت من كايت أن تفعل الشيء نفسه.

سلك شافير الطريق نفسه الذي أرشدنا إليه رودي، وفي غضون خمس عشرة دقيقة، وصلنا إلى نقطة تقاطع حيث يتجه الطريق ماكوين بوند شمالاً نحو بيت الحراسة في نادي كاستر هيل.

مع اقترابنا من نقطة التقاطع، شاهدت شاحنة صغيرة برتقالية اللون متوقفة بجانب الطريق ويوجد على بابها شعار الولاية. كان بالقرب منها رجلان ينظفان الطريق.

خفف شافير من سرعة السيارة وقال لهما: "شرطة الولاية".

أوقف السيارة، وتعرّف الرجلان على الرئيس واقتربا من السيارة. بدا أنهما يريدان إلقاء التحية، ولكنهما كانا يعملان متنكرَين، ولذلك أومأ كل منهما برأسه وقال: "صباح الخير يا حضرة الرائد".

سأل شافير، "هل لاحظتما أي نشاط؟"

أجاب أحد الرجلين، "كلا سيدي. لم يخرج أو يدخل أحد. المكان هادئ".

مازحهما قائلاً: "لا تُجهدا نفسيكما بالعمل، فهذا سيفضح غطاء الخدمة المدنية".

ضحك الشرطيان، فيما واصلنا سيرنا.

قال شافير: "إذا شاهدا مركبة قادمة من كاستر هيل وتنعطف في اتجاه الطريق 56، فسيتصلان عبر اللاسلكي بمركبة لا تحمل علامة الولاية لتتولّى أمر ملاحقتها على الطريق، كما فعلت في الليلة الماضية عندما لاحقت المركبة المقفلة التابعة لنادي كاستر هيل والسيارة التابعة لشركة إنتربرايز". وأضاف، "وفي حال سلكت المركبة المعنيّة هذا الطريق نحو الغابة، فستلحقها الشاحنة".

أضاف شافير، "استخدمنا مساء البارحة شاحنة تابعة لشركة الكهرباء. وبعد يوم أو يومين، لن تكون لدينا أعذار تبرر وجودنا عند تقاطع الطريق وسط الغابة".

سألته، "هل تعتقد بأن أياً من الموجودين في أرض كاستر هيل على دراية بأمر المركبتين؟"

"بالتأكيد. قال الشرطيان بأن الحرس التابع للنادي يجوب هذا الطريق مرّتين على الأقل يومياً مستخدماً سيارة جيب، حيث يتجولون في أرجاء المكان، ثم يعودون إلى النادي". وأضاف، "إنه شكل من أشكال الاستطلاع".

قلت: "كان باين مادوكس ضابطاً في سلاح المشاة".

"أنا أعرف ذلك. وهو يعرف بأن عليه استطلاع المنطقة التي تحيط بأرضه".

كان مادوكس مهوساً أيضاً، وهو الأمر الذي يفيد الأشخاص الذين يلاحقونه.

واصلنا سيرنا على طريق قطع الأخشاب، وقالت كايت: "جون، فهمت ما كنت ترمي إليه بشأن مهمة المراقبة التي كان يقوم بها هاري. كان في مقدوره تنفيذها بعيداً عن تلك الأرض، في المكان الذي توجد فيه مركبة الرائد شافير".

أجبتها، "هذا صحيح. طريق واحدٌ للدخول، وطريق واحد للخروج". وفي ما يختص بالضيوف الوافدين في المركبة المقفلة من المطار، ينبغي أن يوجد من يراقب سرّاً داخل المطار لمعرفة من قدم على متن الطائرات القادمة من بوسطن وألباني، ومن يستقلّ المركبة المقفلة.

بدلاً من ذلك، قام والش بإرسال هاري، لوحده، إلى أرض النادي. وإما أن يقال بأنها كانت مراقبة أسيء التخطيط لها ونُفّذت بأقل كلفة، أو أنها كانت شيئاً آخر، كأن يكون هناك شخص أراد الإيقاع بهاري. حسناً، ليس هاري على وجه التحديد، وإنما

أي شرطي في *الوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب* يجري تكليفه بهذه بمهمة مراقبة ما يسمى بالإرهاب المحلّي، مثلي أنا على سبيل المثال.

بقـدر مـا يبدو هذا التحليل مثيراً، فهو يفتقد إلى الكثير من المنطق. ينبغي أن أصـنف القـضية ضمن الفئات المعتادة للتخطيط السيئ، أو الغباء المكتبي، أو عادتي السيئة في التوجيه الإداري صباح يوم الاثنين.

قطـع علـيّ شـافير حـبل أفكـاري وقال: "لن أحلم بانتقاد كيفية إدارة هؤلاء الأشخاص لمهماتكم، ولكن لم يكن يتوفر لدى صديقكم أي أمل في إنجاز مهمة المراقبة لتلك الأرض".

لم أجب أنا ولا كايت، وواصل شافير حديثه وقال: "لو أنكما اتصلتما بي، لكنت أعطيتكما خريطة للمكان، وقدّمت لكما بعض الرجال والنصائح".

أجبته، "في بعض الأحيان، يمكن أن يكون الفيدراليون متعجرفين وكتومين بعض الشيء".

"أجل، في بعض الأحيان".

ولكـي أغيّـر الموضـوع فـيما نتحدث عن نصائح شافير المتعلقة بالاستعانة بخدماته، سألته، "هل تمكنت من تحديد مكان فريد؟"

"مـن؟ آه، الجندي السابق في سلاح البحرية. لم أفعل ذلك بعد. ولكنني سأتحرّى عن الأمر".

مـن الواضح أن الرائد شافير لم يمضِ الكثير من الوقت في محاولة تحديد مكان فـريد. وأنا واثق من أنه لم يعتقد بأن ذلك في منتهى الأهمية. وأنا نفسي لم أكن أعتقد ذلـك إلى أن اقترحت كايت الاتصال بفريد الذي يعمل في قسم الاتصالات في *الوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب* لسؤاله عن 'إلف'. وأنت لا تعرف ما يخبّئه لك ذلك، أو ما إذا كان سيوصل بين نقطتين لم تكونا حتى على الصفحة ذاتها.

انعطفنا نحو درب موحل بالكاد كان يسمح بمرور السيارة. قال شافير: "هذا هو الـدرب الذي وجدنا الجثة فيه على مسافة كيلومترين تقريباً من هنا، ثم وجدنا السيارة المقطـورة علـى مسافة خمسة كيلومترات تقريباً". وأضاف، "هناك ستة كيلومترات تقـريباً تفـصل بين السيارة المقطورة والسياج الذي يحيط بأرض نادي كاستر هيل. وهي مسافة يمكن اجتيازها في غضون ساعة سيراً على الأقدام بسرعة متوسطة".

لم أعلّق على ما قاله وكذلك كايت.

واصـل الـرائد شـافير حديثه فقال: "إذاً، أنتما تعتقدان بأن هاري مولر أوقف سـيارته المقطـورة في الأصل في مكان أقرب بكثير، وأنه دخل الأرض عند الساعة

الثامـــنة صـــباحاً تقـــريباً من صباح يوم السبت، حيث وقع في أيدي حرّاس النادي، وبطـــريقة مـــا، جـــرى اســـتجوابه بالقوة، وربما تم تخديره بعد ذلك، ونقله وسيارته المقطـــورة إلـــى هذا الدرب حيث قُتل، وأن مقطورته نُقلت مسافة بضعة كيلومترات إضافية بعيداً عن الدرب. هل هذا ما تفكران فيه؟"

أجبته، "هذا ما نفكر فيه".

أومـــأ شافير برأسه، وقال: "ربما وقعت الجريمة بهذه الطريقة". ولكنه سألني أو سأل نفسه "لكن لماذا يقدمون على قتل عميل فيدرالي؟"

أجبته، "هذا ما أنا بصدد معرفته".

سألته كايت، "هل سبق أن تعرض شخص آخر لحادث صيد على هذا الدرب أو قريباً منه، أو بالقرب من أرض نادي كاستر هيل؟"

أبقى شافير عينيه على الدرب الضيّق، وأجاب "لا أزال أفكر في هذا السؤال منذ أن طـــرحه كـــوري علـــيّ البارحة، ولذلك قمت بالاستقصاء عن الأمر، ووجدت أن الجـــواب هـــو نعم، وذلك قبل عشرين عاماً تقريباً عندما كانت أرض كاستر هيل قيد التطويـــر". وأضـــاف، "حـــدث ذلك على مسافة ثمانية كيلومترات تقريباً شمال أرض النادي. وهذه حادثة لا يزال يتذكرها أحد رفاقي القدامى".

سألته كايت، "وماذا كانت النتيجة؟"

"حادثة صيد، ولم يتم تحديد هوية من أطلق النار".

"ومن كان الضحية؟"

"لـــم يتم التعرف على هويته". وأضـــاف، "رجل، في العقد الرابع تقريباً، حليق الـــذقن، قـــوي البنية، ... إلخ. أصيب بطلقة واحدة في رأسه. حدث ذلك في فصل الصيف، كان الضحية يرتدي سروالاً قصيراً، وكنـــزة خفيفة، وينتعل حذاءً خاصاً برياضة التريض في الجبال. لم يكن يحمل هوية، وبقيت الجثة ملقاة على الأرض لمـــدة أســـبوعين على الأقل قبل أن يتم اكتشافها، وبعد أن نالت بعض الحيوانات مـــنها. تـــم أخـــذ صور فوتوغرافية للوجه، ولكنها لم تُعرض على الجمهور العام لأســـباب واضـــحة. تم الحصول على بصمات الأصابع، ولكنها لم تكن جيدة، ولم تـــتطابق مـــع أي مـــن البصمات الموجودة في قواعد البيانات التي كانت متوفرة حينها".

سألته كايت، "أليس ذلك مريباً بعض الشيء؟ أعني إصابة الضحية بطلقة واحدة فـــي الرأس، وعدم العثور على هوية، وعدم الإبلاغ عن شخص مفقود، وعدم العثور كما أظن على أية مركبة في المكان؟"

"حسناً، الأمر مثير للريبة، ولكن بالاستناد إلى ما قاله صديقي الذي يذكر الحادثة، لم يكن يوجد مفتاح ولا دليل على وجود تلاعب. ولذلك لكي يبسّطا المسألة، حكم الشريف والمحقق في أسباب الوفيات بأنها حادثة صيد، في انتظار ورود أية معلومات تشير إلى العكس". وأضاف، "لا نزال ننتظر تلك المعلومات. وحتى الآن، لن أسعى إلى ربط هذه الجريمة المحتملة بتلك الوفاة وبنادي كاستر هيل الذي لم يكن مشغولاً في ذلك الوقت".

قلت له: "أعد فحص بصمات الأصابع مجدداً".

واصلنا سيرنا بصمت. فكّرت في أنه يمكن أن يكون هناك رابط بالتأكيد. يمكن أن يكون الضحية، في حال راح ضحية جريمة قتل، متنزهاً شاهد شيئاً لم يكن من المفترض أن يشاهده في موقع بناء كاستر هيل، أو ربما كان عاملاً في مشروع كاستر هيل، شاهد أو علم الكثير عن أمر معيّن، مثل 'إلف'، أو أي شيء آخر.

لم أشأ أن أجعل من باين مادوكس ذلك العبقري الشرّير المسؤول عن كل خطأ حدث في العالم خلال السنوات العشرين الماضية: مثل الفيضانات، والمجاعات، والحروب، والطاعون، والهزات الأرضية، ووزني الزائد، وطلاقي. ولكن هذا الرجل يناسب بالتأكيد متلاعباً عالمياً من نوع ما. أعني أن القاعدة تقول إنه إذا كان الشيء يشبه بطة، ويمشي مثل البطة، ويصيح مثل البطة، إذاً هو بطة.

وبالتالي سأقتل هذه البطة.

الفصل 32

خرج الرائد شافير من الدرب نحو رقعة أرض تم مسحها مؤخراً، وشرح حقيقة الأمر فقال: "احتجنا إلى توسيع الدرب هنا لكي نتمكن من الالتفاف بالسيارات".

نـــزلنا من السيارة، وسرنا خلفه مسافة عشرين متراً تقريباً إلى أن وصلنا إلـــى مكـــان تحـــيط بـــه الأشرطة الصفراء. وعلى الدرب نفسه، استخدموا اللون البرتقالـــي لرســـم الخط الكفافي لجثة هاري. وفي وسط الرسم، كانت يوجد طائر أزرق ينقر الأرض.

أصـــبحت الـــشمس مـــرتفعة الآن، واخترقت أشعتها الأشجار، وأنارت الدرب الـــشجري الجمـــيل. كانـــت العصافير تغرّد، والسناجب تجري مسرعة على أغصان الأشـــجار، وهـــي ترمي قشر حبّات البلوط. هبّت نسمة خفيفة أثارت أوراق الأشجار المتـــساقطة، وجعلـــتها تـــدور في دوامة مستمرة. الآن جاء فصل الخريف، والثمار الساقطة...

لـــم يكن ذلك مكاناً جيداً لكي يموت المرء فيه، ولكنني أفترض بأنك إذا لم تمت في سريرك، فهذا مكان لا يختلف عن غيره على أية حال.

شـــاهدت في الجانب الآخر من المنطقة المحاطة بالأشرطة مركبة تابعة لشرطة الولاية على الدرب.

قـــال شافير: "هؤلاء الأشخاص قدموا من الاتجاه الآخر. وهم لا يزالون يبحثون عـــن إطار الطلقة. ولكن الشخص الذي فعل ذلك لم يخلّف أي أثر وراءه". وأضاف، "كما أننا لم نعثر بعد على الطلقة التي اخترقت جسم الضحية".

أومـــأت برأســـي. بافتـــراض أن سلاح الجريمة كان بندقية عالية السرعة، فإن فـــرص العـــثور على الطلقة في الغابة ليست جيدة. في الواقع، كان يوجد الكثير من الطلقـــات فـــي الغابـــة، ومـــا من طريقة يمكن أن تساعد في تحديد الطلقة التي قتلت الـــضحية. وحتـــى تطابُق الطلقة مع إحدى البنادق التي يملكها مادوكس لن يثبت شيئاً باستثناء أن مادوكس، أو أحد ضيوفه، مارس الصيد مرّة في الغابة. والخلاصة هي أن الغابة مكان جيد لارتكاب جريمة.

واصـــل شافير حديثه فقال: "كنا قد أحطنا المكان بالأشرطة ضمن دائرة شعاعها خمـسة عـشر متراً، ولكنني سأجعل النطاق أضيق اليوم. وبحلول يوم غد، لن يعود هـناك سـبب يدعو إلى إبقاء مسرح الجريمة في حالته الأصلية. يُتوقع هطول المطر غداً، وأنا على اعتقاد بأن فريق التحقيق في مسرح الجريمة بذل كل ما في وسعه. لا يوجد شيء هنا".

أومـأت برأسي مجدداً، وبقيت أنظر إلى الخط الكفافي البرتقالي. لقد انضم إلى الطائر الأزرق طائر آخر.

قال شافير: "إذا نظرت إلى الدرب، ستجد أنه مستقيم تماماً، وبالتالي من الصعب تخيل اشتباه صياد يسير على هذا الدرب برجل على أنه غزال. وإذا كان الصياد داخل الغابة، فالأمر يتطلب معجزة لكي تمر الرصاصة من بين كافة هذه الأشجار من غير أن تصطدم بواحدة منها".

قلت: "هذا صحيح. يبدو الحادثُ جريمةَ قتل".

واصـــل شـــافير حديثه فقال: "ولسوء الحظ، فيما عدا استحالة أن يكون الحادث عرضياً، لا نملك أي دليل على أنه جريمة قتل". وذكّرني قائلاً: "لم تحدث سرقة، ولم يكـن لدى الضحية أية روابط محلّية يمكن أن تشير إلى القتل بدافع الحقد، وهو الأمر الذي يحدث هنا أحياناً".

لـم أعلّـق على كلام الرائد. من الواضح أنه يشتبه في أن للمهمة التي كُلّف بها هاري علاقة بوفاته، وأن القاتل هو باين مادوكس، ولكنه لن يخطو تلك الخطوة إلى أن يملك دليلاً قوياً يثبت ذلك.

سألنا شافير، "هل ترغبان في رؤية الصور الفوتوغرافية؟"

لم أكن أريد رؤيتها، ولكنني أجبت "أجل، من فضلك".

أخـرج مجموعة من الصور الفوتوغرافية الملونة من جيب معطفه وسلّمها إليّ. بدأت أقلّب الصور وكايت بجانبي.

لقـد سـقط هاري على وجهه مباشرة، كما كنت أعرف، وكانت ذراعاه بعيدتين عن جانبيه بسبب صدمة الرصاصة، كما يوضح الخط الكفافي لجثته.

بالكاد كنت أستطيع رؤية المكان الذي دخلت منه الرصاصة في منتصف ظهره، ولكن الصور التي التُقطت عن قرب أظهرت بقعة دم في وسط سترته المموّهة.

نظـرت إلى صورة التُقطت عن قرب تظهر الجانب الأيسر من وجه هاري وعينيه المفتوحتـين. كـان في مقدوري رؤية الشريط الجلدي الذي يلتف حول عنقه والذي كان موصولاً بمنظاره الذي سقط على جسمه قريباً من كتفه اليسرى بالقرب من وجهه.

سألت الرائد شافير، "هل هذا هو وضع الرؤية عندما وجدتم الجثة؟"

"أجـل. تم التقاط هذه الصور قبل أن نلمس أو نحرّك أي شيء". وأضاف، "ربما كـان يمسك بالمنظار أو ينظر فيه عندما أصيب، وهو الذي يفسر ربما سبب وقوعه بعيداً عن الجسم وليس أسفل الصدر. أو أن صدمة الرصاصة التي أصابت الجسم جعلت المنظار يتأرجح بعيداً عن الجسم قبل وقوعه على الأرض".

سواء أكان تحليلي محتملاً أم لم يكن، فأنا أرى أولاً بأن هاري لم يكن ينظر في المنظار قبل أن يطلق عليه النار الأشخاص الذين أحضروه إلى هنا. ثانياً، بموجب قوانين الفيزياء، كان ينبغي أن يتأرجح المنظار إلى موضعه الأصلي وصولاً إلى صدر هاري قبل أن يسقط جسمه على الأرض، ولكن الظاهر في مسرح الجريمة لا يؤكد ذلك.

واصل الرائد شافير حديثه فقال: "أنت رأيت أدواته الشخصية معروضة في المشرحة، والكاميرا الفيديوية وُجدت في الجيب الداخلي لسترته، والكاميرا في يساره. وفي الجيب الأيمن من سرواله وُجد دليل الطيور وفي الجيب الأيسر وُجدت قطّاعة الأسلاك".

كان الرائد شافير يعدد الموجودات مستعيناً بدفتر ملاحظاته: سلسلة المفاتيح، المحفظة، مسدس من طراز غلوك، أوراقه الثبوتية، وما إلى ذلك، وأمكنة العثور عليها بالقرب من الجثة.

وأثناء حديث شافير، حاولت أن أتخيّل كيفية قيام مادوكس بذلك، واستنتجت بأنه احتاج إلى شريك واحد على الأقل؛ ربما كارل أو شخص آخر، بالرغم من أنني أشك في أن مادوكس كان يرغب في وجود اثنين يشاهدان الحادثة.

جرى تخدير هاري فيما كانت رِجلاه مكبّلتين. وقاموا بوضعه في مقصورة النوم في سيارته المقطورة واقتادوه إلى هنا. ومن المحتمل أنه كانت توجد مركبة ثانية للهرب.

إذاً، على افتراض أن مادوكس لم يرد وجود أكثر من شريك واحد، وبافتراض أنه جرى تخدير هاري بحيث دخل في شبه غيبوبة، فلقد واجهت مادوكس مشكلة تتمثل في كيفية إبقاء هاري واقفاً على قدميه لكي يتمكن من إطلاق النار على ظهره ليبدو كما لو كان يمشي.

لا يمكن لشخص واحد أن يحمل رجلاً مخدراً بحيث يقف على قدميه فيما يطلق الآخر النار، وبالتالي فالحل هو في وضع هاري على ركبتيه، فيما يشد كارل – أو مادوكس – شريط المنظار من الخلف حول عنق هاري لإبقائه في وضعية ركوع.

وبعـد ذلـك، جثا القاتل على ركبتيه، وأطلق رصاصة اخترقت العمود الفقري لهاري وقلبه.

أفلت الشريك في الجريمة المنظار أثناء سقوط هاري إلى الأمام بحيث سقط في الوضـع الذي رأيناه في الصور الفوتوغرافية. وبعد ذلك، قام أحد الرجلين أو كلاهما بنـزع الأصـفاد عـن رِجلي هاري، ثم وضعا يديه ورِجليه لمحاكاة وضعية جسم أصيب برصاصة عالية السرعة وسقط إلى الأمام من وضعية وقوف. وربما قاما بعد ذلـك بنشر أغصان الصنوبر على الدرب. والشيء الوحيد الذي غفلا عنه هو أنه كان من المفترض أن يكون المنظار أسفل الجسم على الأرجح وأنه ربما كان سيتضرر من جـرّاء الرصاصـة التـي أصـابت الجسم وخرجت من الصدر. وفيما عدا ذلك، قام الـرجلان بالمهمة على أكمل وجه، إذا كان يجوز لي استخدام هذه العبارة في وصف جريمة ارتُكبت بدم بارد.

سألنا شافير، "هل تودّان رؤية سيارته المقطورة؟"

أومأت برأسي، وأعدت إليه الصور الفوتوغرافية.

قادنـا مستديراً حول الشريط الأصفر وعبر الغابة، لنعود إلى الدرب مجدداً بالقرب من السيارة حيث عملت الشرطة على توسيع الدرب لتسهيل الحركة الالتفافية لها.

أمر شافير أحد رجال الشرطة بأن يقود بنا السيارة مسافة خمسة كيلومترات على الدرب إلى المكان الذي كانت تتوقف فيه السيارة المقطورة في فسحة ضيقة.

نـزلنا من السيارة، ونظرتُ إلى سيارة هاري التي لم يسبق لي أن رأيتها من قبل. كانت سيارة قديمة من نوع شيفروليه، مجهزة بعربة نوم. وبالرغم من أنها كانت قديمة، فقد بدت نظيفة للغاية وفي حالة جيدة.

قـال شـافير: "قمنا برشّ مسحوق التعفير لكي نرفع البصمات، وأجرينا بعض التنظـيف بواسـطة مكنـسة كهربائية، وحصلنا على بعض العينات لآثار العجلات. وسـنقوم بعد الظهر بإخراجها من هنا إلى الطريق العام، ووضعها على ظهر شاحنة، وإرسالها إلى مرآب التحقيق الجنائي في ألباني لإجراء فحص شامل عليها". وأضاف، "من الواضح أننا نبحث عن دليل يشير إلى وجود أشخاص آخرين في المركبة".

قلت له: "يبدو لي أنك تعتقد بأنها جريمة قتل متعمَّدة".

أجاب، "دعنا نفترض بأنها كذلك".

تخيّلت كيف أن هاري جرى تخديره ووضعه في مقصورة النوم الخلفية، فيما قاد شـخص مـا، ربمـا كارل، السيارة. كان مادوكس يتقدم السيارة المقطورة في إحدى مركباته: سيارة جيب، أو مركبة مقفلة، أو مركبة رباعية الدفع.

ســألتُ شافير عن الآثار التي خلّفتها العجلات على الدرب، فأجاب، "كما ترى، إنها أرض قاسية، إضافة إلى أن المطر لم يهطل منذ أسبوعين. ولا تنسَ هذه الأوراق وأغصان الصنوبر المنتشرة على الدرب. ولذلك لم نتمكن من الحصول على أية آثار واضحة للعجلات".

ســألته كايــت، "هــل تبــين من رشّ مسحوق التعفير أنه جرى تنظيف بعض السطوح؟"

أجــاب شــافير، "كــلا. عندما تكون جريمة القتل متعمَّدةً، فهذا يعني أن القاتل استخدم قفازات. ربما نعثر على بعض الأنسجة من الثياب، ولكن في هذه الحالة أيضاً، مع وجود نية القتل المسبقة والتحلّي بالذكاء، يعمد مرتكبو الجريمة إلى إحراق الثياب التــي كانــوا يلبسونها". وأضاف، "يوجد مستوعب مفتوح لعلب الكوكاكولا في حامل المــرطبات، وسنجري فحص الحمض النووي عليها، ولكنني لا أعتقد بأن المجرمين الــذين نبحث عنهم كانوا يشربون الكوكاكولا. وفي حال وجدنا الحمض النووي، فعلى الأرجح أن يكون عائداً لهاري".

نظــر شــافير إلــى الفسحة التي حوله، ثم إلى الدرب وقال: "حسناً، هنا كانت الــسيارة المقطــورة. والــشيء الذي أُفكر فيه هو أن هناك اثنين اشتركا في ارتكاب الجريمة، ومركبتين – السيارة المقطورة ومركبة الهرب – بالرغم من أنه لا توجد أية آثــار مميزة للعجلات كما سبق أن أشرت". وأضاف "توقف المجرمون هنا، وأطلقوا النار على الضحية، ثم عادوا إلى المركبتين، وواصلوا سيرهم، وجعلوا بعض المسافة بينهما وبين مسرح الجريمة".

أومأت وكايت برأسينا، وأضاف شافير: "إذا كانوا من أبناء المنطقة، فلا بدّ وأنهم يعــرفون موضع الفسحة حيث يوقف الكثير من أصحاب السيارات المقطورة ومحبّي رياضــة التــريض فــي الجبال سياراتهم فيها. وفي حال سرت مسافة كيلومتر على الدرب، ستصل إلى طريق معبّد. إذاً، هناك شخص واحد أوقف السيارة المقطورة هنا فــي المكان الذي تراها فيه، ثم ركب في مركبة الهروب، وفي غضون بضع دقائق، غادروا المكان، ووصلوا إلى الطريق المعبّد".

قام الرائد شافير بعمل مدهش في إعادة تمثيل الجريمة، ويعود ذلك من ناحية إلى أنــه سبق أن أمضى بعض الوقت في مسرح الجريمة مع فريق التحقيق، وإلى معرفته السابقة بالمكان من ناحية أخرى.

قلــت للــرائد شافير: "أعتقد بأن في حوزتك مفتاح هذه المقطورة والذي لم نعثر عليه في سلسلة مفاتيح هاري في المشرحة".

"هذا صحيح". وذكّرني بالقول: "قلتَ لي بأنك لم تتفحص الأدلة في المشرحة".

"هــل قلــتُ ذلك؟ وأنا أفترض أيضاً بأنك أكّدت لي بأن مفتاح سيارة الشيفروليه الذي وجدتَّه في السلسلة كان لسيارته المقطورة".

نظــر إلــيّ وأجاب، "إننا لسنا بمثل ذكاء أبناء المدن، أيها التحرّي، ولكننا لسنا أغبياء".

بــناء علــى تجاربي السابقة مع رجال الشرطة في المناطق الريفية والضواحي، رأيت أن هذه العبارة جاءت متأخرة. قلت: "أنا أتحقق فقط".

سألته، "ما هو تصوّرك لكيفية نقل مرتكبي الجريمة هذه السيارة المقطورة مسافة خمسة كيلومترات بعيداً عن مكان الجثة والعثور على مفتاح التشغيل؟"

أجاب شافير، "ربما قاموا بسحب المركبة عبر ربطها بإحدى مركباتهم، أو ربما صنعوا نسخة عن المفتاح قبل ارتكاب الجريمة". وأضاف، "والجواب الأرجح احتمالاً هو أنه كان في حوزة الضحية أو في المركبة مفتاح احتياطي".

"هــذا صــحيح". أخبــرته عن المفتاح الاحتياطي لسيارة الشيفروليه المفقود من محفظة هاري، وسألته، "هل لاحظت ذلك؟"

لــم يجب بطريقة مباشرة، ولكنه قال: "إن فقدان مفتاح من بين عدة مفاتيح ليس دليلاً على أنه كان يوجد مفتاح".

"هذا صحيح. ولكنني أتكهن وحسب".

فــي الواقــع، هذه لعبة يراد منها إغاظة المحققين، ونحن نلعبها جميعاً من أجل إبقــاء الجمــيع فــي حالــة يقظة، وهو ما يعتبر جيداً في التحقيق، ناهيك عن اعتداد المحققين بأنفسهم.

بدا أن كايت شعرت بذلك فقالت: "على أية حال، أريد من ذلك الإيحاء بأن هاري ترك سيارته المقطورة هنا، وبدأ يمشي في اتجاه الشمال نحو نادي كاستر هيل، حيث تعــرّض لحــادث على مسافة خمسة كيلومترات من سيارته المقطورة، وعلى مسافة خمــسة كيلومترات تقريباً من أرض النادي". وأضافت، "الخلاصة هي أنه لم يكن من المنطقــي أن يوقــف ســيارته علــى مسافة عشرة كيلومترات من المكان الذي يريد مــراقبته. يضاف إلى ذلك أن مكالمته الهاتفية مع صديقته عند الساعة 7:48 صباحاً تشير إلى أنه كان قريباً من الأرض المعنية، ولكن جثته لم يُعثر عليها هناك. وبالتالي، لدينا تساؤلات تتعلق بالوقت، والمسافة، والمنطق، والحادث الظاهري، وهو ما يقودنا إلى الاستنتاج بأن ما نراه هنا ليس ما قام به هاري حقيقة صباح يوم السبت، وإنما قام به شخص آخر بعد يوم من ذلك تقريباً".

أوجــز هذا التعليق كل ما حصل تقريباً، بحيث لم يكن لديّ أو الرائد شافير أي شيء نضيفه.

وهكــذا، قمــنا بكل ما نستطيع في مسرح الجريمة، وهو لم يكن بالشيء الكثير، لكــن كــان علينا البدء من مسرح الجريمة، ثم الرجوع بتسلسل الأحداث إلى الوراء انطلاقاً من هناك.

يكمــن السرّ في عدم التركيز على العملية وإن في تذكّر الهدف، وهو معرفة القاتل. الخبر الجيد هو أن لديّ مشتبهاً به، باين مادوكس. كما يوجد شريك محتمل، كارل. ولكن أياً من هذين الاسمين لن يظهر في التقرير الجنائي لشرطة ولاية نيويورك.

ســألت شــافير، "هــل مــن المقرر أن يأتي عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي الموجودون في مكتبك إلى هنا؟"

أجاب، "طرحت عليهم هذا السؤال، وأجابوا بأن فريقاً آخر سيقوم بذلك... فريق اســترجاع الأدلة". وأضاف، "لا يبدو أن لدى هؤلاء الأشخاص الموجودين في مكتبي اهتماماً خاصاً بمسرح الجريمة".

كلا، على حسب ظنّي، لأنهم أكثر اهتماماً بباين مادوكس منهم بهاري مولر. كما أن وليام غريفيث مهتم فقط بجون كوري وكايت مايفيلد.

لكن كان مهماً بالنسبة لي معرفة المكان الذي قُتل فيه هاري، والتفكير في كيفية وفاتــه: ســجين عاجز، وتحت تأثير المخدّر، ضابط شرطة، يقوم بتأدية مهامه، يُقتل علــى يد شخص أو أشخاص لا يأبهون لحياة هاري مولر بقدر ما يأبهون لمصالحهم الذاتية، بصرف النظر عن حقيقتها.

تــساءلت إن كان باين مادوكس، إذا كان هو القاتل فعلاً، حاول التفكير في حل آخــر للمشكلة التي أوجدها له هاري. لا بدّ وأنه كانت هناك لحظة لم يكن القتل فيها يمــثّل الحــل الأنسب، وتوفر فيها مسار أكثر ذكاءً لأعمال كانت ستحلّ المشكلة التي بــرزت أمام باين مادوكس، بغض النظر عن حقيقتها، نتيجة لظهور هاري مولر في نادي كاستر هيل.

معظــم المجرمين – بدءاً من أكثرهم غباء إلى الأكثر ذكاء – لا يفهمون القوى التــي يطلقونها عندما يقررون ارتكاب جريمة من أجل حلّ مشكلة. والمجرمون الذين يفهمــون حقــيقة هــذه القوى يسعون في الغالب إلى جعل الجريمة تبدو كما لو كانت حادثاً، أو جريمة انتحار، أو وفاة طبيعية. وبقيامهم بذلك، عادة ما يخلّفون وراءهم أدلة أكثر من تلك التي كانوا سيخلّفونها لو أنهم حاولوا إظهار الجريمة على أنها من جملة الجرائم اليومية أو جريمة بقصد السرقة.

خيـــر وسيلة للتغطية على الجريمة هي في الإخفاء الكامل للجثة التي تحمل في طيّاتها، إضافة إلى مسرح الجريمة، الكثير من الأدلة. ولكن كانت تواجه باين مادوكس مـــشكلة فـــريدة؛ كان بحاجة إلى إخراج عميل فيدرالي دنا أجله من أرضه إلى أرض شـــخص آخر - في هذه الحالة، أرض تابعة للولاية - حيث يمكن العثور على الجثة قـــبل أن تأتـــي شـــرطة الولاية أو الشرطة المحلّية والعملاء الفيدراليون للبحث عن الـــشخص المفقود في أرض مادوكس. وهذا يعني أن لدى مادوكس شيئاً ما في أرضه - عدا هاري مولر - لم يشأ أن يراه أي شخص آخر.

هـــذا ما رأينا أنه الحل الذي توصل إليه مادوكس، وهو لم يكن حلاً سريعاً سيئاً. ولكنه لن يصمد أمام تحقيق جنائي شامل.

لكـــن في حال كانت نظريتي صحيحة، فإن الوقت هو كل ما يريده مادوكس قبل أن يـــصبح رجلاً مشتبهاً فيه. لقد أشعل هذا الوغد فتيلاً، وكانت سرعة احتراقه تفوق سرعتنا في البحث عن القنبلة.

الفصل 33

عـــدنا إلـــى سيارة شافير، واستدرنا نحو الدرب. لم يكن لدى أي منا الكثير ليقوله.

اقتربنا من نقطة التقاطع حيث كان لا يزال الشرطيان المتخفيان يكنسان الأرض. توقف شافير وسألهما، "هل يوجد شيء جديد؟"

أجاب أحد الشرطيَّين، "قامت سيارة الجيب السوداء بجولة استطلاعية قبل عشر دقائق، واستفسر سائقها عن العمل الذي نقوم به".

"وبماذا أجبته؟"

"قلت له إننا نكنس الأرض، ونـــزيل أوراق الأشجار التي يمكن أن تكون وقوداً محـــتملاً للنيـــران التي يشعلها السائقون المستهترون الذين يلقون أعقاب سجائرهم من النافذة".

"وهل صدّق ذلك؟"

"بـــدا عليه الشكّ، وقال إنه لم يسبق أن فعل ذلك أحد من قبل. ولكنني أجبته بأن خطر اندلاع حرائق في الغابات محتمل جداً هذا العام".

"حـــسناً، سأقول لك أمراً؛ اتصل بالنقيب ستونر وقل له إنك تريد طاقمين يعملان فـــي صيانة الطرقات لكي يملأوا الحفر التي في الطريق. أريد عمّال طرق حقيقيين، ويعمـــل إلـــى جانـــبهم شـــرطيان في زي عمال الطرقات ويستخدمان الأدوات التي يستخدمها هؤلاء العمال".

ابتسم الشرطي وقال: "أجل سيدي".

"والآن، يمكنكما الرحيل".

"أجل سيدي".

واصـــل شافير سيره متجهاً نحو الطريق 56 وقال لنا: "أعتقد بأن مادوكس بات على علم بمراقبتنا له الآن".

أجبـــته، "إنه على علم بأنه يخضع للمراقبة منذ الإمساك بهاري مولر في أرضه صباح يوم السبت".

قـــال شافير: "لسنا متأكدين من أنه تم الإمساك بهاري وهو في أرضه". وسألني، "لماذا أُرسل صديقك إلى هنا لجمع المعلومات عن ضيوف مادوكس؟"

أجبته، "لست أدري، ولا هو كان يدري". وعللت ذلك قائلاً: "كنت قد تحدثت إليه قبل مجيئه إلى هنا".

على الأرجح أن شافير اعتقد بأنه سيحصل على بعض المعلومات منّا في مقابل اصطحابنا إلى مسرح الجريمة وإغنائنا عن الحاجة إلى لقاء ليام غريفيث. ولذلك، لكي أعطـــيه شـــيئاً ينبغـــي أن يحصل عليه على أية حال، قلت: "كان من المفترض أيضاً بهاري مراقبة حركة المطار، والإطلاع على جداول أسماء المسافرين وعقود استئجار الـــسيارات. وسيقوم بذلك عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي أو أنهم قاموا بذلك فعلاً. وأنت يا شافير، عليك أن تقوم بالعمل نفسه قبل أن تختفي تلك المعلومات".

لـــم يعلّق على كلامي، ولذلك أضفت المعلومة التالية فقلت: "صدف أنني وكايت نعـــرف بعـــض الشخصيات الهامة جداً التي وصلت إلى المطار قادمة من واشنطن، وربما ذهبت إلى نادي كاستر هيل".

اكتفى شافير بالنظر إليّ.

عندما تعتقد بأنك ربما تُستبعد من قضية لأنك تجاوزت حدودك، عليك أن تمرّر المعلومات إلى شخص يمكنه استغلالها إلى أقصى حدّ أو الاحتفاظ بها على أقل تقدير إلـــى حين يقرّروا ماذا سيفعلون بها. ولذلك، أعطيت شافير نصيحة أخرى، "عليك أن تحتفظ بالمعلومات المتعلقة بمراقبتك لنادي كاستر هيل لنفسك مدّة من الوقت".

هـــنا أيضاً لم يرّد عليّ بشيء. أعتقد بأنه كان سيفصح عما في نفسه لو لم تكن تـــوجد عمـــيلة من مكتب التحقيقات الفيدرالي في المقعد الخلفي، ولكنني كنت سأقول حينها ما قلته الآن، ولكنت كافأته على صنيعه. ولكن ما كان مكتوباً في جيب هاري لم يكن من جملة المعلومات التي يحتاج شافير إلى معرفتها.

الآن، جـــاء دوري، فسألت شافير، "هل تعرف ذلك الشخص الذي يسمى كارل؟ يبدو أنه ذراع مادوكس اليمنى، وربما كان حارسه الشخصي".

هـــزّ شافير رأسه، وأجاب، "لا أعرف أسماء من يعملون في نادي الصيد ذاك. فكما سبق وقلت لك عناصر الأمن لديه ليسوا من أبناء المنطقة. ولديه ثكنة يبقيهم فيها، وربمـــا كانـــوا يعملـــون مدة أسبوع، ثم يرحلون إلى منازلهم، ثم يعودون ليعملوا مدة أســـبوع آخر. وفي ما يتعلق بالموظفين الذين يعملون في المنـــزل، لديّ انطباع بأنهم ليسوا من هذه المنطقة أيضاً".

كان ذلك مثيراً للاهتمام.

أضـــاف شـــافير، "هـــناك المـــزيد من السكان شمال هذه المنطقة، خارج منتزه الولاية، بدءاً من بوتسدام وحتى ماسينا. في الواقع، تبعد الحدود الكندية مسافة تقل عن ثمانـــين كيلومتـــراً عن الطريق التي نسير عليها الآن، وأنا أعرف الكثير من الكنديين الـــذين يأتون للعمل هنا في صناعة السياحة. وبالتالي، لو كنت مادوكس، ورغبت في توظـــيف أشـــخاص من خارج المنطقة، كنت سأبذل جهدي وأحصل عليهم من خارج البلاد بحيث يُستبعد أن تنتقل أقاويلهم من كندا إلى هنا".

لـــم ألتقِ بأحد من موظفي المنـــزل، كما لا يمكنني التمييز بين لكنة أبناء شمال الـــولاية واللكنة الكندية على أية حال. وفي ما يتعلق بالحرّاس، فإنه بغض النظر عن اللكنة التي يتحدثون بها، فقد تدرّبوا على استبدالها بطريقة عسكرية مرخّمة ومتكلّفة.

قـــال لـــنا شافير: "أجريت اتصالاً هذا الصباح، وتحققت من رقم السيارة التابعة لشركة إنتربرايز، وقيل لي بأن الشخص الذي استأجرها يدعى ميخائيل بوتيوف".

لـــم أعلّق على كلامه، ولذلك قال شافير: "يبدو أنه روسي". وأضاف، "وربما لا يزال يقيم في نادي الصيد، لأن أحداً لم يغادر المنـــزل منذ الليلة السابقة".

"هذا صحيح. ألست سعيداً بكونك أمرت بإخضاع المكان للمراقبة؟"

تجاهـــل الـــرائد شـــافير كلامـــي وأضاف، "لكن الشخص الذي تحدثت إليه في الإنتربرايـــز قـــال لي بأن عميلين من مكتب التحقيقات الفيدرالي، رجلاً وامرأة، قدما الـــبارحة وحـــصلا على نسخ عن كافة اتفاقيات التأجير. هل تعرف أي شيء عن هذا الموضوع؟"

سألته على سبيل المراوغة، "كيف كان وصفه لهما؟"

أجاب شافير، "قال إن الشخص يستقصي معلومات عن مادوكس، وعن السيدة في شركة الهيرتز، وهي امرأة في غاية الجمال".

تـــساءلت بصوت عالٍ، "من يكون هذان العميلان؟" علماً بأني شعرت بالقلق من المقعد الخلفي أكثر من قلقي من ليام غريفيث. أشكرك أيها الرائد.

رفعت كايت صوتها، وقالت: "أعتقد بأنه كان يتحدث عنّا".

سألتُ شافير، "ألم أخبرك بذلك عندما التقينا؟"

"كلا".

"حسناً، فعلت ذلك عن عمد".

نظرتُ إلى الساعة التي في السيارة ووجدت أنها 10:15 قبل الظهر. قلت للرائد شافير "بالمناسبة، حجز بوتيوف هذا على متن الطائرة التي ستقلع عند الساعة 12:45 من بعد الظهر متوجهة إلى بوسطن. وإذا كان سيصل إلى المطار قبل ساعة من موعد

الإقـــلاع، كما يُشترط على المسافرين، فلا بدّ وأنه سيغادر نادي كاستر هيل في وقت وجيز؛ إذا افترضنا أنه لا يزال في النادي".

سألني شافير، "كيف عرفت أن بوتيوف حجز على متن رحلة الساعة 12:45؟"

أجبـــته، "ألـــم أخبرك بأنني قمت مع كايت بما كان يُفترض بهاري أن يفعله في المطار؟ الإطلاع على جداول أسماء الركاب وعقود تأجير السيارات؟"

قال وهو يمدّ يده إلى جهاز اللاسلكي: "كلا أنت لم تخبرني".

قلــت: "مــن المــؤكد أن العناصر الأمنية التابعة لمادوكس تراقب التردد الذي تستخدمه الشرطة. استخدم هاتفك الخليوي".

نظر إليّ. لم أعرف إن كان معجباً بعبقريتي أو قلقاً من هوسي. وعلى أية حال، استخدم هاتفه الخليوي، واتصل بفريق المراقبة وسألهم، "هل يوجد شيء جديد تريدون التبليغ عنه؟"

أجاب الشرطي "كلا سيدي".

قال شافير: "حسناً، ربما ستغادر مركبة أرض النادي متوجهة إلى المطار. أخبرا مركبة المراقبة التي على الطريق 56".

"أجل سيدي".

أقفــل شافير الخط ونظر إلى الساعة، ثم قام بما كنت سأقوم به منذ البداية وهو الاتــصال بــشركة الطيران كونتيننتال في المطار. كان على الطرف الآخر من الخط صديقتنا بيتي. قال "بيتي، أنا هانك شافير..."

"حسناً، كيف حالك؟"

"أنا بخير. وأنتِ؟"

استمرّا في تبادل مثل هذه الكلمات. أعني أن تبادل المجاملات أمر لطيف، ومن المــزايا الجميلة التي يتحلّى بها سكان المناطق الريفية أن الواحد منهم يعرف الجميع، وأنه تجمع بينهم أواصر الدم، أو الزواج أو الاثنان معاً، ولكن دعونا نتكلم عن العمل يا رفاق.

أخيــراً، ســألها الــرائد شافير، "هل يمكنكِ إسداء خدمة إليّ والتحقق من حجز شخص يدعى بوتيوف؟" وقام بتهجئة الاسم "على متن رحلتكم التي ستقلع عند الساعة 12:45 إلى بوسطن؟"

أجابــت بيتــي، "حسناً، يمكنني أن أجيبك بدون أن أتحقق بأنه فعل ذلك. ولكنني حــصلت بعــد ذلــك علــى جدول مصحَّح بأسماء المسافرين من الحاسوب الخاص بالحجوزات في الشرطة، وتبين لي أنه ألغى الحجز".

"هل أعاد الحجز من جديد؟"

"كلا". ثم جاء دور بيتي فسألته، "هل توجد مشكلة؟"

"كلا، إنه مجرّد سؤال روتيني. اتصلي بي في المكتب إذا جدد بوتيوف الحجز أو قـدم إلـى المطـار". أضاف "واصنعي نسخاً لي عن كافة جداول المسافرين وجداول الحجز على متن رحلاتكم في الأيام الستة الأخيرة. وسآتي لاستلامها في وقت لاحق".

"حـسناً. هاي، هل ترغب في سماع هذا الخبر؟ زارنا شخص وامرأة من مكتب التحقـيقات الفيدرالـي الـبارحة، وطلبا الحصول على نسخ عن كافة جداول الركاب وأوراق الحجـز. وقد وصلا إلى هنا على متن طوافة تابعة لمكتب التحقيقات، ولذلك عـرفت بأنهما جادّان، وكانا يحملان شارات المكتب. ولذلك، أعطيتهما الأوراق التي طلباها".

واصـلت بيتـي حديـثها لفتـرة من الوقت، وأضافت بطريقة منمّقة "عمد ذلك الشخص إلى المراوغة، ولكنني عرفت كيف أراوغه".

لا أذكـر أننـي تعاملت معها بطريقة يمكن أن توصف بشيء سوى أنها مؤدبة، ولكن حتى لو اتبعت أسلوب المراوغة معها، فهي لم تستطع المراوغة معي. يا لها من كاذبة.

نظر شافير إليّ، وقال لبيتي: "حسناً، شكراً جزيلاً..."

قاطعـتْه بيتـي وسألته، "ماذا يحصل؟ قال هذا الرجل بأن للأمر علاقة بالألعاب الأولمبـية الـشتوية". وضـحكت، وقالـت: "قلـت له بأنها جرت في العام 1980". وأضـافت، "بدت السيدة لطيفة، وفي مقدورك رؤية أنها غريبة الأطوار. إذاً، ما هي حقيقة الأمر؟"

أجاب شافير، "لا يمكنني الإفصاح عن شيء في الوقت الحالي، ولكنني أريدك أن تحتفظي بهذا الأمر لنفسكِ".

"وهـذا ما قالاه لي. كنت سأتصل بك، ولكنني لم آبه للأمر حينها. أما الآن، فأنا أُفكر..."

"لا يوجد شيء يستدعي القلق بشأنه. اتصلي بي في حال ظهر هذا الشخص الذي يدعى بوتيوف أو جدد الحجز. سأراك لاحقاً؟"

"حسناً. أتمنى لك يوماً سعيداً".

"وأنـا أيـضاً". أقفل الخط، ونظر إليّ وقال: "حسناً، لقد سمعت ما دار بيننا من حديث".

أجبته، "كنت في غاية اللطف معها. يا كايت؟ ألم أكن لطيفاً مع بيتي؟"

بقيت كايت صامتة.

قال شافير: "كنت أعني إلغاء بوتيوف حجزه".

"أجل. من المحتمل إذاً أنه لا يزال في النادي".

"أجل. فهو لم يجدد الحجز". وقال لنا: "هناك طائرات سياحية صغيرة، وعادة ما تكون كافة مقاعدها محجوزة. وبالتالي لا يمكنك توقع الذهاب إلى المطار والعثور على مقعد شاغر".

بات شافير يتحمل الآن الكثير من المسؤوليات، وعقله مشغول بالكثير من الأفكار، ولكن لم تكن لديه فكرة عما كان يجري عدا التحقيق الجنائي. ولكنه عرف بأن شيئاً ما يحدث في نادي كاستر هيل أثار اهتمام العملاء الفيدراليين، ولم يكن مقصوداً أن يثير اهتمامه.

كنا نقترب من الطريق 56، وقلت للرائد شافير، "أسدِنا خدمة، وتوجه إلى بوتسدام".

"لماذا؟"

"نحن بحاجة إلى... في الواقع نحن نحاول أن نتجنب ليام غريفيث".

"لا بدّ وأنك تمزح؟ وما دخلي أنا؟"

"حسناً إذاً، أوصلنا إلى الطريق 56، وسنوقف سيارة تقلّنا إلى بوتسدام".

"ربما تجد دبّاً قبل أن تجد سيارة".

"حقاً؟ حسناً، أنا مسلّح".

"لا تطلق النار على الدببة. وأنا سآخذك إلى هناك".

"شكراً لك". التفتُّ لكي أتحدث إلى كايت، ولكنها بدت جامدة بعض الشيء. قلت لها "سنتناول طعام الغداء في بوتسدام".

لاذت كايت بالصمت.

عندها قال شافير صاحب الفم الكبير: "ماكس رجل جذّاب، ومرح أيضاً".

"من؟ آه، الشخص الذي يعمل في مكتب الهيرتز". ردّ لطيف من الرائد الطيب.

وصلنا إلى التقاطع عند الطريق 56، فأوقف شافير السيارة وسألني، "أتريد الذهاب إلى بوتسدام؟"

ساورني إحساس عندما وصلنا إلى نقطة التقاطع هذه يوم أمس، واتخذت قراراً برؤية هاري في مشرحة بوتسدام بدلاً من الذهاب إلى مقرّ شرطة الولاية كما نصت التعليمات.

والآن، كـــان علينا أن نقرر إن كنا سنستمع إلى الانتقاد اللاذع من غريفيث قبل أن نغرق في المشكلات أكثر، أو نذهب إلى بوتسدام ونختبئ هناك.

أعاد شافير السؤال، "إلى أين تريد الذهاب؟"

سألت، "كايت؟ بوتسدام أو ليام؟"

أجابت، "بوتسدام".

انعطف شافير نحو اليمين، وتوجه شمالاً نحو بوتسدام.

أنت تواجه مهمة صعبة أصلاً عندما تجري تحقيقاً جنائياً في منطقة خارجة عن نطـــاق صـــلاحياتك. لكن الأصعب من ذلك أن تتلقّى الضربات من الأشخاص الذين تعمـــل لديهم، وعندما يكون شريكك ساخطاً عليك، وعندما يكون المشتبه الرئيسي في نظرك شخصاً لديه أصدقاء يعملون مع الرئيس.

كيف أوقعت نفسي في هذه الورطة؟

الفصل 34

تحدثــنا لبعض الوقت عن القضية أثناء سيرنا في منتزه الولاية. وعندما وصلنا إلى ساوث كولتون، سألت شافير، "هل تعرف رودي الذي يملك محطة الوقود تلك؟"

"أجل، أنا أذكره منذ أن كنت أقوم بدوريات في هذه المنطقة. لماذا تسأل؟"

"إنه الجاسوس المحلّي لمادوكس". وشرحت له ما دار بيني وبين رودي.

أومــأ شافير برأسه وقال: "لدى هذا الشخص الذي يسمى مادوكس نشاطات في هــذه المنطقة أكثر مما كنت أتصوّر. ولكن كما قلت سابقاً، لم يسبق أن تسبب لنا بأية مــشكلات، ولا أعــتقد أنـــه يمكث في المنطقة مدة طويلة". وأضاف، "لكن من الآن فصاعداً، سأراقبه مراقبة دقيقة".

اعــتقدت بأنـــه لن يحدث الكثير بعد الآن، "من الآن فصاعداً"، ولكنني لم أجب بشيء.

توصل شافير إلى الفكرة ذاتها وقال: "الآن، أعتقد بأنه مشتبه في ارتكابه الجريمة".

"حسناً، أعتقد بأنه كذلك".

"هل يوافقك زملاؤك في مكتبك الرأي؟"

"أفصحت عن شكوكي إلى توم والش في نيويورك".

"وماذا تريدان أن تفعلا في بوتسدام؟"

أجبته، "نود العثور على متنفّس".

"حقاً؟ لماذا لا تعودان إلى فندق **ذي بوينت**؟"

"حسناً، أعتقد بأن السيد غريفيث موجود الآن في غرفتنا، ويستعمل أدوات الزينة التي تستعملها كايت فيما ينتظر عودتنا".

"إذاً، أنت هارب من زملائك".

""لا يمكنني وصف الأمر بهذه الطريقة".

"حقاً؟ كيف يمكنك وصفه إذاً؟"

"دعنـــي أفكر في الأمر. وفي هذه الأثناء، هل يمكننا الاطمئنان إلى أنك لن تخبر أحداً بذلك؟"

"دعني أُفكر في الأمر".

"والسبب هو أنه إذا كنا لا نستطيع الاعتماد على كتمانك للأمر، فقد تحتاج إلى إعادتنا إلى راي بروك".

"وما دخلي أنا بذلك؟"

"ستكون حينها قد قمت بالعمل الصائب".

"ومتى يمكنني التأكد من ذلك؟"

"في غضون يومين تقريباً".

"حقاً؟ إذاً، أنت تريد منّي الالتزام بالإخلال بمسؤولياتي وعدم الإشارة إلى غريفيث أنني اصطحبتكما إلى مسرح الجريمة، ثم إلى بوتسدام؟"

"سأقول لك أمراً يا حضرة الرائد. استفسر منه ومن الرفاق الآخرين في مكتب التحقيقات الفيدرالي عن حقيقة الموضوع. وفي حال أعطوك جواباً مباشراً، لا بأس بأن ترسلهم إلى بوتسدام لكي يعثروا علينا. هل اتفقنا؟"

"أعتقد بأنك ستحصل على أفضل ما في هذا الاتفاق. ولكن لا بأس. لقد اتفقنا".

"سأقوم بتسليم مفاتيح السيارة لشركة الهيرتز. وربما سترغب في إخراجها من مرآب السيارات لديك تحسباً لاحتمال بعيد وهو أن يعمد عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي إلى اتباع الإجراءات الجيدة التي تتبعها الشرطة ويبحثوا في المرآب عن سيارتنا المستأجَرة". سلّمته المفاتيح وقلت: "ستجد فيها غداء للنزهة من فندق **ذي بوينت** في المقعد الخلفي. إنه لك".

"أرى أن اتفاقنا بدأ يتحسّن. ماذا يوجد في السلة لطعام الغداء؟"

"ربما ستجد حلزونات. كما أنك إذا كنت تريد التستّر علينا أكثر عند تعاملك مع عملاء مكتب التحقيقات، ينبغي أن تتصل بالفندق وتسأل عنّا".

قال الرائد شافير: "أنت بمثابة هارب ماهر".

في الواقع، هذا ما كان ينطبق علينا في هذه اللحظة، لكن لم يكن هناك داعٍ لتذكيرنا بذلك.

أصبحنا في ضواحي بوتسدام الآن، وسأل شافير، "إلى أين تريد الذهاب؟"

"دعنا ننزل عند محطة لقطار الأنفاق".

لم أكن متأكداً من أن الرائد شافير قدّر روحي الفكاهية أو فهم النكتة التي قلتها، ولكنه قال: "أعتقد بأنك بحاجة إلى سيارة".

"إنها فكرة جيدة. هل يوجد مكتب لتأجير السيارات هنا؟"

"هناك مكتب الإنتربرايز".

انتظرت سماع باقي اللائحة، ولكن بدا أنه المكتب الوحيد.

مررنا في وسط البلدة، ثم واصلنا سيرنا على الطريق 56، وتجاوزنا المستشفى التي ألقينا فيها النظرة على هاري، ووصلنا بعد بضع دقائق إلى مكتب لشركة إنتربرايز رنت أكار.

أوقف الرائد شافير سيارته بالقرب من مكتب تأجير السيارات وقال لنا: "لست أدري السبب الذي يدعوكما إلى تجنّب غريفيث ولا نوع المشكلة التي أنتما فيها. لكن إذا لم يكن سبب ذلك أنكما فقدتما صديقاً وشريكاً هنا، وفي حال أنهكني زملاؤكما بأسئلتهم، فلن أخاطر برأسي من أجلكما".

أجبته، "إننا نقدّر ذلك. أنت تتمتع بحدس قوي".

"حقاً؟ حسناً، عليكما أن تثبتا لي أنكما تقيمان هنا".

"سنبقيك على اطلاع بما يجري معنا".

"سيكون ذلك نوعاً من الترفيه عن نفسيكما". وقال لنا: "حسناً، سأخبر غريفيث بأنني التقيت بك في مسرح الجريمة وأنني بلّغتك الرسالة التي بعث بها إليك".

ذكّرته، "تخلّص من السيارة التي استأجرناها".

قال: "اترك لي أمر معالجة ذلك أيها التحرّي".

قالت كايت لشافير: "اطمئن يا حضرة الرائد إلى أن جون وأنا سنتحمل المسؤولية عن أية مشكلات ربما نسببها لك".

أجاب، "المشكلة الوحيدة التي أعاني منها الآن هي استضافة ستة عملاء فيدراليين على وشك أن يسحبوا هذه القضية منّي".

أخبرته، "هناك المزيد منهم في طريقهم إليك. سأشرح لك تصوّري لكيفية مقتل هاري مولر". قصصت عليه رؤيتي لكيفية تنفيذ الجريمة كما ترجّح لديّ. وختمت حديثي بالقول: "ابحث عن علامات تشير إلى أن هاري كان صاحياً بما يكفي لكي يركل جوانب سيارته المقطورة أو سقفها".

بقي الرائد شافير صامتاً للحظة ثم قال: "من المحتمل أن الجريمة حدثت كما ذكرت، ولكن ذلك لا يقرّبني من العثور على القاتل أو القتلة".

في الواقع، لا يزال المشتبه به الرئيسي في نظره باين مادوكس سواء أحب تصديق ذلك أم لا. قلت له: "حسناً، عندما تعثر على مشتبه به، يمكنك إخافته بالسرد الذي قدمته لك لكيفية ارتكاب الجريمة". وأضفت، "كما أنه جيد من أجل تقريرك".

أومأ برأسه وقال: "شكراً لك"، ولكنه لم يعرض عليّ وظيفة.

تصافحنا، ثم نـزلت وكايت من السيارة، ودخلنا مكتب الإنتربرايز. قلت للسيدة التي خلف المنضدة، "أرغب في استئجار سيارة".

"لقد وصلت إلى المكان المناسب".

"أعتقد ذلك. هل تتوفر سيارة رياضية؟"

"كلا. لدينا سيارة هيونداي أكسنت متوفرة للإيجار".

"ما هو نوع لهجتها؟"

"ماذا قلت؟"

"سآخذها".

اسـتخدمت بطاقتي الائتمانية لأنه سبق أن دفع مكتبي تكاليف سيارتي المستأجرة الأولى. ناهيك عن أنني كنت هارباً منهم، وتعقب بطاقتي يتطلب وقتاً أطول من تعقب بطاقتهم.

في غضون خمس عشرة دقيقة، كنت خلف مقود سيارة جميلة.

عدت أدراجي إلى وسط البلدة. قالت كايت: "لا يحتاج المرء إلى وقت طويل لكي يستأجر سيارة، أليس كذلك؟"

كـنت أعتقد بأن هذا ما سيحدث، ولذلك قلت: "كلا. وخصوصاً إذا لم أكن أطلب نسخاً عن كافة اتفاقيات التأجير التي أُبرمت في الأيام الأربعة الأخيرة".

"ناهيك عن الوقت الذي يمكنك توفيره بعدم مغازلتك السيدة المسؤولة عن تأجير السيارات".

يـا إلهـي. ها قد وقعنا في مشكلة، وهناك شخص مصاب بجنون العظمة على وشك أن يشعل حرباً عالمية ثالثة أو شيئاً من هذا القبيل، فيما هي تنقب بالوناتي التي أطلقـتها على سبيل المداعبة عند منضدة شركة الهيرتز قبل وقت طويل. حسناً، أعني البارحة. رفضت المشاركة في هذه اللعبة، وبقيت صامتاً.

قالت كايت: "أنت لم تعد رجلاً أعزب، كما تعرف".

وقالت أشياء أخرى من هذا القبيل.

وصـلنا إلـى وسـط البلدة، وأوقفت السيارة في مرآب بالقرب من مقهى. قلت لكايت: "أنا بحاجة لكوب من القهوة".

سألتني، "جون، هل أنت متأكد من أنك تعرف ماذا تفعل؟"

"أجل. أريد شرب القهوة. ماذا تريدين؟"

"أجب عن سؤالي".

"أنا أعرف ماذا أفعل".

"وماذا تفعل؟"

"لست أدري".

"إلى متى سنبقى على هذه الحال؟"

"إلى أن نحلّ القضية أو إلى أن يمسك بنا زملاؤنا، أيهما يتحقق أولاً".

"حسناً، يمكنني أن أقول لك أيهما سيتحقق أولاً".

"كيف تريدين القهوة؟"

"بدون حليب".

نـــزلت من السيارة، ودخلت المقهى، وكان عبارة عن مكان محلّي وليس ستار باك حيث يتوجب عليّ الذهاب إلى الصرّاف الآلي أولاً.

طلــبت كوبــين من القهوة بدون حليب من الشابة شاردة الذهن التي كانت خلف المنــضدة. وفــيما كانت تتصارع ذهنياً مع طلبي، لاحظت وجود رف من التذكارات والهدايا المجانية بالقرب من الباب. أمسكت بمجموعة منها ودسستها في جيوبي.

كانت السيدة كثيرة النسيان خلف المنضدة تحاول معرفة حجم الغطاء الذي عليها استخدامه. قلت لها: "أريد إجراء مكالمة محلّية. هل يمكنني استعمال هاتفك الخليوي؟"

"أجل".

كان ثمن القهوة دولاراً ونصف الدولار، ولكنني أعطيتها خمسة دولارات وقلت لها: "احتفظي بالباقي لقاء المكالمة الهاتفية".

سلّمتني هاتفها الخليوي، وقمت بالاتصال بفندق **ذي بوينت**.

أجاب جيم، "فندق **ذي بوينت**. كيف يمكنني مساعدتك؟"

قلت: "السيد كوري يتكلم. هل وصلت رسائل لي أو لزوجتي؟"

قال: "صباح الخير سيد كوري. هل تقضي وقتاً ممتعاً معنا؟"

"هاي جيم، عليّ أن أقول لك بأن هذه أفضل ألف ومئتي دولار أنفقتها في حياتي في ليلة واحدة، وهذا يتضمن فتيات الاستعراض في فيغاس".

صــمت جيم لبرهة، ثم قال: "وصلتني رسالتان لك، وكلاهما من السيد غريفيث. وهــو يريد منك أن تتصل به". وأعطاني رقم غريفيث وسألني، "هل ستشاركنا العشاء هذه الأمسية؟"

"هــل تعتقد أنني سأشتاق إلى دجاجة الأرض التي يعدّها هنري؟ أسدِ لي خدمة، واتصل بسوني، وذكّره بأنه كان سيعيرني سترة وربطة عنق. هل سمعتني؟"

"أجــل. سأرسل الثياب إلى غرفتك. حسناً، سأراك في سهرة الكوكتيل. سيعدّ لنا هنري السجق الملفوف بالعجين".

"أعرف ذلك".

أنهــيت المكالمــة، وأعــدت الهاتف إلى الآنسة سبايس التي أعتقد بأنها حسبت الهاتــف هدية. ولكنني لن أحتاجِ على الأقل إلى القلق من تذكرها لي في حال زارها العملاء الفيدراليون ليستعلموا عني.

غــادرت المقهــى، ومــشيت على ممرّ المشاة، وخطرت فكرتان ببالي. الفكرة الأولى كانت في وقف التصرفات المتهورة والأنانية والتفكير بالمستقبل المهني لكايت، والذهاب لرؤية غريفيث وإطلاعه على كافة المعلومات التي في حوزتي، بما في ذلك عبارات ***ماد، ونيوك، وإلف،*** على أمل أن يتمكن مكتب التحقيقات الفيدرالي من معرفة ماذا يخطط له مادوكس قبل فوات الأوان.

الفكــرة الثانــية هــي في عدم القيام بأي شيء من تلك الأشياء، والسبب هو أن القضية بدت في غاية الغرابة، وأنا لم أعد أثق بأحد، باستثناء كايت بالطبع التي كانت، مــن غير أن تتلقّى أوامر، زوجتي، وشريكتي، ووكيلتي القضائية، ورئيسي المباشر، وعمــيلة فــي مكتب التحقيقات الفيدرالي. وبالرغم من أنني كنت أثق بها، ولكنني مع كايت، لا أعرف أبداً ماذا سيحصل. كنت أراهن على زوجة وشريكة.

الفصل 35

عدت إلى السيارة، وقدّمت لكايت كوب القهوة ورزمة من الكتيبات والمنشورات السياحية، وقلت لها: "إننا بحاجة إلى مكان نبيت فيه لكن ليس في بوتسدام".

"ربما يجدر بنا الذهاب إلى كندا، وطلب اللجوء السياسي".

"أنا مسرور لأنكِ لا زلت تحافظين على روحكِ الفكاهية".

"هذه لم تكن نكتة".

شربت قهوتي فيما كنت أقود السيارة وسط بوتسدام، وكانت كايت تقلّب المنشورات المطبوعة. أخبرتها عن المكالمة التي أجريتها مع **ذي بوينت** وقلت لها: "سيطلب غريفيث في وقت قريباً جداً إلى شرطة الولاية البدء بالبحث عنّا، هذا إذا لم يكن قد فعل ذلك أصلاً. ولكنني أعتقد بأننا نستطيع البقاء متقدمين عليه دائماً".

بدا أن كايت لم تسمعني فيما كانت تدرس الأدبيات المحلّية. قالت: "ربما كانت المنطقة جيدة لكي نشتري فيها منزلاً. متوسط أسعار المنازل هو 66400 دولار".

"أنا أبحث فقط عن مكان للإيجار لكي أبيت فيه هذه الليلة يا عزيزتي".

"متوسط المدخول العائلي لا يتجاوز 30782 دولاراً في العام فقط. كم يبلغ مقدار ثلاثة أرباع تعويض إعاقتك المعفى من الضرائب؟"

"يا عزيزتي، ابحثي عن مكان نبيت فيه".

"حسناً" قلّبت بعض المناشير، وقالت: "هذا فندق بي أند بي جميل..."

"لا أريد فنادق بي أند بي".

"يبدو لطيفاً، ومنعزلاً إذا كانت تلك مواصفات المكان الذي نبحث عنه".

"هذه هي المواصفات التي نبحث عنها".

"يقع المبنى في أرض مساحتها اثنان وعشرون فداناً كانت في السابق ملكاً لاصطبلات الخيل التابعة لجامعة سان لورنس". وقرأت، "إنه يوفر الخصوصية التي يوفرها عقار كلاسيكي في الريف".

"كم تبلغ كلفة هذا العقار الريفي الكلاسيكي؟"

"خمسة وستين دولاراً لليلة الواحدة. ولكن يمكنك الحصول على كوخ مقابل خمسة وسبعين دولاراً".

"هذا ما كنا ندفعه في **ذي بوينت** في الساعة".

"سندفع المال على أية حال".

"أجل. كيف السبيل للوصول إليه؟"

نظرت إلى المنشور، وقالت: "علينا أن نسلك الطريق 11".

بدأت دورتي الثانية في وسط بوتسدام، وصرت أعرف المنطقة. تقدمت نحو نقطة تقاطع فيها الكثير من إشارات المرور، وسرعان ما وصلنا إلى الطريق 11 الذي يتجه إلى خارج البلدة.

قلت: "أعرف أشخاصاً في فرقة الهاربين يقولون إن الهاربين يجدون متعة دائماً في تفادي الاعتقال. الأمر أشبه باستخدام فطنتك، والتنقل على الطرقات".

"أنا لا أجد الأمر مسلّياً. وماذا عنك؟"

"حسناً، أجل. إنها لعبة. والألعاب مسلّية".

لم تعلّق على كلامي، وقالت: "يبعد فندق بي أند بي هذا حوالى خمسة عشر كيلومتراً عن المكان الذي نحن فيه، خارج كانتون".

"تقع كانتون في ولاية أوهايو".

"ربما نقلوا مكانه، أو ربما توجد بلدة اسمها كانتون في نيويورك".

"سنرى". وهكذا، واصلنا سيرنا في الاتجاه الجنوبي الغربي سالكين الطريق 11.

عادت كايت لتقرأ منشور غرفة التجارة، وقالت: "يوجد الكثير من الكلّيات في المنطقة، وهذا يعني أن نسبة الأشخاص الذين يحملون شهادات جامعية أعلى من النسبة المتوسطة على الصعيد القومي".

"ستجمّدين مثقفيك في هذه المنطقة".

"متوسط الدرجة الحرارة في يناير هو سبع وعشرون درجة فهرنهايت. ليست بالسيئة".

"قولي لي ذلك في يناير".

"يمكننا الإقامة مع والديك في فلوريدا في فصل الشتاء".

"أفضل أن أتجمّد حتى الموت". نظرت إلى الساعة التي في لوحة أجهزة القياس في السيارة ووجدت أنها 11:47. كان عليّ أن أتصل بديك كيرنز في أسرع وقت ممكن.

كانــت طــريقاً تكثــر فيها السيارات، وتمرّ عبر المناطق المكشوفة في الريف، والمــزارع، والقــرى الصغيرة. كنا بالتأكيد خارج منطقة جبل أديروندداك وفي سهول غــريت لــيكس. في تلك الجنان، كانت الدببة تفوق البشر عدداً وكانت حركة المرور خفــيفة، بحــيث كــان يسهل الانتباه إلينا وتذكّرنا. لكن هنا، يمكننا الاندماج مع عامة السكان طالما أنني أبقي فمي الذكي مغلقاً.

كانت قيادة سيارة الهيونداي الصغيرة سلسة، ولكنني كنت أفضل سيارة ذات دفع رباعي تحسباً لحاجتي إلى تحطيم سياج نادي كاستر هيل في وقت معين، كما في هذه الليلة.

سألت كايت، "كم تحملين من الذخيرة؟"

لم تجب عن سؤالي.

"كايت؟"

"معي مخزنان إضافيان في حقيبة يدي".

كــان في جيب سترتي مخزن واحد، فليس من عادتي أن أحمل ذخيرة إضافية. ربما لو كنت أحمل حقيبة يد أو حقيبة أمتعة، كنت سأحمل مخزناً إضافياً. سألتها، "هل يوجد متجر لبيع الأدوات الرياضية في كانتون؟"

بــدأت تقلّــب دلــيلاً وقالت: "هذا إعلان عن متجر لبيع الأدوات الرياضية في كانتون".

"هذا جيد".

واصلنا سيرنا بصمت، وبعد عشر دقائق، قالت كايت: "انعطف هنا نحو الطريق 68 وابحث عن فندق ويلما بي أند بي".

"ربما يمكننا فتح فندق بي أند بي. أنت تقومين بالطهو والتنظيف، وأنا أطلق النار على الضيوف القادمين".

لم أسمع جواباً.

شــاهدت لافتة لفندق ويلما، فتقدمت بالسيارة على ممر خاص للسيارات مفروش بالحــصى يمــرّ في حقل محاط بالأشجار. وأمام الحقل كان يوجد منــزل من طراز كايب كود مع شرفة مسقوفة.

أوقفــت السيارة، ونــزلنا منها، واقتربنا من الشرفة. نظرت إلى الطريق العام، ووجدت أنني بالكاد أستطيع رؤيته.

سألتني كايت، "هل أنت بخير؟"

"أنا في وضع ممتاز. يبدو أشبه بمكان يقيم فيه بوني وكلادي".

ضـــغط كايت على جرس الباب، وبعد دقيقة فتح رجل في منتصف العمر الباب وسألنا، "كيف يمكنني مساعدتكما؟"

قالت كايت: "نريد غرفة لنبيت فيها هذه الليلة".

"حسناً، لقد وصلتما إلى المكان المناسب".

يـــبدو أنها العبارة التي تستخدم في هذه المنطقة. وعلى الأرجح أن تسمع العبارة نفسها عندما تدخل مستشفى لاستئصال الزائدة الدودية.

دخلـــنا مكتـــباً صـــغيراً في البهو، حيث قال المالك، واسمه نيد: "حصلتما على مرادكما. غرفتان في الأعلى أو كوخان صغيران".

قلت: "سننـــزل في كوخ".

عرض علينا صورتان فوتوغرافيتان وقال: "هذا هو البوند هاوس، لأنه يوجد في بركة. والآخر هو فيلد هاوس".

بدا الكوخ الأخير أشبه بمنـــزل مقطور. قالت كايت: "يعجبني البوند. ما رأيك يا جون؟"

"أجل". سألتُ نيد، "هل توجد لديكم خطوط هاتفية خارجية في هذين الكوخين؟"

هزّ رأسه وقال: "لدينا خطوط هاتفية بالتأكيد، ولدينا كهرباء أيضاً".

أردت أن أقـــول له بأننا قدمنا للتوّ من منتجع فخم لا تلفاز فيه ولا خدمة هاتفية، ولكنه لم يكن سيصدق ذلك.

قال: "منـــزل البوند مزود بتلفاز كابلي وجهاز فيديو، ووصلة إنترنت".

"لا بـــدّ وأنك تمزح؟ هاي، هل يوجد لديك حاسوب محمول يمكنني استعارته أو استئجاره؟"

"لـــديّ واحـــد يمكـــنك استخدمه مجاناً إذا كان في إمكانك إعادته بحلول الساعة الـــسادسة والنـــصف، لأن هـــذا هـــو الـــوقت الذي تزور فيه زوجتي موقع إي باي الإلكتروني للمشاركة في المزاد. تقوم هذه المرأة بشراء الخردة، ثم تعود فتبيعها على الموقع إي باي. وتقول إنها تجني مالاً، ولكنني لا أعتقد ذلك".

لـــو لـــم أكن أحاول تجنب الظهور، لقلت له إنها على الأرجح تتكلم مع شخص على الإنترنت. ولكنني اكتفيت بالتبسم.

وعلـــى أيـــة حال، سددت ثمن المبيت في الغرفة نقداً، وهو ما أثار إعجابه، فلم يطلـــب هوية أو وديعة أمنية. سلّمني حاسوبه المحمول الذي قدّرت ثمنه بألف دولار تقريباً. أردت أن أطلب إليه صندوقاً من الجعة، ولكنني لم أشأ استغلال حسن ضيافته.

سلّمني نيد مفتاح الكوخ، وأعطاني بعض الإرشادات الأساسية الخاصة بالمكان، وأرشدني إلى البوند وقال: "اتبع الطريق".

ركبت وكايت السيارة، وقالت: "هل لاحظت مقدار لطافة الناس هنا وثقتهم بالآخرين؟"

"يبدو أنني فقدت محفظتي".

تجاهلتْ عبارتي، وأضافت، "هذا المكان يشبه المكان الذي ترعرعت فيه في مينيسوتا".

"حسناً، لقد قاموا بعمل جيد هنا. دعينا نناقش مسألة الانتقال للعيش في مكان آخر في وقت لاحق".

سرّنا على الطريق مسافة مئة متر، ووصلنا إلى كوخ صغير مكسو بألواح خشبية رقيقة في بركة.

أخذت كايت حقيبتها ودخلنا الكوخ. كان مكاناً لائقاً يضم غرفة جلوس، وغرفة نوم، ومطبخاً مزيناً بما يشبه إي باي كهربائي. وفي الخارج كانت توجد شرفة مقفلة تطل على البركة. وأملت بأن أجد حماماً داخلياً في مكان ما.

كانت كايت تتفحص المطبخ عندما سألتها، "ماذا يوجد في الثلاجة؟"

فتحت الباب وقالت: "لمبة مضيئة".

"اطلبي خدمة الغرف".

تجاهلت تعليقي وما لبثتْ أن وجدت الحمام.

أمسكتُ بسماعة الهاتف الموجود على الطاولة، واتصلت بديك كيرنز. قبل أن يتحمّل كلفة المخابرة وسألني، "لماذا أدفع ثمن هذه المخابرة؟"

"أنا في السجن، وقد أجريت مكالمتي المجانية واتصلت بوكيل مراهناتي".

"أين أنت؟ ومن يكون ويلما الذي يظهر على الشاشة لديّ؟"

"إنها زوجة نيد. هل استقصيت عن الرجل؟"

"أي رجل؟ آه، بوشكين. إنه كاتب روسي وقد تُوفي. لا توجد معلومات إضافية".

من الواضح أن ديك شعر بالحاجة إلى ممازحتي بدلاً من دفع كفالتي. قلت له: "هيا يا ديك، فالأمر هام".

"أولاً عليّ أن أسألك. كم تبلغ المسافة بين رأسك والسقف (تصريحك الأمني)؟"

أجبته "مئة وثمانين سنتيمتراً".

"للأسف أيها المحقق كوري، معظم الأدوات التي لدينا لا تصلح للأشخاص الذين يقلّ طولهم عن مئة وثلاثة وثمانين سنتيمتراً، ولكنني سأكتب هنا بأنك طلبت أدوات خاصة بمن يبلغ طولهم مئة وثلاثة وثمانين سنتيمتراً".

انتهى من نكتته القديمة وقال: "حسناً، هل أنت مستعد لكتابة ما سأقوله لك؟"

"انتظر لحظة". كانت كايت قد خرجت من الحمام، وجلست على كرسي بالقرب من الطاولة. قلت لديك: "سأحوّل صوتك إلى المجهار". ضغطتُ على زر المجهار وقلت: "قل مرحباً لكايت".

"مرحباً يا كايت".

"مرحباً يا ديك".

قال ديك: "أنا مسرور لأنكِ معه لكي تبقيه بعيداً عن المشكلات".

"أنا أحاول القيام بذلك".

"هل سبق أن حدثتك عن وقت..."

قاطعته بالقول: "ديك، إننا نعمل وفقاً لجدول زمني ضيق".

"أجل، وأنا أيضاً. حسناً، هل أنت جاهز؟"

أخرجت كايت دفتر الملاحظات، وأمسكت أنا بورقة وقلم كانا على الطاولة وقلت: "ابدأ".

"حسناً. ميخائيل بوتيوف، وُلد في كيورسك في جمهورية روسيا التابعة للاتحاد السوفياتي، في 18 مايو/أيار 1941. قُتل والده في العام 1943، وكان نقيباً في الجيش الأحمر، أثناء تأديته مهامه. ووالدته متوفية، ولكنني لا أملك أي معلومات إضافية عنها. الاختصاص التعليمي... لا يمكنني تهجئة هذه الكلمات الروسية اللعينة".

"قم بتهجئتها".

"حسناً". أملى عليّ اسم الشهادة العلمية التي حصل عليها بوتيوف، وكانت عيناي زائغتين إلى أن قال: "تخرّج من معهد لينينغراد للفنون التطبيقية بدرجة متفوقة في الفيزياء النووية. وفي وقت لاحق، عمل في... اللعنة، كورشاتوف؟ أجل معهد كورشاتوف في موسكو... والمعلومات المتوفرة لديّ تقول إنه منشأة نووية سوفياتية هامة، وهذا الرجل أجرى بحوثاً هناك".

لم أعلّق على ما قال، ولكنني تبادلت وكايت النظرات.

سألني ديك، "هل هذا ما كنت تبحث عنه؟"

"وماذا غير ذلك؟"

"حسناً، ثم عمل في مصنع لتعليب البطاطا".

"ديك..."

"عمل في برنامج نووي عسكري سوفياتي في مكان ما في سيبيريا..." قام بتهجئة اسم بلدة أو منشأة ثم قال: "يبدو أن هذه المعلومات سرّية. ولم يعد يتوفر الكثير من المعلومات منذ العام 1979 إلى حين انهيار الاتحاد السوفياتي سنة 1991".

"حسناً، ما مدى دقة هذه المعلومات؟"

"حصلت على بعض منها من مكتب التحقيقات الفيدرالي مباشرة. إن اسم بوتيوف مدرج على لائحة الأشخاص الذين يخضعون للمراقبة. وقد حصلت على معظم المعلومات من السيرة الذاتية لبوتيوف الموجودة في الموقع الإلكتروني حيث يعمل".

"ما هو مكان عمله؟"

"معهد ماساشوستس للتكنولوجيا. إنه يعمل أستاذاً مدرّساً هناك".

"ما هي المادة التي يدرّسها؟"

"ليست التاريخ الروسي".

"بالطبع..."

"كما حصلت على بعض المعلومات المتعلقة به من المجلات الأكاديمية. إنه شخص ذائع الصيت".

سألته، "وما هو السبب؟"

"إنها مواضيع تتعلق بالبحوث النووية. هل تريد أن أقرأها لك؟"

"سنعود إلى هذا الأمر لاحقاً. وماذا بعد؟"

"حسناً، كنت في المكتب الميداني التابع لمكتب التحقيقات الفيدرالي. وهناك، وجدت شخصاً عرفت أنه على استعداد للتحدث بطريقة غير رسمية. قال لي إنه جرى إحضار بوتيوف إلى هنا كجزء من برنامج لإعادة التوطين في مرحلة ما بعد الاتحاد السوفياتي بهدف تحييد بعض المواهب النووية الطليقة قبل أن يبيع أصحابها معلوماتهم لمن يقدّم لهم عطاء أكبر. وجرى إسناد وظيفة مدرّس في معهد ماساشوستس للتكنولوجيا إليه كجزء من برنامج إعادة التوطين هذا".

ضحك ديك ضحكة خافتة وقال: "ربما كان البرنامج أقل كلفة لو اقتصر على ذلك. ولكنهم اشتروا له شقة في كامبريدج، وهو لا يزال يحصل على بعض المبالغ من العم سام. في الواقع، أجريت فحصاً سريعاً لبطاقته الائتمانية وتبين لي أن درجته هي A3 أي أنه لا يعاني من مشكلات مالية أو مشكلات تتعلق ببطاقته الائتمانية، وهو ما يلغي كما تعرف، نصف الدوافع للقيام بالأعمال غير القانونية التي تحدث في العالم".

"هــذا صحيح". لكن النصف الآخر هو الذي يقلقني، ذلك النوع من الدافع للقيام بنشاطات غير قانونية ربما يجد مليونير في صناعة النفط صعوبة في مقاومة إغرائها، مثل السلطة، والمجد، والانتقام.

ســألته كايــت، "لمــاذا أُدرج اســمه فـــي لائحة المراقبة لدى مكتب التحقيقات الفيدرالي؟"

أجــاب ديــك "قــال لي ذلك الشخص الذي يعمل في بوسطن بأنه إجراء عادي بالنسبة إلى شخص يملك هذه المواصفات. ليس لدى المكتب مآخذ على الرجل، ولكنه يــشترط علــيه إبلاغه عندما يريد مغادرة المنطقة لأن بوتيوف، كما قال العميل الذي تحدثت إليه، دماغ متنقّل مليء بالمعلومات التي ينبغي عليه ألاّ يتشارك بها مع أي بلد لديه برنامج نووي ناشط غير قانوني".

سألته، "هل قام بوتيوف بإبلاغ مكتب بوسطن بأنه سيغادر البلدة؟"

"لــست أدري فأنـــا لم أسأل. لقد كنت محظوظاً كفاية بالعثور على هذا الشخص الــذي قــبل بالــتحدث إلــيّ بطريقة غير رسمية. ولكنني اقتصرت في أسئلتي على المعلومات التي تتعلق بخلفية هذا الرجل".

سألته كايت، "هل لديه زوجة؟ أولاد؟"

"ولــدان ناضجان جرى إحضارهما إلى هنا أيضاً كجزء من رزمة اتفاقية إعادة التوطــين. لا تــوجد معلــومات متوفــرة عــنهما. وزوجته، سفيتْلانا، لا تتقن اللغة الإنكليزية".

سألته كايت، "هل تحدثت إليها؟"

"أجــل. اتصلت بالشقة التي تقيم فيها. ولكنني اتصلت قبل ذلك بمكتبه في معهد ماساشوســتس للتكنولوجــيا. قالت لي السكرتيرة، واسمها كرابتري، بأنه أرسل إليها رسالة إلكترونية في عطلة نهاية الأسبوع – يوم السبت – وقال فيها إنه لن يعود حتى يوم الثلاثاء؛ أي اليوم. ولكنه لم يصل لغاية الآن، ولم يسمع أحد عنه شيئاً". وأضاف، "أعتقد بأنه موجود في المنطقة التي تتواجد فيها. أليس كذلك؟"

"لــسنا نــدري". استغربت قيامه بإلغاء حجزه على الرحلة التي تقلع عند الساعة 12:45 إلى بوسطن في وقت ما ليلة البارحة، وعدم اتصاله بمكتبه لغاية الآن، وعدم اتــصاله بشركة الطيران لتجديد حجزه على متن الرحلة التالية المتوجهة إلى بوسطن، والتــي أذكــر بأنهــا ستقلع عند الساعة 9:55 من صباح يوم غد، كما أنه لن يذهب بالسيارة إلى بوسطن لأن سيارته المستأجرة أعيدت إلى الشركة.

سألته كايت، "هل بدت السكرتيرة قلقة؟"

"لم يكن في مقدوري استنتاج ذلك. فقد كانت محترفة، ولم يكن يوجد لديّ سبب لأضغط عليها. ولذلك، اتصلت بسفيتلانا التي أخبرتني بأنه 'غير موجود في المنزل'. ولذلك سألتها 'متى تتوقعين عودته؟' فأجابت 'يوم الثلاثاء'. قلت لها 'اليوم هو يوم الثلاثاء'، فقالت 'اتصل في وقت لاحق'. ولذلك أعدت الاتصال قبل حوالى عشرين دقيقة من الآن وقالت لي 'أنا بحاجة إلى الاتصال بميخائيل. لقد ربح مليون دولار في مسابقة ريدرز دايجست وهو بحاجة إلى المطالبة بالجائزة'. وعلى أية حال، لا أعتقد بأنه في المنزل، أو أنها تمكنت من إبلاغه بضرورة المطالبة بجائزته".

سألته، "إذاً، هذا الشخص في عداد المفقودين؟"

"ربما. هل تريد شيئاً آخر؟"

"كلا. هذا هو العرض التقديمي المجاني الأساسي".

"هل حصلت على رقم هاتف هذا الشخص؟"

"طلبت الحصول عليه من سفيتلانا ومن السكرتيرة، ولكنهما امتنعتا عن إجابة طلبي. وأنا على ثقة بأنهما اتصلتا به بضع مرّات".

"حسناً، وماذا عن شركة الهاتف؟ أو مكتب التحقيقات الفيدرالي في بوسطن؟"

"سأحاول الحصول على الرقم من شركة الهاتف، ولكنني لن أعاود الاتصال بمصدري في المكتب مرّة أخرى. لقد حصلت منه على أكبر قدر ممكن من المعلومات، وكان متعاوناً، ولكنه أصبح فضولياً. وعلينا أن نترك الأمور على حالها ما لم تكن تريد إثارة مشكلة ما".

"حسناً، لنترك الأمور على حالها".

قال: "ما الذي يدعوني إلى القيام بذلك يا كايت؟ عندما كنت أعمل في *الوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب*، كانت لديهم حواسيب، وهواتف، وملفات خاصة بهم".

نظرتْ إليّ ثم قالت لديك: "يسعى صديقك إلى إثبات نظرية خاصة به في أمر معيّن".

"أجل. وهل قلتِ له بأنه ينبغي عليه أن يكون لاعباً في فريق؟"

"قلت له ذلك عدة مرّات".

في هذا الوقت، كانت عيناي تدوران.

قال ديك: "حسناً، عندما يُفصل جون من عمله، سأحتاج إلى مساعدته هنا".

أجابت كايت، "أعتقد بأنه سيكون على لائحة عدم المفصولين الفيدرالية إلى الأبد".

قاطعتها، "حسناً، لنعد إلى العمل. ديك، هل يوجد شيء آخر تعتقد بأنه هام أو على صلة بالموضوع؟"

"أي موضوع؟"

كـــان ذلـــك ســـؤالاً جيداً، وقبل أن أُفكر في جواب، سألني ديك، "عن الموضع النووي تسأل؟"

أجبته،"أنا لا أعتقد بأن له علاقة بالتحقيق الجنائي".

"ولماذا يتورّط أستاذ مدرّس في معهد ماساشوستس للتكنولوجيا في جريمة قتل؟"

"اعتقدت بأنه من رجال المافيا الروسية، ولكن لا يبدو أنه كذلك. حسناً، سوف.."

"إذاً، هل قام العرب باختطاف هذا الرجل؟"

"أنا لا أعتقد ذلك. أعطِني رقم هاتف منــزله وعمله".

أعطاني الرقمين وقال: "حسناً، الكرة الآن في ملعبكما. أتمنّى أن توفّقا في العثور على بوتيوف، وآمل بأن تجد ابن العاهرة الذي قتل هاري مولر".

قلت له: "سأفعل".

قالت كايت: "شكراً لك يا ديك".

"انتبها لنفسيكما".

وضعت السماعة. نظرت كايت إليّ، وقالت: "عالم فيزيائي نووي".

"أجل".

"وماذا يصنع في نادي كاستر هيل؟"

"أتعتقدين بأنه يعمل على إصلاح فرن الميكروو ايف؟"

"جـــون، علينــــا أن نـــسافر إلـــى نـــيويورك اليوم، ونطلب من والش أن يجمع الأشخاص المناسبين..."

"انتظري لحظة. أنتِ تبالغين، فنحن لا نملك معلومات مفزعة عدا أنه صدف أن عالماً فيزيائياً نووياً نـــزل ضيفاً عند نادي كاستر هيل..."

"لدينا الحروف ماد، ونيوك، وإلف، و..."

"يا إلهي، أرجو أن يكونوا قد عثروا عليها بحلول هذا الوقت".

"وماذا لو لم يعثروا عليها؟"

"إذن سيكونون حمقى".

"جون..."

"لا يمكننا الاعتراف بأننا نملك دليلاً قمنا بإخفائه... حسناً، نسينا أن نشير إليه".

"أتقصد أننا نسينا نحن الاثنان؟" قامت عن كرسيها، وقالت: "أنت لم تبلّغ عن هذه المعلومات. لقد ارتكبتَ جريمة، وأنا شريكتك فيها".

وقفت أنا أيضاً، وقلت لها: "ألا تعتقدين بأنني سأحميكِ؟"

"أنـــا لست بحاجة إليك لكي تحميني. علينا أن نبلّغ عن كافة المعلومات التي في حوزتنا، بما في ذلك بوتيوف. الآن".

"عليكِ أن تعرفي بأن مكتب التحقيقات الفيدرالي يعرف كل شيء نعرفه، وهم لا يشاركوننا ما لديهم من معلومات؛ فلماذا علينا أن نشاركهم في معلوماتنا؟"

"لأن تلك هي وظيفتنا".

"أجــل. وســنقوم بذلك، ولكن ليس الآن". وأضفت، "اعتبري أن ما نقوم به هو تحقيق مكمّل".

"كلا، إننا نعمل في تحقيق غير مصرّح لنا أن نقوم به".

"هذا خطأ. فقد صرّح لنا والش..."

"ليام غريفيث..."

"علـــيه اللعـــنة. كل ما أعرفه هو أنه أحضر لنا ملابس داخلية يستغرق تنظيفها أسبوعاً كاملاً".

"أنت تعرف لماذا جاء إلى هنا".

"كلا، أنا لا أعرف، ولا أنتِ تعرفين".

اقتربت منّي أكثر وسألتني، "ما الذي تخطط للقيام به؟"

"كما هو الحال دائماً، معرفة الحقيقة وإحقاق الحق". وأضفت، "الواجب، الشرف، البلاد".

"هذا هراء".

"حسناً، الجواب الحقيقي هو أننا بحاجة إلى إنقاذ نفسينا. فنحن عالقان في ورطة، والطريقة الوحيدة للخروج من تلك الورطة هي في إحراز تقدم في القضية.."

"ولا تنسَ غرورك. هذا هو جون كوري، من شرطة ولاية نيويورك، يسعى إلى إثبات أنه أذكى من مكتب التحقيقات الفيدرالي بأكمله".

"أنا لست بحاجة إلى إثبات ذلك. فهذه حقيقة راسخة".

"أنا عائدة إلى نيويورك. هل ستأتي معي؟"

"كلا". وأضفت، "عليّ أن أجد قاتل هاري".

جلستْ على السرير، ونظرت إلى الأرضية. من الواضح أنها كانت مستاءة.

وقفـــتُ لدقـــيقة كاملة، ثم قلت: "يا كايت"، ووضعت يدي على كتفها، وقلت: "ثقي بي".

بقـــيت صـــامتة لبرهة ثم قالت كما لو كانت تتحدث مع نفسها: "لِمَ لا نذهب إلى نيويورك ونخبر توم والش بكل ما نعرفه...؟ ونحاول إنقاذ مستقبلنا المهني؟"

أجبتها، "لأننا تجاوزنا نقطة اللاعودة. لا عودة إلى الوراء". وأضفت، "أنا آسف".

بقيت جالسة لفترة، ثم نهضت، وقالت: "حسناً، ما هي الخطوة التالية".

"معرفة معنى العبارة 'إلف'".

الفصل 36

بدا أن كايت هدأت لفترة وجيزة، وأذعنت لحقيقة أن الغبي الذي أقحمها في هذه الورطة ربما يكون الغبي الوحيد الذي يمكنه إخراجها منها.

بدأتُ أشعر بشيء من الضغط نتيجة لذلك، ولكنني عرفت بأنه إذا حافظت على تركيـزي وتمكـنت مـن حـلّ القضية – جريمة قتل هاري والغموض الذي يحيط بمادوكس – فستختفي مشكلاتنا المهنية والشخصية. وفيما نحن منكبّان على حلّها، ربما نتمكن أيضاً من إنقاذ الكوكب. وكما قالت كايت نفسها: "لا شيء ينجح مثل النجاح".

أمـا نقـيض ذلك فكان، حسناً، الخزي، والإذلال، والفصل من الخدمة، وطابور العاطلـين عـن العمـل، وبعض المفاجآت النووية. لكن لماذا أنظر إلى الأمور بهذه السلبية؟

ولكي أجعل كايت جزءاً من الحل، قلت لها: "حسناً، سأعمل بنصيحتكِ، وسنتصل بجون ناسيف".

جلست وكايت إلى الطاولة، وأخرجنا دفترينا.

كنت أفضل استخدام حاسوب نيد، ولكنني كنت متأكداً من أن جون ناسيف، الذي هو عضو في فريق دعم تقني، خارج حلقة *الوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب* على أية حال.

اتـصلت كايت بالرقم مستخدمة بطاقات المكالمات الشخصية لكي لا يظهر رقم ويلما على الشاشة، وعرّفت عن نفسها بأنها مديرة *الوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب*، وطلبت التحدث إلى القائد ناسيف. قامت بتشغيل المجهار، وتم تحويل المكالمة، وقالت لـي: "جون ناسيف هو قائد مناوب في البحرية، ولذلك ربما ترغب في مخاطبته بذكر رتبـته أولاً". وأضـافت: "إنـه ضـابط، ورجل كريم الأخلاق، ولذلك، اختر ألفاظك بعناية".

"وأنتِ كوني حذرة في كيفية صياغتكِ للأسئلة".

أجابـت، "أعـتقد أنني أعرف كيف أقوم بذلك. ولكن لماذا لا تتولّى دور الريادة كالعادة؟"

"أجل سيدتي".

سـمعت صوت القائد جون ناسيف وهو يقول: "مرحباً يا كايت، كيف يمكنني أن أخدمكِ؟"

أجابــت، "مرحباً يا جون. هذا زوجي جون، وهو يعمل معي، ونحن نريد بعض المعلومات عن الموجات اللاسلكية بالغة الانخفاض. هل يمكنك أن تساعدنا في ذلك؟"

"أظــن ذلــك". توقــف عــن الكلام لبرهة ثم قال: "هل لي أن أسأل عن سبب استفساركِ عن هذا الموضوع؟"

تدخلتُ، وقلت: "مساء الخير يا حضرة القائد. أنا التحرّي كوري الذي يعمل تحت إمرة العميلة الخاصة مايفيلد".

قال: "نادني جون".

"وأنا أطلب إليك فعل الشيء نفسه. من دواعي الأسف أن المسألة حساسة، ونحن مخوّلان فقط بالقول إن الأمر ملحّ".

"فهمت... ماذا تريد أن تعرف؟"

سألته، "هل يمكن لموجات إلف أن تقلي بيضة؟"

بدت كايت منــزعجة، ولكن القائد جون أجاب، "أنا لا أعتقد ذلك".

بــدا أن حديث جون ناسيف يشبه حديث ضابط في البحرية، ولذلك سارعت إلى القــول: "أنــا أمزح فقط. هل يمكنك أن تزوّدنا ببعض المعلومات عن الموجات إلف؟ وأرجــو مــنك أن تــتفادى المصطلحات التقنية قدر الإمكان، فأنا لا أستطيع حتى أن أبرمج أزرار جهاز اللاسلكي الذي في سيارتي". حملته على الضحك. وأجاب بعدها، "حسناً، للأمر علاقة بموضوع تقني، ولكنني سأحاول التكلم بالإنكليزية. أولاً، أنا لست خبيــراً فــي إشــارات إلف، ولكن في مقدوري بالتأكيد تزويدكما ببعض المعلومات الأساسية".

"كلنا آذان صاغية". فتحت دفتر الملاحظات، وأمسكت بقلم رصاص.

قــال: "حــسناً، لكي نبدأ، سأستعين ببعض المعلومات الموجودة في حاسوبي... حــسناً، يجري إرسال الموجات إلف على ترددات بالغة الانخفاض... وهذا هو سبب إطلاق الاسم عليها... وعلى أية حال، إنها موجات بالغة الطول. وبالتالي إذا افترضنا أنك ترسل عند تردد مقداره 82 هيرتز، أو 0.000082 ميغاهيرتز، فإن ذلك يساوي موجة طولها 3658535.5 أمتار، أو 3658.5 كيلومتر.."

ألقــيت قلم الرصاص، وقلت: "انتظر لحظة يا جون. إننا لا نريد إرسال رسالة علــى جهازنا الذي يعمل بترددات بالغة الانخفاض. نحن نريد أن نسأل من هم الذين يستخدمون هذا الطول الموجي؟ وفي أي شيء يُستخدَم؟"

أجـــاب، "استخدامه يقتصر على الجيش فقط، وخصوصاً سلاح البحرية. ونحن نستخدمه في الاتصال مع غواصاتنا النووية التي تعمل عند أعماق متدنّية جداً".

تـــبادلتُ وكايـــت النظرات. أردت أن أسأله إن كان يعرف فريد، ولكنني سألته، "هل يمكن مراقبة موجات إلف؟"

"بالتأكـــيد، في حال كنت تملك المعدات المناسبة. ولكنك قد تحتاج إلى الانتظار فترة أطول لكي تسمع إرسالاً بتردد إلف".

"لماذا؟"

"لأن استخدامه محدود جداً. وكل شيء تسمعه يمكن تشفيره".

"حسناً، أجبني عن الأسئلة التالية، من، وماذا، وأين، ومتى، وكيف، ولماذا؟"

قال: "أنا لا أعتقد بأن المعلومات التي سأخبرك بها سرّية، ولكن أريد أن أعرف إن كنت تستخدم خطاً آمناً".

شـــخص تقلـــيدي في قسم الاتصالات العسكرية. اعتقدت بأنه ربما يكون نيد يصغي لكي يضيّع وقته، ولكن لا يبدو أنه جاسوس، وعلى الأرجح أن تكون ويلما منهمكة في مشاهدة شبكة التسوق المنـــزلي. قلت للقائد ناسيف: "إننا نستخدم خطاً أرضـــياً عادياً، وهو استخدام لمرة واحدة في منتجع يقع في جبال أديرونداك". لم نعـــد فـــي الواقع في جبال أديرونداك، ولكن هذا هو المكان الذي أردت أن يعتقد والش وغريفيث أننا نتكلم منه في حال وصلت هذه المحادثة إليهما. وأضفت، "إنه منـــتجع يـــسمى **ذي بوينت**. رئيس الطهاة فرنسي، ولكنني متأكد من أنه لا يصغي إلينا".

"حسناً، كما سبق أن قلت، معظم هذه المعلومات ليس سرّياً. ولذلك دعني أشرح لك التطبيق العملي لتكنولوجيا التردد بالغ الانخفاض إلف. كما تعرف، لدينا غواصات نـــووية تعمل عند أعماق عميقة جداً ولفترات طويلة من الزمن؛ لمدة شهور، وأحياناً تعمـــل غالبـــية هذه الغواصات في مناطق تسيير الدوريات بالقرب من... حسناً، هذه معلـــومات حـــساسة بعض الشيء، ولكنني سأقول لك إنها تعمل بالقرب من المحطات الصوتية المائية أسفل سطح البحر حيث يمكنها البقاء على اتصال مع غرف العمليات البحـــرية عبـــر القـــنوات اللاســـلكية العاديـــة. ولكن يمكن أن يتواجد بعض من هذه الغواصـــات في مناطق خالية من الوجود البشري، وعلى مسافات بعيدة جداً عن هذه المحطـــات تحـــت المائية، وبالتالي، فإنه في الحالات الطارئة، تحتاج غرف العمليات البحـــرية فـــي بيـــرل هاربور الخاصة بأسطول المحيط الهادئ، أو نورفولك الخاصة بأســـطول المحيط الأطلسي، إلى البقاء على اتصال مع هذه الغواصات النووية التي لا

هي قريبة من السطح ولا هي قريبة من محطة ترحيل تحت سطح الماء. هل لا زلت تستطيع متابعتي لغاية الآن؟"

نظرتُ إلى كايت التي أومأت برأسها وقالت: "بالتأكيد، تابع".

"حسناً، لا يمكن للموجات التي تعمل بترددات منخفضة جداً 'في أل أف' اختراق أعماق المحيطات، وخصوصاً إذا كانت المياه شديدة الملوحة. ولكن موجات إلف يمكن أن تقطع المسافة كلها في أي مكان من العالم مهما كانت الأحوال الجويّة، ويمكنها اختراق أي شيء، بما في ذلك الجبال، والمحيطات، والثلوج القطبية. ويمكنها أن تصل إلى الغواصات التي في أعماق المحيطات، وإلى أي شيء وفي أي مكان". وأضاف، "ولولا وجود موجات إلف، لما كان لدينا اتصال ببعضٍ من هذه القطع في أسطول غواصاتنا النووية، ولكان من الممكن أن يؤدي ذلك إلى مشكلة كبيرة في حال انفجر البالون".

"ما هو البالون؟"

"إنه الاسم المتداول للحرب النووية".

"أجل. أنا أحب اسم البالون أكثر". وهنا أيضاً تبادلتُ وكايت النظرات فيما كنا نحاول أن نفهم معنى كل ذلك. لم أعرف حقيقة شعورها، ولكن مع التفكير في باين مادوكس، كنت أقلّ قلقاً.

وروى لنا القائد ناسيف دعابة جميلة بقوله: "لولا موجات إلف، لما كنا سنخوض حرباً نووية شاملة جيدة".

"حسناً، يجب أن نكون ممتنّين لتوفر ترددات إلف".

ضحك وقال: "هذه نكتة قديمة يتبادلها العاملون في الاتصالات البحرية".

"يا لها من نكتة مضحكة جداً. هل لديك غيرها؟"

"حسناً، يا صديقي، لقد مضى وقت طويل على انتهاء الحرب الباردة، ولكن..."

أنا لا أقاطع الشاهد في العادة، ولكنني فعلت، وسألت، "إذاً، هذه هي الطريقة الوحيدة... السبب الوحيد لاستخدام الموجات اللاسلكية عند التردد إلأف؛ الاتصال مع الغواصات".

أجاب، "حسناً، إنها ليست في الواقع موجة لاسلكية صوتية – إنها أشبه بمُرسل إشارات، مثل التلغراف – تُستخدم في إرسال رسائل مشفّرة".

"إلى الغواصات فقط؟"

"أجل. الغواصات التي في أعماق عميقة أسفل سطح البحر. إن موجات إلف طويلة جداً، ولذلك فإن عمليات الإرسال بطيئة جداً. ولكن في إمكانها اختراق أي

شـــيء. وبالتالي فإن الاستخدام العملي الوحيد لها هو في الاتصال بالغواصات التي لا يمكن الاتصال بها بالوسائل العادية".

"أجل. وهل يمكن لموجات إلف أن تعطل هاتفي الخليوي؟"

ضـــحك مجـــدداً وأجاب، "كلا. فهذه الموجات أبعد من أن تُلتقَط، ولذلك فهي لا تـــتداخل مـــع المـــوجات اللاســـلكية الأخرى، أو موجات الميكروويف، أو أي شيء نستخدمه بشكل يومي".

قالت له كايت: "وبالتالي، فإن إرسالات الموجات إلف عبارة عن رسائل مشفرة".

"هذا صحيح".

"ويمكن للغواصات فقط استقبالها".

"حسناً، يمكن أن يلتقطها أي شخص لديه جهاز استقبال لموجات إلف. لكن ما لم تكـــن تعـــرف الشيفرة، وهي تتغير باستمرار، فستستقبل رسائل لا معنى لها. وكل ما ستـــسمعه عبارة عن نبضات مرسَلة، والتي هي حروف في نسق مشفَّر. وكما فهمت، الشيفرة الأكثر شيوعاً هي شيفرة الحروف الثلاثة".

ســـألته كايـــت، "وهـــذه الرسائل تخبر العاملين على متن الغواصات بكل شيء يحتاجون إلى معرفته".

"فـــي العادة، تنقل لهم هذه الرسائل ما يحتاجون إليه لكي يجروا اتصالاً لاسلكياً عاديـــاً". وأضاف، "يُسمى إرسال إلف دقّاق الجرس. فالغرض منه تنبيه قائد الغواصة إلـــى أن وضـــعاً معيـــناً آخذ في التطوّر، وأن عليه القيام بشيء للبقاء على اتصال". وأضـــاف، "لكـــن في بعض الأحيان، تكون شيفرة الحروف الثلاثة غنية عن الشرح. وعلـــي سبيل المثال، يمكن أن تعني ‘أُطفُ على السطح’ أو "تابع طريقك نحو الموقع كذا‘، الذي يكون عبارة عن نقطة إحداثيات على شبكة مصممة سلفاً. هل أنتِ معي؟"

أجابت كايت، "أعتقد ذلك".

"لا يمكـــنكِ استخدام الموجات إلف في تبادل رسائل طويلة، لأن وصول الإشارة إلـــى الغواصة يستغرق نصف ساعة. وينبغي أن أشير إلى أنه لا يمكن للغواصات أن ترسل إشارة أو رسالة على موجات إلف، وإنما يمكنها استقبالها فقط".

قلت، "الأمر كقولك ’لا تتصل بنا، بل نحن من سيتصل بك‘".

"هذا صحيح".

سألته كايت، "لماذا لا تستطيع الغواصة إرسال رسالة على موجات إلف؟"

"ينبغـــي أن يكون جهاز الإرسال والهوائي على اليابسة. ويمكنني أن أشرح لكِ ذلك لاحقاً. لكن إذا احتاجت الغواصة إلى الردّ على هذه الرسائل ذات الاتجاه الواحد،

أو إذا احتاج قائد الغواصة إلى مزيد من البيانات، ينبغي أن تقترب الغواصة من محطة سمعية مائية، إذا كان يتوفر لها وقت للقيام بذلك، أو تدنو من سطح الماء، وترسل إلى السطح عوّامة اتصالات لكي تردّ أو تحصل على مزيد من المعلومات عبر الموجات ذات التردد المنخفض جداً، أو عبر القمر الصناعي في يومنا هذا، أو عبر وسائل أخرى".

سألته، "ماذا تعني بقولك 'إذا كان يتوفر لها وقت للقيام بذلك'"؟

أجاب، "حسناً، إذا أطلق الطرف الآخر مثلاً صواريخ بالستية عابرة للقارّات علينا، فلن يتوفر وقت لإجراء اتصال لاسلكي عادي، لأنه بحلول الوقت الذي تستقبل فيه الغواصة إشارة إلف، والتي كما قلت يمكن أن تستغرق ثلاثين دقيقة، تكون كافة أشكال الاتصالات في الولايات المتحدة قد تبخرت، وتكون الحرب النووية قد انتهت تقريباً". وأضاف، "وإذا كان هذا ما يحصل على السطح، تكون الغواصات قد تلقّت رسالة إلف الوحيدة والأخيرة التي ستتلقّاها – شيفرة من ثلاثة حروف تعني... حسناً، أطلق صواريخك".

ارتسمت على وجه كايت علامات القلق، ولكن كان لدى القائد ناسيف أخبار طيبة حيث قال: "إن موجات إلف لا تتأثر بالانفجارات النووية الحرارية".

قلت: "نشكر الله على ذلك. لكن دعني أسألك سؤالاً؛ ماذا لو أرسل الشخص المكلّف بإرسال شيفرة إطلاق الصواريخ النووية الحروفَ الخطأ؟"

أجاب القائد ناسيف والمرح بادٍ على صوته، "لن يحصل ذلك".

"ولِمَ؟ انظر إلى البريد الإلكتروني الذي يصلك؟"

"أعني"، وبدأ يشرح بصبر، "توجد إجراءات أمنية، تستوجب التأكد من صحة كافة الأوامر التي تقضي بإطلاق الصواريخ".

"من قِبل من؟ بحلول الوقت الذي تتلقّى فيه الغواصات الأمر بعد نصف ساعة على إرساله، وكما قلت للتو، لن يبقى أحد على قيد الحياة لكي يتحقق من أي شيء".

"هذا صحيح. لكن يمكنك الاطمئنان إلى أن ذلك لن يحدث".

"كيف لا أقلق؟ أعني أنت تتحدث عن ثلاثة حروف تافهة، مثل القردة التي تكتب 'الملك لير'".

"لمعلوماتك، يمكن أن يكون لرسالة من ثلاثة حروف 17576 تركيبة حروف محتملة في اللغة الإنكليزية. وفي الأبجدية الروسية التي تتضمن ثلاثة وثلاثين حرفاً، يتوفر 35937 شيفرة مختلفة". وشرح لنا كيفية الحصول على تلك الأرقام فقال: "تضرب العدد ثلاثة وثلاثين بنفسه ثلاث مرّات فتحصل على 35937. وبالتالي ما

هـــي فـــرص قيام العامل على اللاسلكي البحري بإرسال شيفرة عن طريق الخطأ إلى أسطول غواصات لكي يطلق صواريخه على أهداف محددة سلفاً؟"

إذا فكّـــرنا في حقيقة أنه في حال تعمّد شخص ارتكاب خطأ، ستكون الفرص في اعتقادي كبيرة. قلت: "ربما يجدر بنا استخدام الأبجدية الروسية لأن حروفها أكثر، مما يعني فرصة أقلّ لإشعال حرب نووية عن طريق الخطأ".

اعتقد أنني كنت أمزح فقال لي: "في الواقع، إذا كنت تريد معرفة معلومات أكثر مـــن تلك التي تحتاج إليها، فإن كل من يريد إرسال الرسالة بحاجة إلى إرسالها على شـــكل شـــيفرة متكررة تصحح الخطأ، ثم اتباعها بشيفرة تحقق من ثلاثة حروف. ولا يمكن لأحد إفساد الأمر عن طريق الخطأ".

طـــرحت علـــيه الـــسؤال الواضح والمناسب، "ماذا لو قام بذلك عن قصد؟ مثل مجنون يريد إشعال حرب نووية؟"

فكّر في السؤال وأجاب، "كما قلت، الشيفرات تتغير باستمرار".

"لكن ماذا لو كان ذلك الشخص يعرف الشيفرة..."

"لا يمكننـــي تخيّل حصول أي شخص غير مصرّح له على الشيفرات التي تطلق الـــصواريخ وشيفرات التحقق، إضافة إلى حصوله على بروتوكولات التشفير الحالية. كمـــا أن برمجيات التشفير الحاسوبية أكثر تعقيداً مما يمكن لأي شخص أن يتصوره". وأضاف، "ينبغي ألاّ تقلق بشأن أمور كهذه".

فكّرت في باين مادوكس، وأردت أن أقول للقائد ناسيف: "يجدر بك أن تقلق من ذلك".

سألته كايت، "وهل يوجد تطبيق ممكن آخر لوسيلة الاتصال هذه؟ أعني هل يوجد استخدام آخر لموجات إلف عدا الاستخدام العسكري؟"

"حـــسناً، كـــان ذلـــك ممكـــناً في السابق. ولكنني سمعت بأن أجهزة استقبال المـــوجات إلـــف الروســـية باتـــت تُستخدم منذ انتهاء الحرب الباردة في البحوث الجيوفيـــزيائية. لقـــد تحوّلت السيوف إلى محاريث". وشرح ذلك قائلاً: "يمكن أن تختـــرق مـــوجات إلـــف قشرة الأرض ويمكن بالتالي استخدامها في سبر الأعماق والمـــراقبة الكهرومغناطيـــسية، مـــثل البحوث الزلزالية، والتكهنات بوقوع هزات أرضـــية وتطبـــيقات مـــن هـــذا القبـــيل". وأضاف، "أنا لا أعرف الكثير عن هذه التطبيقات".

قالـــت كايت: "إذن، يمكن من الناحية النظرية لشخص من خارج الجيش إرسال موجات إلف، كالعلماء مثلاً".

"هذا ممكن من الناحية النظرية، لكن يوجد ثلاثة أجهزة لإرسال موجات إلف في العالم، وتعود ملكيتها إلى جيشين". وأضاف، "نحن نملك جهازين، والثالث يملكه الطرف الآخر".

فكّرت كايت في الأمر، ثم قالت: "فهمت. لكن من الناحية النظرية، ينبغي أن تخضع صناعة أجهزة الإرسال للسرّية التامة، أو تتم بطريقة غير قانونية".

أجاب، "لا أعلم شيئاً عن الطريقة غير القانونية، ولا توجد أسرار في التكنولوجيا أو المعلومات الفيزيائية اللازمة لصناعة هذه الأجهزة. لكن المشكلة الحقيقية هي في الكلفة الباهظة لبناء محطة إرسال لموجات إلف، وفي أنه لا توجد تطبيقات عملية لها عدا الاتصال بالغواصات، أو البحوث الجيوفيزيائية المحدودة الحديثة".

لم يخطر ببالي أن باين مادوكس مهتم بالبحوث الجيوفيزيائية، ولكن ربما يكون ذلك ممكناً ولذلك سألت، "هل يمكن لموجات إلف أن تكتشف المخزونات النفطية؟"

"أعتقد ذلك".

"إذن، يمكن للعلماء الجيولوجيين استخدامها في التنقيب عن النفط".

"هذا صحيح من الناحية النظرية، ولكن الأماكن التي يمكن بناء محطات إرسال موجات إلف فيها قليلة جداً".

سألته كايت، "والسبب؟"

"حسناً، نحن نتحدث الآن عن جهاز الإرسال الفعلي نفسه، لكن دعيني أشرح لكِ ذلك. سألتِ لماذا لا يمكن للغواصات إرسال رسائل على موجات إلف. أحد الأسباب هو أن جهاز إرسال إلف يمكن بناؤه على اليابسة فقط وفي مناطق تتميّز بأدنى قدر من المُوصِّلية الأرضية. وهناك أماكن قليلة جداً في العالم يتوفر فيها هذا الشرط الجيولوجي".

وسؤالي البديهي كان، "وأين توجد هذه الأماكن؟"

"حسناً، أحد هذه الأماكن هو حيث يوجد جهاز الإرسال الروسي، ويسمى سيفز ويقع شمال غرب مورْمانسك بالقرب من الدائرة القطبية. والمكان الآخر الذي تتوفر فيه هذه الشروط يقع هنا في الولايات المتحدة. يوجد جهاز الإرسال الأول في منشأة ويسكونسن للإرسال والآخر في منشأة متشيغان للإرسال، وهما تتقاسمان التشكيل الجيولوجي نفسه والذي يسمى درع لورينتاين".

سألته، "هل توجد أماكن أخرى؟"

"حسناً، تحدثنا عن أجهزة إرسال الموجات إلف الموجودة. لكن كان لدى البريطانيين مخطط لبناء منشأة أثناء الحرب الباردة لصالح البحرية الملكية في مكان

ملائم يسمى غلين غاري فورِست في اسكتلندا. ولكن لأسباب سياسية وعملية متنوعة، تم التخلّي عن الفكرة".

بقـيت وكايـت صامتَين لفترة، ثم أوجزتُ كايت ما حصلنا عليه من معلومات فقالت "إذن، يوجد ثلاث محطات إرسال لموجات إلف في العالم أجمع".

قال القائد ناسيف على سبيل المزاح: "كان ذلك عندما أحصيتها آخر مرة".

حسناً، أيها القائد، أحصِها مجدداً.

تـبادلتُ وكايـت النظـرات، ولكنّ أياً منا لم يطرح السؤال البديهي عن إمكانية وجـود أماكن أخرى مناسبة وربما قريبة. عرفنا أننا بحاجة إلى التعمية على السؤال لكي لا يجلس القائد ناسيف في المقهى ويحدث الناس أن كوري ومايفيلد كانا يطرحان أسئلة عن أجهزة إرسال الموجات إلف في جبال أديرونداك.

رأى جـون ناسـيف في الصمت على أننا فرغنا من الاستفادة من وقته ولذلك سألنا، "هل كان ذلك مفيداً لكما؟"

أجابت كايت، "كان ذلك مفيداً للغاية. نشكرك. لكن لدي سؤال إضافي واحد حول نقطة لم تتضح لي بعد. فأنت تقول إنه يمكن لفرد أن يبني جهاز إرسال لموجات إلف".

ربمـا كـان جـون ناسيف يفكر في وجبة الغداء، ولكنه أجاب، "بالتأكيد. يمكن لـشخص معـين أن يبني واحداً في الطابق السفلي في منـزله أو في المرآب. وهو بحاجة إلى التكنولوجيا الأساسية وبعض المكونات التي يمكن شراؤها بدون الحاجة إلى تـرخيص. كما أنه يمكن بناء بعض المكونات غير المتوفرة أو شراؤها بعد دفع الثمن المناسب. والمشكلة الحقيقية هي في موقع الهوائي وحجمه".

"ولماذا يمثّل ذلك مشكلة؟"

"لأننا لا نتحدث عن هوائي رأسي قياسي. فهوائي موجات إلف في الواقع عبارة عـن كابـل أو مجمـوعة كابلات طويلة. وهذه الكابلات معلقة بأوتاد مثل تلك التي تـستخدمها شـركات الهاتـف، وعـادة مـا تكون على شكل دائرة كبيرة تمتد لعدة كيلومترات".

بدا وصفه مطابقاً لما شاهدته مؤخراً. سألته، "أين تكمن الصعوبة، وما هو سبب ارتفاع الكلفة؟"

أجـاب ناسيف، "حسناً، إنه باهظ التكلفة في حال قامت الحكومة ببنائه". وضحك وقـال: "كمـا قلت لك، الأمر يتعلّق بطبقات الأرض والجغرافيا. أولاً، عليك أن تعثر علـى مكـان تتوفر فيه قاعدة صخرية مناسبة، ثم عليك أن تشتري مساحة كبيرة بما يكفي من تلك الأرض".

"وماذا بعد؟"

"حسناً، بعد ذلك عليك أن تمدّ الكابلات التي تغذّي الهوائي. وربما تمتدّ هذه الكابلات مئات الكيلومترات - في دائرة من أجل استخدام حيّز أقلّ - أو إذا كانت الظروف الجيولوجية مثالية، يمكنك الاقتصار على مدّ الكابلات بطول ثمانين كيلومتراً أو أقلّ من ذلك".

قالت كايت: "أنا لم أفهم الناحية الجيولوجية من المسألة".

"حسناً، دعيني أقرأ على مسامعكِ بعض المعلومات. الشرط المتعلق بالأرض لبناء هوائي إلف هو توفر رقعة من الأرض يوجد فيها أمتار قليلة من الرمال، أو المخلفات الصخرية الجليدية أسفله، إضافة إلى أساس صخري من الصخور البركانية، أو المتحوّلة أو... ما هي هذه العبارة؟ صخور صوّانية".

قلت: "آمل بألاّ تكون العبارة المشفّرة لكلمة غذاء".

ضحك وأجاب، "أعتقد بأنه نوع من الصخور. دعني أرى... مناطق في سلسلة جبال قديمة تعود إلى عصر ما قبل الكمبري، مثل درع لورنتاين حيث توجد منشأتنا الخاصة بإرسال إلف... وشبه جزيرة كولا في روسيا، حيث توجد المنشأة الروسية، والمكان الذي يقع في اسكتلندا والذي تراجع البريطانيون عن فكرة بناء محطة إرسال بتردد إلف فيه... مكان بالقرب من بحر البلطيق".

لم أسمعه يقول، "جبال أديروندداك"، وكنت أصغي في الواقع بانتباه شديد.

واصل حديثه فقال: "إذاً، إذا أراد شخص أن يبني محطة إلف، عليه أن يذهب إلى واحد من تلك الأماكن، ويشتري قطعة أرض كبيرة، ثم يدقّ الأوتاد الهاتفية في الأساس الصخري، ويمدّ كابلات الهوائي بينها على شكل دائرة. وكلما كانت الظروف الجيولوجية أفضل، كلما قلّ طول الكابلات اللازم لتوفير قدرة الإرسال نفسها. وبعد ذلك، يتم وصل سلك الهوائي بكابل تأريض مصنوع من النحاس الغليظ يمتدّ أسفل واحد أو أكثر من الأوتاد الهاتفية في ثقوب عميقة يتم إحداثها في صخور ضعيفة المُوصِّلية. ويقوم مولّد كهربائي قوي - باهظ الثمن - بإمداد كابلات الهوائي بالتيار الذي يجري في سلك الهوائي، ليصل بعد ذلك إلى كابلات التأريض النحاسية المدفونة في الصخور". وأضاف، "وبعد ذلك، تصبح الأرض في حدّ ذاتها الهوائي الفعلي. هل تفهمني؟"

أجبته، "بالتأكيد".

لم أعتقد أنه صدّق كلامي، ولكنه أضاف، "وهذا أمر أرى أنه تقني أيضاً، ولكن يبدو أنه إذا كنت تملك قدرة كافية لتوليد الكهرباء - آلاف من الكيلوواط - وبعد بناء

الهوائـــي بالـــشكل الصحيح، لا يعود من الصعب بناء جهاز حقيقي لإرسال الإشارات اللاســلكية، ويمكـــنك إرسال إشارات على موجات إلف كما يحلو لك". وأضاف، "من سوء الحظ أنه لا يوجد أحد يصغي إليّ".

ذكّرته بالقول: "الغواصات تصغي إليك".

أجاب، "فقط في حال كانت تعمل على التردد الذي تستخدمه. فالروس يستخدمون التردد 82 هيرتز، ونحن نستخدم التردد 76 هيرتز. حتى وإن كانت الغواصات تسمع شيئاً على التردد المناسب، فعلى الأرجح أن يرفض جهاز استقبال الموجات إلف لديها تلك الإشارات".

"لماذا؟"

"لأن الإشـــارات العـــسكرية كمـــا أسلفت مشفرة بواسطة الحاسوب. وهي تكون مشفرة أثناء إرسالها، ويتم فك التشفير عند الطرف الذي يستقبلها. وبخلاف ذلك، يمكن لأي معـــتوه – كمـــا أشـــرت – أن يعبث من الناحية النظرية مع أساطيل الغواصات النووية الروسية والأميركية". وأضاف، "وكما تعرف، الأمر يشبه إشعال حرب عالمية ثالثة".

عرفت بالضبط ما عناه بكلامه من غير إعطاء مثال صريح.

نهضت كايت، وسألت، "هل سبق أن حاول شخص القيام بذلك؟"

صمت القائد ناسيف لبرهة، ولذلك أعدت طرح السؤال.

وبدوره، طرح عليّ سؤالاً، "ما هو نوع القضية التي تعملان عليها؟"

عـــرفت أنـــنا سنصل إلى هذه المرحلة لا محالة، ولم أرغب في إرسال رسالة مـــشفرة مـــن ثلاثة حروف إلى البنتاغون تقول 'تحققوا من كوري ومايفيلد'. أجبته، "حـــسناً، كما لا بد وأنك تعرف، إننا نعمل في قسم الشرق الأوسط. هذا كل ما يمكنني أن أقوله لك".

فكّـــر فـــي الأمر ثم قال: "حسناً، ربما كان هؤلاء الأشخاص يملكون، أو لديهم القـــدرة على امتلاك هذه التكنولوجيا... ولكنني لا أعتقد بأنه توجد منطقة مناسبة من الناحية الجيولوجية في أي من تلك البلدان".

قلـــت: "إنهـــا أخبار طيبة". ولكن الأمر لا يتعلق بأصدقائنا في الشرق الأوسط. ســـألته مـــرة أخـــرى "هل سبق لأحد في الماضي أن حاول إرسال إشارة زائفة إلى أسطول غواصاتنا؟"

أجاب، "سمعت شائعة تتحدث عن شيء بهذا المعنى".

سألته، "متى؟ وكيف؟ وماذا حصل؟"

"حسناً، إذا كنت تستطيع تصديق هذه الشائعة، كانت إحدى غواصاتنا النووية قبل خمسة عشر عاماً تستقبل رسائل إلف مشفرة، ولكن الحواسيب في الغواصة لم تستطع التحقق من صحة الرسائل المشفرة، ولذلك رفضتْها". وأضاف، "وعندما اتصل قبطان الغواصـــة بغرفة العمليات البحرية في بيرل هاربور ونورفولك بوسيلة أخرى، قيل له إنهـــم لـــم يرسلوا أية رسائل عبر منشأة ويسكونسن أو متشيغان". وبقي صامتاً لبضع ثوانٍ ثم أضاف، "تبين أن جهة ما كانت ترسل رسائل زائفة، ولكن الإجراءات الأمنية نجحت في فضح أمرها، ولم تقم الغواصات بأي عمل بناء على تلك الرسائل".

سألته، "ما هو العمل الذي كان مطلوباً؟ وما كان فحوى تلك الرسائل؟"

"أطلِقوا الصواريخ".

ســـاد الصمت في الغرفة لبرهة، ثم سألته كايت، "هل كان من المحتمل أن يكون الروس هم الذين بعثوا بتلك الرسائل؟"

"كـــلا. أولاً، لم يكن لدى الروس إمكانات لإرسال إشارات إلف لغاية العام 1990. وحتى وإن كان الروس من فعلوا ذلك، فما من سبب منطقي يدعوهم إلى إصدار أوامر إلى الغواصات الأميركية بشنّ هجوم صاروخي على الاتحاد السوفياتي".

اتفقـــت معـــه فـــي هذا التحليل وسألته "إذن، من كانت الجهة المرسِلة؟" أجاب، "انظـــر، يمكن أن تكون تلك إحدى القصص المشكوك في صحتها والتي اختلقها الذين كانوا يخدمون في الغواصات أو في أقسام الاتصالات إبّان الحرب الباردة لنيل إعجاب عشيقاتهم أو أصدقائهم في المقاهي".

"أجـــل. فهـــذه القصة تستحق عناقاً قوياً أو شراباً مجانياً. ولكن يمكن أن تكون صحيحة أيضاً".

"يمكن أن تكون كذلك".

ســـألته، "إذاً، مـــن الواضـــح أن تعدادنا لأجهزة إرسال موجات إلف خطأ. وأنا أحصي أربعة منها الآن".

بقي صامتاً لبرهة، ثم أجاب "في الواقع، قبل حوالى خمس عشرة أو ست عشرة سنة، كانت توجد محطة إلف واحدة في العالم، وهي محطتنا في ويسكونسن. ولم تكن قـــد شُيدت محطة متشيغان بعد، ولا محطة السوفيات". وأضاف، "ولهذا السبب أعتقد بـــأن القـــصة عارية عن الصحة. فمن هو الذي يريد بناء محطة إرسال موجات إلف وتشغيلها بغرض إشعال حرب نووية؟"

أعـــتقد بأن حماي السابق المجنون يمكن أن يقدم على ذلك، ولكنه كان أبخل من أن يـــنفق دولاراتـــه. ولـــذلك قلت: "هل كانوا صينيين؟ أعني أنه ربما أرادوا خداعنا

وحملــنا علــى إطــلاق صواريخنا على الروس، ليجلسوا ويتفرّجوا علينا فيما ندمر بعضنا".

أجــاب ناسيف، "حسناً، هذا ممكن. ولكن في حال تم الإمساك بهم متلبّسين، لن أُفاجــأ إذا اتفــق الــروس والأميركيون على ضربهم بالصواريخ النووية عقاباً لهم". وأضاف، "من الخطورة بمكان الدخول في مثل هذه اللعبة".

كانت لعبة خطرة فعلاً. وإذا كنت بلداً يمكن أن يتأثر بهذه اللعبة، مثل روسيا أو الــصين، فعليك أن تفكر مرتين قبل أن تقدم على ذلك. ولكن إذا كنت فرداً ثرياً مقيماً فــي الجبال، فقد ترغب في إمتاع نفسك بجهاز إرسال إلف. سألت القائد ناسيف، "قلتَ بأنــه يمكــن مراقبة الموجات إلف، وبالتالي يمكنني الافتراض بأنه يمكن تحديد موقع مصدر الإرسال أيضاً".

أجــاب، "هــذا ســؤال جيد. لكن الجواب الأساسي هو كلا. عليك ألاّ تنسى أن الأرض نفــسها أصبحت الهوائي، ولذلك تبدو الإشارات أنها تنبعث من كافة الجوانب التي تحيط بك".

"مثل رسالة كونية".

"حسناً، سيكون الأمر أشبه بارتجاج الأرض بفعل هزة أرضية. وستبدو الإشارة قادمة من كل مكان".

"إذاً، لا توجد وسيلة لتعقب مصدر إرسال الإشارات إلف؟"

"لــيس بالمعنــى الــذي تفكر فيه. ولكن يمكن لأجهزة استقبال الموجات إلف تحديد مــصدر الإرســال بوجه عام عبر مقارنة القدرة الفاعلة المنبعثة التي تستقبلها في المواقع التــي هي فيها. فعلى غرار كافة مصادر الطاقة الأخرى، كلما كانت المسافة التي تفصلك عن المصدر أكبر، كلما أصبحت الإشارات أضعف". وأضاف، "وبهذه الطريقة عرفنا بأمر جهــاز الإرسال زيفز الروسي؛ فقد اشتبهنا بأن الروس يستخدمون جهاز إرسال إلف في التواصــل مــع غواصــاتهم، ولذلك بنينا محطة استقبال في غرينلاند ووجدنا أنها تستقبل إشــارات قوية. وبعد فترة، كنا قادرين على تحديد الموقع العام بدقة أعلى في شبه جزيرة كولا، كما أن أقمار التجسس أكدت لنا صحة ما توصلنا إليه. ولكن ذلك حدث لأن الروس كانوا يرسلون إشارات بشكل متواصل فيما كنا نعمل على تحديد مصدرها".

فكّرت في هذا الكلام، ثم سألته، "هل تمكنت البحرية يوماً من تحديد مصدر تلك الإشارات الزائفة؟"

"لــيس لديّ أدنى فكرة. وأظنّ بأنها لم تتمكن من ذلك وإلاّ لوصل الخبر إلى كل العاملــين فــي الاتصالات في سلاح البحرية بطريقة رسمية أو غير رسمية. وأنا لم

أســمع بهذا الخبر بتاتاً". وذكّرني قائلاً: "أعود وأكرر بأنه ربما لم يكن لتلك الإشارات الزائفة وجود أصلاً".

حــسناً، اعــتقدت بأنه كان لتلك الإشارات وجود، وساورتني الظنون بأن القائد ناسيف آمن بوجودها، كما اعتقدت بأنه كان يعرف مصدرها.

انتقل إلى فكرة سعيدة، وقال: "حسناً، أحمد الله أن الحرب الباردة قد انتهت".

"يمكنك أن تقول ذلك مرة أخرى".

ولكنه لم يفعل وإنما قال: "هل لديكم أسئلة أخرى؟"

فكّــرت في ميخائيل بوتيوف، وسألته "هل يمكن لعالم فيزيائي نووي أن يكون له علاقة بتكنولوجيا التردد بالغ الانخفاض؟"

أجاب، "كلا على الإطلاق. وعلى الأرجح أن ما يعرفه عنها أقلّ مما تعرفه أنت".

"هاي، أصبحت خبيراً الآن. ولن يتمكن أحد من بيعي فرن إلف وايف".

تجاهــل القائــد ناســيف تعليقي، وسألني، "لماذا يهتم قسم الشرق الأوسط التابع *للوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب* بإشارات إلف؟"

تبادلتُ وكايت النظرات، وكتبتُ على الورقة "إنك رجل ثرثار".

شكراً لكِ يا كايت. أجبت القائد ناسيف، "حسناً، كما تبين لنا، وبناء على ما قلتَه لنا، ربما كنا نعمل على الطول الموجي الخطأ". وضحكت من أجل التأثير فيه وشرحت مرادي بالقــول: "إننا نعمل في الواقع على قضية لها علاقة بهذه المجموعة البيئية الإرهابية التي تسمى جبهة تحرير الأرض، إلف. إنه اسم إلف الخطأ. أنا آسف".

كان ضابطاً ورجلاً شهماً فعلاً، فالقائد ناسيف لم يردّ على تفاهاتي بشيء.

كانت كايت من النوع الذي يعرف متى ينبغي تجنب طرح سؤال يمكن أن يزوّد الــشخص المــسؤول بمعلومات. ولكنها سألت ناسيف، "أنا يا جون أنظر في أوراقي، وأعــتقد بأنك قلت بأن الموقع الوحيد الملائم لهوائي وجهاز إرسال الموجات إلف في الولايات المتحدة هو المنطقة الجيولوجية في ويسكونسن ومتشيغان والتي تسمى الدرع لورنتاين. هل ما فهمته صحيح؟"

كان في مقدوره أن يسأل بعجرفة عن علاقة هذا السؤال بجبهة تحرير الأرض، ولكــنه أجــاب كايت، "أعتقد بأن فهمكِ صحيح... انتظري لحظة... هناك مكان آخر داخل الولايات المتحدة يصلح لبناء جهاز إرسال إلف فيه".

لا أنا ولا كايت سألناه عن ذلك المكان، ولكن جون ناسيف قال: "إنه المكان الذي تقفان فيه".

الفصل 37

جلسنا على الشرفة المغلقة، والتي كانت دافئة بفعل أشعة الشمس التي تخللتها من خــلال النوافذ الكبيرة. وفي الخارج، كانت أوراق الشجار تتساقط، وطيور البط تسبح في البركة، وإوزّة كندية سمينة تتبختر على المرج بدون جواز سفر.

كـــنا غارقَـــين في أفكارنا التي ربما بدت متشابهة. وأخيراً، قالت كايت: "يملك مادوكس مولّداً كهربائياً كبيراً، وهوائي إلف في أرضه، وعلى الأرجح أنه يملك جهاز إرسال في مكان ما في بيته. ربما في ملجئه النووي.."

حاولـــتُ أن أخفف من وقع اللحظات التي نمرّ فيها فقلت: "إذاً، أنتِ تعتقدين بأن مادوكس ينقّب عن النفط؟"

لم تكن في مزاج جيّد لتقبّل دعابتي وسألتني، "هل يمكننا الاستنتاج بأن مادوكس كـــان ذلك الشخص الذي أرسل تلك الإشارات إلف إلى أسطول الغواصات قبل خمس عشرة سنة؟"

"أجل".

"ولكن لماذا؟"

"دعيني أفكّر. هاي، كان يحاول إشعال حرب نووية حرارية".

"أجل. أنا أفهم ذلك. ولكن ما هو السبب؟"

"أعتقد بأنه أراد أن يرمي حجر النرد، ويشبك أصابعه، ويأمل بنهاية سعيدة".

"هذا جنون".

"هـــذا صـــحيح. ولكنه لم يكن يرى المسألة على هذا النحو". وأضفت، "ربما كنتِ صغيرة جداً حينها لكي تتذكّري، ولكن كان يوجد أشخاص في هذه البلاد في تلـــك الفترة – وأنا واثق من أن السيد مادوكس كان واحداً منهم – أرادوا الضغط علـــى الزرّ أولاً وإنهاء المسألة. كانوا يعتقدون فعلاً بأنه يمكن مفاجأة الروس وهم نيام، وأن التكنولوجيا ومنظومات الأسلحة السوفياتية سيئة، وأنه يمكننا الخروج من الحرب منتصرين حتى ولو أفلحوا في الردّ علينا. 'هناك مبالغة في تقدير تأثيرات الغبار الذرّي'".

"هذا جنون مطلق".

"حـــسناً، من حسن الحظ أننا لن نعرف". فكّرت للحظة ثم قلت: "من الواضح أن مـــادوكس كان يملك بعض المعلومات السرّية المتعلقة بشيفرات إلف العسكرية وقرر اســـتخدامها. إن التكنولوجـــيا اللازمة لبناء جهاز الإرسال والهوائي ليست سرّية كما ســـمعنا. وفـــي مرحلة معينة، قبل حوالى عشرين سنة، أدرك مادوكس أنه بحاجة إلى قطعـــة الأرض المناســـبة، وقـــبل أن نعرف بأمرها، كان يبحث عن أرض في جبال أديرونداك". وأضفت، "'هذا أفضل استثمار قمت به في حياتي'".

أومأت برأسها، وهي تفكر، وقالت: "أعتقد بأن هذا ما حصل فعلاً.. ولكن خطته لم تنجح".

"كلا والحمد لله، وإلاّ لما كنّا هنا نتحدث عنها".

"لماذا لم تنجح؟"

فكّرتُ في سؤالها، وأجبت، "أعتقد بأنه استهان بتعقيدات الحواسيب وبرمجياتها، والتـــي هـــي جزء مكمل من عمليات إرسال إشارات إلف المشفرة". وأضفت، "جرى تحذيره في مرحلة معينة بواسطة هذا الشخص الدخيل من أنه إذا استمرّ في محاولاته لتـــصحيح شـــيفرة إطلاق الصواريخ فستقوم الحكومة بكافة الجهود الممكنة لاكتشاف مـــصدر تلك الإشارات الزائفة، ويقتحم عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي نادي كاستر هيل. ولذلك تخلّى عن هوايته المسلّية".

قالت كايت: "أعتقد بأن ذلك كان قضاء الله".

"والآن، علينا أن نعرف ما صلة موجات إلف بميخائيل بوتيوف، العالم الفيزيائي الـــسوفياتي الـــسابق في صناعة الأسلحة النووية، والذي يعمل حالياً أستاذاً مدرّساً في معهد ماساشوستس للتكنولوجيا، وضيف السيد مادوكس؟"

فكّـــرت كايـــت للحظة، ثم أجابت، "ربما سيسعى مادوكس هذه المرّة إلى حمل غواصـــاتنا على إطلاق صواريخها ضدّ الأهداف المحددة سلفاً في الشرق الأوسط، أو الصين، أو كوريا الشمالية؟"

فكّرت في ما سمعت، وقلت: "هذا الكلام ينطبق على باين مادوكس الذي نعرفه. إنه احتمال مثير، ولكنه لا يفسّر وجود بوتيوف".

فكّرت كايت في الأمر وربما في مسائل لم تحلم بالتفكير فيها بالأمس. سألتني أو سألت نفسها، "ما هو الأمر الذي يخطط له هذا الرجل؟"

أجبتها، "أعتقد بأنه ينوي تنفيذ الخطة **باء**، والتي لا أملك أية فكرة عنها، باستثناء أنهـــا نـــسخة عن الخطة **ألف** التي لم تنجح قبل خمسة عشر عاماً". وأضفت "لقد تغيّر

العالم منذ نهاية الحرب الباردة، ولذلك تغيّرت خطة مادوكس، بالرغم من أن السيد مادوكس بقي نفس الشخص المضطرب نفسياً كما كان إبّان الحرب الباردة".

نظرت إلى ساعتي ونهضت، وقلت لكايت: "سأخبركِ بما أريدكِ أن تقومي به. ادخلي على الإنترنت وانظري إن كان يوجد شيء نحتاج إلى معرفته بخصوص موجات إلف. واستخدمي غوغل في التقصّي عن بوتيوف، وعن باين مادوكس".

"حسناً..."

"هناك أمر هام آخر. أعيدي الحاسوب المحمول إلى ويلما قبل الساعة السادسة والنصف".

اضطرّت إلى التبسم، وقالت: "هل يمكنني المشاركة في مزادات الموقع الإلكتروني إي باي؟"

"كلا. من غير المسموح لكِ أن تزوري الموقع إي باي. كما عليكِ أن تتصلي بإدارة الطيران الفيدرالية وتحصلي منها على خطط الرحلات المستمرّة لطائرتي مادوكس. يمكنكِ أن تجدي رقمي ذيلي طائرتيه في حقيبتك. ربما يستغرق ذلك بعض الوقت، فأنتِ تعرفين البيروقراطية الفيدرالية بقدر ما أعرفها، ولكن كوني مثابرة وفاتنة..."

"لماذا تعتقد بأن لهذا الأمر أهمية؟"

"لست أدري في الحقيقة، ولكنني أودّ معرفة الأماكن التي أمر مادوكس هاتين الطائرتين بالتوجّه إليها في حال أصبحت هذه المعلومة هامة". وأضفت، "كما أريد منكِ أن تدرسي جداول أسماء الركاب المسافرين على متنهما. واتصلي أيضاً بمنزل بوتيوف ومكتبه لتعرفي إن كان ثمة شخص يعرف المكان الذي يوجد فيه".

"حسناً... لكن ماذا ستفعل فيما أقوم بكل هذه الأمور؟"

"إنه وقت قيلولتي".

"هذا مضحك جداً".

"في الواقع، سأعمل على إتمام بعض المهمات. وسأشتري طعاماً إضافة إلى بعض الحاجيات الشخصية التي لا يبدو أنها غير مشمولة بمبلغ الخمسة وسبعين دولاراً، وكل ما تطلبينه".

قالت: "لسنا بحاجة إلى شراء أي شيء من المتجر يا جون. فعلينا أن نعود إلى المدينة حالما ننتهي من جمع هذه المعلومات". وأضافت، "سأحجز على متن طائرة تقلع من مطار أديرونداك الإقليمي، أو من مكان قريب من هنا".

أجبتها، "أنا لا أعتقد بأننا نملك معلومات تكفينا لشراء تذكرة خروجنا من السجن".

"ولكنني أعتقد بأننا نملك ما يكفينا منها".

"كـــلا. أعتقد بأنه يوجد أشخاص في واشنطن يعرفون معلومات مثل التي نعرفها على أقلّ تقدير".

سألتني، "إذاً، لماذا أرسلوا هاري للقيام بعملية مراقبة لنادي كاستر هيل؟"

هـــذا ســـؤال جيد، وخطر ببالي العديد من الإجابات. قلت لها: "حسناً، ربما كان للأمـــر علاقة بجمع معلومات عن اللقاء الذي جرى يوم عطلة نهاية الأسبوع. ولكنني لا أعرف شيئاً عدا ذلك".

أجابـــت كايـــت "أعـــتقد بأن هاري أنجز مهمته. أعتقد بأنهم أرادوه أن يقع في الأسر".

وهـــذا ما اعتقده أيضاً، والآن باتت كايت تعتقد ذلك. قلت: "كل الدلائل تشير إلى ذلك".

"لكن لماذا يريدون إيقاعه في الأسر؟"

"هـــذا هو السؤال الكبير. الجواب المحتمل هو لإعطاء إشارة إلى مادوكس بأنه يخـــضع للمراقبة. ولكنهم لم يتوقعوا بالتأكيد أن يعمد مادوكس إلى قتل المسؤول عن المراقبة الذي أمسك به".

ســـألتني كايت، "ولماذا تريد وزارة العدل ومكتب التحقيقات الفيدرالي أن يعرف مادوكس بأنه يخضع للمراقبة؟"

"في بعض الأحيان، يلجأ رجال الشرطة إلى إخضاع المشتبه به للمراقبة لإخافته. وفـــي بعـــض الأحـــيان، يخـــضعون الأثرياء والأشخاص النافذين للمراقبة من باب المجاملة، أو بغرض التحذير. وكما تعرفين، الأمر أشبه بامتناعك عن القيام بشيء قبل أن تضعي الجميع في موقف سيئ".

وقفت كايت، واقتربت منّي، وقالت: "كان من الممكن أن تكون أنت الضحية".

في الواقع، أتمنى لو كان لدي الذكاء لإلغاء المهمة ما إن ألقي نظرة على الوضع عـــن قـــرب. ومن ناحية أخرى، كان هاري شخصاً طيباً، يثق كثيراً برؤسائه، وينفذ الأوامر.

ســـألتني، "إذا كـــان تعلـــيلك صحيحاً، هل تعتقد بأن المراقبة أفزعت مادوكس وحملته على العدول عن القيام بما كان ينوي القيام به؟"

أجبـــتها "أعـــتقد بـــأن رجلاً مثل مادوكس لا يمكن إخافته بسهولة. إنه رجل يحمل رسالة، وهو على استعداد لارتكاب جريمة واحدة على الأقل في سبيل إكمال تلك الرسالة".

قالت كايت: "رسالة نعرفها".

"أجل. وأنا متأكد من أنه كان للأحداث التي حصلت في عطلة نهاية هذا الأسبوع تأثيـــر عكسي على ما كانت واشنطن تأمل به. في الواقع، تم اختزال الجدول الزمني لباين مادوكس بمقدار أربع وعشرين ساعة تقريباً، أو أقل أو أكثر قليلاً".

قالـــت: "ربمـــا كان يعرف بأن اللعبة قد انتهت، وأنه يخطط للفرار من البلاد". وأضافت، "هذا ما يفعله معظم الناس".

"أنا مقتنع بأنه ليس كغالبية الناس. ولكن لا بأس بأن تستقصي عن الأماكن التي توجد فيها الطائرتان".

أومـــأتْ برأسها، وقالت: "حسناً، ولكن إذا كنت تعتقد بأنه عازم على المضي في خطـــته، وإذا كـــنت لا تـــريد العـــودة إلى المدينة، فعلينا الذهاب إلى أقرب مدّعٍ عام فيدرالي، وطلب الحصول على مذكّرة تفتيش لنادي كاستر هيل".

"يا عزيزتي، أعتقد بأن المذكّرة الوحيدة التي ستجدينها عند القضاء الفيدرالي هي مذكّرة اعتقال باسم كايت مايفيلد وجون كوري".

أجابت، "إذاً، لنذهب إلى شافير، ونرى إن كان في مقدوره إقناع مدّعٍ عام محلّي بإصدار مذكّرة تفتيش".

"يـــا كايت، لن يقوم أحد بإصدار مذكّرة تفتيش إذا كان اسم باين مادوكس مكتوباً عليها بناء على ما سنخبره به. إننا بحاجة إلى مزيد من الأدلّة".

"أي نوع من الأدلّة؟"

"حسناً، أدلّة مثل بعض الشعرات والألياف من نادي الصيد في كاستر هيل والتي تـــتطابق مـــع مـــا تـــم العثور عليه على جثة هاري وثيابه. وهذا هو الدليل الجنائي المطلـــوب الـــذي يـــربط بين نادي الصيد الذي يملكه مادوكس وهاري، وبين هاري ومادوكس الذي كان في البيت".

"حسناً، ولكن كيف ستأخذ أليافاً من نادي كاستر هيل بدون مذكّرة تفتيش؟"

"ســـأتبع الطريقة نفسها التي كنت سأتّبعها لو كنت أحقق في جريمة قتل جون دو الذي أعتقد بأنه شوهد لآخر مرّة وهو لا يزال على قيد الحياة في منـــزل جو سميث".

"ماذا تقصد؟"

"أريد الذهاب إلى نادي كاستر هيل لزيارة السيد مادوكس".

"لا أريدك أن تذهب إلى هناك".

"ولِـــمَ لا؟ فهذا ما كنت سأقوم به في هذه المرحلة في أي تحقيق جنائي آخر. إننا نخسر الأدلة الآن، ولذلك أنا بحاجة إلى العودة إلى المشتبه به الرئيسي والتحدث إليه".

"أنا ذاهبة معك".

"فـــي الواقـــع، أنتِ لن تذهبي معي. فأنا أريد منك أن تجمعي معلومات تفصيلية سنكون بحاجة إليها لبناء القضية". وأضفت، "أعني المعلومات التي سنحتاج إليها لكي نحصل على مذكّرة تفتيش". في الواقع، بدأ الوقت المخصص لذلك ينفد، ولكنّ وضعنا كان جيداً.

قالت: "كلا. لن تذهب إلى هناك بمفردك". ونظرتْ إليّ، وقالت: "يمكن أن يكون ذلك خطراً".

"لـــن يكـــون خطـــراً. فهذه ليست قلعة دراكولا. أنا عميل فيدرالي يجري بعض التحقيقات".

"سبق أن قتل عميلاً فيدرالياً".

أثارت نقطة هامة، ولكنني أجبتها، "وربما هو نادم على فعلته الآن. وإذا لم يكن كذلك، فسيندم لاحقاً". وعدت إلى غرفة الجلوس، ولبست سترتي الجلدية.

كانـــت تلك إحدى اللحظات التي تستدعي التركيبة الصحيحة من الحزم والرقّة. أخـــذتها بـــين ذراعـــيّ، وقلت: "أريدكِ أن تبقَي هنا. فنحن نعاني من نقص في القوة العاملة اليوم. وفي مقدوري معالجة الأمر بنفسي".

"كلا".

"أعتقد بأن فرصتي في الاجتماع به ستكون أوفر في حال كنتُ بمفردي".

"كلا".

"ســـأتحقق من فريق المراقبة الذي أرسله شافير إلى نقطة التقاطع. سأطلب منهم منحي ساعة من الوقت، وفي حال لم أخرج من النادي بانقضائها، ينبغي عليهم إرسال الخيّالة. هل أنتِ موافقة؟"

بدا الكلام كافياً لإقناعها، وأصبحت أقل إصراراً على ذهابها معي.

قلـــت لها: "ابقي على اتصال مع شافير، واتصلي بفندق **ذي بوينت**، وتأكدي من هوية الأشخاص الذين يبحثون عنّا". وأضفت، "قولي لهم بأننا نتسوّق في لايك بلاسيد. وفـــي حال اتصل السيد غريفيث، أخبريه بأنه ينبغي أن نلتقي في وسط البلدة. وذكّري جيم بأن سوني كان ينوي إعارتي ربطة عنق وسترة لسهرة العشاء".

"ماذا كان ينوي أن يفعل؟"

"أنا واثق من أنه سيفعل ذلك. المهم أن تخدعيهم". وأضفت، "تظاهري أنكِ معي".

ابتسمت ثم قالت: "أريدك أن تشغّل هاتفك الخليوي".

"يـــا كايت لا أريد استخدام الهاتف. إذا شغّلتِ هذا الشيء فسيصل ليام غريفيث إلى عتبة هذا الباب في غضون ساعة".

"يا جون، هذه ليست طريقتنا في العمل".

"علـــيكِ أن تتـــساهلي فـــي تطبـــيق القواعد بعض الشيء بين الحين والآخر يا عزيزتي".

"بين الحينَ والآخر؟ لقد قمتَ بذلك في القضية السابقة".

"حقـــاً؟ حـــسناً، كانت النتيجة في صالحي. وفي هذه الأثناء، تأكدي إن كان في مقدوركِ الحصول على طبق من البيتزا".

مشينا نحو الباب، وقالت كايت: "كن حذراً".

قلت: "إيّاكِ أن تطلبي سمك الأنشوفة".

تعانقنا، وانطلقت نحو قلعة دراكولا.

الفصل 38

وجـــدت متجراً في ضواحي كانتون، أو ربما في وسط بلدة كانتون، فقد كان من الصعب عليّ تحديد ذلك. وعلى أية حال، دخلت المتجر واشتريت ما كنت بحاجة إليه للقيام بمهمتي، بعض أصابع شوكولاته رينغ دينغز والقليل من الضمادات اللاصقة.

أرشـــدني العامـــل فـــي المبيعات إلى طريق مختصرة للعودة إلى كولتون تبلغ مـــسافتها حوالـــى خمـــسين كيلومتـــراً. كما سألته عن متجر لبيع الأدوات الرياضية وأعطاني التوجيهات اللازمة.

عدت إلى السيارة، وبدأت أُفكر في خطوتي التالية. كان الوقت قد تجاوز الواحدة مـــن بعد الظهر بقليل، وتوقعت أن أصل إلى بيت الحراسة في نادي كاستر هيل قبل الـــساعة الثانية إذا لم أتوقف لشراء علبة من الطلقات من عيار 9 ملم، وبضع مخازن إضـــافية. أعني أنه إذا كنت سأنسف رأس مادوكس، ينبغي أن يكون لديّ ذخيرة كافية في المخزن الذي يتسع لخمس عشرة طلقة، إضافة إلى الطلقة التي في بيت النار.

مـــن ناحـــية أخـــرى، إذا احتجت إلى إطلاق النار أثناء دخولي إلى المكان، فقد أعانـــي من نقص في الذخيرة. والخلاصة في ما يتعلق بالذخيرة هي أنه من الأفضل دائماً أن تكون الذخيرة التي في حوزتك أكثر مما تحتاج إليه، لأنه إذا كنت لا تملك ما يكفيك منها، فلن تسير الأمور علي ما يرام بوجه عام.

علـــى الأرجح أنه لم يكن ينبغي عليّ التحقق من مقدار ما معي من الذخيرة أمام كايـــت التي ربما كانت تتساءل إن كنت أخطط لشنّ هجوم على نادي كاست هيل. لم أكن متأكداً من أنني سأفعل ذلك، ولكنه كان خياراً مطروحاً.

علـــى أية حال، قررت بأن أول خطوة ينبغي أن أقوم بها هي الذهاب إلى نادي كاســـتر هيل ومعرفة ماذا يخطط مادوكس للقيام به، إذا كان يخطط لشيء أصلاً. وإذا احـــتجت إلـــى مزيد من الذخيرة، فأنا أعرف بأن لدى مادوكس الكثير من البنادق في النادي.

انطلقـــت بالسيارة، وقمت بتشغيل المذياع والإصغاء إلى برنامج حواري باللغة الفرنسية كان يُذاع على الهواء من مقاطعة كيبيك.

لم تكن لديّ فكرة عما يتحدثون عنه، ولكن بدا أن الجميع متحمّسون لأمر معين، وكان في مقدوري تمييز كلمات مثل العراق، وأميركا، وبوش، وحسين.

كانت اللغة الفرنسية المرخمة تسبب لي صداعاً، ولذلك بدأت أتنقل بين المحطات الأخرى محاولاً العثور على محطة إخبارية ربما تشير إلى حادث الصيد، ولكن كل ما حصلت عليه كان الأغاني والإعلانات التجارية المحلّية. استقرّ رأيي على محطة تبث الأغانـــي الريفية الغربية، وكان هانك وليامز ينتحب ويقول: "أنتِ تغشين يا عزيزتي". لماذا أجد هذه الموسيقى لغزاً وسرّاً لا أشاركه العديد من الناس.

كـــان الطقس لا يزال جيداً، وكانت الطريق الريفية منحدرة وتشهد حركة خفيفة، وهو ما ساعدني على كسب مزيد من الوقت.

فـــتحت علبة الرينغ دينغز والتهمت القطعة الأولى، وتذوّقت القطعة الثانية. كان ذلك استكشافاً حقيقياً لطعم الشوكولاته.

بـــدأت أغنّي فيما كنت أقود السيارة، وأستمع إلى هانك وهو يقول: "مرحباً أيتها جميلة".

شـــعرت أولاً بأن كايت في مكان آمن في فندق بي أند بي ما لم تتعرض لهجوم أثـــناء تأديـــة المهـــنة، أو دفاعـــاً عن الشرف والبلاد، أو تتلقّى اتصالاً من والش أو غـــريفيث. كانـــت السيدة مايفيلد أكثر فطنة مما يوحي به مظهرها، وأملت بأنها تفكر بعقلية ما بعد 11 سبتمبر/أيلول، وتفهم بأن أمراً في منتهى الغرابة يحدث في نيويورك وواشنطن، وأنه لا يجدر بها الاتصال بأحد للحديث عنه.

ثانـــياً، عـــندما تحدثت إلى الرائد شافير في لقائنا الأخير، بدا أنه في جانبنا. ولكـــن ذلـــك يمكـــن أن يتغير بسرعة، أو أنه لم يكن في جانبنا أصلاً. وفي حال أوقفنـــي أحـــد عناصـــر شرطة الولاية وأنا في سيارتي التي استأجرتها من شركة إنتربرايـــز، أكون قد حصلت على الإجابة عن ذلك قبل وصولي إلى نادي كاستر هيل.

ثالـــثاً، لـــم يجرِ إطلاع توم والش على معلومات موثوقة حول ما يجري، وعلى الأرجـــح أنه واقع في ورطة الآن لإرساله عميلين غير مناسبَين على الإطلاق إلى هنا للعمل على حلّ قضية اختفاء هاري مولر. حسناً، إذا كان في مأزق خطير، فقد حصل على ما يستحقّه. من ناحية أخرى، كان يريد في الأصل إرسالي قبل أن يرسل هاري. فما هو سبب ذلك؟

رابعاً، أذكر أن منفّذ القانون، ليام غريفيث كان صديقاً لعدوّي، الراحل تيد ناش، الـــضابط فـــي وكالة الاستخبارات المركزية. وبالتالي، وكما يقول العرب، كل صديق

لعـــدوّي هــو عــدوّي، وخصوصاً إذا كانا أخرقَين. ولذلك، أنا بحاجة إلى تجنّب هذا الرجل إلى أن أملك القوة للتغلّب عليه.

أخيــراً وليس آخراً، هناك السيد باين مادوكس الذي من الواضح أنه سعى مرّة إلـــى إشعال حرب نووية حرارية لرؤية ما ستؤول إليه الأمور، أعني أن الأمر يكتنفه غمــوض يجعــل من الصعب عليّ استيعابه. ولكن مع القليل من القرائن التي اطلعت علــيها بنفــسي، بما في ذلك اجتماعي بهذا الرجل، يبدو أنها تشير إلى ذلك الاتجاه. اعتقدت بأنه ربما شاهد مادوكس الكثير من أفلام جايمس بوند خلال سنواته التكوينية، وأنه على صلة وثيقة بالأشرار المختلّين عقلياً.

لكـــن باين مادوكس لم يكن يمثّل في فيلم، ويتحدث بلكنة أجنبية، بل كان مواطناً أميركياً، وبطلاً عسكرياً، وقصة نجاح. إنه أشبه برجل عصامي لديه أمنية موت نووي حــراري. لكـــن معالجي، لو كان لديّ واحد، كان سيقول: "يا جون، الحرب النووية الحــرارية باتــت شــيئاً مــن الماضي، ونحن بحاجة إلى السير قدماً". هذا صحيح. والمــشكلة الآن هـــي في معرفة ما يقوم به مادوكس في ذلك البيت الكبير لكي يحوّل فشله السابق إلى نجاح.

خـــرجت مـــن الطريق الخلفية عند كولتون، وتوجهت جنوباً على الطريق 56، ودخلت قرية ساوث كولتون الصغيرة الهادئة. شاهدت راستو رودي وهو يأكل الدهون مع شخص في شاحنة.

لم يكن في مقدوري المقاومة، فدخلت المحطة، وقلت: "مرحباً يا رودي".

رآني، واقترب من السيارة. قلت: "لقد تهتُ مجدداً".

"حقاً؟ أهلاً، كيف حالك؟" وأضاف، "حصلتَ على سيارة جديدة".

"كلا إنها السيارة القديمة نفسها".

"هل أنت متأكد؟ كنتَ تقود سيارة توروس بالأمس".

"حقاً؟ انظر، هل رأيت السيد مادوكس ليلة البارحة؟"

"حــسناً، أجــل، وأنا أريد التحدث إليك بهذا الخصوص. إنه لم يكن يرغب في رؤيتي".

"ولكنه قال لي ذلك".

"هل أنت متأكد؟"

"هــذا مـــا قاله". وأضفت، "أنا آسف لأنني أخبرته بأنك قلت لي بأنه ينبغي عليّ الحصول على مالي مقدماً".

"أجل... حاولت أن أشرح له ذلك، ولكنه رأى الأمر مضحكاً لسبب ما".

"حقاً؟ هل قال شيئاً آخر؟"

"حسناً، قال إنك كنت تسخر منّي. وقال إنك مدّعٍ، وتثير المشكلات".

"أنــا؟ هل هذا هو الشكر الذي ينبغي أن أحصل عليه لقاء إصلاحي ماكينة صنع الثلج؟"

"قال إن ماكينة صنع الثلج لا تحتاج إلى تصليح".

"من ستصدق؟ أنا أم هو؟"

"حسناً، ليس للأمر أهمية".

"الحقيقة هامة". وسألته، "ألا يزال هناك ضيوف في بيته؟"

هــزّ رودي كتفــيه، وقال: "لم أرَ أحداً، ولكن كانت توجد سيارة قبالة منــزله، واعتقدت بأنها لك. توروس زرقاء اللون".

"أنا أقود سيارة هيونداي بيضاء اللون".

"أجــل، أنــت تقــودها الآن. لكنك كنت تقود في الأمس سيارة توروس زرقاء اللون".

"أجل. انظر، هل توقف أحد من ضيوف مادوكس في المحطة اليوم؟"

"كلا. هل تريد التزوّد بالوقود؟"

"كلا، فهذه السيارة تعمل على شراب الأرز الفرنسي. هل توقف أحد هنا وطلب بعض الإرشادات لكي يصل إلى منــزله؟"

"كلا... حسناً، جاء شخص من بوتسدام، وأراد الإطلاع على خريطتي".

"لماذا؟"

"كان يحمل إرشادات للوصول إلى نادي كاستر هيل، وأراد أن يتحقق منها. قلت له بأنه لن يتمكن من العثور على المكان على الخريطة، ولذلك رسمت له خط سيره، وذكرت له بعض المعالم لكي يسأل عنها".

تــوجد طرق مختلفة لطرح أسئلة فضولية. سألته، "هل كان طويل القامة، نحيل الجسم وله شاربان كثيفان، ويقود سيارة كورفيت حمراء اللون؟"

"كلا، كان رجلاً يعمل في الصيانة من شركة بوتسدام ديزل".

أخذني الخبر على حين غرّة، وكدت أضيع بحثاً عن الكلمات. قلت: "أوه، أجل. إنه تشارلي الذي يعمل في شركة بوتسدام ديزل في صيانة المولّدات الكهربائية".

"أجل. ولكنني أعتقد بأن اسمه هو آل. فهذا هو الوقت من السنة الذي تحتاج فيه المــولدات الكهربائية إلى صيانة. في شهر نوفمبر وربما ديسمبر الماضي، هبّت علينا تلك العاصفة الثلجية فجأة. وانقطع التيار الكهربائي..."

"أجل. وهل لا يزال آل هناك؟"

"لـــست أدري. ربما حصل ذلك قبل ساعة من الآن، وأنا لم أرَه يمرّ في الجوار. لكن لماذا تسأل؟ هل تبحث عن هذا الشخص؟"

"كلا... أنا..."

"إلى أين تريد الذهاب؟"

"ماذا قلت؟"

"قلتَ بأنك تائه".

"كلا". سألت رودي، "هل أوصلتَ رسالتي إلى السيد مادوكس؟ تلك التي تحدثت فيها عن الرامي الماهر؟"

بـــدا علـــى رودي الانـــزعاج، وأجاب، "أجل... وهو لم يرَ في ذلك أمراً يثير الضحك".

"حقاً؟ وما كان ردّه على ذلك؟"

"لم يقل الكثير. ولكنه طلب مني إعادة العبارة مرّة أخرى".

"حسناً، هذا جيد. إذن، سأراك في وقت لاحق".

عدت إلى الطريق، وتوجهت نحو نادي كاستر هيل.

شركة بوتسدام ديزل.

كان على وشك تشغيل مولّداته الكهربائية، وبعد وقت وجيز، يبدأ جهاز الإرسال بالعمل، ويبدأ الهوائي بإرسال الموجات إلف نحو أعماق الأرض. وفي مكان ما على ظهـــر هذا الكوكب، يوجد جهاز استقبال سيعمل على التقاط تلك الإشارات. يا له من أمر مفزع.

الفصل 39

كـــنت أقود السيارة بسرعة عالية جداً للوصول إلى طريق قطع الأخشاب حيث حلّقت الهيونداي في الهواء بضع مرّات. كان في مقدوري رؤية الطريق ماكوين بوند أمامي والتي تتوجه شمالاً نحو بيت الحراسة في نادي كاستر هيل، ولكنني لم أرَ أحداً يحمل رفشاً، أو حفراً في الطريق جرى إصلاحها منذ مدة وجيزة.

تـــوقفت عند نقطة التقاطع، وأمعنت النظر في طريق قطع الأخشاب، ثم نظرت إلى الطريق ماكوين بوند.

بدا أنني الشخص الوحيد الموجود في المكان.

كان ذلك أشبه بمشهد في فيلم العرّاب، عندما ذهب مايكل إلى المستشفى ليطمئن إلـــى حالـــة أبـــيه، حيث اكتشف بأن شخصاً ما أبعد الحرّاس من رجال الشرطة عن المكان، فيما كان القتلة المأجورون في طريقهم إليه. يا أمّاه.

توقفت هناك لدقيقة في انتظار أن يظهر أحد المكلفين بالمراقبة من بين الأدغال، ولكنني كنت وحيداً بالتأكيد. تُرى، ماذا حدث لشافير؟ وهانك؟ وبودي؟

حـــسناً، كـــان الـــوقت يمرّ بسرعة، ولذلك انعطفت نحو الطريق ماكوين بوند، وتوجهت نحو بيت الحراسة.

خففـــت السرعة، وفقاً لما هو مذكور في اللافتة، ثم توقفت عند مطبّ السرعة، وسحبت مسدس الغلوك، ووضعته في جيب سترتي.

فُتحت البوابة، ومشى رجل يرتدي ثياباً مرقطة نحوي. ومع اقترابه من السيارة، تبيّن لي أنه الجندي نفسه من فرقة العاصفة الذي تعاملت معه في المرّة السابقة، وكان ذلك مؤشراً جيداً. وربما كان العكس هو الصحيح. حاولت أن أتذكر إن كنت قد أغظته فـــي المـــرّة الأخيـــرة. تتذكـــر كايت كافة الأشخاص الذين أغظتهم، وهي توجز لي أسماءهم.

أنـــــزلت زجاج النافذة، وبدا أنه عرفني، على الرغم من سيارتي الجديدة. أعاد العبارة نفسها التي قالها في المرّة السابقة: "كيف يمكنني أن أساعدك؟"

"جئت لكي أرى السيد مادوكس".

"هل يتوقع زيارتك؟"

أجبته، "انظر أيها الصغير، دعنا لا نكرر تلك السخافات مجدداً. أنت تعرف من أكون وأنت تعرف بأنه لا يتوقع زيارتي. افتح هذه البوابة اللعينة".

ما من شك في أنه تذكرني الآن؛ ربما لأنني أرتدي الثياب نفسها، ولكنني أرجّح أنــه عرفني بسبب عجرفتي. ولكنه فاجأني بالقول: "تقدم نحو البوابة". وأضاف، "إنه يتوقع مجيئك"، وابتسم بعد ذلك.

حــسناً، كان ذلك أمراً لطيفاً، ولكنها لم تكن ابتسامة لطيفة بالتأكيد. تقدمت نحو الــبوابة، وشــاهدت عبــر المــرآة الداخلية رامبو الصغير وهو يتحدث عبر جهازه اللاسلكي.

فُتحت البوابة، ودخلت المكان، وخرج شخص آخر من بيت الحراسة ورفع يده. رددت علــيه تــرحيبه بتحية إيطالية، وزدت من سرعة السيارة فيما كنت أتوجه نحو نادي الصيد على الطريق المتعرّج.

لاحظــت مجدداً الأعمدة الهاتفية والكابلات الثلاثة السميكة التي تمتدّ بينها – ما بــدا غــريباً يوم أمس أصبح مريباً الآن مثل هوائي إلف – ما لم أكن بالطبع مخطئاً تمامــاً. كــنت بحاجــة إلى جرعة من باين مادوكس لكي أحصل على الثقة بشكوكي واستنتاجاتي.

تقــدمت نحوي سيارة جيب سوداء اللون، كان سائقها يلوّح لي، وهو ما اعتبرته إشــارة لطيفة، ولذلك لوّحت له بيدي، وضغطت على بوق السيارة فيما كان يبتعد عن مصرف المياه.

كــان ينتــصب أمامــي وتد يحمل علماً أميركياً يرفرف، وكان أسفله علم فرقة الخيالة السابعة الأصفر. عرفت من كتاب قرأته سابقاً أن العلم الصغير يعني أن القائد موجود في الجوار، وبالتالي فإن آل سوبريمو كان موجوداً في الداخل بالتأكيد.

درت حــول العلــم، وتــوقفت أسفل الرواق، وخرجت من السيارة، وأقفلتها. ثم صــعدت الــسلالم التي تؤدي إلى الشرفة. كان الباب الأمامي مفتوحاً، فدخلت ردهة المنــزل، ونظرت إلى الشرفة.

لــم أجد أحداً في المكان، وتذكرت أن الموظفين في إجازة بعد عملهم في عطلة نهايــة الأسبوع التي دامت ثلاثة أيام، وهو ما يُظهر أن السيد مادوكس صاحب عمل مستنير، أو رجل أراد أن يبقى لوحده.

علــى الجــدار، كان الجنرال كساتر لا يزال في وقفته الأخيرة، ولكنني لاحظت الآن وجود عدسة بصرية من الفايبر على الألواح الخشبية فوق اللوحة، والتي كان في

مقـــدورها رؤية الغرفة بأكملها. في الواقع، ربما لاحظتها في المرّة السابقة في عقلي الباطنــــي، ومـــن هنا خطرت ببالي تلك القصة السخيفة عن سمكة المكاريل المقدسة، وربما كان الأمر بخلاف ذلك.

اقتـــربت من اللوحة أكثر كما لو كنت أدرسها، ثم اقتربت أكثر إلى أن أصبحت قريباً جداً من الجدار بحيث لم يعد في مقدور العدسة تصويري.

نظـــرت إلى الشرفة مجدداً، ثم سحبت الضمادة اللاصقة من سترتي، ونـــزعت الـــورقة عـــنها، ثم ألصقتها بالسجادة، ودست عليها بقدمي، ثم انتزعتها وأعدتها إلى جيبـــي. إذا كان ذلك الكلب الغبي في المكان، أكون قد التقطت أثراً له أيضاً.

أنـــا أحب الأدلة الجنائية عندما يقوم الآخرون بجمعها، ورفع النتائج إليّ. ولكن ربما تحـــتاج فـــي بعض الأحيان إلى القيام بهذا الأمر بنفسك. وأنا لا أعتقد بأنه بقي الكثير من الـــوقت لانـــتظار نـــتائج الاختبارات الجنائية، ولكن ربما يتمكن شخص من العثور على الضمادة في جيبـــي إذا انتهى بي الأمر إلى الموت إثر تعرّضي لحادث صيد.

ســـمعت صوتاً خلفي، والتفتُّ لأرى كارل وهو ينـــزل السلّم. تبادلنا النظرات، ولم يكن في وسعي التأكد من أنه رآني وأنا ألصق الضمادة بالسجادة.

توقـــف كـــارل عند الدرجة الأخيرة، ونظر إليّ، وسألني، "هل أنت هنا من أجل رؤية السيد مادوكس؟"

"أنا لست هنا من أجل رؤيتك يا كارل".

لم يجب على ذلك، ولكنه قال: "أنت بحاجة إلى من يرافقك وأنت في طريقك إلى نادي الصيد، وأنت في نادي الصيد".

"أجل، أنا أعرف ذلك، إنها السياسة التأمينية. هل ينبغي أن نعيد ذلك ثانية؟"

أنا لا أعتقد بأنه أُعجب بي، وعلى الأرجح أنه لا يزال مغتاظاً لأنه أحوجني إلى طلب كوب من القهوة بالحليب.

قال: "من حسن الحظ أن السيد مادوكس يستقبل".

"ماذا يستقبل؟ رسائل كونية؟"

"يستقبل الزوّار".

نظـــرت إلـــى كـــارل، الذي كان ضخم الجثة، وهو الأمر الذي لاحظته في الـــزيارة الـــسابقة. فهو لم يكن شاباً، ولكنه بدا لائقاً بدنياً، وما كان يفتقر إليه في شـــبابه، لا بـــدّ وأنـــه عوّضه بالتجربة. في الواقع، كنت أستطيع تخيله وهو يلف شـــريط المنظار حول عنق هاري ليبقيه منتصباً وهو جاثٍ على ركبتيه لكي يفرغ رئيسه طلقة في عموده الفقري.

أنا أعرف بعضاً من المحاربين القدامى القساة، وعليك أن تتوقع بأنهم لا يزالون قساة، وربما كانوا في مكان ما في الداخل. ولكن معظم الذين أعرفهم يتحلّون بالشهامة، كما لو كان أحدهم يريد أن يقول: "لقد قتلت، ولكنني لا أريد أن أقتل مجدداً".

من ناحية أخرى، ولّد كارل لديّ انطباعاً بأنه كان سيضيف إلى تلك العبارة "ما لم أتلقَّ أمراً بالقتل".

قال لي: "اتبعني، السيد مادوكس في مكتبه".

تبعته، وهو يصعد السلّم متوجهاً نحو بهو كان يشرف على الردهة في الأسفل.

قادني كارل نحو باب خشبي وقال: "لدى السيد مادوكس خمس عشرة دقيقة".

"سأعطيه وقتاً أطول من ذلك". ما لم أقتله قبل أن ينتهي وقتي.

طرق كارل الباب، ثم فتحه وقال: "سيدي العقيد، السيد كوري جاء لمقابلتك".

عقيد؟ قلت لكارل: "التحرّي كوري. قلها مجدداً".

بدا مغتاظاً فعلاً، وفكرت في أن أطلب منه إعداد قهوة فائقة الجودة، ولكنه قال: "التحرّي كوري جاء لمقابلتك يا سيدي".

قال العقيد مادوكس: "شكراً لك يا كارل".

دخلت المكتب، وأغلق كارل الباب خلفي. توقعت أن أرى العقيد مادوكس ببزته العسكرية الكاملة، ولكنه كان واقفاً بالقرب من طاولته مرتدياً سروالاً من الجينز، وكنزة بولو بيضاء اللون، وسترة زرقاء اللون. قال لي: "هذه متعة غير متوقعة يا حضرة التحرّي".

أجبته، "تولّد لديّ انطباع عند البوابة بأني أملك دعوة مفتوحة".

ابتسم وقال: "أجل، في الحقيقة قمت بإبلاغ الحراس بأنك ربما تعود لزيارتنا مجدداً للبحث في قضية الشخص المفقود؛ وهي المسألة التي باتت، حسبما فهمت، خاضعة للنقاش".

لم أعلّق على ذلك، ومدّ مادوكس يده، وتصافحنا، وقال: "أهلاً بك".

رافقني إلى كرسي قبالة طاولته، فجلست، وتساءلت إن كان هاري قد جلس في هذا المكان.

سألني مادوكس، "أين هي السيدة مايفيلد؟"

"إنها تحضر صفاً لتعلّم كيفية الغناء بصوت مرتفع".

ابتسم وسألني، "إذاً، أنتما تتمتعان بغرفتكما في فندق **ذي بوينت؟**"

لم أجب عن سؤاله.

قـال: "فـي الواقـع، سبق أن أقمتُ في ذلك الفندق بضع مرات من أجل تغيير المكـان". وأضـاف "أنا أحبّ البحيرة، وهو المشهد الذي أفتقده هنا. إنها أرض جيدة، ولكنني وجدت الطعام ممتازاً وعالمياً. ولكنني أفضّل الطعام الأميركي البسيط".

لم أجب أيضاً، فسألني، "هل لا زال الطاهي الفرنسي يعمل هناك؟ هنري؟"

"أجل".

قـال مادوكس: "إنه فريد من نوعه، على غرار الجميع هناك. ولكنك إذا تحدثت معـه، سيـصنع لـك شريحة بسيطة من لحم البقر بدون صلصة غريبة، مع البطاطا المشوية".

هـل كـان هـذا الأخـرق يحاول أن يقول لي شيئاً؟ عرفت أنني خالفت إحدى قـواعدي الرئيـسية الأخـرى عندما أخبرته عن المكان الذي نـنـزل فيه، وهو الآن يمارس على الأرجح لعبة نفسية معي.

بـدا أنه في مزاج يشجعه على الكلام، وهو الأمر الذي يفعله الكثير من المشتبه فـيهم عـندما يـتحدث ضابط الشرطة إليهم، وقال: "بالحديث عن الفرنسيين، ما هي مشكلتهم؟"

أجبته، "مشكلتهم أنهم فرنسيون".

ضـحك وقـال: "هذا صحيح". ونقر على الصحيفة التي على الطاولة، والتي عـرفت أنهـا ذا نـيويورك تايمز، وسألني، "هل قرأت هذه المقالة المنشورة في الـصفحة الأولـى؟ حلفاؤنـا الفرنـسيون المخلصون يلمحون إلى أننا لوحدنا في موضوع العراق".

"شاهدت المقالة".

"لـديّ نظـرية تقـول إنهـم فقدوا جزءاً هاماً من عبقريتهم في الحرب العالمية الأولى، عندما قُتل مليون جندي شجاع في الخنادق. وبالتالي من بقي لكي ينجب ذرّية؟ إنهم غير اللائقين عقلياً وبدنياً، وجبناء ومخنّثون. ما هو رأيك؟"

فكّرت في أنه فقد عقله اللعين، ولكنني أجبت، "إن علم الوراثة ليس المجال الذي أبرع فيه".

"حـسناً، إنها نظريتي. ومن ناحية أخرى، كان لديّ جنديان فرنسيان سابقان في كتيبتـي. أحـدهما كان من قدامى المحاربين الأجانب، والآخر كان مظلّياً. وقد التحقا بالجـيش الأميركـي من أجل القتال، والقتال كان العمل الذي قاما به. كانا يحبان قتل الشيوعيين. كانا من الشجعان".

"هذا ما يتماشى مع نظريتك".

"كلا. فرنسا لا تنتج أعداداً كافية من الرجال مثل هذين. ربما كانت تنتجهم فعلاً، ولكن مجتمعهم المخنّث يؤثر فيهم. فهم ما عادوا يحترمون الروح العسكرية، بخلافنا نحن". وأضاف، "ستنتهي هذه الحرب في العراق في أقل من ثلاثين يوماً".

"متى ستبدأ؟"

"لست أدري".

"اعتقدت بأن لديك أصدقاء في مناصب رفيعة".

"حسناً، في الواقع لدي مثل هؤلاء الأصدقاء". وتردّد ثم قال: "أنا أراهن على أن الحرب ستندلع في منتصف مارس/آذار، في وقت قريب من يوم سان باتريك".

"أنا أقول إنها ستندلع في نهاية يناير/كانون الثاني".

سألني، "هل تراهن بمبلغ مئة دولار على ذلك؟"

"بالتأكيد".

قال: "عندما تخسر، سآتي للبحث عنك".

قلت له: "مبنى بلازا 26 الفيدرالي". وأضفت، "وفي حال خسرتَ، فسأبحث عنك".

"اتصل بي في مكتبي في نيويورك، وهو لا يبعد كثيراً عن مبنى بلازا 26. في شارع واين، الشركة غوكو". وأضاف، "كنت في مكتبي عندما اصطدمت الطائرتان... أنا لن أنسى ذلك المشهد..."

سألني، "هل كنت في مكتبك حينها؟ هل شاهدت ما حدث؟"

أجبته، "كنت على وشك الذهاب إلى البرج الشمالي".

"يا إلهي".

قلت: "دعنا نغيّر هذا الموضوع".

"حسناً". سألني، "إذاً، هل ستنضمّ السيدة مايفيلد إلينا؟"

سؤال غريب، باعتبار أنني قلت إنها تشارك في صف للتعلّم على كيفية الغناء بصوت مرتفع، ولأن لديّ خمس عشرة دقيقة فقط مع جلالته. ربما كان معجباً بنظراتها، أو ربما أراد أن يعرف إن كانت زيارتي بمثابة مداهمة للمكان. أجبته، "أنا لوحدي اليوم".

"حسناً... إذاً، بدأتُ بالحديث من غير أن أسألك عن سبب زيارتك".

كان الغرض من زيارتي إجراء تحقيق جنائي، ولكنني لم أشأ القفز إلى ذلك الموضوع مباشرة، لأنه عادة ما يؤدي ذلك إلى قطع المحادثة، وربما يُطلب منك

الــرحيل. ولــذلك قلت: "رأيت أن أتوقف وأشكرك على عرضك المساعدة في قضية شخص مفقود".

"أنت مرحب بك". وأضاف، "آسف لسماعي الأخبار السيئة".

"أجــل، وأنــا أيضاً". عند هذه النقطة، يمكننا التحدث قليلاً عن هذا الموضوع، وسأشــكره مجــدداً لأنـــه مواطن صالح، ثم أرحل. ولكنني تركت هذا الموضوع في الوقت الحالي وسألته، "هل تمانع إذا ألقيت نظرة؟" وأشرت إلى النافذة.

تردد ثم هزّ بكتفيه استخفافاً ثم أجاب، "إذا كنت ترغب في ذلك".

وقفت، ومشيت نحو النافذة. كان المشهد الذي خلف المنــزل مباشرة عبارة عن تلّ ينحدر بشكل متواصل، وفي أعلاه برج الترحيل الذي كانت تتفرّع منه كافة أنواع الأذرع الكهربائية، وتساءلت إن كان لذلك أية علاقة بالهوائي إلف.

علـــى امـــتداد هذه المسافة، كان في مقدوري إحصاء عدد من الأعمدة الهاتفية، وشاهدت الطيور وهي تحطّ وتطير من ثلاثة كابلات كبيرة. لا يبدو أنها كانت تتوهج، أو يتصاعد منها الدخان، أو تطير إلى الوراء، واعتبرت ذلك على أنه إشارة جيدة.

بعــيداً عــن الكابلات، شاهدت مرآباً مسقوفاً ضخماً مسبق الصنع. كانت أبوابه مفــتوحة، وكان في إمكاني رؤية القليل من المركبات في داخله: سيارة جيب سوداء، مــركبة مقفلــة زرقــاء اللون، وماكينة لجزّ الأعشاب. وخارج المرآب رأيت بضع درّاجــات ناريــة رباعــية الدوالــيب افترضت بأنها تُستخدم في تسيير الدوريات في الأرض. تــوقعت أن أرى أن العقــيد مادوكس يملك بضع دبابات من طراز أبرامز، ولكنني لم أجد أثراً لجنازير دبابات.

فـــي الجهة اليمنى، على مسافة مئة متر تقريباً من نادي الصيد، شاهدت مبنيين شاهقين. وبما أنني اطلعت على خريطة هاري، التي كانت في جيبـــي، حددت المنشأ الخشبي الأبيض بأنه ثكنة الحرس، وبدا أنها يمكن أن تستوعب حوالى عشرين رجلاً، والمنــشأ الآخر كان بحجم منــزل، وكان مبنياً من الصخور المصمتة، مع سقف من الألــواح المعدنــية، ومصاريع فولاذية تغطي النوافذ. كانت توجد ثلاث مداخن تنفث الدخان، وبالقرب من الباب المفتوح للمبنى، كانت توجد مركبة تحمل علامة "بوتسدام ديزل".

وقف مادوكس بجانبي وقال: "ليس مشهداً رائعاً". وأضاف، "إن المشهد من الجهة الأمامية أجمل".

"أعــتقد بــأن هــذا المشهد مثير للاهتمام". سألته، "لماذا تملك كل هذه الأعمدة الهاتفية والكابلات الممتدّة حول أرضك؟"

نظــرت في عينيه، ولكن لم يرمش له جفن، وأجاب، "جرى تركيب هذه الأعمدة والأسلاك من أجل ربط محطات الاتصال التي تحيط بالأرض".

"حقاً؟"

"أنــت تذكر الأيام التي كنت تعمل فيها شرطياً يقوم بدوريات، ويستخدم أكشاك الهاتف؟"

"أجــل. كمــا كانــت لديــنا أجهــزة إرسال واستقبال لاسلكية في سياراتنا منذ الخمــسينات مــن القــرن الماضي، وهي أقل كلفة بكثير من بضع مئات من الأعمدة الهاتفية المغروسة في الصخر".

اكتفى مادوكس بعدم الردّ. في الواقع، على الأرجح أنه كان يُفكّر بعمق متسائلاً إن كانت تلك مجرّد أسئلة غير مجدية أم أنها أسئلة هادفة.

قــال لــي: "كمــا اكتــشفت في ساحات القتال، لا يمكن الاعتماد على الأجهزة اللاسلكية". وأضاف، "وعلى أية حال، بات من النادر استخدام أكشاك الهاتف الآن بعد أن أصــبحنا نــستخدم الهواتــف الخلــيوية والأجهزة اللاسلكية عالية الجودة. كما أن الأعمدة تُستخدم في تركيب وتشغيل معدات الإنارة الأمنية".

"هــذا صــحيح". وأجهزة التنصت والكاميرات الفيديوية أيضاً. "هاي ما هو هذا المبنى الأبيض؟"

"هذه هي الثكنة".

"أجل، من أجل جيشك. وأنا أرى مجموعة من المركبات حولها. يا له من مكان".

"أشكرك".

"وذاك المبنى الحجري؟"

"إنه المبنى الذي توجد فيه مولّداتي الكهربائية".

"أرى ثلاث مداخن تنفث الدخان".

"لأنه يوجد ثلاثة مولّدات كهربائية".

"وهل تبيع الطاقة الكهربائية إلى بوتسدام؟"

أجاب، "أنا معجب بالوفرة".

"الوفرة".

"أجل. ولهذا السبب لدينا خصيتان".

"وعضو واحد فقط. ما هو السبب؟"

"غالباً ما أسأل نفسي هذا السؤال".

"وأنا أيضاً". كان من المفترض به الآن أن يسألني عن سبب طرحي كل هذه الأسئلة، ولكنه لم يفعل. وبدلاً من ذلك، قال: "حسناً، أشكرك على الزيارة. وأكرر أسفي. ما اسم الشخص الذي كنت تبحث عنه؟"

"هاري مولر".

"أجل. ينبغي أن يتحلّى الناس بالحذر في الغابات".

"أجل".

"هل هناك شيء آخر؟"

"أريد بضع دقائق إضافية من وقتك".

ابتسم بأدب، وذكّرني قائلاً: "هذا ما قلتَه في المرّة السابقة، ولكنك لبثت فترة طويلة".

تجاهلت تلك الملاحظة، وابتعدت عن النافذة، ثم نظرت في أرجاء المكتب. كان عبارة عن غرفة كبيرة، مغطاة بألواح خفيفة من خشب الصنوبر وأثاثها من خشب السنديان. وعلى الأرضية كانت توجد سجادة شرقية. وفوق طاولة مادوكس، كانت توجد صورة فوتوغرافية في إطار لناقلة نفط كُتب على مقدمتها 'غوكو البصرة'. وكانت هناك صورة فوتوغرافية أخرى تظهر حقلاً نفطياً مشتعلاً.

قال لي مادوكس: "حرب الخليج. أو ينبغي أن أقول حرب الخليج الأولى". وأضاف، "أكره رؤية النفط الجيد وهو يحترق، وخصوصاً إذا لم يكن يوجد من يدفع لي ثمنه".

امتنعت عن التعليق.

في العادة، تساعد أسئلتي الروتينية القصيرة والردود الأقصر على زعزعة ثقة المشتبه به بنفسه، ولكن هذا الرجل كان بارداً مثل جيفة على لوح من الثلج. ولكنني أحسست بالرغم من ذلك بشيء من الانزعاج في تصرفاته. في الواقع، أشعل سيجارة، ولكنه لم يعد يصنع حلقات دخانية هذه المرة.

بقينا صامتَين، ثم اقتربت من جدار مليء بالشهادات والصور الفوتوغرافية في أطر.

كانت جميعها على علاقة بالجيش: جوائز، شهادات تقدير، تسريح مشرّف من الخدمة، ترقيته إلى رتبة ملازم ثانٍ، ترقياته، ... إلخ، إضافة إلى عدد من الصور الفوتوغرافية، والتي تظهر غالبيتها مادوكس في البزات العسكرية المتنوعة، تم التقاط عشر منها تقريباً في فييتنام.

نظرت إلى صورة أُخذت عن قرب لوجهه. كان جلده مطلياً بألوان التمويه، كما أنه كان متسخاً، وظهر جرح أصيب به حديثاً فوق عينه اليمنى وكان يتقاطر منه الدم.

كان وجهه يلمع بسبب العرق، وكانت عيناه بارزتين، كما لو كانتا عيني صقر حادّتين.

قال لي: "هذه الصور الفوتوغرافية تذكّرني بحظي الوافر لوجودي هنا".

حسناً، أنا أرى كم أنت محظوظ. قلت له: "أنا أرى ثلاثة أوسمة من فئة القلب الأرجواني".

"أجل. جرحان طفيفان، ولكن كدت أُمنح وسام القلب الأرجواني الثالث بعد الوفاة".

لم أسأله عن أية تفاصيل، وهو لم يذكر شيئاً منها باستثناء قوله: "طلقة من بندقية كلاشينكوف اخترقت صدري".

من الواضح أنها لم تصب أي عضوي حيوي، ولكنها ربما تسببت في فقْدان الدم من دماغه.

قال: "كنت في رحلتي الثالثة إلى الجبهة، وكنت أضغط على حظي".

"أجل". ولكن هاري لم يتمتع بهذا القدر من الحظ.

"لكن أتعرف شيئاً؟ أنا أفعل الشيء نفسه مرة أخرى".

فكّرت في أنه ينبغي عليّ أن أذكّره بأن تعريف الشخص المجنون هو الذي يفعل الشيء نفسه مرّة بعد أخرى وهو يتوقع الحصول على نتائج مختلفة.

الشيء الغريب بالطبع هو أنني وباين، كما أشارت السيدة مايفيلد، أصبحنا مرتبطَين، وأنه لو لم يقتل أحد أصدقائي، ولو لم يكن يسعى إلى الاستيلاء على هذا الكوكب أو تفجيره، فعلى الأرجح أنني كنت سأُعجب به. في الواقع، بدا أنه معجب بي، بالرغم من أسئلتي الفضولية. ولكنني لم أكن حتى ذلك الحين قد قتلت أياً من أصدقائه، أو أفسدت خططه بتفجير الكوكب بالصواريخ النووية، أو أفسدت أي شيء كان يعمل على تنفيذه. وبالتالي، لم يكن لديه سبب يدعوه إلى عدم الاعتقاد بأنني شخص جيد.

فيما كنت أتفحّص ما تبقّى من صوره الفوتوغرافية، سألني، "هل سبق أن أُصبت أثناء تأديتك الخدمة؟"

"أجل".

"في الجيش أم في الشرطة".

"في الشرطة".

قال: "إذاً أنت تعلم بأن الإصابة تخلّف فيك رضّة نفسية، وبالتالي فهي تبعدك عن تجاربك اليومية العادية بحيث لا يمكنك استيعاب ما حصل لك".

"أعتقد بأن هذا ما حصل فعلاً".

"مـــا أردت قوله هو أنك إذا كنت في معركة – أو تقوم بعمل من أعمال الشرطة – فأنت تتوقع إمكانية تعرّضك للإصابة أو القتل وتظن بأنك مستعدّ لذلك. ولكن عندما يقع الحادث فعلاً، لن يمكنك أن تصدق ما حصل لك فعلاً". وسألني، "ألم تكن تلك ردّة فعلك؟"

"أعتقد بأن هذا ما حصل".

"حقـــاً؟ حـــسناً، ربمـــا تكون ردة فعل الناس مختلفة". وتوسع في هذا الموضوع وقـــال: "وبعـــد ذلك، أي بعد أن تستوعب الذي حصل، تدخل في حالة ذهنية أخرى". وشـــرح ذلك قائلاً: "لكي أعيد صياغة ما قاله ونستون تشرشل، لا شيء يرضي أكثر من التعرّض للإصابة والنجاة".

"هذا صحيح. والبديل هو التعرّض للإصابة والموت".

"هـــذا هو جوهر الموضوع. إنها تجربة الاقتراب من الموت. وفي حال نجوت، فلـــن تعـــود ذلـــك الشخص الذي كنت عليه سابقاً. ولكنني أعني الجانب الإيجابي من التجـــربة، إذ إنـــه يراودك شعور بالغبطة الشديدة... والقوة، يكاد يصل إلى الخلود". وسألني، "هل كانت تلك التجربة التي مررت بها؟"

أذكر أنني كنت ممدداً في أخدود تصريف المياه في الشارع الغربي 102 بعد أن أطلق اثنان من أصول أميركية لاتينية عشرات الطلقات عليّ، أصابتني منها ثلاث من مسافة ستة أمتار، وأذكر أنني رأيت الدم يجري في المصرف أمام عينيّ.

سألني، "كيف كان شعورك؟"

"أعتقد بأنني شعرت بالضعف لبضعة شهور".

"ألم تتغير حياتك بعد ذلك؟"

"أجل. لقد قضى الحادث على مستقبلي المهني".

"حـــسناً، هذا تغيّر كبير. ولكن ما عنيته هو هل غيّر ذلك طريقتك في النظر إلى الحياة؟ كيف كان شعورك حيال المستقبل؟ مثل القدر الذي ينتظرك".

"مثل ماذا؟ التعرّض للإصابة مجدداً؟"

"كلا أنا أعني".

"لأنني تعرضت للإصابة مرة أخرى".

"حقاً؟ أثناء أدائك عملك؟"

"حسناً، أجل، فأنا لم أكن في إجازة".

"اعتقدت بأنه قُضي على مستقبلك المهني".

"أنا أعمل في مهنتي الثانية". وأضفت، "شاب ليبـــي. وأنا لا زلت أبحث عنه".

"فهمـــت". بـــدا لي أنه لا يريد أن يحيد عن الموضوع وقال: "من الواضح أنك تحمل تلك الهجمات التي تعرضت لها على محمل شخصي".

عليك أن تترك المشتبه فيه يتحدث لأنه ربما كان يرمي إلى شيء معيّن. وحتى لـــو لـــم يكـــن يفصح عن شيء على علاقة بالجريمة، فقد يكشف عن شيء يتعلّق به شخـــصياً. أجبـــته، "عندما يطلق الناس النار عليّ، أميل إلى أخذ المسألة على محمل شخصي، وحتى وإن لم يكن بيني وبينهم معرفة سابقة".

أومـــأ برأســـه وقال: "هذا أمر مثير لأنه في المعركة، أنت لا تأخذ المسألة على محمـــل شخـــصي، وأنت لا تفكر في العثور على ذلك الشخص بعينه الذي كان يطلق النار عليك. فهذا آخر أمر يمكن أن يخطر ببالك".

"إذاً، أنت لم تشعر بالغضب من الشخص الذي أطلق النار عليك؟"

"كلا على الإطلاق. كان يعمل فقط من أجل راتبه، مثلي تماماً".

"هذه روح مسامِحة جداً". وأضفت، "وأنت لا تضربني كما يفعل المسامح".

تغاضـــى عـــن هذا التلميح، وقالَ: "ما عنيت قوله هو أن الجنود لا ينظرون إلى العـــدو كأفـــراد. فالعدو خطر واحد كبير لا شكل له. ولذلك لا تهم معرفة الفرد الذي يحاول قتلك، أو من تقتله بالمقابل طالما أن الشخص الذي تقتله يرتدي البزة نفسها التي يرتديها الشخص الذي حاول قتلك". وأضاف، "أنت تطلق النار على اللباس العسكري، لا على الرجل. هل تفهمني؟"

"حـــسناً، أنا لم أشاهد الشخص الليبـــي، ولكنّ الشخصين اللاتينيَّين اللذَين حاولا قتلـــي كانـــا يلبسان سروالين أسودين من قماش التشينو، وكنـــزتين أرجوانيتي اللون، وينتعلان أحذية مستدقة المقدمة".

ابتـــسم وقال: "أعتقد بأنك لا تستطيع المشي في الطرقات وإطلاق النار على كل شـــخص يـــرتدي هذا الزي. ولكنني أستطيع أن أطلق النار على أي شخص يبدو أنه عدوّي".

"هذا تهديد".

قـــال لي: "الانتقام أمر صحّي، ولكن لا ضرورة لأن يكون انتقاماً شخصياً. فأي محارب معادٍ سيفي بالغرض".

"لكنّ ذلك قد لا يكون صحّياً بالقدر الذي تعتقد".

"أودّ أن أخالفـــك الرأي. إن الانتقام يُنهي المسائل". وأضاف، "من سوء الحظ أن الحرب انتهت قبل أن أعود إلى الخدمة، وأصفّي الحساب".

خطـــرت ببالي فكرة مفاجئة وهي أنه في حال ألصقتُ تهمة ارتكاب جريمة قتل هـــاري بهـــذا الرجل، فقد يرافع محاميه من منطلق أنه مجنون، وسيقول القاضي: "أنا أوافق يا حضرة المستشار. إن عميلك فقد عقله اللعين".

بـــدا لـــي أن هـــذا الرجل تائه على الأرجح في حالة من عدم اليقين بعد هزيمة السوفيات، لأنه لم يتبقَّ أعداء رئيسيون متحالفون يستحقون منه أي اهتمام، أو بحاجة إلى أن يُقتلوا لكي يتسنّى لباين مادوكس إنقاذ الأمّة.

ثم جاءت هجمات 11 سبتمبر/أيلول 2001. وكانت بالتأكيد جوهر القضية.

عمد إلى تغيير الموضوع فجأة، وسألني، "هل توغّلت في الغابات من قبل؟"

"توغلت بعض الشيء هذا الصباح. لماذا تسأل؟"

"كنت أتساءل إن كنت قد صادفت بعض الدببة".

"لم أصادف أياً منها بعد".

"ينبغي أن تجرّب رؤية الدبّ قبل أن تعود إلى المدينة".

"لماذا؟"

"إنها تجربة. فمشاهدتها تجربة فاتنة".

"لا تبدو مثيرة إلى هذا الحدّ على القناة ناشونال جيوغرافيك".

ابتـــسم وأجـــاب، "لا يمكنك أن تشمّها على التلفاز. فالإثارة تتحقق من الوقوف وجهاً لوجه أمام حيوان متوحش تعرف بأنه يمكنه قتلك".

"هذا صحيح، الأمر مثير فعلاً".

"لكـــن إذا كنت مسلّحاً فهذا يعني أنك تغش. الشيء المثير في الدببة السوداء هو أنـــك تـــستطيع أن تـــتفاعل معهـــا. إنها حيوانات خطيرة، ولكنها ليست خطرة. هل تفهمني؟"

"أعتقد أنني تُهت بعد ذكرك كلمة 'الخطيرة' الأولى".

"حسناً، فكّر في الأسد من ناحية، وبالحمل من ناحية أخرى. مع هذين الحيوانين، أنت تعرف بالضبط أين يجب أن تقف. هل هذا صحيح؟"

"أجل".

"ولكـــن الدببـــة – الدببة السوداء – أكثر تعقيداً. فهي حيوانات ذكية، وفضولية، وغالـــباً مـــا تدنـــو من البشر. وهي تريد منك أن تلقي لها بعض الطعام بنسبة خمسة وتسعين في المئة من الحالات. ولكن في الحالات الأخرى التي تشكل خمسة في المئة – علمـــاً بأنه يصعب عليك تحديدها – يكون هدفها قتلك". وخطا خطوة كبيرة نحوي، وقال: "هذا ما يجعل الأمر مثيراً".

"أجل، إنه أمر مثير".

"هـل فهمت قصدي؟ احتمال الموت قائم، ولكن أرجحية الوفاة ضعيفة بما يكفي لإغـرائك بالدخـول فـي التجـربة للتمـتع بالإثارة. فدقّات قلبك تتسارع، وهرمون الأدرينالين يتدفق من أذنيك، وأنت مسمّر في مكانك، بين الشعور بالخوف والرغبة في الهرب. هل ترى المشهد؟"

لـم أشـم رائحـة الكحول من نفسه، ولكن ربما كان يشرب الشراب الروسي، أو يـشمّ شـيئاً، أو ربمـا كـان مجنوناً. وربما كانت تلك أقصوصة مثالية عن جون وباين.

ختم حديثه قائلاً: "لكن للدببة البنّية أو القطبيّة قصة أخرى، إذ إنك تعرف بالتأكيد ما يدور في عقولها".

"أجل. هل لك أن تعيد ذكر الألوان مجدداً؟ البنّي دبٌّ..."

"سيئ. وهو الدبّ الضارب لونه إلى الرمادي".

"والأسود هو".

"لـيس سـيئاً". وأضاف الدببة البيضاء هي الدببة القطبية. وهي ستمزقك إرباً". وأضاف "يوجد هنا دببة سوداء فقط".

"هذا جيد. وهل تعرف بأن لونها أسود؟"

اعـتقد أن سـؤالي كـان مزحة، ثم نظر إلى ساعته وقال: "حسناً، مرة أخرى، أشـكرك على زيارتك. إذا جرت عملية لجمع الأموال للسيد ميلر، أرجو أن تخبرني بذلك".

أصبحت ضائعاً تماماً، ولكنني أخذت نفساً، وسيطرت على نفسي. أردت فعلاً أن أطلق النار عليه، وأراقبه وهو يموت ببطء كما شرحت الأمر بشأن هاري مولر، وأن يكـون دافعـي لإطـلاق النار شخصياً جداً، وليس لأسباب مهنية أو لأنه العمل الذي أتقاضى راتباً لقاء قيامي به.

بدا أنه ينتظر منّي أن أقول له وداعاً، ولكنني اكتفيت بالوقوف، فقال: "بالمناسبة، قدم لزيارتي البارحة صديق مشترك، رودي".

أو ربما يمكنني أن أشرح له أنني أطلقت النار عليه من أجل الله والوطن. لم أكن أعرف ماذا يخطط له، ولكنني كنت متأكداً تماماً بأنه يتعيّن إيقافه، وأنه إذا لم أوقفه في الحال، فإن محاولة أي شخص لإيقافه لاحقاً ستكون بعد فوات الأوان. وباين مادوكس يفهم ذلك.

قال: "رودي، من محطة الوقود في ساوث كولتون".

وضـــعت يديّ في جيبـــي سترتي الجلدية، وأحسست بعقب مسدسي الغلوك في يـــدي اليمنـــى. قال مادوكس: "يبدو أنه مرتبك لسبب معيّن. فقد كان يعتقد أنني طلبت منك إخباره بأني أودّ رؤيته".

"ألم تكن تريد ذلك؟"

"كلا. لماذا قلتَ له ذلك؟"

إذا أطلقـــت النار عليه في هذا المكان وفي هذه اللحظة، سيكون الشخص الوحيد الذي يعرف السبب، وربما يكون ذلك كافياً. لكن ربما كنت بحاجة إلى معرفة المزيد. والشرطة ومكتب التحقيقات الفيدرالي يودّان بالتأكيد معرفة المزيد.

"يا حضرة التحرّي؟"

لكي أكون صادقاً مع نفسي، ربما لا أستطيع أن أشهر مسدسي وأطلق النار على رجل أعزل. ولكي أكون أكثر صدقاً، السيد باين مادوكس يحيّرني... كلا إنه يدهشني. ســـبق له أن أصيب؛ ونجا في الحرب. وكان، أو يعتقد بأنه كان، وطنياً يواصل القيام بوظيفته، وإذا قلتُ له بأنه في الواقع قاتل مضطرب نفسياً، فسيعاني من صدمة.

"السيد كوري؟ مرحباً؟"

نظـــر كل منا في عيني الآخر، واعتقدت بأنه عرف ما كان يجول في خاطري. في الواقع، انتقل إلى التركيز على يدي اليمنى التي تمسك بالمسدس الذي في جيبـــي.

بقينا صامتَين لفترة، ثم قال لي: "لماذا طلبتَ منه أن يخبرني بأنك رامٍ ماهر؟"

"من؟"

"رودي".

"رودي؟" أخذت نفساً آخر، وأخرجت يدي الفارغة من جيبـــي. وقلت: "رودي، رودي، رودي. من يكون رودي؟"

بـــدا أنـــه أحـــسّ بلحظة حاسمة تمرّ، ولذلك تجاهل موضوع رودي وقال لي: "ســـأطلب من كارل أن يرافقك إلى خارج المنـــزل". وعاد إلى مكتبه، وأمسك بجهاز لاسلكي، وكان على وشك أن يضغط على زرّ الإرسال.

قلت: "أنا هنا للتحقيق في جريمة قتل".

تردّد، ثم وضع الجهاز. ونظر إليّ، وسألني، "أي جريمة قتل؟"

اقتربت من مكتبه أكثر، وأجبته، "جريمة قتل هاري مولر".

بدا متفاجئاً ومرتبكاً تماماً، وقال: "أوه... قيل لي بأنها كانت حادثة. لقد تم العثور على الجثة... أنا آسف، كان ينبغي عليّ التعبير لك عن مواساتي، فقد كان زميلاً لك".

"صديق".

"حسناً، أنا في غاية الأسف. ولكنني... تلقّيت اتصالاً من مكتب الشريف، الذي قال لي بأنه تم العثور على جثة هذا الرجل في الغابة، وأنه حُكم على القضية بأنها حادثة صيد".

"لم يتم الحكم عليها بشيء بعد".

"فهمت... إذاً، هناك احتمال بوجود تلاعب".

"هذا صحيح".

"و...؟"

"كنت آمل بأن تساعدني".

"كلا أنا آسف. كيف لي أن أعرف...؟"

جلس على الكرسي قبالة مكتبه، وأشار إليّ بأن أجلس.

تردد، باعتبار أنه يعرف بأنه ليس مضطراً إلى الجلوس والتحدث في المسألة، وأنه يستطيع أن يطلب مني النهوض عن مقعده، والخروج من منزله، وحياته. ولكنه لم يكن عازماً على القيام بذلك، وبقي جالساً. من الناحية التقنية، لم أكن أملك أية صلاحية هنا في التحقيق في جريمة قتل؛ لأنها وظيفة شرطة الولاية. ولكن بدا أن مادوكس لا يعرف ذلك، وأنا لم أكن عازماً على إعطائه درساً في النظام الدستوري.

عاد كل منا إلى عادته القديمة في النظر إلى عيني الآخر. لم يكن لدى هذا الرجل عين ترمش. هذا مدهش. كيف يمكنه أن يفعل ذلك؟ فحتى الأشخاص من أصحاب العيون الزجاجية يرمشون.

سألني، "كيف يمكنني مساعدتك أيها التحرّي؟"

قلت له: "حسناً، الأمر على هذا النحو يا سيد مادوكس. هاري مولر لم يكن هنا، كما تعرف، بغرض مراقبة الطيور".

"ولكنك قلت بأنه أتى من أجل ذلك".

"لم يأتِ من أجل ذلك. في الواقع، جاء إلى هنا من أجل مراقبتك".

لم يتظاهر بأنه مصدوم أو متفاجئ، وبدا أنه يفكر في الأمر، فأومأ برأسه، ثم قال لي: "أنا أفهم بأن الحكومة مهتمة بي. وأي رجل في مثل وضعي سيتفاجأ إن لم تكن الحكومة مهتمة به".

"حقاً؟ ولماذا تعتقد بأن الحكومة مهتمة بك؟"

"حسناً... بسبب صفقاتي التي أبرمها مع القوى الأجنبية. تسعير النفط". وأضاف، "كما أنني صديق شخصي لوزير النفط العراقي".

"لا بدّ وأنك تمزح؟ ما هو رأيه في احتمالات نشوب حرب؟"

"لـم أتحـدث إليه منذ مدة، ولكنني أتخيل بأنه ليس متأكداً جداً من تعرّض بلاده لغزو وشيك".

"أعتقد بأنه كذلك. إذاً، أنت تعتقد بأن الحكومة مهتمة بك لأنّ؟"

"لأنّ مصالحي ومصالح الولايات المتحدة لا تتطابق دائماً".

"فهمت. مصالح أي طرف تحتل الأولوية؟"

ابتـسم قلـيلاً، ثم أجاب، "بلدي دائماً يحتل الأولوية، ولكن بلدي لا يحظى دائماً بتمثيل مناسب في الحكومة".

"أجل. يمكنني تصديق ذلك. لكن دعنا نقول على سبيل الافتراض بأن الحكومة لا تأبه البتّة للصفقات التي تجريها مع القوى الأجنبية، وأنك مخطئ في اعتقادك بخلاف ذلك، ما هي الأسباب الأخرى التي تدفعها إلى الاهتمام بأمرك؟"

"ليست لدي أدنى فكرة يا سيد كوري. هل لديك فكرة؟"

"كلا".

"لكن لماذا جرى إرسال التحرّي ميلر من *الوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب* لكي يتجسس عليّ؟ هل تعتقد الحكومة أنني إرهابي؟"

"لـست أدري". وسـألته، "مـن قـال بأن التحرّي مولر كان عضواً في *الوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب*؟"

تردّد مدّة ثانية ثم أجاب،"إنه زميل لك، وأنت في الوحدة التكتيكية".

"أجل. هذا عمل تحقيقي جيد".

أشـعل سيجارة، ولكنه لم يصنع حلقات دخانية هذه المرة أيضاً، وقال لي: "إذاً، أنت تقول بأن هذا الرجل الذي يسمى ميلر..."

"مولر. التحرّي هاري مولر".

"أجل. أنت تقول بأن التحرّي هاري مولر أُرسل إلى هنا... لكي يتجسس عليّ".

"وعلى ضيوفك".

"وعلى ضيوفي، وأنت لا تعرف.."

"بالمناسبة، العملية تسمى مراقبة. فعبارة التجسس لها دلالة سلبية".

انحنـى نحـوي وقـال: "من يأبه للتسمية الصحيحة للعملية؟" وأخيراً فقد برودة أعصابه، وضرب مكتبه بيده، ورفع صوته وقال: "إذا كان هذا الرجل، التحرّي هاري مولر، قد أُرسل إلى هنا لكي... يراقبني ويراقب ضيوفي، فسأكون غاضباً جداً بسبب

ذلــك. فالحكومة لا تملك حقّ التدخل في خصوصياتي، ولا في خصوصيات ضيوفي الذين اجتمعوا بطريقة قانونية في أملاك خاصة من أجل..."

"هــذا صــحيح. ولكن تلك مسألة أخرى. أما المسألة التي بين أيدينا فهي جريمة قتل".

"أنــت تقــول إنها جريمة قتل. لكن الشريف يقول بأنها حادثة صيد. وإذا كانت حادثة قتل، ما علاقة ذلك بي؟"

إذا قلــتَ لهذا الرجل بأنك مشبوه، عليك أن تقرأ عليه حقوقه، وأنا لا أحمل تلك الــورقة معــي. ولو كانت معي وقرأتها عليه، سيقول: "لقد عثرتَ على الشخص غير المطلوب أيها التحرّي. اعذرني أريد الاتصال بالمحامي".

ولذلك قلت: "أنا لم أقل إن للأمر علاقة بك".

قال: "إذاً ما هو سبب وجودك هنا؟"

أجبــته، "لكي أخبرك بالحقيقة..." وهو الأمر الذي لا نية لدي في القيام به "... أعتقد بأن للأمر علاقة بأحد حرّاسك".

لــم يصدّق كلامي، ولكنه كان جيداً بما يكفي لكي يتظاهر كلانا بأنه يعمل على شيء معين، ويواصل لعبة الهرّة والفأرة لفترة من الوقت.

عــاد وأسند ظهره وقال لي: "هذا.. هذا أمر لا يصدَّق... ولكن... أعني... هل لديك دليل يثبت ذلك؟"

"لا يمكنني مناقشة ذلك".

"حسناً. لكن هل تشتبه بشخص معيّن؟"

"لا يمكننــي الإفــصاح عــن ذلك في هذه المرحلة". وعللت له ذلك بالقول: "إذا أفصحت عن اسم مشتبه فيه، وتبيّن أنني كنت مخطئاً، فستُفتح نيران جهنم عليّ".

"أجل... ولكنني لست متأكداً من قدرتي على مساعدتك".

أجبــته "حــسناً، الإجــراء التقليدي هو أن يقوم مكتب التحقيقات الفدرالي بطلب الحــصول على كافة ملفاتك الشخصية، ثم نبدأ باستجواب كافة عناصر فريقك الأمني، وكــذلك الموظفــين الــذين يعملــون في المنــزل، لمحاولة تحديد مكان كل شخص وتحرّكاته، قبيل وقوع الجريمة وبعدها".

أصــغى إلــيّ ثم قال: "لا زلت عاجزاً عن فهم سبب اعتقادك بأن أحد الموظفين لديّ ارتكب جريمة قتل. ما هو دافعه للقيام بذلك؟"

"حسناً، لست متأكداً من الجواب. ربما كان يمر بحالة من الحماسة المفرطة".

لم يرد على هذا الجواب.

"دعـــنا نـــسمّي الأمر على أنه تجاوز للمهام. ربما حصلت مشادّة بينهما. وربما نحكم على ما حدث بأنه قتل غير متعمّد وغير إرادي، أو أية جريمة أقل خطورة، مثل جريمة قتل مبرّرة".

فكّر في كلامي وقال: "أكره التفكير في أن أحد رجالي يمكنه أن يفعل ذلك. فهم مدرّبون جيداً، ولم يسبق أن وقعت مثل هذه الحادثة من قبل". بدا عليه القلق، وسألني، "هل تعتقد، بوصفك موظفاً، بأنه يمكن مقاضاتي بسبب حادثة قتل بدون وجه حقّ؟"

"هذه ليست دائرة اختصاصي. ينبغي أن تسأل وكيلك القضائي".

"سأفعل". وذكّرني قائلاً: "كما قلتُ البارحة، الدعاوى القانونية تعمل على تخريب هذه البلاد".

اعتقدت بأنه قال 'محامين' في المرّة السابقة، ولكنه بحاجة إلى واحد الآن، وهم ليـــسوا ســيئين إلـــى هذا الحدّ في نهاية المطاف. ولكنني قلت على سبيل المساعدة، "سأسأل السيدة مايفيلد عن هذا الأمر".

اكتفى بعدم الردّ. أطفأ سيجارته، وقال: "حسناً، سأقدم لك كافة الملفات الشخصية التي يمكن أن تحتاجها أو يحتاجها أي شخص". وسألني، "متى تريد هذه الملفات؟"

"ربمـــا في الغد". وقلت له: "هناك فريق استرجاع الأدلة التابع لمكتب التحقيقات الفيدرالي في طريقه إلى المنطقة".

"حسناً، ... أنا لست متأكداً إن كنا نحتفظ بتلك الملفات هنا، فقد تكون في مكتبي في نيويورك".

"أخبرني عندما تعرف مكانها".

"وكيف يمكنني الاتصال بك؟"

"اتصل بفندق **ذي بوينت**. وكيف يمكنني الاتصال بك؟"

"كما قلت سابقاً، عبر فريقي الأمني".

قلت له: "ربما لا تصلح هذه الطريقة في هذه القضية".

"إذاً عبر مكتبي في نيويورك".

"ماذا عن رقم هاتفك الخليوي؟"

"يـــوجد فـــي مكتبي عامل على الهاتف على مدار الساعة. وهو يمكنه الاتصال بهاتفي الخليوي".

"حسناً". وسألته، "إلى متى ستظل هنا؟"

"لا أعرف المدة بالتحديد. لماذا تسأل؟"

"يوم، يومان، سنة؟ متى ستغادر المكان؟"

من الواضح أنه لم يكن معتاداً على الخضوع للاستجواب فأجاب بطريقة تنمّ عن فقدان الصبر "سأبقى مدة يومين أو ثلاثة أيام". وسألني، "إلى متى ستظل هنا؟"

"إلى أن يتم حل القضية". وسألته، "إلى أين تريد الذهاب عندما تغادر المكان؟"

"ربما سأذهب إلى نيويورك".

"حسناً. عليّ أن أطلب منك إبلاغ مكتب التحقيقات الفيدرالي في نيويورك إذا كنت تخطط لمغادرة البلاد".

"لماذا؟"

"ربما تكون شاهداً هاماً في التحقيق في جريمة قتل".

لم يجب بشيء.

قلت: "كما عليك أن تزودني بلائحة بأسماء الضيوف الذين كانوا عندك يوم عطلة نهاية الأسبوع".

"لماذا؟"

"ربما يكونون شهوداً هامّين أيضاً. فكما تعرف، ربما تناهى إلى أسماعهم شيء، أو ربما كانوا قادرين على تزويدنا بمعلومات عن الفريق الأمني أو موظفي المنزل الذين كانوا يتصرفون بطريقة مريبة. أو ربما يدلون بمعلومات عن تحركات الضيوف الآخرين". وأضفت، "الأمر يشبه جريمة قتل غامضة تُرتكب يوم عطلة نهاية الأسبوع في منزل ريفي كبير. لنفترض مثلاً أن السيد... لنقل وولف، الذي كان يقرأ في المكتبة، لاحظ أن كارل، رئيس الحرس، على سبيل المثال، غاب لمدة ساعتين ثم عاد إلى المنزل وثيابه ملطّخة بالدماء. أو أي شيء آخر من هذا القبيل".

امتنع مادوكس عن الردّ.

قلت: "كما سأحتاج إلى كافة أشرطة المراقبة التي كانت تصور أملاكك، أو التي تصور ما يدور داخل هذا المنزل. وأريد الحصول على السجل الأمني، والذي أنا على ثقة بأنك، بوصفك ضابطاً سابقاً في الجيش، تصرّ على الاحتفاظ به. من هم الذين كانوا في الخدمة، ومتى عادوا إلى الخدمة، ومتى أخذوا إجازة من الخدمة، ونوبات الحراسة، وأية حوادث غير مألوفة، وما إلى ذلك". وأعدت التأكيد قائلاً: "أنا واثق من وجود ذلك السجل وتلك الأشرطة الأمنية".

لم يؤكد كما لم ينفِ وجود سجل أو أشرطة أمنية.

أخرجت دفتر ملاحظاتي، وقلت له: "أتساءل إن كان في مقدورك إعطاء أسماء

مـــن نـــزلوا ضيوفاً عندك بالاستعانة بذاكرتك". وذكّرته بالقول: "أعتقد بأنك قلت بأن المجموعة ضمّت حوالى ستة عشر ضيفاً".

اعتقدت بأن مادوكس بات يشعر الآن بأنه محاصر، مثل الجنرال جورج كاستر. لا يـــبدو أنه كانت توجد طريقة للخروج من هذا الطوق، ولكنه وجد واحدة وقال لي: "أخـــشى أننـــي مـــضطرّ إلى قطع زيارتك أيها التحرّي". وشرح سبب ذلك فقال: "أنا بحاجـــة إلى إجراء بعض المكالمات الهاتفية الهامة مع الشرق الأوسط، والساعة باتت متأخرة الآن هناك. كما أن لدي عملاً ملحّاً آخر عليّ أن أهتم به". وذكّرني قائلاً: "أنا أدير عملاً تجارياً، واليوم هو يوم عمل".

"أنا أعرف ذلك، فأنا أعمل على قضية جنائية".

"أنا أقدّر هذا الأمر، ولكن.. سأقول لك أمراً. لديّ فكرة".

"هذا جيد. هل لك أن تطلعني عليها؟"

"لمـــاذا لا تـــأتِ إلى هنا مجدداً هذا المساء؟ وبهذه الطريقة، يمكننا أن نجمع بين العمـــل والمتعة. لنقل أننا سنشرب الكوكتيل عند الساعة السابعة، وفي حال رغبت في البقاء لتناول العشاء، فلا بأس بذلك".

"حـــسناً، لست متأكداً من رغبتي في البقاء لتناول العشاء لأن هنري سيعدّ طبق دجاجة الأرض هذه الليلة".

ابتسم وقال: "أعتقد بأنك تستطيع القيام بما هو أفضل من ذلك، وسأعطيك لائحة بأسماء الضيوف الذين نـــزلوا عندي يوم عطلة نهاية الأسبوع".

"هذا رائع". لم يكن في مقدوري إسقاط الضمادة اللاصقة على السجادة بدون أن أشـــرح ســـبب لعبـــي بضمادة لاصقة، ولذلك خلعتُ حذائي وفركت جواربي بزغب السجادة الشرقية، والذي يمكن المقارنة بينه وبين غيره بسهولة.

تملكننـــي إحـــساس قـــوي فعلاً بأن هاري كان موجوداً هنا، وأنني سأتمكن من الـــتحقق مـــن ذلك في غضون يومين تقريباً. وعندها، أستطيع العودة إلى المكان مع مذكّـــرة اعـــتقال: باسم السيد باين مادوكس على خلفية الاشتباه بارتكابه جريمة قتل. والأفـــضل مـــن ذلك هو أنه يمكنني إطلاق النار عليه، باعتبار أنني قد لا أتمكن من إلـــصاق التهمة به، وضميري مرتاح، ما لم يكن قد رحل حينها إلى العراق أو إلى في مكان آخر ليلعب... مع وزير النفط.

سألته، "من الذي سيعدّ الطعام هذه الليلة؟"

"ســـأتدبر الأمـــر". وأضاف، "يمكنني صنع شراب الكوكتيل. شراب اسكتلندي، أليس كذلك؟"

"بلى. حسناً، هذا لطف كبير منك".

"ولا تنسَ بالطبع أن تحضر السيدة مايفيلد".

"سأرى إن كانت قد عادت من صف التعلّم على الصراخ".

"هــذا جــيد. الثياب غير رسمية". وأضاف والابتسامة على وجهه "لا حاجة إلى ارتداء زيّ السهرة".

"زيّ السهرة لمساء يوم غد".

"هــذا صــحيح. أيام الأربعاء والسبت". وألح عليّ بالقول: "أرجو أن تقنع السيدة مايفــيلد بالمجيء، وقل لها بأنه لا داعي لأن تقلق بشأن ثيابها". وقال لي، على طريقة حديث الرجل إلى الرجل: "أنت تعرف عادات النساء".

"حقاً؟ متى حصل ذلك".

ضــحكنا قلــيلاً على هذا التعليق، وجددنا أواصر الصداقة. هذا رائع. وفي هذه الأثناء، تساءلت إن كنت وكايت سنخرج من هنا أحياء. سألته، "هل سينضمّ أحد إلينا؟"

"لــست مــتأكداً من ذلك بعد. ولكن في وسعي أنا وأنت الاختلاء في المكتبة في حال احتجنا إلى الاهتمام بعمل معيّن".

"هذا جيد. فأنا أكره الحديث عن جرائم القتل على موائد العشاء". وسألته، "هل لا زال أحد الضيوف الذين نــزلوا عندك يوم عطلة نهاية الأسبوع موجوداً هنا؟"

"كلا. لقد رحل الجميع".

ربما نسي ميخائيل بوتيوف.

نهض وقال: "إذاً، شراب الكوكتيل عند الساعة السابعة، ثم ننجز بعض الأعمال، ثــم نتــناول طعام العشاء إذا كنت تستطيع الانسحاب من دعوة العشاء التي يقدَّم فيها طبق دجاجة الأرض".

"ســتكون مكالمة صعبة". لبست حذائي، ونهضت، وقلت: "هاي، ما هي تشكيلة الخضار؟"

"لا زلت غير متأكد". ولكنه أعطاني نصيحة عندما قال: "لا تأكل شيئاً لا يمكنك تهجئة اسمه، وإياك أن تأكل شيئاً توجد علامة كتابية فوق أي من حروف اسمه".

"إنها نصيحة جيدة".

قال: "أكرر التعبير عن أسفي مجدداً على الحادثة التي تعرض لها التحرّي مولر. وآمــل ألاّ يكون للحادثة أي علاقة بالموظفين الذين يعملون لديّ. ولكن في حال تبيّن وجــود هذه العلاقة، ففي وسعي أن أطمئنك إلى أنني سأكون متعاوناً جداً". وأضاف، "سأبحث عن المعلومات التي طلبتها".

"شـــكراً لك. وفي هذه الأثناء، أرجو أن تتكتم على الخبر، فنحن لا نريد التحدث إلى أحد".

"أنا أتفهم ذلك".

تصافحنا، وغادرت مكتبه، وهناك وجدت كارل واقفاً على مسافة أمتار قليلة من الباب. قال لي: "سأرافقك وأنت تغادر المكان".

"شكراً. يمكن أن تتوه في هذا المكان".

أجاب، "وهذا هو سبب مرافقتي لك".

"أجل". يا له من أخرق.

نـــزلنا درجات السلّم، وسألت كارل، "أين يوجد الحمام؟"

أشـــار إلـــى بـــاب في الردهة. دخلته، وأمسكت بمنشفة كانت معلّقة في الحلقة، ومسحت بعض السطوح، وجمعت بعض الشعرات، والخلايا الجلدية، وكل شيء يحمل علامـــات الحمض النووي ويرغب المحققون الجنائيون في الحصول عليها. تمنّيت لو كنت أستطيع التقاط عقب السيجارة التي كان يدخنها مادوكس، ولكنني لم أسأله إن كان في مقدوري الاحتفاظ بعقب السيجارة كهدية تذكارية، لأن ذلك أمر مستحيل.

وضعت المنشفة تحت سترتي، وخرجت.

رافقني كارل حتى الباب الأمامي. قلت له: "سأراك في الساعة السادسة".

"السابعة".

لم يكن ذكياً جداً، ولكنه كان مخلصاً، وخطراً.

الفصل 40

نظـــرت أمامـــي فلم ألاحظ أن البوابة الحديدية فُتحت فيما كنت أقترب من بيت الحراسة، فبدأت أطلق بوق السيارة.

بـــدأت الـــبوابة بالانـــزلاق، ومع وصولي إلى بيت الحراسة، رمقني اثنان من جنود العاصفة بنظرات خبيثة فيما كان كل منهما يقف ويعقد إصبع إبهامه حول حزام مسدسه. إذا كان ذلك أقصى ما يمكنهما فعله، فلن أكلّف نفسي عناء إغاظتهما، ولكنني زدت الـــسرعة، وانحرفت نحوهما، ثم أعدت السيارة إلى الاتجاه الصحيح، ثم مررت بالهيونداي بصعوبة عبر البوابة نصف المفتوحة.

وعلى المرآة الجانبية، شاهدتهم وهو يركلون الحصى، ويطأون الأرض بأقدامهم. أعتقد أنني أغظتهم.

ربما لم أكن بحاجة إلى التصرف على هذا النحو، ولكنك بحاجة إلى تحديد الذكر المسيطر مقدماً. فالناس يحبون أن يتعرفوا على أماكنهم في سلّم تدرّج السلطة.

كمـــا أنـــه لـــم يساورني شك في أن أحد هذين الرجلين أو كلاهما أمسك بهاري عـــندما كـــان فـــي أرض النادي. وإذا لم يكونا الشخصين اللذَين أمسكا به، فأشخاص يرتدون زياً مثل زيهما. أليس كذلك يا باين؟

لـــم ألاحـــظ هذه المرة أيضاً أي فريق مكلف بالمراقبة، وتساءلت عما يخطط له شافير.

واصـــلت ســـيري شمالاً على الطريق 56. وأثناء الطريق، أعدت سردت تفاصيل محادثتـــي مـــع بـــاين مـــادوكس، والتـــي اشتملت على بعض الأفكار الجانبية المشوّقة. والخلاصة هي أن باين وجون عرفا بأن باين وجون كانا يلعبان لعبة الهرّة والفأرة معاً.

على أية حال، دعاني مادوكس إلى مائدة العشاء، كما دعا السيدة مايفيلد بالطبع. وقـــد اســـتنتج مادوكس من عدم تغييري لثيابي أنني وكايت سافرنا إلى المنطقة على عجـــل. ولذلك تحمّل عبء التأكد من شعور السيدة مايفيلد بالارتياح في النادي بغض النظـــر عـــن الثـــياب التي ترتديها. وأثبت بذلك أنه حكيم جداً، ناهيك عن كونه شديد الملاحظة. وهذا ما يمكن أن يجعل باين مادوكس محققاً جيداً.

لا يقدم المجرمون في العادة على حلّ مشكلاتهم مع القانون بقتل الضباط المحقّقين، ولكن في حال كانت الدعوة إلى العشاء مصيدة، فهذا يعني أن مادوكس سيُلحق على عجل جريمة مزدوجة بخطته الرئيسية، بغض النظر عن نوعية هذه الجريمة. والطريقة الوحيدة لكي ينجح هذا المخطط هي في معرفة مادوكس من مصدر معيّن - شافير أو الشريف، أو حتـــى من مصدر في مكتب التحقيقات الفيدرالي - بأنني وكايت هاربان من وجه القانون، وأنه لا يوجد فريق دعم ينتظر المجيء لإنقاذنا.

إذا كـــان مـــادوكس يملـــك مصدراً داخلياً يزوده بهذه المعلومات، فهذا يعني أن الوضع مقلق جداً، ومرعب جداً. كما أن مادوكس أدرك بأنه لم يعد يتوفر لديه الكثير مـــن الـــوقت، وخصوصاً أنه أصبح عالقاً في تحقيق جنائي. فهل يمكنني على الفور معـــرفة نتـــيجة ما سيقوم به؟ أعني أنه يمكنني تخيّل قيام هذا الشخص بملء الكؤوس بالشراب الاسكتلندي والإشارة بطريقة عرضية بالقول "آه، بالمناسبة، لقد دمّر أسطول غواصـــاتنا النووية للتوّ الصين، وكوريا الشمالية، والشرق الأوسط، وباريس. وربما سيدعونا إلى الاختباء في ملجئه النووي".

علـــى أية حال، آن الأوان للعمل بنصيحة كايت والذهاب إلى نيويورك بدلاً من حضور مائدة العشاء في قلعة مادوكس. أليس كذلك؟ بلى بكل تأكيد.

عرفت أن كايت لا بدّ وأنها تشعر بالقلق، وفي إمكانك إجراء مكالمة هاتفية لمدة ثـــلاث دقائـــق قبل أن يتمكنوا من اقتفاء أثرها، ولذلك قمت بتشغيل هاتفي، والاتصال بالرقم الهاتفي لمنـــزل البوند. ردّت كايت، "مرحباً؟"

"هذا أنا".

"الحمد لله. بدأت أقلق..."

"أنا بخير. ليس في مقدوري الحديث لأكثر من دقيقة. أنا بحاجة إلى إنجاز بعض المهام، وسأعود في غضون ساعة تقريباً".

"حسناً. كيف سارت الأمور؟"

"ســـارت على أحسن ما يرام. سأطلعكِ على التفاصيل عندما أعود. هل أنجزتِ المهام التي طلبتها؟"

"أجل، أنا..."

"هل تحدثتِ إلى شافير؟"

"لم أتمكن من الاتصال به".

"حسناً، هاي هل طلبتِ طبقاً من البيتزا؟"

"كلا. يمكنك أن تشتري لنا شيئاً".

سألتها، "هل أنتِ جائعة؟"

"أنا أتضوّر جوعاً".

"هذا جيد. تلقّينا دعوة لتناول العشاء في نادي كاستر هيل".

"ماذا تقول؟"

"سأخبركِ عن ذلك عندما أعود". وقلت لها: "اللباس غير رسمي".

"هل تمزح؟"

"كلا. المناسبة غير رسمية. سيتم تقديم شراب الكوكتيل عند الساعة السابعة".

"أعني..."

"عليّ أن أقطع المكالمة. سأراكِ في وقت لاحق".

"جون..."

"إلــى اللقــاء. أنا أحبكِ". قطعتُ المكالمة، وأطفأت هاتفي. هل قلت إننا ذاهبان لتناول العشاء في نادي كاستر هيل؟ هل أنا مجنون؟

على أية حال، كنت أقترب من محطة الوقود التي يملكها رودي، وهناك، وجدت رودي وهو يتحدث إلى زبون آخر يخدم نفسه. أوقفت السيارة وصحت، "رودي!"

اقترب منّي عندما رآني وقال: "عدتَ مجدداً؟"

"من أين؟"

"من؟ لست أدري. أين ذهبت؟"

قلت: "حاولت أن أرطب الأجواء بينك وبين السيد مادوكس".

"حقاً؟ أخبرتك بأنني تحدثت إليه وهو على ما يرام".

"كــلا، كان لا يزال غاضباً منك. حسناً، حصلت على خبر سارّ وآخر سيئ. ما هو الخبر الذي تودّ سماعه أولاً؟"

"أوه... الخبر السارّ".

"الخبــر الــسارّ هــو أنه لم يعد غاضباً منك. والخبر السيئ هو أن ينوي افتتاح محطة غوكو للوقود في الجهة المقابلة من الشارع".

"ماذا تقول؟ ماذا ينوي أن يفعل؟ يا إلهي، لا يمكنه فعل ذلك".

"بل يمكنه فعل ذلك وسيفعل ذلك".

نظــر رودي إلى الجهة المقابلة من الشارع في الحقل الفارغ، وكنت متأكداً من أنــه لــم يكــن في مقدوره تصوّر ذلك: ثماني مضخات جديدة تلمع، حمامات نظيفة، وخرائط للمنتزه.

قلت له: "المنافسة مفيدة. إنها جوهر الأصالة الأميركية".

"هذا هراء".

"هاي، أريد منك خدمة. رودي؟"

"ماذا قلت؟"

"يتعين عليّ الحصول على ذبيحة غزال. هل يوجد لديك شيء أكبر يمكن مقايضته بجذاذة الأعشاب الكورية هذه؟"

"ماذا قلت؟"

"لهذه الليلة فقط. وسأمنحك مئة دولار لكي تحل مشكلاتك".

"ماذا قلت؟"

"وسأملأ خزان سيارتك".

"هل تريد التزود بالوقود؟"

استدرت بسيارة الهيونداي حول المحطة، وبعيداً عن الأعين، وفي غضون خمس دقائق، أبرمت صفقة مع رودي الذي كان لا يزال يتصرف كما لو أصيب بضربة في الرأس من بغل. في الواقع، لم يلاحظ أن مفاتيح الهيونداي لم تكن في داخل السيارة بعكس ما قلت له.

قلت له كلمات الوداع التالية، "لا تخبر مادوكس بشأن هذه الصفقة، لأن ذلك سيجعل الأمور أكثر سوءاً. وسأتباحث الموضوع معه".

"لا يمكنه فعل ذلك. سأتقدم بشكوى إلى المحكمة".

على أية حال، تبين أن سيارة رودي الكبيرة مركبة مقفلة مهترئة من طراز دودج بدت من داخلها كما لو أنها تعرضت لانفجار في خزان الوقود أثناء عراك على الطعام. ولكنها كانت تسير بسرعة عالية.

أكملت طريقي، وفي كولتون، تجاوزت المنعطف الذي يؤدي إلى كانتون، وسلكت مساراً طويلاً يمر عبر بوتسدام.

عندما تكون فاراً من أشخاص يطاردونك، عليك أن تغيّر الجياد مرات كثيرة، وتطلق النار على آخر جواد تركبه، ولا تسلك الدرب نفسه مرّتين.

وصلت إلى كانتون، ووجدت متجر شينثال للأدوات الرياضية، فاشتريت علبة تحتوي على طلقات لمسدس من عيار 0.40 من أجل كايت، وعلبة من طلقات لمسدس من عيار 9 ملم الذي أحمله. ينبغي على كافة العاملين في تطبيق القانون أن يستخدموا مسدسات من العيار نفسه، كما هو الحال في الجيش، ولكن تلك قصة أخرى. كما اشتريت أربعة مخازن إضافية لمسدس الغلوك. وقد طلبت صاحبة المتجر، واسمها

السيدة ليزلي شينثال، مني إبراز هويتي قبل إتمام عملية البيع، فعرضت عليها رخصة القيادة، ولكنني لم أبرز أوراقي الثبوتية الفيدرالية.

احتجت إلى تغيير جواربي التي أصبحت مؤخراً دليلاً جنائياً، ولذلك اشتريت زوجاً من الجوارب الصوفية التي ستكون جيدة لجمع المزيد من ألياف البُسُط والشعرات من غرفة المائدة والمكتبة في منزل السيد مادوكس.

غير أن كافة هذه التقنيات التحقيقية ستصبح مشكوكاً فيها بالطبع في حال دس مادوكس المخدّر في شرابنا، أو أطلق علينا أسهماً تخديرية، واكتشف الناس جثتينا بعد ذلك، كما حصل مع هاري. كما كان هناك احتمال اندلاع معركة تقليدية جيدة بواسطة المسدسات. وحول هذا الموضوع، فكّرت في وضع ربما ينشأ في حال جرى تجريدي وكايت من أسلحتنا. لم يكن في نيتي السماح بحدوث ذلك بدون قتال، ولكن الحقيقة هي أننا كنا نسير وسط معسكر مدجج بالسلاح، وكان من الصعب المجادلة مع عشرة أشخاص يصوّبون بنادقهم الهجومية نحوك. وكنت متأكداً من أن هاري واجه وضعاً مماثلاً.

لذلك، نظرت من حولي في متجر بيع الأدوات الرياضية بحثاً عن شيء لا يطلق صوت جهاز الكشف عن المعادن من غير أن يُكتشف أثناء التفتيش عن السلاح، وفي نفس الوقت يمكن أن يكون أكثر إفادة في وضع متأزم من زوج من الجوارب الصوفية مثلاً.

سألتني السيدة شينثال، التي كانت امرأة جميلة وصغيرة السن - بالرغم من أنني لم ألاحظ ذلك - "هل يمكنني مساعدتك في شيء؟"

"حسناً، ... إنها قصة طويلة". أعني أنني لم أشأ أن أكون ضيفاً على مائدة العشاء فيما يصوب جيشه الخاص أسلحته إلينا ويجرّدنا من مسدساتنا، لأجد نفسي بحاجة إلى سلاح مخبأ لقتلهم، وما إلى ذلك. ولذلك قلت: "أنا بحاجة إلى بعض معدات البقاء".

"هل يمكنك أن تكون أكثر تحديداً؟"

"لست أدري يا ليزلي. ماذا يوجد لديكِ؟"

رافقتني إلى جناح وقالت: "حسناً، يمكنك أن تجد هنا بعض الأدوات". وأضافت: "ولكن كافة معدات التخييم معدات بقاء من الناحية العملية".

"لكن ليس على طريقة تخييم زوجتي السابقة في منزل مقطور وعاملة تنظيفات".

ابتسمت ليزلي.

نظرت إلى الأدوات، وحاولت أن أتخيل أداة يمكنني تهريبها إلى نادي الصيد من غيـر أن تطلـق صوت جهاز الكشف عن المعادن. إن القنابل الصوتية خالية من أية معادن تقريباً، ولذلك سألتها، "هل لديكِ قنابل صوتية؟"

ضحكت وقالت: "كلا. ولماذا تحتاج إلى حمل قنابل صوتية؟"

"لست أدري. ربما سأحتاج إليها في اصطياد السمك. وكما تعرفين، على طريقة الاصطياد بالديناميت".

قالت لي: "هذا عمل غير مشروع".

"لا بدّ وأنكِ تمزحين؟ أنا أفعل ذلك طوال الوقت في السنترال بارك".

"هيا يا جون".

بدا أنها تريد المساعدة، ولكنني لم أكن أساعد نفسي. قالت: "إذاً، أنت تقيم مخيماً في البرّيّة. أليس كذلك؟"

"بلى".

"إذاً، هل لديك تجهيزات شتوية؟"

"وماذا تعنين بالتجهيزات الشتوية؟"

ضـحكت، وقالـت: "يصبح الجوّ بارداً في المساء يا جون. هذه ليست نيويورك سيتي".

"أجل. ولهذا السبب اشتريت هذه الجوارب الصوفية".

اعتقدت أن تلك كانت مزحة، ولذلك قالت: "حسناً، أنت بحاجة إلى معدات تخييم شتوية".

قلـت: "أنـا لا أملك الكثير من السيولة النقدية، وزوجتي السابقة سرقت بطاقتي الائتمانية".

سألتني، "هل لديك بندقية، على أقل تقدير؟"

"كلا".

"حـسناً، عليك أن تتنبّه للدببة. فمن الصعب التوقع بتصرفاتها في هذا الوقت من العام".

"وكذلك أنا".

أضـافت، "عليك ألا تعتقد بأنك أكثر أمناً بهذه الألعاب التي معك. فآخر شخص عرفته أراد أن يقتل دبّاً بواسطة مسدس أصبح الآن بساطاً في عرين دبّ".

"أجل. هذا أمر مضحك".

"أجــل، ولكنه غير مضحك. حسناً، إذا اقترب دبّ من مخيمك بحثاً عن الطعام، عليك أن تطرق على القدور والأوعية..."

"ليس لدي قدور وأوعية. ولهذا السبب أحتاج إلى قنابل يدوية".

"كلا. هل تعرف ماذا تريد؟"

"كلا. ماذا لديكِ؟"

"أنت بحاجة إلى بوق غازي مضغوط".

سحبت علبة صغيرة من الرف، فسألتها، "هل هذه علبة تشيلي؟"

"كلا".

"هل تحتوي على غاز مضغوط؟"

"كــلا يــا جــون. إنهــا أشبه ببوق هوائي. وعادة ما يخيف الدببة. كما يمكنك استــخدامها فــي إطلاق إشارة تفيد بأنك تعاني من مشكلة. صوتان طويلان وصوت قصير. السعر هو ستة دولارات فقط".

"حقاً؟"

"وهذه.." وسحبت صندوقاً من الرف وقالت: "إنها طقم 'بير بانغر'".

"ماذا قلتِ؟"

"إنهــا أشبه بقاذف أسهم مضيئة مع طلقات. هل هذا جيد؟ اقرأ هنا، مكتوب على الصندوق أنه يمكن للقاذف أن يطلق أسهماً مضيئة حتى ارتفاع أربعين متراً ويمكن أن تُــشاهَد مــن علــى مسافة خمسة عشر كيلومتراً في النهار، ومن على مسافة ثلاثين كيلومتراً في الليل".

"أجل". لمعت ببالي فكرة مضيئة، فقلت: "أجل، سيفي هذا بالغرض".

"أجل. عندما تطلق هذه الطلقة، يرتعب الدب".

"أجل، وسيهرب الدب إلى وسط الغابة وهو يقول دو دو".

ضحكت، وقالت: "أجل". وسلمتني الصندوق ففتحته. كان يحتوي على قاذف، لا يــزيد حجمه كثيراً عن مصباح الجيب، وهو يشبهه من حيث الشكل، إضافة إلى ستة أسهم 'بير بانغر' بحجم البطارية الصغيرة. يحتوي هذا الشيء الصغير على طاقة تولّد لكمة.

قالــت ليزلـــي: "ضع الطلقة هنا، ثم اضغط على الزر، فينطلق السهم. هل هذا مفهوم؟ لكن حاول ألاّ تصوّبه نحو وجهك". وضحكت.

فـــي الواقــع، لــم يكن وجهي الهدف الذي سأصوّبه نحوه في حال احتجت إلى استعمال هذا الشيء.

أضـــافت، "كمـــا أنك لست بحاجة إلى أن تصوّبه نحو الدب، لأن ذلك يمكن أن يؤذيه أو يشعل حريقاً في الغابة. وأنت لا تريد القيام بذلك".

"كلا".

"كـــلا. حـــسناً، ستحصل على ضوء ساطع بقوة، لنقل خمسة عشر ألف شمعة". وابتـــسمت وقالـــت: "إذا شاهدتُ السهم، أو سمعت صوته، فسوف آتي للبحث عنك". وأضافت، "الثمن هو ثلاثون دولاراً. هل هذا يناسبك؟"

"حسناً".

"إذاً، اشترِ البوق الهوائي وقاذف الإشارات المضيئة".

"أجل. في الواقع، سأشتري قاذفين".

"هل معك أحد؟"

"كلا. ولكنه سيكون بمثابة هدية جميلة في ذكرى عيد ميلاد ابن أخي الصغير".

"كـــلا يا جون، كلا. هذه ليست لعبة. هذا قاذف يطلق إشارات قوية ومخصص للراشدين فقط. في الواقع، عليك أن توقّع على استمارة 'أي تي أف" لكي تشتريه".

"هل هذه العبارة تعني استمارة راشد تحت التدريب؟"

"كلا، إنها تعني، الكحول، والتبغ، والأسلحة النارية".

"حقـــاً؟" اشتريت طقماً آخر، وتوجهنا نحو الصندوق، وشكرت الدببة اللعينة سرّاً على مساعدتها لي في حل مشكلة.

أعطتني ليزلي استمارة من مكتب الكحول والتبغ والأسلحة النارية، والتي نصت على أنني أتعهد باستعمال هذه الأسهم للسيطرة الشرعية على الحيوانات المتوحشة في البرّيّة فقط.

حـــسناً، كان ذلك وصفاً قريباً جداً لاستخدامي الحقيقي لها، ولذلك قمت بالتوقيع على الاستمارة.

كانـــت تـــوجد علـــبة من مصبعات الشوكولاته على المنضدة، فاشتريت واحدة لكايـــت. كـــنت سأشتري علبتين، ولكنني أردت أن أبقيها جائعة لكي تتمكن من تناول العشاء.

سألتني لزيلي، "هل هذا كل شيء؟"

"أجل".

حـــسبتْ كلفـــة الذخيـــرة، والبوق الهوائي، ومصبع الشوكولاته، وطقمي الأسهم الضوئية.

سددت ثمنها مستخدماً آخر ما كان في حوزتي من نقود، ولكنني احتجت إلى دولارين إضافيين، ولذلك أرجعت مصبع الشوكولاته، ولكن ليزلي قالت: "أنت تدين علي بثمنها". وأعطتني بطاقتها، وقالت: "عد في الغد وأخبرني إن كنت بحاجة إلى أي شيء آخر. وسأقبل شيكاً مصرفياً، كما يوجد في البلدة القليل من ماكينات الصراف الآلي".

"أشكركِ يا ليزلي. أراكِ في الغد".

"آمل بذلك".

وأنا أيضاً.

عدت إلى مركبة رودي المقفلة، وتوجهت نحو الفندق بي أند بي.

دببة، مادوكس، نووي، إلف، بوتيوف، غريفيث.

أصبح أسد خليل، الإرهابي الليبي الذي يحمل بندقية قنّاص، هدفاً جيداً الآن.

الفصل 41

وصلت إلى ممرّ السيارات الطويل الذي يؤدي إلى الفندق عند الساعة 4:54 من بعـد الظهر. شاهدت امرأة تنظر من خلال نافذة المنـزل الرئيسي، وما من شك في أنها كانت ويلما التي تنتظر عشيقها الإلكتروني، وعلى الأرجح أنها تساءلت في نفسها عن الشخص الذي يقود السيارة المقفلة.

تـوقفت عـن منـزل البوند، وجمعت أكياس التسوق التي تحتوي على الأدوات التـي اشـتريتها من متجر شينثال للأدوات الرياضية، وخرجت من السيارة، وطرقت الباب وقلت: "هذا هو رجلكِ الجبلي".

فتحت كايت الباب، ودخلت الكوخ. سألتني، "من أين حصلت على هذه المركبة؟"

"مـن رودي". وشـرحت لها الأمر فقلت: "من المهم أن تغيّري مركباتكِ عندما تكونين هاربة".

لـم تعلّـق علـى ذلـك، وسـألتني، "كيف سارت الأمور؟ وماذا يوجد في تلك الأكياس؟"

"سـارت الأمور على نحو جيد، بالرغم من أن مادوكس لم يحصل على العلاج الطبّي المناسب بعد. دعيني أعرض عليكِ الأدوات التي اشتريتها".

أفـرغت محـتويات الأكـياس على طاولة المطبخ وقلت: "جوارب نظيفة لي، وبعض الذخائر والمخازن الإضافية لنا".

"لماذا؟"

"بوق هوائي، وقاذفان لإطلاق الإشارات المضيئة".

"ماذا قلت؟"

"إنهـا تخـيف الدبـبة، وتطلق إشارات تفيد بأنكِ في ورطة. أدوات أنيقة، أليس كذلك؟"

"جون".

"هـاي، ينبغـي أن تري هذه الأشياء في متجر الأدوات الرياضية. لم يسبق أن شاهدت هذا العدد الكبير من الأشياء المموهة. وهذا مصبع شوكولاته لكِ".

"هل اشتريت لنا طعاماً لنأكله؟"

"لديّ مصبع من الشوكولاته".

- جلستُ على كرسي في المطبخ وخلعت حذائي، ثم جواربي التي كان في مقدوري رؤية ألياف البساط في باطنها، وشعرة سوداء طويلة واحدة على الأقل، والتي أملت بأن تعود لباين مادوكس، أو قيصر ويليام، أو هاري مولر. قلت: "هذه من مكتب مادوكس، ولديّ إحساس – أمل في الحقيقة – بأن هاري كان يجلس على الكرسي نفسه الذي جلست عليه".

أومأت برأسها.

وضعت الجوارب في كيس من النايلون، ثم انتزعت ورقة من دفتر الملاحظات، وكتبت وصفاً موجزاً لوقت جمع هذه الأشياء، وتاريخه، والطريقة التي اتبعتها، والمكان الذي جمعتها منه، وقمت بالتوقيع عليها، ووضعتها في الكيس.

ثم أخرجت الضمادة اللاصقة من جيبي، وأزلت الورقة الخارجية، ثم نزعت الطبقة الأولى من الورقة اللاصقة التي كانت مطلية بالألياف، وشرحت لكايت، "حصلت على هذه الألياف من السجادة التي في البهو".

وضعت الورقة اللاصقة بحرص داخل الكيس البلاستيكي وقلت: "في إحدى المرات، اختلست من مطبخ شخص مشتبه في ارتكابه جريمة قتل شطيرة الهامبرغر التي كان يأكلها..." وبدأت أكتب وصفاً للضمادة اللاصقة وقلت: "حصلت على ما يكفي من آثار الحمض النووي لكي أربط بين المشتبه به وبين الجريمة... ولكن محاميه جادل بأن الحصول على الدليل كان بطريقة غير مناسبة – سُرق بدون مذكّرة – ولذلك فهو غير مقبول. وكان عليّ أن أقسم بأن المشتبه به أعطاني تلك الشطيرة التي أكل نصفها". وضعت الملاحظة في الكيس البلاستيكي، وأنهيت حديثي بالقول "حسناً، ضحك القاضي من ذلك.." أقفلت الكيس، وسألتُ كايت، "هل يوجد لديك شريط؟"

"كلا، ولكن يمكنني الحصول على واحد. إذاً، ماذا حصل؟"

"لمن؟ آه، أنتِ تعنين الدليل. سألني محامي الدفاع عن السبب الذي يدعو المتهم إلى أن يقدم لي شطيرة الهامبرغر بعد أن أكل نصفها، وبقيت على منصة الشهود لمدة عشرين دقيقة أشرح كيفية حدوث ذلك، ولماذا وضعت الشطيرة في جيبي بدلاً من أن آكلها". ابتسمت وأنا أتذكر تلك الشهادة وقلت لكايت: "انبهر القاضي من كلامي التافه، وقضى بقبول الشطيرة كدليل". وأضفت، "جُنّ جنون محامي الدفاع واتهمني بالكذب".

"ولكنها كانت كذبة، أليس كذلك؟"

"كانت شهادة ضبابية".

لم تعلّق على ذلك، ولكنها سألتني، "هل توصلوا إلى إدانته".

"لقد تم إحقاق الحق".

وجدت المنشفة في قعر الكيس الثاني، وقلت لكايت: "هذه من الحمام أسفل السلّم، وقد استخدمتها في مسح بعض السطوح". وفيما كنت أكتب ملاحظة بشأن المنشفة، قلت: "تنطوي هذه تحت فئة شطيرة الهامبرغر. هل عُرض عليّ الاحتفاظ بالمنشفة أم أني أخذتها بدون مذكّرة تفتيش؟ ماذا ستقولين؟"

أجابت، "لست أنا من عليه أن يجيب عن هذا السؤال، بل أنت".

"أجل". قرأتُ ما كتبته في الملاحظة بصوت عالٍ "عرضها عليّ كارل، وهو موظف يعمل لدى المشتبه به، عندما لاحظ أنها؟ عالقة في سحاب سروالي؟"

"عليك أن تفكر في هذا الأمر".

"أجل. سأكمل كتابة هذه الملاحظة في وقت لاحق. حسناً، مع توفر قليل من الحظ، سيتطابق بعض من هذه الشعرات والألياف التي أخذتها من نادي كاستر هيل مع تلك التي عثرنا عليها على جثة هاري، وبالمثل، ربما سقطت بعض شعرات هاري وألياف من ثيابه في النادي، بحيث تكون في جملة الأشياء التي جمعتها".

لم تعلّق كايت على شيء باستثناء قولها: "لقد قمت بعمل جيد يا جون".

"أشكركِ. كنت تحرّياً ماهراً".

"ولا زلت كذلك".

يا للعجب.

قالت: "أعتقد بأننا جمعنا ما يكفي من الأدلة الجنائية وغيرها لكي نتصل بتوم والش، ونعود إلى نيويورك في أسرع وقت ممكن".

تجاهلت ذلك الاقتراح وعرضت عليها جواربي الصوفية الجديدة، وقلت: "لدينا فرصة أخرى لجمع الأدلة من نادي الصيد". وسألتها، "ما هو نوع الجوارب التي تلبسينها؟"

لم تجب عن سؤالي، ولكنها سألتني، "هل أنت جادّ بشأن دعوة العشاء؟"

"أنا جادّ". وضعتُ ضمادة لاصقة في جيبي وسألتها "كم مرّة يمكن لمشتبه بارتكابه جريمة قتل أن يدعوكِ إلى مائدة العشاء؟"

"حسناً، اعتاد أبناء 'بورغيا' على القيام بذلك طوال الوقت".

"حقاً؟ من يكونون؟ من عائلة غامبيني، أليس كذلك؟"

"كلا، كانوا من عائلة إيطالية نبيلة اعتادت على دسّ السمّ في طعام العشاء الذي تقدّمه لضيوفها".

"حقاً؟ وهل استمرّ الضيوف في النـــزول عندهم؟ هذا غباء مطلق".

"لقد وصلت الفكرة".

نـــزعت غلاف مصبع الشوكولاته، وسألتها، "هل تريدين منّي أن آكل منها شيئاً لترين إن كانت مسمومة؟"

"كلا، ولكن إن كنت جائعاً، فسأتقاسمها معك".

"أود المحافظة على شهيتي من أجل تناول العشاء".

"أنا لن أذهب إلى هناك".

"يا عزيزتي، لقد وجّه دعوة خاصة لكِ".

"وأنـــتَ لن تذهب أيضاً". وسألتني، "أخبرني عن المواضيع التي حدّثك مادوكس عنها".

"حسناً، ولكن علينا أن نتصل بويلما أولاً".

"لماذا؟"

"لأقـــول لهـــا بأننا سنعيد حاسوبها المحمول إليها قبل الساعة السادسة والنصف، ونطلب شريطاً ملفوفاً".

"حـــسناً". جلستْ إلى الطاولة، ومشيتُ نحو الأريكة حافي القدمين لكي لا ألوّث جواربي الجديدة بآثار المكان.

أمـــسكتْ كايت بسماعة الهاتف. قلت لها: "واطلبي من ويلما أيضاً أن تتصل بكِ فوراً إذا شاهدت زوجكِ وهو يقود سيارة هيونداي بيضاء اللون".

اعـــتقدتُ بأن كايت ستقول لي بأنني طفل غبيّ، ولكنها ابتسمت، وقالت: "حسناً". كانت تتمتع بروح فكاهية غريبة.

اتصلتْ كايت بويلما عبر الهاتف وشكرتها على إعارتها لنا الحاسوب المحمول، ووعدتها بأنها ستعيده إليها قبل الساعة 6:30. ثم قالت: "هل يمكنني طلب خدمتين؟ أنا بحاجة إلى شريط ملفوف؛ شريط لاصق من النايلون أو القماش. وسأكون سعيدة لسداد ثمـــنه. أشـــكركِ. أوه، إذا شـــاهدتِ زوجي في سيارة الهيونداي البيضاء، هل يمكنكِ الاتـــصال بي على الفور؟" ابتسمت كايت فيما كانت ويلما تقول شيئاً، ثم قالت كايت: "إنه صديق وحسب، ولكن، حسن، ... أجل".

"أخبريها بأنكِ تحتاجين إلى ما يكفي من الأشرطة لرسغكِ وكاحليكِ، وتأكدي إن كان لديها كريما مخفوقة".

"انتظري لحظة رجاءً.." غطت كايت سماعة الهاتف، وكتمت ضحكتها، وقالت: "جون.."

قلت: "واتصلي بي في حال جاءت سيارة أخرى إلى منــزل البوند".

نظــرت كايت نحوي مجدداً، وأومأت برأسها، وقالت لويلما: "ربما كان زوجي يقــود ســيارة أخرى. ولذلك إذا شاهدتِ أية مركبة تقترب من منــزل البوند – أجل، أشكركِ".

أقفلــت كايــت ســماعة الهاتــف، وقالــت لــي: "اقترحت عليّ ويلما أن يقوم صــديقي بتغييــر المكان الذي أوقف فيه سيارته، وذكّرتني بأنه يوجد باب خلفي عند الشرفة".

ضــحكنا معــاً بسبب هذا الموقف، وهو ما كنا نحتاج إليه. قالت كايت: "كما لو أنني لم أكن أعرف كيف أتخلص من رجل من الباب الخلفي".

"هاي".

ابتسمت، ثم قالت بنبرة جادّة: "أعتقد بأن ويلما باتت حارستنا الآن".

"لديها الحافز".

أومأت كايت برأسها، وقالت لي: "أنت تفكر بطريقة جيدة أحياناً".

"أنا لست متحفزاً".

علــى أيــة حال، تعانقنا وتبادلنا القبلات بعد تأخير، وقلت: "آمل بألاّ تستخدمي بطاقتك الائتمانية".

"إنهم لا يقبلون الشيكات المصرفية على الهاتف".

"حسناً، عندما تصلي إلى المطار، أبلغي ليام غريفيث تحياتي".

"جــون، لا يمكــنهم الحــصول علــى المعلومات الخاصة ببطاقة الاعتماد بهذه السرعة... حسناً، يمكننا أن نذهب بالسيارة إلى مدينة تورونتو هذه الليلة، فهناك العديد من الرحلات المتوجهة إلى نيويورك ونيومارك التي تنطلق من تورونتو".

"لن نعبر حدوداً دولية". وقلت: "حسناً، كيف سارت الأمور معك؟"

فــتحت دفتر ملاحظاتها، ووضعته على الطاولة، وقالت: "حسناً، أولاً، لم أتمكن مــن الــتكلم مع الرائد شافير. فقد حاولت الاتصال به مرتين، وتركت له رسائل بأني سأتــصل بــه مجدداً". وأضافت "أنا لا أعتقد بأنه يرغب في التحدث إليّ. وربما كنت أوفر حظاً".

"سأقوم بالاتصال به لاحقاً". وتمددتُ على الأريكة، وقلت: "لم ألاحظ وجود فريق مراقبة على طريق ماكوين بوند".

"ربما كانوا متخفّين".

"ربما. ولكن ربما أوقف مساعدته لنا".

"ولكنك أكملت طريقك على أية حال".

"كتبتُ ملاحظة على شجرة 'بتولا'".

قالـــت: "بحـــثت فـــي جـــداول أسماء المسافرين، وأوراق الحجوزات على متن الطائرات، واتفاقيات تأجير السيارات. لم ألاحظ أسماء تلفت النظر باستثناء بول دان، وإدوارد وولفـــر، وميخائيل بوتيوف بالطبع". ونظرتْ إلى ملاحظاتها، وأضافت، "كان هـــناك القلـــيل من الأسماء الأخرى التي بدت مألوفة، ولكن ربما كان سبب ذلك أني دوّنـــت الأســـماء بدون أن أقرأها". وأضافت، "وعلى سبيل المثال، هناك اسم جايمس هوكينـــــز. هل يبدو مألوفاً بالنسبة إليك؟ إيّاك أن تقول لي بأنه يلعب في الخط الثالث في فريق اليانكيز".

"حسناً، لن أفعل. هوكينـــز. هل بحثتِ عنه بواسطة غوغل؟"

"أجـــل، ووجـــدت نتيجة ورد فيها اسم جايمس هوكينـــز العضو في هيئة أركان الحرب المشتركة. ووجدت نتيجة أخرى وصفت رجلاً يحمل هذا الاسم بأنه جنرال في سلاح الجوّ. ولكنني لم أستطع التأكد من أن الصفتين تعودان إلى الرجل نفسه".

"حسناً، إذا ذهب إلى نادي كاستر هيل، فعلى الأرجح أنه هو. هل استأجر سيارة؟"

"كـــلا. لقـــد وصل من بوسطن يوم السبت عند الساعة التاسعة وخمس وعشرين دقـــيقة قـــبل الظهـــر، ورحل على متن الرحلة التي أقلعت عند الساعة الثانية عشرة وخمس وأربعين دقيقة من بعد الظهر متوجهة إلى بوسطن يوم الأحد وهي في طريقها إلى واشنطن".

"حـــسناً، إذا ذهـــب إلـــى نادي كاستر هيل، فعلى الأرجح أنه تم نقله إلى هناك بواســـطة المـــركبة المقفلة". وأضفت، "المثير في الأمر أن مادوكس لم يرسل أياً من طائـــرتيه لتـــنقل أياً من تلك الشخصيات المرموقة". وأضفت، "وربما لم يشأ الطرفان إظهار وجود أي رابط بينهما، وهو الأمر الذي يثير الريبة دائماً".

أجابـــت كايـــت، "غالباً ما يعود الأمر إلى عدم رغبة المسؤولين الحكوميين في قبول هدايا ثمينة أو خدمات كبيرة من الأشخاص الأثرياء. إنها مسألة أخلاقية".

قلت: "وهذا أمر أكثر إثارة للريبة. إذاً، ربما كان لدى مادوكس أيضاً عضو في هيئة أركان الحرب المشتركة من جملة من شاركوا في ذلك التجمّع. جنرال في سلاح الجوّ".

قالت كايت: "أتساءل إن كان هؤلاء الضيوف قد عرفوا بأن هاري موجود هناك، وبالأمور التي حصلت له".

لم يكن في مقدوري تخيل تورّط أشخاص مثل هؤلاء في جريمة قتل. ومن ناحية أخـرى، إذا كانـت رهانـاتهم كبيرة، يصبح كل شيء ممكناً. سألت كايت، "ما هي الأسماء الأخرى التي وردت في اللوائح".

"هذا كل شيء. وفي ما يتعلق بعشرات الأسماء الأخرى، نحن بحاجة إلى فريق لدراسة تلك اللائحة لمعرفة من يكون هؤلاء الأشخاص، وما هي صلة كل واحد منهم، إن كانت توجد صلة، بباين مادوكس".

قلـت: "آمل بأن زملاءنا بدأوا العمل على ذلك". وأضفت، "ولكننا لن نتمكن من معرفة النتائج".

لـم تعلّـق على عبارتي الأخيرة، وقالت: "إذاً، دخلت إلى الإنترنت، واستخدمت غـوغل فـي البحث عن باين مادوكس، وتفاجأت من توفر القليل من المعلومات التي تحدثت عنه".

"لا ينبغي أن يشكّل ذلك مفاجأة".

"أعـتقد ذلك. معظم النتائج التي حصلت عليها أشارت إلى مسائل مهنية؛ منصبه كمـسؤول تنفيذي رئيسي وأكبر المساهمين في شركة النفط العالمية". وأضافت، "ولم أجـد الكثيـر من المعلومات المتعلقة بذلك. كما وجدت القليل جداً من المعلومات التي تـتحدث عـن حـياته، ويكاد لا يتضمن شيء منها معلومات شخصية - ناهيك عن الحـديث عـن زوجته السابقة، أو أولاده - وإنما خمسة اقتباسات تقريباً من مصادر مطبوعة، ولكنني لم أجد اقتباساً أو تعليقاً واحداً غير مطبوع أدلى به شخص ما".

قلت: "من الواضح أنه قادر على حذف المعلومات التي يكتبها طرف ثالث عنه".

"هـذا أمـر واضح". ونظرت إلى ملاحظاتها، وقالت: "الشيء الوحيد الذي يثير الاهتمام بطريقة غامضة هو أن حوالى خمسين في المئة مما في حوزته من أسهم في النفط والغاز ونصف أسطوله من ناقلات النفط تملكه مصالح غير معروفة في الشرق الأوسط".

فكّرت في الأمر، وبما قاله لي مادوكس بشأن وزير النفط العراقي أثناء محادثتي معه. هذا يعني بأنه احتاج، على غرار غالبية المدراء في شركات النفط الغربية، إلى التودد إلى بعض الأشخاص في تلك الأراضي الصحراوية. لكن بما أن باين مادوكس لـيس مـن الـنوع الذي يتودد إلى الآخرين، وربما كان يخطط للتخلص من شركائه وللأبد. ربما كان ذلك ما يخطط للقيام به.

سألت كايت، "هل من معلومات أخرى عن مادوكس؟"

"كلا. ثم بحثت في الإنترنت عن عبارة إلف. ولم أعثر على أكثر مما أخبرنا به جون ناسيف، باستثناء أن الروس يستخدمون نظام إرسال موجات إلف بطريقة مختلفة عنا".

"أجل لأن لديهم حروفاً أبجدية أكثر". وتثاءبتُ، وأصغيت إلى صوت معدتي.

قالـت كايت: "هناك اختلاف واحد". نظرت إلى مذكراتها وقالت: "اسمع؛ ترسل الـولايات المـتحدة، كما اكتشفنا، رسائل إلف إلى أسطول غواصاتها النووية كرسائل تنبـيه فـي أوقات التوتر الزائد؛ وترسل رسالة متواصلة إلى غواصاتها النووية تقول فـيها، مـن حـيث المضمون، 'كل شيء على ما يرام'". وأضافت، "وعندما تتوقف الرسـالة الإيجابـية، فذلك يعني أن رسالة ملحّة جديدة في الطريق، وأنه إذا لم تصل الرسـالة في غضون الوقت المتوقع لوصول إشارة إلف إلى الغواصات – أي حوالى ثلاثـين دقيقة – ينبغي تفسير الصمت على أن محطة إرسال الموجات إلف قد دُمّرت، وبالتالـي فإنه يُصرَّح للغواصات بإطلاق صواريخها على الأهداف المحددة مسبقاً في الصين، أو كوريا الشمالية، أو أي بلد آخر".

"يا إلهي، آمل بأنهم يسدّدون فواتير الكهرباء في الوقت المحدد".

"وأنا آمل ذلك أيضاً". وأضافت، "ولهذا السبب تمكن جهاز استقبال موجات إلف لديـنا والموجود في جزيرة غرينلاند من التقاط إشارة إلف الروسية على شبه جزيرة كـولا؛ لأنهـم كانوا يستخدمون بشكل متواصل إشارة 'كل شيء على ما يرام' أثناء أزمـة شهدت توتراً خطيراً، والتي افتعلناها بأنفسنا، على زعم المقالة، من أجل حمل الروس على التحوّل إلى نظام الرسائل المتواصلة، وهو ما أتاح لنا تحديد موقع جهاز إرسال الموجات إلف في شبه الجزيرة كولا".

"واو. ألـسنا أذكـياء؟ إنه فنّ الدفع بالأمور إلى شفير حرب نووية. ألسنا سعداء لانتهاء الحرب الباردة؟"

"أجل. ولكن ذلك حملني على التفكير في مادوكس الذي تمكن مرّة من الحصول علـى شيفرات إلف الأميركية، وربما حصل على شيفرات إلف الروسية". وأضافت، "واستناداً إلى تلك المقالة – التي كتبها رجل سويدي – فإن برمجيات التشفير الروسية ليست معقدة أو صعبة الاختراق مثل برمجياتنا، ولذلك ربما قام مادوكس بضبط تردد محطـته التـي تبثّ مواجات إلف عند التردد الذي يستخدمه الروس، ليحاول إرسال إشـارات زائفـة إلى أسطول الغواصات الروسي لكي يطلق الصواريخ النووية على الصين، أو الشرق الأوسط، أو أي بلد لم يعد يحبّه هذه الأيام".

فكّرت في ما سمعت، وقلت: "أعتقد بأنه إذا كان فك الشيفرات الروسية أسهل من فك شيفراتنا، فهذا احتمال وارد". وأضفت، "جهاز إرسال الموجات إلف نفسه في كاستر، ولكن غواصات نووية مختلفة". وسألتها، "هل حصلتِ على معلومات مثيرة أخرى عن الموجات إلف؟"

"هناك خبر مفاده أن الهنود يتطلّعون إلى بناء محطة إلف".

جلست على الأريكة، وقلت: "لماذا يحتاجون إليها؟ لإطلاق صواريخ التوماهوك؟ لديهم كازينوهات".

"جون، عنيت شبه القارّة الهندية".

"أوه".

"إنهم يعملون على تطوير أسطول من الغواصات النووية. وكذلك الحال مع الصينيين والباكستانيين".

"هذا أمر مقرف. وفي الغد سيجيء دور عمال البريد. وبعدها يمكننا أن نقول وداعاً".

قالت لي كايت: "في الواقع، أضحى العالم مكاناً أخطر للعيش فيه منه إبّان الحرب الباردة عندما كان في الميدان الأميركيون والروس فقط".

"هذا صحيح. ما هو متوسط أسعار المنازل في بوتسدام؟"

لا يبدو أنها تذكرت أننا كنا جالسين إلى الطاولة، غارقَين في أفكارنا. قالت: "كما اكتشفتُ بعض الأخبار الجيدة".

"وما هي؟"

"لا زلت أحاول تحليلها. لكن دعنا نكمل ما تبقّى من معلومات ينبغي أن نناقشها أولاً لكي يظهر لنا سياق الموضوع".

"هل ستأتي أمّك لزيارتنا؟"

"هذه ليست مزحة".

"حسناً، وماذا بعد؟"

"ميخائيل بوتيوف".

الفصل 42

قلت: "ميخائيل بوتيوف. لم نجد أثراً يدل على وجوده في كاستر هيل". سألت كايت، "هل هو موجود في منزله أو في مكتبه؟"

أجابت، "اتصلت بمكتبه أولاً، فقالت السكرتيرة، السيدة كرابتري، بأنه ليس موجوداً، وقلتُ بأني طبيبة والأمر يتعلّق بحالة صحيّة خطيرة".

"كانت تلك حجة جيدة. ولم يسبق أن استخدمتها".

"إنها تنجح دائماً. وعلى أية حال، لانت السيدة كرابتري بعض الشيء، وأخبرتني بأن الدكتور بوتيوف لم يأتِ إلى عمله، ولم يتصل، وأن اتصالاتها بهاتفه الخليوي كانت تحوّل مباشرة إلى البريد الصوتي. كما اتصلت بزوجة بوتيوف، ولكن السيدة بوتيوف لا تعرف أين يوجد زوجها". وأضافت كايت، "من الواضح أن بوتيوف لم يخبر أحداً عن وِجهته".

"هل تمكنتِ من الحصول على رقم الهاتف الخليوي لبوتيوف؟"

"كلا. فالسيدة كرابتري رفضت أن تعطيني إياه، ولكنها أعطتني رقمها الهاتفي الذي يمكنني الاتصال به بعد الدوام، وأعطيتها رقم مجيبي الصوتي". وأضافت كايت، "بدت السيدة كرابتري قلقة".

"حسناً. إذاً بوتيوف غائب بدون إجازة عن معهد ماساشوستس للتكنولوجيا. وماذا عن منزله؟"

"الحال هو نفسه. فقد كادت السيدة بوتيوف تبكي". وأضافت كايت، "قالت سفيتلانا بأنه حتى عندما يكون ميخائيل مع عشيقته، يقوم بالاتصال، ويقدم الاعتذار عن عدم رجوعه إلى البيت".

"إنه زوج طيب".

"جون، لا تكن أخرق".

"أنا أمزح فقط. إذاً، ميخائيل ليس غائباً بدون إذن وحسب، بل إنه مفقود أثناء تأدية الخدمة".

"حسناً، هذا هو حاله، طالما أن القلق بادٍ على زوجته وسكرتيرته. لكنه لا يزال

على الأرجح في نادي كاستر هيل".

أومـــأت برأسي رافضاً هذا التحليل وقلت: "لو كان في النادي، لكان اتصل ببيته أو بمكتبه. لا يمكن لرجل في مثل منصبه، يخضع لمراقبة مكتب التحقيقات الفيدرالي، أن يختفي ويضع زوجته، وعائلته، ومكتبه في وضع يحملهم على التفكير في الاتصال بمكتب التحقيقات". وأضفت، "فهذا آخر شيء يريده بوتيوف".

أومأت كايت برأسها، ثم سألت، "ما هي الحقيقة إذاً؟"

قلـــت: "حـــسناً، من الواضح أنه ليس كل من يدخل نادي كاستر هيل يغادره في الحالة ذاتها التي زاره فيها".

"هـــذا واضـــح". وأضافت، "لقد ذهبت إلى هناك مرّتين، فهل ترغب في الذهاب مرّة ثالثة؟"

"المرة الثالثة ستكون ساحرة".

تجاهلـــت إجابتي، وقالت: "ولذلك، بحثت بواسطة غوغل عن ميخائيل بوتيوف، وحـــصلت علـــى بعض المقالات المنشورة، والقطع غير المنشورة مقتبسة عن علماء فيزياء آخرين كتبوا عنه".

"هل يحبّونه؟"

"إنهم يحترمونه، فهو نجم في عالم الفيزياء النووية".

"هذا أمر رائع. إذاً، لماذا يحوم حول باين مادوكس؟"

"ربمـــا تربط بينهما علاقة مهنية، بالرغم من أنها - بناء على ما نعرفه - ربما تكون علاقة شخصية. وربما كانا مجرّد صديقين".

"إذاً، لماذا لم يخبر زوجته عن المكان الذي ينوي الذهاب إليه؟"

"هـــذا ســـؤال مطـــروح. وعلى أية حال، إننا متأكدان من أن عالماً في الفيزياء الـــنووية اسمه ميخائيل بوتيوف نـــزل ضيفاً على نادي كاستر هيل وهو الآن مفقود. وكل ما عدا ذلك يدخل في دائرة التكهنات".

"هذا صحيح. هاي، هل اتصلتِ بفندق **ذي بوينت**؟"

"أجل. وصلتنا رسالتان من ليام غريفيث يقول فيهما إنه من الضروري أن نتصل به".

""ضروري بالنسبة لمن؟ ليس بالنسبة إلينا. هل قلتِ إننا نسعى إلى شراء رؤوس الأيائل في لايك بلاسيد؟"

"طلـــبت مـــن جـــيم أن يخبر كل من يتصل بنا بأننا نتوقع العودة إلى فندق **ذي بوينت** من أجل المشاركة في مأدبة العشاء".

"هــذا جــيد. وربمــا يساهم في تهدئة غريفيث إلى حين قدومه إلى **ذي بوينت**، واكتشافه أننا خدعناه". وسألتها، "هل اتصل والش؟"

"كلا".

"أترَين؟ لقد تخلّى رئيسنا عنّا. يا له من رجل لطيف".

"أعتقد بأننا من تخلّى عنه يا جون، وهو الآن يردّ لنا الجميل".

"بصرف النظر عما حصل، انسي أمره. هل اتصل أحد سوى غريفيث؟"

"اتــصل الرائد شافير بالفندق، وفقاً لاقتراحك. والرسالة التي تركها لك هي 'لقد أُعيدت سيارتك إلى **ذي بوينت**. وستجد المفاتيح في الصندوق الأمامي'".

"هــذا رائع. لقد نسي إرسال فريق المراقبة، ولكنه لم ينسَ التعمية على أخبارنا أمام مكتب التحقيقات الفيدرالي".

"هل سبق أن قال لك أحدهم بأنك عيّاب؟"

"يــا عزيزتي، عملتُ شرطياً في شرطة ولاية نيويورك طوال عشرين عاماً. أنا رجل واقعي". وأضفت، "أعتقد أننا سبق أن ناقشنا هذا الأمر سابقاً. حسناً، وماذا بعد؟"

تجاهلــتْ موضــوعها المفضل، وقالت: "اتصل رجل اسمه كارل – يبدو اسمه مألــوفاً – وتــرك رســالة تقــول 'العــشاء جاهز'. طلب جيم الحصول على بعض التفاصــيل، ولكــن كارل قال إن السيد كوري يعرف التفاصيل أصلاً وهو يرجو أن يُحــضر الــسيدة مايفيلد كما تم الاتفاق". وأضافت "إذاً، لم يترك مادوكس اسمه أو أي شيء يمكنه ربطه باختفائنا أو بمنــزله".

سألتها، "عن أي اختفاء تتكلمين؟"

"أتكلم عن اختفائنا".

"لماذا أنتِ كثيرة الشك في الناس؟"

"كفّ عن ذلك يا جون". وأضافت، "كما وصلت ثلاث رسائل بريدية صوتية إلى غرفتنا".

"من شخصين غير غريفيث؟"

عادت كايت إلى ملاحظاتها وأجابت، "رسالة من ليام غريفيث عند الساعة الثالثة والتاسعة وأربعين دقيقة، قال فيها بطريقة مرحة: مرحباً يا رفاق. اعتقدت بأنني كنت ســأتمكن من رؤيتكما قبل وقت طويل من الآن. اتصلا بي عندما تتلقّيان هذه الرسالة. آمل بأن تكونا في صحة جيدة".

ضــحكتُ، وقلــت: "يا له من أخرق. إلى أي حدّ يعتقد بأننا وصلنا في غبائنا؟" وأضفت بسرعة، "أنا آسف. يبدو أنني عيّاب".

"الرسالة البريدية الصوتية الثانية تسألنا إن كنّا نودّ تحديد وقت لجلسة التدليك..."

"أجل".

"والرسالة البريدية الصوتية الأخيرة وصلت من هنري، الذي يبدو شخصاً لطيفاً، وهو يسأل فيها عن نوع الخردل الذي ترغب في أن يُضاف إلى السجق الملفوف بالعجين".

"أترين؟ أنتِ لا تصدقينني".

"يا جون، لدينا من المسائل التي ينبغي علينا معالجتها ما هو أكثر إلحاحاً من..."

"هل أعدتِ الاتصال به؟"

"أجل، للإيحاء بأننا عائدان إلى الفندق".

"ماذا قلتِ لهنري؟ خردل من النوع الجاهز للأكل، أليس كذلك؟"

"بلى. إنه في غاية الكياسة".

قلت: "أراد أن يريني دجاجة الأرض التي أعدّها لنا".

تجاهلتْ تعليقي، وقالت: "كما أنني حددتُ موعداً لجلسة تدليك لنا صباح يوم غد".

"هذا جيد. وأنا متشوّق لهذه الجلسة".

"إننا لن نذهب إلى هناك".

"هذا صحيح. حسناً، أنا آسف لأنني سأخيّب ظنّ هنري بعد ما عاناه من مشكلات، ولكنني لست آسفاً على تفويت شراب الكوكتيل مع ليام غريفيث".

بدا على كايت التعب، أو ربما القلق، ووجدت أنني بحاجة إلى أن أقول لها بعض الكلام الحماسي، ولذلك قلت: "لقد قمتِ بعمل رائع. أنتِ أفضل شريكة حصلت عليها في حياتي".

شعرت بأنها مجبرة على الابتسام، وقالت: "أنا لا أصدّقك، ولكنني أجد كلامك في غاية الكياسة".

"أنا أعني ما أقول. أنا أعنيه فعلاً. أنتِ ذكية، وواسعة الحيلة، وشجاعة، وسريعة البديهة، وجديرة بالثقة، ... وماذا بعد...؟"

"أنا رئيستك".

"أجل. أفضل رئيسة عرفتها. حسناً، إذاً، إدارة الطيران الفيدرالية..."

رنّ جرس الهاتف، وقلت لكايت: "هل تتوقعين مكالمة؟"

"كلا".

"ربما كانت ويلما. زوجكِ قد وصل".

ترددتْ، ثم رفعت السماعة وقالت: "مرحباً؟" أنصتت، ثم قالت: "شكراً لكِ. أجل سأخبره بذلك. أشكركِ".

أغلقت السماعة، وقالت: "إنها ويلما. لقد وضعت الشريط اللاصق عند باب غرفتنا. وهي تقول إنه ينبغي على صديقي أن ينقل مركبته المقفلة من مكانها".

ضحكنا، ولكننا كنا متوترَين للغاية. ولذلك اقتربتُ من النافذة، وتحققت من المكان، ثم فتحت الباب، والتقطت لفافة كبيرة من الشريط اللاصق.

جلستُ إلى طاولة المطبخ، وبدأت ألفّ أكياس الأدلة المؤقتة، كما تقتضي القواعد والتشريعات، وقلت لكايت: "أخبريني عن إدارة الطيران الفيدرالية".

لم تجب عن سؤالي، وقالت: "لِمَ لا نستعيد سيارة الهيونداي من رودي، وننقل هذه الأكياس إلى نيويورك؟"

"هل معكِ قلم؟ أنا بحاجة إلى التوقيع على الشريط".

"يمكن أن نصل إلى المبنى بلازا 26 في غضون..." ونظرت إلى ساعتها، وقالت: "عند الساعة الثالثة أو الرابعة فجراً".

"في وسعكِ الذهاب، أمّا أنا فسأبقى هنا. هنا مسرح الأحداث، وهذا هو المكان الذي ينبغي أن أتواجد فيه. أعطِني القلم من فضلك".

أعطتني قلماً كان في حقيبتها، وسألتني، "ماذا يحصل؟"

"لست أدري، ولكن عندما يحصل، سأكون هنا". وقعت على الشريط، وقلت: "في الواقع، ينبغي علينا الانفصال تحسباً... حسناً، ستتوجهين بمركبة رودي المقفلة إلى مينيسوتا، وتستأجرين سيارة أخرى، وتكملين طريقك إلى نيويورك".

جلست على الكرسي بالقرب منّي، وأمسكتْ بيدي، وقالت: "دعني أكمل حديثي عن المعلومات التي توصلت إليها، ثم افعل بعد ذلك ما تشاء".

بدا كما لو كان في يدها ورقة رابحة، وكان ذلك يعني أخباراً سيئة. ومهما كانت هذه الأخبار، فقد كانت تشغل بالها.

قلت: "إدارة الطيران الفيدرالية. هل من أخبار سيئة؟"

"الخبر الجيد هو أنني تمكنت من الحصول على بعض المعلومات. والخبر السيئ هو المعلومات في حدّ ذاتها".

الفصل 43

بــدأت كايت حديثها بالقول: "كانت إدارة الطيران الفدرالية، كما توقعتَ، التحدّي الرئيــسي. ولكــن في نهاية المطاف، أرشدني شخص في الإدارة إلى كيفية الاتصال بمحطــة خدمــة الطيــران الإقليميةِ في كنساس سيتي، حيث وصلت هاتان الطائرتان التابعتان لشركة غوكو بعد ظهر يوم السبت قادمتين من مطار أديرونداك الإقليمي".

"هذا جيد. وماذا قالت إدارة الطيران الفيدرالية في كنساس سيتي؟"

"حــسناً، قالــت إن الطائرتين حطتا في أرض المطار، وأعادتا التزوّد بالوقود، وقدمتا خطّتهما لمواصلة الطيران، ثم أقلعتا". ونظرتْ إلى ملاحظاتها وقالت: "الطائرة الأولــى، وهــي مــن طــراز سيــسنا سايتايشن يقودها الربّان تيم بلاك، ورقم ذيلها N2730G أقلعت في اتجاه لوس أنجلوس. والطائرة التي يقودها الربّان إيلوود بيلمان، ورقم ذيلها N2731G، أقلعت في اتجاه سان فرانسيسكو".

"حقــاً؟" شكل الخبر مفاجأة لي، فقد كنت متأكداً من أن كِلتا طائرتي مادوكس أو إحداهما ستعود إلى مطار أديرونداك الإقليمي، حيث يمكن أن يستقلّها مادوكس ويرحل إلــى حيث يريد الذهاب على عجل. سألتُ كايت، "وهل هاتان المدينتان هما الوجهتان النهائيتان للطائرتين؟"

"يمكن قول ذلك حتى ساعة مضت. فقد اتصلتُ بمحطة خدمة الطيران في لوس أنجلوس وسان فرانسيسكو، وعلمت بأنه لم يجرِ تقديم خطط لرحلات جديدة".

"حسناً، ولكن لماذا توجهتا إلى لوس أنجلوس وسان فرانسيسكو؟"

"هذا ما نحن بحاجة إلى معرفته".

"أجل. كما ينبغي علينا أن نعرف إن كان الطياران يقيمان في تلك المدينتين لكي نتمكن من التحدث إليهما".

"خطــرت ببالــي الفكرة ذاتها، ووجدت أن الطائرات الخاصة تستخدم ما يسمى العملــيات الأساســية الثابــتة بغرض الاهتمام بالطائرات القادمة والمغادرة. في لوس أنجلــوس، اكتــشفت بــأن الطائرات التي تملكها شركة غوكو تستخدم خدمة غاريت للملاحــة الجــوّيّة، في حين تستخدم الطائرة التي حطّت في سان فرانسيسكو خدمات

شــركة تسمى دعم إرشادات الطيران. ولذلك، اتصلت بهاتين القاعدتين، وسألتهما إن كانــتا تعرفان أماكن تواجد الطيارَين ومساعدَيهما. قيل لي بأن الطيار يترك في بعض الأحــيان رقمــاً محلــياً، يعود إلى فندق في العادة، حيث يمكن الاتصال به إذا دعت الحاجــة إلــى ذلــك، أو يترك رقم هاتفه الخليوي. ولكن ذلك لم يحصل هذه المرة. ومعلــومات الاتــصال الوحيدة التي توفرت لدى هاتين القاعدتين كانت قسم الطيران الــتابع لشركة غوكو في مطار ستيوارت الدولي في نيوبورغ، بولاية نيويورك حيث توجد عملياتها الأساسية، وحظيرة الصيانة، ومكتب الشحن".

"وماذا بعد؟ هل اتصلتِ بهؤلاء الأشخاص؟"

"أجل، اتصلت بمكتب الشحن التابع لشركة غوكو في مطار ستيوارت، ولأسباب واضحة لم أعرّف عن نفسي بأنني عميلة في مكتب التحقيقات الفيدرالي، ولذلك لم أجد من يعطيني أية معلومات عن طاقمي الطائرتين".

"هل قلتِ لهم إنك طبيبة وأن الطيارَين ومساعدَيهما عميان من الناحية القانونية؟"

"كلا، ولكنني سأساعدك على الاتصال بهم لنرى ما يمكنك أن تتوصل إليه".

"ربما في وقت لاحق". وسألتها: "ما اسم الطيارَين المساعدَين؟"

أجابــت "الغريب في الأمر أنه لا يُشترط في تقرير الرحلات المزمعة ذكر اسم الطيار المساعد".

فــي وســعي الاستنتاج بأن إدارة الطيران الفيدرالية لم تشدّد إجراءاتها المتعلقة برحلات الطائرات الخاصة منذ 11 سبتمبر/أيلول. ولكنني كنت أعرف ذلك مسبقاً.

قالت كايت: "ولكن تقرير الرحلات المزمعة يبيّن عدد الأشخاص الذين على متن الطائرة، وكان في كلتا الطائرتين اثنان، الطيار ومساعد الطيار".

"حــسناً، إذاً حطــت الطائرتان في لوس أنجلوس وسان فرانسيسكو، ولم يكن يــوجد علــى متــنهما ركــاب، وأنــا أفتــرض بأن الطيار بلاك والطيار بيلمان ومــساعدَيهما يستمتعون بمناظر لوس أنجلوس وسان فرانسيسكو في انتظار ورود تعليمات إضافية".

"يبدو أن الأمر كذلك".

فكّرت في كل ما سمعتُه، واستنتجت بأنه ربما لم يكن له معنى وأن الأمور تسير بــشكل عادي تماماً. فما هي الغرابة في أربعة طيارين يحلّقون بطائرتيهم عبر القارّة بــدون ركاب، ويحرقون الوقود بمعدل عدة مئات من الغالونات في الساعة، في حين يــورّد رئيسهم كميات كبيرة من الوقود إلى البلاد بواسطة ناقلات النفط التي يملكها. سألت كايت، "هل يبدو الأمر غريباً في نظركِ؟"

أجابت، "ربما يكون الجواب نعم، ولكننا لا نعرف هذا العالم". وأضافت، "وعلى سبيل المثال، أشار إليّ أحد الموظفين في مركز العمليات الأساسية الثابتة في سان فرانسيسكو إلى أنه ربما قام شخص باستئجار هاتين الطائرتين من أجل نقل شحنة صغيرة من سان فرانسيسكو".

أجبتها، "هل تعتقدين بأن رجلاً مثل مادوكس يؤجر طائرتيه الخاصتين لكي يكسب حفنة من الدولارات؟"

"من الواضح أن بعض الأثرياء يقومون بذلك". وأضافت، "ولكن هناك المزيد من المعلومات".

"كنت آمل بأن يكون هناك المزيد منها".

قالت كايت: "تحدثتُ إلى سيدة اسمها كارولِ أسكريزي تعمل لدى شركة دعم خدمات الطيران في سان فرانسيسكو وقالت لي إنه طُلب منها نقل الطيار ومساعده في مركبة الاستقبال إلى خط سير مركبات الأجرة في المحطة الرئيسية".

لم أجد الأمر هاماً أو غير اعتيادي، ولكن كان في وسعي الاستنتاج من نبرة السيدة مايفيلد بأنه كان بخلاف كذلك. "وماذا بعد؟"

"قالت السيدة أسكريزي بأن الشركة غوكو، على غرار غالبية الشركاتِ الكبيرة، تحجز سيارة وسائقها سلفاً لكي تنقل طاقم الطائرة إلى أي مكان يريد الذهاب إليه. ولذلك استغربت لجوء هذا الطيار ومساعده إلى طلب سيارة أجرة من المحطة الرئيسية". وأضافت كايت، "ولذلك، أخبرتني السيدة أسكريزي، التي أرادت مجاملة العملاء الجيدين، بأنها عرضت نقل الرجلين إلى الفندق الذي ينويان النزول فيه". وأضافت، "من الواضح أن الطاقم ينزل في العادة في مكان ما بالقرب من المطار. ولكن الطيار المساعد عبّر عن شكره لها وأخبرها بأنهما ينويان الذهاب إلى وسط المدينة، واستقلاً سيارة أجرة".

"حسناً، هل عرفتِ المكان الذي توجها إليه؟"

"كلا، فهما لم يخبرا السيدة أسكريزي بذلك".

أعتقد بأن ذلك يفسر سبب استعانتهما بسيارة أجرة بدلاً من سيارة الاستقبال، وسبب عدم وجود سيارة خاصة تنتظرهما. "حسناً، هل يوجد شيء آخر؟"

"أجل، أخبرتني بأنه كان في حوزة الطيار ومساعده حقيبتان جلديتان سوداوان كبيرتان. كانت الحقيبتان مقفلتين، وتسيران على عجلات، وكانتا ثقيلتين جداً، بحيث احتاج الرجلان إلى أن يتعاونا في تحميلهما في السيارة المقفلة".

قلت: "حسناً، حقيبتان كبيرتان وثقيلتان، مقفلتان ويجري سحبهما على

عجلات. أعتقد بأن تلك كانت الشحنة التي رآها تشاد في المطار هنا. والآن، جرى إنــــزالها في سان فرانسيسكو، وأنا أفترض بأنه حصل في لوس أنجلوس الشيء نفسه". لم تكن كايت تحاول الخروج من هذه المعلومات باستنتاج معين، ولذلك قلت لهـــا على سبيل المساعدة: "ربما اصطحب الرجلان زوجتيهما أو عشيقتيهما على متن الطائرة بنيّة تهريبهما، وأن هاتين الحقيبتين الثقيلتين تحتويان على ثياب تكفي السيدتين مدة يومين".

سألتني، "كيف تمكنتَ من الإتيان بإيماءة جنسية في محادثة تتعلق بشحنة منقولة جواً؟"

"أنـــا آســف". كـــان الأمـــر سهلاً. "كنت أتكهن وحسب". ومن أجل المزيد من التكهنات قلت: "إذاً، هل كانت الشحنة ذهباً؟ جثتين؟ أو شيئاً آخر؟"

قالت كايت: "ينبغي أن تفكر في الأمر".

"حسناً، ماذا قالت كارول أسكريزي في هذا الخصوص؟ هل انتابها شكّ في أمر معيّن؟ هل تصرّف الطيار ومساعده بطريقة مريبة أو عصبية؟"

"تـــصرف الطيار ومساعده، استناداً إلى ما قالته كارول، بطريقة طبيعية تماماً، وكانـــا يتـــبادلان النكات بشأن وزن الحقيبتين وحقيقة أن الشركة غوكو لم تحجز لهما ســـيارة وسائقها. وقد اختلى الطيار المساعد بالسيدة أسكريزي وقال لها بأنه يأمل بأن يراها يوم الأربعاء عندما يعودان إلى المطار ويغادرانه".

"حسناً، ما هي الوجهة التي سيغادران إليها؟"

"قال الطيار المساعد بأن الوجهة النهائية هي لاغارديا، ولكنه لم يذكر المحطات التـــي ســـيتوقف فيها قبل الوصول إليها". وأضافت، "ترك الطيار تعليمات لدى شركة دعم الطيران يطلب فيها تجهيز الطائرة لكي يغادر ظهر يوم الأربعاء وخزاناته مليئة بالوقود".

"حسناً، إذاً، بدا الطيار ومساعده، استناداً إلى ما قالته أسكريزي، طبيعيَّين، ولكن لا يـــبدو أن الشحنة كانت كذلك". فكّرت في الأمر، وقلت: "إذاً، تم نقل الشحنتين إلى لوس أنجلوس وسان فرانسيسكو على متن طائرتين خاصتين بدلاً من نقلهما في طائرة واحدة تهبط في هاتين المدينتين المتجاورتين".

"هذا صحيح".

"ولـــم تكن هناك سيارة وسائق لنقل كل من الطاقمين وهاتين الشحنتين إلى حيث ينبغي نقلهم".

"هذا صحيح".

"كمـــا أن الطيار طلب من شركة الدعم في سان فرانسيسكو تجهيز الطائرة لكي يقلع بها ظهر يوم الأربعاء إلى وجهته النهائية في لاغارديا. ولكنني أستنتج مما ذكرتِه لي بأنهما لم يقدما تقريراً عن رحلاتهما المزمعة إلى إدارة الطيران الفيدرالية".

"هــذا صــحيح. لكن ذلك ليس أمراً غير عادي". وأضافت، "تبيّن لي أنه ينبغي تقــديم تقاريــر الــرحلات المزمعة قبيل الإقلاع بالطائرة، للأخذ بعين الاعتبار حالة الطقس الحالية، وحركة المرور في المطار، وما إلى ذلك".

"هذا أمر منطقي".

أجابت، "أنا آسفة لأنني لم أستطع أن أغذّي وساوسك".

"أوه، لا تقلقــي بشأن ذلك. لقد استنتجت المزيد مما قلته لي. في الواقع، الوجهة النهائية السرّية للطيار ومساعده هي سان فرانسيسكو".

"ولماذا تصفها بالسرّية؟"

"حسناً، لم يتم استئجار سيارة وسائق، وهو الأمر الذي يترك أثراً مكتوباً، إضافة إلـــى أنهما فوّتا على نفسيهما فرصة الانتقال بمركبة الاستقبال المقفلة إلى المدينة بعد تحمــيلهما الحقيبتــين المملوءتــين بالطوب أو ما شابه، وإنــزالهما عند خط سيارات الأجــرة، ثــم تحميلهما في سيارتي أجرة، بسبب حجمهما الكبير، لينتقلا بعد ذلك إلى المدينة. هل يبدو هذا الأمر منطقياً؟"

"كلا. ولهذا السبب اتصلت بخدمة غاريت للملاحة الجوّية في لوس أنجلوس فردّ علــى مكالمتي شخص اسمه سكوت الذي طرح على زملائه بعض الأسئلة فيما كنت أنتظر، ثم عاد بالقصة ذاتها تقريباً؛ حقيبتان سوداوان كبيرتان، نقلتهما مركبة الاستقبال المقفلة إلى خط سيارات الأجرة فقط".

"إذاً، مــن الواضــح أن الأشــخاص الأربعة تلقّوا تعليمات متشابهة، وأن لهذين الطاقمــين وجهة أو وجهات سرّية في لوس أنجلوس وسان فرانسيسكو، وأن هذا هو سبب انتقالهما بواسطة سيارات أجرة، التي يتطلب تعقّبها الكثير من الحظ". وأضفت، "ولــذلك، فالــسؤال المطــروح هو هل لهذا الأمر علاقة بالخطة الجهنمية التي أعدّها مادوكس لكي يصبح إمبراطور أميركا الشمالية، أو تحقيق أي شيء لعين يصبو إليه؟ أم أنه ليس للأمر علاقة بتلك الخطة؟"

"أعتقد بأن هناك علاقة بين الأمرين".

"وهل هذه هي الأخبار السيئة؟"

أجابــت، "إنـــنا بحاجــة إلى مزيد من القرائن. والآن، حدّثني عن المحادثة التي جرت بينك وبين مادوكس".

"حسناً، وهل ستطلعينني بعد ذلك على الأخبار السيئة؟"

"أجل. ما لم تتمكن من معرفتها بنفسك قبل أن ننتهي من بحث البنود الأخرى في جدول الأعمال".

"هذا تحدٍّ. حسناً، هل أنا بحاجة إلى شيء لكي أستنتج الأخبار السيئة؟"

"لقــد وصلتَ إلى النقطة التي استنتجتُ عندها الأخبار السيئة". وأضافت، "وبعد ذلك، حصلتُ على المزيد من المعلومات التي أكّدت لي ما كنتُ أخشاه".

"إنه تحدٍّ مثير".

فكّــرتُ في الأمر، واعتقدت بأن شيئاً ما يختمر في دماغي، ولكن قبل أن أتمكن من الإفصاح عنه، قالت كايت: "كاستر هيل، باين مادوكس".

جميع الطرق تعود مجدداً إلى كاستر هيل وباين مادوكس.

الفصل 44

عــدت لأجلس على الأريكة، فيما جلست كايت على كرسي مريح. قلت: "حسناً، أولاً، كـــان باين مادوكس يتوقّع وصولي". وأضفت، "كل الأدمغة العبقرية تفكر بنفس الطريقة".

أحــبّ أن أراهـــا وهي تجول بعينيها، لأن المشهد ظريف جداً. أضفت، "بدا أن الموظفـــين الـــذين يعملون في المنـــزل قد رحلوا، ولكن الحرّاس كانوا هناك، وكذلك كارل".

أوجـــزتُ لكايت ما دار بيني وبين مادوكس، بما في ذلك المناقشات الهامشية حول التعرّض للإصابة أثناء الخدمة، وهوس مادوكس الغريب بالدببة. وقلت لها: "لكـــن ربمـــا لا تكون هذه المواضيع هامشية. ربما كان مادوكس يتحدث بطريقة مجازية".

أجابت كايت، "يبدو لي أن الأمر أشبه بتفاهات رجولية".

"أجل. والأهم من ذلك أنني أخبرت السيد باين مادوكس بطريقة رسمية أنه شاهد أساســـي في جريمة قتل محتملة". وشرحتُ له شكوكي المصطنعة بأن أحد حرّاسه هو قاتل مولر. وأضفت، "وهكذا تمكنا من وضعه في موقف صعب".

ذكّرتني كايت بالقول: "إن قتل عميل فيدرالي لا يُعتبر جريمة فيدرالية".

"حسناً، ينبغي أن يُعتبر كذلك".

"ولكـــن الحال ليس كذلك". وأضافت، "إن شرطة ولاية نيويورك هي التي تملك صـــلاحية التحقـــيق، وهـــذا يعني الرائد شافير". وسألتني، "ألا تدرّس هذه الأمور في صفّك في كلّية جون جاي للتحقيق الجنائي؟"

"أنـــا أدرّســـها، ولكنني لا أمارسها". وأضفت، "في الواقع، أمّنت التغطية لنفسي عبـــر استعمال عبارة اعتداء، والتي تعتبر جريمة فيدرالية". وأضفت، "مادوكس ليس محامياً. إنه مشتبه فيه".

"ولكن لديه محامٍ".

"لا تقلقي بشأن ذلك".

بـــدت غاضـــبة منّـــي، ولكـــنها أذعنتْ قائلة: "أعتقد بأنها كانت خطوة جيدة". وسألتني، "هل هذه هي المرحلة التي دعاك فيها إلى العشاء؟"

• "فـــي الواقـــع كانت كذلك". وأضفت، "سيقوم بجمع بعض المعلومات التي طلبت الحصول عليها".

"أجـــل. حـــسناً، أنت بحاجة الآن إلى إبلاغ الرائد شافير وتوم والش رسمياً بما قمتَ به".

"سأفعل".

"متى؟"

"لاحقـــاً". وأكملت حديثي عن المسائل التي تحدث عنها مادوكس، ولكنني لم آتِ علـــى ذكـــر اللحظة التي فكّرت فيها بحلّ تقليدي بسيط لمشكلة معقدة. أردت أن أقول لزوجتي وشريكتي: "كما أن مادوكس حلّ مشكلته مع هاري مولر بأقل قدر من الأدلة، ففـــي وســـعي حـــلّ مشكلة مادوكس برمّتها في أقلّ من الزمن اللازم لرفع الضمادة اللاصـــقة عـــن البساط". ولكنني لم أقل ذلك. ولكنني قلت: "عبّر مادوكس عن تعازيه الحارة بهاري، بالرغم من أنه لم يستطع تذكّر اسمه".

نظـــرت كايـــت إليّ. وأضفت، "أراد مادوكس أن يعرف إن كان يوجد صندوق يمكن أن يساهم فيه".

بقـــيت تنظر إليّ، واعتقدت بأنها تشتبه في أنني فكّرت في العدالة المعجّلة التي يلجأ إليها القتلة من رجال الشرطة بين الحين والآخر.

قالت كايت: "اتصلتُ بلوري باهنيك، صديقة هاري".

أخذنـــي الخبـــر على حين غرّة، ولكنني أدركت بأنه كان ينبغي عليّ القيام بذلك أصلاً. قلت: "كان ذلك تصرّفاً لطيفاً منكِ".

أجابت كايت، "لم تكن محادثة سهلة، ولكنني أكّدت لها أننا نبذل كل ما في وسعنا لحلّ القضية".

أومأتُ برأسي.

"ســـألتني لوري أن أبلّغك تحياتها". وأضافت كايت، "إنها سعيدة لأنك تعمل على حلّ القضية".

"هل قلتِ لها إنني لم أعد مكلّفاً بالقضية؟"

"كـــلا، لم أقل لها ذلك". ونظرت إليّ، وقالت: "آخر كلام سمعته هو أنني وأنت مكلّفان بالقضية".

تبادلـــنا النظرات والابتسامات الخفية. انتقلت إلى موضوع آخر، فقلت: "حسناً، الخلاصة هي أن باين مادوكس يشعر بالضغوط الآن، وربما يقدم على عمل غبيّ، أو يائس، أو ذكيّ".

أجابت كايت، "أعتقد بأنه أقدم على هذه الأفعال الثلاثة معاً بدعوتك إلى العشاء".

"تعنين دعوتنا يا عزيزتي. وأنا أعتقد بأنك على صواب".

"أعــرف أنني على صواب. إذاً، لماذا لا ترتكب العمل الخاطئ وتذهب إليه؟ أو لماذا لا تبادر إلى عمل أكثر ذكاء وتمتنع عن الذهاب". وسألتني، "هل يمكنني الاتصال بتوم والش الآن؟"

تجاهلــت ســؤالها، وأكملــت حديثي، "كما أنني ألقيت نظرة فاحصة على الفناء الخلفـــي لبـــيت مادوكس من نافذة مكتبه في الطابق الثاني. توجد ثكنة كبيرة بما يكفي لاســـتيعاب مـــا بين عشرين وثلاثين رجلاً، ولكنني أعتقد بأنه لا يعمل في كل مناوبة أكثـــر من نصف هذا العدد. كما رأيت مبنى حجرياً تعلوه ثلاث مداخن تنفث الدخان، وشاحنة تابعة لشركة تقدم الصيانة لمولّدات الديزل متوقفة في الخارج".

أومـــأت برأسها، وقالت مجدداً: "ربما آن الأوان لتقاسم هذه المعلومات. سأتصل بتوم، فيما تتصل بالرائد شافير".

قلـــت: "حسناً، سأتصل بهانك شافير أولاً لكي يكون لدينا المزيد من المعلومات التي سنتباحث بشأنها مع توم ولش".

نهـــضتُ، واقتـــربت من طاولة الهاتف، واستخدمت بطاقتي الائتمانية الهاتفية، واتصلت بمقرّ شرطة الولاية في راي بروك.

وجدت الرائد شافير في انتظار المحقق كوري، وسألني، "أين أنت؟"

ضغطت على زرّ المجهار، وأجبت، "لست متأكداً من المكان، ولكنني أنظر إلى قائمة طعام مكتوبة باللغة الفرنسية".

لـــم يجـــد الرائد شافير كلامي مسلّياً، وسألني، "هل وصلتك رسالتي بأن السيارة التي استأجرتَها من شركة هيرتز أصبحت في **ذي بوينت؟**"

"أجل. شكراً لك".

قال لي: "صديقك، ليام غريفيث غاضب منك".

"عليه اللعنة".

"هل ينبغيّ عليّ تبليغه هذه العبارة؟"

"سأقوم بذلك بنفسي. وبالمناسبة، ذهبت إلى نادي كاستر هيل ولم أجد أثراً لفريق مراقبة هناك".

أجـــاب، "حـــسناً، كان الفريق هناك، ولكنني سحبته إلى الطريق 56 لأن سيارة الجيب السوداء تلك بقيت تجوب المكان". وأضاف، "لديّ فريق آخر على طريق قطع الأخشاب تحسباً لاحتمال انتقال أحدهم إلى الطرقات الخلفية أو خروجه منها".

"حسناً". وسألته، "هل وجد فريق المراقبة شيئاً جديداً؟"

أجـــاب، "لم يصل أحد إلى نادي كاستر هيل باستثنائك في سيارة الهيونداي التي اســـتأجرتَها من شركة إنتربرايز، كما وصلت شاحنة لإحدى شركات صيانة مولّدات الديـــزل". وأعطانـــي التفاصيل المتعلّقة بوصولي ورحيلي، وسألني، "ماذا كنت تفعل هناك؟"

"سأكلمك عن هذا الموضوع". وسألته، "هل غادرت الشاحنة أم بعد؟"

"مـــنذ خمس دقائق لم تكن قد غادرت بعد". وأضاف، "لم يغادر أحد آخر أرض النادي، ولذلك أعتقد بأن بوتيوف لا يزال هناك". وسألني، "هل لاحظت شيئاً يشير إلى أنه موجود هناك؟"

"كـــلا أنا لم ألاحظ شيئاً يدلّ على ذلك". وسألته، "هل لحق بي أحد بعد مغادرتي لنادي كاستر هيل؟"

"كلا".

"وكيف عرفت؟"

"لأن ســـيارة المـــراقبة أجرت اتصالاً مباشراً معي، وقالت إن السيارة تعود إلى شركة إنتربرايز لتأجير السيارات، وأن اسم المستأجر هو السيد جون كوري. ولكنني قلت لهم إنك في مهمة".

"حسناً". إذا كان ذلك صحيحاً، فهذا يعني أن شرطة الولاية لم تشاهد عملية تبادل الـــسيارتين في محطة رودي. وإذا لم يكن كلامه صحيحاً، فهذا يعني أنني أتجوّل في المـــنطقة فـــي مـــركبة مقفلة ساخنة. ولكن ذلك لا يهم إلاّ في حال لم أكن أثق بالرائد شافير. وأعتقد أنني كنت سألاحظ رجال الشرطة لو كانوا يلاحقونني.

سألني الرائد شافير مجدداً، "ماذا كنت تفعل هناك؟"

"كنت أجري تقييماً للمشتبه فيه، وأجمع بعض الأدلة الجنائية".

"أي نوع من الأدلة الجنائية؟"

"شعرات وألياف من البُسُط". وشرحت له ما قمت به هناك.

أصغى الرائد شافير، ثم سألني، "أين توجد هذه الأدلة الآن؟"

"إنها في حوزتي؟"

"ومتى ستسلّمني إيّاها؟"

"حسناً، أعتقد بأن هناك مسألة تتعلق بالصلاحيات ينبغي أن تُحلّ أولاً".

"كلا لا وجود لمثل هذه المشكلة. فجريمة القتل جريمة وقعت في ولاية".

ذكّرته قائلاً: "أنت لم تصنّف الحادث على أنه جريمة".

ساد الصمت للحظات فيما كان شافير يفكر في عواقب موقفه المتأرجح. وأخيراً قال: "في وسعي اعتقالك لأنك تخفي أدلة".

"يمكنك القيام بذلك إذا كنت تستطيع العثور على مكاني".

"يمكنني أن أجدك".

"كــلا، فأنا جيد في هذا الأمر". وقلت: "أنا أفكر في ما هو الأنسب لهذا التحقيق، وما هو الأنسب لي ولشريكتي".

"لا تضيع الكثير من وقتك في التفكير". وسألني، "ماذا قال لك مادوكس؟"

"تحدثنا عن الدببة". وقلت للرائد شافير: "أبلغت باين مادوكس بأنه شاهدٌ مهم في تحقــيق جنائـــي محتمل". شرحت له كيفية قيامي بذلك، وختمت حديثي قائلاً: "والآن، أصبح بحاجة إلى التعاون طوعاً أو كرهاً، وهو ما يضع مزيداً من الضغوط عليه".

أجـــاب شـــافير، "أجل، أنا أفهم كيفية تأثير ذلك أيها التحرّي. أشكرك". وسألني، "متى أصبحت جريمة وقعت في ولاية نيويورك جريمة فيدرالية؟"

"متى أصبحت وفاة هاري مولر جريمة قتل".

مـــن الواضـــح أن الرائد شافير لم يكن سعيداً معي ولا مع أساليبـــي، ولذلك لم يجـــب عـــن سؤالي، ولكنه قال: "ربما يجد مادوكس نفسه الآن بحاجة إلى التعاون في التحقيق، ولكنك لن تراه بعد الآن بدون أن يكون محاميه حاضراً".

تـــساءلت إن كـــان محامـــي مـــادوكس سيحـــضر العشاء. وفي ما يتعلّق بهذا الموضوع، قررت ألاّ أخبر شافير بدعوة مادوكس لي لتناول العشاء إلى أن أصبح في طريقـــي إلى نادي كاستر هيل. أعني أنني كنت بحاجة إلى إحاطته علماً بالمكان الذي أنا فيه، تحسباً لوقوع مشكلة. ولكنني لم أشأ إطلاعه على ذلك في وقت مبكر جداً كي لا يصبح هو أو غريفيث جزءاً من المشكلة باعتقالهم لي.

قـــال: "حسناً، لقد أدّيت لك بعض الخدمات، وبدورك أدّيت لي بعض الخدمات. وأعتقد أننا متعادلان في موضوع الخدمات".

"في الواقع، هناك بعض الخدمات التي أريدك أن تسديها إليّ".

"قدّمها لي في تقرير مكتوب".

"وبذلك أصبح مديناً لك بخدمة".

لم أسمع جواباً. أعتقد بأنه كان غاضباً. وبالرغم من ذلك، قلت: "بالحديث عن الديزل، هل تمكنت من معرفة مقدار طاقة هذه المولّدات التي في كاستر هيل؟"

"لماذا تعتقد أن لهذا الأمر أهمية؟"

"لا أعرف إن كان ذلك مهماً، وأنا متأكدّ من أنه ليس كذلك، ولكنني رأيت المبنى هناك..."

"أجل، وأنا رأيته أيضاً، عندما كنت أصطاد هناك".

تركت بضع ثوانٍ تمرّ، ثم قال: "طلبت إلى أحد رجالي أن يتصل بشركة بوتسدام ديزل، ولكنه حصل على معلومات خاطئة، أو أن الشخص الذي في الشركة لم يقرأ الملف على الوجه الصحيح؟"

"وماذا يعني ذلك؟"

"حسناً، قيل للشرطي بأنه يمكن لهذه المولّدات إنتاج ألفي كيلوواط". وأضاف، "أعني كلّ واحد منها. اللعنة، يمكن أن يغذّي ذلك بلدة صغيرة. لا بدّ وأن الرقم الصحيح هو عشرون كيلوواط، أو ربما مئتا كيلوواط على الأكثر، أو ربما يمكنها توليد عشرين ألف واط".

قال لي: "دعني أسدي إليك هذه النصيحة".

"حسناً".

"أنت لا تعمل لوحدك. هذا جهد جماعي. عد إلى الانضمام إلى الفريق".

رفعت كايت يدها تأييداً للاقتراح.

قلت للرائد شافير: "لقد تأخر الوقت قليلاً على القيام بذلك".

"ينبغي أن تأتي وزوجتك إلى مقرّ الشرطة الآن".

إنه لأمر رائع دائماً أن أُدعى إلى المنزل مرة أخرى، كما أنه أمر مغرٍ، ولكنني لم أعد أثق بعائلتي بعد الآن، ولذلك قلت: "أعتقد بأن كافة العملاء الفيدراليين الذين تحتاج إليهم موجودون هناك".

ولكنه عرض عليّ اقتراحاً فقال: "سألتقي بك في مكان تشعر فيه بأنك... أكثر أمناً".

"حسناً. سأخبرك بمكان ذلك اللقاء لاحقاً".

وقبل أن يتمكن من الإجابة، قطعت المكالمة، ونظرت إلى كايت التي قالت: "أعتقد بأنه يجدر بنا الذهاب إلى..."

"انتهت المناقشة. لنبدأ الحديث عن موضوع جديد: شركة بوتسدام ديزل". أمسكتُ بسماعة الهاتف، واتصلت بشركة بوتسدام ديزل التي تذكرت رقمها الهاتفي

من شاحنتها التي رأيتها في النادي. أجابت سيدة شابّة، "هنا شركة بوتسدام ديزل، وأنا ليو آن. كيف يمكنني أن أساعدك؟"

ضغطت على زرّ المجهار، وقلت: "مرحباً يا ليو آن. أنا أدعى جو، الناظر في نادي كاستر هيل".

"أجل سيدي".

قلت: "لدينا آل الذي يعمل على صيانة المولّدات".

"هل توجد مشكلة؟"

"كلا. هل تستطيعي سحب ملفات المبيعات والصيانة من أجلي؟"

"انتظر".

بدأ المجهار يسمعنا موسيقى موزاك، وقلت لكايت: "لم يصدّق شافير أن المولّدات يمكنها إنتاج ستة آلاف... ماذا تسمى؟ ميغاواط؟"

أجابت كايت "كيلوواط. ستة آلاف واط تساوي ستة ملايين واط. وعادة ما تستهلك اللمبة العادية خمسة وسبعين واط".

"واو. هذا مقدار كبير من..."

عادت ليو آن، وقالت: "لقد حصلت عليها. كيف يمكنني أن أساعدك؟"

قلت: "حسناً، إذا انقطع التيار الكهربائي، وقمت بتشغيل المولّدات، هل يمكنني تحميص الخبز وإعداد القهوة في الصباح؟"

ضحكت، وقالت: "يمكنك تحميص خبز وإعداد قهوة تكفي بوتسدام".

"حقاً؟ ما هو مقدار الطاقة بالكيلوواط التي يمكنني الحصول عليها؟"

أجابت ليو آن،"حسناً، لديك ثلاثة مولّدات ديزل من نوع ديترُويت براند، ست عشرة أسطوانة، يمكن لكل منها إنتاج ألفي كيلوواط".

تبادلت وكايت النظرات.

قلت لليو آن: "لا بدّ وأنكِ تمزحين؟ كم مضى على تاريخ صنع هذه المولّدات؟ هل آن أوان استبدالها؟"

"كلا. تم تركيب هذه المولّدات في العام 1984، وليس هناك عمر افتراضي لها".

"كم يبلغ ثمن مولّد جديد؟"

"لست متأكدة، ولكنّ ثمنها كان 245 ألف دولار في العام 1984".

"أتقصدين ثمن المولّد الواحد؟"

"أجل. ولكن السعر أعلى بكثير هذه الأيام". وسألتني، "هل تعانون من مشكلة في الصيانة؟"

"كــلا. يقوم آل بعمل رائع. وفي مقدوري رؤية عرقه من هنا. متى سيفرغ من عمله؟"

"حسناً، لدينا آل وكيفن فقط، وقد جرى الاتصال بنا يوم السبت، ونحن مشغولون فعلاً... أنت تعرف أنكم تدفعون تكاليف الصيانة على أساس مستعجل".

تبادلت وكايت النظرات. قلت لليو آن: "لا توجد مشكلة. في الواقع، أضيفي ألف دولار إلى فاتورة السيد مادوكس مكافأة لآل وكيفن".

"هذا كرم كبير منك..."

"إذاً، كم بقي من الوقت في اعتقادكِ؟ ساعة أخرى؟"

"لــست أدري. هــل تريد منّي أن أتصل بهما، أم تفضل الذهاب مشياً والتحدث إليهما؟"

"أرجــو منكِ أن تتصلي بهما. سنقيم مأدبة عشاء كبيرة، ولذلك يمكنهما الذهاب الآن والعودة في وقت لاحق".

"متى تريد منهما العودة؟"

"في الواحد والثلاثين من نوفمبر/تشرين الثاني".

"حسناً، ... أوه شهر نوفمبر ثلاثون يوماً".

"ســأحدد الموعد القادم لاحقاً. وفي هذه الأثناء، يمكنكِ أن تطلبي منهما الرحيل. سأنتظر".

"انتظر من فضلك".

بدأت أسمع على الهاتف موسيقى "الدانوب الأزرق" لسبب ما، وقلت لكايت: "كان ينبغي أن أقوم بذلك قبل ساعة من الآن".

أجابــت، "أن تتصل متأخراً خير من ألاّ تتصل على الإطلاق". وأضافت، "ستة آلاف كيلوواط".

"أجل. لماذا أستمع إلى سيمفونية الدانوب الأزرق؟"

"لأنك تنتظر آن".

"هل ترغبين في الرقص؟"

عــادت لــيو آن، وقالت: "حسناً، لديّ أخبار طيبة. لقد فرغا من عملهما، وهما يوضبان أدواتهما".

"هذا رائع". يا له من حظ سيئ.

"هل توجد خدمة أخرى يمكن أن أؤديها لك؟"

"ابتهلي من أجل السلام العالمي".

"حسناً، إنه اقتراح لطيف".

"ليو آن، أتمنّى لكِ أمسية طيّبة".

"وأنا أيضاً يا جو".

وضـــعتُ السماعة، وقلت لكايت: "إنها المرّة الأولى في تاريخ العالم التي يتمكن فيها طاقم صيانة من إكمال عمله قبل الموعد المحدد".

قالـــت: "لم يكن مادوكس ليسمح لهما بالرحيل على أية حال". وأضافت، "إذاً، إذا كنّا على قناعة بأننا نبحث عن هوائي إلف، ينبغي أن تكون هذه المعلومات مقنعة لنا".

"أنا مقتنع فعلاً. وهذه هي الحجة المفحمة". وأضفت، "إذا لاحظتِ الأواني الفضية وهي تلمع، أعلميني بذلك".

"جون، إننا لن نذهب..."

"ما هو الجانب السيئ لذهابنا إلى هناك وحضور مأدبة العشاء".

"الموت، وتقطيع الأوصال، والاختفاء، والطلاق".

"يمكننا تدبّر ذلك".

"لـــديّ فكرة أفضل. لنركب المركبة المقفلة ونعود إلى مانهاتن. الآن". وأضافت، "وسنتصل بتوم والش ونحن في الطريق..."

"انسي الأمر. أنا لن أذهب على الطريق السريعة اللعينة، وأتحدث إلى توم والش عبـــر هاتفـــي الخليوي، فينما نحن غارقان في المشكلات هنا". وأضفت، "في الواقع، السبب الحقيقي لذهابنا إلى نادي كاستر هيل هذه الليلة ليس حضور مأدبة العشاء، ولا جمـــع المـــزيد مـــن الأدلة، وإنما تحديد ما إذا في إمكاننا ومقدورنا اعتقال السيد باين مادوكس بتهمة قتل – أنا آسف، بتهمة الاعتداء على – العميل الفيدرالي هاري مولر".

فكّـــرتُ فـــي الأمر ثم أجابت، "أنا لا أعتقد بأننا نملك أدلة كافية، أو ربما قضية محتملة لكي..."

"اللعنة على الأدلة. لدينا الدليل. إنه موجود في تلك الحقيبتين. والقضية المحتملة هي المجموع الكلّي لكل ما شاهدناه وسمعناه".

هـــزّت رأسها، وقالت: "سيكون الاعتقال على خلفية أية تهمة فيدرالية – وخصوصاً لشخص مثل باين مادوكس – سابقاً لأوانه، ويمكن أن يوقعنا في مشكلة حقيقية".

"إننا واقعان أصلاً في مشكلة حقيقية". وأضفت، "علينا أن نعتقل هذا الوغد الليلة، قبل أن يقوم بأي عمل يعتقد بأنه ينبغي أن يقوم به في المرحلة التالية".

. لـــم تجـــب، وفكرتُ في أنني عرضت وجهة نظر قوية، ولذلك قلت لها: "حسناً، دعينا نسمع الأخبار السيئة". وأضفت بنبرة لطيفة، "وعندها يمكنني اتخاذ قرار منطقي بشأن ما ينبغي أن نقوم به بعد ذلك".

قالت: "اعتقدتُ بأنك ربما ستعرف هذه الأخبار بحلول هذا الوقت".

"كـــنت سأخبركِ بذلك لو أنني فعلت. انتظري لحظة". فكرت لعشر ثوانٍ كاملة. كـــان يـــوجد شيء ما يختمر في دماغي، ولكنه كان مليئاً بالكثير من الأفكار. سألتها "حيوانات، أم معادن، أم خضار؟"

اقتربتْ من الطاولة، من غير أن تجلس، وقرّبت إليها الحاسوب المحمول وقالت: "دعني أريك شيئاً".

الفصل 45

ضغطت كايت على بعض مفاتيح الحاسوب المحمول، فظهرت صفحة على الشاشة. قالت: "هذه قطعة غير منشورة عن ميخائيل بوتيوف، كُتبت قبل عشر سنين من الآن".

نظرتُ إلى الشاشة وقلت: "حقاً؟ وماذا بعد؟"

أدارت الشاشة نحوي، وقالت: "الكاتب زميل له واسمه ليونيد شيرنوف، وهو عالم روسي في الفيزياء النووية، يعيش في الولايات المتحدة أيضاً. وهذه القطعة مأخوذة من رسالة بعث بها إلى علماء فيزيائيين آخرين، يمتدح فيها عبقرية بوتيوف، وأشياء من هذا القبيل".

لم أدلِ بأي تعليق.

أضافت، "وهنا..." تدرّجت في الصفحة، وقالت: "كتب شيرنوف: بوتيوف قانع الآن بمركزه التعليمي، ويرى أن هذا العمل يوفر له تحدّيات ومكافآت. لكن يتعين على المرء أن يتساءل إن كان يواجه تحدّيات توازي تلك التي كان يواجهها عندما كان يعمل في معهد كورشاتوف أثناء عمله في برنامج صنع النماذج المصغّرة السوفياتي". ونظرتْ إليّ، وقالت: "انتهى الاقتباس".

"ما هي الأشياء التي كانوا يعملون على تصغير أحجامها؟"

أجابت كايت، "أسلحة نووية، مثل قذائف مدفعية نووية، أو ألغام أرضية". وأضافت "وكذلك حقائب تحتوي على قنابل نووية".

احتجت إلى نصف ثانية لاستيعاب الأمر، وشعرت بأنني تلقّيت ضربة في المعدة. "يا إلهي". نظرت مشدوهاً إلى شاشة الحاسوب المتوهجة، وبدأت أفكر بسرعة في كل ما سمعت، واكتشفت، وعرفت، وارتبت فيه.

"يا جون، أعتقد بأنه توجد قنبلتان نوويتان في حقيبتين في لوس أنجلوس، وقنبلتان أخريان في سان فرانسيسكو".

"يا إلهي".

قالت: "لا أعرف الوِجهة النهائية لتلك القنابل أو ما إذا كانت طائرتا مادوكس

ســتنقلان هذه الحقائب إلى وجهتها أو مقصدها النهائي، أو ما إذا كانت ستوضع على متن سفينة، أو..."

. "علينا أن نجبر هاتين الطائرتين على الهبوط".

"هــذا ما حصل؛ فقد اتصلت بصديقي، دو ستيورغيز، الذي يعمل عميلاً خاصاً مــساعداً مسؤولاً في المكتب الميداني في لوس أنجلوس، وطلبت منه أن يضع هاتين الطائــرتين تحــت المراقبة في حال ظهر الطياران، أو في حال تم احتجاز الطائرتين كدليلين في قضية فيدرالية ملحّة، وتحتل أقصى درجات الأولوية".

أومــأت برأسي. كان صديقها دو، فيما أعتقد، عشيقاً قديماً عندما كانت تعمل في لــوس أنجلــوس قبل عدة سنين. وقد تشرّفت بلقائه عندما لاحقتُ وكايت المدعو أسد خلــيل في كاليفورنيا؛ ولم يساورني شك في أن هذا المخنّث سيقفز على قفاه من أجل الالتقاء بصديقته السابقة، كايت.

ولكننــي لــم أســتطع تخيّل كيفية إقدام كايت على فتح قضية كبيرة بمكالمة هاتفــية واحدة مع عميل خاص مساعد مسؤول في لوس أنجلوس. أعني أن العمل مــع مكتب التحقيقات الفيدرالي يظل لغزاً بالنسبة إليّ، ولكنني أذكر وجود تسلسل في القيادة.

سألتها عن هذا الأمر، فأجابت، "ما قمت به – لتجنّب الاتصال بتوم والش – كان الطلــب من دو أن يتعامل مع هذه القضية كخبر من مجهول يكشف عن وجود خطر إرهابــي". وأضــافت، "وهذا ما سيجعل التحرّك أسرع، في حال قال دو إن الخبر بدا صادقاً، ... إلخ".

"أجل. وهل فعل ذلك؟"

"قــال بأنــه سيفعل ذلك". وأضافت، "شرحت له إننا نعاني من بعض المشكلات المتعلقة بالمصداقية مع *الوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب* وما إلى ذلك، ولكنني أملك معلومات موثوقة للغاية، وأن الأمر ملحّ، وأن الأمر من صلاحياته، وأن..."

"حسناً، لقد فهمت. وبما أنه صديقكِ، فلقد عرّض نفسه للخطر من أجلكِ".

قالــت لــي: "لم يكن ليعرّض نفسه للخطر من أجل أحد. ولكنه استجاب لخطر إرهابي أكيد".

"أجل. أعتقد بأنه يعرف بأنكِ مصدر موثوق".

"هل يمكننا متابعة المناقشة؟"

"أجــل. أنا بحاجة فقط إلى معرفة أن هذه القضية في أيد أمينة، وأنها لن تنتظر في صندوق أحدهم لليوم التالي".

تابعــت حديــثها، وقالت: "كما أعطيتُ دو الاسمين تيم بلاك وإيلوود بيلمان، وقلــت له إن بلاك يقيم على الأرجح في فندق في لوس أنجلوس، وأن بيلمان يقيم في سان فرانسيسكو، وأننا بحاجة إلى العثور على هذين الطيارَين في أسرع وقت ممكــن". وأضافت، "عبّرت له عن شكوكي بأنهما ينقلان حقائب تحتوي على قنابل نووية".

أومأت برأسي. فقد كانت تلك الخطوة المناسبة كما هو واضح. وقلت: "هل لفت ذلك انتباهه؟"

تجاهلــت ســؤالي، وأضــافت، "وعدني ببدء عملية بحث على الفور في لوس أنجلوس، وبأنه سيتصل بالمكتب الميداني في سان فرانسيسكو، وأنه سيعمّم الخبر أيضاً على كافة وكالات تطبيق القانون في كلتا المدينتين وضواحيهما". وأضافت، "وسيتحدث أيــضاً إلى رئيسه في لوس أنجلوس، وسيقومان معاً بالاتصال بالمدراء المسؤولين في نــيويورك وواشــنطن، ورفع تقرير عن هذا الخبر. وسيؤكد دو بأنه يعتقد بأن الخبر موثوق، بناء على الطبيعة الخاصة للمعلومات وما إلى ذلك، وسيصف الإجراءات التي يقوم باتخاذها".

"هــذا جــيد. لكــن فــي حال تبين أن الحقائب الأربع مليئة بالمجلات الخلاعية لأصدقاء مادوكس العرب، فهل سينال دو العقاب؟ أم سيذكر اسمكِ؟"

نظرت إليّ، وسألتني "هل تعتقد بأني مخطئة في ذلك؟"

فكــرتُ فــي الأمر للحظة، ثم أجبت، "كلا. أعتقد بأنكِ فعلتِ الصواب. الحقائب تحتوي على أربع قنابل نووية. وأنا معكِ في هذا الاستنتاج".

"هــذا جــيد. أشــكرك". وأضافت، "سألت دو طلب رفع مستوى خطر إرهابي محلّي".

"ينبغــي أن يحمــل ذلــك مكتب لوس أنجلوس على القفز عن ألواح التزحلق". وذكّرتها بالقول: "هذا ليس خطراً محلّياً في واقع الأمر".

"كــلا. كما أن باين مادوكس ليس إرهابياً... حسناً، ربما يكون كذلك. ولكنني لا أســتطيع تخيّل كيفية تصنيف مخطط لإرسال أربع حقائب نووية إلى الخارج، ولذلك طلــبتُ إلى دو أن يتعامل مع القضية كخطر إرهابي محلّي قوي، طالما أننا نعتقد بأن الحقائب النووية لا تزال في لوس أنجلوس وسان فرانسيسكو".

"خطوة جيدة".

تابعــت حديثها قائلة: "سيقوم مكتب التحقيقات في كلتا المدينتين بالاتصال بكافة شــركات ســيارات الأجرة لمعرفة إن كان أي من سائقيها يتذكّر أنه نقل مسافراً على

خـــط سيارات الأجرة في لوس أنجلوس وسان فرانسيسكو، حاملاً حقيبة جلدية سوداء كبيـــرة الحجم". وأضافت، "ولكنني أعتقد بأنه رهان ضعيف لأن العديد من سائقي تلك الـــسيارات، كمـــا تعرف، من الأجانب، وهم لا يحبون التحدث إلى الشرطة أو مكتب التحقيقاتَ الفيدرالي".

كانـــت تلك عبارة غير صحيحة من الناحية السياسية من موظفة فيدرالية، ولكن عـــندما يكون الضغط كبيراً، يجد الناس حتى الفيدراليون منهم أنهم بحاجة إلى العودة إلى الواقع.

أضـــافت، "لديـــنا وصـــف أكثر دقة للحقائب من وصف الطيارَين ومساعدَيهما. ولذلك طلبت إلى دو الاتصال بإدارة الطيران الفيدرالية للحصول على صور لرخصتي بـــلاك وبيلمان، وإرسالها بالبريد الإلكتروني إلى مكتب التحقيقات الفيدرالي في لوس أنجلوس وسان فرانسيسكو في أسرع وقت ممكن. وكم كانت دهشتي عندما علمت بأن رخص الطيارين لا تحمل صوراً فوتوغرافية".

"هـــل يُعقـــل ذلـــك؟" وقلت: "هذا مثال آخر لا يُصدّق على غباء إدارة الطيران الفيدرالية بعد 11 سبتمبر/أيلول".

"هـــذا صحيح. ولذلك استخدمت عناوين إدارة الطيران الفيدرالية للحصول على رخـــص قـــيادة الطائـــرات في الولايات مع صورهما. يقيم بلاك في نيويورك، ويقيم بيلمان في كونكْتيكت".

"أرى أنكِ كنتِ مشغولة أثناء غيابي".

"أصبحت مشغولة فعلاً بعد أن أدركت بأننا نتعامل مع حقائب نووية".

"أجل. وكيف حال دو؟"

"دو أكثر انشغالاً من أن أسأله عن حاله". وأضافت، "ولكنه أرسل إليك تحياته".

"هـــذه بادرة لطيفة منه". عليه اللعنة. "وهل قدّر إخباركِ له كيف ينبغي أن يقوم بعمله؟"

أجابـــت، "يـــا جون، كنت أملك المعلومات، وفكّرت في هذا الأمر، وهو كان... حسناً، مذهولاً. ولذلك، قدّر مداخلاتي".

"هذا جيد". وأذكر أيضاً أنه غبي.

فكّـــرت فـــي هـــذا الـــتطور الجديد والمثير، وكان عقلي يحسب كافة الزوايا، والمعـــادلات، والاحتمالات. قلت لكايت: "إذا نـــزل هؤلاء الطيارون في فنادق، وإذا كانـــت تلـــك مهمة سرّية لمادوكس، وهي تبدو كذلك، فعلى الأرجح أن يحجز الرجال الأربعة غرفاً بأسماء مستعارة".

أومأت برأسها، وقالت: "ولكننا نعرف الاسمين الحقيقيَّين للطيارَين، ولذلك يتعين على مكتب التحقيقات الفيدرالي الحصول على نسخ عن رخصتي القيادة الخاصة بهما في أسرع وقت ممكن، هذا إذا لم يقم بذلك أصلاً". وأضافت، "طلب دو إلى مكتب كينفستون الإقليمي في نيويورك إرسال عميل إلى مكتب الشحن التابع لشركة غوكو في مطار ستيوارت لمعرفة هوية الطيارَين المساعدَين".

"هذا تفكير جيد". بدا أن تلك كانت نهاية المشكلة التي اكتشفناها، ولكنني اعتقدت بأن العثور على الطيارين الأربعة لن يكون سهلاً، وخصوصاً إذا أمرهم مادوكس بالاحتجاب عن الأنظار، وعدم الردّ على المكالمات الهاتفية، والبقاء في الفنادق التي ينزلون فيها، واستخدام هويات مزوّرة، وما إلى ذلك.

قالت كايت: "من سوء الحظ أنه من المحتمل أن الحقائب النووية - إذا كانت تحتوي على قنابل نووية فعلاً- لم تعد في أيديهم الآن".

"إنها حقائب نووية. ولذلك صفي تلك الحقائب على حقيقتها".

"حسناً، حسناً. سيقوم مادوكس بنقلها إلى مكان ما خارج البلاد. وأعتقد أن الوجهة ستكون الشرق الأوسط، أو أي بلد إسلامي آخر". وقالت إنها اتصلت بخدمة غاريت للملاحة الجوّيّة مجدداً وردّ على الهاتف شخص قال إنه لا يمكن لطائرة من نوع سيسنا سايتايشن أن تقطع المحيط الهادئ ما لن تنتقل من الساحل الغربي إلى ألاسكا، ثم إلى جزر أليوشن، ثم إلى اليابان، وهكذا". وأضافت، "يمكن أن تتضمن تلك الرحلة عمليات توقف كثيرة من أجل إعادة التزود بالوقود، ناهيك عن تدقيق سلطات الجمارك في تلك المحطات. ولذلك فأنا أعتقد بأنه في إمكاننا استبعاد هذا الاحتمال".

أومأتُ برأسي، وفكّرت في الأمر. حطت طائرتا مادوكس اللتان كانتا من طراز سيسنا سايتايشن مساء يوم الأحد في لوس أنجلوس وسان فرانسيسكو. ولم يترك الطياران والمساعدان أي عنوان محلّي، ولكن أشار أحدهما إلى أنه سيغادر يوم الأربعاء - أي يوم غد - عائداً إلى نيويورك. وأنا متأكد من أن الطيارَين يفكران في القيام بالأمر نفسه، أو أنهما عازمان على فعل الشيء نفسه. والسؤال المطروح الآن، أين ذهبت الشحنات التي كانت معهم؟ على الأرجح أنها لم تعد معهم.

قلت لكايت: "أعتقد بأن مادوكس سيستخدم إحدى ناقلات النفط التابعة له - أو أنه استخدمها أصلاً - في نقل هذه القنابل النووية إلى مكان ما. ولهذا السبب حطّت طائرتاه في مدينتين ساحليتين".

أومأت كايت برأسها، وقالت: "وصلت إلى الاستنتاج نفسه، وطلبت من دو بدء عملية تفتيش للسفن والمستوعبات في كِلا المرفأين، بدءاً بالسفن التي تملكها شركة

غوكــو". وأضافت، "إنها عملية كبيرة. لكن إذا تمكنوا من تفعيل فرق **نست** في وقت مبكــر إضافة إلى عناصر الأمن في المرفأين الذين يملكون أيضاً أجهزة للكشف عن الأشعة غاما والنيوترونات، فقد نكون محظوظين".

"أجل، ولكنهم ليسوا بحاجة إلى مسح السفن والمستوعبات وحسب، بل وإلى مسح المــستودعات والــشاحنات... علمــاً بأنـــه سيتم شحن تلك القنابل على متن طائرات تجارية".

"كما أنهم يتحققون من كافة المطارات في المنطقة".

"حسناً، ولكن ذلك أشبه بالبحث عن إبرة في كومة قش".

أجابت، "إنها إبر مشعّة، وأمامنا فرصة جيدة للعثور عليها".

"ربمــا، إذا كانــت لا تزال موجودة في لوس أنجلوس وسان فرانسيسكو. لكنني أفكــر في سيناريو آخر أرجح احتمالاً؛ أن تكون القنابل النووية هذه في طريقها الآن بحراً أو جوّاً إلى وجهاتها النهائية". وأضفت، "أعني أنه مرّ يومان تقريباً منذ وصولها إلى الساحل الغربي".

أجابــت كايــت، "ربما تكون محقّاً، ولكننا بحاجة إلى البحث عنها في هاتين المدينتــين فــي حال كانت لا تزال موجودة فيهما". وأضافت، "سيكون من الأسهل العــثور على الطيارين، وخصوصاً إذا ظهرا في لوس أنجلوس وسان فرانسيسكو في الغد".

"أجل. حسناً، الخلاصة في ما يتعلق بالطيارين هي أنه سيكون العثور عليهم أمراً جيداً، ولكنني لا أعتقد بأن مكتب التحقيقات الفيدرالي سيعثر عليهما مع حقائبهما. لكنّ الطــيارين يعرفان المكان الذي وصلت إليه هذه الحقائب، وربما قاما بنقلها بأنفسهما. ولكن على الأرجح أن ينتهي الأثر هناك". وأضفت، "من سوء الحظ أننا تأخرنا حوالى ثمــانٍ وأربعــين ساعة على القيام بهذا الأمر، وعندما تُشاهد تلك الحقائب النووية في المــرّة القادمــة، ســتكون على شكل أربع سحابات على شكل فطر يرتفع فوق رمال الصحراء".

وقفــت كايت بصمت وبدون حراك لفترة من الوقت، ثم قالت: "آمل بألاّ يحدث ذلك".

"أجل". حسناً، يبدو أن كايت وذلك الشخص الذي لا يُسمّى في لوس أنجلوس قد قامــا بكل ما يمكن القيام به في وقت وجيز، وأنهما قاما بعمل جيد؛ بالرغم من أنه لا علاقة لهذا العمل بعلم الصواريخ، أو الفيزياء النووية. كان في الواقع عملاً تقليدياً تقوم بــه الــشرطة ومكتب التحقيقات الفيدرالي، وسينتج عنه العثور على الطيارين وربما

الحـصول علـى بعض المعلومات المتعلقة بالحقائب النووية. لكن المشكلة، كما كان الحـال دائمـاً، هي الوقت. فقد بدأ مادوكس اللعبة قبل حضور الفريق الزائر، ونشرَ لاعبيه في الملعب قبل أن ينـزل خصومه إليه.

لكـن ربمـا كانت هناك أخبار طيبة. أعني وجود حلقة ضعيفة في هذه السلسلة الـنووية. قلت لكايت: "جهاز إرسال الموجات إلف. وبواسطته سيتمكن من تفجير تلك القنابل".

أومأت برأسها، وقالت: "هذا هو دور الموجات إلف. ولا بدّ وأنه تم وصل جهاز استقبال للترددات بالغة الانخفاض في كل من أجهزة التفجير. وكما اكتشفنا، يمكن أن تجـوب مـوجات إلف العالم وتخترق أي شيء. ولذلك، عندما تصل القنابل إلى حيث يريد مادوكس، سيرسل رسالة مشفرة من هنا، وفي غضون ساعة، تصل الإشارة إلى أجهـزة الاسـتقبال التي في الحقائب، بصرف النظر عن الأماكن التي توجد فيها في العالم".

"هـذا صـحيح". فكّرت في الأمر، وقلت: "إذاً، يبدو أن هذا الأخرق بنى محطة إلـف الـضخمة هـذه قـبل عـشرين سنة تقريباً لإرسال رسائل مزيفة إلى أسطول الغواصـات النووية الأميركية لكي تشعل حرباً عالمية ثالثة. ولكنه لم ينجح حينها في ذلك، ولذلك توصل إلى طريقة أخرى الآن لجعل استثماره يعود بالنتائج".

أومأت كايت برأسها، وقالت: "يبدو الأمر منطقياً الآن".

"أجـل... وبوتـيوف كان الشخص الذي قام بالعمل اللازم لتجهيز تلك الحقائب النووية لكي يتم تفجيرها باستخدام موجة إلف".

قالـت كايت: "كما وجدت على الإنترنت أن الأسلحة النووية المنمنمة بحاجة إلى صيانة دورية، وهذه أيضاً وظيفة بوتيوف".

"الدكتور بوتيوف الراحل".

أومأت كايت برأسها.

سـألتها بطريقة منمّقة، "من أين حصل مادوكس على هذه القنابل؟" ثم أجبتُ عن سـؤالي بنفسي، فقلت: "أعتقد بأنها كانت معروضة للبيع من قِبل أصدقائنا في روسيا؛ ولهـذا السبب قام مادوكس بتوظيف عالم روسي. اللعنة، لم يكن في مقدوري العثور علـى ميكانيكـي سويدي لكي يصلح سيارتي الفولفو القديمة، في حين عثر مادوكس اللعين على عالم روسي في الفيزياء النووية لكي يقوم بصيانة قنابله الذرّية". وأضفت، "الأمر كله يتعلّق بالمال".

قالت كايت: "المال والجنون لا يصنعان تركيبة جيدة".

"هذه نقطة جيدة. حسناً، إذن، أعتقد بأنه توجد أربع مدن واقعة في بقعة ما ستقع في مشكلة في غضون أيام معدودة، أو ساعات قليلة؛ مدن إسلامية. ألا تعتقدين ذلك؟"

أومأت برأسها، وقالت: "وهل هناك تحليل منطقي آخر؟"

فكّرت في الهدف الذي ربما يكون تحت منظار مادوكس، ولكنني وجدت أن الأهداف المحتملة أكثر من أن تُحصى. وهذا يتوقف بدرجة معينة على ما إذا كان يجري نقل هذه القنابل النووية عن طريق البحر أو الجوّ أو بطريقة تجمع بين النقل الجوّي، والبحري، والبرّي. وأنا لا أستبعد أن يقدم على ضرب مكّة والمدينة بالقنابل النووية، ولكن ربما تكون تلك صفقة تجارية محضة وأنه اختار نقاط تصدير النفط في البلدان التي أثارت غيظه. والخلاصة هي: ما هي أهمية معرفة السبب؟

قالت كايت: "حسناً، أعتقد أنني قمت بكل ما يمكنني القيام به، وسيقوم دو بكل ما يمكنه القيام به".

"أجل..." نظرت إلى ساعتي. "هذا سيوفر للمكتب الميداني في لوس أنجلوس عملاً يقوم به قبل أن يحين وقت صفوف تمارينهم الرياضية".

"يا جون..."

"لكن في ما يتعلّق بمن يعرف هذه المعلومات ومتى عرفها؛ واشنطن تعرف بالتأكيد شيئاً عن هذا الموضوع". وأضفت، "ولكن يبدو أنهم نسوا إخبارنا عنه".

لم أسمع تعليقاً من العميلة الخاصة في مكتب التحقيقات الفيدرالي، مايفيلد.

"هذه هي الطريقة الوحيدة التي تجعل مهمة هاري منطقية". وأضفت، "إن وزارة العدل وبالتالي مكتب التحقيقات الفيدرالي على علم بما يخطط له مادوكس. أليس كذلك؟"

"لست أدري". وأضافت، "لكن وكما قلت لك، هذه القضية أكبر بكثير مما كنت تعتقد عندما بدأت تحشر أنفك في تحقيق تجريه وزارة العدل".

أجبتها، "أعتقد بأن كِلانا يدرك ذلك". وقلت لكايت: "فيما يلي نظريتان على علاقة بالمؤامرة أعرضهما عليكِ. النظرية الأولى هي أن الحكومة تعرف بما يجري في كاستر هيل، وأن هاري أُرسل إلى المكان ليكون بمثابة كبش فداء لإعطاء مكتب التحقيقات الفيدرالي ذريعة لاقتحام أبواب مادوكس واعتقاله. ولكن هناك نظرية أخرى أفضل منها، وهي أن الحكومة تعرف بما يجري في كاستر هيل وأنه تم إرسال هاري ككبش فداء لحمل مادوكس وأصدقائه على التحرك لكي يتسنّى لها إطلاق صواريخها النووية".

هزّت كايت رأسها، وقالت: "هذا جنون".

"حقــاً؟ هل ترين فرق سوات التابعة لمكتب التحقيقات الفيدرالي وهي تهبط على نادي كاستر هيل؟"

"كلا، ولكن... ربما كانوا ينتظرون الوقت المناسب".

"إذا كــان ذلــك صـــحيحاً، ربما تكون هذه الفرق قد انتظرت وقتاً طويلاً جداً". وذكّرتها بالقول: "كان هاري في نادي كاستر هيل صباح يوم السبت. وحصل اجتماع مــادوكس مع أصدقائه يومي السبت والأحد. وظهر بوتيوف صباح يوم الأحد لإجراء كــشف على القنابل النووية. وحطت طائرتا مادوكس على الساحل الغربي مساء يوم الأحـــد. وعلـــى الأرجـــح أنّ شحن هذه القنابل إلى الأراضي الصحراوية قد بدأ يوم الاثنـــين. والـــيوم هو الثلاثاء، وقد أنهت شركة بوتسدام ديزل الكشف على المولّدات الكهـــربائية". وخـــتمت تحليلي قائلاً: "وفي مرحلة ما من هذه الليلة أو يوم غد، ستدقّ ساعة التفجير".

امتنعت كايت عن الردّ.

ذكّـــرتها قائلاً: "كما أن مادوكس لا يعمل وحده. فلم يكن من قبيل المصادفة أن تتـــضمن مجموعة الضيوف الذين نـــزلوا عنده يوم عطلة نهاية الأسبوع شخصيتين، وربمـــا ثلاث شخصيات، تحتل مناصب رفيعة في الحكومة". وأضفت، "اللعنة، وبناء على ما لدينا من معلومات، فإن مدراء مكتب التحقيقات الفيدرالي ووكالة الاستخبارات المركـــزية يـــشاركون في هذا المخطط". وأضفت، "ربما تتضمن المشاركة مستويات أعلى من ذلك".

فكرتْ في الأمر لبضع ثوانٍ، ثم قالت: "حسناً، ... لكن هل يهم في هذه المرحلة معـــرفة الأشـــخاص الآخرين الذين يعملون مع مادوكس، أو الأشخاص الذين يعرفون بهـــذا الأمر؟ النقطة هي أنه إذا كان ما تقوله صحيحاً، أكون قد قمت بالعمل الصائب عبر الاتصال بالمكتب الميداني التابع لمكتب التحقيقات الفيدرالي في لوس أنجلوس".

"أنـــا أفتـــرض بأنـــكِ لم تخبري صديقك عن مادوكس، أو إلف، أو المكان الذي تتصلين منه، أو..."

"كلا لأنني أردت أن أكلمك أولاً". وسألتني، "ماذا لو كنت مخطئة في هذا الأمر؟ أعني، إذا فكرتَ في الأمر، ربما ستجد تفسيراً آخر لكل شيء".

"يـــا كايت، أنتِ لستِ مخطئة. إننا لسنا مخطئَين. وهاري لم يكن مخطئاً. فالأمر في غاية الوضوح. مادوكس، ونووي، وإلف. هذا بالإضافة إلى بوتيوف".

"أنـــا أعرف ذلك. حسناً، إذن، يتعين علينا الآن الاتصال بتوم والش والطلب منه أن يقـــوم بـــإبلاغ مقـــرّ مكـــتب التحقيقات الفيدرالي بطريقة رسمية عن مصدر هذه

المعلومات، أي أنا وأنت، وعن الأدلة التي استندنا إليها.."

"أجل". نظرت إلى ساعتي مجدداً ووجدت أنها 6:10 من بعد الظهر. قلت: "قومي أنتِ بذلك. وفي هذه الأثناء لديّ دعوة لتناول العشاء".

نهضت، وقالت: "كلا. لا يوجد سبب يدعوك إلى الذهاب إلى هناك".

"يا عزيزتي، إن مادوكس منكبّ على تهيئة جهاز إرسال الموجات إلف، وهو ينتظر ورود رسالة ما تفيد بأن حقائبه الأربع وصلت إلى الأماكن التي حددها. وبعد ذلك ستنطلق موجة إلف لتعبر القارّة ببطء، والمحيط الهادئ – أو تعبر طريقاً أخرى فوق الأطلسي – إلى أن تلتقطها أجهزة استقبال الموجات إلف الموجودة في تلك الحقائب". وأضفت، "سيموت الملايين من الناس، وسترتفع سحابة مشعّة في سماء الكوكب. وأقلّ ما يمكنني فعله هو محاولة وقف العملية من مصدرها".

فكرت في الأمر، ثم قالت: "أنا ذاهبة معك".

"كلا. ستقومين بالاتصال بالخيالة، وحملهم على المجيء إلى نادي كاستر هيل – بدون مذكرة تفتيش لعينة أو أي سبب آخر أو أية تفاهة أخرى – بإبلاغهم خبراً صادقاً مفاده أن عميلاً فيدرالياً موجود في أرض النادي وأن حياته في خطر".

"كلا".

"اتصلي بوالش، واتصلي بشافير، واتصلي بالشريف المحلّي، إذا احتجتِ إلى ذلك، واتصلي بليام غريفيث وأخبريه بالمكان الذي يمكن أن يجد جون كوري فيه". وأضفت، "ولكن امنحيني ثلاثين دقيقة للوصول إلى المكان أولاً".

لم أسمع منها أي ردّ.

مشيت نحو طاولة المطبخ، وقمت بتعبئة مخزني الغلوك بطلقات من عيار 9 ملم، ووضعت قاذفَي الإشارات المضيئة في جيب سترتي إلى جانب قلمي، وأخيراً، لبست جواربي الجديدة، التي لم تعد مهمة بعد الآن. ولم أجد سبباً لاستخدام البوق الهوائي، ولكنني أخذته على أية حال تحسباً لتعطل بوق مركبة رودي المقفلة.

وفيما كنت أقوم بذلك، كانت كايت تضغط على مفاتيح الحاسوب المحمول، وسألتها، "ماذا تفعلين؟"

"أنا أرسل رسالة إلكترونية إلى توم والش، أطلب منه فيها الاتصال بدو في لوس أنجلوس، وأكشف فيها عن كوني مصدر المعلومات".

أجبتها، "لا ترسليها إلى أن تسمعي خبراً منّي". وأضفت، "آمل بأن يتحقق والش من بريده الإلكتروني هذه الليلة".

"إنه يقوم بذلك في العادة".

وحول هذا الموضوع، لا يزال يستخدم مكتب التحقيقات الفيدرالي بريداً إلكترونياً "داخلياً" مؤمناً فقط، وهو لا يستطيع الوصول إلى أي شخص في المكتب أو إرسال نسخة إليه، مثل العميل المناوب بعد انتهاء الدوام. ولذلك، سترسل البريد الإلكتروني إلى الحساب الشخصي لوالش والذي تأمل بأنه يراجعه بانتظام. وها قد مضت سنة على أحداث 11 سبتمبر/أيلول.

قلت لها: "حسناً، سأتصل بكِ مستخدماً هاتفي الخليوي عندما أصبح قريباً من نادي كاستر هيل".

"انتظر. حسناً، سأرسل الرسالة إلى الخدمة بغرض تأخيرها لغاية الساعة السابعة من بعد الظهر". فصلت التيار عن الحاسوب المحمول، ووضعته على طاولة المطبخ، ولبست سترتها المصنوعة من جلد الشامو، وسألتني من سيقود السيارة؟"

أجبتها، "بما أنني الشخص الوحيد الذي سيذهب، أعتقد أنني سأقودها".

وضعت علبة الطلقات من عيار 0.40 في حقيبتها إضافة إلى مخزنين، ثم حملت الحاسوب المحمول ومشت نحو الباب. أمسكت بذراعها وسألتها، "إلى أين تعتقدين أنكِ ذاهبة؟"

ذكّرتني قائلة: "أنت من قال إن مادوكس وجّه دعوة خاصة لي يا عزيزي. وأنت أردت منّي الذهاب. ولذلك أنا ذاهبة".

قلت لها: "إن الوضع قد تغيّر".

قالت كايت: "لقد تغيّر بالتأكيد. وقد قمتُ بكل ما يمكنني القيام به هنا". وذكّرتني قائلة: "أنت وضعتني تحت ضغط شديد هنا مدة يومين. والآن، أريد أن أقوم ببعض الأعمال الميدانية. وأنت تضيّع وقتي". ابتعدت عنّي وفتحت الباب، ومشت نحو الخارج. أما أنا فلحقت بها.

كان الظلام قد حلّ الآن، وأصبح الجوّ بارداً. وفيما كنا نمشي نحو المركبة المقفلة، قلت لكايت: "أنا أقدّر شعورك بالقلق على مصيري، ولكن..."

"للأمر علاقة بي أكثر مما له علاقة بك. أريد بعض التغيير".

"فهمت".

"أنا لا أعمل معك، ولكنك تعمل معي".

"حسناً، من الناحية التقنية، ..."

"أنت من سيقود السيارة".

ركبتْ في المقعد الجانبي في المركبة، وركبت في مقعد السائق، ثم انطلقنا. استدرت بالمركبة، وتوجهت نحو المنزل الرئيسي.

قالت كايت: "كما أنني قلقة عليك".

"شكراً لكِ".

- "أنت بحاجة إلى مراقبة".

"لست أدري..."

"توقف هنا".

تـــوقفت عند منـــزل ويلما ونيد، وقالت كايت: "خذ هذا الحاسوب المحمول إلى ويلما". وأضافت، "لا يزال أمامها عشر دقائق قبل أن يقفل مزادها".

لـــم تكـــن لديّ فكرة عما عنته بقولها، ولكن بدا أنه هام، ولذلك أخذت الحاسوب المحمول، ونـــزلت من السيارة، وقرعت الجرس.

فُتح الباب، فوجدت ويلما أمامي. بدت شبيهة بويلما، ولم أرغب في الدخول معها في لعبة مصارعة من أجل حاسوب محمول.

نظـــرت إلـــيّ، ثم نظرت إلى المركبة المقفلة، ورأت كايت. قالت لي: "لا أريد مشكلات هنا".

"ولا أنا. حسناً، هذا هو حاسوبكِ المحمول. أشكركِ".

"ماذا عليّ أن أقول إذا جاء زوجها للبحث عنها؟"

"قولـــي الحقـــيقة". وقلـــت لهـــا أيضاً: "أريد أن أطلب خدمة. إذا لم نعد بحلول الـــصباح، اتصلي بالرائد هانك شافير في مقرّ شرطة الولاية في راي بروك. شافير، هل سمعتِ؟ قولي له بأن جون ترك بعض الحاجيات له في منـــزل البوند". وأضفت، "أتمنّى لكِ حظاً سعيداً في المزاد".

نظرت إلى ساعتها، وقالت: "يا إلهي". وأغلقت الباب.

عدت إلى المركبة، وانطلقنا.

كانت كايت تملأ المخزنين وقالت: "هذه المركبة مريعة".

"أتعـــتقدين ذلك؟" أوجزت لها ما دار من حديث بيني وبين ويلما، وأجابت كايت، "سنعود قبل الصباح".

كان ذلك توقعاً متفائلاً.

كانـــت ســـاعة السيارة تشير إلى أنها 3:10، مما يعني أنها لم تكن تعمل بشكل صـــحيح. أما ساعة يدي فكانت تشير إلى أنها 6:26، وكنا متأخرين حسب العادة في حضور حفلة الكوكتيل.

شعرت بأنه في مكان ما، في موضع ما، كانت توجد ساعة أخرى تدق.

الفصل 46

سألتُ كايت فيما كنت أقود السيارة "ماذا كتبتِ في الرسالة الإلكترونية لوالش؟"

"سبق أن أخبرتك".

"آمل بأنكِ لم تذكري أننا في طريقنا إلى نادي كاستر هيل من أجل حضور حفلة كوكتيل وتناول العشاء".

"لقد قمت بذلك".

"مـــا كان من المفترض أن تقومي بذلك. والآن، ربما سيعترضنا مطاردونا؛ أو ربما سبقونا".

"كـــلا، لن يتمكنوا من فعل ذلك. فقد أخبرتك أنني أرسلت البريد الإلكتروني إلى خدمة ستقوم بإرسالها في وقت لاحق. إرسال متأخر، عند الساعة السابعة مساءً".

"لم يسبق أن سمعت بذلك".

"لقد أُنشئت خصيصاً لأوضاع مثل هذه، ولأشخاص مثلك".

"حقاً؟ هذا أمر لطيف".

قالـــت كايت: "أنت تريد أن تكون داخل نادي الصيد في كاستر هيل حتى قبل أن يعرف الآخرون بأنك هناك. وبحلول الوقت الذي يقرأ فيه توم والش رسالتي، نكون قد وصلنا، على أمل أن نحلّ بعض القضايا هناك. أليس ذلك صحيحاً؟"

"بلى".

"وسنكون بطلين".

"أجل".

"أو ميتين".

"لا تبدئي الآن بالتفكير بطريقة سلبية".

"هل تريد الانعطاف بالسيارة الآن؟"

نظـــرت مـــن خـــلال حاجـــب الـــريح وسألتها، "لماذا؟ هل تجاوزت المنعطف الصحيح؟"

"يا جون، ألا تعقد بأنه ربما حان الوقت لكي تعود إلى رشدك؟"

"كــلا، هــذا لــيس الــوقت المناســب لذلك". وسألتها، "هل أتيتِ معي لإزعاجي أم لمساعدتي؟"

"أنــا ذاهــبة معك لكي أساعدك". وأضافت، "ولكنك إن توجهت إلى مقرّ شرطة الولاية، سأقول بأنك في غاية الذكاء".

"كلا، ستقولين إنني جبان، ورعديد، ومخنّث".

"لا أحــد سيطلق عليك هذه الأوصاف. ولكن في بعض الأحيان، كما هو الحال الآن، الرأي قبل شجاعة الشجعان".

"بعــض المخنّثــين اخترعوا تلك العبارة. انظري، أنا لست غبياً. ولكن المسألة شخــصية يــا كايت. فالأمر يتعلّق بهاري. كما أن هناك عنصر الزمن". وشرحت ما عنيــته قائلاً: "إن محطة إرسال الموجات إلف تعمل، أو أنها ستعمل، ولست أدري إن كــان في مقدور أحد يعمل في وكالة لتطبيق القانون وتلقّى دعوة الوصول إلى أرض كاستر هيل أسرع منّي".

"قد يكون كلامك صحيحاً وقد لا يكون".

"الأمر الصحيح هو أنني أريد قطعة من هذا الوغد قبل أن يصل إليه أي شخص آخر".

"أنــا أعــرف ذلــك". وسألتني، "هل أنت على استعداد للمخاطرة باحتمال وقوع حادثة نووية من أجل الأخذ بثأرك الشخصي؟"

"هاي، أنتِ من أرسل ذلك البريد الإلكتروني بنيّة تأخيره".

قالت: "يمكنني الاتصال بالرائد شافير، وليام غريفيث حالاً".

"ســنقوم بذلك قبيل وصولنا إلى نادي كاستر هيل". وأضفت، "أما الآن، علينا أن نصل إلى هناك بدون إعاقة".

لــم تعلّــق على جملتي الأخيرة، ولكنها سألتني، "هل تعتقد بأن مادوكس سيقوم بإرسال إشارة إلف تلك هذه الليلة؟"

"لــست أدري. ولكــن علينا الافتراض بأن لدعوتنا لمأدبة العشاء علاقة بجدوله الزمني". وقلت: "شغّلي المذياع لعلنا نسمع تقريراً إخبارياً مفاجئاً عن وقوع انفجارات نــووية. في حال سمعنا مثل هذا التقرير، يمكننا أن نخفف سرعتنا بدون أن نقلق من احتمال وصولنا متأخرَين".

قامــت كايــت بتشغيل المذياع، ولكننا لم نسمع خبراً غير عادي. قالت: "خطتك لم تنجح".

"ربمــا أدت مــوجات إلف إلى وقف عمل الإشارات المضمَّنة سعوياً أو تردّدياً. جرّبي قناة إلف".

"هذه ليست دعابة".

كنت أسير على الطريق 56 متوجهاً نحو ساوث كولتون، فأخرجت مفاتيح سيارة الهيونداي من جيبي ووضعتها في يدها، وقلت: "سأتوقف عند محطة رودي، وستركبين الهيونداي وتتوجّهين بها إلى مقرّ شرطة الولاية".

فتحت النافذة، ورمت المفاتيح منها.

"سيكلّفني ذلك خمسين دولاراً".

قالت: "حسناً يا جون، سنكون هناك في غضون عشرين دقيقة تقريباً. دعنا ننتهز هذه الفرصة لمناقشة ما نتوقع حدوثه، وما نحن بحاجة إلى قوله وفعله. كما ينبغي أن نناقش بعض الخطط الطارئة، وتحديد الأهداف".

"هل تعنين خطة للعبة؟"

"أجل عنيت إعداد خطة للعبة".

"حسناً، أعتقد بأننا سنلعبها بطريقة مرتجلة".

"أنا لا أعتقد ذلك".

"حسناً، أولاً، لا تسمحي لهم بإجراء مسح للمعادن. ومن باب أولى ألاّ نسمح لهم بتفتيشنا".

"لا حاجة إلى قول ذلك".

"أعني، أشك في أنه سيحاول القيام بذلك ما لم يكن يتوقف عن الزعم بأننا ضيوفه على مائدة العشاء".

سألتني كايت، "وماذا لو حصل ذلك؟"

"حسناً، إذا طلبوا منا تسليم مسدساتنا، عندها سنشهر عليهم مسدساتنا وشاراتنا".

"وماذا لو كان يوجد عشرة منهم والبنادق في أيديهم؟"

"عندها، نتحوّل إلى نمط العملاء الفيدراليين ونقول لهم إنهم معتقَلون. ينبغي ألاّ ننسى إخبار مادوكس بأن أفراد الشرطة التابعين للقسم باء في شرطة ولاية نيويورك يعرفون أننا هنا. هذه هي ورقتنا الرابحة".

"أنا أعرف ذلك. لكن في الواقع، لا نعرف بعد إلى أين سنذهب". وسألتني، "وماذا لو أظهر مادوكس عدم مبالاته بمن يعرف بمكاننا؟ وماذا لو وجدنا هانك شافير وهو يعدّ الطعام في المطبخ، والشريف وهو يقدّم المشروبات؟ وماذا لو...؟"

"لا تجعلي مادوكس بطول ثلاثة أمتار. إنه رجل ذكي، وغني، وقوي، وعديم الرحمة. ولكنه ليس سوبرمان يا عزيزتي". وأضفت، "أنا سوبرمان".

"حسناً يا سوبرمان، ما هي النواحي الأخرى التي ينبغي علينا التفكير فيها للمحافظة على حياتنا وصحتنا؟"

نصحتها قائلاً: "لا تطلبي دايكويري مثلّجة أو أي شيء يمكن أن يُدسّ المخدّر فيه. اشربي من نوع الشراب الذي يشربه. والأمر نفسه ينطبق على الطعام. كوني حذرة. وتذكّري أبناء عائلة بورغياس".

"أنت من عليه أن يتذكر أبناء عائلة بورغياس. وأنا أقسم بأنك ستأكل التشيلي والهوت دوغ، حتى وإن كنت تعرف أنها مسمومة".

"يا لها من مناقشة". وأكملت موجزي قائلاً: "حسناً، علينا أن ندرس طريقة تصرفاتنا. فهذه مناسبة اجتماعية تتداخل مع أعمال التحقيق الفيدرالي المزعجة. ولذلك، تصرّفي بناء على ذلك".

"وماذا تعني بذلك؟"

"أعني أن تتوصلي إلى التركيبة الصحيحة من التحلّي بالأدب، والحزم. مادوكس يحب الشراب الاسكتلندي الذي لديه. حاولي أن تقيسي مدى تأثير الخمر في عقله. فإذا كان لا يشرب كثيراً، عليك أن تعتبري ذلك إشارة إلى قرب الوقوع في مشكلة".

"فهمت".

ناقشنا القليل من المسائل الدقيقة المتعلقة بأدب السلوك والتي ربما لم تتعرّض لها إميلي بوست.

بعد أن فرغنا من صف آداب السلوك، عادت كايت إلى مدرسة البقاء، وقالت: "أخبرني عن قاذف الإشارات المضيئة".

"هاي إنها رائعة". أعطيتها قاذفاً، وأرشدتها إلى كيفية تلقيمه وإطلاق الأسهم منه، وربما استخدامه كملاذ أخير في حال تم تجريدنا من أسلحتنا. قلت: "ربما لن يُكتشف أثناء تفتيش الملابس لأنه يشبه المصباح الصغير".

درسنا بعض السيناريوهات المحتملة، وبعض الخطط الطارئة، وبعض الخطط البديلة.

قلت لكايت: "خطتي الأصلية – والتي لا زلت مؤمناً بها – تقضي باقتحام المكان عبر نقطة معينة من السياج، وتعطيل عمود أو أكثر من أعمدة الهوائي، و/أو تعطيل المولّدات الكهربائية".

لم تعلّق على هذه الخطة.

قلت: "هذا حلّ مباشر لمشكلة موجات إلف". وأضفت، "وهذه هي الحلقة الأضعف في خطة مادوكس لتفجير تلك القنابل النووية. أليس كذلك؟"

"ماذا لو لم تكن حقائب نووية؟ وماذا لو لم تكن هناك محطة إلف؟"

"عندها، نعتذر على ما تسببنا به من أضرار، ونعرض دفع ثمن الأعمدة والمولّدات الكهربائية".

أردت أن أفسح لها المجال لكي تستوعب الخطة ونحن في الطريق، ولكن كايت بدت غير متجاوبة، ولذلك أخرجت خريطة أرض نادي كاستر هيل، وأعطيتها إياها.

نظرت إلى الخريطة، وسألتني، "من أين حصلت على هذه؟"

"هاري أعطاني إياها".

"هل أخذت هذه من المشرحة؟"

"لم يكن قد تم تسجيلها ضمن الأدوات التي عُثر عليها..."

"هل أخذت دليلاً؟"

"توقفي عن قول تفاهات مكتب التحقيقات الفيدرالي. لقد استعرتها". وأضفت، "هذا ما يحصل دائماً". وأضفت، "يوجد طريق قديم لنقل الأخشاب في الجهة الشرقية من الأرض، وتخترق السياج وتتجاوزه، وعلى مسافة مئة متر نصل إلى الطريق الكفافية التي تصل بين الأعمدة الهاتفية. هل يمكنكِ أن تري الطريق؟"

لم تكن تنظر إلى الخريطة، بل كانت تنظر إليّ.

أضفت، "إذن، سنسير على هذه الطريق، ونصطدم بأحد هذه الأعمدة الهاتفية. سيسقط العمود على الأرض، وستنقطع الأسلاك، وتتوقف محطة إلف عن البثّ. ما رأيكِ؟"

قالت: "حسناً، إلى جانب أنها خطة مجنونة، أنا لا أعتقد بأن هذه المركبة يمكن أن تقتلع أحد هذه الأعمدة من قاعدته الصخرية".

"بل ستقتلعه بالتأكيد. ولهذا السبب قمت باستعارتها".

"يا جون، لقد ترعرعتُ في مينيسوتا الريفية. ورأيت مركبات مقفلة وحتى شاحنات صغيرة تصطدم بالأعمدة الخدمية، وكانت الأعمدة تفوز في العادة".

"حقاً؟ من الصعب تصديق ذلك".

"حتى وإن سقط العمود، ستبقى الأسلاك عالقة، وسيتكئ العمود عليها".

"لا بدّ وأنكِ تمزحين؟ كان من الأحرى أن أتحدث إليكِ قبل أن أشعر بالإثارة بسبب هذه الخطة".

"وفي حال انقطع أحد الأسلاك وسقط على المركبة، فسنصبح قطعتين من الخبز المحمّص".

"هذا صحيح. إنها فكرة سيئة". وأضفت، "حسناً، إذا نظرتِ إلى الخريطة، سترين مبنى المولّدات الكهربائية. إنه هناك".

- "انتبه إلى الطريق".

"حـــسناً، هـــذا يمـــثّل تحدياً لأن المبنى مصنوع من الحجر، وهو مزود بأبواب ومصاريع فولاذية. ولكن الحلقة الضعيفة هي المداخن.."

"أليس ذلك مذكوراً في قصة الحيوانات المقرفة الصغيرة الثلاثة؟"

"أجـــل. ولكنـــنا لـــن نقوم بإسقاط المداخن. وبدلاً من ذلك، سنصعد إلى السقف انطلاقـــاً مـــن ســـقف المركبة، ثم نضع سترتينا في فتحات هذه المداخن، وستتوقف المولّدات عن العمل".

"أرى ثلاث مداخن وسترتين".

"يوجد لحاف في مؤخرة المركبة، إضافة إلى ملابس قديمة تكفي لسدّ ستّ مداخن إضافية". سألتها، "ما هو رأيكِ؟"

"حـــسناً، مـــن الناحـــية التقنـــية، تبدو الخطة صالحة للتنفيذ. لكن هل أخذت في الحسبان وجود ما بين عشرة وعشرين من الحراس بما لديهم من مركبات وأسلحة؟"

"أجل. ولهذا السبب اشتريت ذخائر إضافية".

"لنفتـــرض أن الخطـــة نجحت أو أنها لم تنجح، هل سنقترب من الباب الرئيسي لحضور مأدبة العشاء؟"

"هذا يعتمد على نتائج تبادل إطلاق النار مع الحرّاس. وسنلعب تلك اللعبة بطريقة مرتجلة".

"يبدو أنها خطة. دلّني على طريق قطع الأخشاب".

أعتقد بأنها كانت تهزأ بي. هناك حسنات وهناك عيوب عندما تكون شريكتك امرأة. فالنساء يملن إلى اتباع الطرق العملية والتحلّي بالحذر، بينما يميل الرجال إلى اتباع الطرق الغبية والمتهورة، وهو ما قد يفسر زيادة عدد النساء على الرجال في العالم.

قلـــت: "حـــسناً، كانت مجرّد فكرة". وأضفت، "وقد خطرت ببالي قبل أن نتلقّى دعوة لحضور مأدبة العشاء".

قالـــت كايت: "لا أعرف كيف تمكنتَ من العيش طوال هذه المدة لكي تسنح لي فرصـــة الالـــتقاء بـــك". وأضـــافت، "آمل بأن يحلّ التطوّر والانتقاء الطبيعي مشكلة الأشخاص الذين من أمثالك".

امتنعت بالتأكيد عن الردّ على ذلك.

أضافت، "ولكنك أثرت نقطة هامة، وهي النظام إلف. الحلقة الأضعف في محطة

إلف ليست في الأعمدة أو الأسلاك، أو المولّدات، بل في جهاز الإرسال نفسه".

"هذا صحيح".

"أنا أفترض بأن جهاز الإرسال موجود في نادي الصيد نفسه".

أجبتها، "على الأرجح أنه موجود فيه، لأنه سيكون أكثر أمناً هناك، كما سيكون بعيداً عن الأنظار".

"هذا صحيح. ربما يكون في الطابق السفلي، أي في الملجأ النووي".

أومأت برأسي، وقلت: "ربما".

"إذاً، إذا كنت تريد قطع بث محطة إلف، فهذا هو مكان القيام بذلك".

"بالتأكيد". وأضفت، "اطلبي السماح لك بالذهاب إلى حمام السيدات – يدرك مادوكس بأن ذلك سيستغرق ما بين خمس عشرة وعشرين دقيقة – وابحثي عن جهاز الإرسال، وحطّميه".

"حسناً. ويمكنك تأمين الغطاء لي عبر إبقاء قاذف الإشارات المضيئة في جيبك وإطلاق الأسهم منه".

بدت السيدة مايفيلد في مزاج مرح على غير العادة هذا المساء. لا بدّ وأن هذه هي طريقتها في التعامل مع الإجهاد.

قلت لها: "كما ذكرت آنفاً، الغاية الحقيقية من هذه الزيارة ليست اجتماعية؛ بل وضع باين مادوكس قيد الاعتقال بسبب... أعطيني جريمة فيدرالية تناسب المقام".

"الخطف. كان عليه أن يخطف هاري قبل الاعتداء عليه".

"هذا صحيح. الخطف والاعتداء. وستحاكمه الولاية على ارتكابه جريمة القتل".

"هذا صحيح".

في الواقع، إذا عمد مادوكس إلى استفزازي بطريقة ما، فلن أحتاج إلى التفكير في المحاكمة. قلت لكايت: "إنه لأمر جيد أنني متزوج من محامية".

أجابت، "أنت بحاجة إلى محامية متفرّغة يا جون".

"أجل".

"كما أنه لكي تلقي القبض على الرجل، أنت بحاجة إلى شيء عدا شكوكك فيه".

قلت لها: "إذا لم نلقِ القبض عليه الليلة، هل تريدين أن تكوني مسؤولة عن وقوع أربعة انفجارات نووية غداً؟ أو هذه الليلة؟"

"كلا، ولكن، إذا وضعنا المسائل القانونية جانباً، لن يكون اعتقاله عملية سهلة في نادي كاستر هيل". وأضافت، "لا يوجد أحد سوانا في مواجهة عدد كبير منهم".

"نحن القانون".

"أنا أعرف ذلك يا جون، ولكن..."

"هل تحملين تلك الورقة الصغيرة لكي تقرئي حقوقه عليه؟"

"أعتقد بأنه بات في إمكاني الآن قراءتها عليه من دون ورقة".

"هذا جيد. هل لديكِ أصفاد؟"

"كلا. وماذا عنك؟"

قلت: "ولا أنا. كان ينبغي أن نحضر الشريط اللاصق. وربما لا يزال في حوزة مادوكس القيود التي كبّل بها هاري، أو ربما سأكتفي بركله على خصيتيه".

"تبدو شديد الثقة بنفسك".

"أنا متحفز جداً".

"هذا جيد. وبالمناسبة، لِمَ تعتقد بأنك ربما تحتاج إلى هذه الإشارات المضيئة؟ فنحن نحمل مسدسين وشارتين. أليس كذلك؟"

"حسناً، ..."

"حسناً يا جون. أنا سأقف معك، لكن لا تقحمنا في شيء نعجز عن الخروج منه".

ربما أكون قد فعلت ذلك أصلاً، ولكنني قلت: "المهم أن تظلّي متنبّهة، ويقظة، وجاهزة؛ مثل أية عملية اعتقال معقدة. نحن القانون، وهو المجرم".

كان لديها كلمتان تقولهما لي: "تذكّر هاري".

نظرت إليها، وقلت: "يا كايت، هذا هو السبب الذي يجعلنا نقوم بهذا العمل بمفردنا". وأضفت، "أريد أن ألقي القبض عليه بنفسي. أنا فقط، وأنتِ إذا شئتِ".

تبادلنا النظرات، وأومأت برأسها، وقالت: "تابع القيادة".

بدت كايت قلقة بعض الشيء بشأن الأمسية، ولكن بدا أيضاً أنها تتطلّع قدماً لقضائها. وأنا أعرف هذا الشعور جيداً. نحن لا نعمل على هذه القضية من أجل المال، بل من أجل الإثارة ولحظات مثل هذه.

الواجب، الشرف، البلاد، الخدمة، الحقيقة، العدالة، عناوين جيدة، ولكن في وسعك تطبيقها وأنت جالس خلف مكتبك.

في النهاية، أنت تحمل مسدسك وشارتك وتنزل إلى الميدان من أجل هدف وحيد وهو مواجهة الأشخاص الأشرار، مواجهة العدو. وما من سبب آخر يدعوك لأن تكون في الخطوط الأمامية.

كايت تدرك ذلك، وأنا أيضاً. وفي غضون ساعة تقريباً، سيدرك باين مادوكس ذلك.

الفصل 47

تجاوزنا محطة رودي المعتمة، وواصلنا سيرنا داخل محمية منتزه الولاية. ثم اقتربنا من الطريق ستارك، وشاهدنا شاحنة تابعة لشركة الكهرباء متوقفة في جانب الطريق وكانت مصابيحها تومض، وكنت متأكداً من أنها مركبة المراقبة التابعة لشرطة الولاية. خففت السرعة لكي أتأكد من أنهم رأونا ونحن ننعطف في اتجاه الطريق ستارك.

أثناء سيرنا داخل نفق من الأشجار، قلت لكايت: "حسناً، اتصلي بشرطة الولاية، وأخبريهم بأننا بحاجة إلى التحدث إلى الرائد شافير، وأن الأمر ضروري".

أخرجت كايت هاتفها الخليوي من حقيبتها، وشغّلته، وقالت: "لا يوجد إرسال".

"ماذا تعنين؟ لا يبعد برج الترحيل الذي يملكه مادوس أكثر من ستة كيلومترات".

"لا يوجد إرسال".

قمت بتشغيل هاتفي الخليوي. لم يكن يتوفر إرسال. قلت: "ربما نحتاج إلى الاقتراب أكثر". وسلّمتها هاتفي.

انعطفت في اتجاه طريق قطع الأخشاب، وقالت كايت التي كانت لا تزال تمسك هاتفها الخليوي: "لا يوجد إرسال".

"حسناً، ..." كنا نقترب من الطريق ماكوين بوند، فقمت بتخفيف سرعة السيارة وإضاءة مصابيحها، على أمل أن أجد مركبة مراقبة، ولكنني لم أجد أحداً عند التقاطع.

انعطفت نحو اليسار قاصداً الطريق ماكوين بوند ونظرت إلى ساعتي. كانت تشير إلى 6:55 مساء. وبعد بضع دقائق، اقتربنا من أضواء ولافتات التحذير التي تسبق الوصول إلى بوابة نادي كاستر هيل. سألت كايت، "هل يوجد إرسال؟"

"لا يوجد إرسال".

"كيف يمكن حدوث ذلك؟"

أجابت، "لست أدري. ربما يعاني برج مادوكس من مشكلة. أو ربما عمد إلى وقف تشغيله".

"ولماذا يعمد إلى ذلك؟"

"دعني أفكر".

"أجل، إنه مهووس أخرق بالفعل".

"إنه مهووس أخرق ذكي". وسألتني، "هل تريد الرجوع من حيث أتيت؟"

"كلا. أبقِ الهاتفين في وضعية تشغيل".

"حسناً، ولكن ما من أحد سيتمكن من التقاط إشارتنا هنا ما لم يعد برج ترحيل الموجات الخليوية في كاستر هيل إلى العمل".

"يمكن أن يكون مجرّد انقطاع مؤقت". ولكنني كنت أشك في ذلك. الآن، وبعد أردت الكشف عن موقعي، أصبحنا في حالة صمت إلكتروني.

خففت سرعة السيارة عند مطبّ السرعة، ثم توقفت عند إشارة التوقف. انزلقت البوابة، وكان في مقدوري رؤية حارسي المفضّل في مدخل النادي المضاء بالأنوار الكاشفة. اقترب منّا ودسست مسدسي الغلوك في خصري. وقلت لكايت: "احترسي".

قالت: "اسأله إن كنت تستطيع استعمال هاتفه الأرضي للاتصال بشرطة الولاية وإخبار أفرادها بأننا في نادي كاستر هيل".

تجاهلتُ اقتراحها التهكمي، وراقبت الحارس وهو يقترب منا بخطى بطيئة. قلت لكايت: "على أية حال، أنا على ثقة من أن سيارة المراقبة شاهدتنا".

"أنا متأكدة من ذلك يا رودي".

"يا إلهي. كان ذلك تصرفاً غبياً منّي".

كان من المحتمل أن تكون غاضبة أو ناقدة، ولكنها أمسكت بيدي، وقالت: "نحن نمرّ جميعاً في لحظات غبية يا جون. وأنا أتمنّى فقط في أنك لم تتعمد اختيار هذه اللحظة للقيام بعمل خاطئ".

لم أجب، ولكنني وجهت لنفسي صفعة ذهنية.

وصل النازي الجديد إلى المركبة، وأنزلت زجاج النافذة. بدا متفاجئاً لرؤيتي في المركبة التي يعرف على الأرجح أنها لرودي. نظر إلى كايت ثم قال لنا: "السيد مادوكس يتوقع وصولكما".

"هل أنت واثق من ذلك؟"

لم يجب، ولكنه وقف في مكانه. تولّدت لديّ رغبة في تحطيم وجهه الغبي. لاحظت اسمه على شارته المموهة للمرة الأولى. لقد قام والداه بتسمية ولدهما الصغير لوثر. على الأرجح أنه لم يكن في مقدورهما تهجئة الاسم لوسيفر. سألته، "هل يُتوقع حضور شخص آخر مأدبة العشاء يا لوسيفر؟"

"لوثر. كلا. يتوقع وصولكما فقط".

قل: "سيدي".

"سيدي".

"وسيدتي. دعنا نحاول مرة أخرى".

أخذ نفساً عميقاً لكي يظهر لي بأنه يحاول السيطرة على أعصابه، ثم قال: "أنت فقط سيدي، وأنت سيدتي".

"هذا جيد. تدرّب على قول ذلك".

قال لوثر: "أنت تعرف الطريق، سيدي. أرجو أن تقود سيارتك ببطء وانتباه هذه المرّة، سيدي".

"عليك اللعنة". اقتربت من البوابة التي كانت قد فُتحت بالكامل.

سألتني كايت، "ما الذي عناه بقوله 'هذه المرّة'؟"

"أوه إنــه واقف هناك مع رفيقه". خففت السرعة لدى وصولي إلى بيت الحراسة ونفختُ في البوق الهوائي من خارج النافذة في وجه الحارس الآخر وهو ما جعله يقفز مسافة تقارب المتر، "لقد حاولوا إلقاء أنفسهم أسفل عجلات سيارتي من بعد ظهر هذا اليوم". وواصلت سيري.

"لماذا فعلت ذلك؟ لقد أفزعتني".

قلت: "أنا آسف. يا كايت، كان هذان الوغدان، ورفاقهما الأشخاص الذين أمسكوا بهاري يوم السبت. وعلى حدّ علمي، ساعد واحد أو اثنان منهم في قتله يوم الأحد".

أومأت برأسها.

قلت: "سنرى كل واحد من هؤلاء الأشخاص في المحكمة".

ذكرتني بالقول: "ربما نرى كل واحد منهم في نصف الساعة التالية".

"هذا جيد. سأوفر على دافعي الضرائب بعض المال".

"اهدأ".

لم أجب.

فيما كنا نسير على الطريق المتعرّج، عملت أجهزة استشعار الحركة على إضاءة أعمــدة المــصابيح. وأســفل أحد هذه الأعمدة، شاهدت ما بدا أنه فرّامة أخشاب على المـــرج، وهو ما ذكّرني بتعبير رجال المافيا عن طريقة التخلص من أعدائهم بواسطة فرّامة الخشب. كنت أضحك دائماً من ذلك، لكن لسبب معين، اكتفيت بالابتسام.

سألتني كايت، "ما هو الأمر المضحك؟"

"تـــسيته". والأمر الأقل إثارة للضحك هو أننا لسنا أشجاراً ولا فروعاً ميتة على العشب.

ـ أنـــت لا تقحـــم نفسك في العادة في أوضاع مثل هذه بدون مساندة. ولكن يمكن وصـــف هـــذا الوضـــع بأي وصف سوى أنه عادي. ووجه السخرية فيه هو أننا كنا مختبئَين من *الوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب*، ومن ليام غريفيث، ومكتب التحقيقات الفيدرالـــي، وشـــرطة الولاية؛ والآن، أصبحنا نريد من الجميع أن يعرف مكاننا. في الواقع، إن باين مادوكس فقط كان يعرفه.

عـــندما أُصـــاب بالهـــوس، كمـــا هو الحال الآن، أتخيّل أن وكالة الاستخبارات المركـــزية تـــشارك فـــي العملية. وبالنظر إلى ما تدور حوله القضية، لماذا لا ينبغي الاعتقاد بأنها مشاركة؟

سألتني كايت، "ما الذي تُفكّر فيه؟"

"أنا أفكر في وكالة الاستخبارات المركزية".

فكّرتْ في الأمر أيضاً، وقالت: "أجل. وهذه القضية أيضاً ينبغي أن تحملهم على التدخل".

"ســـيتدخلون". لكـــن مـــن النادر أن تراهم أو تسمع عنهم. ولهذا السبب يُسمَّون بالعفاريت، أو الأشباح، وفي حال رأيتهم أصلاً، تكون تلك النهاية، كما هو الحال عليه الآن تقريباً.

قلت لكايت: "في الواقع، أرى أن لتيد ناش يدّاً في العملية".

نظرت إليّ وسألتني "تيد ناش؟ يا جون، لقد مات تيد ناش".

"أنا أعرف ذلك، ولكنني أحببت أن تقولي تلك العبارة".

لم ترَ في العبارة دعابة، على العكس منّي.

عـــندما وصـــلنا إلى مستديرة، كان يوجد وتد علم يرفرف عليه العلم الأميركي والعلم الصغير الذي يعود إلى فرقة الخيالة السابعة، أسفل ضوءين كاشفين.

قلت لكايت: "العلم الصغير أو الراية تعني أن القائد موجود في الدار".

أجابت، "أنا أعرف ذلك. ألم تلاحظ يوماً رايتي على عمود السرير؟"

ابتسمتُ، وأمسكت بيدها. قالت لي: "أنا متخوّفة بعض الشيء".

ذكّرتها قائلاً: "لسنا لوحدنا. إن القوة والسلطات الكاملة لحكومة الولايات المتحدة تقف خلفنا".

نظرت إلى الخلف، وقالت: "لا أرى أحداً سوانا يا جون".

شـــعرت بالـــسعادة لأنهـــا لا تزال تحافظ على روحها المرحة. أمسكت بيدها، وأوقفت المركبة المقفلة أسفل البهو، وسألتها، "هل أنتِ جائعة؟"

"أنا أتضورّ جوعاً".

نـــزلنا من السيارة، وصعدنا الدرجات التي تؤدي إلى الشرفة، وقرعت الجرس.

الفصل 48

فتح كارل الباب وقال لنا: "السيد مادوكس في انتظاركما".

أجبته "مساء الخير يا كارل".

أنـــا واثق من أنه أراد أن يقول "عليك اللعنة"، ولكنه لم يفعل. رافقنا كارل حتى الردهة وقال: "سآخذ معطفيكما".

أجابت كايت، "لا نريد خلعهما".

بـــدا كـــارل غير مسرور بجوابها، ولكنه قال: "سيتم تقديم شراب الكوكتيل في المشرب. أرجو أن تتبعاني".

تبعنا كارل عبر باب قريب من السلّم، ومشينا نحو القسم الخلفي من نادي الصيد. بدا النادي هادئاً، ولم أرَ، أو أسمع، أو أشعر بأي شيء في الجوار.

كـــان مـــسدس الغلوك لا يزال على خصري، ولكنه مغطى بالقميص والسترة. وكان مسدسي من عيار 0.38 الذي أستخدمه خارج دوام العمل في جراب كاحلي. أما كايت، فقد وضعت مسدسها الغلوك في جيب سترتها، وعلى غرار غالبية عملاء مكتب التحقـــيقات الفيدرالي، إن لم يكن كلهم، لم يكن في حوزتها سلاح ثانٍ؛ باستثناء قاذف الإشارات المضيئة في مكان ما في سروالها، فيما علّقتُ قاذف الإشارات المضيئة في جيب قميصي كما أعلّق المصباح الصغير، ووضعت المخزنين الإضافيَّين في سترتي، ووضـــعتْ كايـــت مخازنها الأربعة في حقيبتها وسترتها. كنا مسلّحَين تحسّباً لمواجهة دبّ، أو مواجهة باين.

لـــم أكـــن أتوقـــع القـــيام بأية أعمال مضحكة ونحن في طريقنا؛ كما أعتقد بأن مادوكس يريد على الأقل أن يقول مرحباً ويقيّم الوضع قبل أن يقدم على خطوته.

حول هذا الموضوع، تساءلت إن كان يفضّل القيام بخطوة رجولية، مثل مواجهة مـــسلّحة أم يلجـــأ إلى مقاربة أقل عنفاً، مثل دسّ المخدّر في شرابنا، ويلي ذلك رحلة قصيرة عبر فرّامة الخشب!

إذا كان مادوكس يريد الدخول في مواجهة مسلّحة معنا، فأنا أعتمد على احتمال أنـــه لـــيس كافة حرّاسه قتلة يمكن الوثوق بهم، وهو ما قد يجعلنا نكتفي بالتعامل مع

مادوكس وكارل وحارسين أو ثلاثة وحسب.

الاحتمال الأكثر إيجابية وربما غير الواقعي هو أنه لن يدسّ السم في طعامنا أو يطلــق النار علينا في نادي كاستر هيل، وأنه عندما نواجه باين مادوكس بأدلّتنا ونلقي القــبض عليه، سيدرك بأن اللعبة قد انتهت، ويعترف بأنه قتل العميل الفيدرالي هاري مولر، ثم يدلّنا على جهاز إرسال الموجات إلف، وتكون القضية قد انتهت.

نظرت إلى كايت التي بدت هادئة ورابطة الجأش. تبادلنا النظرات، وابتسمت في وجهها وغمزتها.

كمـــا نظرت إلى وجه كارل. في العادة، يمكنك أن تعرف من الوجه ولغة الجسد إن كـــان الشخص يعرف بأن أمراً غير سارّ على وشك الحدوث. ولكنني لم ألاحظ أن كارل كان متوتراً، ولكنه لم يكن مرتاحاً أيضاً.

توقــف كـــارل أمـــام مجمـــوعة من الأبواب ذات المصراعين. وعلى أحد هذه الأبــواب، عُلّقــت لوحة نحاسية كُتب عليها "المشرب". قرع الباب، ثم فتحه وقال لنا: "سأدخل بعدكما".

قلت له: "كلا. بل سندخل بعدك".

تــردّد، ثم دخل الغرفة، ومشى نحو اليسار حيث كان السيد باين مادوكس يقف خلــف منــضدة من خشب الماهوغاني وهو يدخن، وينصت إلى سماعة الهاتف الذي لاحظت أنه أرضي وليس خليوياً.

فـــي الجانـــب الآخـــر مـــن الغرفة المضاءة بالأنوار الخافتة، كانت توجد مدفأة مشتعلة، وإلى اليمين منها مجموعة من الأقمشة المنسدلة التي ربما كانت تغطي نافذة، أو مجموعة من الأبواب ذات المصراعين والتي تؤدي إلى الخارج.

سمعت مادوكس وهو يقول: "حسناً. يوجد لديّ زوّار. سأتصل بك لاحقاً". وأغلق سماعة الهاتف، وابتسم، وقال: "أهلاً بكما، ادخلا".

ألقــيت وكايت نظرة سريعة على المكان، ثم سلكنا مسارين مختلفَين حول قطع الأثاث التي تؤدي إلى المشرب. وسمعت صوت الباب وهو يُغلَق خلفنا.

أطفــأ مادوكس سيجارته وقال لنا: "لم أكن متأكداً من أن الرسالة التي بعث بها كارل إلى **ذي بوينت** قد وصلتكما، وأملت بأنك لم تنسَ الدعوة".

وصلت كايت إلى المنضدة. قلت: "كنا متشوّقَين لحضور هذه الأمسية".

قالت كايت: "أشكرك على هذه الدعوة".

تصافحنا، وسأل مادوكس، "ماذا يمكنني أن أقدّم لكما؟"

كنت سعيداً لأنه لم يقل "اختر السمّ الذي تريده"، وسألته، "ماذا تحبّ أن تشرب؟"

أشـــار إلـــى زجاجـــة على المنضدة وأجاب، "شراب الملت الخاص بي والذي استمتعتَ بتذوّقه البارحة".

"هذا جيد. سأشربه بدون إضافات"، تحسباً لاحتمال دسّه المخدّر في المياه الغازية أو مكعبات الثلج.

قالت كايت: "املأ كوبين".

ملأ مادوكس كوبين من الكريستال بالشراب الاسكتلندي، ثم أعاد ملء كوبه من الزجاجة نفسها، والتي ربما كانت طريقته المؤدبة في إثبات أن الشراب الاسكتلندي لن يقتلنا.

وفـــي مادوكس بوعده، فارتدى الثياب غير الرسمية نفسها التي كان يرتديها في فتـــرة ما بعد ظهر هذا اليوم - فارتدى سترة زرقاء اللون، قميص بولو أبيض اللون، وســـروالاً من الجينـــز - بحيث يمكنني وكايت أن نشعر بالارتياح عندما نلقي القبض عليه.

رفع كوبه وقال: "إنها ليست مناسبة سعيدة، ولكن على أمل أن نعيش أوقاتاً أكثر سعادة".

لامسنا بين أكوابنا وشربنا. ابتلع شرابه فابتلعتُ شرابي، وابتلعت كايت شرابها.

كـــان فـــي مقدوري رؤية الغرفة المعتمة عبر مرآة المنضدة، ولاحظت وجود مجموعة أخرى من الأبواب المفتوحة في الجهة البعيدة من الغرفة والتي تؤدي إلى ما يبدو أنه غرفة للعب الورق أو غرفة ألعاب.

كمـــا لاحظـــت وجـــود بـــاب صـــغير خلف المنضدة، إلى اليسار من رفوف المـــشروبات، على الأرجح أنه يؤدي إلى مخزن أو قبو للشراب الفرنسي. في الواقع، كان يوجد الكثير من الأبواب في هذا المكان، إضافة إلى الستائر المنسدلة خلف أبواب تؤدي إلى الخارج. كما أنني لا أحب الوقوف في مشرب فيما أدير ظهري لغرفة يمكن لـــرجل خلـــف المنـــضدة أن يختفي فيها فجأة. ولذلك، قلت: "لِمَ لا نجلس بالقرب من النار؟"

قال مادوكس: "فكرة جيدة". واستدار حول المنضدة وكذلك فعلت كايت، وتقدمت نحو مجموعة من أربعة مقاعد جلدية بالقرب من المدفأة.

قـــبل أن يطلـــب إلينا الجلوس، اخترتُ وكايت مقعدين متقابلَين وتركنا لمادوكس أحـــد المقاعـــد التي تواجه المدفأة وبذلك أدار ظهره للأبواب المزدوجة المقفلة. ومن مقعـــدي، كان في مقدوري رؤية الأبواب المفتوحة التي تؤدي إلى غرف لعب الورق، وكان في مقدور كايت رؤية المنضدة حيث يوجد الباب الصغير.

بعـــد أن حجــزت مقعـــدي، نهضت، واقتربت من الستائر التي في يمين المدفأة وقلـــت: "هل تمانع؟" وسحبتها. وجدت أن هناك مجموعة من الأبواب الزجاجية التي تؤدي إلى مصطبة مظلمة.

عدت إلى مقعدي، وجلست، وقلت: "إنه منظر رائع".

لم يعلّق مادوكس على كلامي.

فـــي الأساس، كانت القواعد كافة مغطاة، وكنت متأكداً من أن باين مادوكس – الضابط السابق في سلاح المشاة – يقدّر قلقنا من ميادين القتال.

سألنا مادوكس، "هل ترغبان في خلع سترتيكما؟"

أجابت كايت، "كلا. شكراً. لا زلت أشعر بالبرد".

لم أجب عن سؤاله، ولاحظت أنه لم يخلع سترته، وربما لنفس السبب الذي دعانا إلـــى عدم خلع سترتينا. لم ألاحظ انتفاخاً في ثيابه، ولكنني عرفت أنه وضب شيئاً ما في مكان ما.

ألقـــيت نظـــرة على الغرفة. كانت أقرب إلى طراز نادٍ لرجال الأعمال منها إلى طـــراز نـــادٍ للصيد في أديرونداك. كان يوجد على أرضية الغرفة سجادة عجمية من صـــنع بـــلاد فارس بدت باهظة الثمن، والكثير من قطع الأثاث المصنوعة من خشب الماهوغانـــي، والجلـــد الأخـــضر، والنحاس المصقول. ولكنني لم ألاحظ حيواناً ميتاً، وأملت بأن تبقى الغرفة على هذه الحال.

قـــال مـــادوكس: "هذه الغرفة نسخة مطابقة للغرفة التي في شقتي في نيويورك، والتي هي بدورها نسخة مطابقة لغرفة في نادٍ لندني".

سألته، "أليس الأمر مربكاً بعض الشيء أن يكون لديك عدد من الغرف المتشابهة؟"

ابتسم بأدب، ثم قال: "دعنا ننهي بعض الأعمال". وقال لي: "لدي قائمة بحرّاسي الـــذين كانوا مداومين يوم عطلة نهاية الأسبوع، وسأحرص على تقديمها إليك قبل أن ترحل".

"هذا جيد". وسألته، "وماذا عن موظفي المنـــزل؟"

أجـــاب، "لدي قائمة كاملة بأسماء الموظفين الذين كانوا يعملون في المنـــزل يوم عطلة نهاية الأسبوع".

"وماذا عن السجل الأمني والأشرطة الأمنية؟"

أومأ برأسه، وقال: "لقد صنعت نسخاً كاملة لك".

"هـــذا رائع". وهكذا، بقي السؤال الصعب عن ضيوف يوم عطلة نهاية الأسبوع من الأثرياء والمشاهير. سألته، "وماذا عن قائمة ضيوف المنـــزل؟"

أجاب، "أنا بحاجة إلى التفكير في هذا الأمر".

"ما هي النواحي التي ترغب في دراستها بالتحديد؟"

قـال: "حسناً، من الواضح أن أسماء هؤلاء الأشخاص لا تعني أحداً". وأضاف، "أعـتقد بـأن هذا هو سبب إرسال الحكومة للسيد مولر إلى هذا المكان للحصول على هـذه الأسـماء بطريقة ملتوية. وأنت تريد منّي الآن أن أعطيك هذه الأسماء بطريقة طوعية".

ذكّرته بالقول: "هاري مولر تُوفي، ونحن نحقق الآن في أسباب وفاته. وكنت قد أخبرتني هذا اليوم أنك ستعطينا أسماء هؤلاء الأشخاص".

"أنـا مـدرك تمامـاً لهذا الأمر، ولذلك اتصلت بالمحامي الذي وعدني بردّ هذا المساء". وأضاف، "إذا طلب مني تقديم الأسماء، فسأقدمها لك هذه الليلة".

قالت كايت: "وفي حال لم يفعل، يمكننا طلب هذه المعلومات عن طريق القضاء".

أجاب مادوكس، "ربما تكون تلك أنسب طريقة لكي أعطيكما تلك الأسماء". وعلّل ذلك قائلاً: "لأن ذلك سيعفيني من الدخول في مشكلة مع ضيوفي".

فـي الأساس، أراد من هذا الكلام التافه أن يحملنا على الاعتقاد بأن لديه بعض القـضايا الخطيرة التي ينبغي أن يُفكر فيها. وفي هذه الأثناء، كل ما كان يفكر فيه هو إطلاق إشارة إلف إلى بلاد الصحراء، والطريقة الأنسب للتخلّص من كوري ومايفيلد.

قـال لنا: "أخبرني المحامي بأن الحكومة الفيدرالية لا تملك صلاحية التدخل في قضية جنائية على مستوى الولاية".

تركت لكايت معالجة هذا الأمر، فقالت: "كل التهم التي ستصدر عن هذا التحقيق بارتكـاب جريمة قتل ستكون موجَّهة من قِبل ولاية نيويورك. وفي هذه الأثناء، نحن نحقق في اختفاء عميل فيدرالي، واختطافه المحتمل، وهذه جريمة فيدرالية، إضافة إلى اعـتداء جرمـي محـتمل على العميل المتوفى". وسألت مادوكس، "هل ترغب منّي التحدث إلى محاميك؟"

أجـاب، "كلا. أنا متأكد من أنه في مقدور حكومة الولايات المتحدة العثور على قانون يلائم أية جريمة هذه الأيام، بما في ذلك مخالفة قانون السير".

أجابت العميلة الخاصة مايفيلد، "أعتقد بأن الأمر أكثر خطورة من ذلك".

تـرك مـادوكس تلك العبارة تمرّ، ولذلك قمت بتغيير الموضوع لإراحة الجميع فقلت: "هذا الشراب الاسكتلندي جيد".

"شـكراً لك. ذكّرني بأن أقدم لك زجاجة قبل أن ترحل". وقال لكايت: "لا يوجد الكثير من السيدات اللاتي يشربن المالت".

أجابت، "في المبنى الفيدرالي 26، أصبحت مثل باقي الرجال".

تبسّم في وجهها، وأجاب، "أعتقد بأنهم بحاجة إلى عدسات طبّية في المبنى الفيدرالي 26".

ملاحظة جيدة من باين العجوز، رجُل الرجال، ورجل النساء. إنه فاتن حقيقي معادٍ للمجتمع. وعلى أية حال، رأى مادوكس أننا فرغنا من العمل، وواصل التودد إلى السيدة مايفيلد، وسألها، "إذاً، كيف حال صفكِ الذي تتعلمين فيه كيفية الغناء بصوت مرتفع؟"

بدت كايت مرتبكة بعض الشيء نتيجة للسؤال، ولكها أوضحت، "إنه صف لتعليم اليوغا".

"أوه، اعتقدت أنكَ قلت إنه صف لتعليم الغناء بصوت مرتفع". ثم ضحك، واعترف لكايت، "لم يعد سمعي كما كان في السابق".

نظرت كايت إليّ، ثم قالت: "كان صفاً جيداً".

طرح مادوكس على كايت السؤال، "هل تستمتعين بوقتكِ في فندق **ذي بوينت**؟"

"إنه في غاية الروعة".

"آمل بأن تبقَي لحضور مأدبة العشاء. لقد وعدت السيد كوري بأننا سنكون أفضل من هنري".

أجابت كايت، "خططْنا للبقاء وتناول العشاء".

"هذا جيد. في الواقع، بما أنه لا يوجد أحد هنا، وأن أحداً لن يعرف بأمر دعوتي، فأنا أدعوكِ لتمضية ليلتكِ هنا".

لم أعرف إن كانت هذه الدعوة تشملني، ولكنني أجبت، "ربما نقبل هذه الدعوة".

"هذا جيد، فرحلة العودة إلى **ذي بوينت** طويلة؛ وخصوصاً إذا كنتِ قد شربت، وهو الأمر الذي لا تكثر منه". وتبسّم في وجهي وتوسع في الموضوع قائلاً: "كما أنك لا تقود المركبة التي يُعرف بأنك تقودها".

لم أعلّق على هذه الملاحظة.

أضاف مادوكس، "في البارحة، كنت تقود سيارة من طراز توروس، وهذا الصباح، كنت تقود سيارة هيونداي، والآن أن تقود مركبة رودي المقفلة". وسألني، "هل وجدت السيارة التي تعجبك؟"

أنا أكره المتحذلقين سواي، قلت له: "كنت على وشك أن أسألك أن تعيرني سيارة جيب".

لم يجب عن ذلك، ولكنه سأل، "لماذا تغيّر سياراتك باستمرار؟"

لكي أربكه بقول الحقيقة، أجبته، "إننا هاربان من وجه العدالة".

ابتسم.

قالت كايت: "عانينا من مشكلات مع السيارتين اللتين استأجرناهما".

"حـــسناً، أنا على ثقة من أنهم كانوا سيعرضون عليكما سيارة أخرى، لكن أحسن رودي بإعارتكمـــا مـــركبته المقفلة". ثم عاد إلى موضوع التحقيق وسألني، "لقد قمتُ بـــبعض التحـــرّيات، ووجـــدت أن مكـــتب الشريف لم يتبلّغ خبراً بوقوع جريمة قتل محتملة". وأضاف، "لا يزال على اعتقاده بأنها حادثة".

أجبته، "التحقيق على صعيد فيدرالي وعلى صعيد الولاية، لا على صعيد محلّي".

وسألته، "ماذا تقصد؟"

"أنا لا أقصد شيئاً، وإنما أحببت أن أشير إلى ملاحظة وحسب".

قلت له: "أعتقد بأنه ينبغي أن تترك النواحي المتعلقة بالصلاحيات للقانون".

لم يجب، كما لم تظهر عليه علامات الانـــزعاج من مخالفتي لرأيه. من الواضح أنه أراد منا أن نعرف بأن لديه من المعلومات ما يزيد على ما هو بحاجة إلى معرفته؛ بمـــا فـــي ذلك حقيقة أن المحقق كوري والعميلة في مكتب التحقيقات الفيدرالي مايفيلد ليـــسا علـــى اتـــصال وثيق بزملائهما، وأنهما أرادا البقاء على هذه الحال عبر تبديل المركبات كل اثنتي عشرة ساعة.

لـــم أعـــرف إن كان باين مادوكس متأكداً من ذلك، ولكنه عرف بالتأكيد بأننا لم نجـــرِ مكالمـــة هاتفية خليوية واحدة ضمن شعاع يتراوح ما بين خمسة عشر وخمس وعشرين كيلومتراً من المكان.

هكـــذا جلـــسنا صـــامتين قـــرابة دقيقة - ننظر إلى الحطب المتوهج، والشراب الاسكتلندي، والكريستال الذي يومض تحت تأثير النار - ثم وجّه مادوكس سؤاله إلى كايـــت فقـــال: "عبّرت عن عميق أسفي إلى السيد كوري، وأودّ أن أفعل الشيء نفسه معكِ". وسأل، "هل كان السيد مولر صديقاً لكِ أيضاً؟"

أجابت كايت، "كان زميلاً مقرباً".

"حسناً، أنا آسف بالفعل. وأنا مستاء جداً لأن السيد كوري يعتقد بأن أحد حرّاسي ربما كان على علاقة بوفاة السيد مولر".

أجابت كايت، "أنا أعتقد ذلك أيضاً". وأضافت، "وحول موضوع الاستياء، يمكنك تخـــيّل مدى استياء أطفال التحرّي مولر بعد أن علموا بأن أباهم لم يمت وحسب، بل وربما قُتل". ونظرتْ إلى مضيفنا.

عاد مادوكس إلى التحديق، ولكنه لم يعلّق بشيء.

أضـــافت كايـــت، "وباقي أفراد عائلته، وأصدقائه، وزملائه. عندما تكون الوفاة ناجمة عن جريمة قتل، يتحوّل الحزن إلى غضب بسرعة شديدة". وقالت لمضيفنا: "أنا غاضبة أشدّ الغضب".

أومأ مادوكس رأسه ببطء ثم قال: "يمْكنني تفهم ذلك". وأضاف، "وأنا آمل من كل قلبـــي بـــألاّ يكون أحد حراسي متورطاً في ذلك. ولكن إذا تبين صحة هذا الأمر، فأنا أريد أن يُقدّم هذا الشخص إلى المحاكمة".

قالت كايت: "سيُقدَّم إلى المحاكمة".

أفـــسحت المجـــال أمـــا احتمال آخر فقلت: "ربما يكون أحد موظفي المنـــزل". وأضفت، "أو أحد ضيوفك".

ذكّرنـــي بالقول: "أنت تعتقد بأنه أحد حرّاسي. والآن، يبدو أنك في رحلة لصيد السمك".

أجبته، "بل في رحلة لصيد الحيوانات".

"لا يهم". وسألني، "هل يمكنك أن تكون أكثر تحديداً في الإشارة إلى السبب الذي يجعلك تفكر في أن أحد الموظفين – أو أحد الضيوف – شارك في ما تعتقد أنه جريمة قتل؟"

أعتقد بأننا نعرف جميعاً ما عناه باين مادوكس بذلك؛ وبطريقة ما، أعتقد بأنه لم يكن يأبه لذلك.

مـــع ذلـــك، فكّـــرت في أن ذكر بعض المعلومات التي لم يُكشف عنها في هذه القضية ربما تربكه، ولذلك قلت: "حسناً، أولاً، لديّ دليل قوي يثبت أن التحرّي هاري مولر كان في أرضك".

نظرت إلى مادوكس، ولكنني لم ألاحظ أية ردّة فعل.

واصـــلت كلامـــي، فقلت: "ثانياً، نحن نعتقد من خلال الأدلة الجنائية أن التحرّي مولر كان في منـــزلك".

وهنا أيضاً لم ألاحظ أية ردّة فعل.

حسناً، إنه أخرق. "ثالثاً، علينا أن نفترض بأن التحرّي مولر احتُجز من قِبل أحد حرّاســـك. كمـــا أن لدينا دليلاً يثبت أن سيارته المقطورة كانت في الأصل قريبة من أملاكك، ثم نُقلت من مكانها". وشرحت له كافة هذه الأدلة بالتفصيل. لكن لم تبدر عنه أية ردّة فعل أيضاً، باستثناء إيماءة، كما لو أنه مهتم بما أقول.

شـــرحت بعض النواحي لباين مادوكس، فوصفت كيفية ارتكاب الجريمة، والتي شارك فيها اثنان على الأقلّ؛ شريك قاد السيارة المقطورة للضحية، والآخر قاد سيارة

منفصلة قلت له إنها سيارة جيب، أو درّاجة نارية تسير على أربع عجلات، بالاستناد إلى وجود مجموعتين منفصلتين من آثار العجلات، والتي لم نعثر عليها في حقيقة الأمر، ولكنني كنت متأكداً من أنه لا يعرف ذلك على وجه اليقين.

كذبت عندما قلت إن تقرير اختبارات السموم أظهر وجود مخدّرات قوية في دم الضحية، ثم وصفت له كيفية حدوث الجريمة في اعتقادي، وذلك بحقن الضحية بالمخدّر، ثم وضعه على ركبتيه وإبقائه جاثياً بواسطة شريط المنظار، وما إلى ذلك.

أومأ مادوكس برأسه مجدداً كما لو أنه لا يزال مهتماً، ولكنه كان شارد الذهن بعض الشيء. لو توقعت ردّة فعل ما - مثل صدمة، أو عدم تصديق، أو انزعاج، أو دهشة - لكنّ ظنّي قد خاب.

احتسيت بعضاً من الشراب الاسكتلندي، ونظرت إليه. ساد الهدوء الغرفة باستثناء صوت الحطب المشتعل، ثم قال مادوكس: "أنا مبهور من قدرتك على جمع هذا القدر من الأدلة في هذا الوقت القصير".

قلت له: "إن الساعات الثماني والأربعين الأولى هي الفترة الحرجة".

"أجل، هذا ما سمعته". وسألني، "كيف أشار الدليل الجنائي إلى هذا المنزل؟"

قلت له: "إذا كنت تريد بالفعل معرفة ذلك، عليّ أن أخبرك أنني قمت بجمع ألياف من البُسُط، إضافة إلى شعرات آدمية وحيوانية عندما كنت هنا، ووجدنا أنها متطابقة مع ما وجدناه على جثة التحرّي مولر وثيابه".

"هل تطابقت فعلاً؟" ونظر إليّ وقال: "لا أذكر أنني منحتك إذناً بالقيام بذلك".

"ولكنك كنت ستفعل ذلك على أية حال".

لم يعلّق على جوابي وقال لي: "كان ذلك عملاً مخبرياً سريعاً".

"هذا تحقيق جنائي، والضحية عميل فيدرالي".

"حسناً، إذاً، ماذا وجدتم بالاستناد إلى هذه الألياف...؟"

أعطيته درساً سريعاً في تحليل الألياف، وقلت: "تطابقت الألياف التي وُجدت على الضحية مع الألياف التي عثرتُ عليها هنا. وعلى الأرجح أن شعرات الكلب تتطابق مع شعرات كلبك، الذي يسمى.."

"قيصر ويليام".

"لا يهم. كما أن الشعرات الآدمية التي وجدناها على جثة التحرّي مولر، إضافة إلى أية آثار للحمض النووي التي وُجدت على جثة الضحية أو ثيابه ستقودنا إلى القاتل أو القتلة".

تبادلـــنا النظرات، ولكنّ عيناه لم ترمشا، ولذلك قلت: "وبمساعدتك، يمكننا إعداد لائحــــة بكافـــة الأشخاص الذين كانوا هنا يوم عطلة نهاية الأسبوع. وبعد ذلك سنأخذ عيـــنات مـــن الحمض النووي منهم، وبعض الألياف من ثيابهم، مثل البزّات المموهة التي يلبسها حراسك". وسألته، "هل تفهمني؟"

أومأ برأسه.

"وفـــي معرض الحديث عن جيشك، ما هو المكان الذي أحضرت منه حرّاسك، وكيف تمكنت من إحضارهم؟"

أجاب، "إنهم جميعاً عسكريون سابقون".

"فهمـــت. إذاً علينـــنا أن نفتـــرض بأنهم جميعاً مدرّبون على استخدام الأسلحة، ووسائل القوة الأخرى".

قال لي: "والأهم من ذلك إنهم منضبطون جداً. وكما سيخبرك أي رجل عسكري، أفـــضّل أن يكون لديّ عشرة رجال منضبطون ومدرّبون تدريباً جيداً على ألف جندي غير مدرّب وغير انضباطي".

"لا تنسَ الولاء، والتحمس لقضية نبيلة".

أجاب، "بالطبع".

سألت كايت مضيفنا، "كم كان عدد الحرّاس المناوبين ذاك المساء؟"

بدا أنه كان يقرأ المعنى الضمني للسؤال، وابتسم قليلاً على طريقة تبسّم الكونت دراكولا إذا سأله ضيفه على مائدة العشاء "إذاً، متى تشرق الشمس هنا؟"

أجاب مادوكس، "أعتقد أنه يوجد عشرة رجال مناوبون هذه الليلة".

ســـمعنا شخصاً يقرع الباب، فتبين أنه كارل الذي فتحه وهو يجرّ عربة وضعت علـــيها صينية مغطاة كبيرة. حمل كارل الصينية، ووضعها على طاولة القهوة، ورفع الغطـــاء عـــنها. كان يوجد في الصينية الفضية حوالى عشر قطع من السجق الملفوف بالعجـــين المحمّـــص قلـــيلاً على الطريقة التي أريدها. وفي وسط الصينية كان يوجد وعـــاءان مـــن الكريستال؛ الأول يحتوي على خردل سميك داكن اللون جاهز للأكل، وكان الثاني يحتوي على خردل رقيق أصفر اللون.

قـــال لنا مضيفنا: "لديّ اعتراف ينبغي أن أقدّمه، لقد اتصلت بهنري، وسألته إن كان أي منكما قد ذكر طعاماً يحبّه، فوالا (كلمة فرنسية)!" وابتسم.

لـــم يكن الاعتراف الذي أملت بسماعه، وهو عرف ذلك، ولكنه لم يكن اعترافاً سيئاً.

سأل كارل، "هل تريدون شيئاً آخر؟"

أجاب مادوكس، "كلا ولكن..." ونظر إلى ساعته "تأكد من تجهيز طعام العشاء".

"أجــل سيدي". غادر كارل، وقال لنا مادوكس: "لا يوجد طبق دجاجة الأرض هذه الليلة؛ مجرّد شرائح بسيطة من لحم البقر وقطع البطاطا". وسألني، "تناول واحدة من هذه".

لاحظت كايت وهي ترمقني. من الواضح أنها لم تعتقد بأنه في مقدوري مقاومة قطعة صغيرة من السجق، سواء أكان فيها مخدّر أم لا، وكانت محقة في ذلك. كان في مقدوري شمّ عبق العجينة المحمصة والسجق المصنوع من لحم البقر المشبع بالدهون.

غُــرس في كل قطعة عود خشبي – لونه أحمر، أو أزرق، أو أصفر – وبالتالي كــل ما كان عليّ القيام به هو تخمين اللون الذي يشير إلى القطع الخالية من المخدّر. اختــرت اللــون الأزرق، وهــو لوني المفضّل، فتناولت قطعة، وغمستها في الخردل الجاهز للأكل.

قالت كايت: "يا جون، ينبغي أن تحافظ على شهيتك من أجل تناول العشاء".

"ســأكتفي مــن تناول القليل منها". وضعت القطعة في فمي. كان طعمها رائعاً: حارّة، ومحمّصة، وغنية بالخردل.

قال مادوكس لكايت: "أرجو أن تخدمي نفسكِ".

"كلا شكراً". رمقتني بعين قلقة وقالت لمادوكس: "تناول شيئاً".

اخــتار مــادوكس أيــضاً قطعــة غُرس فيها عود أزرق، ولكنه اختار الخردل الأصفر. وبالتالي ربما اخترتُ الخردل الخطأ.

فــي الواقــع، شــعرت بمزاج جيد فتناولت قطعة أخرى، ولكن بعد غمسها في الخردل الأصفر هذه المرّة، لمجرّد التزام جانب الأمان.

مضغ مادوكس طعامه، وابتلعه وقال: "ليس سيئاً". ثم اختار عوداً أحمر وعرض القطعة على كايت وقال: "هل أنتِ متأكدة أنكِ لا تريدين تذوّق شيء منها؟"

"كلا، شكراً".

أكل مادوكس القطعة بعد أن غمسها هذه المرّة في الخردل الجاهز للأكل. ولذلك تناولت قطعة أخرى.

ذكّرتنــي قطــع السجق بالكلب قيصر ويليام. تنبّه الكلابُ أسيادها، وكل شخص آخر، بأن شخصاً ما يقترب؛ وساورني إحساس قوي بأن مادوكس لم يشأ أن نعرف أنا وكايت إن كان يوجد شخص خارج تلك الأبواب. كما أنه إذا كان قيصر ويليام موجوداً هنا، فسأقوم بإطعامه حوالى عشرين قطعة لكي أعرف إن كان سينقلب على ظهره أو مــا إذا كــان مــادوكس سيوقفني. ومن ناحية أخرى، ربما كنت أبالغ في تحليل هذه الدعوة، وهو ما أميل إليه عندما تُثار غرائزي الكلبية.

اعـتقدت بأنه آن الأوان لزيادة مستوى الإزعاج، ولذلك قلت لمادوكس: "وأنا أيضاً لديّ اعتراف أودّ أن أقدّمه". وسألته، "هل تعرف شيئاً عن أبناء عائلة بورغياس؟"

أومأ برأسه.

"حـسناً، بعـد أن دعوتنا إلى هنا، حصلنا على تقرير اختبارات السموم المتعلق بهـاري، والـذي أظهر مستويات مرتفعة من المخدّر في دمه. وشعرت أنا وكايت... حسناً، بالقلق من... أنت تعرف".

نظـر مـادوكس إلـيّ، ثم إلى كايت، ثم عاد إلى النظر إليّ وقال: "كلا، أنا لا أعرف شيئاً عن الموضوع". وأضاف بنبرة جافة، "وربما لا أريد أن أعرف".

واصـلت كلامـي فقلت: "أعتقد بأن ذلك يندرج ضمن فئة ضيوف مآدب العشاء السيئين، ولكنّ كايت... وأنا أيضاً فيما أعتقد، قلقان من أنه يوجد شخص من موظفيك يمكـنه الحـصول على مخدّرات قوية، ويمكن أن يكون هو نفسه الذي استخدمها مع الضحية المتوفى".

لـم يعلق السيد مادوكس على ذلك، ولكنه أشعل سيجارة بدون أن يسأل إن كان يمانع في ذلك أحد.

تبادلت النظرات مع كايت التي بدت أكثر انـزعاجاً من باين الذي بدا كما لو أن أحداً أساء إليه.

لكي أجعله يشعر بمزاج أفضل، اخترت قطعة أخرى من السجق - بعود أزرق وخـردل أصفر - ووضعتها في فمي، ثم واصلت حديثي "ومن ناحية أخرى، يبدو أنه جـرى تخديـر التحـرّي مولر بواسطة سهم يُستخدم في تهدئة الحيوانات، وتلا ذلك إعطـاؤه حقنتين تحت الجلد لإبقائه تحت تأثير التخدير". نظرت إلى مادوكس، ولكنني لـم ألاحـظ ردّة فعـل. وأضـفت، "ولذلك، يمكننا استبعاد دسّ المخدّر في الشراب الاسكتلندي، أو في الخردل هذه الليلة".

احتـسى مادوكس الشراب الاسكتلندي، وأخذ نفساً من سيجارته، ثم سألني، "هل تلمح إلى أن أحداً هنا يحاول أن... يخدّرك؟"

أجـبت، "حسناً، أنا أقوم بمجرد عملية استقراء من واقع الأدلة التي بين أيدينا". أردت أن أحكـي نكتة خفيفة للتخفيف من الاحتقان فقلت: "يقول الكثير من الناس إنهم بحاجة إلى تخدير، وربما سيعود عليّ ببعض النفع؛ إذا لم تتبعه طلقة في الظهر".

جلـس مـادوكس بهـدوء في مقعده المصنوع من الجلد الأخضر الجميل، ونفخ حلقـات دخانـية، ثـم نظر إلى كايت وأشار إليها قائلاً: "إذا كنتِ تعتقدين بأن هذا ما حصل، فلن نحظى على مأدبة العشاء بالكثير من المرح".

هذه نقطة جيدة يا باين. أنا معجب فعلاً بهذا الرجل. من المؤسف جداً أنه ينبغي أن يمــوت، أو إذا كـــان محظوظاً، فسيمضي بقية حياته في مكان أقل رفاهية من هذا المكان.

قرّرتْ كايت أخذ زمام المبادرة فقالت لمادوكس: "أنا مهتمة بكارل".

نظـــر مادوكس إليها، ثم قال: "كارل هو أقدم الموظفين لديّ وأكثرهم أهلاً للثقة وصديق أيضاً".

"ولهذا السبب أنا مهتمة به".

أجاب مادوكس بحدّة، "هذا يشبه اتهاماً توجهينه إليّ".

أجابــت كايــت، "ربمـــا كان يجدر بنا إخبارك بأنه ما من أحد كان موجوداً في النادي يوم عطلة نهاية الأسبوع يعلو على الشبهات. وهذا يشملك أيضاً".

فـــي هذه اللحظة، كان ينبغي على مادوكس أن يقول لنا بأن ننسى أمر العشاء، ويطلب منا الخروج من بيته. ولكنه لم يكن ليفعل ذلك لأن ما بينه وبيننا من حساب لا يقل عن الحساب الذي بيننا وبينه.

فـــي الواقـــع، كانت تلك اللحظة التي تجاوزنا فيها العتبة، لنبدأ الآن الانتقال من الحـــديث عن مشبوه غير معروف إلى الشخص الذي نتحدث إليه، على أمل أن يكون المـــشبوه قد قال شيئاً يدينه، أو نشرع في إخافته. وفي حال لم يحصل ذلك، عليك أن تعـــتمد علـــى الأدلة المتوفرة والحدس الجيد. وكل ما كنت بحاجة إليه هو قول شيء مـــثل، "يا سيد مادوكس، سألقي القبض عليك بتهمة قتل العميل الفيدرالي هاري مولر. أرجـــو مـــنك أن تأتي معنا". وبعد ذلك تأخذ الرجل إلى وسط المدينة حيث تضعه قيد الاحـــتجاز. أو في هذه الحالة، عليّ أن آخذه إلى مقرّ شرطة الولاية، وهو ما سيُسعد الرائد شافير.

حـــول هذا الموضوع، بدأت أُفكّر في أن فريق المراقبة التابع لشافير لم يلاحظنا ونحـــن فـــي طريقنا إلى نادي كاستر هيل، وأنه في حال لاحظنا وبلّغ عنّا، فلن يفعل الرائد شافير شيئاً حيال ذلك. فما هو السبب الذي يدعوه إلى التحرّك؟ والأهم من ذلك، أننـــي تخـــيّلت توم والش وهو يتناول العشاء أو يشاهد التلفاز بدلاً من قراءة الرسالة الإلكتـــرونية التي أرسلتْها كايت إليه. في الواقع، ساورني شعور بأن فرقة الخيالة لن تصل في وقت قريب، هذا إذا كانت ستصل أصلاً. ولذلك بات الأمر منوطاً بنا لإلقاء القبض عليه.

غير أن هذه القضية تضمنت بعض المشكلات الفريدة، مثل الجيش الخاص الذي يملكه المشبوه، وبعض المشكلات المألوفة، مثل وضعية المشبوه باعتباره ثرياً ونافذاً.

إلـــى جانـــب جريمة القتل، كان يوجد بالطبع اشتباه في أن مادوكس متورّط في مؤامـــرة لتفجيـــر الكوكب بالقنابل النووية. وكان ذلك همّي الأول، كما أنه يقع ضمن صـــلاحياتي وصلاحيات كايت. ومع أخذِ ذلك بعين الاعتبار، آن الأوان للحديث عن التفجيـــرات الـــنووية، فقلت لباين مادوكس، "بالحديث عن الضيوف، قدم إلى المكان ضـــيف يوم الأحد، ومن الواضح أنه لم يغادر المكان بعد. هل سينضم إلينا على مائدة العشاء؟"

وقـــف مادوكس فجأة، ثم مشى نحو المنضدة. أعدّ لنفسه كأساً صغيرة، وسألني، "لا أعرف عما – أو عمّن – تتحدث عنه".

لم يرق لي وقوفه خلف ظهري، ولذلك وقفت أيضاً، وأشرت إلى كايت بأن تفعل الـــشيء نفـــسه. وفـــيما كنت أتوجه نحو المنضدة، قلت لمادوكس: "الدكتور ميخائيل بوتيوف". وأضفت، "العالم في الفيزياء النووية".

"آه، مايكل. لقد رحل".

"إلى أين؟"

"لا يوجد لديّ أدنى فكرة. لماذا تسأل؟"

قلت: "إذا لم يكن موجوداً هنا، فهذا يعني أنه مفقود".

"أين فُقد؟"

"لـــم يرجع إلى منـــزله ولا إلى مكتبه". وأضفت، "من غير المفترض أن يغادر بوتـــيوف منـــــزله بـــدون أن يبلّغ مكتب التحقيقات الفيدرالي عن المكان الذي ينوي التوجه إليه".

"حقاً؟"

"أعتقد بأنه وقّع على عقد بهذا الخصوص". وسألته، "هل هو أحد أصدقائك؟"

اتكأ مادوكس إلى المنضدة وكوبه في يده، وبدا أنه يفكر بعمق.

سألته، "هل كان ذلك سؤالاً صعباً؟"

ابتـــسم ثم قال: "كلا. أنا أفكر في الجواب". ونظر إليّ ثم إلى كايت وقال: "توجد بيني وبين الدكتور بوتيوف علاقة مهنية".

شكّل جوابه مفاجأة لي، ولكنني أعتقد بأن الجميع أدرك أنه آن الأوان لكي نكون صـــادقين، وصريحين، ومتحسسين لمشاعر الآخرين واحتياجاتهم. وبعد ذلك يمكن أن نتعانق ونبكي بكاء جيداً معاً، قبل أن أعتقله أو أطلق النار عليه.

سألته، "ما هو نوع هذه العلاقة المهنية؟"

لوّح بيده تعبيراً عن الرفض وقال: "يا جون، هل يمكنني أن أناديك باسمك؟"

"بالتأكيد يا باين".

"هذا جيد. إذن، تسألني عن نوع هذه العلاقة المهنية؟ هل هذا هو السؤال؟ حسناً، كيف يمكنني أن أصفها لك...؟"

اقترحت عليه قائلاً: "ابدأ بنمنمة الأسلحة النووية".

نظر إليّ، وأومأ برأسه، وقال: "هذه بداية جيدة".

"حسناً، هل يمكنني أن أقول حقائب نووية؟"

ابتسم، وأومأ برأسه مجدداً.

حسناً، كان ذلك أسهل مما توقعت، وهو ما قد لا يُعتبر إشارة جيدة في الواقع، وأضفت "هناك ضيفان آخران؛ بول دان، مستشار الرئيس لشؤون الأمن القومي، وإدوارد وولفر، نائب وزير الدفاع".

"ماذا عنهما؟"

"إنهما هنا، أليس كذلك؟"

"كانا هنا". وأضاف، "يمكنك استنتاج سبب عدم رغبتي في وجود أشخاص يتجسسون عليّ".

قلت له: "يُسمح لك باستضافة المشاهير والأصدقاء النافذين يوم عطلة نهاية الأسبوع يا باين".

"شكراً لك. النقطة هي أن اجتماعنا ليس من شأن أحد".

"لكن في هذه القضية، ربما يكون من شأني".

"في الواقع، ربما تكون محقاً يا جون".

"أنا محق. كما أن جايمس هاوكنز، الجنرال في سلاح الجوّ والعضو في هيئة أركان الحرب المشتركة، كان موجوداً هنا. هل هذا صحيح؟"

"هذا صحيح".

"من هم الأشخاص الآخرون الذين شاركوا في اللقاء؟"

"حوالى عشرة رجال آخرين، ليس لأي منهم أهمية بالنسبة إلى القضية التي بين أيدينا، باستثناء سكوت لاندسايل. إنه ضابط الارتباط في وكالة الاستخبارات المركزية لدى البيت الأبيض". وأضاف، "هذه معلومة سرّية، ولذلك لا يمكنك إخراجها من الغرفة".

"حسناً". لم أكن أعرف هذه المعلومة حينها، ولكن كان سيخيب ظنّي لو لم يكن لوكالة الاستخبارات المركزية رجل متورّط في... لا يهم. قلت: "سرّك في بئر معنا يا باين".

شرح لنا مادوكس حقيقة هؤلاء المدعوين فقال: "هؤلاء الرجال الأربعة يشكّلون مجلسي التنفيذي".

"أي مجلس تنفيذي؟"

"المجلس التنفيذي لهذا النادي".

"أجل. إذاً، ما هي المواضيع التي تباحثتم فيها؟"

"المشروع الأخضر وعاصفة النار".

"أجل، وكيف سارت الأمور؟"

"سارت بشكل جيد". ونظر إلى ساعته، فنظرت إلى ساعتي. كانت تشير إلى 7:33، وأملت بأن والش يقرأ الآن بريده الشخصي. وأملت أيضاً بأن تصل شرطة الولاية إلى هنا في وقت قريب. ولكنني لم أعتمد على ذلك.

قال لنا مادوكس: "حسناً، الآن عليّ أن أطرح بعض الأسئلة عليكما". وسأل، "هل أنتما لوحدكما هذه الليلة؟"

ضحكتُ على طريقته في الضحك وقلت: "طبعاً".

قال: "حسناً، ليس للأمر أهمية في هذه اللحظة".

لم أكن أرغب في سماع ذلك.

سأل مادوكس، "كيف توصلت إلى اكتشاف ذلك؟"

كنتُ سعيداً بأن أكون المجيب فقلت: "لقد كتب لنا هاري مولر ملاحظة على بطانة جيب سرواله".

"أوه، ... حسناً، كان ذلك تصرفاً ذكياً".

قلت له: "عليك اللعنة".

تجاهل العبارة تماماً، وسألني، "هل سبق أن سمعت **بعاصفة النار**؟" وأعطاني شرحاً موجزاً عنها فقال: "إنها بروتوكول حكومي فائق الحساسية".

قلت له: "لكي أكون صادقاً معك يا باين، أنا لا أقرأ المذكرات التي تردنا من واشنطن". ونظرت إلى كايت التي كانت واقفة وظهرها إلى المدفأة ويدها في جيب حيث المسدس، وسألتها "كايت؟ هل سبق أن سمعتِ **بعاصفة النار**؟"

"كلا".

التفتُّ إلى مادوكس، وضحكت مجدداً، وقلت: "أعتقد بأننا فوّتنا على نفسينا قراءة المذكرة. ماذا جاء فيها؟"

بدا عديم الصبر معي، وسألني، "لا يمكن أن تتحدث عنها مذكرة يا جون".

وأضاف، "أعتقد بأنك حصلت على جلّ ما تحتاج إليه، ولذلك لا تكن بليداً ذهنياً وتتوقع منّي أن أجمل لك كافة عناصرها".

قلت لكايت: "إنه يصفني بالبليد بعد كل العمل الذي قمنا به".

سـألنا مادوكس، "في الواقع، يبدو أنكما تمكنتما من حل القضية الجنائية، وأنتما أقـرب إلى القضية الأخرى مما كنت أعتقد. ولكنكما بحاجة إلى جمع كافة عناصرها معاً".

"حسناً". مشيت نحو الأبواب الزجاجية وفتحتها.

كانـت لـيلة جميلة، والقمر المنير شبه المكتمل فوق رؤوسنا تقريباً، وكان ينير الفسحة التي خلف نادي الصيد.

علـى مـسافة من ذلك، كان في مقدوري رؤية السقف المعدني لمبنى المولّدات الكهـربائية، والمـداخن الـثلاث وهي تنفث دخانها في الهواء. كما شاهدت درّاجتين ناريتـين رباعيتـي العجلات وسيارة جيب سوداء تجوب المكان كما لو كانت تحرس المبنى.

سألت مادوكس، "أرى أن محركات الديزل تعمل".

أجاب، "هذا صحيح. لقد أجريت صيانة لها للتو".

عدت من الأبواب مزدوجة المصاريع، ومشيت نحو المنضدة التي كان مادوكس لا يزال متكئاً عليها، وقلت: "ستة آلاف كيلوواط".

"أجل. من قال لك ذلك؟ شركة بوتسدام ديزل؟"

لم أجب عن هذا السؤال، وسألته، "أين يوجد جهاز إرسال الموجات إلف؟"

لـم ألاحظ أنه تفاجأ بالسؤال وأجاب، "أنا لست مندهشاً كثيراً لأنك اكتشفت بأن هـذه التجهيـزات تعـود لمحطة إلف". وأضاف، "إنها معروضة لكي يراها الجميع: المولّدات الكهربائية، والكابلات، والموقع هنا في جبال أديرونداك..."

"أين يوجد جهاز الإرسال يا باين؟"

"سأريك إياه. لاحقاً".

قلت له: "الآن، صار في إمكاننا قضاء وقت جيد".

تجاهل تعليقي، ونظر كل منّا إلى عيني الآخر. لم يظهر عليه أنه رجل واقع في مـشكلة خطيـرة. سـألني، "إذاً، هل توصلت إلى أية استنتاجات مذهلة؟" ثم نظر إلى كايت، وسألها، "كايت؟ هل جاءت لحظة قول أوريكا؟"

أجابـت كايـت، "تـم نقل أربع حقائب نووية على متن طائرتين تملكهما؛ وقد توجهت الأولى إلى لوس أنجلوس، فيما توجهت الأخرى إلى سان فرانسيسكو".

"هذا صحيح. وماذا أيضاً؟"

أضـــافت، "سيقوم جهاز الإرسال إلف لديك بإرسال إشارة لتفجير تلك القنابل بعد أن تصل إلى وجهاتها النهائية".

"حسناً، انتهت المسألة".

بـــدأت أتعـــب من هذه المناقشة التافهة، ولذلك قلت لمادوكس: "انتهت اللعبة يا صـــديقي. وأنا ألقي القبض عليك بتهمة قتل العميل الفيدرالي هاري مولر". وقلت له: "استدر، وضع يديك على المنضدة، وفرّج بين ساقيك". وقلت: "يا كايت، أمّني التغطية لي". اقتربت من مادوكس الذي لم يفعل ما قلته له.

سمعت كايت تقول: "جون..."

نظـــرت إلى الوراء فرأيت كارل واقفاً عند الباب وهو يصوّب بندقية إلى كايت. وفـــي الجهة الأخرى من الغرفة، رأيت رجلاً آخر يقف عند الأبواب المفتوحة لغرفة الألعاب حاملاً بندقية أوتوماتيكية من طراز أم 16 مصوّبة نحوي. ومشى رجل ثالث عبر الأبواب قادماً من المصطبة، وصوّب بندقية أم 16 نحوي.

مع اقتراب الرجلين منّي، تبيّن لي أن الرجل القادم من غرفة الألعاب كان لوثر، وأن الـــشخص القـــادم من المصطبة كان الحارس المتمركز في بيت الحراسة والذي فجّرت أذنيه ببوقي الهوائي.

نظرت مجدداً إلى مادوكس، فوجدت أنه يصوّب نحو وجهي مسدساً أوتوماتيكياً حربياً ضخماً من نوع كولت 0.40.

حـــسناً، لم يكن في مقدوري القول إنني لم أتوقع حدوث ذلك، ولكنه كان لا يزال غير حقيقي بالنسبة إليّ.

وبعـــد ذلـــك، قـــال لنا مادوكس: "كنتما تعرفان أنكما لن تخرجا وأنتما على قيد الحياة".

الفصل 49

تبادلت وكايت النظرات. لم ألاحظ أنها مرتعبة، بل بدت غاضبة من أمر معيّن. ربما كانت غاضبة منّي.

قـــال مادوكس: "حسناً، انبطحا على الأرض". وأضاف، في حال كنا لا نعرف، "خطوة خاطئة واحدة وستكونان في عداد الأموات". وأضاف أيضاً، "أنا لا أمزح".

هكـــذا، انبطحنا على الأرض، وهو الإجراء الصحيح الذي يتبعه رجال الشرطة والجيش في تجريد المعتقلين من أسلحتهم. بدا واضحاً أننا نتعامل مع أشخاص يعرفون كيفية القيام بذلك.

ســمعت مادوكس يقول: "أنتِ أولاً يا كايت. الأسلحة، ببطء. وأنت يا جون، أبقِ وجهك نحو السجادة، وإياك أن تتنفس".

لـــم يكن في مقدوري رؤية ما كان يحدث، ولكنني سمعت ما أعتقد بأنه صوت حـــذاء يركل مسدس الغلوك الذي كان في حوزة كايت بعيداً عنها على السجادة، وقال لها مادوكس: "هل تحملين مسدسكِ دائماً في جيبكِ؟"

لـــم تـــردّ، وقال مادوكس: "لقد عاد عليكِ بنفع كبير". ثم سألها، "هل تحملين أية أسلحة أخرى؟"

"كلا".

"أين يوجد قِراب مسدسكِ؟"

"أسفل ظهري".

وجّه أمراً قائلاً: "خذوا قراب مسدسها، وانتزعوا الساعة التي في يدها، وحذاءها، وجواربها، وسترتها، ثم أجروا مسحاً عليها بالعصا السحرية".

ســمعت أصـــوات هـــذه الأدوات وهـــي تنـــزع عنها ويُلقى بها جانباً. ثم قال مادوكس: "فتشا ثيابها".

ثم سمعت كايت وهي تقول: "أبعدوا أيديكم اللعينة عني".

قال مادوكس لكايت: "هل ترغبين في نـــزع ثيابكِ، أم تفتيشها، أم الكشف عليها بواسطة العصا السحرية؟"

لم تجب. ثمْ سمعت صوت لوثر وهو يقول: "لا يوجد شيء".

قال مادوكس لكايت: "استلقي على ظهركِ".

سـمعتها وهـي تتمدد على ظهرها، وبعد بضع ثوان، كشفت العصا عن شيء وسأل كارل، "ما هذا؟"

أجابت كايت، "هذا حزامي وسحابي اللعين. ما رأيك؟"

قال مادوكس: "انـزعي حزامكِ".

لم أعرف إن كانوا أجروا مسحاً آخر بواسطة العصا السحرية، ولكنني لم أسمع صوتاً، وهذا يعني أنهم لم يكتشفوا وجود قاذف الإشارات المضيئة.

قال مادوكس: "قم بعملية تفتيش يدوي يا كارل".

لم أدرِ أين وضع يديه، ولكنها قالت لكارل: "هل تجد الأمر مسلّياً؟"

وبعد بضع ثوانٍ، قال كارل: "لا يوجد شيء".

لا أعـرف أيـن خبّأت كايت قاذف الإشارات، وهذا يعني أنه إما أنه لم يُكتشف أثناء عملية التفتيش أو أنهم وجدوه من غير أن يعرفوا حقيقة ما وجدوا.

قال مادوكس للحارس الآخر: "كبّلها يا ديريك".

سمعت صوت الأصفاد وهي توضع في رجليها وتُقفل، ثم قال مادوكس: "والآن جاء دورك يا جون. أنت تعرف الروتين. الأسلحة أولاً".

كنت لا أزال ممدداً ووجهي إلى أسفل، فوضعت يدي أسفل صدري كما لو كنت أمدّ يدي إلى مسدسي، وسحبت قاذف الإشارات المضيئة من جيب قميصي، ثم وضعته على السجادة أسفل بطني.

مـن الواضـح أن مادوكس مشى ليقف خلفي بالقرب من قدميّ، وقال: "لا تفكّر حتـى فـي التصرف كبطل، وإلاّ فستموت زوجتك". وأضاف، "أجل، أنا أعرف بأنها زوجتك".

"عليك اللعنة". سحبتُ مسدسي الغلوك من حزامي ووضعته على السجادة.

سـألني مـادوكس، "هـل تحمـل سلاحاً آخر؟ لا تكذب يا جون وإلاّ فسأفرغ رصاصة في ظهرك".

قلت: "قراب الكاحل في الرِّجل اليسرى".

رفـع أحد الحراس السروال عن رِجلي وانتزع القِراب ومسدسي الذي من عيار 0.38. وبعـد ذلـك، خلـع رجلان حذائي وجواربي، وسترتي الجلدية وساعتي. قال مادوكس: "أجروا مسحاً بالعصا السحرية".

تقـدم رجـل، أعتقد بأنه كان لوثر، وأجرى العصا من حولي، ولكنها لم تصدر صوتاً

قال مادوكس: "فتّشه بيديك".

ربـت أحدهم على رجليّ، وأخذ محفظتي، ثم ربت على ظهري. قال لوثر: "لا يوجد شيء".

قلت: "يا باين، كان لوثر يعصر أمعائي".

لم يُسرّ لوثر بهذه العبارة وقال: "أغلق فمك اللعين، سيدي".

قلت: "من المفترض أن تربت لا أن تعصر".

شـعرت بـضربة قوية بالحذاء على الجانب الأيمن من صدري فيما كان لوثر يصرخ، "أخرق".

قال مادوكس للوثر: "إياك أن تفعل ذلك بدون إذني".

بعد أن أخذت نفساً، لم أستطع مقاومة التعبير عن رأيي فقلت: "ليس ذلك الجندي جيد الانضباط يا باين".

قـال مادوكس: "اخرس. في الحقيقة، أنا لا أحب سخريتك". وصاح قائلاً: "تمدد على ظهرك".

كنت بحاجة إلى الاستدارة من غير أن يظهر قانف الإشارات المضيئة الذي وضعته على السجادة أسفل بطني. ولذلك، بدلاً من الاستدارة البسيطة، ادّعيت أنني أعاني من الألم من جرّاء الركلة التي أصابت ضلوعي، وقلّدت على نحو مقبول ما يفعله حوت جنح على الشاطئ لكي أتلوّى حيث أنا على السجادة، ويصبح القاذف أسفل ظهري.

صار في مقدوري رؤية مادوكس الآن وهو يقف عند قدميّ، ورأيت كارل واقفاً بالقرب من كايت وهو يصوّب بندقيته نحوها.

كـان لوثر يقف في جانبي الأيمن، حاملاً العصا السحرية، وكان يربت بها على يده كما لو كانت عصا خشبية يفكر في استخدامها في ضرب رأسي.

كـان الحـارس الآخر، ديريك، في مكان لا يسمح لي برؤيته حيث كنت ممدداً، ولكنني اعتقدت بأنه مشى ليقف خلف رأسي وهو يصوب بندقية أم 16 نحوي.

الخبر الجيد الوحيد هو أن مادوكس لم يطلق النار لسبب ما.

أحـسّ أننـي غارق في التفكير، ولذلك قال لي: "إذا كنت تفكر في السبب الذي يدعوني إلى قضاء كل هذا الوقت والمعاناة من هذه المشكلة معكما، فالجواب هو أنني بحاجة إلى الحصول على بعض المعلومات منكما". وأضاف، "كما أنني لا أريد تلويث هذه السجادة العجمية بالدم".

بدا السببان مقنعين.

قال لي مادوكس: "اخلع حزامك".

قمت بفكّ الإبزيم، وسحب الحزام من حلقات سروالي، ورميه جانباً.

قال مادوكس لديريك: "كبّله"، فقال لي ديريك: "ارفع قدميك".

رفعت قدميّ فكبّلهما ديريك بالأصفاد. فوجئت بثقل وزنهما، فأنــزلت قدميّ مما جعل الأصفاد تصدر صوتاً.

سحب لوثر القلم من جيب قميصي، ثم مرّر العصا السحرية عليّ. أطلقت العصا صــوتاً بعد أن مرّت فوق سحاب سروالي، ولذلك مرّر العصا فوق سروالي وقال: "لا توجد كرات نحاسية يا حضرة العقيد".

ضحك الجميع ضحكة خافتة باستثنائي وكايت.

بدا لي أن في إمكاني إغضاب كل من في هذه الغرفة – بمن فيهم كايت – وأنه بالــرغم مـــن تــصرّفهم بطريقة محترفة لغاية الآن، فقد تتخذ المسألة طابعاً شخصياً بسرعة. ولذلك، وجدت أنه يجدر بي، من أجل سلامة كايت، أن أُبقي فمي مغلقاً.

نظــرت إلى كايت التي كانت ممددة على ظهرها أيضاً على مسافة ثلاثة أمتار تقــريباً منّــي، وكانــت رجلاها مكبّلتين بالأصفاد أيضاً. تبادلنا النظرات، وقلت لها: "سيكون الأمر على ما يرام عندما يصلون إلى هنا".

"أنا أعرف ذلك".

بالطبع، لم تكن مسألة تتعلق، *بوقت مجيئهم* وإنما *باحتمال مجيئهم*.

قال مادوكس: "اخرس. تكلّم فقط عندما أتكلم معك". وقال للوثر: "فتشه بيديك".

أجرى لوثر تفتيشاً قاسياً، ثم قال: "لا يوجد شيء".

مــشى مادوكس نحو المنضدة، وبدأ بتفتيش سترتينا، وأوراقنا الثبوتية، وأحذيتنا، وحــزامينا ثم أفرغ محتويات حقيبة كايت على المنضدة، وبدأ بتقليب محتوياتها. قال مادوكس: "أحصيت ستة مخازن معبّأة بالكامل. هل كنتما تعتقدان بأنكما ستدخلان في معركة؟"

ضحك الأغبياء الثلاثة.

لم أستطع منع نفسي من قول: "عليك اللعنة".

قــال لـــي مادوكس: "هذا ما دأب صديقك هاري على قوله. عليك اللعنة. عليك اللعنة". وسألني، "هل يوجد لديك شيء ذكي تقوله؟"

"أجل. لا تزال قيد الاعتقال".

ظنّ أن ما قلته كان دعابة فقال: "وكذلك أنت".

كان مادوكس لا يزال يبحث في الأدوات التي على المنضدة، ورأيته ينزع البطاريات من هاتفينا الخليويين، ثم بدأ يفحص قلمي. لم يعثر على القاذف الذي أعطيته لكايت، ولذلك أملت بأنه لا يزال في حوزتها.

قال مادوكس: "حسناً، هذه هي حقيبة التحرّي مولر. لماذا تحتفظ بها يا جون؟"

"أردت أن أسلّمها لعائلته".

"فهمت. ومن سيقوم بتسليم شارتك إلى عائلتك بعد وفاتك؟"

"هل هذا سؤال افتراضي؟"

"أتمنى لو أنه كان كذلك".

صار في حوزته الآن دفترا مذكراتنا، وعرفت بأنه لن يتمكن من قراءة مذكراتي لأنه لا يمكن لأحد، بما في ذلك أنا، قراءة خط يدي. ولكنه قال لكايت، التي كانت تكتب بخط غاية في الأناقة، "أرى أن لديك عقلاً راجحاً. من النادر أن نلاحظ ذلك بين النساء".

أجابت كايت بالطبع، "عليك اللعنة".

تجاهل ردّها فيما كان يقلّب صفحات دفتر مذكراتها، ثم سألها، "يا كايت، هل يعرف أحد بأنكما موجودان هنا؟"

أجابت، "عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي ورجال شرطة الولاية فقط. وهم في طريقهم إلى هنا".

أجاب، "لو كان سيحصل شيء مثل هذا في مقرّ شرطة الولاية، لكنت عرفت به".

لم يكن ذلك الخبر الذي تمنّينا سماعه.

سألني مادوكس، "يا جون، ماذا يعرف الذين يعملون في المبنى الفيدرالي 26 عن هذا الأمر؟"

"إنهم يعرفون كل شيء".

قال: "أنا لا أعتقد ذلك".

"إذن لا تسأل".

قال لي: "تحدثتَ إلى هاري من بعد ظهر يوم الجمعة أثناء ركوبكما المصعد في المبنى الفيدرالي 26. ماذا قال لك؟"

لم أكن أرغب في الحقيقة في معرفة أن لباين مصدراً داخل المبنى بلازا 26 الفيدرالي.

"جون؟"

"لم نتحدث في المسائل المهنية".

"حسناً، وقتي ضيّق يا جون، ولذلك سنكمل هذا الأمر لاحقاً".

"لاحقاً وقت جيد".

"ولكنني لن أكون لطيفاً لاحقاً".

"أنت لست لطيفاً الآن يا باين".

ضحك وقال: "لم ترَ شيئاً بعد يا رفيقي".

أردت نصيحته فقلت: "اذهب والعب".

وقف فوقي مباشرة، وكان ينظر إليّ بعيني صقر كان يحلّق ورأى حيواناً مصاباً على الأرض.

قال لي: "توجد طريقتان في الاستجواب. أنا لا أعرف شيئاً عنك يا جون، ولكنني أفضّل الطريقة التي لا تُسيل الدماء ولا تكسر العظام ولا تطلق توسلات الرحمة". ثم التفت إلى كايت وقال: "ما هو رأيكِ يا كايت؟"

لم تجب بشيء.

عاد إلى الموضوع وقال لنا: "كما توجد طريقتان لدخولكما في فرّامة الخشب: إما أن تدخلاها ميّتَين أو على قيد الحياة". قال لنا: "دخلها بوتيوف ميتاً لأنني أردت قتله من أجل التكتم على القضية. ولكنكما أثرتما غضبي. لكن إذا أبديتما تعاوناً، فأنا أعدكما وعد شرف بأنكما ستلقيان موتة سريعة ورحيمة بطلقة في الرأس قبل أن تدخلا فرّامة الخشب وتصبحا طعاماً للدببة".

"أتوافقان؟ هل اتفقنا؟ جون؟ كايت؟"

لم أكن أرى في ذلك صفقة معي، ولكن لكي أكسب بعض الوقت قلت: "اتفقنا".

"هذا جيد. طلبتَ رؤية جهاز إرسال الموجات إلف، ولذلك سأريك إيّاه".

قلت: "في الواقع، سأكتفي بأخذ تلك اللوائح التي تحتوي على أسماء ضيوفك وموظفيك، وسنرحل بعد ذلك".

"يا جون، الأمر ليس مضحكاً".

كان مادوكس المتكلم، ولكن ربما كانت كايت ستقول تلك العبارة أيضاً.

كنت أرى وأسمع الرجال الأربعة وهم يتنقلون في الغرفة، ثم قال مادوكس: "حسناً، يا سيد ويا سيدة كوري، يمكنكما الوقوف على قدميكما الآن وأيديكما فوق رأسيكما".

بدأت بالوقوف وأنا أتصنّع الشعور بالألم في ضلوعي الذي لم يعدّ تخيلياً بعد الآن. وضعت يدي خلف ظهري ورفعت نفسي بعد أن وضعت راحة يدي على قاذف الإشارات المضيئة، ثم ألصقته بجسمي، ثم وقفت على قدمي. كانت الأمور لا تزال تسير على نحو مُرْضٍ لغاية الآن.

التفتُّ نحو كايت التي كانت واقفة وهي تنظر إليّ. قلت لها: "عليكِ أن تستجمعي شجاعتك".

أومأت برأسها.

ذكّرني مادوكس قائلاً: "اخرس". ونظر إلى ساعته ثم قال لكارل: "لنخرج".

قال كارل: "اتبعاني. واجعلا بينكما مسافة ثلاثة أمتار".

توجه كارل نحو الأبواب المفتوحة لغرفة لعب الورق، وقال مادوكس لنا: "تحرّكا، وأيدكما فوق رأسيكما".

مشينا خلف كارل.

لم يسبق أن مشيت ورجلاي مكبّلتان، وبالرغم من أن القيود لم تكن مشدودة، فلم يكن من السهل وضع قدم أمام القدم الأخرى، ووجدت نفسي أجرجر الخطى، مثل الرجال المربوطين في سلسلة. كما أن المعدن كان يحكّ كاحليّ العاريين، وسروالي الذي نزع منه الحزام كان ينخفض، ولذلك كنت مضطراً إلى رفعه بين الحين والآخر، وهو ما جعل لوثر يصرخ "ضع يديك فوق رأسك".

كنت أستطيع أن أرى كايت تمشي أمامي بصعوبة بالغة، حتى أنها كادت أن تقع. ولكن سروالها الضيّق بقي على حاله، ولذلك أبقت يديها فوق رأسها.

لم أعرف من كان يمشي وراءنا، ولذلك نظرت إلى الخلف فرأيت مادوكس على مسافة ثلاثة أمتار منّي، ومسدسه الكولت 0.40 يتأرجح إلى جانبه. وكان في المؤخرة لوثر حاملاً بندقية أم 16 جاهزة لإطلاق النار. وظلّ ديريك، ضحية البوق الهوائي في المشرب، وكان يجمع كل ما أُخذ منّا.

قال لي مادوكس عندما تلفّتُّ في المرّة القادمة: "ستثبت لنفسك عيناً ثالثة في وسط جبهتك. هل تفهم؟"

أعتقد أنني فهمت ما أراد قوله.

إذاً، وكما تبيّن لي، لم يكن السيد باين مادوكس ذلك الفاتن، أو المؤدب، أو حتى المتحضّر. في الواقع، أعتقد أن إعجابي به زاد وهو في هذه الحالة: بدون تصنّع، ومظاهر، والأهم من ذلك، كان يحدثنا عن جهاز إرسال الموجات إلف.

توقف كارل في وسط غرفة لعب الورق، وقال مادوكس: "توقفا".

تـوقفت وكايـت، ونظـرنا حولـنا. كان يوجد على أحد الجدران لوحة للسهام المريشة مع صورة فوتوغرافية بالألوان لوجه صدام حسين.

سـألني مـادوكس، "سـألتني متى تندلع الحرب. حسناً، اليوم العملاني هو 15 مـارس/آذار؛ مـع زيادة يوم أو إنقاصه تحسباً للمشكلات الفنّية". وأضاف، "ولكنني سأشعل الحرب في وقت مبكر، في غضون ساعتين تقريباً".

سألته، "هل سنتناول عشاءنا أولاً؟"

اعتقد لوثر على الأقل أن في الكلام دعابة.

بدا مادوكس، الذي بات في المقدمة الآن، متوتراً بعض الشيء، أو ربما منشغل البال ولم يرّد على سؤالي.

على أية حال، علّق كارل بندقيته على كتفه، ونظرت إليها نظرة فاحصة. كانت بندقـية أوتوماتيكـية مـن طـراز براونيغ، يمكنها إطلاق خمس طلقات بمثل سرعة ضـغطك علـى الـزناد ووقوفك على قدميك. بالنسبة إلى كارل، لم يكن ذلك يشكّل مشكلة.

كان مسدس الكولت 0.40 الذي يحمله مادوكس مزوداً بسبع طلقات في المخزن، إضافة إلى طلقة في بيت النار. يتميز هذا المسدس بانعدام دقته، لكن في حال أصابتك طلقـته مدبّـبة الـرأس التي من عيار 0.45 في أي موضع من بدنك، فقد تطير في الهواء، وكما يقول العسكريون السابقون: "إنها السقطة التي تقتلك".

كانت بندقية الأم 16 التي في حوزة لوثر حيواناً بكل معنى الكلمة. فهي في غاية الدقـة عـند اسـتخدامها على مسافات متوسطة. وفي حال كان لوثر يحمل النموذج الأوتوماتيكي بالكامل، ففي مقدوره رشّ عشرين طلقة مغلفة بالفولاذ في أقل من الزمن الذي تحتاج إليه لكي تقول: "مرحباً يا رفيقي، أنا ميت".

على أية حال، افتقدنا إلى ديريك، ضحية البوق الهوائي، والذي على الأرجح أن لديـه مـوعداً مـع طبـيب الأذن، ولذلك كان عليّ وعلى كايت مواجهة ثلاثة أشـخاص فقط. ولكنهم ليسوا من الحثالة التي تجري في الشوارع؛ مثل أصدقائي مـن أصول لاتينية الذين أغمضوا أعينهم قبل إطلاق النار عليّ، أو السادة الشرق أوسطيين الذين أعتقد بصدق بأنه لا يمكنهم محاولة إصابة أحد عندما يطلقون النار من بنادق الكلاشينكوف.

على كل حال، لم تقتصر مشكلتنا على وجود ثلاثة رجال شبه عسكريين وحسب، بـل كـنتُ وكايت مكبّلي الأرجل، وحافيي الأقدام وبدون أحزمة، وفي موقع يخضع لحراسة مشددة.

الخلاصة هي أنه لم يكن الوقت المناسب لاستخدام قاذف الإشارات المضيئة، وكنت آمل بأن تدرك كايت ذلك. كما أننا كنا بحاجة إلى الوصول إلى جهاز إرسال الإشارات إلف.

لاحظت أن كارل مدّ يده أسفل طاولة لعب الورق الكبير والمستديرة، ثم تراجع إلى الوراء. وفيما كنت أراقب المشهد، بدأت الطاولة ترتفع، وكان في مقدوري سماع هدير محرّك كهربائي فيما كانت الطاولة ترتفع مع السجادة المستديرة التي كانت أسفلها. وصار في مقدوري الآن رؤية الكبّاس الهيدروليكي الذي يرفع كل شيء. وعندما أصبحت أرجل الطاولة، والسجادة، والبلاطة على ارتفاع متر ونصف تقريباً من الأرضية، توقف الكبّاس، مخلّفاً فتحة في الأرضية يبلغ قطرها حوالى متر تقريباً.

جلس كارل على الأرضية ورجلاه تتدلّيان في الفتحة، ثم اختفى. وما لبث أن ظهر ضوء في الفتحة المظلمة.

قال مادوكس: "كايت، تفضلي بالنزول أولاً".

ترددت، ولكن مادوكس تقدم بسرعة نحوها، وأمسك بذراعها، ودفعها إلى الأمام في الفتحة التي في الأرضية. كادت أن تسقط بسبب القيود التي في رجليها، فقلت لمادوكس: "على رِسلك أيها الأخرق".

نظر إليّ وقال: "كلمة واحدة منك، وستكون آسفة. هل تفهم؟"

أمسك مادوكس بذراع كايت، ودفعها نحو حافة الفتحة، وقال لها: "إنه سلّم لولبي. أمسكي بالدرابزين، وتحرّكي بسرعة".

جلست كايت على الأرضية، وأمسكتْ بمقبض معلّق بالجانب السفلي للأرضية المرتفعة، ثم نزلتْ في الفتحة.

دفعني مادوكس نحو الفتحة، وقال: "لننطلق".

أحسست بأن لوثر دفعني، وأدركت بأن هذا الرجل نصف الأبله كان قريباً منّي بدرجة خطيرة، ولذلك صاح مادوكس قائلاً: "ارجع إلى الوراء أيها الأبله".

قلت لمادوكس: "لن أؤذيه".

وفيما كنت أقترب من الفتحة، ابتعد مادوكس عنّي، وهو الذي لم يكن مغفلاً، وصوّب مسدسه الكولت نحوي وقال: "توقف"، فتوقفت.

بعد مرور بضع ثوانٍ، قال كارل: "يمكنك النزول".

قال لي مادوكس: "كايت جالسة على الأرضية، وكارل يصوّب بندقيته نحو رأسها. أردت أن أحيطك علماً بذلك". وأشار إلى الفتحة التي في الأرضية وقال: "انزل".

جلست على الأرضية، وأنــزلت قدميّ وأصفادي أولاً في الفتحة إلى أن لامستا الدرجـــة الأولـــى. عرفت بأنه إذا أصبحنا في هذه الغرفة السفلية، فلن يتمكن أحد من العثور علينا.

قـــال مادوكس: "دعنا ننـــزل يا جون، فأنا ملتزم ببرنامج ضيّق". رفع قدح زناد مسدسه وكان ذلك بمثابة إشارة لي لكي أتحرّك.

نــــزلت الــسلّم اللولبي الذي كان يدور حول الكبّاس الهيدروليكي. لم يكن من الــسهل نــــزوله بسبب القيود، ولكنّ يديّ كانتا طليقتين، ولذلك أمسكت بالدرابزين، وكدت أنــزلق. وحول هذا الموضوع، إذا كان في نية مادوكس تكبيل يدينا في لحظة معيـــنة، يتعين عليّ القيام بخطوة قبل أن يحصل ذلك. وعرفت بأن كايت أدركت ذلك أيضاً.

نــــزلنا مسافة ستة أمتار تقريباً أسفل الأرضية، وهو ارتفاع مبنى بطابقين، ولم أحتج إلى كثير من التفكير لكي أدرك بأننا في الملجأ النووي.

ظهر في أسفل السلّم اللولبي غرفة دائرية خرسانية، مضاءة بلمبات الفلوريسنت.

فـــي مقابل الدرجة الأخيرة، وعلى مسافة ثلاثة أمتار تقريباً، كان يوجد باب قبو مصنوع من الفولاذ المصقول داخل الجدار الخرساني.

قال كارل الذي كان يقف خلفي: "وجهك إلى الأرض".

التفتُّ، فرأيت كارل في الجهة الأخرى من الحيّز الدائري، وبندقيته مصوّبة نحو كايت التي وضعت وجهها على الأرض.

ربمـــا كانـــت تلك لحظة مناسبة للقيام بخطوة، ولكن قبل أن أقرر، صوّب كارل بندقيته نحو رأس كايت وصاح "ثلاثة، اثنان، ..."

وضعت قدميّ على الأرضية الخرسانية، وصاح كارل، "يمكنك النـــزول".

ســـمعت وقـــع قدمـــي مادوكس وهو ينـــزل السلّم، بالرغم من أنه تدرّب على نـــزوله عدة مرات.

قال مادوكس: "يا جون، أعتقد بأنه ينبغي أن يرحل أحدكما".

لم أردّ عليه.

مرّت بضع ثوانٍ، وسمعت وقع قدمي لوثر على السلّم، ثم سمعت صوت الكبّاس الهيدروليكي، وأخيراً عادت الطاولة والأرضية إلى مكانهما.

نـــزل لوثر السلّم اللولبي، وقال له مادوكس: "افتح الباب".

سمعت صوت دولاب القبو، ثم صوت صرير مع فتح الباب الثقيل.

قال لي مادوكس: "جون، بصرف النظر عن أية خطوة تتخذها، أو أية محاول تقوم بهـــا، ستكون كايت أول من سنطلق عليه النار". وقال لكارل ولوثر: "هل فهمتما ما أقول؟ إذا قام جون بخطوة، أطلقا النار على كايت". وأضاف، "وأنا سأهتم بالسيد كوري".

أجاب كارل ولوثر، "أجل سيدي".

ثـــم الـــتفت مادوكس إليّ وقال: "أنت تحاول أن تستنفد صبري، وأنا متأخر عن برنامجـــي قـــرابة عـــشر دقائق. ولذلك، إما أن تحسن التصرّف وتفعل ما يقال لك، وبـــسرعة، وإمـــا أن أطلق النار على أحدكما قبل أن نعود إلى البرنامج المقرر. هل تفهم؟"

قلت: "فهمت".

"هـــذا جيد". وأضاف، "لن تكون بطلاً في عيني زوجتك على أية حال، ولذلك لا تفكر في المحاولة".

قلت: "هذه نصيحة جيدة".

الـــشيء الثانـــي الـــذي سمعته كان قول مادوكس: "انهضي يا كايت ويداكِ إلى الأعلى".

نهـــضتْ، وقال مادوكس: "اتبعي كارل". ثم قال لي: "انهض يا جون وضع يديك فوق رأسك، واتبعه، وابقَ بعيداً عنها مسافة ستة أمتار".

نهـــضتُ، ووضعت يديّ فوق رأسي. لاحظتُ الآن حقيبة كبيرة من قماش القنّب علـــى الأرضـــية. كاد سروالي أن يسقط، وكان في مقدوري رؤية كمّ سترتي الجلدية باخـــتلاس النظر. من الواضح أن ديريك سلّم لوثر كافة أغراضنا، وأن آخر أثر يدلّ علـــى وجـــودنا في نادي كاستر هيل – باستثناء مركبة رودي المقفلة التي سيعمد إلى التخلّص منها – قد اختفى الآن.

رأى مـــادوكس ما كنت أنظر إليه فقال لي: "لن يجدوا حتى حمضك النووي في براز الدببة". وأشار إلى الباب وقال: "تحرّك".

مررت من باب القبو الذي كان مبيّتاً في جدار خرساني تبلغ سماكته حوالى المتر.

قال مادوكس الذي كان يسير خلفي: "أهلاً بك في الملجأ النووي".

كان لوثر في المؤخرة، وسمعت صوت الباب وهو يُغلق ويُقفل. ساورني إحساس أننـــي أســـفل المصطبة الخلفية، في مكان عميق داخل الصخر، وغير متصل بالطابق الـــسفلي مـــن المنـــزل. كما ساورني إحساس بأن أحداً فوق الأرض لن يتمكّن من العثور علينا.

الفصل 50

وصــــلنا إلى ممر عريض طُليت جدرانه الخرسانية بلون أخضر فاتح تحوّل إلى اللون الأزرق على ارتفاع متر تقريباً وصولاً إلى السقف الذي يرتفع نحو ثلاثة أمتار. كـــان الـــسقف مكسواً بألواح زجاجية مسنفرة تعلوها مصابيح بنفسجية زاهية اعتقدت بأنهـــا ألـــوان لإنـــبات الزرع، بالرغم من أنني لم أجد أية مزروعات، ما لم نأخذ في الحسبان الحشيش الصناعي الذي يعود إلى حقبة الثمانينيات من القرن الماضي.

أعـــتقد بأن شخصاً ما كان يحاول توليد إحساس بأنك في الهواء الطلق في مرج تسطع عليه الشمس والذي صدف أنه يشبه ممراً خرسانياً سفلياً.

قـــال مـــادوكس عبارة لم يكن لها داعٍ: "من المفترض أن تتخيل أنك فوق سطح الأرض".

سألته، "ألسنا فوق سطح الأرض؟"

لـــم يجـــب عن سؤالي، ولكنه قال: "إنها فكرة زوجتي السابقة الغبية". وأضاف، "كان يتملّكها خوف غير منطقي من نشوب حرب نووية".

"امرأة سخيفة".

بـــدا أنــــه بات في مزاج أفضل، وأشار إلى باب مفتوح في الجهة اليمنى والتي اعتقدت بأنها ساحة لعب للأطفال، وقال: "كان أولادي أطفالاً حينها، واعتقدت بأن في إمكانهم أن يكبروا هنا".

قلـــت: "ربمـــا ستـــساعد أضواء النمو في ذلك، ولكن أوقات لعبهم ربما ستكون محدودة".

لـــم يكن يصغي إليّ، وبدا أنه يتكلم مع نفسه. قال: "شاهدتُ فيلم **أون ذي بيتش** وفـــيلم الدكتور **ســـترانجلوف** حوالى عشرين مرّة، وأنا لا أعتقد بأنها أدركت بأن أحد الفيلمـــين يعالج موضوعاً جدّياً، وأن الآخر كان فيلماً فكاهياً". وأضاف، "كانت الأفلام التي تحكي عن حروب ملحمية نووية تبقيها عند معالجتها عدة شهور".

تـــولّد لـــديّ انطباع بأن باين مادوكس كان يعاني من بعض المشكلات التي تـــتعلق بهـــوس زوجته السابقة بالإبادة الجماعية النووية، وأن ما يحاول القيام به

لغايـــة الآن هـــو الخروج من تلك المشكلات عبر إشعال حرب نووية خاصة به. وكنت واثقاً من أن السيدة مادوكس ستكون من أوائل الأشخاص الذين سيتصل بهم بعد انتهاء الحرب.

على كل حال، مشيت وكايت ببطء في الممر بأرجلنا المكبّلة، وفي كل مرة كنت أرفـــع فيها سروالي، كان لوثر يصيح، "ضع يديك فوق رأسك"، وكنت أجيب، "عليك اللعنة".

كان في مقدوري سماع صفير الهواء من خلال الفتحات، ولكن الهواء كان رطباً ومـــزعجاً بعـــض الشيء. وكان على جانبي الممرّ أبواب مفتوحة تكشف عن غرف مفروشة: غرف نوم، وغرفة جلوس، مطبخ، غرفة طعام طويلة مع جدران مصنوعة مـــن ألواح مركّبة، وستائر سميكة، وسقف مستعار، وقطع من السجاد الفاخر. وخلف أحد الأبواب المغلقة، سمعت أشخاصاً يتحدثون، ثم أدركت بأنه صوت مذياع أو تلفاز؛ ولذلك ربما كان يوجد شخص آخر هنا.

قال مادوكس، الذي كان يتكلم مع نفسه: "لقد أنفقتْ ثروة في تزيين هذا المكان". وأضاف "أرادت أن تتخلّص من عمر النصف الخاص بالسقط الذرّي بطريقة يمكن أن تعتاد عليها".

كان مستغرقاً في أفكاره، ولذلك لم أشأ التعليق على كلامه.

أضاف مادوكس، "ومن ناحية أخرى، وجدت أن هذا المكان مفيد. فهو مفيد أولاً لجهـــازي الخـــاص بإرســـال الموجات إلف؛ وكمكان لخزن ثروة من الكنوز الفنّية، والـــذهب، والأمـــوال النقدية". وأراد أن يحكي لي نكتة فقال: "لا يزال آخر عميل من مصلحة الضرائب جاء لكي يتجسس عليّ محجوزاً في غرفة هنا".

كانت تلك إشارة جيدة من باين. في الواقع، بدا المكان أشبه بحصن هتلر، ولكن ربما لم نكن في الزمن الملائم لإجراء تلك المقارنة.

وصلنا إلى نهاية الممر، الذي لا بدّ وأنه كان بطول خمسين متراً. فتح كارل باباً فولاذياً وأضاء الأنوار.

قال مادوكس: "اتبعي كارل يا كايت. أما أنت يا جون، فالزم مكانك".

اختفت كايت بعد دخولها من الباب فيما بقيت واقفاً بدون حراك.

صاح كارل، "يمكنكم الدخول".

قال مادوكس: "تحرّك يا جون".

كـــنت متعـــباً بعض الشيء من تلقّي هذه الأوامر المزعجة، ولكن لا داعي إلى الإشارة الآن إلى أننا كنا قريبَين من... النهاية.

دخلت الغرفة، ورأيت كايت على الأرض مجدداً، وكارل يقف عند الجدار البعيد في الغرفة بغرض تأمين التغطية لكايت ولي أثناء دخولي.

قال مادوكس: "انبطح أرضاً يا جون".

وضعت وجهي على سجادة زرقاء فاخرة. على الصعيد المهني، نظرت بعين التقدير إلى الدقّة العسكرية لكارل وباين، وطريقتهما المألوفة في التعامل مع سجينين كانا ينظران إليهما على أنهما مصدر خطر محتمل بالرغم من أنهما كانا مقيّدَين، وأعزلين، ويحيط بهما ثلاثة رجال مسلّحون. وأسوأ ما في الموضوع أن هؤلاء الرجال كانوا حريصين على ألاّ يدعوا لي أدنى مجال للحركة والخروج من هذا الوضع.

كان استخدام الأصفاد في القدمين بدلاً من القيود في اليدين تصرّفاً حكيماً، وكان في مقدوري فهم الأسباب التي دفعت مادوكس إلى استخدام الأصفاد حتى هذه المرحلة.

غير أن الخطأ الفعلي الوحيد الذي ارتكبوه لغاية الآن هو عدم العثور على قاذف الإشارات الضوئية، وهو السبب الذي يحمل رجال الشرطة على تجريد السجناء من ثيابهم وتفحّص التجاويف التي في أجسامهم. الآن، وبعد أن أصبحنا داخل الحصن، ربما تكون تلك الخطوة التالية لمادوكس إلى جانب تكبيل اليدين؛ وستكون تلك إشارتنا للبدء بالتحرّك.

في هذه الأثناء، بدا مادوكس وكارل مشغولَين في شيء سوانا، ولكنني لمحت لوثر بالقرب من الباب وهو يصوّب بندقيته الأم 16 نحوي ونحو كايت. لم أرَ الحقيبة القماشية التي من الواضح أن لوثر أخفاها في مكان ما ونحن نسير في الممرّ. ولذلك، فإن الأسلحة الوحيدة الموجودة في هذه الغرفة هي الأسلحة التى نراها مصوّبة نحونا.

حول موضوع الأسلحة، كان اختيار كارل حمل بندقية خردق أوتوماتيكية في حيّز محصور قراراً محترفاً للغاية؛ لأن الرصاصات المنطلقة من البنادق القوية تميل إلى اختراق أجساد الناس وإصابة أشخاص آخرين لا تريد إصابتهم بالضرورة، ثم الارتداد بعد ذلك لتصبح خطراً على مُطلق النار وأصدقائه.

في الواقع، كانت بندقية الأم 16 التي يحملها لوثر تشكّل خطراً عليه بقدر ما كانت تشكّل خطراً علينا، ومع ذلك، لم أشأ أن يطلق النار علينا. وفي ما يتعلق بمسدس الكولت من عيار 0.45 الذي يحمله مادوكس، كان استخدامه مناسباً في الأماكن المحصورة بالجدران المصنوعة من الطوب. ويمكن له إحداث ثقب كبير في بدنك إذا استُخدم من مسافة قريبة، وسرعة خروج رصاصته من الجسم لا تشكّل

خطـراً فـي العـادة علـى أي شخص آخر عدا الضحية. ولذلك في حال اصطدمت رصاصـته بجـدار خرسـاني، فعلـى الأرجح أن تتفتت هذه الرصاصة ذات الرأس المدبدب بدلاً من أن ترتدّ عن الجدار.

بعد تحليل هذا الجانب من الوضع، وصلت إلى استنتاج مفاده أنني وكايت عالقان فـي الأسـاس في موقف لا نُحسد عليه. في الواقع، بات شأن قاذفات الأسهم المضيئة يقلّ في نظري شيئاً فشيئاً.

قال مادوكس: "ليركع كل منكما على الأرض ويداه فوق رأسه".

جـثوت علـى ركبتيّ، ووضعت يديّ فوق رأسي، ورأيت أن كايت فعلت شيئاً ممـاثلاً. كانت تفصل بيننا مسافة تقارب الثلاثة أمتار في غرفة مضاءة بأنوار خافتة. تبادلنا النظرات. حنت كايت رأسها، وصوّبت عينيها نحو المكان الذي خبّأت فيه قاذف الأسهم في مكان ما في سروالها. ثم نظرتْ إليّ فأشرتُ إليها برأسي بألاّ تفعل. أردت أن أقـول لهـا إن هذه ليست اللحظة المناسبة للقيام بذلك. وستعرفين الوقت المناسب حالما تسنح الفرصة.

بـدأت أتفحـص الغرفة بعينيّ بعد أن تكيّفتا مع الضوء الخافت. كان مادوكس يجلس وقد أدار ظهره إلينا عند لوحة إلكترونية مثبتة في الجدار البعيد. افترضت بأن ذلك كان جهاز الإرسال. أوريكا. ماذا سأفعل الآن؟

كان لوثر لا يزال واقفاً بالقرب من الباب، يؤمن التغطية لي ولكايت ببندقيته. لم أتمكن من رؤية كارل، ولكنني سمعته وهو يتنفس خلفنا.

كان يوجد في الغرفة قطع أثاث متفرّقة، وبدت كما لو كانت مكتباً قيد الاستعمال. من الواضح أنه مكتب الحرب الذرّية الذي سيستعمله باين حيث يمكنه تمضية نهاره بأكمله في إجراء الاتصالات الهاتفية لمعرفة إن كان لا يزال يوجد أحياء بعد الانفجار الكبير. وعلى الأرجح أنه يوجد لديه شريط تلغراف لكي يرى أداء دفاعاته وأسهم شركته النفطية.

لـم أفهـم لماذا أراد الناس في حقبة السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي النجاة من إبادة جماعية نووية، أعني أنه فيما عدا تخزين بعض علب التشيلي والجعة، لـم تكن توجد لديّ خطة بعيدة المدى لحقبة ما بعد الحرب النووية. ولكن لكي أنصف بـاين، علـى الأرجح أن هذه كانت فكرة زوجته السابقة. وتساءلت عما حلّ بها. فهل أدخلها في فرّمة الأخشاب؟

علـى كل حال، لاحظت أيضاً أنه توجد شاشات تلفزيونية مسطحة بالكامل مثبتة بأذرع مفصلية على الجدار المكسو بالألواح في الجانب الأيمن من اللوحة الإلكترونية. بدت حديثة وغير منسجمة مع هذه الكبسولة التي تعود إلى حقبة الثمانينيات.

إلـــى اليسار من اللوحة الإلكترونية، كان يوجد رف يحمل ستة أجهزة تلفزيونية قديمـــة، وكانت جميعها في وضعية تشغيل، ولكن كان من الصعب رؤية الصور التي تعرضـــها باللونين الأبيض والأسود والتي كانت تتقلّب باستمرار. عندها، أدركت بأن تلـــك كانت شاشات مراقبة. شاهدت بيت الحراسة على إحداها، وصورةً لنادي الصيد تلـــتقطها عدســـة توجد في بيت الحراسة، وتليها شاشة تعرض صورة مبنى المولّدات الكهربائية، وهكذا. أدركت بأن مادوكس سيعرف بأمر عناصر الخيالة حال وصولهم، وكـــذلك بأمر وصولي وكايت. ولكن حتى تلك اللحظة، بدا كل شيء في نادي كاستر هيل طبيعياً، وهادئاً وساكناً.

كانـــت تراودنـــي بين الحين والآخر فكرة مزعجة هي أنه حتى في حال اقتحم رجـــال مكـــتب التحقيقات الفيدرالي وشرطة الولاية البوابة وحطموا الأبواب التي في المنـــزل، فما من أحد يمكن أن يعثر علينا ونحن هنا في الأسفل. وحتى في حال تذكّر شافير أنه يوجد ملجأ نووي في مكان ما، فعلى الأرجح أنه سيبحث في الطابق السفلي أســـفل المنـــــزل نفسه، ومن المرجح جداً أن يعتقد خطأً بأن إحدى الغرف هناك هي الملجأ النووي.

كنت متأكد من أنه لن يعثر على الأرضية التي يرفعها الكبّاس الهيدروليكي أسفل طاولة لعب الورق، وحتى في حال حدثت معجزة وتمكن من اكتشافها، فسيحتاج فريق النسف إلى عدة ساعات لكي يفتح كوّة في باب القبو.

كنا في ورطة مزدوجة، وكانت هناك طريقة واحدة للخروج منها، وهي الطريقة التـــي كـــان يجدر بي اختيارها في فترة ما بعد الظهر من هذا اليوم - يتعين قتل هذا الـــوغد وحرّاســـه، في هذا المكان وفي هذا الوقت بالذات - قبل أن يقتلونا، وقبل أن يفجّر مادوكس تلك القنابل النووية الأربع التي زرعها في بلاد الصحراء.

قال مادوكس فيما كان يتنقل في أرجاء الغرفة: "هل تفهم ماذا يحصل يا جون؟"

قلت: "أعتقد بأننا تأكدنا من أنك سترسل إشارة إلف إلى أجهزة الاستقبال الأربعة المرفقة بأجهزة التفجير في القنابل النووية الأربع".

"هذا صحيح". وأضاف، "في الواقع، لقد بدأتُ عملية الإرسال".

اللعنة.

قال مادوكس: "اقتربا أكثر، وابقَيا جاثيين على ركابكما. هيا".

اقتربت وكايت سيراً على ركابنا من اللوحة الإلكترونية، ثم قال كارل الذي كان يقف خلفنا: "توقفا"، فتوقفنا.

سألنا مادوكس، "هل يمكنكما رؤية هذه النوافذ الصغيرة الثلاث؟"

نظـرنا إلى حيث كان يشير إلى صندوق أسود فوق خزانة اللوحة الإلكترونية. كانـت الـنافذة الأولى تقلّب مجموعة من حروف حمراء من خلال صمام ثنائي مشعّ للـضوء، وقال مادوكس: "لقد أرسلتُ الحرف الأول من الرسالة المشفرة المكونة من ثلاثـة حروف والتي ستفجر القنابل الأربع". وأضاف، "كان في مقدوري وضع ساعة توقـيت فـي كـل حقيبة، ولكنني كنت سأضطرّ إلى تحديد زمن التفجير سلفاً، وكان التفجير سيتم بطريقة خارجة عن السيطرة. ولذلك اخترت طريقة التفجير المتحكّم فيه، وهـو ما جعل جهاز إلف الذي لديّ مثالياً ومأموناً للقيام بهذه المهمة". وأضاف، "لقد حصلت أخيراً على عائد من استثماري في محطة إلف هذه".

قلت له: "أنت تعرف يا باين أنه يمكنك التنقيب عن النفط بواسطة موجات إلف".

ابتسم، وقال: "أرى أنك قد قمت ببعض الفروض المنـزلية. أنا لست بحاجة إلى التنقـيب عـن النفط لأنني أعرف أصلاً مكانه. وملاّكه الحاليون على وشك أن تُوجه إليهم ضربات نووية".

سألته، "ولماذا تفعل ذلك؟"

نظـر إليّ، وأجاب، "إنه السؤال الذي يبدأ بكلمة لماذا". أشعل سيجارة، ثم قال: "لمـاذا؟" لأنني سئمت وتعبت من الرؤساء الجبناء المتعاقبين الذين يقبّلون قفا العرب. هذا هو السبب".

أعـتقد بأنه نفسه قبّل قفا أحد العرب، وهذا هو يوم تصفية الحساب. كما اعتقدت بـأن فـي مقـدوري مسايرته فقلت: "أنت تعرف أنني وكايت نتعامل مع هذا الوضع المقرف كل يوم. فالمهاجرون المسلمون غير الشرعيين يعامَلون كما لو كانوا محامين دسـتوريين، والإرهابـيون المحتملون يدافع عنهم محامون وهم يهددون برفع دعاوى قـضائية بسبب عمليات اعتقال خاطئة". وأسهبت في الحديث عن مشكلاتي المتواصلة التـي أواجههـا فـي عملي، ولكن الغريب أن مادوكس لم يظهر أي اهتمام بسماعي. ختمت حديثي قائلاً: "أنا أفهم شعورك بالإحباط، ولكن تفجير أربع قنابل نووية في بلاد الصحراء لن يحلّ المشكلة، بل سيزيدها سوءاً".

علا صوته بالضحك، وهو ما اعتبرته أمراً غريباً.

ثم عاد ليتنقل في أرجاء الغرفة، وضغط على بعض المفاتيح في اللوحة الإلكترونية، وقال: "كل حرف بحاجة إلى تشفير بواسطة كود مؤلف من أربعة حروف".

قلت: "هذا صحيح. هل يمكننا التحدث عن هذا الأمر؟"

بـدا أنـه لـم يسمعني، وبدا أنه يريد قراءة اتصالاته والإصغاء إلى شيء عبر الـسماعة التـي وضعها في أذنه منذ وقت قصير. لاحظت أن النافذة الأولى التي في

الـصندوق الأسود قد توقفت عن تقليب الحروف، وأنها توقفت عند حرف **جي**، ظهر باللون الأحمر.

قالـت كايـت: "عـندما يـصل رجال شرطة الولاية وعملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي، سيقومون بتعطيل مولّداتك الكهربائية وإسقاط أعمدة الهوائي".

كان مادوكس لا يزال يضغط على مفاتيح لوحته الإلكترونية، فأجاب من غير أن يلـتفت، "كايـت، إنهم لم يغادروا مقرّ الشرطة بعد، والذي يبعد حوالى الساعة عـن هذا المكان. الأمر الثاني هو أنهم لا يعرفون حقيقة ماذا يجري هنا. والأمر الـثالث هـو أنه حتى في حال وصلوا إلى هذا المكان في غضون الدقائق الثلاثين التالـية، سيكون وصولهم متأخراً جداً". وأضاف، "سننتهي من هذه العملية في أقل من عشرين دقيقة".

لاحظت الآن أن النافذة الثانية في الصندوق الأسود بدأت تقلّب حروفاً حمراء.

استدار مادوكس في كرسيه وقال لنا: "تم إرسال الحرف الثاني، وستلتقطه أجهزة الاستقبال الأربعة التي في الحقائب النووية في غضون خمس عشرة دقيقة تقريباً".

اعـتقدت بأنـه ربما كان يحاول خداعنا بشأن مقدار الوقت المتبقّي لنا، ولذلك، ولكي أثبت له بأننا قمنا بواجباتنا المنـزلية، قلت له: "حوالى ثلاثين دقيقة".

"كلا، الوقت هو خمس عشرة دقيقة". وأضاف، "فهذا هو الوقت اللازم لكي تصل كـل مـوجة إلـف متكـررة إلى سان فرانسيسكو ولوس أنجلوس، ولكي يقوم جهاز الاستقبال بفكّ شيفرتها".

أردت أن أصـحح كلامه فقلت: "لكي تصل إلى الشرق الأوسط، تستغرق رحلة الإشارة ثلاثين دقيقة".

قال السيد مادوكس الذي نفد صبره: "كلا. لا زلتَ لا تفهم ماذا يجري؛ وهو خبر جيد بالنسبة إليّ".

سألته كايت، "ما هو الشيء الذي لم يفهمه؟"

أجاب مادوكس، "تنفيذ **المشروع الأخضر** وخطة **عاصفة النار**".

ثـم استدار وهو في مقعده مجدداً، وقرأ اتصالاته الإلكترونية، "تحافظ المولّدات الكهربائية على قدرة إنتاجية مقدارها ستة آلاف واط". ووضع يده على لوحة المفاتيح وقـال: "والآن، كـل ما عليّ القيام به هو تشفير الحرف الأخير في الكود المؤلف من ثلاثة حروف".

فيما كان يقول ذلك، توقف الحرف الثاني في الصندوق الأسود عند الحرف **أو**. أي أن الرسالة أصبحت الآن "جي – أو".

لاحـــظ ذلـــك فقـــال: "لدينا الحرفان **جي** و**أو**، فما هي كلمة التشفير؟ لا يمكنني تذكـــرها. جـــي أو بـــي؟ أم جي أو تي؟" وضحك وقال: "جوكو؟ كلا لأن فيها حروفاً كثيرة. ساعدني يا جون، ساعديني يا كايت. آه لقد تذكرت إنها مؤلفة من الحروف جي وأو ودي".

من الواضح أن الرجل يستمتع بما يقوم به فيما كان يفقد رجاحة عقله.

كتب الكلمة باستخدام لوحة المفاتيح، وبدأت النافذة الأخيرة تقلّب الحروف.

الـــتفت إلينا، وقال: "إذاً، الذي يحدث هو أن برمجيات التشفير التي لديّ نجحت فـــي إرسال الحرفين 'جي' و'أو' على موجة إلف إلى أربعة أجهزة استقبال وهو ما أكّـــده ظهور هذين الحرفين على شاشتي الصندوق الأسود. ولكن وكما تعرف، يتطلب الأمر بعض الوقت لكي تصل هذه الموجات المتكررة إلى كل جهاز استقبال ولكي يتم فك شيفرتها. هل تفهم؟"

لـــم أعتقد بأنه كان يأبه إن كنا نفهم ما يقوله، ما لم يكن يريد أن يتأكد من حقيقة ما نعرفه، ولذلك قلت: "نحن نفهم ما تقول".

"حقـــاً؟ لقـــد اســـتخدمت شيفرة متكررة ذاتية التصحيح بحيث يتم إرسالها بشكل متواصل إلى حين استقبال التسلسل الأول. وبعبارة أخرى، لن تنجح أية تركيبة أخرى للحروف. والتركيبة الوحيدة التي ستحدث التفجير هي جي – أو – دي. هل تفهمني؟"

ذكرته قائلاً: "لا تنسَ تشغيل نظائرك".

"تشغيل... ماذا؟" نظر إليّ كما لو كنت مجنوناً وقال: "وهذا هو نظام البرمجيات نفسه الذي يستخدمه سلاح البحرية في الاتصال بأسطول غواصاته النووية. ولكن ربما كـــنت تعـــرف ذلـــك. هـــل تعـــرف شيئاً عن تجربتي الصغيرة التي تعود إلى حقبة الثمانينيات؟"

أجابت كايت، "أجل، وكذلك كل عميل في مكتب التحقيقات الفيدرالي".

"حقـــاً؟ حـــسناً، هذا خبر سيئ جداً، ولكنه لم يعد مهماً الآن. وعلى أية حال، عندما يقوم الصندوق الأسود بتهجئة الحروف جي – أو – دي، بعد حوالى خمس عشرة دقيقة من الآن، تحصل أجهزة الاستقبال الأربعة على كامل الرسالة المشفرة المؤلفة من ثلاثة حروف وفقاً للتسلسل الصحيح. وبعد حوالى دقيقتين، وفي حال لم يطـــرأ تغييـــر علـــى الإشارة التي يتم إرسالها باستمرار، ترسل أجهزة الاستقبال الأربعـــة نبضات إلكترونية إلى أجهزة التفجير الأربعة المرفقة بأجهزة الاستقبال، لنحـــصل بـــذلك علـــى أربعة انفجارات نووية جميلة، والفضل في ذلك يعود إلى الدكتور بوتيوف".

لم أردّ أنا أو كايت.

أشـــعل مادوكس سيجارة أخرى وهو يراقب الصندوق الأسود فيما كانت الشاشة الأخيـــرة تقلّـــب الحـــروف. وبعد ذلك، ظهر على الشاشة الحرف دي. وعندها، قال مادوكس: "الآن، يجري إرسال كافة الحروف الثلاثة عبر البلاد في تسلسل مستمرّ".

لـــم أكن قد فهمت بعد سبب قوله "عبر البلاد"، ولكنني ربما لم أفهم، أو ربما لم أرد أن أفهم.

ضغط مادوكس على بعض الأزرار التي في اللوحة الإلكترونية، فظهرت أربعة أرقام باللون الأخضر - 15:00 - على شاشة كبيرة، ثم ضغط على زرّ آخر، فبدأت الأرقـــام تتناقص في عدّ تنازلي. قال لنا: "من الصعب التحديد بدقّة الزمن الذي تحتاج إليه أجهزة الاستقبال لفكّ الشيفرة، ولكن لنفترض أنه يساوي خمس عشرة دقيقة؛ وهو تخمـــين جـــيد. وعـــندها، وكما قلت سابقاً، تحتاج أجهزة الاستقبال إلى الاحتفاظ بتلك الحـــروف لدقيقتـــين بالضبط لكي تتأكد من أنها تقرأ الشيفرة المستمرّة ذاتية التصحيح بطريقة صحيحة. وعندها..." صفق بكلتا يديه وقال: "بوم".

عرفت أن ذلك سيحدث، ولكن لوثر المسكين بلّل سرواله.

اعتقد مادوكس بأن الأمر مسلّ، ولذلك أعاد الكلمة ثلاث مرّات، بوم، بوم، بوم. لكن المفاجأة ولّت، ولم يقفز أحد.

ما أودّ قوله هو أن هذا الرجل فقد عقله اللعين، وأملت بأن يفهم كارل ولوثر هذا الأمـــر. وكـــنت متأكداً من أن هاري وصل إلى الاستنتاج نفسه في مرحلة ما، وربما سيتذكّر كارل ولوثر ما حلّ بهاري.

ركّـــزت على ساعة العدّ التنازلي التي باتت تشير إلى أنها 13:36، ثم 13:35، وهكذا، وهي في طريقها إلى إحداث نشوة نووية لباين مادوكس.

أشعل مادوكس سيجارة أخرى، ونظر إلى ساعته، ثم إلى ساعة العدّ التنازلي، ثم تحقق من شاشات المراقبة الستّ.

بدا مادوكس مسعوراً، وأدركتُ بأن هذه هي لحظة جني ثمار سنوات من العمل والتخطـــيط. ومن ناحية أخرى، لم يكن أمامي الكثير لأفعله سوى الانحناء ويديّ فوق رأســـي، وأراقـــب، وأسمع. ما عنيته هو أنني لم أشعر بالسأم فعلاً من مراقبة حدث نووي على وشك الوقوع. ولكنني كنت أفكر في القيام بعمل ما. وحول هذا الموضوع، كان كارل لا يزال واقفاً خلفنا، ولذلك فإن اللجوء إلى استخدام قاذف الأسهم المضيئة، لم يكن خياراً. ربما كنت سأسحب القاذف، ولكنني كنت سأُقتل قبل أن أعرف الطرف الذي توجد فيه الفوهة، وأكبس على الزرّ الموجود في الطرف الآخر.

سنحت لكايت فرصة أفضل لدسّ يدها في سروالها وإخراج ذلك الشيء قبل أن يلاحظ كارل أو لوثر نصف الأبله ذلك. كان في مقدوري رؤية ملامح التوتر فيما كانت تفكر في الأمر.

كانت تراقب لوثر بقدر ما كانت تستطيع ذلك من غير أن يلاحظها أحد، ولكن لم يكن في مقدورنا مراقبة كارل، ولم تكن لديّ أية فكرة عن مدى تركيزه علينا. كما أنه في كل مرّة يشرد فيها عقل لوثر الغبي، كان مادوكس يلتفت فجأة، ويتحدث إلينا.

في الواقع، التفت إلينا الآن، وقال: "ربما تعتقدان أنني مجنون".

أجبته، "كلا يا باين، نحن نعرف بأنك مجنون".

بدأ بالابتسام، ولكنه أدرك أن جنوده حاضرون، وهو لم يشأ زرع أية أفكار في عقولهم، ولذلك عاد إلى الجدّية، كما لو كان قد عاد إلى رشده، وقال لي: "لا توجد شخصية كبيرة واحدة في تاريخ العالم لم توصف بالجنون. قيصر، أتيلا، جنكيز خان، نابليون، هتل...، حسناً، ربما كان مختلّ التوازن بعض الشيء. ولكنك تفهم ما أعنيه بقولي هذا".

أجبته، "أنا أفهم بأنك إذا كنت تظن أنك نابليون، فأنت بحاجة إلى استشارة طبيب".

"يا جون، أنا لا أعتقد أنني أجسّد شخصاً سوى نفسي".

"هذه بداية جيدة يا باين".

قال لنا: "أنا لا أعتقد بأنكما تقدّران ما أقوم به". وعندها بدأ يرتجل كلاماً مسهباً عن الرجال العظماء الذين غيّروا مجرى التاريخ، بمن فيهم شخص اسمه جون، ملك بولندا الذي أنقذ فيينا من الأتراك ولم يحصل على شيء بالمقابل. أعني من يأبه لذلك يا باين؟

وفي هذه الأثناء، كانت ساعة العد التنازلي تشير إلى أنها 11:13 فيما كان العدّ لا يزال سارياً.

استغلتْ كايت توقف مادوكس عن الكلام لكي يشعل سيجارة فسألته، "ما هي **عاصفة النار؟**"

نفخ عدة حلقات دخانية، ثم قال: "إنه بروتوكول حكومي في غاية السرّية يدخل حيّز التأثير عندما تتعرض أميركا لهجوم بواسطة أسلحة الدمار الشامل". وأضاف، "إنه الشيء الوحيد الجيد والحكيم الذي تم تصميمه منذ استراتيجية ماد؛ الدمار المؤكد المتبادل".

تابعــت كايت الحديث عن الموضوع نفسه فسألته، "وما علاقة هذا البروتوكول بــ... ما يحصل الآن؟"

نظــر إلـــيها من خلال الدخان. وسأل، "إذاً، أنتما لا تعرفان شيئاً بالفعل، أليس كذلك؟"

تولّد لديّ انطباع بأنه في حال أجبنا عن بعض من هذه الأسئلة بطريقة خاطئة – إذا اعــتقد بأنه لا توجد لدينا أية معلومات – فسنلحق ببوتيوف والموظف في مصلحة جــباية الضرائب عاجلاً وليس آجلاً، ولذلك أجبته، "جرى إيجاز بعض المعلومات لنا، ولكن..."

"هذا جيد. أخبرني".

"حسناً، **عاصفة النار** عبارة عن بروتوكول حكومي يدخل حيّز التأثير عندما..."

"يا لك من ثرثار يا جون". وأضاف، "سأخبرك". وشرع في شرح خطة **عاصفة الـــنار**، والتـــي وجدتها خطة مرعبة، ولكنها بدت مطمئنة على نحو غريب في الوقت نفـــسه. وأكثـــر ما أثار الرعب في نفسي هو أن باين مادوكس كان يعرف التفاصيل الدقـــيقة لـــسرّ يعتبر واحداً من أكثر الأسرار القومية حساسية في البلاد، بما في ذلك معرفته مكان اختباء روزويل ألينـــز.

فـــي هذه الأثناء، وصل العدّ التنازلي إلى 9:34، وفيما كنت أراقب الساعة أثناء حديث مادوكس، وصلت إلى 9:00، ثم إلى 8:59.

كـــان فـــي مقـــدوري اســـتيعاب معظم كلام مادوكس، وعندما بدأ بتعداد المدن الموجودة في العالم الإسلامي التي ستُضرب بالصواريخ النووية في حال دخلت خطة **عاصفة النار** حيّز التأثير، اعتقدت بأن هذا الرجل سيبلغ مرحلة النشوة. ما عنيت قوله هـــو أنه كان في حالة نشوة كاملة، وأملت بأن يقع مغمياً عليه أو يحصل له شيء من هذا القبيل.

عندما وصل إلى ذلك الجزء من خطة **عاصفة النار** الذي يتحدث عن ضرب سدّ أســـوان بالصواريخ النووية، بدأ يلوّح بيديه في الهواء، وقال: "مليارات الغالونات من المـــياه. ســـتُغرق بحيرةُ أسوان ونهر النيل مصرَ بأكملها وتُلقي بستة ملايين جثة في البحر الأبيض المتوسط".

يا إلهي. قل لي يا باين إنك لست مجنوناً.

بقـــدر مـــا كان الخبر يشلّ الأعصاب، لاحظت أمرين: كان مسدس الكولت من عـــيار 0.45 الـــذي يحمله مادوكس داخل جيب سترته الزرقاء، والأمر الثاني هو أن لوثـــر بـــدا قلقـــاً بعض الشيء، كما لو كان يسمع الخبر لأول مرّة. في الواقع، أشعل

سيجارة، وهو الأمر الذي ما كان من المفترض أن يقوم به أثناء تأديته مهمته، وخصوصاً إذا كان ذلك يعني ترك بندقيته تتدلّى من كتفه فيما يعبث بسجائره وولاّعته.

في هذه الأثناء، امتلأت الغرفة بالدخان، وكنت على وشك أن أقول بأن التدخين السلبي ليس صحياً لأي واحد فينا، ولقال باين حينها أنه لا يجدر بي ولا بكايت التفكير على المدى الطويل.

وصل العدّ التنازلي إلى 7:28. رنّ الهاتف في مكان ما في الغرفة، وكان ذلك الهاتف الخليوي لباين الذي قام بسحبه من جيبه. قال: "أنا مادوكس"، ثم أصغى وقال: "انطلق **المشروع الأخضر**" ثم قال: "قيصر ويليام". إما أنه كان لهذا الكلب دخل في الموضوع، أو أنها كلمة مشفرة تعني أن كل شيء يسير على ما يرام، وأن مادوكس لا يمرّ في ظروف صعبة.

أصغى مادوكس، ثم قال: "هذا جيد". ونظر إلى ساعة العدّ التنازلي وقال للمتصل: "بعد حوالى خمس أو ست دقائق، ثم دقيقتين لكي يتم الفراغ من الأمر. أجل. هذا جيد. ماذا أعدّوا لمأدبة العشاء؟" ثم أصغى، وضحك وقال: "ربما أعفيتك من مصير ليس أقل سوءاً من الموت. حسناً. هذا جيد. أشكرك يا بول". قطع مادوكس المكالمة، وقال لي: "ستقدّر ذلك يا جون. الرئيس وضيوفه يتناولون أطباقاً من المأكولات الفرنسية. إذن، أين وصلنا؟"

قلت: "اعذرني يا باين. لا بدّ وأنني لم أكن أصغي إلى ما تقول، ولكن..."

"آه، أنا آسف. كان ذلك بول دان، المساعد الخاص للرئيس في شؤون الأمن القومي". وشرح ما كان يجري فقال: "إنهم يقيمون مأدبة عشاء حميمة في البيت الأبيض هذه الليلة. وهذا خبر جيد لأنه سيكون في المقدور إبعاد الرئيس والسيدة الأولى بسرعة من واشنطن، إلى جانب بول".

سألته، "هل الطعام بهذا السوء؟"

ضحك ماودوكس وقال: "أنت مضحك فعلاً". وضع الهاتف الخليوي في جيبه، وقال: "لدي هوائي خليوي هنا، وقد أعدتُ تشغيل برج الترحيل، ولكن لسوء الحظ، لا يوجد أي من عملائي الذين يستخدمونه بالمجان في الجوار، ولهذا السبب، أخضعت النظام الآن للتشويش الصوتي". وسألني، "أين وصلنا؟"

"ستة ملايين جثة تطفو على سطح النيل".

"أجل. ستكون أكبر خسارة بشرية وحيدة في تاريخ العالم. كما عليك ألاّ تنسى مئة مليون أو أكثر من المسلمين الذين سيحرقهم مئة انفجار نووي آخر".

بقـــي فكـــري مشوشاً بعد سماعي هذه العبارة. لقد فهمت ما تعنيه خطة **عاصفة النار**؛ التي بدت كردّ ثأري شديد بعض الشيء على انفجار نووي يقع في أميركا؛ من أكـــون أنـــا لكي أحكم؟ لكن ما لم أفهمه هو كيف كان مادوكس سيطلق **عاصفة النار** بتفجيـــر أربـــع مدن إسلامية بالقنابل النووية... ثم فهمت الأمر على حقيقته. لم تكن المـــدن الأربـــع المستهدفة مدناً إسلامية، بل مدينتين أميركيتين، وهما المدينتان اللتان تـــوجد الحقائـــب النووية فيهما: لوس أنجلوس وسان فرانسيسكو. يا إلهي. نظرت إلى كايت التي بدا وجهها ممتقع اللون كوجه شبح.

أمـــسك مـــادوكس بجهاز تحكّم عن بُعد، وقام بتشغيل أجهزة التلفزة ذات الشاشات المسطحة الثلاث. أضاءت الشاشة الأولى، وظهر عليها استوديو إذاعة النشرات الإخبارية، وكانـــت خبيـــرة فـــي الأرصاد الجويّة تشير إلى خريطة الطقس المتوقع في البلاد. قال مادوكس: "واشنطن"، ثم ضغط على زرّ إسكات الصوت مع سماعه للصوت.

ظهـــر على الشاشة الثانية أستوديو آخر لإذاعة الأخبار وكان هناك شخص يقرأ النشرة الرياضية. قال مادوكس: "سان فرانسيسكو"، ثم أسكت الصوت.

ظهـــر على الشاشة الثالثة مقدمان لبرنامج إخباري، وكانت يرتسم خلفهما مشهد للمدينة في وضح النهار، واحتجت إلى بضع ثوانٍ لأعرف أنها لوس أنجلوس. أصغى مادوكس لبضع ثوانٍ، ثم نظر إلى ساعته وقال: "حسناً، إنها الساعة 7:56 هنا، أي أن الساعة في الساحل الغربي هي 4:56". ونظر إلى ساعة العدّ التنازلي التي كانت تشير إلى أنها 4:48: 4:47، 4:46، 4:45، ...

قـــال: "إذاً، لا تزال أمامنا خمس أو ستّ دقائق لكي يصل الحرف الأخير – دي – إلى أجهزة الاستقبال. وبعد مرور دقيقتين أخريين، يتم فكّ الشيفرة".

ابتلعتُ ريقي، وقلت له: "هل تريد...؟ أعني، هل أنت...؟"

"الفظْ الكلمة يا جون".

"ما هذا الذي تفعله؟"

"ماذا تراني أفعل؟"

لم أجب، ولم تجب كايت.

جلس على كرسيه المتحرّك، ووضع رِجلاً فوق أخرى، وأشعل سيجارة أخرى، وقال لنا: "**المشروع الأخضر**. إنه اسم خطتي لإطلاق **عاصفة النار**. هل تفهمني؟ قمت بـــزرع أربع قنابل نووية؛ زرعت قنبلتين في لوس أنجلوس، وزرعت قنبلتين أخريين في سان فرانسيسكو". وأضاف "ستكلّفني هاتان المدينتان عشرة ملايين دولار، إضافة إلى تكاليف الصيانة".

نظر مادوكس مجدداً إلى ساعة العدّ التنازلي وقال: "ستنفجر هذه القنابل كلها في أقل من ستّ دقائق". ثم عاد، والتفت إلينا، وقال: "وعندها، ينطلق الردّ الثأري لعاصفة النار، ونمحي هؤلاء المسلمين من على وجه الأرض جزاء على ما فعلوه في لوس أنجلوس وسان فرانسيسكو.." وتوقف فجأة، كما لو خطرت بباله فكرة، وقال: "لقد نسيت. أنا من سيفجر سان فرانسيسكو ولوس أنجلوس". وعلا صوته بالضحك.

يا إلهي. قلت له: "بالله عليك يا باين، لا يمكنك..."

"اخرس يا جون. أنت تتصرف الآن كما كان يتصرف هاري. وفيما تغلق فمك، فكّر في جمال هذا الأمر. إنه **المشروع الأخضر**، و**عاصفة النار**. لماذا لونها أخضر؟ لأنه.." ونظر إلى الشاشات المسطحة وقال: "هل ترى ذلك الشريط الذي يمر أسفل شاشة قناة لوس أنجلوس؟ ما هو المكتوب في هذا الشريط؟ لون مستوى التحذير هو اللون البرتقالي. وهل تعرف ما سيقوله في المستقبل القريب جداً؟ سيقول مستوى التحذير ذا اللون الأخضر. الخضرة الدائمة. هل تفهم؟ لن يصار إلى تفتيشك بالعصا السحرية مجدداً في المطارات... حسناً، في الواقع، لن تحتاج أبداً إلى الذهاب إلى المطار. ولكن عليك أن تفكر في كافة الرفاق الأميركيين الذين يشعرون بالانزعاج في المطارات".

تحدث بكلام لا معنى له مدة من الوقت، ثم نظر إلى النشرات الإخبارية من لوس أنجلوس إلى سان فرانسيسكو على أمل أن يجد مؤشراً يدلّ على اكتشاف مخطط خطر في تلك المدينتين. ولكن كان مقدّمو البرامج الإخبارية على وشك الانتهاء من إذاعة نشراتهم الإخبارية. اعتقدت – بل صلّيت في الواقع – على أمل أن يكون قد تم القبض على الطيارَين والطيارَين المساعدَين. ولكن فرص العثور على هؤلاء الأشخاص الأربعة، إلى جانب العثور على الحقائب النووية لم تكن جيدة.

قلت لمادوكس: "يا باين، ستعرف الحكومة بأنك كنت السبب، وليس الإرهابيين الذين..."

"يا جون، حتى لو عرفوا حقيقة الأمر، سيكون الوقت متأخراً جداً. **فعاصفة النار** تعمل بطريقة تلقائية وهي جاهزة للتنفيذ".

"يا باين، سيأتون إلى هنا للبحث عن..."

"هل تعرف؟ أنا لا آبه لذلك طالما أن العالم الإسلامي مردوم بالخرائب النووية". وأضاف، "لا أبالي إذا سقطتُ شهيداً من أجل بلادي، وإيماني..."

"هل فقدت عقلك العين؟ هل أنت عازم على قتل ملايين الأميركيين والملايين من المسلمين الأبرياء...؟"

"اخـــرس يـــا جـــون". ونظر بسرعة إلى كارل ولوثر، ثم قال لي: "الغاية تبرّر الوسيلة".

"كلا إنها لا تبرّرها..."

رفـــع صوته وقال: "بل تبرّرها. إننا نتحدث عن عالم جديد تماماً. هل أنت أغبى من أن تفهم..."

قالت كايت: "أريد الذهاب إلى دورة المياه".

نظر مادوكس إلى كايت وقال: "ماذا تريدين؟"

"أريـــد الذهاب إلى دورة المياه. أرجوك، أنا لا أستطيع حبس نفسي. وأنا لا أريد أن... أبلّل نفسي هنا..."

بـــدا الانـــــزعاج على مادوكس، وفكّر للحظة، ثم قال: "حسناً، ولا أنا أيضاً لا أريـــدكِ أن تبلّلي نفسكِ هنا، بالنظر إلى العمل الكبير الذي قام به عمال تنقية الهواء". ونظر إلى كارل، وقال: "راقبها".

نهضت كايت، والتفتت، ثم قال كارل: "من هنا".

لـــم أعد أراها، ولكنني سمعت وقع أقدام كارل على الأرض، وسمعت باباً يُفتح من خلفي.

راقـــب مـــادوكس الأحـــداث التي كانت تحصل، وكذلك لوثر الذي أخرج علبة السجائر.

قال كارل لكايت: "هيا، لن أغلق الباب".

جاءت اللحظة التي طال انتظارها. كان كارل يراقب كايت وقد أدار ظهره إليّ، وقـــسّم مـــادوكس انتـــباهه بين ساعة العدّ التنازلي، التي باتت تشير إلى أنها 3:26، وشاشات المراقبة الأمنية، التي كانت لا تزال تظهر عدم وجود أية مشكلات، وشاشات التلفزة المسطحة، التي كانت لا تزال تلخّص أخبار الساعة. أما لوثر فقد بقي مثبتاً عند باب الحمام المفتوح.

الـــتفتُ، ونظرت خلفي، فوجدت أن كارل لا يزال واقفاً عند الباب المفتوح وقد وضـــع بندقيـــته عند خصره مصوّباً فوهتها نحو كايت التي كان في مقدوري رؤيتها وهي تقف قبالة المرحاض وهي تخلع سروالها.

لا أعـــرف الأشـــياء التي اعتقد كارل بأنه سيراها، ولكنه لم يكن سيرى شيئاً آخر.

قـــال مـــادوكس: "يا جون. أنت لست بحاجة إلى مراقبة زوجتك وهي في دورة المياه. انظر إلى الناحية الأخرى".

أدرتُ وجهي عن الجهة التي كانت ستصبح شديدة التوهج، وحبست نفسي، وأغلقت عينيّ. كنت أتهيّأ لهذا الأمر، ولكنه عندما وقع، كدتُ أبول في سروالي.

وقع انفجار يصمّ الآذان ملأ الغرفة كما لو كان ضجيجاً متواصلاً. وبشكل آني، أضاءت الغرفة بنور يذهب بالأبصار كان في مقدوري الإحساس به وأنا مغمض العينين، وسمعت كارل وهو يصرخ من الألم.

انبطحتُ على الأرض، وقاذف الإشارات المضيئة في يدي، ولكن الغرفة كانت مشبعة بالدخان، ولذلك لم أستطع رؤية مادوكس أو لوثر، وأملت بأنهما لا يستطيعان رؤيتي أيضاً. وكنت قد قررت بأن لوثر يشكّل الخطر الأكبر ببندقيته الأم 16، ولذلك صوّبت القاذف حيث يمكنني رؤية الحركة بالقرب من الباب، وأطلقت الإشارة.

وقع انفجار آخر ضخم ملأ الغرفة مع تصاعد الوهج من السهم المضيء كحزمة ليزرية حمراء، وانفجر على الجدار؛ أو على لوثر.

لا يهم إن كنتُ أصبتُه أم لا في هذه اللحظة، لأن الجميع كانوا شبه عميان وطرشان، ومذهولين بكل تأكيد.

قفزت من مكاني إلى حيث كان كارل ممدداً على الأرض. ومددت يدي لكي ألتقط بندقيته ولكنني لم أجدها. وعندها صاحت كايت، ولكنني لم أتمكن من سماع ما تقوله. نظرت إليها، ورأيت أنها استولت على سلاح كارل.

اشتعلت بعض الحرائق الصغيرة في السجادة من جرّاء ألسنة اللهب التي أطلقها القاذف، كما شاهدت أريكة وهي تحترق.

نظرت إلى وجه كارل - أو ما كان وجهه يوماً - ثم انحنيت وهاجمت مادوكس الذي كان في استطاعتي رؤيته الآن على الأرض بالقرب من كرسيه المتحرّك وهو ينتقل من مكان إلى مكان، على غير هدى، ولكن قدرته كانت أبعد ما يكون عن الشلل. خطوت خطوة كبيرة بقدر ما سمحت به قيودي، وألقيت بنفسي إلى الأمام، ثم زحفت على يديّ وركبتيّ نحو مادوكس. وقبل أن أتمكن من الوصول إليه، وقف لوثر ورفع بندقيته عن كتفه، وكان على وشك أن يملأني بالثقوب عندما دوّى صوت طلق عيار في الغرفة، وبدا أن لوثر يقاوم الجاذبية فيما كان يحاول الوقوف على قدميه قبل أن يرتطم بالجدار.

قبل أن يسقط، أطلقت كايت النار عليه للمرة الثانية، فاختفى فكّه السفلي.

قفزت إلى مادوكس مجدداً الذي أصبح جاثياً على ركبتيه الآن وهو يواجهني ومسدسه الكولت من عيار 0.45 في يده. وفيما كان يهم برفع يده، صاحت كايت، "قف مكانك، قف مكانك. ألقِ المسدس على الأرض، ألقِه على الأرض، وإلاّ فستموت".

جـاءت اللحظـة الطـويلة التي أعاد مادوكس فيها درس خياراته. ولكن كايت ساعدته على اتخاذ القرار بإحداث ثقب في السقف فوق رأسه. وقبل أن تسقط الشظايا الخرسانية عليه، ألقى مسدسه على الأرض.

بـدا أن الـزمن توقف للحظة، حيث كنت ومادوكس جاثيين على ركابنا ووجه أحدنا قبالة وجه الآخر وتفصل بيننا مسافة متر ونصف تقريباً. كانت كايت تقف على مسافة ثلاثة أمتار تقريباً وهي تصوّب البندقية نحو رأس مادوكس.

انتشرت في الغرفة رائحة المتفجرات المحترقة، وملأ دخان أزرق اللون أرجاء الغـرفة. استعدت قدرتي على الرؤية، ولكن البقع السوداء كانت ترقص أينما نظرت. وفـي ما يتعلق بقدرتي على السمع، أذكر أني سمعت طلقات بندقية، ولكنها بدت من مكان بعيد، وإذا كان ثمة ضجيج آخر في الغرفة، فقد كنت عاجزاً عن سماعه.

وقفـتُ ببطء، ثم أمسكت بمسدس الكولت الذي كان ملقى على السجادة، ومشيت نحو لوثر الذي كان جالساً بالقرب من الباب وقد أسند ظهره إلى الجدار. لم يكن ميتاً، ولكـنه سيتمنّى لو أنه مات في حال بقي على قيد الحياة بدون فكه السفلي. أدت الطلقة الأولـى التي أطلقتها كايت إلى تمزيق ذراعه، ولكن بندقيته كانت لا تزال تتدلّى فوق صدره، ولذلك أبعدتها عنه، ونقلت مفتاح الاختيار من النسق الأوتوماتيكي بالكامل إلى الأمان، ثم علّقت البندقية فوق كتفي.

قامـت كايـت بسحب مادوكس على البساط حيث كان وجهه مدفوناً في صوفه الأزرق الفخم، وكان في مقدوري رؤية أنه لم يكن مرتاحاً.

نظـرت إلى ساعة العداد التنازلي، ورأيت أنه لم يتبقَّ سوى دقيقتين كاملتين قبل أن تصل إلى 0:00.

احتجت إلى تنفيذ الخطوة التالية وفقاً لما تمليه الإجراءات المتبعة، لكي أتأكد من أنـه لم يعد يوجد أحد يشكل خطراً على كايت أو عليّ. ولذلك مشيت نحو كارل الذي كان لا يزال حياً والذي باتت أجزاء من وجهه في أمكنة لا تنتمي إليها.

شرعت في تفتيش ثيابه، ولكنه أدهشني عندما جلس، كما جلس فرانكشتاين على طاولة المختبر، فتراجعت إلى الوراء.

راقبـته وهـو يقـف على قدميه. من الواضح أنه أصيب بالعمى؛ لم يكن عمى مؤقتاً، بل عمى دائماً بالنظر إلى الحروق التي أصابت محيط عينيه. وبالرغم من ذلك، دسّ يده في جيب سترته، وسحب مسدس كولت أوتوماتيكياً من عيار 0.45.

كـنت على وشك أن أقول له: "ألقِه على الأرض"، ولكنه لم يكن يعرف في أي اتجـاه يطلـق النار، ولذلك اتخذت قراراً صعباً بالنظر إلى الوقت الذي كان ينقضي

بسرعة، وأفرغت طلقة من عيار 0.45 في جبهته. كان أضخم من أن تحمله رِجلاه، ولذلك انقلب إلى الوراء مثل شجرة ضخمة انقلبت على الأرض.

قالت كايت: "بقي 58 ثانية".

تقدمت من مادوكس الذي كان ينظر إلى جثة كارل، وسألته، "كيف يمكنني إيقاف العدّ التنازلي؟"

التفت إليّ، وأجاب، "عليك اللعنة".

"هل يوجد لديك شيء ذكي تقوله؟ هيا يا باين، ساعدني. كيف يمكنني إيقاف هذا الشيء؟"

أجاب "لا يمكنك إيقافه". وأضاف، "ولماذا تريد القيام بذلك؟ فكّر في الأمر يا جون".

يتوجب عليّ أن أكون صادقاً، وأعترف بأني كنت أفكر في الأمر، ولكنني لم أكن لأسمح بحدوث ذلك.

قالت كايت: "خمس وأربعون ثانية".

عدت إلى التفكير في ما قاله مادوكس في معرض الحديث عن الإشارة إلف، وتذكرت شيئاً يتعلق بالإشارة المستمرّة، وفترة إرسال النبضات، ولذلك خطر ببالي أنه إذا استطعت منع جهاز الإرسال من إرسال الموجة، فلن تتمكن أجهزة الاستقبال من فك شيفرتها وإرسال النبضات إلى أجهزة التفجير النووية. لم تكن الإلكترونيات واحدة من نقاط القوة لديّ، ولكن الدمار كان واحداً منها، ولم يكن يوجد شيء يمكن أن أخسره، باستثناء مدينتين، ولذلك تراجعت إلى الوراء وقلت لكايت بأن تفعل الشيء نفسه.

وصل العدّ التنازلي إلى 0:15 ثانية، ولكنني تذكرت أن باين أشار إلى أن موجة إلف وفك الشيفرة يمكن أن يتمّا قبل دقيقة أو دقيقتين أو بعد دقيقة أو دقيقتين من وصول الشيفرة إلى أجهزة الاستقبال، أي أن فترة إرسال النبضات التي تستغرق دقيقتين بدأت أو أنها انتهت.

نظرت إلى شاشات التلفزة المسطحة الثلاث، ولكنني لم أشاهد أمراً غير اعتيادي يحدث في سان فرانسيسكو أو في لوس أنجلوس أو في واشنطن.

قالت كايت: "جون".

نظرت إلى حيث كانت تنظر، ورأيت أن العدّ التنازلي وصل إلى 00:00، وأن الصندوق الأسود بدأ يطلق ومضات مؤلفة من الحروف جي - أو - دي.

رفعت مسدس الكولت وصوبته نحو جهاز إرسال الإشارات إلف. وفي هذه اللحظة، نهض مادوكس وأصبح جاثياً على قدميه الآن بيني وبين جهاز الإرسال، كما

لـــو أنـــه يـــريد حمايته. ورفع يديه وصاح، "لا تفعل ذلك يا جون. دع الأمر يحدث. أتوسل إليك. أنقذ العالم، أنقذ أميركا..."

أطلقـــتُ ثلاث رصاصات مرّت فوق رأس مادوكس، وأصابت جهاز الإرسال، وأطلقـــت ثلاث رصاصات أخرى على اللوحة الإلكترونية لزيادة الاطمئنان. وعندها، أطلقت كايت آخر طلقتين على الأجهزة الإلكترونية التي بدأ يتصاعد منها الدخان.

انطفـــأت الأنـــوار، وأجهـــزة الاتصال والأدوات المختلفة، وتصاعد الدخان من الخزانة المعدنية السميكة، وتطاير الشرر منها. وانطفأت الحروف جي – أو – دي.

الـــتفت مادوكس نحو جهاز إلف الذي كان يُحتضر، ثم التفت إليّ، ثم إلى كايت، وقـــال بـــصوت يـــشبه الهمس: "لقد حطمتما كل شيء. كان في مقدوركما ترك ذلك يحدث. لماذا أنتما بهذا الغباء؟"

كـــان لديّ القليل من الأجوبة الجيدة لأقدّمها له عن الواجب، والشرف، والبلاد، ومـــن ذلـــك "إذا كنتُ بهذا الغباء، لماذا أصبح مسدسك في يدي؟" ولكنني دخلت إلى صـــلب الموضـــوع مباشـــرة وقلت: "هذا من أجل هاري مولر"، وأفرغت رصاصتي الأخيرة في دماغه.

الفصل 51

وجدنا المفتاح في جيب كارل، فتخلصنا من الأصفاد التي كانت في أرجلنا. كما وجدنا مسدسه الكولت من عيار 0.45 ملقى على الأرض، فوضعته كايت على خصرها.

وقفت وكايت جنباً إلى جنب في الغرفة الممتلئة بالدخان، صامتَين مثل شاشات التلفزة التي كنا نشاهدها. وبعد مرور بضع دقائق من الإعلانات التجارية - التي لم تتخلّلها نشرات إخبارية عاجلة، وبعد أن تبيّن لنا عدم انقطاع البثّ في لوس أنجلوس أو في سان فرانسيسكو - قلت لكايت: "أعتقد بأن كل شيء على ما يرام".

أومأت برأسها.

قلت لها: "هل أنتِ بخير؟"

"أجل أنا بخير، ولكنني مذهولة".

تركت بضع دقائق تمرّ، ثم قلت: "لقد قمتِ بعمل جيد".

"جيد؟ لقد قمت بعمل رائع".

"كان عملاً رائعاً".

بعد مرور دقيقة أخرى من الصمت، سألتني، "هل تصدّق ذلك؟ هل تصدّق ما كان مادوكس ينوي أن يفعله؟"

نظرتُ إلى اللوحة الإلكترونية، وقلت: "المواقف اليائسة تتطلب تدابير يائسة".

امتنعتْ عن الردّ لفترة وجيزة، ثم قالت: "اعتقدت يا جون بأنك ترددتَ قليلاً".

فكّرت في ما قالته ثم سألتها، "حقاً؟"

قالت: "لا يوجد لديّ جواب".

لكن يوجد لديّ شيء أقوله: "كان الأمر سيحصل على أية حال".

"لا تقل ذلك".

حاولتُ أن أمازحها، فسألتها، "لماذا لا نبقى هنا بضع سنوات؟"

لم تجب على سؤالي.

نظرتُ إلى باين مادوكس الذي كان لا يزال جاثياً على ركبتيه، ولكن رأسه كان مقلـوباً إلى الوراء هذه المرّة، على حافة طاولة اللوحة الإلكترونية. كانت عينا الصقر الـرماديتان مفتوحتـين، لا ترمـشان ولا تتحرّكان كما كانتا دائماً. وفيما عدا الثقب الأحمـر فـي وسط جبهته، بالكاد كان في مقدوري التأكد من أنه مات، وهو أمر كان يبعث على القشعريرة.

لاحظـتْ كايت أنني كنت أحدق إلى مادوكس، فقالت: "لقد قمتَ بما كان يتوجب عليك القيام به".

ولكنّ كلانا كان يعرف بأن كلامها ليس صحيحاً. لقد قمتُ بما أردت القيام به.

نظرت بعيداً عن مادوكس، وراقبت شاشات المراقبة الأمنية الستّ، ولكنني لم أرَ أحـداً، باسـتثناء حـركة غامضة في محيط بيت الحراسة، واعتقدتُ بأنه ديريك. ثم شاهدت سيارة جيب تمرّ بجانب مبنى المولّدات الكهربائية.

قلت لكايت: "إنهم لا يزالون في الخارج، ولم يصل أحد من مقرّ شرطة الولاية".

أومأت برأسها، وقالت: "إذاً، سنبقى هنا فترة من الوقت".

لم تعجبني فكرة البقاء في هذه الغرفة فترة أطول مع وجود جثتين هامدتين على الأرض، وسـجادة وأريكـة تحتـرقان ببطء، إضافة إلى رائحة المعدات الإلكترونية المحترقة. كما أن لوثر كان يتأوّه، وتعرّفت على صوته. لم يكن في وسعنا فعل الكثير من أجل مساعدته، ولكنني اعتقدت بأنه ينبغي أن أحاول، ولذلك بحثت عن خط هاتفي أرضـي من أجل الاتصال بمقرّ شرطة الولاية، وطلب إحضار سيارة إسعاف، ناهيك عـن إحضار بعض العناصر من أجل إلقاء القبض على ديريك وكل من يلزم اعتقاله، وإخراجنا من هذا المكان.

بقـيت كايـت تـشاهد شاشات التلفزة الثلاث، وتراقب ساعة كانت مثبتة على الجدار. قالت كايت: "أعتقد بأن الأمور تسير على ما يرام".

"أجل". لم أستطع العثور على هاتف، وفكّرت في البحث في غرفة أخرى، وهذا ما ذكّرني بالغرفة ذات الباب المقفل والتي سمعت صوت تلفاز يصدر منها. أعني أنني لا زلت أعاني من انفجاري سهمي الإشارة، ولكن كان يجدر بي أن أكون أكثر حذراً. كما أن حاسّة السمع لم تعد إليّ بالكامل، وكذلك كانت حال كايت، ولذلك لم نتمكن من سـماع وقع أقدام شخص قادم من الممرّ، وأدركت لأول مرة بأننا لسنا لوحدنا عندما سمعت صوتاً يقول: "حسناً، أنا لم أتوقع حدوث ذلك".

اسـتدرتُ، ووجدت بالقرب من الباب الشبحَ تيد ماش. وفقدتُ على إثرها القدرة على النطق.

كما وقفت كايت أيضاً في وسط الغرفة وهي تحدّق، وفمها مفتوح.

وأخيراً قلت: "أنت ميت".

أجاب "في الواقع، أنا لست كذلك". وأضاف، "أنا آسف لإزعاجك".

أجبته، "أنا لست منـــزعجاً بل خائب الأمل".

"كن لطيفاً يا جون". ونظر إلى كايت، وسألها، "إذاً، كيف حالكِ؟"

لم تجب عن سؤاله.

عــرفت أنه كان لوكالة المخابرات المركزية ضلع في العملية، لكن لم أتخيل أن أرى، حتى في أسوأ كوابيس، تيد ناش مجدداً، أو ربما ميتاً.

تفحـــص ناش الغرفة، ولكنه لم يعلّق على الدمار، أو على بقع الدم المنتشرة في المكـــان، أو على لوثر الذي كان يُحتضر على مسافة بضعة أمتار منه، أو على كارل الـــذي خرّ صريعاً في وسط الغرفة. كان تيد شخصاً بارد الأعصاب. ولكنه نظر إلى باين مادوكس وقال: "هذا عار فعلاً".

من الواضح أن آراءنا كانت مختلفة بشأن المتوفى.

قال ناش محدثاً نفسه من غير أن يوجه كلامه إلينا: "حسناً، سيكون هناك الكثير من الأشخاص الذين خاب أملهم في واشنطن".

لـــم أردّ علـــى كلامه وكذلك كايت، ولكنني فكرت في الإمساك ببندقية الأم 16 المعلّقـــة فـــي كتفـــي ووضعها في وضعية إطلاق النار. لم أكن أشعر بارتياب كامل باعتبار أنه ربما كان تيد ناش قاتلاً، وغير معجب بالتأكيد بجون كوري. كما أنه كان يرتدي سترة رياضية، وكانت يده اليمنى في سترته، مثل عارضي الأزياء الذين نرى صورهم في الكاتالوغات. كانت تلك وقفة رجل هادئ الأعصاب، في جيبه مسدس.

وأخيراً قالت كايت: "ما الذي تفعله هنا؟"

"أنا أعمل".

قالت: "أنت، ... كنت في البرج الشمالي..."

"في الواقع، وصلت متأخراً، مثلك يا جون ومثل العديد من الأشخاص الآخرين". وقال بطريقة فلسفية: "ألا ترى أن القدر يعمل بطريقة مضحكة؟"

أجبـــته، "أجـــل. القدر برميل مليء بالنكات". وسألته، "ما هو الاتفاق يا تيد؟ هل تـــريد أن تقول لي إنك جئت إلى هنا لكي توقف مادوكس، ولكنك وصلت مرّة أخرى متأخراً بضع دقائق؟"

ابتسم، وأجاب: "أنا لست هنا من أجل إيقاف مادوكس". ونظر مجدداً إلى الراحل السيد مادوكس وأضاف "لكن من الواضح أن هذا هو سبب وجودك أنت".

"لقد جئت إلى المكان لحضور مأدبة العشاء وليس أكثر".

عـــندها، وقبل أن ندخل في حوار ذكي وسريع، شهر مسدسه الغلوك الذي كان شبيهاً بمسدسي وقال: "لقد أفسدتما الأمور فِعلاً".

قلـــت: "كلا يا تيد. لقد أنقذنا للتو سان فرانسيسكو ولوس أنجلوس". وأضفت، لكـــي أتأكـــد من أنه فهم ما قلت: "إننا بطلان. والأشخاص الأشرار باتوا في عداد الأموات".

بدا عليه الغضب الآن، وهو الحال الذي طالما كان عليه معي، ولكن كان في يده مسدس هذه المرّة، وأدركنا في جانب من يقف تيد في هذه القضية. قال تيد: "ليس لديك أدنـــى فكرة عن دورك في إفساد الأمور". ونظر إليّ، ثم إلى كايت، وقال: "إن العالم، الذي نعرفه، كان على وشك أن يتغيّر إلى الأبد. هل تفهم ذلك؟ هل تفهم؟"

بدا أنه استشاط غضباً، ولذلك لم أجب عن هذا السؤال السخيف.

ومـــضى يقول: "كانت تلك الخطة الأفضل، والأكثر براءة، وجرأة من بين كافة الخطـــط التي توصلنا إليها. كان في مقدورنا في يوم واحد لعين، يوم واحد يا جون – يـــوم لعـــين واحـــد – إزالة خطر عظيم يهدد أميركا. وأنت وأنتِ – أيتها العاهرة – أفسدتما كل شيء".

"هاي أنا آسف فعلاً".

أخـــذت كايت نفساً عميقاً، وقالت بنبرة حادّة: "أولاً يا تيد، أنا لست عاهرة. ثانياً إذا كانـــت الحكـــومة تريد تدمير العالم الإسلامي بواسطة أسلحتها النووية، أو التهديد بتدميـــره، فعليها أن تتحلّى بالشجاعة للقيام بذلك بدون أن تختلق هجوماً إرهابياً لعيناً على مدينتين أميركيتين، وتقتل ملايين الأميركيين.."

"أغلقي فمكِ اللعين. من يأبه للوس أنجلوس وسان فرانسيسكو؟ ليس أنا بالتأكيد، ولا أنـــتِ أيـــضاً. لا تحدّثيني عن المبادئ الأخلاقية يا كايت. لقد سنحت لنا الفرصة لإيـــصال العـــالم الإسلامي إلى خاتمته السعيدة، ولكنكِ أفسدتِ الأمر مع هذا المهرّج اللعـــين الـــذي تـــزوجتِ منه..." ونظر إليّ، ولأول مرّة، لاحظ شيئاً معلّقاً في كتفي، والفـــوهة الـــسوداء لبندقـــية الأم 16 بارزة من خلف ظهري. صوّب مسدسه الغلوك نحوي، وقال: "أبعد هذه البندقية اللعينة عن كتفك، وإياك أن تلمسها. إياك أن تلمس أي شيء. ضعها على الأرض. الآن".

انحنيت نحو اليسار لكي تنـــزل البندقية ببطء على كتفي لتصل إلى ذراعي، فيما كنت أفكّر في طريقة للإمساك بالبندقية، وتحريك قفل الأمان، والتصويب والبندقية عند مستوى الورك، وإطلاق رصاصة واحدة جيدة.

من الواضح أن السيد ناش سئم من تجاوبي البطيء، فقال: "لا تتكلّف العناء. ابقَ واقفاً حيث أنت ومت". وصوّب مسدسه الغلوك نحو صدري وقال: "أريد أن أحيطك علماً وأقول بأنني ضاجعتها".

سمعت صوتاً مدوّياً، ولكنني لم أرَ فوهة مسدسه تومض. ولكنه رمى مسدسه في الهواء، أو هذا ما بدا لي. انقلب جسده إلى الخلف، كما لو تم ركله في الصدر، وارتطم بالجدار بجانب لوثر. وفيما كان ينزلق على الأرض، أفرغت كايت مسدس الكولت 0.45، الذي كان في حوزة كارل، في جسد ناش الذي ارتدّ بعنف مع كل طلقة أصابته.

راقبتها وهي تطلق الرصاصات الثلاث الأخيرة، ولم ألاحظ شيئاً هستيرياً أو مسعوراً في طريقتها في إطلاق النار. كانت تمسك المسدس الأوتوماتيكي الضخم بكلتا يديها بالطريقة الصحيحة، الركبتان منحنيتان، والذراعان ممدودتان، والهدف في الوسط، والضغط على الزناد، وإطلاق النار، والتنفس، والانتظار، والضغط على الزناد، وهكذا، إلى أن علق نابض الإرجاع في المكان الفارغ.

تقدمت نحوها لكي أنتزع المسدس من يدها، ولكنها ألقته جانباً.

قلت: "شكراً لكِ".

بقيت تحدّق إلى جسد ناش، الذي بات مغطى الآن بالدم والدم المتخثر الناتج عن إصابة في الرأس.

قالت: "أنا لست عاهرة يا تيد".

عليّ أن أتذكّر ضرورة عدم استعمال هذه الكلمة عندما أتجادل مع كايت.

الفصل 52

تمكنتُ من العثور على هاتف أرضي، واتصلت بالرائد شافير الذي كان، كما تبين لي فيما بعد، لا يعرف شيئاً عن المكان الذي كنا فيه، ولا عن المكان الذي ذهبنا إليه.

قدّمتُ له موجزاً منقحاً بالمعلومات التي يحتاج إلى الإطلاع عليها، وأشرت إلى جريمة القتل والأذى المتعمّد، وطلبت إرسال عناصر من الشرطة، وسيارة إسعاف، وفريقاً للتحقيق في مسرح الجريمة، كما طلبت حضوره شخصياً.

بالاستعانة بكايت، وتسلّحي ببندقية الأم 16 المموهة بالكامل، ومسدس الغلوك الذي تفضل تيد مشكوراً بحشوه بالكامل، استكشفت، وأمّنت الغرف الأخرى التي في الملجأ السفلي التي كان من الممكن أن تُعرض في 'بيتر هومز' والملاجئ النووية.

وجدت الحقيبة القماشية التي كانت تحتوي على حاجياتنا وثيابنا فقمنا بارتدائها.

لم يكن يوجد شيء مثير أو مفيد في سجين لا حول له ولا قوة، وخصوصاً إذا كان السجانون مضطربين نفسياً وقتلة، ولذلك، لم أفهم متلازمة ستوكهولم حيث يبدأ السجين بالتعرّف على آسره، ثم يبدأ بالتعاطف مع أي شيء تافه يقوله الآسر كتبرير لسلوكه السيئ.

غير أن ما يقوله المصاب باضطراب نفسي أو يفعله ينسجم في بعض الأحيان مع ما يؤمن به السجين أصلاً أو يؤمن به في الأعماق المظلمة لعقله. لكن يكفينا التحدث عن ذلك.

وجدتُ وكايت غرف المشرب الخاصة بمادوكس، والتي كانت في الواقع نسخة مصغرة عن غرفة المشرب التي في نادي الصيد، واخترت زجاجة من 'دوم بيرنيون' التي ترجع إلى العام 1978، ففتحتها وشربتُ منها بواسطة كأس للماء.

ووجدتُ بعض الزجاجات غير المبرّدة من جعة كارلستاد التي لم تتحسن مع العمر، بل أصبحت في واقع الأمر معكرة بعض الشيء منذ العام 1984.

بالعــودة إلـــى الـــسيد تيد ناش، كانت تلك المرّة الثانية التي يعود فيها من بين الأمــوات والتـــي آمــل بأن تكون الأخيرة. أحصيت سبعة ثقوب فيه، والتي لم تكن إصـــابات ســـيئة من بين ثماني طلقات. في الواقع، أحسست بأنني سخيف وأنا أحسّ نبـــضه، وسألتني كايت عما أفعله. ولكنني احتجت إلى أن أكون متأكداً. وفي ما يتعلق بتيد ناش أيضاً، لقد تمكن في أقل من ثلاث دقائق من إثارة غضبي. فأنا لست مهرّجاً يـــا تـــيد، وزوجتـــي ليست عاهرة. وبالنسبة إلى الشيء الآخر،...حسناً، هذا أمر قد حصل. وحتى كايت يمكن أن ترتكب أخطاءً مع الرجال، وأنا متأكد من أنه ليس كافة عشّاقها يسمّون جون كوري.

لا بـــدّ وأن كايـــت تكهـــنت بما كنت أفكر فيه. أنهت كأسها الثانية من الشراب، وقالت: "لم يحصل ذلك أبداً. لقد كان يكذب".

حسناً، لم يكن في مقدوري سؤال تيد عن ذلك، ولذلك تغاضيت عن الأمر وقلت: "عملاء وكالة الاستخبارات المركزية يكذبون".

"أتمنّى أن تصدّقني".

في الواقع، كانت تمسك بمسدس الغلوك الذي كان لتيد، ولذلك قلت: "أنا أصدّقكِ يا عزيزتي".

وبمـــا أنها محامية وعميلة في مكتب التحقيقات الفيدرالي، قالت: "يمكنني تبرير إطـــلاق الرصاصة الأولى والثانية بأن ذلك كان دفاعاً عن النفس. ولكنني لا أستطيع تبرير الرصاصات الستّ الأخرى".

قلـــت لهـــا: "لنقل أن تيد تحدّاكِ أن تصيبيه ثماني مرّات". وأضفت، "في الواقع، سأكون سعيداً بنيل العقاب – أو الثناء – على قتله".

أجابت، "أشكرك، ولكنني... سأعالج الموضوع".

عـــدنا إلـــى غـــرفة محطة إرسال الإشارات إلف للتحقق من شاشات المراقبة، فـــشاهدنا رجـــال شـــافير في سيارات تحمل علامات وأخرى لا تحمل أية علامات، وسيارة إسعاف، وهي مصطفة على طريق ماكوين بوند خلف البوابة المقفلة.

الغـــريب في الأمر أن البوابة لم تفتح، مما اضطرّ السيارة التي في المقدمة إلى تحطـــيمها. وبعـــد ذلك، دخل شرطيان بيت الحراسة، وبعد مرور بضع دقائق، أخرج اثـــنان من فريق خدمات الطوارئ الطبّية جثة من بيت الحراسة على نقّالة، وعادا إلى سيارة الإسعاف.

سألتني كايت، "ماذا يحدث هناك؟"

أجبتها، "أنا متأكد من أن ديريك قد قُتل".

"قُتل؟"

"أجل. كان مادوكس بحاجة إليه لإعادة ترتيب نادي الصيد والتخلّص من المركبة المقفلة التي استعرتُها من رودي. ولكن مادوكس لم يرد أن يتحدث ديريك عن هذا الأمر، أو عن وجود أشخاص في الملجأ النووي، ولذلك أمر شخصاً بالتخلّص منه".

علّقت كايت بالقول: "يبدو أن باين مادوكس يفكر في كل شيء".

"ليس كل شيء، وليس بعد الآن".

بقينا في المكان لمدة خمس عشرة دقيقة أخرى للتأكد من أن الأشخاص المناسبين هم المكلّفون بدخول نادي الصيد، ثم صعدنا السلّم اللولبي حيث وجدنا محوّلاً هيدروليكياً لرفع طاولة لعب الورق، وصعدنا إلى تلك الغرفة، وتنفسنا هواءً منعشاً.

رفعنا شارتينا، وجرى تمريرنا من شرطي إلى آخر إلى أن وجدنا نفسينا في الغرفة الكبيرة حيث أقام الرائد شافير مركز قيادة مزوداً بجهاز لاسلكي وبعض العناصر. كان قيصر ويليام نائماً بالقرب من المدفأة.

سألنا شافير، "بالله عليكما، ما الذي يجري هنا؟"

أجبته، "تم حلّ القضية الجنائية. باين مادوكس ورئيس الخدم كارل هما اللذان ارتكبا الجريمة".

"حقاً؟" وسألني، "أين يوجد مادوكس؟"

"في الملجأ النووي".

أجاب، "لقد فتشنا الطابق السفلي بأكمله".

شرحت له كيفية الوصول إلى الملجأ النووي وقلت: "ستجد ثلاثة رجال قتلى هناك، ورجلاً آخر مصاباً بجروح بالغة".

"من هم هؤلاء القتلى؟"

أجبته، "مادوكس، وكارل، ورجل آخر".

"هل مات مادوكس؟ كيف مات؟"

أجبته بغموض متعمَّد، "أحضر فريقك الخاص بالتحقيق الجنائي إلى مسرح الجريمة ودعه يعمل". وأضفت، "كما أن الجريح بحاجة إلى مساعدة طبّية عاجلة".

أمسك شافير بجهاز اللاسلكي، وأعطى أوامره بالدخول إلى الملجأ النووي.

كما نصحت شافير قائلاً: "ينبغي أن تجرّد الحرّاس من أسلحتهم، وتحتجزهم".

أجاب، "لقد تم تجريدهم من أسلحتهم، ووضعهم في الثكنة تحت الحراسة".

"هذا جيد".

سألني،"ماذا لديك ضدّهم؟"

"إما أنهم ساعدوا على ارتكاب الجريمة أو شاهدوا من ارتكابها، أو الأمرين. قل لهم إن رئيسهم قد مات، وسترى إن كانوا سيبدأون بالكلام".

أومـــأ برأســـه وقال لنا: "كانت محرّكات الديزل والمولّدات الثلاثة تعمل بكامل طاقتها وقمنا بإيقافها". وسألنا، "هل تعرفان أي شيء عن الموضوع؟"

أجبـــته، "حــسناً، كما تبين لي، كان ’فريد‘ محقاً". وأضفت، "أعني ما قاله ذلك الرجل عن الغواصات".

"ماذا تقول...؟"

قالت كايت: "إننا آسفان يا حضرة الرائد، ولكن تلك المعلومات تندرج تحت فئة المعلومات التي تخصّ الأمن القومي".

"حقاً؟"

عـــدتُ إلى الحديث عن جريمة القتل، وقلت لشافير: "لا تكلّف نفسك عناء البحث عن بوتيوف هنا".

"ولِمَ لا؟"

"حـــسناً، اســـتناداً إلـــى مـــا قاله الراحل السيد مادوكس، فقد قتل ضيفه الدكتور بوتيوف، ثم وضع جثته في فرّامة الأخشاب".

"ماذا تقول؟"

قلـــت: "إذا كان هذا الخبر يهمك، فعليك أن تعرف بأن بوتيوف نال الجزاء الذي يستحقّه. ولكنني لا أستطيع التعمّق في هذا الأمر". وأضفت، "ربما سترغب من فريق التحقيق الجنائي في مسرح الجريمة إيلاء عناية خاصة لفرّامة الأخشاب. وفي حال لم يجـــدوا شـــيئاً فـــيها، فقد تفكر في جمع بعض روث الدببة، وترى إن كان يوجد أثر للحمض النووي للدكتور بوتيوف فيه".

قال شافير: "أنا لم أستوعب ما قلته..."

سألته، "هاي، ماذا حصل للرجل الذي كان في بيت الحراسة؟"

أجاب شافير، "لقد مات".

"إنه ديريك أليس كذلك؟"

"هـــذا هو الاسم المكتوب على شارة الأسماء". وأضـــاف، "قال الرفاق في خدمات الطـــوارئ الطبّـــية بأن الحادثة أشبه بحادثة تسمّم. ربما كان النيوتروكسين، فقد كان الرجل ينتفض كالمصروع قبل أن يموت".

قلت لكايت: "يا إلهي، آمل بأن السمّ لم يكن مدسوساً في السجق الملفوف بالعجين".

أجاب شافير، "لم نعثر على أية قطع من السجق الملفوف بالعجين، ولكن يوجد إبريق طازج من القهوة في بيت الحراسة، وقد أراق هذا الرجل كوب القهوة على طاولته. ولذلك أعتقد بأنه تم دسّ السمّ في القهوة". وأضاف، "سنعمل على التأكد من ذلك بإجراء اختبار السموم".

قالت لي كايت: "مادوكس يخطط سلفاً".

"لم يعد يخطط بعد الآن".

سألت كايت، "هل عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي موجودون هنا؟"

أجاب شافير، "أجل". وأضاف، "لقد أقاموا مركز قيادة خاصاً بهم". ورفع رأسه إلى أعلى وقال: "في مكتب مادوكس". وأخبرني، "صديقكما غريفيث موجود هنا، وهو لا يزال يبحث عنكما".

قالت لي كايت: "لنذهب ونلقي التحية عليه".

"حسناً". وقلت لشافير: "سأراك في وقت لاحق".

نظر إلينا وقال: "رائحتك مثل رائحة الدخان، ومظهرك مثل مظهر الجحيم. ماذا حصل؟"

أجبته، "الأمر أشبه بقصة طويلة فعلاً وفي منتهى الغرابة. اسمح لي بالعودة لأحدثك عنها".

ذكّرني قائلاً: "يتعين عليك البقاء في المسرح للمساعدة في التحقيق".

"سأراك لاحقاً".

أمسكت بذراع كايت، وغادرنا الغرفة الكبيرة.

كان هناك حوالى عشرة من عناصر شرطة الولاية يتنقّلون في أرجاء المنزل، وبدا واضحاً أنهم لا يعرفون شيئاً عما يفترض بهم القيام به. أبرزت أوراقي، وسألت واحداً منهم "أين يوجد المطبخ؟"

"المطبخ؟ آه، عليك أن تسير في هذا الممر".

"شكراً لك". توجهت نحو المطبخ، وذكّرتني كايت بالقول: "علينا الاجتماع بليام غريفيث".

"قال شافير إنه موجود في المطبخ".

"قال إنه موجود في مكتب مادوكس".

فركت أذني وقلت: "هل يمكنكِ أن تردّدي تلك العبارة مرّة أخرى؟"

وجــدنا المطبخ، ولم نجد فيه أحداً. لاحظت بأنه لم تكن هناك تحضيرات لمأدبة العــشاء، وعبّــرت عن استنتاجي لكايت التي أجابت، "أعتقد بأن العشاء كان خدعة يا جون".

"حقاً؟ ألا توجد شرائح من لحم البقر وقطع من البطاطا؟"

"ما سبب وجودنا في هذا المكان؟"

"إنني أشعر بالجوع".

"هل يمكنني أن أحضر لك فنجاناً من القهوة من بيت الحراسة؟"

"بالتأكيد، وأحضري كوباً آخر لكِ". ثم فتحتُ ثلاجة كبيرة من الحجم الصناعي، ووجدت بعض الجبن وقطعاً من اللحم البارد.

سألتني كايت، "كيف يمكنك أن تأكل؟ فمعدتي مهتاجة".

"أنا جائع". وألقيت الجبن وقطع اللحم البارد على المنضدة، ثم مشيت نحو حوض المطبخ وغسلت يديّ. أعتقد بأنه يوجد شيء من مادوكس في داخلي. وفيما كنت أقوم بذلك، دخل السيد غريفيث المطبخ وسألنا، "أين كنتما طوال هذه المدة؟"

نظرت إليه، وقلت: "هل يمكنك إعطائي منشفة الأطباق؟"

تردّد، ثم أعطاني إيّاها، ثم سأل، "ما الذي تفعله هنا؟"

قطّبت حاجبي، وأجبته، "كنا نعمل على إنقاذ الكوكب من دمار نووي".

"حقاً؟ وما الذي قمت به في إنجازك الثاني؟"

أعطيت المنشفة لكايت، التي مشت نحو المغسلة لكي تغسل يديها.

قلــت لغريفيث: "حسناً، لقد قتلنا رجلاً منكم". ونـــزعت الغطاء عن جبن الشدر وقلت، "تيد ناش".

لم يعلّق السيد غريفيث على ذلك، ولكن كنت أستطيع الاستنتاج من ملامح وجهه أنه لم يفهمني. وأخيراً سألني، "هل قلت إن تيد ناش قد مات؟"

"هذا ما قلتُه". وسألته، "ألا يبدو ذلك خبراً رائعاً؟"

كـــان لا يـــزال عاجزاً عن استيعاب كلامي، وكنت متأكداً من أن ليام غريفيث، بالرغم مما يتمتع به من نفوذ، لا يعرف شيئاً عن القضية.

مـــسحت كايت وجهها ويديها وقالت له: "لم يمت في البرج الشمالي. ولكنه مات الآن". وأضافت، "لقد قتلتُه".

"ماذا تقولين؟"

قلت: "لن نتكلم المزيد عن هذا الموضوع في الوقت الحالي". وسألته، "هل ترغب في تناول شيء من جبن الشيدر؟"

"مـــاذا قلـــت؟ كـــلا". وأخيراً قال لنا: "كما تعرفان، أنتما في ورطة كبيرة. وقد أصـــدرت أوامري بإعادتكما إلى المدينة حالما أتمكن من العثور عليكما، وهو ما قمت بـــه. وأنـــا أتـــشرّف بإخباركما بأنكما ستخضعان لإجراءات تأديبية، وآمل بأن يكون مصيركما أسوأ من ذلك". وذكر كلاماً آخر من هذا القبيل.

لا بدّ وأنني أكلت نصف كيلوغرام من الجبن وقطع اللحم البارد فيما كان يثرثر، ونظـــرت إلى ساعتي أكثر من مرّة في إشارة إلى أنه ينبغي أن ينهي حديثه. وعندما أنهى حديثه بالفعل، سألنا "ما الذي حصل هنا بالضبط؟"

أجبته، "وجدتُ وكايت قاتل هاري مولر".

"أين؟"

"هنا".

"من كان القاتل؟"

أجابت كايت، "كان باين مادوكس، مالك هذا المنـــزل".

"وأين هو الآن؟"

أجبته، "في الملجأ النووي. لقد مات". وأضفت، "أنا قتلته".

لم يجب بشيء.

قلت له: "وهذا كل ما أنت بحاجة إلى معرفته، وهذا كل ما يمكننا قوله".

"حسناً،... إذاً أنا بحاجة إلى أن تأتيا معي".

"إلى أين أنت ذاهب يا ليام؟"

"ســبق أن أخبـــرتك. ســنعود إلى المدينة". وأضاف "توجد طوّافة تنتظرنا في المطار".

قلت له: "لا يمكننا في الواقع مغادرة مسرح الجريمة. فالرائد شافير..."

"حسناً، سنمضي نحن الثلاثة ساعة واحدة في هذا المكان مع شرطة الولاية لكي تشرح لها ماذا حصل، ثم سأطلب إلى الشرطة وضعكما تحت وصايتي".

نظرت إلى كايت فأومأت برأسها. قلت لغريفيث: "سنقتصر أنا وكايت في إفادتينا علـــى قـــضية مقتل هاري مولر. وكل ما عدا ذلك مما تراه أنت وشرطة الولاية هنا يخـــصّ الأمن القومي، وهو الأمر الذي لن نناقشه إلى أن نعود إلى المبنى الفيدرالي 26. هل تفهمني؟"

أجـــاب، "ربما يمكنك إعطائي تلميحاً إلى دور الأمن القومي في إقدام كايت على قتل ضابط في وكالة الاستخبارات المركزية".

أجابـــت كايت، "يا ليام، أنا لا أعتقد بأن تصريحك الأمني رفيع لدرجة تسمح لي بإخبارك شيئاً عن هذا الموضوع".

بـــدا منـــــزعجاً بعـــض الشيء، ولكنه أدلى بملاحظة ذكية عندما قال: "لطالما امتدحكِ تيد يا كايت".

قالت له كايت: "لم يحصل ذلك في آخر مرّة تحدثت فيها إليه".

لـــيام غريفيث ليس غبياً وقال: "إما أنكما في مشكلة عويصة أو أنكما ستحصلان على شهادة تقدير. ولذلك سأكتفي بالصمت إلى أن أرى إلى أي الأمرين ستؤولان".

قلت له: "لا بدّ أن هذا هو اليوم الوحيد الذي تكون فيه ذكياً كل أسبوع".

هكـــذا، أمضينا ساعة من الوقت مع الرائد شافير، والمحققين التابعين لشرطة الـــولاية، والمحققـــين المختـــصين في مسرح الجريمة. وفي هذه الأثناء، تحايلت وكايـــت فـــي الحـــديث عن القضية المحورية التي ركّزت على ما كان يجري في حصن هتلر. وبعد مباراة في إثارة الغضب بين شافير وغريفيث، ركبت وكايت في الـــسيارة التـــي استأجرها غريفيث، وبدأنا مسيرة العودة من نادي الصيد، ومررنا بالقـــرب مـــن سارية العلم حيث كان العلم الأميركي لا يزال يرفرف تحت أضواء الأنوار الكاشفة، والذي كان يوجد أسفله العلم الصغير الذي يعود إلى فرقة الخالية السابعة لباين مادوكس.

أجـــل، كانـــت لـــديّ مـــشاعر مختلطة حيال هذا الرجل، والتي كانت سلبية في غالبـــتها، ولكـــن، ... حسناً، لو لم يقتل هاري، ولو لم يكن على استعداد لقتل بضعة ملايـــين مـــن الأميركيين الآخرين، بمن فيهم كايت، وأنا، وكل شخص آخر يقف في طـــريقه، إضافة إلى مئات الملايين من الرجال، والنساء، والأطفال الأبرياء... حسناً، كان رجلاً معقداً، وشعرت بأنني سأحتاج إلى وقت طويل لكي أفهمه على حقيقته.

كمـــا مـــررنا بالقـــرب من فرّامة الأخشاب، وهو ما أعادني إلى الواقع. كانت الأشـــياء الكبيرة - مثل المعركة الملحمية النووية - نظرية، ولكن الأشياء الصغيرة، مثل فرّامة الأخشاب، هي التي تجعلك تفهم الشرّ.

حسناً، عدنا بالطائرة إلى نيويورك سيتي، وبحلول الوقت الذي عدنا فيه إلى مبنى بـــلازا 26 الفيدرالي، كان يوجد حوالى عشرة أشخاص من العاملين في المكتب، بمن فيهم توم والش طبعاً، وحوالى عشرة أشخاص آخرين من واشنطن، في انتظارنا وفي أيديهم دفاتر الملاحظات وأجهزة التسجيل.

كــان في مقدوري الاستنتاج بأنه كان لا يزال هناك الكثير من الإرباك بشأن ما حــصل وبــشأن حقــيقة وضعنا - هل كنا بطلين أم مجرمَين - ولكنني أحسست بأن شخــصاً أو شخــصين ممن قدموا من واشنطن يعرفون بالضبط ماذا حصل، ولكنهما احتفظا بتلك المعلومات لنفسيهما.

جرى استجوابنا في مكتب توم والش من قِبل عدة فرق يتألف كل فريق منها من رجلين، ولكنني وكايت صمدنا بقوة فيما كنا نقدّم للمحققين وصفاً مفصلاً لكل ما حدث مــنذ أن دخلــنا مبنى بلازا 26 الفيدرالي في صباح يوم كولومبوس وتحدثنا إلى توم والــش؛ إلى الحديث الذي دار بيننا وبين بيتي في شركة كونتيننتال كوميتير، وماكس ولاري اللذَين يعملان في مكتبين لتأجير السيارات، والتحقق من طائرتي مادوكس لدى مكتب الملاحة الجويّة العام، والقرار بالذهاب إلى نادي الصيد في كاستر هيل بدلاً من الذهاب إلى المقرّ الرئيسي لشرطة الولاية،... إلخ.

كــان فــي مقــدوري رؤية عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي المبهورين جزئياً بالمبادرة التي اتخذناها والتقنيات الجيدة التي اتّبعناها في التحقيق، والمرتبكين نوعاً ما بسبب فشلنا التام في تنفيذ الأوامر وتحوّلنا إلى هاربَين. وأملت بأنهم تعلّموا منّا شيئاً.

كمــا كان في مقدوري الاستنتاج أيضاً بأنه مع تقدم ساعات الليل، كنت وكايت الوحيدَين اللذَين لم يكونا قلقَين بشأن شيء ما.

كــنت أجد القليل من المتعة وأنا أشاهد توم والش الذي كان يرتبك خجلاً، ومتعة أكبــر فــي الجلوس في مكتبه وقدماي فوق طاولة الاجتماعات فيما كنت وكايت ندلي بمعلوماتــنا. وعــند الــساعة الثالثة فجراً، عبّرت عن رغبتي القوية في تناول الطعام الــصيني، فذهب عميل من مكتب التحقيقات الفيدرالي ووجد مطعماً لا يزال يقدم هذا الطعام في هذه الساعة. هاي، لا يمكن أن يكون المرء مركز الاهتمام كل يوم، وعليك أن تستغلّ يومك بعض الشيء.

تــم الكشف عن الكثير من المعلومات، ولكن لم تكن لديّ فكرة عن الشوط الذي سيقطعه التحقيق، ولا عن حجم المسؤولين المتورّطين في مؤامرة **المشروع الأخضر**. وبالطبع، لن أعرف أنا أو كايت ذلك في يوم من الأيام.

مع طلوع الفجر، أعادنا عميلان من مكتب التحقيقات الفيدرالي في سيارتهما إلى شقتنا وتمنّيا لنا ليلة نوم هنيئة بالرغم من أننا كنا قد دخلنا في ساعات الصباح.

بعــد أن دخلــنا شقتنا، وقفنا في الشرفة، وراقبنا الشمس وهي تطلع فوق جبال مانهــاتن، وتذكرنا معاً صباح 12 سبتمبر/أيلول 2001 عندما شاهدنا الدخان الأسود الذي حجب الشمس، ليس عنا وعن نيويورك وحسب، بل وعن البلاد بأسرها.

قلت لكايت: "كما تعرفين، في هذه المهنة، كل عمل من أعمال العنف، وكل جريمة تُرتكب، ما هي سوى انتقام للجريمة التي سبقتها، وعذر للجريمة التي تليها".

أومأتْ برأسها، وقالت: "أنت تعرف... أردت الاستقالة من هذا العمل، والذهاب إلى مكان آخر، أما الآن، وبعد كل ما حصل، أريد أن أبقى هنا، وأبذل كل ما في وسعي..."

نظرت إليها، ثم إلى لُوير مانهاتن، حيث كان في مقدورنا في السابق رؤية البرجين التوأمين وهما يعانقان السماء. قلت لها، أو لنفسي: "أتساءل إن كنا سنرى مستوى التحذير باللون الأخضر مجدداً في حياتنا".

أجابت، "أنا أشكّ في ذلك. لكن إذا واصلنا العمل على ذلك، ففي إمكاننا منعه من التحول إلى اللون الأحمر".

الخلاصة هي أن عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي في لوس أنجلوس وسان فرانسيسكو تمكنوا من العثور على الطيارَين ومساعديهم، وعلى الحقائب النووية التي كانت في الغرف التي نزلوا فيها. في الواقع، كان أحد الطيارين المساعدين يجلس على إحداها وهو يشاهد التلفاز عندما فتح عملاء المكتب باب غرفته.

الخلاصة النهائية هي أنني تورّطت في دين مقداره ثلاثة آلاف دولار لفندق **ذي بوينت**، وكما توقعت كايت، رفض مكتب المحاسبة سماع أية تفسيرات، كما أن توم والش لم يعد يفكر في ملاحقتنا، ولذلك صرت بحاجة أنا وكايت إلى التقليل من عدد مرات تناول الطعام خارج المنزل لفترة من الوقت.

كنا بحاجة إلى الذهاب إلى مقرّ مكتب التحقيقات الفيدرالي في واشنطن العاصمة من أجل الإدلاء بتفاصيل كاملة، والإدلاء بتصريحات، وكتابة التقارير. وفي هذه الأثناء، كنت أنتظر وكايت سماع بعض الأخبار عن المجلس التنفيذي لنادي كاستر هيل. ولكن لغاية الآن، يبدو أن هؤلاء الرفاق لا يزالون يعملون في وظائفهم القديمة.

كما بدا أن الحرب مع العراق قادمة دون شك، وأنا أعتمد على المعلومات الداخلية التي أعطاني إياها مادوكس وسأراهن هذا الأسبوع على يوم 17 مارس/آذار، والذي يقول وكيل مراهناتي بأنه بعيد وأن احتمالات فوزي فيه هي ثلاثة إلى واحد. أي أنه إذا كان في مقدوري مضاعفة رهان الألف دولار ثلاث مرّات، فسيكون في إمكاني تغطية تكاليف الإقامة في **ذي بوينت**. وفي ما يتعلّق بأسعار النفط المستقبلية، يقول وكيل مراهناتي بأن النفط العراقي سيُغرق الأسواق في فترة ما بعد الحرب، وأن الأسعار ستهبط؛ ولن ترتفع كما قال مادوكس. وعليّ أن أفكّر في الشخص الذي ينبغي عليّ أن أثق به؛ وكيل مراهناتي أم باين مادوكس. وما من شك في أنه خيار صعب.

هناك أمر واحد لم نحتج إلى القيام به في واشنطن وهو شرح كيفية قتل كايت لضابط في وكالة الاستخبارات المركزية وسبب ذلك. وحول هذا الموضوع، قال لنا المسؤول في وكالة الاستخبارات المركزية الملحَق *بالوحدة التكتيكية لمحاربة الإرهاب* بأن الرجل القتيل الذي عُثر عليه في منزل كاستر هيل بقي مجهول الهوية، وأن الضابط في وكالة الاستخبارات المركزية الذي يُدعى تيد ناش، والذي كنا نعرفه، مات في البرج الشمالي يوم 11 سبتمبر/أيلول 2001.

لم أكن لأجادلهم في هذا الموضوع، ولا كايت أيضاً.

أنا أفكر كثيراً في **المشروع الأخضر** الذي خطط له مادوكس، وأنا واثق من أن ما كان على وشك أن يحدث – شنّ هجوم على مدينة أميركية واحدة أو أكثر بأسلحة الدمار الشامل – سيحدث عاجلاً أو آجلاً. ولكن في الوقت الحالي، عليّ أن أتساءل عن المصدر الحقيقي لذلك الهجوم. ولكن لا علاقة لذلك بالغاية من إطلاق **عاصفة النار**.

«يعتمد هذا العمل الخيالي على شائعة تكرر ذكرها على الإنترنت، وتتحدث عن خطة حكومية تشبه إلى حدٍّ بعيد الخطة التي سمّيتها عاصفة النار. وكلي أمل بأن القصة التي أنا على وشك أن أحدثك عنها لن تخرج عن إطار هذه الصفحات...».

– **نيلسون ديميل**

أهلاً بك في نادي كاستر هيل – وهو نادٍ للرجال في بيت كبير فخم للصيد في جبال أديرونداك يضم في عضويته بعضاً من أوسع رجال الأعمال نفوذاً، والمسؤولين الحكوميين وضباط الجيش. يشكّل هذا النادي من حيث الظاهر مكاناً للإسترخاء مع الأصدقاء القدامى. لكن في أحد أيام عطلة نهاية الأسبوع من فصل الخريف، إجتمع أعضاء المجلس التنفيذي للنادي للتباحث بشأن مأساة الحادي عشر من سبتمبر / أيلول – ووضع اللمسات الأخيرة لخطة ثأرية، تُعرف فقط باسمها الرمزي:

#1 NEW YORK TIMES BESTSELLING AUTHOR

Nelson DeMille

Wild Fire

عاصفة النار

في ذلك اليوم بالذات، وُجد عضو في الوحدة التكتيكية الفيدرالية لمحاربة الإرهاب ميتاً. وسرعان ما تولّى المحقق جون كوري وزوجته مايفيلد، العميلة في مكتب التحقيقات الفيدرالي، مهمة الكشف عن مكيدة مخيفة تبدأ في نادي كاستر هيل وتنتهي في مدينتين أميركيتين وقعتا في أسر قنابل نووية. وكوري ومايفيلد هما الوحيدان اللذان يمكنهما الحؤول دون الضغط على الزرّ النووي ومنع حدوث فوضى عالمية شاملة...

انها قصة تبعث القشعريرة في النفوس أكثر من العناوين الرئيسية التي تصدّرت صحف الأمس، وأكثر إثارة التكهنات من صحف الغد. ستدفعك رواية «**عاصفة النار**» إلى التشكيك في كل شيء كنت تعرفه عن رؤسائك وبلادك، فيما تهزّك بالتشويق الذي يزداد مع كل صفحة.

نيلسون ديميل، هو مؤلف أكثر من ثلاث عشرة رواية نالت استحسان جماهير القرّاء، بما في ذلك Night Fall التي احتلّت المركز الأول في قائمة الروايات الأكثر رواجاً في النيويورك تايمز، وPalm Island، و Up Country إحدى أكثر الروايات رواجاً في نيويورك تايمز، وThe Gold Coast، و«لعبة الأسد» (تصدر بالعربية قريباً عن الدار العربية للعلوم)، و«ابنة الجنرال» (صدرت بالعربية عن الدار العربية للعلوم–ناشرون). للإطلاع على مزيد من المعلومات، يمكنكم زيارة موقع المؤلف: www.nelsondemille.net.


ISBN 978-9953-87-083-0

مكتبة مدبولي
Madbouly Bookshop
6 ميدان طلعت حرب – القاهرة
هاتف: 5756421 – فاكس: 5752854
البريد الإلكتروني: info@madboulybooks.com

الدار العربية للعلوم ـ ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com
ص. ب. 5574-13 شوران 2050-1102 بيروت – لبنان
هاتف: 785107/8 (1-961+) فاكس: 786230 (1-961+)
البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb